سجدة

١

خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون ۝ احسن اهل الكوفة والبصرة ... لانهم عدوا جديدا آيتين
في الدين ۝ قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر احسن كل شي خلقه باسكان اللام والباقون
بفتحها من سكن اللام فعلى تقديره الذي احسن خلق كل شي اي جعلهم يحسنونه والمعنى انه
الهمهم جميع ما يحتاجون اليه ۝ قال الزجاج ويجوز ان يكون على البدل والمعنى احسن خلق
كل شي ويجوز ان يكون على المصدر وتقديره الذي خلق كل شي خلقه ومن فتح اللام جعله
فعلا ماضيا ومعناه احسن الله كل شي خلقه على ارادته ومشيته واحسن الانسان وخلقه على
في احسن صورة وقيل معناه ان وجه الحكمة قائم في جميع افعاله ووجوه القبح منفية عنها
ووجه الدلالة قائمة فيها على صانعها وكونه عالما والضمير في قوله خلقه عن اسم الله ۝ خلق
لما اخبر الله تعالى انه الذي خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة ايام واستوى على
العرش وانه الذي يدبر الامور ما بين السموات والارض بين هاهنا ان الذي يفعل ذلك
ويقدر عليه هو عالم الغيب والشهادة اي يعلم السر والعلانية العزيز في انتقامه من اعدائه
الرحيم بعباده المنعم عليهم والغيب خفاء الشي عن الادراك والشهادة ظهوره للادراك فكانه
قال يعلم ما يصح ان يشاهد وما لا يصح ان يشاهد فيدخل في ذلك المعدوم والحياة والموت
والقدرة وجميع ما لا يصح عليه الرؤية والعزيز هو القادر على منع غيره ولا يقدر الغير
على منعه واصله المنع من قولهم من عزّ بزّ اي من غلب سلب لان من غلب اسيره فتمنعه
اخذ سلبه ثم قال الذي احسن كل شي خلقه ومعنى ذلك في جميع ما خلقه الله تعالى
واحدثه فيه وجه من وجوه الحكمة وليس فيه وجه من وجوه القبح وذلك يدل على ان الكفر
والضلال وسائر القبائح ليست من خلقه وافعاله كلها وان كانت شاملة للاشياء كلها والمراد به
المخصوص هاهنا الحيوانات ما خلقه الله تعالى من [illegible] دون بعضه وبعضه قوله
خلقه بالبدل من قوله كل شي كما قال الشاعر ۝ وظعني اليك الليل حضنيه انني لتلك
اذا هاب الجبان فعول ۝ فقدّره وظعني حضني الليل اليك ۝ وقال اخر ۝

كان هندًا ثناياها فرهصتها يوم القيا على ادخال دباب والعقق كانها ثنايا هند
وجبهة هند وقوله وبدا خلق الانسان من طين يريد انه خلق آدم الذي هو اول
الخلق من الطين لان الله تعالى خلق آدم من تراب فجعله طينا ثم قلب الطين حيوانا ولذلك
قال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقال هاهنا
وبدا خلق الانسان من طين وكل ذلك لما في التصريف من الدليل وقوله ثم جعل
نسله يعني نسل الانسان الذي هو آدم وولده من سلالة وهي الصفوة التي تخل من غيرها
خارجة قال الشاعر فجات به عضب الاديم غضنفرا سلالة فرج كان غير حصين
من ماء مهين قال قتادة المهين الضعيف وهو فعيل من المهنة وقوله ثم سواه
اي عدله ورتب جوارحه ونفخ فيه يعني في ذلك المخلوق من روحه فاضافه الى نفسه
اضافة اختصاص واضافة ملك على وجه التشريف ثم قال وجعل لكم معاشر الخلق السمع
لتسمعوا به الاصوات والابصار لتبصروا بها المرئيات وخلق لكم القلوب لتعقلوا بها
قليلا ما تشكرون اي تشكرون نعم الله قليلا من كثير وما زايدة ويجوز ان تكون مصدرية
والتقدير قليلا شكركم لان نعم الله لا تحصى ثم حكى عن الكفار فقال وقالوا
ائذا ضللنا في الارض وفيه لغتان فتح اللام وكسرها وكل شي غلب عليه غيره حتى يغيب فيه
فقد ضل قال الاخطل كنت القذى في موج اكدر مزبد قذف الاتي به فضل
ضلالا وقال مجاهد وقتادة معنى ضللنا هلكنا وقال ابو عبيدة معناها فلم يوجد
لنا عظم ولا لحم انا لفي خلق جديد حكاية عن تعجبهم ومعناه كيف نخلق خلقا جديدا في
بعاد بعد ان هلكنا وتفرقت اجسامنا ثم قال بل هولاء الكفار بلقاء ما وعد الله به
من الثواب والعقاب كافرون اي جاحدون ثم قال قال هذا القول هذا قرا ائنا في
خلق جديد جعل اذا منصوبة بضللنا وكونه في معنى الشرط والجزاء ولا يضر الجزاء
الفاء بعدها لان اذا قد وليها الفعل الماضي ولا يجوز ان ينصب اذا بما بعد انه لان الكلام

هرمنار

اذا ضللنا في الارض

بين الخوبين فيه وقرا الحسن صللنا بالصاد ومعناه احد شيئين احدهما انتنا وتغيرت
صورتنا يقال صل اللحم واصل اذا انتن والثاني صللنا اي صرنا من الصلة وهي الارض
اليابسة قوله تبارك وتعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي
وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم
ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا
بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون
انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم
لا يستكبرون خمس آيات بلا خلاف امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يخاطب
المكلفين بان يقول لهم يتوفاكم ملك الموت اي يقبض ارواحكم والتوفي اخذ
الشي على تمام قال الراجز ان بني ادرم ليسوا من احد ولا توفاهم قريش في العدد
ومنه قوله الله يتوفى الانفس حين موتها ويقال استوفى الدين اذا قبضه على كماله
فملك الموت يتوفى الانسان باخذ روحه على تمام فيعرج بها الى حيث امر الله تعالى
وقوله يتوفاكم يقتضي ان روح الانسان هي الانسان فالاضافة فيها وقعت كما
في نفس الانسان والملك مشتق من الالوكة وهي الرسالة كما قال الهذلي الكني
اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر وقوله الذي وكل بكم صفة الملك الذي
يتوفى الارواح فان الله قد وكله بمعنى فوض قبض الارواح والتوكيل تفويض
الامر الى غيره للقيام به وكله توكيلا وتوكل عليه توكلا ووكله يكله وكالة
وقوله ثم الى ربكم ترجعون معناه الكم الى جزاء الله من الثواب والعقاب تردون
وانما جعل الرجوع الى الجزاء رجوعا اليه تفخيما للامر وقيل معناه يردون الى ان لا يملك
لكم احد ضرا ولا نفعا الا الله تعالى وفيه تعظيم لهذه الحال واقتضاء للوعيد ثم قال

جنس م

قال قتاده يتوفاكم ومعه اعوان من الملئكه

لبيته ولو ترى يا محمد اذ المجرمون فجواب لو محذوف وتقديره ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤوسهم اذا بعثوا من الندم على ما فرطوا في الايمان لرايت ما تعتبر به والخطاب
للنبي والمراد به الامة ناكسوا رؤوسهم من الغم وقيل من الحياء والحزن مما ارتكبوه من المعاصي
عند ربهم يعني يوم القيامة الذي يتولى الله تعالى حساب خلقه وفي الكلام حذف لان
تقديره قائلين ربنا ابصرنا وسمعنا ومعناه ابصرنا الرشد وسمعنا الحق وقيل معناه ابصرنا
صدق وعدك وسمعنا منك تصديق رسلك وقيل ان معناه انا كنا بمنزلة العمي فقد ابصرنا
وبمنزلة الصم فسمعنا فارجعنا اي ردنا الى دار التكليف نعمل صالحا من الطاعات غير الذي
كنا نعمل من المعاصي انا موقنون اليوم لا نرتاب بشيء من الحق والرشاد ثم قال تعالى
يخبر عن نفسه ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ومعناه الاخبار عن قدرته انه يقدر على
الجائهم الى الايمان بان يفعل امرا من الامور يلجئهم الى الاقرار بتوحيد الله لكن ذلك يبطل
الغرض بالتكليف لان المقصود به استحقاق الثواب والالجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب
وقال الجبائي يجوز ان يكون المراد ولو شئنا لاجبناهم الى ما سألوا ولرددناهم الى دار
التكليف ليعملوا بالطاعات ولكن حق القول مني ان اجازيهم بالعقاب وقد ابدأهم وقيل
ولو شئنا لهديناهم الى الجنة ولكن حق القول مني اي اخبرت واوعدت اني لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين بكفرهم بالله وجحدهم وحدانيته وكفرانهم نعمه ثم حكى
تعالى ما يقال لمن تقدم ذكره الذين طلبوا الرجوع الى دار التكليف بانه يقال لهم يوم
القيامة اذا حصلوا في العذاب فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا اي بما فعلتم فعل من نسي
لقاء جزاء هذا اليوم فتركتم ما امركم الله به وعصيتموه انا نسيناكم اي فعلنا معكم جزاء
على ذلك فعل من نسيكم من ثوابه وتركناكم من نعمه والنسيان الترك ومنه قوله ولقد
عهدنا الى آدم من قبل فنسي وقال النابغة سعود شريب نسوه عند مقاد
اي تركوه فلم يستعملوه قال المبرد لا تخلو ان كان المراد بالنسيان الذي هو ضد الذكر لجازات

يكونوا

يكونوا استعملوه وذوقوا عذاب الخلد الذي لا فناء له جزاء بما كنتم تعملون من المعاصي ثم اخبر
تعالى عن حال المؤمنين ووصفهم بان المؤمن على الحقيقة الكامل الايمان بآيات الله وحججه
هم الذين اذا ذكروا بحجج الله وتليت عليهم آياته خروا سجدا شكرا على ما هداهم لمعرفته
وانعم عليهم من فنون نعمه ونزهوا الله تعالى عما لا يليق به من الصفات وعن الشرك به حامدين
ربهم غير مستكبرين ولا مستنكفين من الطاعة لله قوله تبارك وتعالى
تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون افمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا لا يستوون اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا
بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ٦ خمس
آيات بلا خلاف قرأ اخفي باسكان الياء يعقوب وحمزة الباقون بفتح الياء من سكن
الياء جعله فعلا مستقبلا وحجته قراءة عبد الله ما نخفي لهم ومن فتح جعله فعلا
ماضيا على ما لم يسم فاعله فعلى قراءة حمزة ما نصب بانه مفعول به وعلى ما في القراءات
في موضع رفع بما لم يسم فاعله وقرة اعين شيء اعده الله لعباده لم يطلعهم
عليه في دنياهم كما قال النبي صلى الله عليه وآله هو ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر وصف الله تعالى المؤمنين الذين ذكرهم في الآية الاولى في هذه
الآية بان قال وهم الذين لا يستنكفون عن عبادته ويتجافى جنوبهم عن المضاجع
اي يرتفعون عن مواضعهم التي ينامون عليها فالتجافي تعالي الارتفاع عن الشيء
ومثله النبو يقال جفا عنه يجفو جفاء اذا نبا عنه وتجافى عنه يتجافى تجافيا واجتفاه
استجفاه والمضاجع موضع الاضطجاع والاضطجاع القاء النفس يدعون ربهم اي داعين ربهم
الذي خلقهم واوجدهم خوفا من عقابه فيسألونه المغفرة وطمعا في ثوابه واستيجابا

وطمعا على انه مفعول له اى للخوف والطمع ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وسبيل
ثوابه ووجه المدح بذلك ان هذه صفة المؤمنين بقطعهم اشتغالهم بالليل عما له عن طيب المضجع
لما يأملونه من الخير والبركة من الله تعالى لان اكثر الناس مصروفة اليه والاتكال في امورهم عليه
وقال الشاعر في التجافي ، وصاحبي ذات هباب دمشق وبن ملاط يتجافى ارفق
اى متنحى عن كركرتها وقال انس وقتادة انه مدح قوما كانوا يتنفلون بين المغرب
والعشاء وقال الضحاك انهم كانوا يذكرون الله بالدعاء والتعظيم ، وقال قتادة خوفا
من عذاب الله بالدعاء والتعظيم وطمعا في رحمة الله ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله و
قال ابو جعفر وابو عبد الله الاية نازلة لمن يقوم الى صلاة الليل عن لذيذ مضجعه في وقت
السحر وبه قال معاذ والحسن ومجاهد وقال عبد الله بن رواحة في صفة النبي صلى الله عليه وآله
وسلم يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع ثم قال تعالى فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ويحتمل ما في قوله ما اخفي ان يكون بمعنى الذي ويكون
موضعها النصب ويحتمل ان يكون بمعنى اي ويكون موضعها الرفع ويكون الجملة في موضع نصب
والمعنى ليس يعلم احد كنه ما اعده الله لهؤلاء المؤمنين الذين تقدم وصفهم من انواع اللذات
والاشياء التي تقر اعينهم بها على كنه معرفتها وقولهم قرت عيناه اى فرحها الله لان المستبشر
الضاحك يخرج من عينه ماء بارد من سروره والباكي جزعا يخرج من عينه ماء سخن
من الكبد ومنه قولهم سخنت عينه بالكسر جزاء بما كانوا يعملون من الطاعات في دار
الدنيا وانما نفى علمهم مع ان المؤمن يعلم انه يستحق الثواب لان العلم بالشيء يكون من وجهين
احدهما ان يعلم الشيء على طريق الجملة وهو الذي يحصل للمؤمن في دار التكليف والاخر
ان يحصل على طريق التفصيل وذلك موقوف على مشاهدتهم الثواب الذي يرونه عند
زوال التكليف وحصول الثواب ثم قال تعالى افمن كان مؤمنا مصدقا بالله عارفا به و
بانبيائه عاملا بما اوجبه الله عليه وندبه اليه كمن كان فاسقا خارجا عن طاعة الله ،

بر
استقلت

بارتكاب معاصيه على وجه الانكار لذلك فلفظه لفظ الاستفهام ثم اخبر تعالى بانهم
لا يستوون قط لان منزلة المؤمن الثواب وانواع اللذات ومنزلة الفاسق العقاب وفنون
العقاب ثم فسر ذلك بما قال بعده فقال اما الذين آمنوا بالله وصدقوه وصدقوا انبيائه
وعملوا الطاعات مع ذلك فلهم جنات المأوى والمأوى المقام اى لهم هذه البساتين التي
وعدهم الله بها يأوون اليها نزلا بما كانوا يعملون اى في مواضع لهم ينزلون فيها مكافاة لهم
على طاعاتهم التي عملوها وقال الحسن نزلا اى عطاء نزلوه واما الذين فسقوا بخروجهم عن
طاعة الله الى معاصيه فمأواهم النار يأوون الى النار نعوذ بالله منها كلما ارادوا ان يخرجوا
منها الى كلما كادوا وهموا بالخروج منها لما يلحقهم من العذاب ردوا فيها وقال الحسن كلما كادوا
الخروج منها لانها ترميهم بلهبها ضربوا بمقامع النار حتى يهووا فيها وقيل لهم مع ذلك على
وجه التقريع والتبكيت ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اى العذاب الذي كنتم
تجحدونه في دار الدنيا ولا تصدقون به وقال ابن ابي ليلى نزلت الاية في رجل من قريش
وعلي عليه السلام وقال المفسرون ان هذه الايات نزلت في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن
ابي معيط فالمؤمن المراد به علي والفاسق هو الوليد بن عقبة روى انه قال يوما فقال
لعلي انا ابسط منك لسانا واحد منك سنانا فقال علي ليس كما قلت يا فاسق فنزل قوله
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا فقال قتادة والله ما استووا لا في الدنيا ولا في الاخرة ولا
عند الموت قوله تبارك وتعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب
الاكبر لعلهم يرجعون ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين
منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى
لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون
ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ، [illegible]
قرا حمزة والكسائي ورويس لما صبروا بكسر اللام والتخفيف اى بصبرهم الباقون بالتشديد

وفتح اللام بمعنى حين صبروا اقسم الله تعالى في هذه الاية لان اللام في قوله ولنذيقنهم
هي التي يتلقاها القسم وكذلك النون الثقيلة بانه يذيقن هؤلاء الفساق الذين تقدم ذكرهم
العذاب الادنى دون ما يستحقونه وقيل العذاب الادنى هو الاصغر وهو عذاب الدنيا بالقتل
والسبي والقحط والفقر والمرض والسقم وما جرى هذا المجرى وقيل هو الحدود وقيل عذاب
القبر وعن جعفر بن محمد عليهما السلام ان العذاب الادنى هو القحط والاكبر خروج المهدي بالسيف والعذاب
الاكبر عند المفسرين هو عذاب الاخرة بالنار التي يستغرق الانسان بالالام وفي الادنى معنى
الدون وقد يكون الادنى من الدناءة في الحسن وهو ان يفعل على انه ليس فيه ظلم لاحد انه افعل
للشهوة والادنى في القبح ما يفعل وفيه ظلم يسير ابتلاعا للشهوة والاعلى في الحسن هو ما ليس
فوقه ما هو اعلى منه يستحق به الزيادة والادنى في العذاب اكبر من الادنى في الالام لان العذاب
استمرار الالم وليس فوق عذاب الكفر عذاب لان عذاب الفسق دونه وقال ابن عباس
وابي ابن كعب والحسن العذاب الادنى مصائب الدنيا وقال ابن مسعود هو القتل يوم بدر
والعذاب الاكبر عذاب الاخرة في قول ابن مسعود والحسن ومجاهد وابن زيد وقوله
لعلهم يرجعون اخبار منه تعالى انه يفعل بهم ما ذكره من العذاب الادنى ليرجعوا عن
معاصي الله تعالى الى طاعاته ويتوبوا منها وهو قول عبد الله وابي العالية وقتادة ثم قال
تعالى على وجه التقريع لهم والتبكيت ومن اظلم لنفسه بارتكاب المعاصي وادخالها في استحقاق
العذاب ممن ذكر بآيات ربه اي نبه على حجج الله التي توصله الى معرفته ومعرفة ثوابه فعرض
عنها جانبا ولا ينظر فيها ثم قال انا من المجرمين الذين يفعلون المعاصي بقطع الطاعات
ومركبها منتقمون بان يعذبهم بعذاب النار ثم اخبر تعالى فقال ولقد آتينا موسى
الكتاب يعني التوراة فلا تكن في مرية اي في شك من لقائه يعني لقاء موسى ليلة الاسراء
بك الى السماء على ما ذكره ابن عباس وقيل فلا تكن في مرية من لقاء موسى يوم الاخرة وقال
الزجاج فلا تكن يا محمد في مرية من لقاء موسى الكتاب او مرتاب في شك وقال الحسن فلا تكن في شك

من لقاء الاذى كما لقي موسى كانه قال فلا تكن في شك من ان تلقى كما يلقى موسى وجعلناه هدى
لبني اسرائيل قال قتادة جعلنا موسى هاديا لبني اسرائيل وضع المصدر في موضع الحال وقال
الحسن معناه جعلنا الكتاب هاديا لهم وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا قال قتادة معناه جعلنا
منهم رؤساء في الخير يقتدى بهم يهدون الى فعل الخير بامر الله لما صبروا قيل فيه حكاية الجزاء
وتقديره قيل لهم ان صبرتم جعلناكم ائمة فلما صبروا جعلوا ائمة ذكره الزجاج وكانوا باياتنا
اي بحججنا يوقنون لا يشكون فيها واليقين وجدان النفس بالثقة على خلاف ما كانت عليه النفس بالثقة صح
من الاضطراب والحيرة ثم قال لنبيه ان ربك يا محمد هو الذي يفصل بينهم يوم القيامة اي
يحكم بينهم يعني بين المؤمن والكافر والفاسق فيما كانوا فيه يختلفون في دار الدنيا من التصديق
بالله ورسوله والايمان بالبعث والنشور وغير ذلك قوله تبارك وتعالى
أو لم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات
أفلا يسمعون أو لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه
انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم
الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم
منتظرون ست آيات بلا خلاف القراء كلهم على الياء في قوله او لم يهد بمعنى او لم
يبين اهلاكنا من مضى من القرون وروي بالنون بمعنى الاخبار عن الله تعالى انه الذي
يبين لهم هلاك الماضين وارشدهم بذلك الى اتباع الحق فاضاف الى نفسه يقول الله تعالى
منبها لخلقه على وجه الاعتبار بحججه اولم يهد لهم ومعناه اولم يبصرهم ويرشدهم من غوايتهم
يقال هداه يهديه في الدين هدى وهدى الى الطريق هداية واهتدى اذا قبل الهداية
والواجب من الهدى ما يؤدي الى ما لا يستغني العبد عنه في دينه فاللطف على هذا هدى
والنظر المؤدي الى معرفة الله هدى وفاعل يهد مضمر فيه وتقديره اولم يهد لهم
اهلاكنا من اهلكنا من القرون الماضية جزاء على كفرهم بالله وارتكابهم المعاصي

ولا يجوز ان يكون فاعل يهد كم في قوله كم اهلكنا لان كم لا يعمل فيها ما قبلها الا حروف
الاضافة لانها على تقدير الاستفهام الذى له صدر الكلام ولكن المراد ان يكون فاعل
يهد كم وان لم يعربه البصريون وقوله يمشون فى مساكنهم اى اهلكناهم وهم شاغلون
بمعايشهم ويمشون فى منازلهم ثم قال ان فى ذلك لايات اى لحججا وعلامات افلا يسمعون
ومعناه افلا يتدبرون ما يسمعون من هذه الايات لان من لا يتدبر ما يسمعه ولا يتفكر فيه
فكانه لم يسمعه ثم نبههم على وجه آخر فقال اولم يروا معناه اولم يعلموا انا نسوق الماء
الى الارض الجرز والسوق الحث على السير شاهد يسوقه سوقا فهو سائق فالله تعالى يسوق
ماء المطر الى هذه الارض الجرز فينبت به زرعا من النبات التى تغتذى بها الانسان والانعام
والارض الجرز هي اليابسة التى ليس فيها نبات انقطع ذلك لانقطاع الامطار وهو مشتق
من قولهم سيف جراز اى قطاع لا يلقى شيا الا قطعه وناقة جراز اذا كانت تاكل كل شىء
لانها لا تبقى شيا الا قطعته بفيها وارض جروز وهى التى لا تبقى على ظهرها شيا الا اهلكته
كالناقة الجراز ورجل جروز اكول قال الراجز خب جروز واذا جاع بكا
وفيها اربع لغات ارض جرز بضم الجيم والزاء وبضم الجيم واسكان الراء وبفتح الجيم والراء
وبفتح الجيم واسكان الراء وقال ابن عباس يسوق الماء بالسيول لانها مواضع عالية فال
وهى قرى بين اليمن والشام ثم قال افلا يبصرون بان يتفكروا فى ذلك فيدلهم على انه لا يقدر
على ذلك احد غير الله الذى لا شريك له ثم حكى عنهم انهم يقولون متى هذا الفتح ان كنتم
صادقين مستعجلين لما وعد الله تعالى من الفصل بينهم وقوله ان ربك يفصل بينهم
يعنون متى يجئ فتح لكم بيننا وبينكم فى الثواب والعقاب والفتح القضا والحكم وقيل انه
اراد به فتح مكة فعلى هذا القول يوم الفتح يوم فتح مكة لا ينفع الذين كفروا ايمانهم لا يليق
به وقيل لا ينفع الذين قتلهم خالد بن الوليد من بنى كنانة ايمانهم والتاويل هو الاول فقال
الله تعالى لنبيه محمد قل لهم يا محمد يوم الفتح اى يوم القضا والفصل وقال مجاهد

يوم القيامة لا ينفع الذين كفروا بآيات الله ايمانهم لان التكليف قد زال عنهم ومعارفهم
تحصل ضرورة وانهم ينظرون اى ولا هم يؤخرون ايضا فلا ينبغى ان يستعجلوا به ثم
قال لنبيه عليه السلم فاعرض عنهم يا محمد فانه لا ينفع فيهم الدعا والوعظ وقيل
كان ذلك قبل ان يؤمر بالجهاد وقيل اعرض عن اذاهم وانتظر حكم الله فيهم واهلاكهم
فانهم منتظرون ايضا الموت الذى يؤديهم الى ذلك وقيل انه سبانهم ذلك فكانهم
كانوا ينتظرونه

سورة الاحزاب

هى مدنيه فى قول
مجاهد والحسن وهى ثلث وسبعون آية بلا خلاف قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع
ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى
بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل ازواجكم اللائى
تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم
بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ادعوهم لآبائهم هو اقسط
عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم
جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما
خمس آيات بلا خلاف قرا ابن كثير وابو عمرو ونافع وابو جعفر اللاى بهمزة ليس بعدها
ياء الا ان ابا عمرو ليّن الهمزة وقرا ابن عامر واهل الكوفة بهمزة بعدها ياء وقرا تظهرون
مشددة الظاء بغير الف ابن كثير ونافع وابو عمرو وقرا عاصم الا الكسائى عنه تظاهرون
بضم التاء خفيفة الظاء والف بعدها وقرا ابن عامر بتشديد الظاء والالف وفتح التاء
من قرا تظّاهرون بتشديد الظاء اراد يتظاهرون فادغم احدى التائين فى الظاء
ومن قرا بلا الف مشددة اراد يتظهرون وادغم احدى التائين فى الظاء وعاصم حمل

بفتح التاء

الفعل بين اثنين فقال تظاهرون بضم التاء وتخفيف الظاء مع الالف وقرأ ابو عمرو
بما يعملون خبيرا وبما يعملون بصيرا بالياء فيهما جميعا الباقون بالتاء وحجة قراءة ابي عمرو
قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين فان الله يعلم ما يفعلونه فيجازيهم بحسبه ووجه التاء
الخطاب لهم هذا خطاب من الله تعالى للنبي صلى الله عليه والمراد به جميع الامة كما قال
يا ايها النبي اذا طلقتم فخصه بالخطاب واراد به جميع المكلفين يامرهم الله بتقواه
وتجنب معاصيه وفعل طاعاته ونهاهم عن طاعة الكافرين الذين يجحدون نعم الله و
ويتخذون معه الها سواه ومثل ذلك نهاهم عن طاعة المنافقين ومتابعتهم لما يريق
وسبب نزول الاية ان ابا سفيان وجماعة من الكفار قدموا على النبي صلى الله عليه واله وسلم
ودعوه الى اشياء عرضوها عليه فاراد المسلمون قتلهم فانزل الله تعالى يا ايها النبي اتق
الله في نقض العهد وقتل هولاء الكفار ولا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه ولا
المنافقين في قتلهم ونقض عهدهم والمنافق هو الذي يظهر الايمان ويبطن الكفر
والكافر هو الذي يظهر الكفر ويبطنه ثم قال ان الله كان عليما حكيما فيما
يوجبه عليك من امرهم بالطاعة وترك متابعتهم فيما يريدونه ولما نهاهم عن متابعة
الكفار والمنافقين امرهم بان يتبع الذي يوحى اليه من امره ونهيه وفي ذلك موجب هذه
الاية لا يجوز لاحد ان يطيع الكفار والمنافقين وان دعوهم الى الحق ولكن يفعل الحق
لانه حق لا لاجل دعائهم اليه ان الله كان بما تعملون خبيرا فهذا يدل ان المراد لا يخفى
عليه شي من اعمالكم فيجازيكم بحسبها ان كان سوءا عاقبكم وان كان طاعة اثابكم
عليها ومن قرا بالياء اراد الاخبار عن الكفار والخطاب متوجه الى النبي عليه السلام
ومن قرا بالتاء خاطب الجميع ثم امر النبي صلى الله عليه واله وسلم والمراد به جميع المكلفين
ان يتوكلوا على الله ويفوضوا امورهم اليه فان الله تعالى كاف فيما توكل اليه والوكيل
القائم بالتدبير لغيره بدعا من له ذلك اليه فالحكمة تدعوا الى ان الله تعالى القائم

بتدبير

بتدبير عباده فهو وكيل عليهم من اوكد الوجوه ثم قال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه وقال ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله وقال ٧
مجاهد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس انه كان رجل من قريش يدعى ذا القلبين من دهائه
وهو ابو معمر جميل بن اسد فنزلت الاية فيه وقال الحسن كان رجل يقول لي نفس
تامرني ونفس تنهاني فانزل الله فيه هذه الاية وقال الزهري هو مثل في ان هذا
ممتنع كامتناع ان يكون ابن غيرك ابنك وروي عن جعفر بن محمد ع انه قال ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه يحب بهذا قوما ويحب بهذا اعداءهم ولا يمكن ان يكون للانسان واحد
قلبان في جوفه لانه كان يمكن ان يوصل انسانان فيجعلهما انسانا واحدا وقد يمكن ان يوصلا
بما يخرجهما عن ان يكونا انسانين فليس ذلك الا من جهة القلب الواحد او القلبين لانه اذا جعل لهما
قلبان يريد احدهما بقلبه ما لا يريد الاخر ويتمنى ما لا يتمنى الاخر ويعلم ما لا يعلم الاخر
فهما حيان لا محالة وليسا حيا واحدا وقال الرماني لا يجوز ان توجد الارادة والمعرفة
في جزئين من القلب او اجزاء وانما يصح وجودهما في جزء واحد قال لان ما يوجد في جزئين
بمنزلة ما يوجد في قلبين وقد بطل ان يكون لانسان واحد قلبان وهذا الذي ذكره
ليس بصحيح لانه لا يمتنع ان يوجد معنيان مختلفان في جزئين من القلب لانهما ان وجدا
في جزئين فالحال الصادرة عنهما يرجعان الى الجملة وهي جملة واحدة ولها يوجبان الصفة
التي تنافي فعلى هذا لا يجوز ان يوجد في جزئين من القلب معنيان ضدان لاستحالة
اجتماع معنييهما في الحي الواحد ويجوز ان يوجد معنيان مختلفان او مثلان في جزئين من القلب
ويوجبان الصفتين للحي الواحد وعلى هذا القياس ليس يمتنع ان يوجد قلبان في جوف
واحد اذا كان ما يوجد فيهما الى حيين وذلك محال وقوله وما جعل ازواجكم
اذا قلتم لهن انتن علي كظهر امي يصرن امهاتكم على الحقيقة لان امهاتكم على الحقيقة هن
اللاتي ولدنكم او ارضعنكم وقال قتادة اذا قال لزوجته انت علي كظهر امي فهو مظاهر وعليه

يوجد فيهما ما يرجع الى حي واحد وانما المتنافيان يرجع صح

بوجب عليه الكفارة وعندنا ان الظهار لا يقع الا ان يكون المراة طاهرا ولم تمسها فيه بجماع ويحضر
شاهدان رجلان مسلمان ثم يقول لها انت علي كظهر امي ويقصد التحريم فاذا قال ذلك
حرم عليه وطؤها حتى يكفر وان اخل بشيء من شرائطه فلا يقع ظهار اصلا وقوله وما جعل
ادعياءكم ابناءكم قال قتادة ومجاهد وابن زيد نزلت في زيد بن حارثة فانه كان يدعى ابن
رسول الله والادعياء جمع دعي وهو الذي يتبنى به الانسان فبين الله تعالى ان ذلك ليس
بابن على الحقيقة ولذلك قال في آية اخرى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الآية وقوله
ذلكم قولكم بافواهكم يعني ان قولكم في الدعي انه ابن الرجل قول تقولونه بالسنتكم لا حقيقة
له عند الله ثم قال والله يقول الحق فيما بينه وهو يهدي السبيل يعني طريق الحق الذي
يفضي بكم الى الثواب ثم امر المكلفين بان يدعوا الادعياء لآبائهم الذين ولدوهم ويلحقوهم
اليهم او الى من ولد واحد على فراشهم فان ذلك اعدل عند الله واقسط يعني اعدل فان لم تعلموا
آباءهم ولا تعرفوهم باعيانهم فهم اخوانكم في الدين اي في الملة فادعوهم بذلك ومواليكم
اي بنو عمكم وكم ولاؤكم اذا كنتم اعتقتموهم من رق ثم قال وليس عليكم جناح اي حرج
فيما اخطأتم به فنسبتموه الى من انتم اليه وان الله لا يؤاخذكم به ولكن ما تعمدت قلوبكم
فقصد تموه من ذلك واردتموه وهو الذي يؤاخذون به وموضع ما جر لانه تقديره ولكن
فيما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما يغفر لكم ما لم تتعمدوا من ذلك ويستر عليكم
ويرحمكم بترك مؤاخذتكم به **قوله تبارك وتعالى** النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من
المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب
مسطورا واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى
بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين
عذابا اليما يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم

ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل
منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا
حتى آيات بلا خلاف قرا ابن كثير والكسائي وحفص عن عاصم الظنونا بالف
في الوقف دون الوصل وقرا نافع وابو جعفر وابو بكر عن عاصم وابن عامر بالالف فيهما
وقرا ابو عمرو ويعقوب وحمزة بغير الف فيهما وفي المصحف بالف من اثبت الالف اتبعه
لاجل الفواصل التي تطلب فيها تشاكل المقاطع ولان الالف ثابتة في المصاحف فتبعوا المصحف
ومن حذف قال لان هذا الالف يكون بدلا من التنوين في حال الوقف فاذا دخلت الالف
واللام اسقطت التنوين فسقط ايضا ما هو بدل عنها ولان مثل ذلك انما يجيء في القوافي
وذلك لا يليق بالقرآن قال الشاعر اقلي اللوم عاذل والعتابا اخبر
الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وآله اولى بالمؤمنين منهم بانفسهم يعني احق بتدبيرهم وبان يختاروا
ما دعاهم اليه واحق بان يحكم فيهم بالا يحكم به في نفسه لوجوب طاعته التي هي مقرونة بطاعة
٤٠ الله وهو اولى في ذلك واحق من نفس الانسان لانها ربما دعته الى اتباع الهوى ولان النبي
عليه السلام لا يدعوا الا الى طاعة الله وطاعة الله اولى ان يختار على طاعة غيره وواحد الانفس
نفس وهي خاصة الحيوان الحساسة التي هي انفس ما فيه ويحتمل ان يكون اشتقاقه من التنفس
ويحتمل ان يكون ماخوذا من النفاسة لانها اجل ما فيه واكرمه ثم قال وازواجه امهاتهم
والمعنى انهن كالامهات في وجوب الحرمة وتحريم العقد عليهن ثم قال واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين فاولوا الارحام هم اولوا الانساب
لما ذكر الله ان ازواجه امهاتهم في الحكم من جهة عظم الحرمة قال واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض اي القرابات الله في كتابه مما يجوز لازواج النبي عليه السلام ان يدعين امهات
المؤمنين وقال قتادة كان الناس يتوارثون بالهجرة فلا يرث الاعرابي المسلم من المهاجر حتى
نزلت الآية وقيل انهم كانوا يتوارثون بالمواخاة الاولى ثم نسخ ذلك فبين الله تعالى انه اولى

الارحام بعضهم اولى ببعض اي من كان قرابة اقرب فهو احق بالميراث من الابعد وظاهره انه
يمنع ان يرث مع البنت والام احد من الاخوة والاخوات لان البنت والام اقرب من الاخوة والاخوات
وكذلك يمنع ان يرث مع الاخت احد من العمومة واولادهم لانها اقرب والخبر المروي
في هذا الباب ان ما ابقت الفرائض فلاولى عصبة ذكر خبر واحد مطعون على سنده لا يترك
لاجله ظاهر القرآن الذي بين فيه ان اولى الارحام الاقرب منهم اولى من الابعد في كتاب
الله من المؤمنين والمهاجرين وقوله الا ان تفعلوا الى اوليائكم المؤمنين
وحلفائكم ما يعرف حسنه وصوابه فهو حسن ولا يكون على وجه نهى الله عنه ولا اذن فيه
وقال مجاهد معروفا الوصية لهم يعني والعقل عنهم والنصرة لهم ولا يجوز ان يكون
القرابة مشركين على ما قال بعضهم لقوله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقد
اجاز كثير من الفقهاء الوصية للقرابات الكفار وعندنا ان ذلك جائز للوالدين
والولد وقوله كان ذلك في الكتاب مسطورا يعني ما ذكره الله كان مكتوبا في الكتاب
المحفوظ اثبته الله واطلع عليه ملائكته للطهر فذلك من اللطف فلا يجوز خلاف
ذلك وقيل مسطورا في القرآن ومن يحتمل امرين احدهما ان يكون حذف الاول اي بعضكم
اولى ببعض من المؤمنين الثاني ان يكون التقدير واولوا الارحام من المؤمنين والمهاجرين
اولى بالميراث وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم قال ابن عباس الميثاق العهد
والميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا وقوله ومنك ومن نوح وابرهيم
وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا يعني ما عهد الله تعالى الى الانبياء
المذكورين وامرهم به من اخلاص العبادة له وخلع الانداد من دونه والعمل بما اوجبه عليهم
وندبهم اليه ونهاهم عن معاصيه والتحلي بواجباته وقال البلخي معناه ما امرهم به
الله من اداء الرسالة والقيام بها وقوله ليسأل الصادقين عن صدقهم قال مجاهد معناه
ليسأل ذلك لسأل الانبياء المرسلين ما الذي اجاب به اممهم ويجوز ان يحمل على عمومه في كل

معروفا استثناء منقطع ومعناه لكن ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا من صح

صادق

صادق ويكون فيه تهديد للكاذب فان الصادق اذا سئل عن صدقه على اي وجه قال فيجازى
عليه فكيف يكون صورة الكاذب ثم قال واعد للكافرين عذابا اليما اي مؤلما موجعا
وهو عذاب النار نعوذ بالله منها ثم خاطب المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم في حال ما جاءتكم جنود يعني يوم الاحزاب وهو يوم الخندق حين اجتمعت
العرب على قتال النبي عليه السلام قريش وغطفان وبنو قريظة وبنو النضير واعان ذلك فارسل
الله تعالى عليهم نصرة لنبيه ونعمة على المؤمنين ريحا استقبلتهم ودرت في اعينهم الحصباء
واكفأت قدورهم واطفأت نيرانهم وقلعت بيوتهم واطنابهم وارسل عليهم جنودا من الملائكة
نصرة للمؤمنين روى ذلك يزيد بن رومان لم تروها اي لم تروا الملائكة انتم باعينكم
لانها اجسام شفافة لا يصح ادراكها انتم باعينكم بها وكان الله بما يعملون بصيرا من
قرأ بالياء اراد ان الله عالم بما يعمله الكفار ومن قرأ بالتاء وجه الخطاب الى المؤمنين
ثم قال واذ جاؤكم يعني جنود المشركين من فوقكم وهم عيينة بن حصن بن بدر
في اهل نجد ومن اسفل منكم وهم ابو سفيان وقريش وواجهتهم قريظة وهو قول
مجاهد واذ زاغت الابصار اي اذكر حين عدلت الابصار عن مقرها وقال قتادة معناه
شخصت من الخوف وبلغت القلوب الحناجر اي نبت عن اماكنها من الخوف وقيل قال
المسلمون يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر فهل من شيء نقوله قال نعم قولوا اللهم
استر عوراتنا وآمن روعاتنا فضرب الله وجوه اعدائه بريح الصبا فهزمهم الله بها والحناجر
جمع حنجرة وهي الحلق قيل لان الرئة عند الخوف تنتفخ حتى تلحق بالحلق وتظنون بالله
الظنونا قال الحسن كانت الظنون مختلفة فظن المنافقون انه ستبيد البرد تمنع
المشركين من الحرب وكانت الملائكة يقعد بعضهم عند بعض ومن اثبت الالف في قوله
الظنونا تبع المصحف ولحسن تشبيهها بالقوافي كما قال الشاعر اقلي اللوم عاذل والعتابا
ومن حذفها قال لان هذه الالف تكون بدلا من التنوين فاذا حذفت التنوين لحارب

تدرك

يستاصل وظن المؤمنون سينصر وقيل كانت الريح

الالف واللام سقط ما هو بدل عنه قوله تبارك وتعالى هنالك ابتلي المؤمنون
وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا
الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا
ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون
الا فرارا ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها
الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا
حتى ابات بلا خلاف وقرا حفص عن عاصم مقام بضم الميم اي لا اقامة لكم الباقون
بفتح الميم بمعنى لا موضع لكم تقومون فيه وقرا ابن كثير ونافع وابو جعفر وابن عامر لاتوها
قصرا بمعنى لجاءوها الباقون بالمد بمعنى لاعطوها وهو اليق بقوله ثم سئلوا الفتنة
لان العطاء يطابق سؤال السائل لما وصف الله تعالى شدة الامر يوم الخندق وخوف
الناس وان القلوب بلغت الحناجر من الرعب قال هنالك ابتلي المؤمنون اي اختبروا
ليظهر بذلك حسن ايمانهم وصبرهم على ما امرهم الله به من جهاد اعدائه هنا للقريب
من المكان وهنالك للبعيد وهناك للمتوسط بين القريب والبعيد وسبيله سبيل ذا
وذاك وذلك والابتلاء اظهار ما في النفس من خير او شر ومثله الاختبار والامتحان
والبلاء النعمة لانه اظهار الخير على صاحبه والبلاء النقمة لاظهار الشر عليه وقوله
وزلزلوا زلزالا شديدا معناه وحركوا بغلظ الامتحان تحريكا عظيما والزلزال
الاضطراب العظيم ومنه قوله اذا زلزلت الارض والزلزلة اضطراب الارض وقيل
انه مضاعف زل وزلزله غيره والشدة قوة تدرك بالحاسة لان القوة التي هي القدرة
لا تدرك بالحاسة وانما يعلم بالدلالة فلذلك يوصف تعالى بانه قوي ولا يوصف
بانه شديد ثم قال واذكر يا محمد اذ يقول المنافقون الذين باطنهم كفر وظاهرهم
الايمان والذين في قلوبهم مرض اي شك من الايمان بالله ورسوله ما وعدنا الله اي لم

غرورا

10

اي ما وعدنا الله ورسوله من الظفر والظهور على الدين الا غرورا وقيل ان النبي
صلى الله عليه واله بشرهم بانه يفتح عليهم مداين كسرى وبلاد قيصر وغير ذلك من الفتوح
فقالوا يعدنا هذا والواحد منا لا يقدر ان يخرج ليقضي حاجته ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا اي باطلا والغرور ايهام المحبوب بالمكروه يقال غره يغره غرورا فهو غار والغرور
الشيطان قال الحارث بن حلزة لم يغروكم غرورا ولكن يرفع جمعهم والضحاء
وقال يزيد بن رومان الذي قال هذا القول معتب بن قشير وقال الثعلبي يعني معتبا
يقول ان الله وعدنا عن وعدا لكنهم لما كذبوا رسوله وشكوا في خبره فكانهم كذبوا الله واذا
نسبوا الرسول الى انه غرهم فقد نسبوا الله الى ذلك في المعنى وان لم يصرحوا به ثم قال واذكر يا محمد
اذ قالت طائفة منهم يعني من المنافقين يا اهل يثرب اي يا اهل المدينة قيل ان يثرب اسم ارض
المدينة وقال ابو عبيدة ان مدينة رسول الله في ناحية من يثرب وقيل يثرب
هي المدينة نفسها لا مقام لكم اي ليس لكم مكان تقومون فيه للقتال ومن ضم اراد لا اقامة لكم
ذكره الاخفش وقال يزيد بن رومان القائل لذلك اوس بن قيظي ومن وافقه على رايه
فارجعوا اي امرهم بالرجوع الى منازلهم وحكي ان جماعة منهم جاؤوا الى النبي صلى الله عليه
فاستاذنوه للرجوع وقالوا ان بيوتنا عورة اي مكشوفة يخشى عليها السراق ذكره ابن
عباس ومجاهد فكذبهم الله تعالى في قولهم فقال وما هي بعورة وليس يريدون بقولهم
الا الفرار والهرب من القتال ثم قال ولو دخلت عليهم من اقطارها اي من نواحيها
يعني المدينة او البيوت جمع قطر وهو الناحية ثم سئلوا الفتنة يعني الكفر والضلال
وقيل انهم لو دعوا الى القتال على وجه الحمية والعصبية لجاؤوا اليها على قراءة من قصر
ومن مد اراد لاعطوا ما سئلوا اعطاءه من ذلك وقوله وما تلبثوا بها الا يسيرا اي ما
اقاموا وتلبثوا بالمدينة الا قليلا حتى يهلكوا وقال قتادة معناه وما احتبسوا عن الاجابة
الى الكفر الا قليلا ثم قال تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل يعني بايعوا النبي

عليه السلام وحلفوا له انهم ينصرونه ويدفعون عنه كما يدفعون عن نفوسهم وانهم لا يولون
الادبار اي لا يفرون من الزحف وكان عهد الله مسؤلا يعني العهد الذي عاهدوا الله
عليه وحلفوا به يسأل عن الوفاء بها يوم القيامة قوله تبارك وتعالى
قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل
من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا
ياتون البأس الا قليلا اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور
اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على
الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب
لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسالون عن انبائكم ولو
كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا حتى ايات بلا خلاف لما اخبر الله تعالى عن المنافقين
الذين استاذنوا النبي في الرجوع واعتلوا بان بيوتهم يخاف عليها وكذبهم الله في ذلك
وبين انهم يريدون الهرب قال لنبيه عليه السلم قل لهم لا ينفعكم الفرار يعني الهرب ان هربتم
وبقيتم بعده فلا تبقون ولا تمتعون الا قليلا من الزمان ثم لا بد من الموت فالفرار لا ينجي
عن الذي حضر اجله ومثله الهرب قد يفر فلانا واقفا اذا باعد بين شقيه كتباعد الفار وانما
فرق الله بين الموت والقتل والقتل غير الموت فالقتل نقض بنية الحيوانية والموت ضد الحياة عند لان القتل
من اثبته معنى والقتل يقدر عليه غير الله والموت لا يقدر عليه غيره وانما رفع تمتعون لان اذا وقع
اذا جاء بعد الواو والفعل صارت بمنزلة ما لم يقع بعد الفعل كقولك انا آتيك اذا لانه يجوز
فيه الالغاء بانه يصح الحسن ذلك بها كالاستدلال بالظن وقد اعملت بعد ان في قول الشاعر
لا تتركني فيهم شطيرا اني اذا اهلك او اطيرا ثم قال لنبيه قل لهم يا محمد من الذي
يمنعكم من الله ان اراد ان يفعل بكم سوءا يعني هلاكا او اراد بكم رحمة فان احدا لا يقدر

١١

على منعه مما يريد الله فعله به ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينصرهم ولا نصيرا يدفع
عنهم ثم قال تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم يعني الذين يعوقون غيرهم عن القتال
ويثبطونهم عنه فالتعويق التثبيط والشغل للقعود عن امر من الامور فكان هؤلاء
يدعون اخوانهم من المنافقين الى القعود عن الجهاد ويشغلونهم لينصرفوا عنه والقائلين
لاخوانهم اي يعلم القائلين لهم تعالوا واقبلوا ولا ياتون البأس يعني الحرب الا قليلا اي الا ان يحضروا
الحضور الى القتال ولا يحضرون الا قليلا ليوهموا انهم معكم ولا يقاتلون معكم وهو تعالى
عالم باحوال هؤلاء لا يخفى عليه شيء منها ثم قال اشحة عليكم بالغنيمة والنفقة في سبيل
الله في قول قتادة ومجاهد ونصبه على تقدير ياتونه اشحة وان شئت على الذم وقال
ابن اسحق اشحة عليكم بالضعف الذي في انفسهم هو نصب على الحال في قول الزجاج وفي
قول غيره على المصدر وتقديره يشحون عليكم شحة فاذا جاء الخوف يعني
الفزع تدور اعينهم يعني كالذي يغشى عليه من الموت يعني من شدة ما يخافون يلحقهم
مثل ما يلحق من شارف الموت واحوال من يغشى عليه فاذا ذهب الخوف والفزع سلقوكم
بالسنة حداد اي خصموكم طلبا للغنيمة اشد مخاصمة وقال الحسن سلقوكم
جاوزوكم يقال خطيب مصقع ومسلق اي بليغ في الخطابة فصيح فيها اشحة على الخير
يعني الغنيمة ثم قال اولئك يعني من تقدم وصفه احبط الله اعمالهم يعني يقع اعمالهم على وجه
لا يستحق عليها الثواب لانهم لا يقصدون بها وجه الله ثم قال وكان ذلك يعني احباط
اعمالهم وقيل وكان نفاقهم على الله يسيرا قليلا ثم وصف هؤلاء المنافقين الذين
تقدم ذكرهم بالجبن فقال يحسبون الاحزاب الذين انهزموا وتحولوا عنهم
فزعهم انهم لم يذهبوا بعد وقيل لفرط جهلهم يعتقدون انهم لم يذهبوا بعد وان
يات الاحزاب اي وان جاؤوا الاحزاب تمنوا ان يكونوا في البوادي مع الاعراب يسالون
عن اخباركم ولا يكونون معكم فيتربصون بكم الدوائر ويتوقعون الهلاك ثم قال

لبنيه ولو كانوا يعني هؤلاء المنافقين معكم وفيكم لم يقاتلوا معكم الا قليلا اى فلذلك يبغوا
يودوا انهم في حلكم لا ينصرونكم ويجاهدوا معكم وقرا عاصم الجحدري يسآلون عن انبائكم
بيت بدا السين معنى يتسالون يسال بعضهم بعضا وهو شاذ لا يقاربه احد وقرا طلحة بن مصرف
بدوا وقراتهم بدى في الاعراب جمع باد مثل غاز وغزى وهى ايضا شاذة لا يقرا بها احد معنى اهل
واهل الحجاز يقولون للواحد والاثنين والجمع والانثى هلم بلفظ واحد وانما هى لم ضمت
اليها ها التي للتنبيه ثم حذفت الالف من ها اذا صارا شيا واحدا كقولهم ويل امه واصله
ويل لامه فلما جعلوها شيا واحدا حذفوا وغيروا واما بنو تميم فيصرفونه تصريف
الفعل فيقولون هلم يا رجل وهلما يا رجلان وهلموا يا رجال وهلمي يا امراة وهلممن يا نسوان
وهلممن يا نساء الا انهم يفتحون اخر الواحد المذكر فيقولون هلم يا رجل وهلم انا معه
قوله تبارك وتعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا
الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا
ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله
كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله
المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ۝ خمس آيات بلا خلاف ۝ قرا عاصم اسوة
بضم الهمزة الباقون بكسرها وهما لغتان والكسر اكثر ومثله كسوة وكسوة ورشوة ورشوة
هذا خطاب من الله تعالى للمكلفين يقول لهم ان لكم معاشر المكلفين في رسول الله
اسوة حسنة اى اقتداء حسن في جميع ما يقوله ويفعله متى فعلتم مثله كان ذلك حسنا والمراد
بذلك الحث على الجهاد والصبر عليه في حروبه والتسلية لهم فيما نالهم من المصائب فان
النبي صلعم شج راسه وكسرت رباعيته في يوم احد وقتل عمه حمزة فالتاسي به في الصبر على جميع

ذلك

12

ذلك من الاسوة الحسنة وذلك يدل على ان الاقتدا بجميع افعال النبي صلى الله عليه حسن جايز
الا ما قام الدليل على خلافه ولا يدل على وجوب الاقتداء به في افعاله وانما يعلم ذلك بدليل
آخر فالاسوة حال لصاحبها يقتدي بها غيره فيما يقول به فالاسوة تكون في الانسان وهى
اسوة لغيره فمن تاسى بالحسن ففعله حسن لمن كان يرجوا الله فالرجا توقع الخير فرجا
الله توقع الخير من قبله ومثل الرجا الطمع والامل وهو طمع الانسان في الخير من قبل الله
فكانه واجيا له وقوله وذكر الله كثيرا معناه يذكره تعالى بجميع صفاته ويدعوه بما ينبغي
من الثواب من جهته ثم عاد تعالى الى ذكر المؤمنين وانهم حين عاينوا الاحزاب التي
احتفت على قتال النبي صلعم وتضافروا عليه وهم ابو سفيان ومعه من المشركين قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله والجهاد في سبيله وصدق الله ورسوله فيما اخبرا لان النبي صلعم
كان اخبرهم انه سيظاهر عليكم الاحزاب ويقاتلونكم فلما راوهم تبين لهم صدق قوله وكان
ذلك معجزا له وما زادهم مشاهدة عدوهم الا ايمانا اى تصديقا بالله ورسوله وتسليما لامره
ثم بين ان من المؤمنين رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه من جهاد عدوه والا يولوا الادبار
وقيل نزلت في قوم نذروا ان لقوا حربا مع النبي ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وقوله
فمنهم من قضى نحبه اى منهم من صبر حتى قتل في سبيل الله وخرج الى ثواب ربه ومنهم من ينتظر
ذلك وما بدلوا تبديلا اى لم يبدلوا الايمان بالنفاق ولا العهد بالحنث وروى ان الاية
نزلت في حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن ابي طالب وعلي ابن ابي طالب فالذي قضى نحبه
حمزة وجعفر والذي ينتظر علي عليه السلم ثم بين تعالى انه يجزي الصادقين على صدقهم
في تنزيله وعهدهم بالثواب الدايم والنعيم المقيم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب
عليهم ان تابوا ان الله كان غفورا رحيما وقوله ويعذب المنافقين ان شاء استدل
على انه ما يجب غفرانه من الكبائر عند التوبة تعليقه بالمشية لانه لا يعلق بها الا ما جاز
ذلك لانه لا يجب اسقاط العقاب بالتوبة عقلا وانما علمنا ذلك بالسمع وان الله متفضل

بذلك وقوله او يتوب عليهم معناه ان شاء قبل توبتهم واسقط عقابهم اذا تابوا وان شاء لم يقبل
وذلك اخبار عن مقتضى العقل، واما مع ورود السمع وقوله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن السيئات فيقطع على انه تعالى يعفو مع حصول التوبة وقوله ان الله كان غفوراً
رحيماً فيكون ذلك لانه انما يكون فيه مدح اذا اعفى بالمواخذ به وترحم من يستحق العقاب
فاما من يجب غفرانه ويجب رحمته فلا تمدح في ذلك وقال قوم معناه ويعذب المنافقين
ان شاء بعذاب عاجل في الدنيا او يتوبوا قالوا وانما علق بالشرط وقوله ان شاء او يتوب عليهم
لانه علم ان من المنافقين من يتوب فقيد الكلام ليصح المعنى ذكره الجبائي وقيل ان الذي
وعد المؤمنين بهم واستعلوا عليهم في عونه له ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون بنوع من
الجهاد وقيل الذي وعدهم الله به في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه
متى نصر الله الا ان نصر الله قريب ذكره قتادة والنحب النذر اي مضى نذره الذي كان
نذره فيما عاهد الله عليه وقال مجاهد قضى نحبه اي عهده وقيل ان المؤمنين كانوا
نذروا اذا لقوا حرباً مع رسول الله ان يثبتوا ولا ينهزموا وقال الحسن قضى نحبه اي مات
على ما عاهد والنحب الموت كقول ذي الرمة ، قضى نحبه في ملتقى الخيل هوبر
اي منيته وهو اسم رجل والنحب الخطر العظيم قال جرير ، بطخفة جالدنا الملوك
وخيلنا عشية بسطام جرين على نحب ، اي على خطر والنحب الذي في السير يوماً وليلة قال
الفرزدق ، واذ نحبت كلب على الناس ايهم احق بتاج الماجد المتكرم ، ثم اخبر تعالى
انه رد المشركين من الاحزاب عن قتال النبي عليه السلم بغيظهم الذي جاءوا به وحنقهم لم
ينالوا خيراً املوه من الظفر بالنبي عليه السلم وبالمؤمنين وكفى الله المؤمنين القتال عنه
نحوهم وقيل كفى الله المؤمنين القتال بعلي وهي قراءة ابن مسعود وكان ذلك هو في معصمه
في قتله عمرو بن عبد ود وكان ذلك سبب هزيمة القوم وكان الله قوياً عزيزاً اي قادراً

لا يغالب

١٣

لا يغالب عزيزاً لا يقهر لانه قوي في سعة مقدوره عزيز في انتقامه قوله تبارك وتعالى
وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب
فريقاً تقتلون وتاسرون فريقاً واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضاً لم
تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن
الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً وان كنتن تردن
الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجراً عظيماً يا نساء النبي
من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على
الله يسيراً ، خمس آيات بلا خلاف ، قرا ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون
وتشديد العين العذاب نصباً اسند الفعل الى الله وقرا ابو عمرو يضعف بالياء وتشديد
العين بلا الف على ما لم يسم فاعله الباقون يضاعف بالياء والالف الذي عليه اكثر المفسرين
ان المعني بقوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب هم بنو قريظة من اليهود وكانوا
نقضوا العهد الذي بينهم وبين النبي عليه السلم وعاونوا ابا سفيان فلما هزم الاحزاب
امر النبي منادياً بان ينادي لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة لان جبريل نزل
عليه وقال ان الملائكة لم يضعوا اسلحتها بعد فمنهم من لحق ذلك بعد العتمة وصلى العصر
في ذلك الوقت ومنهم من صلاها قبل وكل صوبه رسول الله ثم حكم سعد بن معاذ فيهم
لانهم رضوا بحكمه فحكم سعد بن معاذ فيهم ان تقتل الرجال وتسبى الذراري والنساء
وتقسم الاموال وتكون الارض للمهاجرين دون الانصار فقيل له في ذلك فقال لكم دار
وليس للمهاجرين دار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم فيهم بحكم الله تعالى
وفي بعض الاخبار لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة وهو جمع رقيع اسم من
اسماء سماء الدنيا وقال الحسن الاية نزلت في بني النضير والاول اصح والبق سياق الآيات
لان بني النضير لم يكن لهم في قتال اهل الاحزاب شيء وكانوا قد اجلوا قبل ذلك والظاهر

المعاونة وهي زيادة القوة بأن يكون المعاون ظهرا لصاحبه في الدفع عنه والظهير المعين
وفي قراءة ابن مسعود آزروهم ومعناه عاونوهم والصياصي الحصون التي يمتنع بها واحدها
صيصيه ويقال جذ الله صيصيه فلان أي حصنه الذي يمتنع به والصيصية قرن البقر وهي
شوكة الديك أيضا وهي شوكة الحائك أيضا قال الشاعر ﴿ كوقع الصياصي في النسيج
الممدد ﴾ وقوله وقذف في قلوبهم الرعب أي ألقى في قلوب اليهود والمشركين خوفا من النبي
عليه السلم فريقا تقتلون منهم يعني الرجال وتأسرون فريقا يعني الذراري والنساء ثم
قال وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم يعني ديار قريظة وأرضهم وأموالهم جعلها الله
للمسلمين ونقلها إليهم وأرضا لم تطؤوها معناه وأورثكم أرضا لم تطؤوها قال
الحسن هي أرض فارس والروم وقال قتادة هي مكة وقال يزيد بن رومان
وابن زيد هي خيبر وكان الله على كل شيء قديرا أي قادر على أن يورثكم أرضهم وديارهم و
أموالهم ويعطيكم غير ذلك إلى هاهنا انتهى قصة الأحزاب ٥ ثم انتقل إلى خطاب
النبي عليه السلام فقال له يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا و
زينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا قال الحسن لم يكن ذلك تخيير طلاق
إنما خيرهن بين الدنيا والآخرة وكان لنزول الآية سبب معروف من بعض أزواج النبي
صلعم فخيرهن الله تعالى وخيرهن بين المقام مع النبي صلى الله عليه واختيار ما عند الله
من الثواب ونعيم الأبد وبين مفارقته بالطلاق وتعجيل المتاع بأخذه وهذا بين ذلك
بقوله وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن
أجرا عظيما وقيد ذلك بالمحسنات لعلمه أن فيهن من ربما ارتكبت ما تستحق به الخروج عن
ولاية الله بعقوبة لا على ما وعد الله تعالى به من النعيم فخيرهن الله بالتخيير المذكور
في الآية ٥ وذكر أن سبب نزول هذه الآية أن كل واحدة من نسائه طلبت شيئا فسألت أم
سلمة معلما أو سألت ميمونة حلة وسألت زينب بنت جحش بردا يمانيا وسألت أم

حبيبة ثوبا سحوليا وسألت حفصة ثوبا من ثياب مصر وسألت جويرية معجرا وسألت سودة
قطيفة خيبرية فلم يقدر على ذلك لأن الله تعالى كان خيره بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختار
الآخرة فقال اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في جملة المساكين فخيرهن
أمره بتخيير النساء فاخترن الله ورسوله فعوضهن الله عن ذلك أن جعلهن أمهات
المؤمنين وقيل وأمر الله ألا يطلقهن ولا يتزوج عليهن بقوله لا يحل لك النساء من بعد
ذكره ابن زيد ثم خاطب نساء النبي صلى الله عليه وآله فقال يا نساء النبي من يأت
منكن بفاحشة مبينة يضعف لها من شدد أراد التكثير ومن أثبت الألف أراد من
المضاعفة ومن قرأ بالنون أضاف الفعل إلى الله لأن الفاعل لذلك هو الله تعالى
وإنما جاز تضعيف عقابهن بالمعصية لعظم قدرهن وأن معصيتهن تقع على وجه
يستحق بها أضعاف ما يستحق غيرهن كما أن طاعاتهن تستحق بها أضعاف ما يستحق به غيرهن
من حيث كن قدوة في الأعمال وأسوة في ذلك ثم أخبر تعالى أن تضعيف ذلك عليه يسير
سهل والتضعيف مثل الشيء الذي يضم إليه إذا ضاعفته ازددت مثله ومنه الضعف
وهو نقصان القوة بأن يذهب أحد ضعفيها وهو ذهاب ضعف القوة قال أبو عبيدة
يضاعف لها العذاب ضعفين أي يجعل لها العذاب ثلثة أعذبة لأن ضعف الشيء مثله وضعفي
الشيء مثلاه ويجاز يضاعف أن يجعل إلى الشيء شيئين وذكر بعضهم أنه غلط على أبي عمرو في
تشديد يضعف لأن ذلك يعلمه على حكاية الفرق بين يضاعف وبين يضعف بالتشديد
ولا بين بينهما فرق لأن المضاعفة والتضعيف شيء واحد وقرأ أبو عمرو يضعف بتسكين
الضاد وتخفيف العين وفتحها والفرق بين هذه وبين يضاعف لأنك تقول لمن أعطاك
درهما فأعطيته مكانه درهمين أضعفت له العطية فإن أعطيته مكانه درهم خمسة أو ستة
قلت ضاعفت له العطية وضعفت بالتشديد أيضا فلما رأى أبو عمرو أن من أحسن من
أزواج النبي أعطاهن علم أن من أذنب منهن عوقبت عقوبتين فقد أضعف له العذاب

ضعفين وكان الحسن لخيري المخير سيا وقال انما خيرهن بين الدنيا والاخرة لا في الطلاق
وكن المتعـــدنا ان الخيار ليس بني عنمان اصحابنا قالوا انما كان ذلك للنبي خاصة
ولما خيرهن لواخترن انفسهن لبن فاما غيره فلا يجوز له ذلك وقال قتادة خيرهن
الله تعالى بين الدنيا والاخرة في شي كن ادحض من الدنيا وقال عكرمة في غيره كانت تحتها
عايشة رضي الله عنها وكانت تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عايشة وحفصة وام
حبيبه بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعه وام سلمة بنت ابي اميه وكانت تحته صفية
بنت حيي الخيبريه وميمونة بنت الحارث الهلاليه وزينب بنت جحش الاسديه وجويرية
بنت الحارث من بني المصطلق فلما اخترن الله ورسوله والدار الاخرة فرح بذلك رسول
الله صلعم قولـــه تبارك وتعالى وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا
نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ
إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا
وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ
الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَ
الْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا حتى آيات بلا خلاف قرا حمزة والكسائي ومن يقنت منكن لله ورسوله
ويعمل صالحا بالياء فيهما حملا على اللفظ لان لفظ من مذكر الباقون ومن يقنت بالياء حملا على
اللفظ وتعمل حملا على المعنى لان المعنى من النساء فكنى بلفظ التانيث ولهذا قد ظهر علامة

التانيث في قوله منكن فكان الرد عليه اقرب من رده على اللفظ وروى في الشواذ ومن
تقنت بالتاء حملا على المعنى وذلك جائز في العربية غير انه ليس معمول لا يقرا به وقرا
عاصم ونافع وقرن بفتح القاف بمعنى اقررن في بيوتكن من قررت بالمكان اقر اقرارا
الا انه نقل حركة العين الى القاف فانفتحت وسقطت الراء الاولى لالتقاء الساكنين
كقولهم في ظللت ظلت وفي احسست احست وقالوا في حططن من الجبل حطن وقال
الزجاج فيه لغتان قررت في المكان اقر وقررت في المكان اقر الباقون بكسر القاف بمعنى كن
اهل وقار اي هدوء وسكينة من وقر فلان في منزله يقر وقورا اذا هدأ فيه واطمأن
ويجوز ان يكون المراد الاستقرار على اللغة التي حكاها الزجاج والكسائي لما هدد الله
تعالى نساء النبي صلعم بان من تاتي منهن بفاحشة ظاهرة من ارتكاب محظور وعاصي الله
تعالى عنه انه يضاعف لها العذاب ضعفين لوقوع افعالهن على وجه يستحق به ذلك من
حيث كن اسوة يتاسى بهن غيرهن ورغبهن في هذه الاية بان قال ومن يقنت منكن اي
من داوم منكن على الطاعة لله ورسوله ويعمل مع ذلك الاعمال الصالحات يوتها الله
اي يعطيها اجرها مرتين كما لو عصت عاقبها ضعفين والقنوت المداومة على العمل في داوم
على العمل لله فهو مطيع ومنه القنوت في صلاة الوتر وهو المداومة على الدعاء المعروف
والعمل الصالح هو المستقيم الذي يحسن ان يحمد عليه ويستحق به الثواب والاجر الجزاء على العمل
وهو الثواب اجره ياجره اجرا والاجر مرتين ليس يجب بالوعد بل انما هو مستحق لان افعالهن
تقع على وجه يستحق مثلي ما لو يستحق الغير لانه في مقابلة العذاب ضعفين ولا يجوز ان
يضاعف ضعفين المستحق فكذلك الثواب المقابل له وقولـــه واعتدنا لها رزقا
كريما معنى اعتدنا اعددنا وابدل من احدى الدالين تاء والرزق الكريم هو الثواب الذي
لا يجوز الابتداء بمثله ثم قالـــه يا نساء النبي لستن كاحد من النساء انما قالـــه كاحد
ولم يقل كواحدة لان احد نفي عام للمذكر والمونث والواحد والجماعة اي لا يشبهكن احد

النسآء في جلالة القدر وعظم المنزلة ولمكانهن من رسول الله بشرط ان يتقين عقاب الله
واجتناب معاصيه وامتثال اوامره وانما شرط ذلك بالاتقاء لئلا يعولن على ذلك فيرتكبن
المعاصي ولولا الشرط كان يكون اغراءهن بالمعاصي وذلك لا يجوز على الله تعالى ثم قال
لهن فلا تخضعن بالقول اي لا تلين كلامكن للرجال بل يكون جزلاً قوياً لئلا يطمع من في
قلبه مرض قال قتادة معناه من في قلبه نفاق وقال عكرمة من في قلبه شهوة
للزنا ثم قال لهن وقلن قولاً معروفاً مستقيماً جميلاً بريئاً من التهمة بعيداً من الريبة موافقاً
للدين والاسلام ثم امرهن بالاستقرار في بيوتهن فقال وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية على قراءة من
فتح القاف ومن كسر اراد كن وقورات عليكن سكينة ووقار ولا تبرجن قال
قتادة التبرج التبختر والتكسر وقال غيره هو اظهار المحاسن للرجال وقوله تبرج الجاهلية
الاولى وهو ما كان قبل الاسلام وقيل ما كان بين موسى وعيسى وقيل ما كان بين محمد
وعيسى وقيل ما كان تفعله الجاهلية لانهم كانوا يجوزون لامرأة واحدة رجلاً وخلاً
وللزوج النصف الاسفل وللخليل الفوقاني من التقبيل والمعانقة فنهى الله تعالى
عن ذلك ازواج النبي صلى الله عليه واشتقاق التبرج من البرج وهو السعة في العين
وطعنة برجاء اي واسعة وفي اسنانه برج اذا تفرق ما بينها واما الجاهلية الاخرى فهو
ما يعمل بعد الاسلام بعمل اولئك ثم امرهن باقامة الصلاة والدوام عليها بشروطها وايتاء
الزكاة لمن وجبت عليه وامرهن بطاعة الله وطاعة رسوله فيما يامرهن به ثم قال
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا روى ابو سعيد الخدري
وانس ابن مالك وعايشة وام سلمة وواثلة ابن الاسقع ان الاية نزلت في النبي صلعم وعلي
وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام واهل البيت نصب على النداء او على المدح وروي
عن ام سلمة انها قالت ان النبي عليه السلم كان في بيتي فاستدعى علياً وفاطمة والحسن والحسين
وجللهم بعباء خيبرية ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا

١٧ فانزل الله قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
فقالت ام سلمة قلت يا رسول الله هل انا من اهل بيتك فقال لا ولكنك الى خير واستدل
اصحابنا بهذه الاية على ان في جملة اهل البيت معصوماً لا يجوز عليه الغلط وان اجماعهم
لا يكون الا صواباً بان قالوا ليس يخلو ارادة الله لاذهاب الرجس عن اهل البيت
من ان يكون هو ما اراد منهم من فعل الطاعات واجتناب المعاصي او يكون عبارة عن
انه اذهب عنهم الرجس بان فعل لهم لطفاً اختاروا عنده الامتناع من القبائح والاول
لا يجوز ان يكون مراداً لان هذه الارادة حاصلة مع جميع المكلفين فلا اختصاص لاهل
البيت في ذلك ولا خلاف ان الله تعالى خص هذه الاية اهل البيت بامر لم يشركهم
فيه غيرهم فكيف يحمل على ما يبطل هذا التخصيص ويخرج الاية من ان يكون لهم فيها فضيلة
ومزية على غيرهم على ان لفظة انما تجري مجرى ليس وقد دللنا على ذلك فيما تقدم وحكيناه
عن جماعة من اهل اللغة كالزجاج وغيره فيكون تلخيص الكلام ليس يريد الله اذهاب
الرجس على هذا الحد الا من اهل البيت فدل ذلك على ان اذهاب الرجس قد حصل
فيهم وذلك يدل على عصمتهم واذا ثبت عصمتهم ثبت ما اردناه وقال عكرمة هي في ازواج
النبي خاصة وهذا غلط لانه لو كانت الاية فيهن خاصة لكنى عنهن بكناية المؤنث كما فعل
في جميع ما تقدم من الايات نحو قوله وقرن في بيوتكن ولا تبرجن واطعن الله واقمن
الصلاة وآتين الزكاة فذكر جميع ذلك بكناية المؤنث وكان يجب ان يقول انما يريد الله ليذهب
عنكن الرجس اهل البيت ويطهركن فلما كنى بكناية المذكر دل على ان النساء لا مدخل لهن
فيها وفي الناس من حمل الاية على النساء ومن ذكرناه من اهل البيت هرباً مما قلناه وقال
اذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر فكنى عنهم بكناية المذكر وهذا يبطل بما بيناه
من الرواية عن ام سلمة وما يقتضيه من كون من تناوله معصوماً والنساء خارجات عن ذلك
وقد استوفينا الكلام في هذه الاية في كتاب الامامة من اراده وقف عليه من هناك ثم عاد

الى ذكرالنسآء فامرهن بان يذكرن الله تعالى بصفاته و بالدعآء و التضرع اليه وان يذكرن
ما يتلى فى بيوتهن من القران المنزل و يعملن بها و بما فيه من الحكمة ان الله
كان لطيفا فى تدبير خلقه وايصال المنافع الدينية والدنيوية اليهم خبيرا اى عالما بما يكون
منهم و بما يصلحهم و ما يفسدهم فامرهم بفعل ما فيه صلاحهم واجتناب ما فيه فسادهم
ثم اخبر تعالى بان المسلمين و المسلمات وهم المستسلمون لاوامر الله و المنقادون له و المظهرون
الشهادتين و عاملوا بموجبه والمؤمنين والمؤمنات والاسلام والايمان واحد عند اكثر المفسرين
و انما كرر لاختلاف اللفظين و من الناس من قال المؤمن هو الذى فعل جميع الواجبات
و انتهى من جميع المقبحات والمسلم هو الملتزم لشرائط الاسلام المستسلم لها والقانتين و
القانتات يعنى الدائمين على الاعمال الصالحات و الصادقين فى اقوالهم والصادقات
مثل ذلك والصابرين على طاعة الله وعلى ما يبتليهم الله من المصايب و ما يامرهم به من
الجهاد فى سبيله والصابرات والخاشعين يعنى المتواضعين غير المتكبرين والخاشعات
مثل ذلك والمتصدقين يعنى الذين يخرجون الصدقات والزكوات والمتصدقات مثل
ذلك والصائمين و الصائمات والحافظين فروجهم من الزنا و ارتكاب انواع الفجور و
الحافظات فروجهن وحذف من الثانى لدلالة الكلام عليه والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
الله كثيرا وحذف لمثل ما قلناه ثم قال اعد الله لهم يعنى لمن قدم ذكرهم و وصفهم
مغفرة و اجرا عظيما يعنى ثوابا جزيلا لا يوازنه شئ وقيل ان سبب نزول الاية ان ام سلمة
قالت يا رسول الله ما للرجال يذكرون فى القران ولا نذكر النسآء فنزلت الآية فلذلك
قال المسلمين و المسلمات وان كن المسلمات داخلات فى قوله المسلمين تغليبا للذكر فذكر لفظ
يخصهن ازالة للشبهة قوله تبارك و تعالى وما كان لمؤمن و لا مؤمنة
اذا قضى الله و رسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم و من يعص الله و رسوله
فقد ضل ضلالا مبينا و اذ تقول للذى انعم الله عليه و انعمت عليه امسك عليك

زوجك و اتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى
زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا
قضوا منهن وطرا و كان امر الله مفعولا ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له
سنة الله فى الذين خلوا من قبل و كان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات
الله ويخشونه و لا يخشون احدا الا الله و كفى بالله حسيبا ما كان محمد ابا احد من
رجالكم و لكن رسول الله وخاتم النبيين و كان الله بكل شئ عليما ٥ حتى آيتين
بلا خلاف قرا اهل الكوفة ان يكون لهم الخيرة بالياء لان التانيث غير حقيقى الباقون
بالتاء لتانيث الخيرة ٥ والخيرة هو جمع خير و حكى خيرة بفتح الياء و سكونها و قرا عاصم
وخاتم بفتح التاء الباقون بكسرها وهو الاقوى لانه مشتق من ختم فهو خاتم ٥ و قال
الحسن خاتم هو الذى ختم به الانبياء وقيل هما لغتان فتح التاء وكسرها وفيه لغة ثالثة
خاتام وقرى به فى الشواذ وحكى انها ختام ٥ وروى عن ابن عباس و ذهب اليه مجاهد
و قتادة انه نزل قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية فى زينب بنت جحش لما خطبها
رسول الله لزيد بن حارثة فامتنعت لنسبها من قريش وان زيدا كان عبدا فانزل الله
الاية فرضيت به و قال ابن زيد نزلت فى ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وكانت
وهبت نفسها لرسول الله فزوجها زيد بن حارثة فبين الله تعالى فى الآية انه لم يكن لمؤمن
ولا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله امرا يعنى اذا حكما ان يكون لهم الخيرة اى ليس لهم ان يختاروا
الا ما رسول الله يبين يريد به ما امره به الى ما لم يأذن فيه و الخيرة ارادة اختيار الشئ على غيره
و فى ذلك دلالة على فساد مذهب المجبرة فى القضاء و القدر لانه لو كان الله تعالى قضى
المعاصى لم يكن لاحد الخيرة ولوجب عليه الوفاء به ومن خالف فى ذلك كان عاصيا و ذلك خلاف
الاجماع ثم قال ومن يعص الله و رسوله فيما قضيا به و امرا به فقد ضل عن الحق
وجار عنه ضلالا مبينا اى ظاهرا ثم خاطب النبى عليه السلام فقال و اذكر يا محمد حين يقول

تقول للذي انعم الله عليه يعني بالهداية الى الايمان وانعمت عليه بالعتق امسك عليك
زوجك اي احبسها ولا تطلقها لان زيدا جاء الى النبي صلعم مخاصما زوجته زينب بنت
جحش على ان يطلقها فوعظه النبي عليه السلم فقال له لا تطلقها وامسكها واتق الله
في مفارقتها وتخفي في نفسك ما الله مبديه فالذي اخفى في نفسه انه ان طلقها زيد تزوجها
وتخشى من اظهار هذا الناس وكان الله تعالى امره بتزوجها اذا طلقها فقال
الله تعالى ان تركت اظهار هذا خشية الناس فترك اضماره خشية الله احق
واولى وقال الحسن معناه وتخشى عيب الناس وروى عن عائشة انها قالت لو كتم
رسول الله شيئا من الوحي وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
وقيل ان زيدا لما جاء مخاصما زوجته فراها النبي عليه السلم فاستحسنها وتمنى ان يفارقها
زيد حتى يتزوجها وكتم قال البلخي وهذا جائز لان هذا انما استحسنه ثم قال تعالى
فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فالوطر الارب والحاجة وقضاء الشهوة ويقال
لي في هذا وطر اي حاجة وشهوة قال الشاعر ٥ ودعني قبل ان اودعه لما قضى
من شبابنا وطرا ٥ وقال آخر ٥ وكيف ثوائي بالمدينة بعد ما قضى وطرا منها جميل بن معمر
وقوله زوجناكها يعني لما طلق زيد امراته زينب اذن الله تعالى لنبيه في تزويجها
وانما ذلك لنسخ ما كان عليه اهل الجاهلية من تحريم زوجة الدعي على ما بيناه وهو قوله
لكيلا يكون على المؤمنين حرج اي اثم في ازواج ادعيائهم ان يتزوجوهن اذا قضى
الادعياء منهن حاجتهن وفارقوهن فبين تعالى ان الغرض بذلك ان لا يكون المؤمن اذا
طلق المراة يجري مجرى تحريم امراة الابن اذا طلقت او مات عنها الابن بقوله وكان
امر الله مفعولا معناه وكان تزويج النبي زينب بنت جحش كائنا لا محالة واستدل
بقوله وكان امر الله مفعولا على حدوث كلام الله لان الله تعالى وصف كلامه وبين
انه مفعول والمفعول والمحدث واحد ثم قال تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض

الله

الله له اي لم يكن عليه اثم فيما قدره الله ان يتزوج زينب بنت جحش التي كانت زوجة زيد
وكان دليلا له في جمعه بين التسع ثم قال سنة الله في الذين خلوا من قبل اي ما امر به
من هذه السنن والعبادات مثل سنة من تقدم من الامم في الدنيا فيما امرهم الله به
لانه تعالى اباح لكل نبي شيئا خصه به من بين سائر الامم وكان امر الله قدرا مقدورا
فالقدر المقدور هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زيادة ولا نقصان كما قال الشاعر
واعلم بان ذا الجلال قد قدر ٥ في الصحف الاولى التي كان سطر ٥ وقوله الذين
يبلغون رسالات الله فلا يكتمونها بل يؤدونها الى من بعثوا اليه ويخشونه ويخافون
الله مع ذلك من عصيانه وترك ما اوجب عليهم ولا يخشون احدا الا الله اي لا يخافون
سوى الله احدا وقوله وكفى بالله حسيبا اي كافيا ومجازيا ٥ ثم قال ما كان محمد ابا
احد من رجالكم نزلت في زيد بن حارثة لانهم كانوا يسمونه زيد بن محمد فبين الله ان
النبي عليه السلم ليس باب لاحد منهم من الرجال وانما هو ابو القاسم والطيب والطاهر
وابرهيم وكلهم درجوا في الصغر ذكره قتادة ثم قال لكن هو رسول الله ونصب
باضمار كان وتقديره ولكن كان رسول الله ٥ وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ولكن
بالتشديد رسول الله نصب بلكن وخاتم النبيين اي آخرهم لانه لا نبي بعده الى
يوم القيامة وكان الله بكل شيء عليما اي عالما لا يخفى عليه شيء مما يصلح العباد وقيل
انما ذكر وخاتم النبيين هاهنا لان المعنى ان من لا يصلح بعده النبي الذي هو آخر الانبياء
فهو ميؤس من صلاحه من حيث انه ابتر بعده من يصلح به الخلق ومن استدل بقوله
ما كان محمد ابا احد من رجالكم على انه لم يكن الحسن والحسين عليهما السلام ابنيه فقد
ابعد لان الحسن والحسين كانا طفلين كما انه كان ابا ابرهيم عليه السلم وانما نفى ان يكون ابا
الرجال البالغين قوله تبارك وتعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم

من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم
اجرا كريما يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين
والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ثمان آيات
بلا خلاف هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين المصدقين بوحدانية المقرين بصدق
انبيائه يامرهم ان يذكروا الله ذكرا والذكر الكثير ان يذكره بصفاته التي يختص بها
ولا يشاركه فيها غيره وينزهه عما لا يليق به وروى في اخبارنا ان من قال سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ثلثين مرة فقد ذكر الله كثيرا وكل صفة لله تعالى
فهي صفة تعظيم فاذا ذكر بانه شيء وجب ان يقال انه شيء لا كالاشياء وكذلك واحد ليس
كمثله شيء وكذلك القديم هو الاول قبل كل شيء والباقي بعد فناء كل شيء ولا يجوز ان
يذكر بفعل ليس فيه تعظيم لان جميع ما يفعله يستحق به المدح والوصف بالجميل على جهة
التعظيم مثل الذكر بالعفو والكرم بما يوجب اتساع النعم والذكر احضار معنى الصفة
للنفس اما بايجاد المعنى في النفس ابتداء من غير طلب والاخر بالطلب من جهة الفكر والذكر
قد يجامع العلم وقد يجامع الشك والعلم لا يجامع الشك في الشيء من وجه واحد والذكر
ايضا يضاد السهو ولا يضاد الشك كما يضاده العلم وقوله وسبحوه بكرة واصيلا
امرهم بان ينزهوا الله تعالى عن كل قبيح وجميع ما لا يليق به بالغداة والعشي قال قتادة
يعني صلاة الغداة وصلاة العصر والاصيل العشي وجمعه اصايل ويقال اصل واصال
وهو اصل الليل اي اوله ومبداه وقوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته معنى يصلي
عليكم يترحم عليكم بايجاب الرحمة وتصلي عليكم الملائكة بالدعاء والاستغفار فالاول كالدعاء
والثاني دعاء وقيل معناه يثني عليكم بطريقة الدعاء كقولهم عليك رحمة ومغفرة وقيل
معناه هو الذي يوجب عليكم بركة الصلاة وهي الدعاء بالخير وتوجيه الملائكة بفعل الدعاء

وهذا

وهذا مما يختلف فيه معنى صفة الله تعالى وصفة العباد كثواب فيعوق كثير الصوم الثواب وثواب
عن كثير من اهل التوبة وقال الاعشى عليك مثل الذي صليت فاغتمضي يوما فان
لجنب المرء مضطجعا من دعا مثل ما دعا لها مثل ما دعت له فمن نصب امرها بان يرد دعاءها
الدعاء اي عليك مثل ما قلت وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور معناه ليخرجكم من الجهل
بالله الى معرفته فشبه الجهل بالظلمات والمعرفة بالنور وانما شبه العلم بالنور لانه يقود الى
الجنة فهو كالنور والكفر يقود الى النار نعوذ بالله منها وقال ابن زيد معناه
ليخرجكم من الضلالة الى الهدى ثم اخبر تعالى انه كان بالمؤمنين رحيما حين قبل توبتهم
وخلصهم من العقاب الى الثواب بالطف لهم في فعله وقوله تحيتهم يوم يلقونه
سلام اي يحيي بعضهم بعضا يوم يلقون ثواب الله بان يقولون السلامة لكم من جميع الافات
والفوز بنعيم الثواب ولقاء الله هو ثوابه لا رؤيته لانه بمنزلة قوله فاعقبهم نفاقا
في قلوبهم الى يوم يلقونه وعنى انه قول النبي عليه السلام من حلف على يمين كاذبة يقتطع
بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان ولا خلاف ان ها هنا لا يرون الله وقوله
واعد لهم اجرا كريما اي ثوابا جزيلا ثم خاطب النبي عليه السلام فقال يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا اي شاهدا على امتك فيما يفعلونه من طاعة الله ومعصيته
وايمان او كفر لتشهد لهم يوم القيامة وعليهم فاجازيهم بحسبه ومبشرا لهم بالجنة وثواب
الله ان اطاعوني واجتنبوا معصيتي ونذيرا اي مخوفا من النار وعقاب الابد بارتكاب
المعاصي وترك الواجبات وداعيا اي وبعثتك داعيا تدعوهم الى الله والاقرار بوحدانيته
وامتثال ما امرهم به والانتهاء عما نهاهم عنه وسراجا منيرا اي انت بمنزلة السراج الذي
يهتدى به الخلق والمنير هو الذي يصدر النور من جهته اما بفعله او بانه سبب له فالقمر
منير والسراج منير بهذا المعنى والله منير السموات والارض وقال الزجاج وداعيا الى الله
باذنه وبعثناك ذا سراج وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه واراد بالسراج القرآن

الذين يحتاجون الى العمل به ثم امر نبيه بان يبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
اى زيادة على ما يستحقونه من الثواب كثيرا ثم نهاه عن طاعة الكفار الجاحدين لله والمكذبين
لنبوته المنافقين الذين يظهرون لك الاسلام ويبطنون الكفر ولا تتبعهم على ما يريدون
ودع اذاهم اى اعرض عن اذاهم فانى اكفيك امرهم اذا توكلت على وعملت بطاعتى فان
جميعهم فى سلطانى بمنزلة ما هو فى قبضة غيرى ثم قال وتوكل على الله اى اسند امرك
اليه واكتف به وكفى بالله وكيلا اى كافيا ومتكفلا بما يسنده اليه وقوله شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا وسراجا كل ذلك نصب على الحال قوله تعالى
يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ اَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ
عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ
اِنَّا اَحْلَلْنَا لَكَ اَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ اُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا اَفَاءَ اللَّهُ
عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَاَةً
مُؤْمِنَةً اِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ اِنْ اَرَادَ النَّبِيُّ اَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي اَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ
حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٠ آيتان بلا خلاف قرأ حمزة والكسائى تماسوهن
بالف الباقون بلا الف وقد مضى تفسيره فى البقرة خاطب الله تعالى فى الاية المؤمنين
المصدقين بوحدانيته المقرين بنبوة نبيه بانه اذا نكح واحد منهم مؤمنة نكاحا صحيحا
ثم طلقها قبل ان يمسها يعنى قبل ان يدخل بها بانه لا عدة عليها منه ويجوز لها ان تتزوج
بغيره فى الحال وامرهم ان يمتعوها ويسرحوها سراحا جميلا الى بيت اهلها وهذه المتعة
واجبة ان كان لم يسم لها مهرا فان كان سمى مهرا لزمه نصف المهر ولا يجب المتعة
مع ذلك وفيه خلاف وقال ابن عباس ان كان سمى لها صداقا فليس لها الا نصف المهر
وان لم يكن سمى لها صداقا امتعها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل وهذا اشل

منا

قلنا سواء ويحكى عن ابن عباس ان هذه الاية نسخت بالخطاب نصف المهر المذكور فى البقرة فى
مثله روى عن سعيد بن المسيب والصحيح الاول ثم خاطب النبى عليه السلام فقال يا ايها النبى
انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن يعنى مهورهن لان النكاح لا ينفك من المهر
واحللنا لك ما ملكت يمينك من الاماء ان تجمع منهن ما شئت مما افاء الله عليك من الغنائم
والانفال وبنات عمك اى واحللنا لك بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك
اللاتى هاجرن معك ان تعقد عليهن وتعطيهن مهورهن ثم قال وامراة مؤمنة ان
وهبت نفسها للنبى فالهمزة مكسورة على ان وهبت على انه شرط وقرأ الحسن بفتح الالف
بمعنى احللنا لك لان وهبت والمعنى واحل لانه [illegible] ان ملكت اى
ملكك ان اراد النبى اى يتزوجها وروى عن ابن عباس انه لا تحل امراة بغير مهر وان وهبت
نفسها الا للنبى عليه السلام خاصة وقال ابن عباس لم يكن عند النبى امراة وهبت نفسها له وفى
رواية اخرى عن ابن عباس انه كانت عنده ميمونة بنت الحارث بلا مهر وكانت وهبت
نفسها للنبى وروى عن على بن الحسين انها امراة من بنى اسد ويقال لها ام شريك وقال
الشعبى هى امراة من الانصار وقيل زينب بنت خزيمة من الانصار وعندنا ان
النكاح بلفظ الهبة لا يصح وانما كان ذلك للنبى عليه السلام خاصة وقال قوم يصح غير انه
يلزم المهر اذا دخل بها واما الاباحة بلا مهر للنبى خاصة والذى يشهد بصحة ما قلناه
قوله ان اراد النبى ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين بين ان هذا الضرب
من النكاح خاص له دون غيره من المؤمنين وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم يعنى على المؤمنين
فى ازواجهم قال قتادة معناه ان لا نكاح الا بولى وشاهدين وصداق ولا يتجاوز
الاربع وقال مجاهد ما فرضنا عليهم فى ازواجهم من النفقة والقسمة وغير ذلك وعندنا
ان الشاهدين ليسا شرطا فى صحة انعقاد العقد ولا الولى اذا كانت المراة بالغة رشيدة
لا بنفسها او لبنتها والمعنى على مذهبنا انا قد علمنا ما فرضنا على الازواج من مهورهن ونفقتهن

وغيره ذلك من الغنائم وما ملكت ايمانهم ما في موضع جر لانها عطف على ما في وتقديره في ازواجهم
وفيما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج اذا تزوجت المراة بغير مهر اذا وهبت لك
نفسها واده هاهم قال وكان الله غفورا رحيما اي ساترا للذنب على المسيئين خيرا
بهم وسعا عليهم قوله تبارك وتعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من
تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن
ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك
النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان
الله على كل شيء رقيبا يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم
الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا
مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من
الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم
وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من
بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان
بكل شيء عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا
نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا ٥
حتى آيات، قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم ترجي مهموزة والباقون
بغير همز من همز جعلها من ارجأت ومن ترك الهمز جعلها لغتان يقال ارجيت وارجات، وقرا ابو عمرو
وحده لا تحل بالتاء الباقون بالياء فمن قرا بالتاء فلان النساء مؤنثة ومن قرا بالياء حمل على
اللفظ لان المعنى لا يحل لك شيء من النساء، هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله
عليه وآله يخبره في نسائه بين ان يرجي منهن من شاء ان يؤخره ويبعد وقال ابن حرب انه
يعني طلاقهن وامساكهن وقال قوم معناه يترك نكاح من شئت وينكح من شئت من نساء امتك

فقال

وقال مجاهد معناه تعزل من شئت من نسائك فلا تاتيها وتاتي من شئت من نسائك فلا تقسم
لها فعلى هذا يكون القسم ساقطا وكان ممن ارجى ميمونة وام حبيبة وجويرية وصفية وسودة
وكان يقسم من نفسه وماله ما شاء وكان ممن آوى عايشة وحفصة وام سلمة وزينب وكان
يقسم بينهن نفسه وماله بالسوية وقال زيد بن اسلم نزلت في اللاتي وهبن انفسهن فقال
الله له تزوج من شئت منهن واترك من شئت وهو اختيار الطبري وهو اليق بالقدم فالارجا
هو التاخير وهو من تبعيد النبي عن غيره ومنه المرجئة في فساق اهل الصلاة وهو تاخير
حكمهم بالعقاب الى الله ويؤوي منهن من يشاء فالايواء ضم القادر غيره من الاحياء الذي من جنسه
ما يعقل الى ناحيته يقول اويت الانسان اوية ايواء واوى هو يأوي اويا اذا انضم الى ماواه
وقوله ومن ابتغيت يعني من طلبت ممن عزلت قال قتادة كان نبي الله يقسم بين ازواجه
فاحل الله له ترك ذلك وقيل ومن ابتغيت اصابته ممن كنت عزلت عن ذلك من نسائك
وقال الحسن يرجي من يشاء منهن تذكر المراة للتزويج ثم ترجيها فلا يتزوجها ولا جناح
عليك اي لا اثم عليك في ابتغاء من عزلت وارجاء من شئت وايواء من شئت ذلك ادنى ان
تقر اعينهن اي اقرب اذا علمن ان الرخصة من قبل الله كان ذلك اقر لاعينهن واقل
لحزنهن واشد لسرورهن وهو قول قتادة وقيل ذلك ادنى ان تقر اعينهن اذا
طمعت في ردها الى فراشه بعد عزلها ويرضين بما آتيتهن كلهن رفع كلهن على التاكيد
الضمير في يرضين لا يجوز غير ذلك لان المعنى عليه ثم قال والله يعلم ما في قلوبكم من الرضا والسخط
وما في نفوسكم من الميل الى بعض النساء دون بعض وكان الله عليما بذلك حليما عن ان يعاجل
احدا بالعقوبة وقوله لا يحل لك النساء من بعد قال ابن عباس والحسن يعني بعد التسع
اللاتي كن عنده واخترنه مكافاة لهن على اختيارهن الله ورسوله وقال ابي بن كعب
لا يحل لك النساء بعد اي حرم عليك ما عدا اللواتي ذكرن بالتحليل في انا احللنا لك الاية وهن
ستة اجناس النساء اللاتي هاجرن معه واعطاهن مهورهن وبنات عمه وبنات عماته وبنات

خالاتك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ومن وهبت نفسها له يجمع ما شاء من العدد لا يحل له من بعد
من النساء وقال مجاهد لا يحل لك النساء من اهل الكتاب وعلى انك المسلمات • وروى الحكم
هذه الاية نسخ واحل له ما شاء من النساء اي جنس اراد ومن اراد وروي عن عائشة انها قالت لم يخرج
النبي عليه السلم من دار الدنيا حتى حلل له ما اراد من النساء وهو مذهب اكثر الفقهاء وهو المروي
عن اصحابنا في اخبارنا ولا ان تبدل بهن من ازواج قال ابن زيد معناه ان تعطي زوجتك
لغيرك وتاخذ زوجته لان اهل الجاهلية كانوا يتبادلون الزوجات وقيل معناه تطلق
واحدة وتتزوج بعدها اخرى ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك استثنى الاماء اللاتي
يملكهن من جملة ما حرم عليه من النساء وكان الله على كل شيء رقيبا اي عالما حافظا او ارقيب
الحفيظ قال الحسن وقتادة قال الشاعر كمقاعد الرقباء للضرباء ايديهم نواهد
ثم خاطب المومنين فقال يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم
نهاهم من دخول دار النبي بغير اذن الى طعام غير ناظرين اناه اي بلوغه وكان ناديهم
وهو نصب على الحال يقال انى الطعام يانى اذا بلغ حال النضج قال الشاعر
تمخضت المنون له بيوم انى ولكل حاملة تمام • وقال الحطيئة وانيت العشاء
الى سهيل او الشعرى فطال بي الاناء وقال البصريون لا يجوز غير ناظرين بالجر
على صفة طعام لان الصفة اذا جرت على غير من هي له لم يضمر الضمير واجاز ذلك الفراء
وانشد الاعشى • فقلت له هذه هاتها الينا بادماء مقادها • والمعنى على يدي من اقتادها
وقال الكسائي سمعت العرب تقول يدك باسطها اي انت • وقال الزجاج لو جرت غير لقال
الى طعام غير ناظرين اناه انتم لا يجوز الا هذا والمعنى غير منتظرين بلوغ الطعام ثم قال
ولكن اذا دعيتم فادخلوا يعني اذا دعيتم الى الطعام فادخلوا فاذا اطعمتم فانتشروا اي
تفرقوا ولا تقيموا ولا مستانسين لحديث اي لا تستانسوا بطول الحديث وانما نهوا عن الاستيناس من اجل طول
الجلوس لان الحديث يقتضي ذلك والاستيناس ضد الاستيحاش والوحشة

فبين الله تعالى ان الاستيناس بطول الجلوس يوذي النبي فانه يستحيي من الخارجين
فيسكت على مضض ومشقة والله لا يستحيي من الحق ثم قال واذا سالتموهن متاعا
يعني اذا سالتم ازواج النبي شيئا تحتاجون اليه فاسالوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر
لقلوبكم وقلوبهن من الميل الى الفجور ثم قال وما كان لكم ان توذوا رسول الله قال
ابو عبيدة كان نائية والمعنى ليس لكم ان توذوا رسول الله بطول الجلوس عنده و
مكالمة نسائه ولا يحل لكم ايضا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا لانهن صرن بمنزلة امهاتكم
في التحريم قال السدي لما نزل الحجاب قال رجل من بني تيم انحجب من بنات عمنا
فان مات عرسنا بهن فنزل قوله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم
ان فعلتموه كان عند الله عظيما ثم قال ان تبدوا شيئا اي ان اظهرتموه من مواقعة
النساء او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما لا يخفى عليه شيء من اعمالكم لا ظاهره
ولا باطنه ثم استثنى لازواج النبي عليه السلم ومن يجوز لهن عادتهم وكلامهم فقال
لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن
ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن ولم يذكر العم والخال لانه مفهوم من الكلام لان
قرابتهم واحدة لانهن لا يحلون لواحد من المذكورين بعقد نكاح على وجه فهن محرم لهن ولا
نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن قال قوم من النساء والرجال وقال اخرون من النساء
خاصة وهو الصحيح • وقال مجاهد رفع الجناح هاهنا في وضع الجلباب للمذكورين
وقال قتادة في ترك الاحتجاب ثم امرهن بان يتقين الله ويتركن معاصيه فقال واتقين
الله ان الله كان على كل شيء شهيدا اي عالما لا يخفى عليه شيء من ذلك وقال الشعبي
وعكرمة انما لم يذكر العم والخال لئلا ينعتاهن لابنائهما وكان سبب نزول الاية انه لما نزل
الحجاب فقوله فاسالوهن من وراء حجاب قال الاباء والابناء ونحن ايضا مثل ذلك
فانزل الله الاية وبين ان حكمهما ولم يخالف حكم الحجاب قوله تبارك وتعالى

٢٦

إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا إِنَّ
الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا
وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا
مُبِينًا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ
ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا
إِلَّا قَلِيلًا خمس آيات يقول الله تعالى مخبرا انه يصلي وملائكته على النبي صلى الله عليه
وسلم وصلاة الله تعالى عليه هو ما يفعله به من كراماته وتفضله واعلاء درجته ورفع منازله
وثنائه عليه وغير ذلك من انواع اكرامه وصلاة الملائكة عليه مسألتهم الله تعالى ان يفعل
به عليه السلم مثل ذلك وزعم بعضهم ان يصلون فيه ضمير الملائكة دون اسم الله مع اقراره
بان الله تعالى يصلي على النبي لكنه يذهب في ذلك الى ان افراده بالذكر تعظيما ذكره
الجبائي ثم امر تعالى المؤمنين المصدقين بوحدانيته المقرين بنبوة نبيه ان يصلوا ايضا
عليه فهو ان يقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم في قول
ابن عباس ثم امر المؤمنين ايضا بان يسلموا لامره تعالى وامر رسوله تسليما في جميع ما يأمرهم
به والتسليم هو الدعاء بالسلامة كقولهم سلمك الله والسلام عليك ورحمة الله وكقولهم
السلام عليك يا رسول الله ثم اخبر تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله واذى
الله تعالى هو اذى اوليائه وانما اضافه الى نفسه تعظيما لاذى اوليائه ومبالغة
في عظم المعصية به يستحقون اللعنة من الله لان معنى لعنهم الله اي حل بهم وبال
اللعن بالابعاد من رحمة الله وقوله في الدنيا والآخرة اي هم مبعدون من رحمته
تعالى في الدنيا والآخرة ومع ذلك اعد لهم في الآخرة عذابا مهينا اي مذلا لهم والهوان
الاحتقار يقال اهانه اهانة وانما وصف العذاب بانه مهين لانه تعالى يهين الكافر والفاسق

٢٣ حتى تظهر الذلة فيه عند العقاب وقال والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
يعني يؤذونهم من غير استحقاق على شيء فعلوه يستوجبونه به ذلك وكان سبب نزول الآية
ان قوما من الزناة كانوا يتبعون في الطرقات فاذا راوا امراة غمزوها وقال النقاش
نزلت في قوم كانوا يؤذون عليا عليه السلام وقيل نزلت فيمن تكلم في عائشة في قصة
الافك وقوله فقد احتملوا بهتانا اي كذبا واثما مبينا اي ظاهرا ثم خاطب النبي عليه السلم
بقوله يا ايها النبي وامره بان يقول لازواجه وبناته ونساء المؤمنين ويامرهن بان يدنين
عليهن من جلابيبهن والجلابيب جمع جلباب وهو خمار المراة وهي المقنعة تغطي جبينها
وراسها اذا خرجت لحاجة بخلاف خروج الاماء اللاتي يخرجن مكشفات الرؤوس والجباه
في قول ابن عباس ومجاهد وقال الحسن الجلابيب الملاحف تدنيها المراة على وجهها
ذلك ادنى ان يعرفن من الاماء ومن اهل الريبة فلا يؤذين وقيل ان يعرفن بالحرية
والصيانة فلا يؤذين ثم قال وكان الله غفورا رحيما اي ستارا لذنوب عباده رحيما
بهم ثم قال تعالى لئن لم ينته المنافقون اي لئن لم يرجعوا والذين في قلوبهم مرض اي
شك وقيل نفاق وقيل شهوة الزنا والمرجفون في المدينة فالارجاف اشاعة الباطل للاغتمام
به والمرجفون هم الذين كانوا يطرحون الاخبار الكاذبة بما يشغلون به قلوب المؤمنين
لنغرينك بهم بالحمل والاغراء الدعاء الى تناول الشيء بالتحريض عليه اغراه يغريه اغراء
وغري به يغرى مثل اولع به كانه الحق بلزومه وقيل معناه لنسلطنك عليهم في قول
ابن عباس وقوله ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا يعني ينفون من المدينة ولا يجاورونك
باهلها فيها قوله تبارك وتعالى مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا
تَقْتِيلًا سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا يَسْأَلُكَ النَّاسُ
عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا إِنَّ اللهَ لَعَنَ
الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا خمس آيات

لما حين الله تعالى وتوعد المنافقين والذين في قلوبهم شك والمرجفين في المدينة بما يفعلون
المؤمنين وانهم ان لم ينتهوا عن ذلك نفوا عنها ووصفهم بانهم ملعونون اى يبعدون اينما
ثقفوا ونصب ملعونين على الحال من الضمير في قوله يجاورونك وقيل انه نصب على
على الذم وعلى الصفة لقليل كانه قال الا اذلاء ملعونين واينما منصوب بثقفوا والجزم به
ثقفوا على طريق المجازاة وانما جاز ذلك لان الجازم في الاصل ان المحذوفة وصار اينما
تقوم مقامها وقد يعرى عنها والجواب فيما قبل الشرط لئلا يختلط احد الامرين بالاخر و
في الاية دلالة على انهم انتهوا والا كان يوقع الاغراء بهم وجعلهم بالصفة التي ذكرها
وقوله سنة الله التي قد خلت من قبل فالسنة الطريقة في تدبير الحكيم ومنه سنة
رسول الله وهي الطريقة التي اجراها بامر الله تعالى فاضيفت اليه لانه فعلها بامر الله واصل
السنة الطريقة ومن عمل الشيء مرة او مرتين لا يقال ان ذلك سنة لان السنة الطريقة الجارية
ولا تكون جارية بما لا يعتد به من العمل القليل وسنة الله في المتمردين في الكفر الذين
لا يفلح احد منهم ولا من يلدهم الاهلاك بالعذاب في الدنيا والاخرة وقوله فلن تجد لسنة
الله تبديلا معناه ان السنة التي اراد الله ان يسنها في عباده لا يتهيأ لاحد تغييرها ولا
قلبها عن وجهها لانه تعالى القادر الذي لا يتهيأ لاحد منعه مما اراد فعله ٥ ثم قال
يسالك يا محمد الناس عن الساعة يعني عن القيامة فقل لهم علمها عند الله لا يعلمه احد غيره
وما يدريك يا محمد لعل الساعة يعني القيامة تكون قريبا ثم قال تعالى خبرا
انه لعن الكافرين يعني ابعدهم من رحمته واعد لهم سعيرا يعني النار التي تستعر وتلتهب
خالدين فيها اى مؤبدين فيها لا يخرجون منها ولا يجدون وليا ينصرهم ولا نصيرا يدفع
عنهم واستدل بذلك على ان النار التي وعد بها الله مخلوقة لان ما لا يكون مخلوقا لا
يعد به وهذا ضعيف لانه يجوز ان يكون المراد ان الجنة والنار معدتان في الحكم كائنان لا
محالة فلا يمكن الاعتماد عليه قوله تبارك وتعالى يوم تقلب وجوههم

في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله
وجيها ٥ اربع آيات بلا خلاف ٥ قرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا بالف بعد
الدال الباقون بلا الف على جمع تكسير والاول على جمع الجمع وقرأ عاصم وابن عامر في
رواية الداجوني عن هشام لعنا كبيرا بالباء الباقون بالثاء العامل في قوله يوم تقلب
قوله واعد لهم سعيرا يوم تقلب وجوههم فالتقليب تصريف الشيء في الجهات ومثله
التقليل من جهة الى جهة هاهنا وانما قيل وجوههم في النار لانه ابلغ فيما يصل اليها من العذاب
وقوله ويقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا حكاية ما يقولون هاهنا الكفار
الذين تقلب وجوههم في النار فانهم يقولون متمنين يا ليتنا اطعنا الله فيما امرنا به و
نهانا عنه ربنا انا اطعنا فيما فعلناه سادتنا وكبراءنا فالسادة جمع سيد وهو المالك
المعظم الذي يملك تدبير السواد الاعظم ويقال للجمع الاكثر السواد الاعظم يراد به السواد المنافي
لشدة الضياء الاعظم فاضلونا السبيلا يعني فاضلونا هؤلاء الرؤساء عن سبيل الحق وقيل
الاية نزلت في الاثني عشر الذين اطعموا الكفار يوم بدر من قريش ثم حكى انهم يقولون
ربنا آتهم ضعفين من العذاب لضلالهم في نفوسهم واضلالهم ايانا وقيل معناه عذاب
الدنيا والاخرة والعنهم لعنا كبيرا اى مرة بعد اخرى ومن قرأ بالباء اراد اللعن الذي
هو اكبر من لعن الفاسق لان لعنه الكافر اعظم ثم خاطب تعالى المؤمنين فقال
يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى اى لا تؤذوا نبيكم مثل ما اوذي
موسى يعني آذاه قومه بعيب اضافوه اليه لم يتوجه بعينه وقيل ان الاية نزلت في
المنافقين عابوا النبي عليه السلم باصطفائه صفية بنت حيي فنهاهم الله عن ذلك واختلف
المفسرون في العيب الذي اضافه قوم موسى اليه فقال قوم انهم آذوا موسى بان نسبوه

ان هارون قتله موسى فاحياه الله عز وجل حتى اخبرهم ان موسى لم يقتله وان الله تعالى
هو الذي اماته عند انقضاء اجله وهو معنى قوله فبراه الله مما قالوا وقيل انهم قالوا
انه ابرص وقيل انهم اضافوا اليه انه اداما لخصيتين فبراه الله من ذلك واجاز البلخي
حديث الصخرة التي ذهبت بثوب موسى ثم قال حملها على ان يكون ذلك معجزا له وقال غيره ذلك
لا يجوز لان فيه ابداء النبي وابداء السواة على رؤس الاشهاد وذلك ينفر عنه فبراه الله من
ذلك وقوله وكان عند الله وجيها اي عظيم القدر رفيع المنزلة اذا سال الله تعالى
شيا اعطاه واثبت الالف في قوله الرسولا والسبيلا لاجل الفواصل في رؤس الاي تشبيها
بالقوافي قوله تبارك وتعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما
اربع آيات امر الله تعالى المؤمنين المصدقين بوحدانية القرين بنبوة نبيه بان يتقوا
عقابه باجتناب معاصيه وفعل واجباته وان يقولوا قولا سديدا اي صوابا بريا من الفساد
خالصا من شايب الكذب والتمويه واللغو وقوله يصلح لكم اعمالكم جزم بانه جواب الامر
وفيه معنى الجزاء وتقديره ان فعلتم ما امرتكم به يصلح لكم اعمالكم واصلاح اعمال العباد
ان يلطف لهم فيها حتى يستقيم على الطريقة السليمة من الفساد وذلك مما لا يصلح الا في صفات
الله تعالى لانه القادر الذي لا يعجزه شي العالم الذي لا يخفى عليه شي ويغفر لكم ذنوبكم
وقيل انا وعد يغفر ان الذنوب عند القول السديد ولم يذكر التوبة لان التوبة داخلة
في الاحوال السديدة كما يدخل فيه تجنب الكذب وكل التمويه ويدخل فيها الدعاء الى
الحق وترك الكفر والهزل واجتناب الكلام القبيح ثم قال ومن يطع الله ورسوله فيما امره

امره به ونهاه عنه ودعواه اليه فقد فاز فوزا عظيما اي افلح افلاحا عظيما لانه يفوز بالجنة
والثواب الدايم وقيل معناه فقد ظفر بالكرامة من الله والرضوان وهو الفوز العظيم
ثم اخبر تعالى بانه عرض الامانة على السموات والارض فالامانة هي العقد الذي يلزم الوفاء
به مما من شانه ان يوتمن على صاحبه وقد عظم الله شان الامانة في هذه الاية وامر بالوفاء فهو
الذي امر به في سورة المايدة ومعناه بقوله يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقيل في قوله
عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال مع ان هذه الاشيا جمادات لا يصح تكليفها
اقوال احدها ان المراد عرضنا على اهل السموات والارض واهل الجبال وثانيها
ان المعنى في ذلك تفخيم شان الامانة وتعظيم حقها وان من عظم منزلتها انها لو عرضت
على الجبال والسموات مع عظمها وكانت تعلم بامرها لاشفقت منها غير انه خرج مخرج الواقع
لانه ابلغ من المقدر وقوله فابين ان يحملنها اي امتنعن ان يحملن الامانة واشفقن اي
خفن من حملها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا اي ظلوما لنفسه بارتكاب المعاصي
وقال ابن عباس معنى الامانة الطاعة لله وقيل لها امانة لان العبد اوتمن عليها
بالتمكين منها ومن تركها وقال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ورغب في الاحسان
فيها ورهب في تركها وقيل من الامانة ان المراة اوتمنت على فرجها والرجل على فرجه ان يحفظاه
من الفاحشة وقيل الامانة ما خلق الله تعالى في هذه الاشيا من الدلايل على ربوبيته فظهر
ذلك منها كانهم اظهروها والانسان جحد ذلك وكفر به وفايدة هذا العرض اظهار ما يجب
من حفظها وعظم المعصية في تضييعها وقيل معنى حملها الانسان اي خانها لان من خان الامانة
فقد حملها وكذلك كل من اثم فقد حمل الاثم كما قال تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
وقال البلخي يجوز ان يكون معنى العرض والاباء ليس هو ما يفهم بظاهر الكلام بل انما
اراد تعالى ان يخبر بعظم شان الامانة وجلالة قدرها وفظاعة خيانتها وترك ادايها وانه وجد
السماوات والارض مع عظمها لا يحتملها وان الانسان يحملها وليس الانسان حاملا لها بعينه

ولا هو المطيع المؤمن بل هو كل من خان الامانة ولم يؤد الحق فيها وحمل الانسان للامانة يعني هو
قابله القيام بها واداء الحق فيها لمن ذلك طاعة منه لله وابتلاء لامره والله لا يعيب طاعته وما امر به
ولا دعا اليه لكن معنى حملها انه احتملها خانها ولم يؤد الحق فيها كانه حملها فذهب بها واحتمل وزرها
كما يقولون فلان اكل امانته اي خان فيها والعرب تقول سالت الربع وخاطبت الديار فلم تجب
بكذا او قالت كذا وانما قالوا ما لم يجب ولا استغنى عن الجواب وليس هناك سائل ولا جواب
وانما هو اخبار عن الحال عبر عنه بذكر السؤال والجواب كما قال تعالى ائتيا طوعا او كرها
السموات والارض قالتا اتينا طائعين وهو تعالى لا يخاطب من لا يفهم ولا يعقل وقال تعالى
لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ونحن نعلم
ان السموات لم تشعر بما كان من الكفار ولكنه تعالى اراد الانفطار في ذات انفسها ويقول
القائل ايت بكذب لا تحملها الجبال الراسيات قال الشاعر فقال لي البحر اذ جئته
وكيف يجيب ضرير ضريرا وقال جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال
الخشع وقال اخر فاجهشت للتوباد حين رايته وكبر للرحمن حين راني فقلت له اين الذين
عهدتهم بجنبك في خفض وطيب زمان فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا الذي
يبقى على الحدثان وقال بعض المحدثين يا قصر ويحك هل اودعت من خبر قال
حين ابان من العبر وقد كان يسكنني قوم ذوو خطر بادوا اهل الدهر والايام والغير وقد
اتاني وقت الوهد بي كرى منصور اتيكم في الشوك والشجر حتى اناخ على بابي فقلت له اما
كما كان الذي بيت من حجري ان لم اكن قلته نطقا فقد كنت بالحوادث في صرفها في حرك
خطا قد يخلق الفتى ذي عوج يرى كل لما انطاهر الحزن فخلق ثم افناه الزمان فلم يطق دفاعا
لما فلحم من قدر وكلهم قابل لي انت لي ولي خلقت من ولدي حظ من التراب فاتعلموا
الحيا بعدهم ولاهم سكنوا الاهل غرب وقد قال بعض الحكماء سل الارض من شق انهارك
وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا والعرض على وجوه تعال

عرضت المال والحمل على فلان بهذا المعنى والخطاب وعرضت هذا الامر على فكري البارحة
فهذا امر ان عرض على المعقول لم تقبله وقوله قولهم عرضت الناقة على الحوض من مقلوب
عرضت الحوض على الناقة والاية على وجوه فهذا الاستاح وان لم تكن فصل لك وقيله
لا يصلح لما يريد بقوله اردت سل سيفي فابى علي ويقول هذه الارض تأبى الزرع والغرس
اي لا يصلح لها فعلى هذا يكون معنى قوله فابين ان يحملنها اي لا يصلح لحملها
وليس في طباعها حمل ذلك لانه لا يصلح لحمل الامانة الا من كان حيا عالما قادرا سميعا
بصيرا وقال قوم معناه انا عرضنا الامانة على اهل السموات والارض واهل الجبال
كما قال فما بكت عليهم السماء والارض يعني اهل السماء والارض فابوا حملها على ان يؤدوا
حق الله فيها اشفاقا من التقصير في ذلك وحملها الانسان يعني ادم جهلا بحق الله
واستخفافا بعرضه انه كان ظلوما لنفسه جهولا بما يلزمه القيام بحق الله وانما قال
فابين ولم يقل فابوا حملا على اللفظ ولم يرده الى معنى الادميين كما قال والشمس والقمر رايتهم
لي ساجدين فقلت انما هم لها خاضعين حملا على المعنى دون اللفظ وكل ذلك واضح بحمد
الله ثم قال ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات يعني بتضييع
الامانة ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بحفظهم الامانة وقال الحسن وقتادة
كلاهما خانا الامانة ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات لانهما حملا اديا الامانة وكان
الله غفورا اي ستار العيوب خلقه رحيما بهم في اسقاط عقابهم اذا تابوا من حوبا الا ثقا

سورة سبأ

هي مكية في قول مجاهد وقتادة والحسن وغيرهم ليس فيها ناسخ ولا منسوخ وقيل ان اية
واحدة مدنية وهي قوله ويرى الذين اوتوا العلم وهي اربع وخمسون اية في الكوفي

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير
يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم
الغفور وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة
ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم
حي آيات بالاخلاص قرا حمزة والكسائي علام الغيب بتشديد اللام والف بعدها
وخفض الميم وقراة اهل المدينة وابن عباس قد وبس بالف قبل اللام وتخفيف اللام وكسرها
ورفع الميم الباقون كذلك الا انهم خفضوا الميم وهم ابن كثير وابو عمرو وعاصم وخلف
ورفع وقرا ابن كثير وحفص ويعقوب من رجز اليم برفع الميم ههنا وفي الجاثية معربا
فقد مضى ذكره وقرا الكسائي وحده يعزب بكسر الزاي الباقون بضمها الحمد رفع بالابتدا
ولله خبره والحمد هو الشكر والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم والحمد هو
الوصف بالجميل على جهة التعظيم ونقيضه الذم وهو الوصف بالقبيح على جهة التحقير ولا
يستحق الحمد الا على الاحسان وكذلك فلما كان احسان الله لا يوازيه احسان احد من المخلوقين
فكذلك لا يستحق الحمد احد من المخلوقين مثل ما يستحقه ولذلك يبلغ شكره الى حد العبادة
ولا يستحق العبادة سوى الله تعالى وان استحق بعضنا على بعض الشكر والحمد ومعنى قوله
الحمد لله اي قولوا الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الارض معناه الذي ملك التصرف
منه في جميع ما في السماوات وجميع ما في الارض وليس لاحد منعه منه ولا الاعتراض عليه وله
الحمد في الاولى يعني في الدنيا بما انعم على خلقه من فنون الاحسان وفي الاخرة بما يفعل بهم
من الثواب والعوض وضروب الفضل والاخرة وان كانت ليست دار تكليف فلا يسقط فيها الحمد
والاعتراف بنعم الله تعالى بل العباد ملجون الى فعل ذلك لمعرفتهم الضرورية بنعم الله

تعالى

تعالى بل العباد عليهم وما يفعل من العقاب بالمستحقين فيها ايضا احسان لما للمكلفين
في دار الدنيا من الالطاف والزجر عن المعاصي ويفعل الله تعالى لكونه مستحقا على
معاصيه الى دار الدنيا ومن حمد اهل الجنة قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده وقولهم
الحمد لله الذي هدانا لهذا وقيل انما يحمد اهل الاخرة من غير تكليف على وجه السرور
وهو الحكيم في جميع افعاله لانها كلها واقعة موقع الحكمة الخبير العالم بجميع المعلومات ثم وصف
نفسه بانه يعلم ما يلج في الارض من سائر الانواع وما يخرج منها كذلك وقال الحسن
معناه يعلم ما يلج في الارض من المطر وما يخرج منها من النبات والولوج الدخول ولج يلج
ولوجا قال الشاعر رايت القوافي يلجن موالجا تضايق عنه ان تولجه الابر
ومعنى ما ينزل من السماء قال الحسن يعني من المطر وما يعرج فيها يعني من ملك فهو يجري
مجرى جميع ذلك على تدبير عالم به وتوجيه المصلحة فيه ثم حكى عن الكفار انهم يقولون
لا تاتينا الساعة يعني يوم القيامة تكذيبا للنبي عليه السلم في ذلك فقل لهم يا محمد بلى
يأتينكم وحق الله ربي الذي خلقني واخرجني من العدم الى الوجود لتاتينكم الساعة
عالم الغيب من جر عالم جعله صفة لقوله وربي وهو في موضع جر بواو القسم ومن
رفعه فعلى انه خبر ابتداء محذوف وتقديره هو عالم الغيب ومن قرا علام اراد المبالغة
في وصفه بانه عالم والغيب كل شي غاب عن العباد علمه لا يعزب عنه اي لا يفوته مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض بل هو عالم بجميع ذلك يقال عزب عنه الشي يعزب ويعزب
لغتان في المضارع ولا اصغر من ذلك ولا اكبر اي ولا يعزب عنه علم ما هو اصغر من
مثقال ذرة ولا علم ما هو اكبر منه الا في كتاب مبين يعني اللوح المحفوظ الذي اثبت الله
فيه جميع ما هو كائن الى يوم القيامة ليطلع عليه ملائكته فيكون لطفا لهم ويكون للمكلفين
ايضا في الاخبار عنه لطف ثم بين انه انما اثبت ذلك في الكتاب المبين ليجزي على ذلك
من عمل الصالحات بنعيم الجنة وهو قوله اولئك لهم مغفرة لذنوبهم وستر لها ولهم

مع ذلك ردفا كريم قال قتادة الرزق الكريم الجنة وقال غيره هو الحق الذي لا يتعيض فيه ولا تكدير ثم بين ان الذين سعوا في آيات الله قد جحوا معجزين له اي مسابقين مجاهدين في ابطال آياته اولئك لهم عذاب على ذلك من رجز اليم فمن جر اليم جعله من صفة الرجز ومن رفعه جعله صفة للعذاب كانه قال لهم عذاب اليم من رجز والرجز هو الرجس وقال قوم هو السيء وقال آخرون هو العذاب والرجز بضم الراء الصنم ومنه قوله والرجز فاهجر وقال ابو عبيدة معاجزين معنى مسابقين ومعجزين معناه مثبطين في قول الزجاج قوله تبارك وتعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ستة آيات قرأ حمزة والكسائي ان يشأ يخسف بهم بالياء كناية عن الله انه ان شاء يخسف الباقون بالنون على انه اخبار منه تعالى عن نفسه يقول الله تعالى مخبرا ان الذين اوتوا العلم والمعرفة بوحدانية الله قال قتادة هم اصحاب محمد وقال غيره يجوز ان يكون المراد كل من اوتي العلم بالدين وهو اولى لانه اعم الذي انزل اليك من ربك يعني القرآن هو الحق والذي في موضع نصب بانه المفعول يرى وقوله هو فصل وتسميه الكوفيون عمادا قال الشاعر ليت الشباب هو الرجيع على الفتى والشيب كان هو البدي الاول اجاز الكسائي على ان هو الاول عماد والثاني اسم والحق هو المفعول الثاني ويرى في الآية بمعنى يعلم وموضعه يحتمل ان يكون نصبا

عطفه

عطفه على يجزي ويرى ويحتمل ان يكون رفعا بالاستئناف واوتوا العلم معناه اعطاه اياه خلق العلم او نصب الادلة المؤدية له فهو لطف الله لهم بما ادى الى العلم فكانه قد آتاهم العلم والذي انزل اليك يعني القرآن وما امر له الله فيه من الاحكام يعلمونه حقا صحيحا لمعرفتهم بالله وبآياته الدالة على صدق نبيه ويهدي يعني القرآن ويرشد الى صراط العزيز الحميد يعني الى دين القادر الذي لا يغالب الحميد يعني المحمود على جميع افعاله وهو الله تعالى ثم حكى ان الكفار يقول بعضهم لبعض هل ندلكم ونرشدكم الى رجل ينبئكم اي يخبركم اذا مزقتم كل ممزق اي مزقت اعضاؤكم بعد الموت وصرتم ترابا ورميما انكم لفي خلق جديد ابتداء اذا ولا يعمل فيها ينبئكم لانه لو اعمل فيها لنصبها يعيدكم ويحييكم ويقولون هذا على وجه الاستبعاد له والتعجب من هذا القول ومعنى مزقتم كل ممزق بليتم وتقطع اجسامكم والعامل في اذا مزقتم في قول الزجاج وغيره هل ندلكم على رجل يقول لكم انكم اذا مزقتم تبعثون ويكون اذا بمعنى الجزاء يعمل فيها التي يليها قال قيس اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب والمعنى يكن وصلها فلذلك جزم فنضارب وقيل العامل فيه معنى الكلام كانه قيل بعث خلقكم ولا يجوز ان يعمل فيه ما بعد اللام الابتداء ولا ما بعد ان لانها حروف لا تتصرف في نفسها ولا في معمولها وقوله من افترى على الله كذبا قال قوم اسقط الف الاستفهام من افترى لدلالة ام عليه قال الرماني هذا غلط لان الف الاستفهام لا يحذف الا في الضرورة وانما القراء بقطع الالف لان الف الاستفهام ثابتة والف افتعل سقطت لانها ثابتة ومثله قوله بيدي استكبرت وقوله اصطفى البنات وقوله سواء عليهم استغفرت لهم ونظائره كثيرة ولم يفصل بينهما بمدة لان الثانية مكسورة ففارق همزة الله خير اما يشركون ولو لم يقطع لكان خبرا بعده استفهام والمعنى ان هؤلاء الكفار الذين يتعجبون من قول النبي ان الله يعيد الخلق بعد افنائهم خلقا جديدا هل كذب

على الله متعمدا ام به جنة جنون حينئذ يتكلم بما لا يعلم فقال الله تعالى ليس كما تقولون
بل الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب في العذاب والضلال
البعيد يعني العدول البعيد عن الحق فلذلك يقولون ما تقولون ثم نبههم على صحة
ما يقول النبي عليه السلام من الاعادة فقال افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض فيتفكروا فيه ويعتبروا به وان الله تعالى خلقه ولو شاء وانه ان نشأ نخسف بهم الارض
من تحت ارجلهم او نسقط عليهم كسفا يعني قطعا من السماء ثم قال ان في ذلك لآية ودلالة
لكل عبد منيب اي راجع الى الله تعالى ووجه التنبيه بالحجة ان ينظروا ويتفكروا الى السماء
محيطة بهم والارض حاملة لهم في قبضتنا ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم السماء
افما يحذرون هذا فيرتدعون من التكذيب بآيات الله والمنيب المقبل التائب
في قول قتادة ثم اخبر تعالى انه آتى داود يعني اعطاه فضلا من عنده الله وقيل
معناه النبوة وقيل الزبور وقيل حسن الصوت وقيل هو ما ذكره اي قلنا يا جبال اوبي
معه ومعناه انه نادى الجبال وامرها ان تؤوب معه اي ترجع بالتسبيح معه قال
الشاعر شعر يومان يوم مقامات واندية ويوم سير الى الاعداء تأويب اي رجوع
بعد رجوع وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك امر الله الجبال ان تسبح
معه اذا سبح والطير في نصبه وجهان احدهما وسخرنا الطير والثاني بالعطف على
موضع المنادى الاول كما قال الشاعر الا يا زيد والضحاك سيرا فقد جاوزتما خمر
الطريق والاول اقوى عندهم لان الحمل على لفظ المنادى اشكل ويكون كقوله اطعمتها
تبنا وماء باردا اي وسقيتها ماء وقيل معنى اوبي سيري معه حيث شاء وليس
المعنى ان الله خاطب الجبال وهي جماد بل المراد انه فعل في الجبال ما لو كانت حية
قادرة لكان يتأتى منها ذلك وقوله وألنا له الحديد قال قتادة كان الحديد في يده
مثل الشمع يصرفه كيف شاء من غير نار ولا تطريق ثم قال وقلنا له ان اعمل سابغات

وهي الدروع التامة والسابغ التام من اللباس ومنه اسباغ النعمة اتمامها وثوب سابغ
تام وقدر في السرد الحديد نظمه وقيل السرد حلق الدرع في قول ابن عباس وابن
زيد قال الشاعر اجاد المسدي سردها واذالها وقال قتادة السرد
المسامير التي في حلق الدرع وهو مأخوذ من سرد الكلام يسرده سردا اذا تابع بين بعض
حروفه وبعض فالمعنى قدر في الحلق والمسامير ومنه السرد للطعام وغيره لانه يتابع فيه
خروج ما ليس فيه قال الشاعر وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ
تبع ويقولون درع مسرودة اي مسمورة الحلق وقيل معنى وقدر في السرد عدل
المسمار في الحلقة لا يدق فيكسر او يغلظ فيفصم ذكره مجاهد والحكم واعملوا صالحا
امرهم بان يعملوا الاعمال الحسنة التي ليست قبيحة وما يكون بفعله مطيعا لله اني بما
تعملون بصير اي عالم بما تفعلونه لا يخفى عليه شيء من اعمالكم فالبصير العليم بالامور
بمنزلة ما يرى في غيره بعينه من بعض وكان الكسائي يدغم الفاء في الباء في قوله
ان نشأ نخسف بهم وهذا لا يجوز عند البصريين لان الفاء من باطن الشفة العليا و
اطراف الثنايا العليا والباء تخرج من بين الشفتين ولان الفاء فيه تفش فاذا ادغم
في الباء بطل وايضا هو من مخرج الثاء فكما لا يجوز ادغامه في الثاء فكذلك لا يجوز
ادغامه في الباء ولجاز ذلك العكس واما ادغام الباء في الفاء فلا خلاف فيه
قوله تبارك وتعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر
واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن
امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان
كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور
فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت
الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين لقد كان لسبإ في مساكنهم

آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور
اربع آيات قرا نافع وابو عمرو منساته بلا همز الباقون منسأته بالهمز وقرا الكسائي
وحده مسكنهم بكسر الكاف وقرا حمزة وحفص بفتحها الباقون مساكنهم على الجمع بنصب الريح في
قوله ولسليمان الريح اي اضافه الملك بتقدير كيف شاء وقوله غدوها شهر ورواحها
شهر قال قتادة كان مسيرها الى انتصاف النهار مقدار مسيرة شهر ورواحها
من انتصاف النهار الى الليل مقدار شهر وقال الحسن كان يغدو من الشام بيت
المقدس فيقيل باصطخر من ارض اصبهان ويروح منها فيكون بكابل وقوله واسلنا
له عين القطر قال ابن عباس وقتادة اذبنا له النحاس والقطر النحاس ثم قال
ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه اي بامر ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب
السعير يعني عذاب النار يقول زاغ يزيغ زيغا وازاغه اذاغة ثم اخبر تعالى ان الجن
الذين سخرهم لسليمان يعملون له ما يشاء من محاريب قيل معناه شريف البيوت وقال
قتادة قصور ومساجد قال المبرد لا يسمى محرابا الا ما يرتقى اليه بدرج لقوله اذ تسوروا
المحراب قال عدي بن زيد (شعر) كدمى العاج في المحاريب او كالبيض في الروض زهره
مستنير وقال وضاح اليمن (شعر) ربة محراب اذا جئتها لم القها او ارتقي سلما (اه)
وتماثيل جمع تمثال وهو الصورة يعني انهم كانوا يعملون له صورة ارادها سليمان وقال
قوم كانوا يعملون له صورة الملائكة وقال آخرون كانوا يعملون صورة السباع والبهائم على
كرسيه لتكون اهيب له فذكر انهم صوروا اسدين وفوق عمودي الكرسي نسرين فكان اذا
اراد صعود الكرسي بسط له الاسد ذراعيه فاذا علا فوق الكرسي نشر النسران جناحيهما
فظللا عليه لئلا يسقط عليه شيء من الشمس ويقال ان ذلك كان مما لا يعرفه احد من
الناس فلما حاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان حين غلب بني اسرائيل لم يعرف
كيف كان يصعد سليمان فرفع الاسد ذراعه فضرب ساقه فقدها فوقع مغشيا عليه فما

جر احد

٢

٣٠

جر احد بعدها يصعد على ذلك الكرسي وجفان كالجواب واحدها جفنة وهي القصعة الكبيرة
كالجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء قال ابو علي النحوي اثبات
الياء مع الالف واللام اجود وحذفها جيد قال الاعشى (شعر) تروح على آل
المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق وقال ابن عباس كالجواب كالحياض وقدور
راسيات يعني ثابتات لا تنزل ثم نادى آل داود وامرهم بالشكر على ما انعم به
عليهم من هذه النعمة العجيبة التي انعم بها عليهم لان نعمة سليمان نعمة عليهم فقال
اعملوا آل داود شكرا ثم قال تعالى وقليل من عبادي الشكور اي من يشكر نعمتي قليل
والاكثر يجحدون نعم الله عليهم به وتركهم معرفته ثم اخبر تعالى انه لما قضى على سليمان
الموت وقدره عليه وقبضه اليه لم يعلموا بذلك من حاله حتى دلهم على موته دابة الارض
وهي الارضة فاكلت عصاه فانكسر فوقع لانه روي انه قبض وهو في الصلاة وكان قال
للجن اعملوا ما دمتم ترونني قائما واتكى على عصاه من وقته وقبضه الله اليه وبقي سنة حتى
لئلا يبطل العمل ويفسد فلما فيعودون يعملون الى ان دبت الارضة فاكلت عصاه فوقع
وخر فعلموا حينئذ بموته وتبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما غاب عنهم من موت
سليمان لم يلبثوا في العذاب الذي انا فيه واحضروا المنساة العصا الكبيرة التي
يسوق بها الراعي غنمه قال ابو عبيدة معنى تبينت الجن ابانت الجن للناس انه لو
كان الجن يعلمون الغيب لما كانوا في العذاب المهين والمنساة اصلها الهمزة من نسأت اي
سقت وقد يترك الهمز قال الشاعر اذا دببت على المنساة من هرم فقد تباعد عنك
اللهو والغزل اي انه ترك همزها كما ترك في البرية وهي من برأ وقيل انه كان متوكيا
على عصاه سنة لا يدري انه مات وقال قوم المعنى فلما تبينت جماعة من عوام الجن
العوام مردتهم ان المتمردين لو علموا الغيب لانهم كانوا يموهون لهم بعلم الغيب وفي
قراءة اهل البيت فلما خر تبينت الانس ان لو كان الجن تعلم الغيب ما لبثوا في العذاب

المهين قالوا لان الجن كانت تعلم انها لا تعلم الغيب قبل ذلك وانما تبينت الانس ذلك
من حال الجن ثم اخبر تعالى فقال لقد كان لسبا في مساكنهم آية اي دلالة وعلامة
فيا قيل انه ابو عرب اليمن كلها وقد تسمى به القبيلة وعن هذه نعم من قرا على التوحيد
فلانه يدل على القليل والكثير ومن جمع اراد المساكن المختلفة والفرق بين فتح الكاف
وكسرها في مسكنهم ان الفتح يفيد المصدر والكسر يفيد الموضع وقد قيل هما لغتان
في الموضع قيل انه لم يكن بينهم شي من هوام الارض نحو البق والبرغوث ولا العقرب
ولا غيره وكان الغريب اذا دخل بلدهم في ثيابه قمل مات هذه آية والثانية ان المراة
كانت تاخذ على راسها مكتلا فتمتلي بالفواكه من غير ان تمس بيدها شيئا وقوله
عن يمين وشمال قيل عن يمين الوادي وشماله ثم فسر الاية فقال جنتان اي هي جنتان
عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم اي قيل لهم كلوا من رزق ربكم الذي رزقكم الله في
هاتين الجنتين فاللفظ لفظ الامر والمراد به الاباحة واشكروا له على هذه النعمة التي
انعم بها عليكم ثم بين ان تلك الجنتين بلدة طيبة التربة وقيل البلدة الطيبة صنعاء
ارضها طيبة ليس فيها سبخة **قوله تبارك وتعالى** فاعرضوا فارسلنا
عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء
من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وجعلنا
بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها
ليالي واياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم
احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور و
لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ۵ خمس آيات ۵
قرا ابو عمرو وحده اكل خمط مضافا والباقون اكل خمط منونا والاختيار عندهم
التنوين لان الاكل نعت الخمط والشيء لا يضاف الى نفسه ومن اضاف قال الخمط

جنس مخصوص من الاكول والاكل اثمار مختلفة فاضيف الى الخمط كما يضاف الانواع
الى الاجناس والخمط ثمر الاراك وهو البرير ايضا واحدها بريرة وبه سميت جارية عائشة
والبرير نحو السواك والاثل شجر واحدها اثلة وقرا اهل الكوفة الا ابا بكر وهل
نجازي بالنون الا الكفور بنصب الراء اضافوا الفعل الى الله تعالى والباقون
بالياء على ما لم يسم فاعله الكفور بالرفع وقرا ابو عمرو وابن كثير بعد بين اسفارنا
بالتشديد من التبعيد والباقون باعد من المباعدة على لفظ الامر الا يعقوب فانه قرا
باعد على لفظ الخبر لانهم لما سالوا ان يبعد الله بينهم ففعل ذلك بينهم جاز حينئذ الاخبار
بانه تعالى فعل ذلك وقرا اهل الكوفة ولقد صدق بالتشديد والباقون بتخفيفها
ثم اخبر الله تعالى عن سبا وهي قبيلة من اليمن انه انعم عليهم بالجنتين وبالبلدة الطيبة
وامرهم بشكر نعمه فاعرضوا عن ذلك فلم يشكروه وكفروه وجحدوه ولم يقبلوا من دعاهم
الى الله من انبيائه ورسله فجازاهم الله على ذلك بان ارسل عليهم سيل العرم وسلبهم تلك
النعمة وانزل عليهم البلية فالسيل الماء الكثير الذي لا يمكن ضبطه ولا دفعه وقيل انه
كانت تجتمع مياه وسيول في هذا الوادي فسدوه بين جبلين بالحجارة والقار وجعلوا
له ابوابا ياخذون منه ما شاؤوا فلما تركوا امر الله بعث عليهم جرذا فنقبه فاغرق
الله عليهم جنتهم فافسد ارضهم وقيل العرم ماء كثير ارسله الله في السد فشقه
وهدمه ۵ قال الراجز ۵ اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغله ۵
وقيل ان العرم المسناة التي تحبس الماء واحدها عرمة وهو ماخوذ من عرامة الماء وهي
ذهابه كل مذهب ۵ قال الاعشى ۵ ففي ذاك للمؤتسي اسوة ومارب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير اذا جاء ماؤهم لم يرم ۵ وقيل كان سببه زيادة الماء حتى غرقوا
وقيل كان سببه نقب جرذ بنى عليهم السكر وقيل العرم السكر وقيل المطر الشديد
قال كثير ابادي سبا يا عز ما كنت بعدكم فلم يحل بالعينين بعدك منظر ۵

وقال لهو من حاذر ووادى ابدى سبا وقال جرير الوارد دون ويم فى ندى سبا
من عض اعناقهم جلد الجواميس ثم قال وبدلناهم بجنتيهم اى فيهما انواع الفواكه والخيرات
جنتين اخراوين وتسميتهما جنتين لازدواج الكلام كما قال ومكروا ومكر الله ويخادعون
الله وهو خادعهم ذواتى اكل خمط والخمط كل نبت قد اخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن
اكله فى قول الزجاج وقال ابو عبيدة هو كل شجر ذى شوك وقال ابن عباس والحسن
هو شجر الاراك وهو معروف والاثل والطرفاء وقال قتادة بدلوا بخير الشجر شر الشجر
الخمط شجر له ثمر مر والاثل ضرب من الخشب شبه الطرفاء الا انه اكبر وقيل الاثل السمر
من سدر قليل ان صاحب الخمط والاثل قليل من السدر ثم قال ذلك جزيناهم بما كفروا اى
نعم الله وهل نجازى هذا الجزاء الا من كفر نعم الله فمن قرأ بالنون فلقوله جزيناهم ولمكان
المسند لان بذلك على ان مرتكب الكبيرة كافر من حيث هو معذب لان الله تعالى بين انه لا
يجازى هذا النوع من العذاب الذى هو الاستيصال الا من كان كافرا وان جاز ان يعذب
الفاسق بغير ذلك من العذاب وقال الفراء المجازاة المكافاة ومن الثواب الجزاء يقول جازاه
على معصيته وجزاه على طاعته وقال غيره لا فرق بينهما ثم بين تعالى انه جعل بين سبأ وبين
القرى التى باركنا فيها قال قتادة ومجاهد هى قرى الشام وقال ابن عباس هى بيت المقدس
قرى ظاهرة قال قتادة معناه متواصلة لانه يظهر الثانى من الاولى لقربها منها وقدرنا
فيها السير معناه جعل بين القرية الاولى وبين الثانية مسيرة يوم لراحة المسافر وقوله
سيروا فيها ليالى واياما امنين لا تخافون جوعا ولا عطشا ولا ظلما من احد كانه قيل
لهم سيروا لكن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا معناه انهم بطروا وملوا النعمة فقالوا لو كانت
جنى ثمارنا ابعد مما هى كان احرى ان نشتهيه كما قالت بنو اسرائيل ادع لنا مما تنبت الارض
من بقلها بدلا من المن والسلوى وظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى فجعلناهم احاديث اى نضرب
بهم المثل فيقال تفرقوا ايادى سبا اى تشتتوا اعظم التشتت قال الشعبى

اما غسان فلحقوا بالشام واما الانصار فلحقوا بيثرب واما خزاعة فلحقوا بتهامة والازد
فلحقوا بعمان وقيل معناه جعلناهم احاديث اى اهلكناهم والهينا الناس حديثهم ليعتبروا
بهم ومزقناهم كل ممزق قال ابن عباس مزقوا بالشام وسبا كل ممزق ثم قال ان
فى ما ذكرناه لآيات ودلالات لكل صبار على الشدائد شكور على النعماء ثم قال
تعالى ان ابليس صدق ظنه فيهم باجابتهم الى معصية الله وقبولهم منه فاتبعوه باجمعهم الا
فريقا من المؤمنين الصادقين بالله وبوحدانيته فى العموم ولم يتبعوه فمن شدد صدق
اسند الفعل الى ابليس وجعل الظن المفعول به لان ابليس لما قال ولامرنهم فليبتكن آذان
الانعام فلما تبعه قومه على ذلك صدق ظنه ومن خفف فالمعنى مثله لانهما لغتان يقال
صدقت زيدا وصدقته وكذبته وكذبته وصدقنى وكذبنى والمرء يقعه
كذابه وقال ابو الهيجاء الحسن نصب ظنه بالرفع جعل الظن الفاعل والحسن المفعول
وكذلك جائز عند النحويين لانهم يقولون صدقنى ظنى وكذبنى الا انه شاذ لا يقرأ به وقيل
ان ابليس لما اغوى آدم قال ذريته اولى بان اغويهم وقال لاحتنكن ذريته الا قليلا
صدق ان ذلك ظنه حتى اتبعوه وقال فبعزتك لاغوينهم اجمعين وكان اجابتهم له تصديقا
لظنه قوله تبارك وتعالى وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شىء حفيظ قل ادعوا الذين
زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض وما لهم
فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع
عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قل من يرزقكم من
السماوات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين قل لا تسألون
عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون خمس آيات بلا خلاف قرأ ابو عمرو وحمزة و
الكسائى وخلف والاعشى والبرجمى والكسائى عن ابى بكر اذن له بضم الهمزة الباقون

بعضها وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع بفتح الفاء والزاي الباقون فزع بضم الفاء وكسر الزاي
فمن فتح الهمزة من اذن معناه اذن الله له ومن ضمها جعله لما لم يسم فاعله يقال اذنت
الرجل بما تفعله اى اعلمته واذنته ايضا واذن زيد الامر واذا استمع اليه ومنه في الحديث
ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن ومثل ذلك القول في فزع عن
قلوبهم وقال ابو الحسن المعنى جلي عنها وقال ابو عبيدة معناه اذهب وقال قوم
الذين فزع عن قلوبهم الملائكة يقال فزع وفزع اذا ازيل الفزع عنها وجاء مثله في افعل
يقولون اشكاه اذا ازال عنه ما يشكوه منه انشد ابو زيد تمد بالاعناق او تلويها
وتشتكي لو اننا نشكيها فكان اشكيت ازالة الشكوى فكذلك فزع وفزع ازالة الفزع
وقال قتادة معنى فزع عن قلوبهم جلي عن قلوبهم قال يوحي الله الى جبرئيل فيفرق
الملائكة ويفزعون من ان يكون شيء من امر الساعة فاذا جلي عن قلوبهم وعلموا ان ذلك
ليس من امر الساعة قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وتقديره
قالوا قال الحق من قرأ بفتح الفاء اسند الفعل الى الله ومن ضمها بنى الفعل للمفعول
وكان الجار والمجرور في موضع رفع وقال الحسن فزع معنى كشف الفزع عن قلوبهم وفرغ
منه والفزع على ضربين احدهما من يحل به الافزاع والثاني من يكشف عنه الفزع
وفزع له معنيان احدهما معنى ذعر والثاني اغاث الفزع قال كلحبة اليربوعي
حللنا الكثيب من زرود لنفزعا اى لنغيث ثم اخبر الله تعالى ان ابليس صدق
ظنه في الكفار باجابتهم له الى ما دعاهم اليه من المعاصي بين انه لم يكن لابليس عليهم
سلطان ومن زائدة تفضل مع النفي وهو قوله ما كان من احد والسلطان الحجة فبين
بهذا ان الشيطان لم يقدر على اكثر من ان يغويهم ويوسوس اليهم ويزين لهم المعاصي
ويحثهم عليها وقوله الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك تقديره انا ما
مكناه من اغوائهم ووسوستهم الا لنميز من يقبل منه وممن يمتنع فنعذب من تابعه

ويجب من خالفه فعبر عن تمييزه بين الفريقين بما اهل وهذا التمييز لانه لا يكون
التمييز ووقوع ما يستحقون به ذلك فاما العلم فالله تعالى عالم باحوالهم وما يكون
منهم فيما لم يزل وقيل ان معناه الا لنعلم طاعاتهم موجودة او عصيانهم ان عصوا فيجازيهم
عليهما لانه تعالى لا يجازي احدا على ما يعلم من حاله الا بعد ان يقع منه ما يستحق به
الثواب او العقاب وقيل معناه الا لنعامل معاملة من كانه لا يعلم وانما يعامل ليعلم من
يؤمن بالاخرة ممن يصدق بها ويعترف ممن هو منها في شك ثم قال وربك
بالمجد على كل شيء حفيظ اى رقيب عالم لا يعزب عنه علم شيء من احوالهم من ايمانهم وكفرهم
وشكهم ثم امر نبيه عليه السلام بان يقول لهؤلاء الكفار ادعوا الذين زعمتم
من دون الله انهم الهة ومعبود هل يجيبون لكم الى ما سألتموهم لانه لا يستحق
العبادة الا من كان قادرا على اجابة من يدعوه ثم اخبر تعالى عنها فقال لا يملكون
مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض وما له يعني وما لله في السماوات والارض
شريك وما له منهم ظهير اى معاون والملك هو القدرة على ما للقادر التصرف
فيه وليس لاحد منعه منه وذلك في الحقيقة لا يستحق الوصف به مطلقا الا الله
لان كل من عداه يجوز ان يمنع على وجه ثم اخبر تعالى فقال ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن الله له في الشفاعة من الملائكة والنبيين والائمة والمؤمنين لانهم كانوا
يقولون بعبادتهم ليقربونا الى الله زلفى فكذبهم الله تعالى وابطل ذلك فقوله
حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ابن عباس وقتادة حتى اذا جلي عنها الفزع كقولك
رغب عنه اى رفعت الرغبة عنه بخلاف رغب فيه فهي في احد الامرين وضع وفي الاخر
دفع وقيل هم الملائكة يلحقهم غشي عند سماع الوحي من الله بالاية العظيمة فاذا فزع
عن قلوبهم اى جلي عنهم قالوا ماذا قال ربكم ذكره ابن مسعود ومسروق وابن عباس
في رواية وقال الحسن حتى اذا كشف عن قلوب المشركين الفزع قالت الملائكة

ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير اي الله تعالى المتعالي
على الاشياء بقدرته المتعالي عن الكان الكبير في اوصافه دون ذاته لان كبر الذات من
صفات الاجسام ثم قال له قل لهم من يرزقكم من السموات والارض فانهم لا يمكنهم
الا ان يقولوا يرزقنا الالهة التي نعبدها فقل لهم عنه ذلك الله الذي يرزقكم ثم قال
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقيل انما قال انا او اياكم على وجه
الانصاف في الحجاج دون الشك كما يقول القايل لغيره احدنا كاذب وان كان عالما بالكاذب
وعلى هذا قال ابو الاسود الدؤلي يمدح اهل البيت ۞ يقول
الارذلون بنو قشير طوال الدهر ما تنسى عليا ۞ بنو عم النبي واقربوه احب الناس كلهم
اليا ۞ فان يك حبهم رشدا اصبه ولست بمخطئ ان كان غيا ۞ ولم يقل هذا مع انه كان
شاكا في حبهم وانه هدى وطاعة وقال اكثر المفسرين معناه انا لعلى هدى وانكم
لعلى ضلال وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو كما قال الاعشى ۞ اثعلبة الفوارس او رياحا
عدلت بهم طهية والخشابا ۞ معنى اثعلبة الفوارس او رياحا ثم قال قل لهم يا محمد
لا تسألون معاشر الكفار عما اجرمنا اي اذنبنا من المعاصي ولا نسأل عن ايضا عما تعملون
انتم بل كل انسان يسأل عما يعمله هو ويجازى على فعله دون فعل غيره ۞ وتقدير قوله
لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يشفع له فزع لشفاعة اذنه حتى اذا فزع عن قلوبهم
وجلي عنها وكشف الفزع عنهم ۞ قالوا ماذا قال ربكم قالت الملائكة قال الحق وهو العلي
الكبير قوله تبارك وتعالى قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح
العليم قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
خمس آيات بلا خلاف ۞ لما امر الله تعالى نبيه ان يخاطب الكفار ويقول لهم ان كل

من انسان يسأل عما يعمله دون ما يعمله غيره قال له ايضا قل لهم يجمع الله بيننا يوم القيامة
ثم يفتح بيننا اي يحكم والفتح الحكم والفتاح الحاكم بالحق لا بالظلم منه ثم قال اروني الذين
الحقتم به شركاء تعتقدونهم معه وتشركونهم في العبادة وعلى وجه التوبيخ لهم فيما
اعتقدوه مع الاشراك مع الله كما يقول القايل لمن افسد عملا ارني ما عملت توبيخا له بما افسده
فانهم سيفتضحون بذلك اذا اشاروا الى الاصنام والاوثان وتضيفها الى الله وتشركون
بينها في العبادة فقال تعالى كلا ومعناها الردع والتنبيه اي ارتدعوا عن هذا القول
وتنبهوا عن ضلالكم بل هو الله الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له العزيز يعني القادر
الذي لا يغالب الحكيم في جميع افعاله وقيل العزيز في انتقامه من كفر به الحكيم في تدبير
خلقه فكيف يكون له شريك في ملكه ثم قال لنبيه عليه السلم وما ارسلناك يا محمد
بالرسالة التي حملناكها الا كافة ومعناه ارسلناك الى الخلق كافة باجمعهم ۞ وقيل
معناه الا مانعا لهم وكافا لهم من الشرك ودخلت الهاء للمبالغة بشيرا لهم بالجنة اي مبشرا
بها ونذيرا اي مخوفا بالنار ولكن اكثرهم الناس لا يعلمون صدق قولك وانا ارسلناك
اليهم لتفريطهم في النظر في معجزك ثم حكى عن الكفار انهم يستبطئون العذاب الذي
يخوفهم به النبي عليه السلام والمؤمنون فانهم كانوا يقولون لتوهمهم نزول العذاب عليهم فيقولون
متى هذا الوعد الذي تعدنا به ان كنتم صادقين فيما تقولونه معاشر المؤمنين ثم امر
ان تقول لهم في الجواب عن ذلك ميعاد يوم ينزل عليكم ما وعدتم به من الثواب والعقاب
لا تستأخرون عنه ساعة اي لا يؤخرون عن ذلك اليوم لحظة ولا يتقدمون عليه وهو يوم
القيامة قوله تبارك وتعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن
ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم
الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد

اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل
والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما رأوا
العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون
وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون و
قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ٥ حكى آيات بلا خلاف
حكى الله تعالى عن الكفار انهم يقولون لن نصدق هذا القرآن الذي انزل عليك ونذ
انه من عند الله ولا بالذي بين يدي القرآن من امر الاخرة والنشأة الثانية ويجحدوا ان
يكون القرآن من الله او ان يكون لما دل عليه من الاعادة والجزاء حقيقة وقيل معناه الكتب
التي قبله من التوراة والانجيل وغيرهما ثم قال ولو ترى يا محمد اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول اي يرد بعضهم على بعض يقول الذين
استضعفوا للذين استكبروا وقيل كانوا رؤساء الضلال يأمرونا الاتباع بعبادة الاوثان
لضعفهم عن استخراج صواب الرأي عند انفسهم فالاستضعاف طلب الضعف بكل شيء
غالبا عنه بما يقتضي ضعفه يقال قد استضعفه والاستكبار طلب الكبر بغير حق فكانوا
يعطون هاولاء الكفار بالجهل الذي ضموا عليه وصاروا رؤساء منه ليصفهم به
لولا انتم لكنا مؤمنين لكن سببكم يمنع منها ولولا اذا اخبر واحد طغم فقد صدقوا
كانهم قالوا فيما بعد لانه هكذا يقتضي ظاهر خبرهم كما اذا اخبر وانما يفعلون في المستقبل
فهو اخبار عن عزمهم ولو كان كذبا لحكى الله ذلك واتبعه بما يدل على انكاره كما قال
انظر كيف كذبوا على انفسهم ثم حكى ما اجابهم به المستكبرون فانهم يقولون في جوابهم
انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم منكرين عليهم قولهم انهم منعوهم من الايمان
بعد بيان الحق فيه وليس الامر على ما يقولونه بل كنتم انتم المجرمون ثم حكى
تعالى ما يقول الذين استضعفوا فانهم يقولون بل مكر الليل والنهار ومعناه مكركم

في الليل والنهار في قول الحسن كما قال الشاعر ٥ لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت
وما ليل المطي بنائم اي بنائم فيه وقيل كان الليل والنهار يكران طول السلامة فيمنعا
المترف المنعم البطر بالنعمة اذ تأمروننا اي حين تأمروننا ان نجحد الله ونكفر به ونجعل
له اندادا اي امثالا في العبادة واسروا الندامة اي اخفوا الندامة بينهم حين
رأوا العذاب نزل بهم ولام بعضهم بعضا وقال الجبائي معناه اظهروا الندامة
قال وهذا غلط وهو غلط لان لفظة الاخفاء هي المشتركة دون لفظ الاسرار
فحمل احدهما على الاخر قياس في اللغة وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا
الاغلال جمع غل والله تعالى يجعل الغل في رقاب الكفار عقوبة لهم ثم قال موبخا
لهم هل يجزون هاولاء الا ما كانوا يعملون اي يجزون ويفعل بهم الا ما استحقوا فهم لا يجازون
فلفظه لفظ الاستفهام والمراد به النفي فكأنه قال يجزون الا على قدر اعمالهم التي
عملوها ثم اخبر تعالى انه لم يرسل في قرية نذيرا اي مخوفا بالله ومعاصيه الا اذا سمع
اهلها المترفون منهم المنعمون انا بما ارسلتم به كافرون اي جاحدون ثم حكى
ما قالوه من انا نحن اكثر اموالا واولادا منكم وما نحن بمعذبين على ما تقولونه لانه لو اراد
عقابنا لما انعم علينا في الدنيا وجعلنا اغنياء وجعلكم فقراء فقال الله تعالى
رادا عليهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر **قوله تعالى**
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما
اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك
لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا معاجزين
اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم يحشرهم جميعا
ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ٥ حكى آيات بلا خلاف

تا احرزه وحده وهم في الغرفات آمنون لقوله تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا
ذي الجنة غرفات وعرف عنها ان العرب تجتزي بالواحد عن الجماعة اذا كان اسم جنس
كما قالوا اهلك الناس الدينار والدرهم الباقون على الجمع غرفات على وزن ظلمات
وعجبهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف ثم حكى الله تعالى عن
الكفار انهم قالوا ان الله لا يعذبنا على ما تقولون لانه اعطانا في دار الدنيا ولم
يجعلنا فقراء فكذلك لا يعذبنا في الآخرة قال الله ردا عليهم قل لهم يا محمد ان ربي
الذي خلقني يبسط الرزق اي يوسع الرزق لمن يشاء على حسب ما يعلم من مصلحته ومصلحة
غيره ويقدر اي يضيق وهو مثل قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
اي يوسع ويضيق ومنه قوله ومن قدر عليه رزقه اي ضيق وعلى هذا يحمل قوله
فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه فبسط الرزق هو الزيادة فيه على قدر الكفاية
والقدر تضييقه عن قدر الكفاية ثم قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما قلناه
لجهلهم بالله وبحكمته ثم قال تعالى لهم وما اموالكم اي ليس اموالكم التي خولتموها
ولا اولادكم التي رزقتموها بالتي تقربكم الى الله زلفى قال الفراء التي يجوز
ان يقع على الاموال والاولاد لان الاولاد يعبر عنها بالتي وقال غيره جاء الخبر
بلفظ احدهما وان دخل فيه الآخر ولو قال باللذين يقربكم كان جائزا وزلفى اي قربى
والمعنى يقربكم الى الله تعالى افعالكم الجميلة وطاعاتكم الحسنة ثم قال الا من آمن
وعمل صالحا معناه لكن من آمن بالله وعرفه وصدق نبيه وعمل الطاعات التي امر
بها وانتهى عن القبايح التي نهاه عنها فان لهم جزاء الضعف بما عملوا ومعناه ان الله تعالى
يجازيهم اضعاف ما عملوا فانه يعطي بالواحد عشرة والضعف من الاضعاف لانه اسم جنس
يدل على القليل والكثير ويجوز في اعراب جزاء اربعة اوجه الرفع والنصب والتنوين
وتركه وفي الضعف ثلثة اوجه الجر والنصب والرفع الا ان القراءة بوجه واحد وهو

رفع جزاء على الاضافة بلا تنوين وجر الضعف بالاضافة اليه ثم قال ان هاؤلاء مع ايمانهم
جزاء الضعف بالمضاعفة اليه ثم بما عملوا وهم في الغرفات جمع غرفة وهي العلالي آمنون
فيها لا يخافون شيئا مما يخاف مثله في دار الدنيا ثم قال والذين يسعون في آياتنا معاجزين
اي سابقين من قرأ معجزين يعني مثبطين غيرهم عن افعال الخير اولئك في العذاب
محضرون اي يحصلون في عذاب النار ثم قال قل ان ربي يبسط الرزق
اي يوسعه لمن يشاء ويضيقه لمن يشاء وانما كرر قوله قل ان ربي يبسط الرزق لاختلاف
الفائدة لان الاول على معنى لان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر من غير ان يعلم
الناس لم فعل ذلك والثاني بمعنى ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر عليه لرق
على ما انفقه منه في ابواب البر فالله يخلف عليه وهو قوله وما انفقتم من شيء
فهو يخلفه اي يعطيكم عوضه وليس المراد انه يخلف في الدنيا على كل حال لان الله
يفعل ذلك بحسب المصلحة يبدله او يثيب عليه وهو تعالى خير الرازقين اي الله تم
خير من يرزق غيره لانه تعالى رزقه السلطان للجند ثم قال ويوم يحشرهم جميعا
يعني يوم القيامة الذي يبعث الله فيه جميع الخلايق ثم يقول للملائكة الذين عبدهم
اياكم كانوا يعبدون على وجه التقريع لهم وان كان بلفظ الاستفهام كما قال
لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقرأ حفص ويوم
يحشرهم ثم يقول بالياء ردا على قوله ان ربي الباقون بالنون على لفظ الجمع
قوله تبارك وتعالى قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا
يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا
ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم
وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا

لجوابين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب
الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير
خمس آيات بلا خلاف لما حكى الله تعالى انه يقول للملائكة اهؤلاء الكفار اياكم
كانوا يعبدون عبادتهم حكى ما تجيب به الملائكة فانهم يقولون سبحانك انت ولينا اي
تنزيها لك عن ان نعبد سواك وتتخذ معك معبود غيرك ويقولون انت الله ولينا
اي ناصرنا واولى بنا من دونهم يعني دون هؤلاء الكفار ودون كل احد وانت
الذي تتولى ذلك دونهم فما كنا نرضى لعبادتهم مع علمنا بانك ربنا وربهم وما امرناهم
بهذا ولا رضينا لهم بذلك بل كانوا يعبدون الجن وقيل كانوا يعبدون الجن
بطاعتهم اياهم فيما يدعونهم اليه من عبادة الملائكة وقيل انهم صوروا لهم صورة
قوم من الجن وقالوا ان هذه صور الملائكة فاعبدوها وهم وان عبدوا الملائكة
فان الملائكة لم يرضوا بعبادتهم اياهم ولا دعوهم اليه والجن دعوهم الى عبادتهم و
رضوا منهم فتوجه الذم الى العابد والمعبود وفي الملائكة لم يتحقق الذم غير العابد
فلذلك اضرب عن ذكر الملائكة ثم حكى تعالى ما يقول تعالى للكفار يوم القيامة
فانه يقول لهم فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ولا يقدر على ذلك ويقول
للذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
اي تجحدونه ولا تعترفون به ثم عاد تعالى الى الحكاية عن حال الكفار في الدنيا
فقال واذا تتلى عليهم آياتنا بينات اي تقرأ عليهم حججا واضحات من القرآن
الذي انزله على نبيه قالوا عند ذلك ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم اي يمنعكم عن
عبادة ما كان يعبده آباؤكم وقالوا ايضا ما هذا القرآن الا افك يعني كذب مخترع
وافتراء وقال الذين كفروا للحق يعني القرآن لما جاءهم ان هذا اي ليس هذا الا سحر مبين
اي ظاهر وانه حيلة خفية توهم المعجز ثم قال وما آتيناهم من كتب يدرسونها

٣٧ يدرسونها قال الحسن معناه ما آتيناهم من كتب قبل هذا الكتاب فصدقوا به وبما فيه
ان هذا كما زعموا وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير ويجوز ان يكون المراد وما ارسلنا اليهم
قبلك باحد من نذير الا وقد فعلوا به وقالوا مثل ما قالوا لك وحذف لدلالة الكلام عليه
ودل عليه بقوله وكذب الذين من قبلهم بما آتاهم الله من الكتب وبعث اليهم من
الرسل وما بلغوا اخاها ولا معشار ما اتينا اولئك الكفار قال الحسن معنى معشار اي عشر
والمعنى ما بلغ الذين ارسل اليهم محمد صلى الله عليه من اهل مكة عشر ما اوتي الامم قبلهم
من القوة والعدة في قول ابن عباس وقتادة فكذبوا بايات الله وجحدوا رسله فكيف
كان نكير اي عقوبتي وتغييري لان الله تعالى اهلكهم واستأصلهم فهو نكير
الله في الدنيا قوله تبارك وتعالى قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا
لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي
عذاب شديد قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء
شهيد قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل
وما يعيد قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه
سميع قريب خمس آيات بلا خلاف هذا امر من الله تعالى لنبيه ان يقول للكفار
انما اعظكم بواحدة والمعنى يكفيني منكم ان يقوم الرجل وحده او هو وغيره ثم
يتسائلان هل جربنا على محمد كذبا ام هل رأينا به جنة فابتغى ان تحذروه ما يلين
القلب للاستجابة الى الحق فالنبي صلى الله عليه اجل واعظم واكبر داع بما اعطاه الله
من الحكمة وقوله مثنى وفرادى معناه ان يقوموا اثنين اثنين وواحدا واحدا ليذكر
احدهما صاحبه فيستعين برايه على هذا الامر ثم يخلو بفكره حتى يكرره حتى يتبين له
الحق من الباطل ومثنى وان لم يكن صفة لما يصلح ان يوصف كما قال تعالى اولي
اجنحة مثنى وثلاث ورباع وهو هاهنا في موضع الحال وقال مجاهد في قوله

اعظكم بواحدة اى بطاعة الله تعالى وقال غيره بواحدة بتوحيد الله خصلة واحدة
تقولوا لا اله الا الله وقوله ثم تتفكروا فى موضع نصب عطفا على ان تقوموا لله وتتفكروا
اى تنظروا و تعتبروا ما بصاحبكم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة اى جنون
لانهم كانوا ينسبونه الى الجنون وحاشاه من ذلك فبين انه ليس الا نذير اى مخوف
من معاصى الله وترك طاعاته بين يدى عذاب شديد يعنى عذاب القيامة ثم قال
لنبيه صلى الله عليه وآله يا محمد قل لهم ما سالتكم من اجر فهو لكم ولبس اجرى الا على الله
والمعنى انى ما طلبت منكم على الرسالة ولا اجرا لنفسى عرضا من اعراض الدنيا بل ثمرة ذلك لكم
وليس اجرى الا على الله وقال ابن عباس من اجر اى من مودة لانه الذى سال
قربى ان تكفوا عن اذاه حتى تبلغ رسالات ربه وهو على كل شئ شهيد اى عالم به ثم قال
ايضا قل لهم يا محمد ان ربى يقذف بالحق اى يلقيه على الباطل كما قال بل نقذف بالحق
على الباطل علام الغيوب وانما رفع لانه بعد تمام الكلام كقوله ان ذلك لحق تخاصم اهل
كان جائزا لكن هذا اجود لانه جاء بعد تمام الكلام كقوله ان ذلك لحق تخاصم اهل
النار والمعنى انه عالم بجميع ما غاب عن جميع الخلائق علمه ثم امره عليه السلم ان يقول لهم قد
جاء الحق يعنى امر الله بالاسلام والتوحيد وما يبدئ الباطل وما يعيد لان الحق اذا جاء
اذهب الباطل فلم يبق له بقية يبدئ شيئا ولا يعيد قال قتادة الباطل ابليس لا يبدئ
للخلق ولا يعيدهم وقيل ان المراد به كل معبود من دون الله هذه الصفة وقال الحسن
وما يبدئ الباطل لاهله خيرا ولا يعيد بخير فى الاخرة ثم قال قل لهم ان ضللت اى عدلت
عن الحق فانما اضل على نفسى لان ضرره يعود على لانى اواخذ به دون غيرى وان
اهتديت الى الحق فبما يوحى الى ربى انه سميع قريب اى يسمع دعاء من يدعوه قريب الى
الاجابة وفى الاية دلالة على فساد قول المجبرة لانه قال ان ضللت فاضاف الضلال
الى نفسه ولم يقل فبقضاء ربى وارادته وقال الزجاج وما يبدئ الباطل اى ما

يبدئ الباطل واى شئ يعيد فلان تكون ما نافية والمعنى وليس يبدئ ابليس شيئا ولا يعيده
قوله تبارك وتعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقالوا
آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب
من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا
فى شك مريب ۵ اربع آيات بلا خلاف قرا حمزة والكسائى وابو عمرو التناوش بالهمز
الباقون بلا همز يقول الله تعالى لنبيه ولو ترى يا محمد اذ فزعوا من العذاب يوم القيامة
فلا فوت اى لا مهرب ولا تفوتونه فالفوت خروج وقت الشئ كفوت الصلاة وفوت
وقت التوبة وفوت عمل اليوم بانقضائه والفزع والجزع والخوف والرعب واحد والفزع تغلغل
فى النفس بحسب اسبابه وقوله واخذوا من مكان قريب قال ابن عباس والضحاك اخذوا
من عذاب الدنيا وقال الحسن حين يخرجون من قبورهم وقيل من بطن الارض الى ظهرها
والمعنى انهم اذا بعثوا من قبورهم لو ترى فزعهم يا محمد حين لا موت ولا ملجأ وجواب لو محذوف
والتقدير لو رايت ما يعتبر به عبرة عظيمة وقوله وقالوا آمنا به اى يقولون ذلك
الوقت آمنا بالله وصدقنا به فقال تعالى وانى لهم التناوش من مكان بعيد قيل معناه
فوتهم تناول التوبة فى الاخرة الى الدنيا والتناوش التناول من قولهم نشته انوشه اذا
تناولته من قريب ۵ قال الشاعر فهى تنوش الحوض نوشا من علا نوشا به تقطع
اجواز الفلا ۵ وتناوش القوم اذا دنا بعضهم الى بعض ولم يلتحم بينهم قتال وقد
همز بعضهم فيجوز ان يكون من النئش وهو الابطاء وانا شه اخذه من مكان بعيد قال
نئشه قال الشاعر ۵ تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى وقد حدثت بعد الامور امور ۵ ولو
وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد معناه كيف تقبل توبتهم او يردون
الى الدنيا وقد كفروا بالله قبل ذلك وهو قوله بالغيب من مكان بعيد يعنى قولهم هو ساحر
وهو شاعر وهو مجنون وقيل هو قولهم لا بعث ولا جنة ولا نار ذكره قتادة وقال البلخى

يجوز ان يكون ارادتهم يفعلون ذلك بحجة داحضة وامر بعيد و قال قوم يقذفون بالظن
ان التوبة تنفعهم يوم القيامة مكان بعيد لان في الفضل الاخرة لا يقبله ثم قال وحيل بينهم
وبين ما يشتهون اى فرق بينهم وبين شهواتهم من قبول توبتهم والعفا لهم الى ثواب الجنة
اوردهم الى دار الدنيا كما فعل مثل ذلك باشياعهم وهو جمع الجمع يقول شيعة وشيع
واشياع ٥ قالـ رَوبة ٥ الخمس حادى الخاموش ٥ ابك ناتى القدر المنوكش
لان اشياعهم ايضا منوا مثل ذلك فحيل بينهم وبين تمنيهم ثم اخبر انهم كانوا في شك من
ذلك في الدنيا مريب الريب اقبح الشك الذى يرتاب به الناس ابو الخالوس يريد الذهب
والحط و قال سعيد بن المسيب او سعيد بن جبير وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا
فوت نزلت في الجيش الذى يخسف بالبيداء بهم فيبقى رجل يخبر الناس بما لقوا رواه حذيفة
عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم سورة الملائكة ٥ وهى مكية في قول
مجاهد وقتادة لا ناسخ فيها ولا منسوخ وقال الحسن الا آيتين قوله تعالى ان الذين
يتلون كتاب الله الى قوله ذلك هو الفضل الكبير وهى خمس واربعون آية
في الكوفى والبصرى والمدنى الاول وفي الاخير ست واربعون آية قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلث
ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شىء قدير ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا ايها الناس
اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو
فانى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور
يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
خمس آيات ٥ قرا حمزة والكسائى هل من خالق غير الله جرا على انه صفة لخالق والباقون

بالرفع على تقدير هل من خالق هو غير الله ويجوز ان يكون التقدير هل غير الله من خالق
ويجوز ان يكون المراد رفعا على موضع من وتقديره هل خالق غير الله ٥ يقول الله تعالى
لنبيه قل يا محمد الحمد لله اى الشكر له على جميع نعمه فاطر السموات والارض اى خالقهما ومبدعهما
والفطر الشق على الشى باظهاره للحس ومعنى فطر السموات والارض خلقهما واظهرهما للحس بعد
ان لم يكونا ظاهرين ٥ وروى عن ابن عباس انه قال ما كنت ادرى ما معنى فاطر السموات
حتى احتكم الى اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها ومن كان خالق
السموات والارض لا يفعل الا ما يستحق به الشكر والحمد لانه حكيم فلا يعدل عما يستحق به
الحمد الى ما لا يستحق به ذلك وقوله جاعل الملائكة رسلا اى جعلهم رسلا بعضهم الى بعض
وبعضهم الى البشر ثم ذكر اوصافهم وهو انهم اولوا اجنحة اى اصحاب اجنحة مثنى وثلث
ورباع اى اثنين اثنين وثلثة ثلثة واربعة اربعة هذه الالفاظ معدولة عن الاثنين
والثلث والاربع وهى صفات فلذلك لم تصرف قال الشاعر
ولكنما اهلى بواد انيسه ذئاب تبغى الناس مثنى وموحد ٥ وانما جعلهم اولى اجنحة
ليتمكنوا بها من العروج الى السماء ومن النزول الى الارض قال قتادة منهم من له جناحان
ومنهم من له ثلثة ومنهم من له اربعة ثم قال يزيد في الخلق ما يشاء قيل حسن الصوت وقيل
من الاجنحة من حيث خلق الملائكة زيادة مما خلق لسائر الحيوان من البشر والانعام فان قيل
الطاير لا يحتاج الى اكثر من جناحين فما معنى خلق الملائكة اولى ثلث واربع قيل يجوز
ان يكون كل جناح يقابله اثنين ويجوز ان يكون الزايد للزينة وقد يكون للملك اجنحة
فيظهرها ثم بين ان الله على كل شى قدير اى لا شى الا وهو تعالى قادر عليه بعينه
وقادر على مثله ثم قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة معنى ما الذى وتقديره
الذى يفتح الله للناس من نعمة ورحمة فلا ممسك لها وما الذى يمسك من نعمة على خلقه
فلا مرسل له من بعد الله وهو العزيز يعنى القادر الذى لا يقهر الحكيم في جميع افعاله

ان الله وان امسك لانه عالم بمصالح خلقه لا يفعل الا ما لهم فيه مصلحة في دينهم او دنياهم ثم خاطب المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم بان خلقكم واوجدكم واحياكم واقدركم وشهاكم وخلق لكم المنافع التي تنتفعون بها هل من خالق غير الله تقرير لهم على انه لا خالق غير الله في السموات والارض يرزقكم من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات لا اله الا هو اي لا معبود يستحق العبادة سواه تعالى فانى تؤفكون اي كيف تقلبون عن طريق الحق الى الضلال وانما قال هل من خالق غير الله فان كان لا حد ما خلق التي لمن هذه الصفة لا يطلق الا عليه تعالى فاما غيره فانما نقيد له وايضا فقد فسرنا اراد وهو انه هل من خالق رازق الخلق من السماء والارض غير الله اي لا خالق يجعل هذه الصفة الا هو وهذا صحيح لانه لا احد يقدر على ان يرزق غيره من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات وانواع الثمار غير الله تعالى ثم قال تعالى تعزية للنبي عليه السلام وتسلية له عن تكذيب قومه اياه وان يكذبوك يا محمد هؤلاء الكفار فقد كذبت رسل من قبلك ارسلهم الله فكذبوهم ولم يقبلوا منهم فلك اسوة بمن كان قبلك والى الله ترجع الامور يعني ترد الامور حيث لا يملك التصرف فيها مطلقا غير الله وهو يوم القيامة ثم خاطب الخلق فقال يا ايها الناس ان وعد الله حق يعني ما وعدهم به من البعث والنشور والجنة والنار صحيح كائن لا محالة فلا تغرنكم الحياة الدنيا فتغترون بملاذها وزينتها وتتركون ما امركم الله به وتركبون ما نهاكم عنه ولا يغرنكم بالله الغرور فالغرور هو الذي عادته ان يغر غيره فالدنيا وزينتها بهذه الصفة لان الخلق يغترون بها وقال الحسن الغرور الشيطان الذي هو المحيل وهو قول مجاهد والرزق يطلق على وجهين احدهما ان الله جعله يصلح الغذاء يغذي به الحيوان والملبس يلبسونه فالعباد من هذا الوجه لا ياكلون ولا ينتفعون الا بما جعله الله رزقا لهم والثاني انه ملكه الله وحكم له انه له فهم يتظالمون فيه ومنه الرزق قوله تبارك وتعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو

٤٠

حزبه ليكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور ... آيات بلا خلاف قرا ابو جعفر فلا تذهب نفسك بضم التاء وكسر الهاء نفسك بنصب السين الباقون بفتح التاء وفتح الهاء ورفع السين يقول الله تعالى مخبرا لخلقه من النبي بان الشيطان عدو لكم فيعدل بكم عن افعال الخير ويدعوكم الى ما فيه الهلكة فالعداوة ضد الولاية ولا يجوز ان يكون احد عدوا من وجه وليا من وجه كما لا يكون موجودا من وجه معدوما من آخر لان الصفتين متنافيتان ثم امرهم بان يتخذوا الشيطان عدوا كما هو عدو لهم ثم بين تعالى ان الشيطان ليس يدعو الا حزبه اي اصحابه وجنده وهم الذين ينقادون منه ويتبعونه وبين انه انما يدعوهم ليكونوا من اصحاب السعير لارتكاب المعاصي والكفر بالله تعالى والسعير النار المسعرة ثم اخبر تعالى ان الذين يكفرون بالله تعالى ويكذبون رسله لهم عذاب شديد جزاء على كفرهم وتكذيبهم وان الذين كانوا مؤمنين ويعملون الافعال الصالحات لهم مغفرة من الله لذنوبهم ولهم ثواب كبير ثم قال تعالى مقررا لهم افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعني الكفار زينت نفوسهم لهم اعمالهم السيئة فتصوروها حسنة او الشيطان اتى بزينتها لهم فيميلهم الى الشبهة وترك النظر في الادلة الدالة على الحق واما الشيطان فاغواهم حتى يتأمل ما فيه اللذة فطرح الكلفة وخيرهم في قوله افمن زين له سوء عمله محذوف وتقديره يتحسر عليه وقيل ان الخبر قوله فان الله يضل الخلق ويهدي من يشاء بموقعه وقيل جواب افمن زين محذوف تقديره كمن علم الحق

من الفرح وعلى باعليه وقيل لمن هداه الله وفى ذلك دلالة على بطلان قول من يقول ان المعارف ضرورية لانه دل على انهم راوا اعمالهم السيئة حسنة وهذا راى خاسد ثم قال لنبيه يا محمد فلا تذهب نفسك عليهم بالحسرات ومن فتح التا جعل الفعل للنفس والحسرة شدة الحزن على ما فات من الامر لان الله عليم بما يصنعون من المعاصى والطاعات فيجازيهم عليهما ثم قال والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا اى تهيجه وتجمعه وتجى به وتحركه فسقناه الى بلد ميت لم يطرحه حدب فيمطر على تلك الارض فيحيا بذلك الماء والمطر والارض بعد موتها بالزرع بعد ان لم يكن فيها زرع ثم قال تعالى كما فعل هذا احيا الارض الجدبة العطشى احياها بالزرع بعد موتها مثل ذلك النشور للخلق بعد موتهم ويحشرهم الى الموقف للجزاء من ثواب وعقاب وقيل ان الله تعالى اذا اراد احيا الخلق امطر السماء اربعين يوما فينبت بذلك الخلق ابانا ثم قال من كان يريد العزة يعنى القدرة على القهر والغلبة فلله العزة جميعا اى له القهر على جميع الاشياء لا يقدر احد ان يمتنع مما يريد فعله به وقيل معناه من كان يريد علم العزة لمن هى فهى لله وقيل معناه من اراد العزة فليطع الله حتى يعزه وقوله اليه يصعد الكلم الطيب قيل معناه انه تعالى يقبله ويثيب عليه وقيل اليه يصعد اى الى حيث لا يملك الحكم فيه الا الله كما قال انى ذاهب الى ربى وقوله والعمل الصالح يرفعه اى يقبله وقيل فى الضمير الذى فى يرفعه ثلثة اوجه احدها يرفع الكلم الطيب من الفعل الثانى يرفعه الكلم الطيب الثالث يرفعه الله ثم قال والذين يمكرون السيئات اى يحتالون لفعل السيئات من الشرك والكبائر وقيل هم اصحاب الربا لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال قتادة معناه مكرهم يفسد وقيل معنى يبور يكسد فلا ينفذ فيما يريدون وقال مجاهد هو ما عمل للرياء فانه يفسد قال ابن الزبعرى يا رسول المليك ان لسانى راتق ما فتقت اذ انا بور قوله تبارك وتعالى والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع

٤١ فيه م

الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز آية سبع آيات فى الكوفى والمدنيين وخمس فى البصرى آية قرا يعقوب ولا ينقص بفتح اليا وضم القاف الباقون على ما لم يسم فاعله وقرا قتيبة والذين يدعون باليا الباقون بالتاء فالاول على الخبر والثانى على الخطاب هذا خطاب من الله تعالى لجميع الخلق من البشر انه خلقهم من تراب والمراد ان آدم الذى هو ابوهم ومنه انسلوا خلقه من تراب فنسبه الى ولده وقيل ان المراد جميع الخلق لانهم اذا خلقهم من نطفة فالنطفة تستحيل من الغذاء والغذاء يستحيل من التراب فكانه خلقهم من تراب ثم جعل التراب نطفة بتدريج وعلى الاول يكون قوله ثم من نطفة معناه ثم خلق اولاد آدم من نطفة الا من استثناه من عيسى فى قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقوله ثم جعلكم ازواجا اى اشكالا لان الزوج هو الذى معه آخر من شكله فالاثنان زوجان وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه معناه ليس تحمل الانثى من حمل بولد ولا نطفة لتمام او لغير تمام الا والله تعالى عالم به لان علمه آله فى ذلك ولا يدل ذلك على ان له علما لمكان الواو لما ذكرناه من انه لا يحصل شى من ذلك الا وهو عالم به وقوله وما يعمر من معمر فالتعمير مد الاجل للحياة وهو تفضل من الله تعالى على خلقه يختلف مقداره بحسب ما يعلمه من

مصالح خلقه كما يختلف الغنى والفقر والقوة والضعف والعمر ليس بطول عمر احد ولا
ينقص من عمره بان يذهب بعضه بمضى الليل والنهار الا وذلك فى الكتاب المحفوظ
اثبته الله قبل كونه وقال الحسن والضحاك وابن زيد معنى ولا ينقص من عمره بنقص
ما ينقص منه وقال الفراء هو كقولك عندى درهم ونصفه اى ومثل نصف الدرهم
من غيره ثم قال ان ذلك على الله يسير يعنى تعمير من يعمر ونقصان من ينقصه واثبات
ذلك فى الكتاب سهل على الله غير متعذر ثم قال تعالى وما يستوى البحران
هذا عذب فرات سائغ شرابه اى مرى شهى وهذا ملح اجاج والفرات اعذب العذب
والاجاج اشد المر والاجاج شئ من لجة النار كانه يحرق بمرارته وقيل اللؤلؤ والمرجان
يخرج من الملح دون العذب وقيل فى الملح عيون عذبة وفيما بينهما يخرج اللؤلؤ ثم قال
ومن كل يعنى البحرين الملح والاجاج تاكلون لحما طريا يعنى سمكا وتستخرجون حلية تلبسونها
من اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك يعنى السفن فيه مواخر اى تشق الماء فى جريها شقا
وقيل معناه انها تذهب وتجئ بلغة قريش وهذيل وقال الحسن يعنى مواقر كقوله الفلك
المشحون لتبتغوا من فضله معناه انه تعالى خلق ذلك لخلقه ليلتمسوا من فضل الله
بركوب البحار فيه والسير فيه طلبا للنافع وما يخرجون منها من انواع الاشياء ولعلكم
لكى تشكروه على نعمه وتحمدوه على فضله ثم قال يولج الليل فى النهار ويولج
النهار فى الليل ومعناه انه ينقص من الليل فى النهار عند منقلب الشتاء وينقص
من النهار فى الليل فى منقلب الصيف وقيل معناه انه يدخل كل واحد منهما على صاحبه
فيتعقبه وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى قدره الله لهما بحسب ما علم من
مصالح خلقه الى الوقت الذى يفنيهما الله فتجرى الشمس من وقت الى برج مخصوص فى اوقات
مخصوصة كل فصل منها نوع آخر من النافع لاختلاف الحال فيه وتجرى القمر بلا على
وتيرة واحدة فيستدل به على الشهور والسنين وذلك يدل على ان مدبره عالم حكيم ثم

٣

قال ذلكم الله ربكم الذى يقدر على تسخير الشمس والقمر وايلاج الليل فى النهار والنهار
فى الليل وخلق البحرين العذب والملح ومنع احدهما ان يختلط بالآخر لا يقدر عليه غيره
والذين تدعون من دونه وتوجهون عبادتكم اليها من الاصنام والاوثان ما يملكون
٤٢ من قطمير وهو قشر النواة فى قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطية فدل على
ان من لا يملك هذا القدر لا يستحق العبادة ولا يكون الها ثم قال ان تدعوهم يعنى هذه
الاصنام لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم لانها جمادات يستحيل ذلك عليها
ولا يقدرون على ضر ولا نفع ويوم القيامة يتبرؤن من الشرك ويوبخونكم على عبادتكم
اياها وقال البلخى يجوز ان يكون المراد به الملائكة وعيسى وقوله لا يسمعوا دعاءكم
اى هم بحيث لا يسمعونه او هم مشتغلون عنكم لا يلتفتون اليهم ولا يصغون اليه ويجوز
ان يكون المراد بها الاصنام ويكون ما يظهر من بطلان ما ظنوه كفرا بشرككم وجعله
وهو كقولهم سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان لم يجبك
جوابا اجابتك اعتبارا ولا ينبئك بالحق بالشئ على حقيقته الا خبير عالم بما اخبر وهو الله
تعالى عالم بالاشياء على حقائقها ثم قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله اى
محتاجون اليه والله هو الغنى عن جميع المخلوقات لا تجوز عليه الحاجة لانه ليس بجسم
والحاجة من صفة الاجسام الحميد معنى المحمود المستحق للحمد على جميع افعال الله تعالى
لا يفعل الا ما يستحق به حمدا ثم اخبر تعالى عن قدرته فقال ان يشأ يذهبكم معاشر الخلق
ويفنيكم ويأت بخلق آخر جديد وهو ما كان قريب العهد بانقطاع العمل عنه واصله
القطع من جده يجده جدا اذا قطعه والجدة ابواب لانقطاعه من الكلال بالحبت
والمد الذى فيه يقطع اولا او لا من غير تغيير وما ذلك على الله بعزيز اى
ممتنع والعزيز الممتنع بوجه من الوجوه التى يتعذر معها الفعل قوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان

وَاقُوْلِي اِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَمَنْ تَزَكّٰى فَاِنَّمَا يَتَزَكّٰى
لِنَفْسِهٖ وَاِلَى اللّٰهِ الْمَصِيْرُ وَمَا يَسْتَوِى الْاَعْمٰى وَالْبَصِيْرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّوْرُ وَلَا
الظِّلُّ وَلَا الْحَرُوْرُ وَمَا يَسْتَوِى الْاَحْيَاۤءُ وَلَا الْاَمْوَاتُ اِنَّ اللّٰهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاۤءُ وَمَا اَنْتَ
بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُوْرِ ٥ حتى ايات فى الكوفة والمدنيين خاصة وثلث ايات
فى البصرى المصير والحرور والقبور بقولــه الله تعالى خبر اخبر ما يقتضيه حكمه
وعدله انه لا تزر وازرة وزر اخرى ومعناه انه لا تحمل حاملة حمل اخرى من الذنب
والوزر الثقل ومنه الوزير لحمله ثقل الملك بما يحمل من تدبير الملك وتقديره انه لا
يواخذ احد بذنب غيره وانما يواخذ كل مكلف بما يقترفه من الاثم وقوله وان تدع
مثقلة الى حملها لا يحمل منه شى ولو كان ذا قربى معناه وان تدع مثقلة بالاثام غيرها
لحمل عنها بعض الاثم لا يحمل عنها شيا وان كان اقرب الناس اليها وان كان اقرب يتقبل تحملها لما فيه من
مجانبة العدل وهذا فانه له فكل نفس بما كسبت رهينة لا يؤخذ بذنب غيره ولا يوخذ
الا بجنايته وقولــه انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب معناه ليس ينتفع بخوفك
الا الذين يخافون ربهم فى غيبهم وخلواتهم فيجتنبون معاصيه فى سرهم ويصدقون
بالجزاء وقولــه واقاموا الصلاة قال ابو عبيدة مجازه ويقيمون فوقع الماضى موقع
المستقبل والمعنى يديمون فعلها ويقومون بشرائطها وانما عطف الماضى على المستقبل
اشعارا باختلاف المعنى لان الخشية لازمة فى كل وقت والصلاة لها اوقات مخصوصة
واضاف الانذار الى الذين يخشون ربهم من حيث كانوا هم المنتفعين به وان كان النبى
عليه السلم ينذر كل مكلف ثم قال ومن تزكى اى فعل الطاعات وقام بما يجب
عليه من الزكاة وغيرها من الواجبات فانما يتزكى لنفسه لان ثواب ذلك ونفعه عائد
عليه وقوله والى الله المصير معناه يرجع الخلق كلهم الى حيث لا يملك الامر والنهى
الا الله فيجازى كل مكلف على قدر عمله وقولــه وما يستوى الاعمى والبصير

معناه لا يتساوى الاعمى عن طريق الحق والعادل عنها والبصير الذى يهتدى اليها قط
لان الاول يستحق العقاب والثانى يستحق الثواب وكذلك لا تستوى الظلمات ولا النور
معناه لا يستوى المومن والكافر والمطيع والعاصى فشبه الايمان بالنور والكفر بالظلمات
وكذلك لا يستوى الظل ولا الحرور فالظل هو الستر عن موقع الشمس ومنه الظلة
وهى السترة عن موقع الشمس ومنه قولهم ظل يفعل كذا اذا فعل نهارا فى الوقت الذى
تكون فيه للشمس ظل والحرور السموم وهى الريح الحارة فى الشمس وقال الفراء الحرور
تكون بالليل والنهار والسموم لا تكون الا بالنهار وقيل الظلة الجنة والحرور النار
وما يستوى الاحياء ولا الاموات اى هما ايضا لا يتساويان ولا يتماثلان فالاستواء حصول
احد الشيئين على مقدار الاخر ومنه الاستواء فى العود والطريق خلاف الاعوجاج لمره
على مقدار اوله من غير انعدال وهذه الامثال امثال ضربها الله لعباده وعبادة الاوثان
وبين انه كما لا يتماثل هذه الاشياء ولا تتشاكل ولا تتساوى فكذلك عبادة الله لا تشبه
عبادة الاصنام ثم قال ان الله يسمع من يشاء ومعناه ان الله ينفع باسماع ذلك من
يشاء ممن يعلم ان له لطفا يفعله به دون غيره ولست بمسمع من فى القبور اى انك لا تقدر
على نفع الكفار باسماعك اياهم اذا لم يقبلوا كما لا تسمع من فى القبور من الاموات ان انت
الا نذير اى لست الا نذيرا مخوفا فالله شبه الكفار فى تركهم قبول ما يسمعونه وذهابهم
عن تفهمه وتدبره بالموتى كما شبههم بالصم والعمى فقال اصمهم واعمى ابصارهم
ليس انهم كانوا لا يسمعون ولا يعقلون او كان النبى لا ينذرهم لكن على ما بيناه من التشبيه
وقيل فى لا قولان احدهما انها زائدة مؤكدة للنفى الثانى انها باقية لاستواء كل
واحد منهما لصاحبه على التفصيل فمن قال انها زائدة قال فمثل قولهم لا يستوى
زيد ولا عمرو فى هذا المعنى ولا يكون هنا الا زائدة ومن قال ليست زائدة قال تقديره
لا يستوى الاعمى والبصير ولا يساوى البصير الاعمى قوله تبارك وتعالى

ان انت الا نذير انا ارسلناك بالحق بشيرا و نذيرا و ان من امة الا خلا فيها نذير
وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات و بالزبر
و بالكتاب المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ۵ اربع آيات
لما قال الله تعالى لنبيه ان انت الا نذير ومعناه لست الا مخوفا من عقاب الله ومعاصيه
قال انا ارسلناك يا محمد بالحق اى بالدين الصحيح بشيرا اى مبشرا بالجنة و ثواب الله
لمن اطاعه و نذيرا اى مخوفا من عقابه لمن عصاه و ان من امة اى ما من امة فيما مضى الا مضى
فيها مخوف من معاصى الله وقال قوم المعنى الا جعلنا فيها نذيرا منهم و قال آخرون
نذير من غيرهم و هو رسول اليهم كما ارسل نبينا عليه السلام الى العرب والعجم قال
الجبائى فى ذلك دلالة على انه لا امة من المكلفين الا وقد بعث الله اليهم رسولا و انه
اقام الحجة على جميع الامم ثم قال على وجه التسلية له و التعزية عن تكذيب قومه اياه
وان كذبوك يا محمد و لم يصدقوك فى انك نبى من قبل الله فقد كذب الذين
من قبلهم من الكفار انبياء ارسلوا اليهم جاءتهم رسلهم من الله بالبينات اى بالحجج
الواضحات و بالزبر يعنى بالكتب و بالكتاب المنير يعنى لم تأتهم بنوع واحد من الآيات
والادلة الكتاب و انما كرر ذكر الكتاب و عطفه عليه لاختلافه فى الصفتين لان الزبر
الكتابة الثابتة كالنقش فى الحجر ثم بين تعالى ان الكفار لما كذبوا رسل الله الذين جاءوهم
بالبينات و لم يعترفوا بنبوتهم انه اخذهم بالعذاب والعقوبة العاجلة و اهلكهم
و دمر عليهم قوله تبارك و تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها و من الجبال جدد بيض و حمر مختلف الوانها
و غرابيب سود و من الناس و الدواب و الانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى
الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ان الذين يتلون كتاب الله و اقاموا الصلاة
و انفقوا مما رزقناهم سرا و علانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم

٤٤ من فضله انه غفور شكور ۵ اربع آيات بلا خلاف هذا خطاب من الله تعالى لنبيه
عليه السلام و المراد به جميع المكلفين منبها لهم على طريق الاستدلال على وحدانيته و اختصاصه
من الصفات بما لا يختص به سواه بان قال الم تر يا محمد و معناه الم تعلم يا محمد ان الله
انزل من السماء ماء يعنى غيثا و مطرا فاخرجنا به اخبار منه تعالى عن نفسه بنون العظيم
انه اخرج بذلك الماء ثمرات جمع ثمرة و هو ما يجتنى من الشجر مختلفا الوانها منها الاحمر
و الابيض و الاصفر و الاخضر و غير ذلك بل كل الخلاف طعومهما و اراييحها الدالة
الكلام عليه و الاختلاف هو امتناع الشىء من ان يسد مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته و ذلك لا يكون الا
سواء من جميع الوجوه و من الجبال جدد بيض واحد الجدد جدة و هى الطرائق و ما كان فى الجبال
من الطرق تخالف لون الجبل و الجدد الطرائق بيض و حمر مختلف
الوانها و غرابيب سود واحد الغرابيب غربيب و هو الذى لونه كلون الغراب من شدة
سواده و لذلك قال سود لانه دل عليه من هذا الوجه ثم بين بالافصاح انها سود
قال امرؤ القيس كان سراته و جدة متنيه كنائن يجرى فوقهن دليص يعنى بالجدة
الخطة السوداء تكون فى متن الحمار و الكنائن جمع كنانة و الدليص الذى يبرق من الذهب
و الفضة و ما اشبههما فالجدد هى الوان الطرق ثم قال و من الناس ايضا و من الدواب
التى تدب على وجه الارض و الانعام كالخيل و الابل و البقر و الغنم مختلف الوانه ايضا مثل اختلاف الجبال
و الثمار كذلك اى مثل ما قدمنا ذكره ثم قال انما يخشى الله من عباده العلماء و معناه
ليس يخاف الله حق خوفه و لا يحذر معاصيه خوفا من عقابه الا العلماء الذين يعرفونه
حقيقة ذلك فاما الجهال و من لا يعرف الله فلا يخافون مثل ذلك و لان الذين يعرفون العلماء فى
مخافة الله و عقابه و يتفكرون فيما يقتضيهم الى شعره فيه من جميع ما تقدم ذكره ثم اخبر تعالى
فقال ان الله عزيز فى انتقامه من اعدائه غفور لاوليائه و التائبين الراجعين الى طاعته

ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله يعني يقرؤون القرآن و يعملون بما فيه و يقيمون الصلاة
وينفقون في طاعة الله مما رزقهم وما ملكهم التصرف فيه في حال سرهم و في علانيتهم
يرجون في موضع حال اي راجين بذلك تجارة لا تبور اي لا تكسد وقيل لا تفسد يقال
بارت السوق اذا كسدت وبار الطعام و بار الشيء اذا فسد قال الشاعر يا رسول
المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور ثم بين انهم يقصدون بذلك ان يوفيهم الله
اجورهم ما عملوا من الطاعات بالثواب ويزيدهم من فضله زيادة على قدر استحقاقهم له
وعدا ان يعطي بالواحد عشرة انه غفور لعباده ستار لذنوبهم شكور معناه الله يعامل با
لاحسان معاملة الشاكر وقال الجبائي وصفه بانه شكور مجاز لان معناه انه يجازي
على الطاعات قوله تبارك وتعالى والذي اوحينا اليك من الكتاب هو
الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو
الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب و لؤلؤا
ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي
احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب و لا يمسنا فيها لغوب آيات
قرا ابو عمرو يدخلونها بضم الياء على ما لم يسم فاعله ليشاكل قوله يحلون الباقون بفتح الياء
لانهم اذا ادخلوها فقد دخلوها والمعنيان متقاربان يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى
الله عليه واله والذي اوحينا اليك يا محمد وانزلناه عليك من الكتاب يعني القرآن هو الحق
معناه هو الصحيح الذي يعتقده على ما هو به وضد الباطل وهو ما كان معتقده لا على
ما هو به والعقل يدعو الى الحق ويصرف عن الباطل وقوله مصدقا لما بين
يديه معناه مصدقا لما قبله من الكتب بانه جاء موافقا لما بشرت به تلك الكتب من حاله
وحال من اتى به ثم قال ان الله تعالى لعباده لخبير اي عالم بهم بصير باحوالهم لا يخفى عليه

۴۵
شيء منها فيجازيهم على استعمال الحق بالثواب وعلى استعمال الباطل بالنار ثم قال ثم اورثنا
الكتاب يعني القرآن اورثناه من اصطفينا من عبادنا ومعنى الارث انتهاء الحكم اليهم وصيرناها
لهم كما قال تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقيل المراد اورثناهم
الايمان بالكتب السالفة اذ كان الميراث انتقال الشيء من قوم الى قوم والاول اصح و
الاصطفاء الاختيار باخراج الصفوة من العباد فاصطفاه الله المؤمنين على ثلث طبقات
مؤمن ظالم لنفسه يفعل الصغيرة ومقتصد بالطاعات في المرتبة الوسطى وسابق بالخيرات
في الدرجة العليا وهم الذين لم يرتكبوا شيئا من المعاصي وكلا وعد الله الحسنى الذين اصطفاهم
الله واورثهم الكتاب قيل هم الانبياء فمنهم ظالم لنفسه يعني اصحاب الصغائر وقيل
هم اصحاب النار هذا قول من اجاز على الانبياء الصغائر دون الكبائر فاما من
لا يجوز عليهم شيئا من المعاصي اصلا لا صغيرا ولا كبيرا يقول معنى الآية ان الله تعالى اورث
علم الكتاب الذي هو القرآن الذين اصطفاهم واجتباهم واختارهم على جميع الخلق من الانبياء
المعصومين والائمة المنتجبين الذين لا يجوز عليهم الخطاء ولا فعل القبيح لا صغيرا ولا كبيرا
ويكون قوله فمنهم ظالم لنفسه راجعا الى العباد وتقديره فمن عبادنا ظالم لنفسه ومن
عبادنا مقتصد ومن عبادنا سابق بالخيرات لان من اصطفاه الله لا يكون ظالما لنفسه فلا
يجوز ان يرجع الكناية الى الذين اصطفينا وقوله بالخيرات يعني يعلم انه يكون
من اقتصد او ظلم نفسه او سبق بالخيرات ثم قال ذلك هو الفضل الكبير يعني
السبق بالخيرات هو الفضل العظيم الذي لا شيء فوقه وقال ابن عباس الذين اورثهم
الله الكتاب هم امة محمد ورثهم الله كل كتاب انزله وظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب
حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب وبه قال ابن مسعود وكعب الاحبار
وقال الثلث فرق المذكورة في هذه الاية كلهم في الجنة وقال عكرمة عن ابن عباس ان
المصطفين في هذه الاية فالظالم لنفسه هو المنافق والمقتصد والسابق بالخيرات في

الجنة والسابق في النار وقال الحسن ومجاهد السابق بالخيرات من جميع الناس والظالم لنفسه اصحاب المشأمة والمقتصد اصحاب الميمنة من الناس كلهم وهذا مثل ما قلنا من ان الكناية راجعة الى العباد دون المصطفين وقال البلخي الاصطفاء هاهنا التكليف دون الثواب فعلى هذا يجوز ان يرجع الكناية الى المصطفين ثم قال جنات عدن يدخلونها فرفع جنات على تقدير العود كانه قيل ما ذلك العود فقال هي جنات اي جزاء جنات او دخول جنات ويجوز ان يكون مبتدأ من العود كانه قال ذلك جنات اي دخول جنات والجنات هي البساتين التي تحتها الشجر والعدن الاقامة يدخلونها يعني من تقدم ذكرهم من الذين سبقوا بالخيرات والمقتصد يحلون فيها يعني يلبسون فيها الحلي من اساور واساور جمع اسوار ومن قال سوار جمعه على اسورة من ذهب ولؤلؤ من جر ونصب لؤلؤا وهو نافع وعاصم فعلى تقدير ويحلون فيها لؤلؤا ولباسهم فيها حرير معناه ان ما يلبسه اهل الجنة من اللباس ابريسم محض ثم اخبر تعالى عن حال من يدخل الجنة انهم اذا دخلوها قالوا الحمد لله اعترافا بنعمه وشكرا له على ما انعم به عليهم وهو الاعتراف منهم على وجه الالجاء ولهم في ذلك سرور لا على وجه التكليف الذي اذهب عنا الحزن معناه ذهب بالغم عنا بخلاف ما كنا عليه في دار الدنيا وقيل الحزن الذي اصابهم قبل دخول الجنة فانهم يخافون من دخول النار اذا كانوا مستحقين لها فاذا تفضل الله عليهم باسقاط عقابهم وادخلهم الجنة حمدوا الله على ذلك وقيل ما كان يلحقهم في دار الدنيا من انواع الاحزان والاهتمام بامر المعاش والخوف من الموت وغير ذلك ان ربنا لغفور لذنوب عباده واذا تاب شكور لهم على شكرهم لنعمه وقيل ان ما فاته لهم على الشكر لنعمه والقيام بطاعاته جرى مجرى ان شكره لهم وان كان حقيقة لا يجوز عليه تعالى من حيث كان اعترافا بالنعمة ولا يصح عليه تعالى ان يكون منعما عليه ثم وصفوا الله تعالى بما قالوا الذي احلنا دار المقامة يعني دار الاقامة واذا افتحت الميم كان المراد موضع القيام ؎ قال الشاعر

بجهاد

46

يومان يوم مقامات واندية ويوم سير الى الاعداء تأويب من فضله لا يمسنا فيها نصب يعني تعب وقال قتادة معناه وجع ولا يمسنا فيها لغوب يعني اعياء وقيل اللغوب العناء وفيه قوله تعالى وما مسنا من لغوب وقوله بادن وتعالى والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ؏ خمس آيات بلا خلاف ؛ قرأ ابو عمرو وحده يجزى بضم الياء على ما لم يسم فاعله الباقون بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحفص على بينة بالتوحيد لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم الباقون بينات على الجمع لانها مكتوبة في المصاحف بالالف والتاء والبينة والبينات القرآن وفي قوله حتى تأتيهم البينة رسول من الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ويقال بان الشيء وابان اذا تبين هو وابنته وابنته انا وبينته لا غير والبينة وزنها فيعلة فاجتمع ياءان فادغم احدهما في الاخرى لما اخبر الله تعالى عن احوال اهل الجنة وما اعده لاهل الجنة من انواع الثواب اخبر هاهنا عن احوال الكفار وما اعده الله لهم من اليم العقاب فقال والذين كفروا بوحدانية الله وجحدوا نبوة نبيه لهم نار جهنم عقوبة لهم على كفرهم معذبون فيها لا يقضى عليهم فيموتوا اي لا يحكم عليهم بالموت فيموتوا فيستريحوا يقال قضى فلان اذا مات ولا يخفف عنهم من عذابها

معناه ولا يخفف عليهم عذاب النار ولا يهلكون وبمثل هذا العذاب ونظيره نجزي كل كفور
جاحد لوحدانية الله تعالى ومكذب لانبيائه ۞ ثم اخبر تعالى عن حال من هو في النار
فقال وهم يصطرخون فيها اي يتصايحون بالاستغاثة فالاصطراخ الصياح والنداء
بالاستغاثة وهو افتعال من الصياح قلبت التاء طاء لاجل الصاد الساكنة قبلها وانما فعل
ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد بالاستعلاء والاطباق
ويوافق التاء بالمخرج ويقولون ربنا اخرجنا من عذاب النار نعمل صالحا يعني نعمل بالطاعات
والاعمال الصالحات التي تأمرنا بها غير الذي كنا نعمل من المعاصي فيقول الله لهم في جوابهم توبيخا
لهم وانكارا عليهم اولم نعمركم في دار الدنيا وقال ابن عباس ومسروق العمر الذي
ذكره الله اربعون سنة وفي رواية اخرى ستون سنة وهو قول علي عليه السلام ما يتذكر
فيه من تذكر اي عمرناكم مقدارا يمكن ان يتذكر ويعتبر وينظر ويتفكر من يريد ان
يتفكر ويتذكر وجاءكم النذير يعني المخوف من معاصي الله قال ابن زيد يعني به محمدا صلى
الله عليه وقال غيره اراد الشيب وقيل الحمى فذوقوا معاشر الكفار بعقاب كفركم
ومعاصيكم فما للظالمين من نصير اي ليس لمن ظلم وبخس نفسه حقها بارتكاب المعاصي
ناصر يدفع عنه العذاب ثم اخبر تعالى بانه عالم بغيب السموات والارض لا يخفى
عليه شيء مما غاب عن جميع الخلائق عليه انه عليم بذات الصدور ومعناه اتقوا واحذروا
ان تضمروا في انفسكم ما يكرهه تعالى فانه عليم بما في الصدور لا يخفى عليه شيء منها
قوله هو الذي جعلكم خلائف في الارض ومعناه جعلكم معاشر الكفار امة
بعد امة وقرنا بعد قرن وهو قول قتادة فمن كفر اي جحد وحدانيته وانكر نبوة
نبيه فعليه عقاب كفره دون غيره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا اي
لا يزيدهم كفرهم بالله عند الله الا اشد البغض لان المقت اشد البغض ولا يزيدهم
ايضا كفرهم الا خسارا لانهم يخسرون الجنة ويحصل لهم النار بدلا منها وذلك هو الخسران

٤٧

المبين ثم قال سبحانه يخاطبهم ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله قيل معناه
ادعوا شركاءكم في الاموال التي جعلتم لها قسطا من السائبة والوصيلة والانعام
والحرث وهي الاوثان وقيل شركاءكم الذين اشركتموهم في العبادة مع الله اروني
ماذا خلقوا من الارض معناه اي شيء اخترعوه وانشؤوه فدخل عليكم بذلك الشبهة
ام لهم شرك في السموات اي لهم شركة في خلق السموات على وجه المعاونة لله ام آتيناهم
كتابا اي اعطيناهم كتابا امرناهم فيه بما يفعلونه فهم على بينة منه اي من ذلك الكتاب
فان جميع ذلك محال لا يمكنكم ادعاء شيء من ذلك ولا اقامة حجة ولا شبهة عليه
بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا معناه ليس شيء من ذلك لكن ليس يعد
الظالمون انفسهم بعضهم بعضا الا غرورا يغترون به وزورا يعدونه به يقال
غره غرورا اذا اطمعه فيما لا يطمع فيه فان قيل الاية تدل على ان الله تعالى ينفرد
بالخلق دون العباد لانه بين ان من نفى له الخلق فهو الاله قلنا هذا كقوله الهم ارجل
يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها وكذلك لا يجب ان يكون من عمل الاعاجم على انه
بين المراد بالخلق فقال ماذا خلقوا من الارض ولا يقدر على خلق الارض ولا على
شيء منه الا الله تعالى على انا لا نطلق اسم خالق الا على الله تعالى وتقييده في الواحد منا
قوله تبارك وتعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا
ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن
جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا
في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين
فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان
الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله

الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى
فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا ما خمس آيات في الكوفي والمدنيين
وست آيات في البصري عدوا أول الآية إلى قوله أن تزولا ولا آية ولم يعدها الآخرون
لما بين الله تعالى أن الأصنام لا تقدر على شيء ولا لها شرك في شيء من السماوات والأرض
أخبر عن عظيم قدرته وسعة سلطانه فقال إن الله يمسك السموات بأن يسكنها حالا
بعد حال ولا يقدر على تسكينها غيره تعالى لأنه يسكنها بغير عمد فالأرضون ساكنة
بلا عمد والسماوات ساكنة لا ساكنة وهي غير الأفلاك التي تجري فيها النجوم قال عبد الله
بن مسعود إن السماوات لا تدور ولو كانت تدور لكانت قد زالت ومنعهما بهذا التسكين
من أن تزولا عن مواضعهما وتهوي أو تسقط ومعنى أن تزولا أي كراهة أن تزولا وقال
ولئن زالتا معنى لئن الكوفيين معناه لا تزولا وعن مراكزهما الحذف لام ثم قال ولئن زالتا
معنى لئن لو لأن توضع كل واحد منهما مكان الآخر لأنهما يجابان بجواب واحد ومثله ولئن
أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا ومعناه ولو ومعنى ولئن زالتا يعني عن مقرهما إن أمسكهما
من أحد من بعده أي ليس يمسكهما أحد ولا يقدر عليه أحد غيره ثم الله تعالى إنه كان حليما
يعني القادر الذي لا يعاجل أحدا بالعقوبة غفورا أي ستارا لذنوبهم إذا تابوا ينفعهم
فيما على رؤوس الأشهاد والعفو الكثير الغفران لذنوب عباده بالتوبة وبالفضل
لمن شاء منهم ثم حكى عن الكفار أنهم أقسموا بالله يعني حلفوا به جهد أيمانهم أي غاية وسعهم
وطاقتهم لئن جاءهم نذير أي مخوف من جهة الله يخوفهم من معاصيه ليكونن أهدى
إلى اتباعه والقبول من إحدى الأمم الماضية وأسبق إلى اتباعه فلما جاءهم نذير أي محمد
صلى الله عليه جاءهم يخوفهم بالله ما زادهم مجيئه إلا نفورا أي ازدادوا عند مجيئه نفورا
عن الحق وحربا له لأن لا ينفعه زادهم ذلك ثم بين تعالى أنهم ينفرون عن مجيء النبي استكبارا
أي طلبا للكبر والتجبر على غيرهم في الأرض من أن يقروا بالحق ومكر السيء أي حيلة

الأفعال القبيحة والمعاصي لأنهم صدوا بذلك أتباعهم عن اتباع محمد والإيمان به والسيء
الشرك في قول قتادة وأضيف إليه كما قال حق اليقين وفي قراءة عبد الله ومكرا سيئا
وقد سكن حمزة وحده الهمزة الباقون جروها بالإضافة والتسكين لحن عند أهل البصرة من
لا يجوز أن يقرأ وقيل الوجه في تسكين حمزة كثرة الحركات في الكلام كما قال الشاعر
إذا اعوججن قلت صاحب قوم ... فسكن الباء لكثرة الحركات والصحيح الأول لأن مثل
هذا إنما يجوز في ضرورة الشعر قال أبو علي الفارسي يجوز أن يكون أجراه في الوصل مجرى
الوقف وتقديره ومكر المكر السيء فأضيف المصدر إلى صفته المصدر وتقديره ومكروا
المكر السيء بدلالة قوله ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ومعناه لا ينزل جزاء المكر السيء
إلا بمن فعله فهل ينظرون أي فهل ينتظرون إلا سنة الأولين من نزول العقاب
بهم وحلول النقمة عليهم جزاء على كفرهم فإن كانوا ينتظرون ذلك فلن تجد يا محمد والمراد
الكفار لسنة الله تبديلا أي لا يغير الله عادته من عقوبة من جحد ربوبيته ولا تجد لها
بعينها فالتبديل تصيير الشيء مكان غيره والتحويل تصيير الشيء في غير المكان الذي
كان فيه والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان ثم قال أولم يسيروا في الأرض يعني
هؤلاء الكفار الذين أنكروا إهلاك الله الأمم الماضية أما ساروا في الأرض فرأوا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أولئك أشد من هؤلاء قوة ولم يكن الله ليعجزه من
شيء أي لم يكن يفوته شيء في السماوات ولا في الأرض إذ كان عالما بجميع الأشياء قادرا على ما لا
نهاية له ويقدر على أجناس لا يقدرون عليها ثم أخبر تعالى منا على خلقه بتأخير
عقابهم بأن قال ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا أي جزاء على معاصيهم عاجلا ما ترك
على ظهر الأرض من دابة تدب على وجهها ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى يعني إلى الوقت
المعلوم الذي قدره لتعذيبهم فإذا جاء أجلهم يعني الوقت المقدر المعلوم فإن الله تعالى
كان بعباده بصيرا أي عالما بأحوالهم لا يخفى عليه شيء منها فيجازي كل إنسان على قدر فعله

من طاعة او معصية والضمير في قوله على ظهرها عائد الى الارض وان لم يجر لها ذكر لدلالة
الكلام عليه لانه معلوم انهم على ظهر الارض دون غيرها على انه قد تقدم قوله اولم يسيروا
في الارض وقوله ان الله يمسك السموات والارض فيجوز ان يكون الكناية اليها

سورة يس

هي مكية في قول مجاهد وقتادة والحسن وليس فيها ناسخ ولا منسوخ وقال ابن عباس آية
منها مدنية وهي قوله واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله الاية وهي ثلث وثمانون
اية في الكوفي واثنان في البصري والمدنيين قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم
لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم فهم
لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ۝ عشر آيات في الكوفي
وتسع فيما عداه قرا الكسائي بامالة الياء من ياسين وكذلك حمزة الا انه اقل امالة ۝
الباقون بغير امالة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابو بكر عن عاصم تنزيل العزيز
الرحيم بالرفع الباقون بالنصب فمن رفع فعلى تقدير ذلك تنزيل العزيز ومن نصب
فعلى تقدير نزل تنزيل العزيز الرحيم وقرا اهل الكوفة الا ابا بكر سدا بفتح السين
في الموضعين الباقون بضمهما وهما لغتان وقال ابو عمرو ما كان من فعل الله فهو
بالفتح وما كان في العين مضموم فعل الله وعد اهل الكوفة يس آية ولم يعدوا طس
لان طاسين اشبه قابيل وهابيل في الوزن والحروف الصحاح ولا يشبههما ياسين
لان اوله حرف من حروف العلة وليس مثل ذلك في الاسماء المفردة فاشبه الجملة والكلام

التام

التام وشاكل بالمعاينة رؤوس الاي وقد مضى فيما تقدم ان افتتاح اوايل هذه السور بامثال
هذه الحروف الاقوى فيها انها اسماء للسورة وقيل انها اسماء للقرآن وقيل انها حروف اذا اجتمعت
ابانت عن اسم الله تعالى الاعظم وغير ذلك من الاقاويل لا نطول باعادتها وقال الحسن
معناه يا رجل وقال محمد بن الحنفية يس معناه يا انسان يا محمد وروى عن علي عليه السلام انه قال
سماه الله تعالى في القرآن بسبعة اسماء محمد واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله
وقيل معناه بالسريانية يا انسان وقيل معناه يا سيد الاولين والاخرين وقوله
والقرآن الحكيم قسم من الله تعالى بالقرآن وصفه بانه حكيم من حيث ان فيه الحكم فصار
بمنزلة الناطق به بيانا عن الحق الذي يعمل به في الحكمة وقيل تمكن من المعرفة وقيل يكون
ما يدعو الى المعرفة واصل المنع من الخلل والفساد فالمعرفة تدعو الى ما ادى الى الحق
من البرهان والبيان ۝ قال الشاعر ۝ ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم
ان تغضبوا ۝ اي امنعوهم وقيل انما اقسم الله بالقرآن الحكيم لعظم شانه وموضع العبرة به والفائدة
فيه والقسم عليه قوله انك لمن المرسلين اقسم الله تعالى ان النبي عليه السلام ممن ارسله الله
بالنبوة والرسالة وانه على صراط مستقيم وهو طريق الحق المستقيم الذي يؤدي الى الجنة واخفى
النون من ياسين الكسائي وابو بكر عن عاصم الباقون ببيان النون وهو الاجود لان حروف
الهجاء يكون فيها السكت والانقطاع عما بعده ومن قال بالاول قال لان النون والتنوين انما
تظهران عند حروف الحلق وليس هاهنا شي منها وقوله تنزيل العزيز الرحيم من رفع
فعلى تقدير ذلك تنزيل العزيز الرحيم ومن نصب فعلى تقدير نزل تنزيلا وموضع على
صراط مستقيم يجوز ان يكون رفعا على انه خبر ثان كانه قال انك على صراط مستقيم ويجوز
ان يكون نصبا على الحال للارسال كانه قال ارسلوا مستقيما طريقهم وقوله لتنذر قوما
معناه انه انزل القرآن لتخوف به من معاصي الله قوما لم ينذر آباؤهم وقيل اراد به قريشا
انذروا بنبوة محمد وقيل في معناه قولان احدهما قال عكرمة معناه لتنذر قوما مثل

الذي انذر آباؤهم الثاني قال قتادة معناه لتنذر قوما لم ينذر آباؤهم قبلهم يعني في زمان
الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام فهم غافلون عما تضمنه القرآن وعما انذر الله به من نزول
العذاب وتشكل العقلة والسهو فهو ذهاب المعنى عن النفس ومثله النسيان وهو ذهاب
الشيء عن النفس بعد حضوره فيها ثم اخبر تعالى مقسما انه حق القول على اكثرهم اي وجب
باستحقاق العقاب وبادخالهم النار فهم لا يؤمنون لذلك وقد سبق في علم الله ثم اخبر
انه تعالى جعل في اعناقهم اغلالا اي جعل الغل في اذقانهم وهو جمع الذقن وهو مجمع اللحيين
وقيل بايمانهم الى اذقانهم فكنى عنها لانها معلومة وقيل التقدير بالاغلال بالايمان
الى الاذقان فهم مقمحون قال الشاعر وما ادري اذا يممت ارضا اريد الخير ايهما
يليني الخير الذي انا ابتغيه ام الشر الذي لا يأتليني فهم مقمحون فالمقمح الغاض بصره
بعد رفع راسه وقيل هو المقنع وهو الذي يجذب ذقنه حتى يصير في صدره ثم يرفع
والقمح من هذا رفع الشيء الى الفم والبعير القامح هو الذي اذا ورد الماء في الشتاء
رفع راسه وشال به لصبا البرد قال الشاعر ونحن على جوانبها قعود
نغض الطرف كالابل القماح وقيل قد رفعوا رؤوسهم وغضوا ابصارهم ذكره مجاهد
ثم قال وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا معناه سدا عن الحق في قول
مجاهد وقتادة اي على جهة الذم لهم وصفهم بذلك انهم منعوا انفسهم وكذلك ذكر الاغلال
كما قال الافوه الاودي كيف الرشاد اذا ما كنت في نفر لهم عن الرشد اغلال واقياد
وفي تأويل الآيات وجه احسنها انه جعل جهلهم وذهابهم عن معرفة الحق كالقيد
اذا كان المغلول الممنوع من التصرف امامه وورائه ذاهب عما قد منع منه وحيل بينه
وبينه والدليل عليه ان الله تعالى لم يجعل الكافر مغلولا في الحقيقة ولا مسدودا بين
يديه ومن خلفه ولا في عينيه غشاوة وقوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا
كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا فشبهه بمن في اذنه وقر وانما جعلنا التشبيه انه انما يريد

بوصف

بوصف الكفار بالوقر ولكن والغل والسد التشبيه الذي عناه ههنا ولو كان
في اذن الكافر وقر على الحقيقة لم يجز تشبيهه بمن في اذنه وقر وهو كعنق الحمار الجاهل
٥٠ حار ونفور واعا يريدون المبالغة في وصفه بالجهل ومعنى جعلنا اغلالا وجهين
احدهما انه كالشبههم بمن جعله مغلولا مقيدا اجرى على صفة المجعول لانه مشبه
بالمجعول مغلولا مقيدا او الثاني انه اراد البيان عن حاله التي شبه بها المغلول
المقيد كما يقول القايل جعلني فلان حمارا وجعلني ميتا اذا وصفه بالحمارية والموت
وشبهه بالحمار والميت وهذا اوضح والوجه الثاني في تاويل الآيات انه اراد وصف
حالهم في الآخرة لانه تعالى يعذبهم في الاغلال والسلاسل كما قال تعالى خذوه فغلوه
ثم الجحيم صلوه وقال اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في
النار يسجرون وقال في السد الذي جعله لهم فلا يبصرون كما قال يوم
يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا
وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله
العذاب وقال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما فلما كانت هذه حال
الكفار في الآخرة وصف حالهم في الدنيا وقوله فهم مقمحون قد فسر في آية اخرى
وهي قوله مهطعين مقنعي رؤوسهم والاقناع هو رفع الراس واشخاصه فقد
صح بانيانه على الوجهين في الآية وذكر الشيخ رحمه الله وقال الذي
ان ناسا من قريش ائتمروا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاؤوه جعلت ايديهم
الى اعناقهم فلم يستطيعوا ان يبسطوا اليه يدا وقال هم حال الله بينهم وبين ما ارا
دوا فعبر عن ذلك بانه غلت ايديهم وقال البلخي يجوز ان يكون المراد جعلنا في اعناقهم
اغلالا من الآيات والبينات وجعلنا من بين ايديهم ومن خلفهم سدا منها فاغشيناهم
بها وهم مع ذلك لا يبصرون بدليل قوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم

من السائر والحرمين وقرا ابن مسعود وابن عباس انا جعلنا في ايمانهم اغلالا لان الغل
لا يكون في العنق دون اليد ولا في اليد دون العنق والمعنى انا جعلنا في اعناقهم وفي
ايمانهم اغلالا وقوله فهي كناية عن الايدي لا عن الاعناق لان الغل يجعل اليد تلي
الذقن والعنق والعنق هو مقارب الذقن لان الغل يجعل العنق الى الذقن وقرا الحسن
فاعشيناهم بالعين غير المعجمة وهو ما يلحق من ضعف البصر وقيل الاية نزلت في ابي جهل
لما اراد قتل النبي عليه السلام وكان اذا خرج بالليل لا يراه ويحول الله بينه وبينه وقيل
السد فعل الانسان والسد بالضم خلقه الله تعالى فاعشيناهم فهم لا يبصرون اي
حكمنا عليهم بانهم كمن غشي على بصره فهم لا يبصرون لذلك وقيل اغشيناهم بظلمة
الكفر فهم لا يبصرون الهدى وقيل بظلمة الليل فهم لا يبصرون النبي عليه السلم
ثم قال وسواء عليهم ءانذرتهم يا محمد وخوفتهم او لم تخوفهم بالعقاب
فهم لا يؤمنون للعناد وترك الالتفات والفكر فيما جئتهم منه فاستوى عنده
تعالى في تركهم الايمان وعدولهم عنه الى الكفر بسوء اختيارهم قوله تبارك وتعالى
انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم
انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين
واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين
فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر
مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون ١٥ حتى آيات
قرا ابو بكر عن عاصم فعززنا مخففا بمعنى فقهرنا من قولهم من عزيز اي الباقون بالتشديد
بمعنى قوينا الاثنين بثالث معناه لما قال تعالى لنبيه انه سواء الكفار لا يؤمنون
ابدا واخبره بانه سواء عليهم الانذار وترك الانذار بين هاهنا حال من ينتفع بالانذار
وهو من اتبع الذكر لان نفس الانذار قد حصل للجميع واضاف هاهنا الانذار

اتبع

اتبع الذكر لما كانوا هم المنتفعين به كما قال تعالى هدى للمتقين والذكر الذي ذكر ههنا
القرآن في قول قتادة وخشي الرحمن بالغيب قيل في معناه قولان احدهما وخشي الرحمن
وخاف ارتكاب معاصيه في غيبته من الناس والثاني وخشي الرحمن فيما غاب عنه من
امر الاخرة ثم قال لنبيه من هذه صفته فبشره بمغفرة من الله لذنوبه واجر اي ثواب
كريم وهو ما يفعله الله على وجه الاجلال والاكرام وقيل الاجر الكريم الجنة ثم اخبر
تعالى عن نفسه فقال انا نحن نحيي الموتى بعد ان افنيناهم ونكتب ما قدموا من
طاعتهم ومعاصيهم في دار الدنيا وهو قول مجاهد وقتادة وآثارهم وقال
مجاهد يعني خطاهم الى المساجد لان بني سلمة من الانصار شكوا الى رسول الله
بعد منازلهم من المسجد والصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فيهم الاية وقيل
معناه وآثارهم التي تبقى بعدهم ويقتدى بهم فيها ثم قال وكل شيء احصيناه في
امام مبين ومعناه احصينا كل شيء احصيناه في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ والوجه
في احصاء ذلك في امام مبين اعتبار الملائكة به اذا قابلوا به ما يحدث من الامور فكان
فيه دليل على معلومات الله على التفصيل ثم قال لنبيه عليه السلم واضرب
لهم مثلا معناه واذكر لهم مثلا وقيل معناه مثل لهم مثلا من حالهم هؤلاء اضراب
اي امثال وقوله اصحاب القرية قال عكرمة والقراء هي انطاكية اذ جاءها المرسلون
اي حين بعث الله اليهم بالرسل حين ارسل الله تعالى اليهم اثنين يعني رسولين وقال
قوم كانا رسول عيسى من حواريه وقال آخرون كانا رسولين من رسل الله وهو
الظاهر فكذبوهما اي جحدوا نبوتهما فعززهما الله بثالث يعني قويناهما بثالث
وشددنا ظهرهما به في قول مجاهد وابن زيد ومن خفف اراد فغلب الله تعالى
بثالث ارسله اليهم فقالوا لهم يا اهل القرية انا اليكم مرسلون ارسلنا الله اليكم
فقالوا لهم اهل القرية ما انتم الا بشر مثلنا اي لستم الا بشرا مثلنا فلا فضل لكم علينا

الشبهة فاعتقدوا انه من حيث انهم امثالهم في البشرية لا يصلح ان يكونوا رسلا كما لا يصلحون
هم لذلك فما انزل الرحمن من شيء مما تذكرونه وتدعونا اليه ان انتم الا تكذبون
اي ما انتم الا كاذبين على الله فتخرصين عليه في ادعائكم الرسالة وذهب عليهم معنى
اختيارهم على علم على العالمين وانه تعالى علم من حال هؤلاء صلاحهم للرسالة وتحملهم
لاعبائها ولم يعلم ذلك من حالهم بل علم خلاف ذلك **قوله تبارك وتعالى**
قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا
بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم
ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال
يا قوم اتبعوا المرسلين • حتى اناك (؟) لما حكى الله تعالى عن اهل القرية انهم قالوا
للرسل ان انتم الا تكذبون في ادعائكم الرسالة على الله حكى ما اجابهم به الرسل فانهم
قالوا لهم ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ووجه الاحتجاج بذلك انه يلزمهم بقولهم الحذر
من مخالفتهم والنظر في معجزاتهم ليعلموا انهم صادقون على الله ففي ذلك غاية الترهيب
ثم قال الرسل لهم ايضا وما علينا اي ليس لزمنا الا التبليغ المبين والمعنى
انه لو جاءكم رسول غير صادق كان عليه الا البلاغ على حسب ما بلغنا والبلاغ هو النهي (؟)
الى حد يقف عنده بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا فهو بالغ ومنه البلاغة ومثل الابلاغ
الانهاء والايصال والمبين صفة للبلاغ وهو الظاهر الذي لا شبهة فيه فقالوا
لهم في الجواب عن ذلك حين عجزوا عن ايراد شبهة وعدلوا عن النظر في معجزهم انا تطيرنا
بكم اي تشاءمنا بكم فالطير التشاؤم ثم هددوهم فقالوا لئن لم تنتهوا عما تدعونه
من النبوة والرسالة لنرجمنكم بالحجارة في قول قتادة وقال مجاهد معناه لنشتمنكم
فالرجم الرمي بالحجارة يقال رجم يرجم رجما ورجم بالغيب ترجيما وليمسنكم منا عذاب
اليم عند ذلك فقال لهم الرسل طائركم معكم اي الشؤم كله معكم باقامتكم على الكفر

بالله

بالله وقال الفراء معنى طائركم معكم اي اعمالكم في رقابكم تجازون عليها وقال المبرد
معنى طائركم حظكم ونصيبكم من الخير والشر وهو قول ابي عبيدة والطيرة التشاؤم ومنه
قوله عليه السلام لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول ولا طيرة وفلان لا يطير غرابه
وهو مأخوذ من الطائر اذا كان ساكنا وقورا وفلان لا يطور بنا اي لا يقربنا وما في الدار
طوري ولا طوراني اي احد وعدا فلان طوره اذا جاوز قدره وقوله ائن ذكرتم
قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو والمفضل عن عاصم بهمزة بعدها يا وهي همزة بين بين
والباقون بهمزتين بعدها يا وهي محققتين احدهما همزة الاستفهام والاخرى همزة ان
وجواب ائن ذكرتم محذوف وتقديره ائن ذكرتم قلتم هذا القول وقال قوم معناه ائن
ذكرتم طائركم معكم وقوله قوم جملة جزاء منهم خبر معلوم لما كان غير مجزوم اللفظ
وقيل ائن ذكرتم تطيرتم قلتم ما قلتم بل انتم قوم مسرفون على نفوسكم لانكم تجاوزتم حد
العصيان حين كفرتم بالله وتوحيده وقيل كان اسم صاحب يس الذي قتله قومه
حبيب بن موسى حكى الله تعالى انه جاء من اقصى المدينة رجل يسعى اي رجل من ابعد المدينة
جاء يعدو ويسرع فقال يا قوم اتبعوا المرسلين الذين ارسلهم الله اليكم واقروا برسالتهم
وقرأ ابو جعفر ان بفتح الهمزة الثانية وبه قرأ زر بن حبيش فمعناه الان ذكرتم والباقون
بكسرها وقرأ ابو جعفر ذكرتم بتخفيف الكاف وشدد بعدها **قوله تبارك وتعالى**
اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون
أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون
اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت
قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وما انزلنا على قومه من
بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم
خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون ألم

قرأ ابو جعفر ان كانت الا صيحة بالرفع في الموضعين جعلها اسم كان والباقون بالنصب على
الخبر كان لما حكى الله تعالى ما قال لهاولاء الكفار الرجل الذي جاءهم من اقصى
المدينة وامرهم بان يتبعوا الرسل قال لهم ايضا اتبعوا معاشر الكفار من لا يسألكم
اجرا اي لا يطلب الاجر والجزاء والمكافاة على ما يدعوكم اليه ويحثكم عليه وانما يدعوكم
نصيحة لكم وهم مع ذلك مهتدون للطريق الذي سالكون سبيله ثم قال لهم الذي وعظهم
وحثهم على طاعة الله واتباع رسله وما لي لا اعبد الذي فطرني ومعناه وما لي لا اعبد
انا الذي خلقني وابتدأني وانعم علي وهداني واليه ترجعون اي الذي يردون يوم
القيامة اي حيث لا يملك الامر والنهي غيره ثم قال منكرا على قومه عبادتهم غير الله اما
على قولكم من دون الله الذي فطرني وانعم علي آلهة اعبدهم هذه همزة الاستفهام
والمراد بها الانكار لانه لا جواب لها على اصلهم الا ما هو منكر في العقول ثم قال
ان يردن الرحمن بضر ومعناه ان اراد الله اهلاكي او الاضرار بي لا تغني شفاعة هذه
الآلهة شيئا ولا يقدرون على انقاذي من ذلك الضرر ولا يغنون عني شيئا في هذا
الباب واذا كانوا بهذه الصفة كيف يستحقون العبادة ثم قال اني اذا لفي ضلال
مبين معناه اني اذا لو فعلت ما تفعلونه وتدعون اليه من عبادة غير الله لكنت في عدول
عن الحق واضح والوجه في هذا الاحتجاج ان العبادة لا يستحقها الا من انعم باصول النعم
ويفعل من الفضل ما لا يوازيه نعمة منعم فاذا كانت هذه الاصنام لا يصح فيها ذلك
كيف يستحق العبادة ثم قال مخبرا عن نفسه مخاطبا لقومه اني آمنت اي صدقت بربكم
الذي خلقكم واخرجكم من العدم الى الوجود فاسمعوا من هذا القول وقيل انه خاطب
الرسل بهذا القول ليشهدوا له به عند الله وقال ابن مسعود ان قومه لما سمعوا منه
هذا القول وطئوه بارجلهم حتى مات وقال قتادة رجموه حتى قتلوه وقال الحسن
لما اراد القوم ان يقتلوه رفعه الله اليه حيا في الجنة ولا يموت الا بفناء السماء وهلاك

الجنة قال مجاهد مثل ذلك وقال الجنة التي دخلها وجود حلالها وقال قوم انهم قتلوه الا ان
الله احياه وادخله الجنة وقال الحسن من بعده يموت من بعد رفعه وقال غيره من بعد
قتله ثم حكى الله تعالى ما تقول الملائكة لهذا الداعي البشارة له بعد موته وانهم يقولون
له ادخل الجنة مثابا مستحقا للثواب الجزيل على ايمانك بالله فيقول حينئذ يا ليت قومي
يعلمون بما غفر لي ربي من الذنوب وجعلني من المكرمين عنده بهذا الموت تمنى ان يعلم
قومه ما اعطاه الله تعالى فيرغبوا فيه ويؤمنوا به لينالوا مثله والاكرام هو اعطاء المنزلة
الرفيعة على وجه التعظيم والتبجيل وقد قال من اكرمه الله بالرضوان كما قال
تعالى ورضوان من الله اكبر لانه سبب يؤدي الى الجنة ثم حكى تعالى ما انزل بهاؤلاء
الكفار من العذاب والاستيصال فقال وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء
اي كان اهلاكهم عن آخرهم بايسر امر صيحة واحدة حتى هلكوا وخامدين ذكره ابن مسعود
ومعنى خامدين هالكين بتلف انفسهم والمعنى انا لا نستعين على اهلاككم بامثال الجند
من السماء وما كنا منزلين لهم لنهلكهم وما كان هلاكهم الا صيحة واحدة عظيمة حتى
سمعوها هلكوا من عظمها وما تواني في عقابها وقوله يا حسرة على العباد قيل هو الذي
جاء من اقصى المدينة ذكره البلخي وقال غيره معناه يقول بعضهم لبعضهم يا حسرة من
العباد على انفسهم ذكره قتادة ومجاهد والثاني انهم قد حلوا محل من يتحسر عليه قال
ابن عباس معناه يا ويلا للعباد ما ياتيهم من رسول اي ليس ياتيهم رسول من عند الله
الا كانوا به يستهزئون اي يسخرون منه ويهزؤون به والذي حكى الله تعالى عنه
مخاطبة قومه هو من قد مر ذكره حبيب بن مري في اقوال المفسرين قوله تعالى
ألم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وان كل لما
جميع لدينا محضرون وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا
فمنه ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون

ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون ٥ قرأ عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد
الميم الباقون بتخفيفها وقرأ اهل المدينة الميتة بالتشديد يقال لما كان حيا ثم مات ميت
بالتشديد ولما لم يكن حيا بالتخفيف ذكره الفراء وقرأ اهل الكوفة الا حفصا وما عملت بغير
هاء الباقون بالهاء ٥ من قرأ لما بالتخفيف فانه يكون ما في قوله لما صلة موكدة وتكون ان
هي المخففة من الثقيلة وتقديره وان كل لجميع لدينا محضرون ومن قرأ بالتشديد
يحتمل شيئين احدهما ان تكون لما بمعنى الا فتقديره وان كل الا جميع لدينا محضرون
وتكون ان بمعنى الجحد وكانه جحد دخل على جحد فخرج الى معنى الاثبات ومثله في الاستعمال
سالتك لما فعلت الا فعلت والوجه الثاني ان تكون بمعنى لمن ما فحذفت احدى الميمات
لثقل التضعيف كما قال الشاعر ٥ غداة طفت علماء بكر بن وايل وعجنا صدور الخيل
نحو تميم ٥ اراد على الماء فحذف لالتقاء الساكنين واما ما في قوله وما عملت يحتمل ثلثة اوجه
احدها ان يكون بمعنى الجحد وتقديره ليأكلوا من ثمره ولم تعمله ايديهم ويقوي ذلك قوله
افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون والثاني ان يكون بمعنى الذي والثالث
ان يكون ما نوعا بمعنى المصدر فعلى هذا يكون في موضع جر وتقديره ليأكلوا من ثمره
ومن الذي عملته او من عمل ايديهم من انواع الطعوم الذي اتخذوه والذي غرسوه
ومن الذي يطبخونه ويخبزونه ومن اثبت الهاء او حذف فتابع المصحف لان الهاء في
صلة الذي عائدة عليها او على صلتها ومن حذف اختصر لانها المفعول به وكل مفعول
يجوز حذفه كقولنا ما رايت ومن الذي ضربت وما قلى يريد ما قلاك ومثله ومنهم من كلم الله
وكقوله اهذا الذي بعث الله رسولا يريد بعثه الله يقول الله تعالى منبها لكفار
على وجه الاستدلال على قدرته بان يقول الم يروا ومعناه الم يعلم هاولاء الكفار
كم اهلكنا قبلهم من القرون فمعنى كم ها هنا التكثير فعبر بها عن القرون وتقدير
الم يروا كم قرنا اهلكنا قبلهم من القرون وموضع كم نصب بيروا في قول الفراء

مهز

64

وعند البصريين باهلكنا على تقدير القرون اهلكنا او اكثر انهم اليهم لا يرجعون
ونصب انهم لانه مفعول الم يروا وكسره الحسن على نية الاستيناف ووجه الاحتجاج بذلك
هو انه كانه قيل لهم انظروا انهم لا يرجعون فانكم تجدون ذلك لانهم في قبضة مالكهم يردهم
الى الآخرة اذا شاء ردهم لانه لا يخلو اهلاكهم اما بالاتفاق من غير اضافة او بالطبيعة او
بقادر ولو كان بالاتفاق او بالطبيعة لم يمتنع ان يرجعوا الى الدنيا فاذا بطل ذلك
ثبت ان اهلاكهم بقادر اذا شاء ردهم واذا شاء لم يردهم ووجه التذكير بذكر
للهالكين انكم ستصيرون الى مثل حالهم فانظروا لانفسكم واحذروا ان ياتيكم
الاهلاك وانتم في غفلة عما يراد بكم والقرون جمع قرن واهل كل عصر يسمى قرنا لاقترانهم
في الوجود والقرن بكسر القاف هو المقاوم في الحرب ومنه قرن الشاة لمقارنة القرن
الاخر وكل ذي قرن وقال قتادة انهم اليهم لا يرجعون عادا وثمود وقرونا بين ذلك
كثيرة ثم قال وما وان كل الذين لا يرجعون كلهم لدينا محضرون يوم القيامة يحضرهم
الله ويبعثهم ليجازيهم على اعمالهم وقوله وآية لهم ذلك اي دلالة وحجة قاطعة الارض
يعني هي الارض الميتة القطعة الجديبة وهي التي لا نبت احييناها بالنبات واخرجنا منها
حبا من انواع ما ياكلون وجعلنا فيها اي وخلقنا في الارض جنات يعني بساتين من
نخيل جمع نخل واعناب جمع عنب وفجرنا في تلك الجنات العيون وهي عيون الماء تنبع
فيها وتجري ثم بين انه انما خلق ذلك ليأكلوا من ثمره اي غرضنا نفعهم بذلك وانتفاعهم
باكل ثمار تلك الجنات ولم تعمل تلك الثمار ايديهم اذا كانت بمعنى النفي واذا كانت
معناها معنى الذي يكون تقديره والذي عملته ايديهم من انواع الاشياء المتخذة من
النخل والعنب وكثرة منافعه وقوله من ثمره رد الكناية الى احدهما كما قال
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وكما قال
الشاعر ٥ نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والامر مختلف ٥ وقوله افلا

يشكرون معناه هلا يشكرونه على هذه النعم التي عددها قوله تبارك وتعالى
سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها
ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم
لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون
حتى آيات قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وروح والقمر قدرناه رفعا على الاستيناف
لان الفعل مشغول بالضمير العائد الى القمر وقال ابو علي الاجود ان يكون
رفعا على تقدير وآية لهم القمر قدرناه لانه اشبه بالجمل قبلها ومن رفعها بالابتداء
جعل لهم صفة النكرة والخبر معنا وتقديره وآية لهم في الشاهدة او الوجود
ويكون قوله الليل نسلخ منه النهار تفسيرا للآية الباقون بالنصب بتقدير فعل مضمر
تفسيره ما بعده وتقديره وقدرنا القمر قدرناه يقول الله تعالى منزها نفسه
معظما لها ودالا بانه هو الذي يستحق الحمد بما به عليه لقوله سبحان الذي اي تنزيها
للذي خلق الازواج كلها اي تعظيما وتنزيها له بجميع ما خلق من الازواج وهي الاشكال
فالحيوان على مشاكلة الذكر للانثى فكذلك النخل والحبوب اشكال والتين والكرم
ونحو اشكال فكذلك قال مما تنبت الارض يعني من سائر النبات ومن انفسهم من الذكر
والانثى ومما لا يعلمون مما لا يشاهدوه ولا يتصل خبرهم ثم قال وآية لهم يعني
دلالة وحجة على صحة ذلك الليل نسلخ منه النهار اي نخرج منه النهار فاذا هم مظلمون
اي داخلون في الظلام بمصاحبة لهم ضياء الشمس فالسلخ اخراج الشيء من لباسه ومنه قوله
فانسلخ منها اي خرج منها خروج الشيء مما لابسه ثم قال والشمس تجري لمستقر
لها آية اخرى وقيل في معنى المستقر ثلثة اقوال احدها لانتهاء امرها عند انقضاء
الدنيا الثاني قال قتادة لوقت واجل لها لا تعدوه ولا تختلف الثالث الى ابعد منازلها

في الغروب وقال المبرد معنى لمستقر لها الى ومن قال الشمس لا تستقر بل تتحرك ابدا
قال معنى لمستقر لها كلما انتهت الى منقلب الصيف عادت في الرجوع واذا بلغت منقلب
الشتاء عادت الى الصعود ثم قال ذلك تقدير العزيز العليم اي قدر الشمس
على ذلك القادر الذي لا يضام العالم بما يفعله ثم قال والقمر قدرناه منازل
فمن رفع عطف على قوله والشمس تجري ومن نصب فلان له فعلا يفسره قوله قدرناه
منازل كل يوم ينزل منزلة غير المنزل الاول لا يختلف حاله الى ان يقطع الفلك حتى عاد
كالعرجون القديم فالعرجون العذق الذي فيه الشماريخ فاذا تقادم عهده حتى يبس
تقوس فشبه الهلال به وقيل ان العذق يصير كذلك في كل ستة اشهر وقيل
في كل سنة اذا جف وتقوس وقال الفراء العرجون ما بين الشماريخ الى المنابت في النخلة
من العذق والقديم الذي اشرف على حول وقوله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر
حتى يكون نقصان ضوئها كنقصان ضوء القمر وقال ابو صالح معناه لا يدرك احدهما ضوء
الآخر وقيل معناه لا الشمس ينبغي ان يدرك القمر في سرعة سيره ولا الليل سابق النهار
اي لا يسبق الليل النهار وقيل ان احدهما لا يذهب الى معنى الآخر وكل على مقادير
قدرها الله عليه ثم قال وكل في فلك يسبحون يعني الشمس والقمر والكواكب
يسبحون في الفلك وانما جمعه بالواو والنون لما اضاف اليها افعال الآدميين وقيل
الفلك مواضع النجوم من الهواء الذي يجري فيه ومعنى يسبحون يسيرون فيه بانبساط وكل
ما ينبسط في شيء فقد سبح فيه ومنه السباحة في الماء قوله تبارك وتعالى
وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون
وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين
واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون حتى آيات
بالاختلاف قرا اهل الكوفة وابن عامر ويعقوب ذرياتهم على الجمع الباقون ذريتهم على

التوحيد، يقول الله تعالى ممتنا على خلقه بضروب نعمه وما لا تحصى من وحدانيته بأن
حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وقيل معنى حملنا ذريتهم اي قوينا بهم وحدنا بهم كما يقول
القايل حملني فلان اذا اعطاه ما يحمل عليه او هداه الى ما يحمل عليه ومن جمع ذرياتهم فلان
كل واحد له ذرية ومن وحد فلانه لفظ جنس يدل على القليل والكثير فالحمل منع
الشي ان يذهب الى جهة الثقل يقال حمله يحمله حملا فهو حامل والشي محمول والذرية
فعلية من الذر وقيل هو مشتق من الذرو والذي هو الخلق وقد بيناه فيما مضى والفلك
السفن لانها تدور في الماء ومنه الفلكة لانها تدور بالمغزل والفلك لانه يدور بالنجوم
وفلك ثدي المرأة اذا استدار والمشحون المملو يقال شحنت الثغر بالرجال اشحنه شحنا
اذا ملأته ومنه الشحنة لانه يملأ بهم البلاد وانما خص الذرية وهم الصبيان والنساء
باللفظ لانه لا قوة لهم على السفر كقوة الرجال فسخر الله لهم السفن بما جعل عليه الماء من
عدل الريح لتمكن الحمل في البحر وجعل الابل في البر وقال قتادة والضحاك المعنى بقوله
وحملنا ذريتهم في الفلك المشحون سفينة نوح وقال ابن عباس المشحون الموقر وقوله
وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال ابن عباس يعني السفن بعد سفينة نوح وفي
رواية اخرى عن ابن عباس وهو قول مجاهد ان المراد به الابل وهي سفن البر وقوله
وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم معناه انا لو شئنا اذا حملناهم في السفن ان نغرقهم فعلنا
فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم ولا صارخ بالاستغاثة، قال الشاعر، ،
كنا اذا ما اتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب، اي لا حين اعانه الاغاثة
في نصرته والظنبوب عظم الساق وقيل معنى الصريخ المغيث عند الصراخ بالاستغاثة فلا
قال لا مغيث لهم يغيثهم عند ذلك ولا ينقذون ولا يخلصون ايضا من الغرق اذا اردناه
وقوله الا رحمة منا معناه الا ان يرحمهم منا ويمتعهم متاعا ويجعل الا لرحمة منا ويكون
مفعولا له الى حين اي الى وقت ما قدرناه لاهلاكهم وينقضي آجالهم ونخليهم في الحال

من اهوال البحر وقوله واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم قال قتادة معناه اتقوا ما بين
ايديكم من عذاب الله لمن خلا قبلكم اتقوا مثله باجتناب معاصيه وما خلفكم من امر
الساعة لكي يرحموا عند ذلك وحذف الجواب كانه اراد قيل لهم هذا اعرضوا وقال
مجاهد معنى ما بين ايديكم هو ما ياتي من الذنوب اجتنبوه في المستقبل وما خلفكم
يعني ما مضى من ذنوبكم بالاقلاع بالتوبة لكي ترحموا قوله تبارك وتعالى
وما ياتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم انفقوا
مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه
ان انتم الا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون ٥ ست آيات بلا خلاف، قرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الخاء وتشديد الصاد
الا ان ابا عمرو يختلس حركة الخاء، وقرأ نافع بفتح الياء وتسكين الخاء وتشديد الصاد
يجمع بين ساكنين ٥ وقرأ ابن عامر وعاصم والكسائي بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد
وقرأ حمزة يخصمون بفتح الياء وتسكين الخاء وتخفيف الصاد فمعنى هذه القراءة وهم
يخصمون غيرهم في دفع النشأة الثانية والقراءتان الاولتان معنى يختصمون
فادغمت التاء في الصاد بعد ان اسكنت فمن اسكن الخاء فلانها في الاصل ساكنة ومن
فتحها نقل حركة التاء اليها ومن كسر الخاء اتبع كسرتها كسرة الصاد وفي القراء من كسر
الياء اتباعا لكسرة الخاء كما قالوا هدى فهو محكي عن ابي بكر يقول الله تعالى
مخبرا عن عنادهم ولجاج الكفار وشدة جهلهم بانهم لا ياتيهم آية اي دلالة وحجة من حجج
الله ومن زايدة في النفي اذا اريد به الاستغراق كقولهم ما جاءني من احد ومعناه ما جاءني
احد ومن الثانية للتبعيض لانه ليس كل آيات الله جاءتهم غير انه تعالى قال لمن ياتيهم آية
اي آية كانت من آيات الله الا كانوا هم الكفار عنها معرضين اي ذاهبين عنها في

وتاركين النظر فيها وكل من اعرض عن الداعي الى كتاب الله الذي نصبه لعباده ليعرفوه
بها فقد ضل عن الهدى وخسر الدنيا والآخرة ثم اخبر تعالى انه اذا قيل لهم ايضا
انفقوا مما رزقكم الله في طاعته واخرجوا ما اوجب الله عليكم في اموالكم من الزكوات
وغيرها وضعوها في مواضعها قال الذين كفروا بوحدانيته وجحدوا ربوبيته
وكذبوا بنبيه انطعم من لو يشاء الله اطعمه احتجاجا منهم في منع الحقوق بان يقولون
كيف نطعم من الله تعالى قادر على اطعامه فلو شاء اطعامه اطعمه فاذا لم يطعمه
دل على انه لم يشاء اطعامه فنحن اذا حق بذلك وذهب عليهم ان الله يتعبدهم بذلك
لما فيه من المصلحة واللطف في فعل الواجبات وترك المقبحات فلذلك كلفهم الله
اطعام غيرهم والرزق هو ما خلق الله تعالى لخلقه لينتفعوا به على وجه لا يكون
لاحد منعه فعلى هذا لا يكون الحرام رزقا فان الله تعالى قد منع منه بالنهي وقد
يسمى رزقا ما يصلح للانتفاع به مجازا فعلى هذا يسمى ما رزقه الله العبد جعل له
الانفاق منه ولا التصرف فيه وعلى الاول وهو الاصح جعل له ذلك ثم قال لنبيه قل
يا محمد ان انتم الا في ضلال مبين اي ليس انتم الا في ذهاب عن الحق وعدول عنه مبين
فعلى هذا هو من قول الله تعالى وقال قوم هو من قول المشركين كانهم لما قالوا انطعم
من لو يشاء الله اطعمه قالوا للرسل ليس انتم الا في ضلال مبين فيما تدعونا اليه ثم اخبر
تعالى عن الكفار انهم يقولون متى هذا الوعد الذي تعدنا به من نزول العذاب
با استهزاء للنبي عليه السلام وللمؤمنين وعجلوا على الله ان كنتم صادقين
فيما تدعونا اليه وتخوفونا منه فقال الله تعالى في جوابهم لا ينظرون اي لا ينتظرون
الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون في هل ينزل العذاب بهم ام لا وانما جعلهم
منتظرين لما قالوا متى هذا الوعد لان من يطلب الوعد يكون منتظرا لما وعد به اي يأخذهم
في حال خصامهم فلا يستطيعون توصية اي لا يقدر بعضهم على ان يوصي الى بعض

ولا

ولا الى اهلهم يرجعون اي لا يردون الى اهلهم فيوصون اليهم والصيحة التي تأخذهم
هي الصيحة الاولى في الدنيا عند قيام الساعة يأتيهم بغتة والرجل يسقي ابله وآخر يبيع
سلعته على عادتهم في تصرفاتهم فاذا اخذتهم وتركت بهم لم يستطيعوا توصية ولم
يرجعوا الى اهلهم العاجلة وروي عن النبي عليه السلام انه قال هي ثلاث نفخات نفخة
الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين قوله تبارك وتعالى
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ
مَرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ
جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى
الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ
وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ عشر آيات قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل خفيفة
الباقون بضم العين مثقلة وهما لغتان قرأ ابو جعفر فكهون بغير الف حيث وقع
وافقه حفص والداجوني عن ابن ذكوان في المطففين وقرأ اهل الكوفة الا عاصما
في ظلل على انه جمع ظلة مثل حلة وحلل وجمة وجمم وقرأ الباقون في ظلال مثل برمة
وبرام وقلة وقلال وقيل هو جمع ظل وظلال وهو الكن كما قال يتفيؤا ظلاله
وقال ابو عبيدة جمع الظل اظلال يقول الله تعالى مخبرا انه اذا نفخ في الصور
وقيل ان الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل فيخرج من جوفه صوت عظيم يميل العباد اليه
لانه كالداعي لهم الى نفسه وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة مثل بسر وبسرة وقيل جمعه
مثل ظلمة وظلم وقرئ الصور بفتح الواو وهو مشتق من الميل صاره يصوره صورا اذا
اماله ومنه قوله فصرهن اليك اي املهن اليك ومنه الصورة لانها تميل الى شكلها

بالمشاركة وقوله فاذا هم من الاجداث وهو جمع جدث وهو القبر فلغة اهل العالية بالثاء
ولغة اهل السافلة بالفاء يقولون جدف الى ربهم ينسلون اى يسرعون فالنسول
الاسراع في الخروج . قال الشاعر عسلان الذيب امسى قاربا برد الليل عليه فنسل
يقال نسل ينسل نسولا . قال امرؤ القيس ، وان تك قد سائتك مني خليقة فسلي
ثيابي من ثيابك تنسل ، وقال قتادة الموت بين النفختين ثم حكى ما تقول الخلايق
اذا حشروا فانهم يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا اى من حشرنا من منامنا الذي
كنا فيه نياما ثم يقولون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيما اخبرونا
من هذا المقام وعن هذا البعث فان قيل هذا ينافي قول المسلمين الذين يقولون الكافر
يعذب في قبره لانه لو كان معذبا لما كان في المنام قيل يحتمل ان يكون العذاب في القبر
ويتصل الى يوم البعث فيكون الموت بين النفختين ويحتمل لو كان متصلا ان يكون ذلك
عبارة عن عظم ما شاهدوه ويحصلون فيه يوم القيامة وكانهم كانوا قبل ذلك في نومة
وان كانوا في عذاب لما كان قليلا بالاضافة الى الحاصل وقال قتادة قوله
هذا ما وعد الرحمن هذا حكاية قول المؤمن وقال ابن زيد والجبائي هو قول الكفار
وهو اشبه بالظاهر لانه تعالى حكى عنهم انهم يقولون يا ويلنا والمؤمن لا يدعو بالويل
لعلمه بما له من نعيم الجنة وقال الفراء هو من قول الملائكة ثم قال تعالى
مخبرا عن سرعة بعثهم وسرعة اجتماعهم ان كانت الا صيحة واحدة والمعنى ليست المدة الا
مثل صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون محصلون ثم حكى تعالى ما يقول عز وجل
يومئذ للخلايق فانه يقول فاليوم لا تظلم نفس شيئا اى لا ينقص من لها حق من حقه
شيئا من ثواب او عوض او غير ذلك ولا يفعل بها ما لا يستحقه من العقاب بل الامور
جارية على العدل ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ومعناه لا تجازى الا ان الاعمل من عمله
ان كان عاملا بالطاعة جوزي بالثواب وان كان عاصيا جوزي بالعقاب على قدر جرمه

من غير

من غير زيادة عليه ثم قال تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل وشغلهم النعيم الذي
يعمهم بسرورهم عن غيره وقال ابن مسعود وابن عباس الشغل كناية عن افتضاض الابكار
وقيل السماع الالحان فاكهون قال ابن عباس معناه فرحين وقال مجاهد معجبون
وقيل ذوو فاكهة كما يقال لاحم شاحم اى ذو لحم وشحم وعاسل ذو عسل وقال
الحطيئة . وغررتني وزعمت انك لابن بالصيف تامر . اى ذو لبن وتمر وقيل
فاكه وفكه مثل حاذر وحذر والفكه الذي يتمزى بالتنى . ثم اخبر عن حال
اهل الجنة فقال هم وازواجهم في ظلال فالازواج جمع زوجة وهي حرة الرجل
التي تحل له وطؤها ويقال المراة زوج ايضا بغير هاء في الموضع الذي لا يلتبس بالذكر
والظلال الستار عن وهج الشمس وسمومها فاهل الجنة في مثل تلك الحال الطيبة
من الظلال التي لا حر فيها ولا برد وقيل الظل الكن وجمعه ظلال وقيل هي
جمع ظلة وظلال مثل قلة وقلال ومن قرا ظلل فعلى وزن ظلة وظلل وقلة وقلل
والارائك جمع اريكة وهي الوسادة وجمعها وسائد ويجمع ايضا ارك كعنق لك سفينة
وسفن وسفاين وهذه حلية الملوك العظام من الناس وقيل الارائك العرش
قال ذو الرمة . خدود جفت في السير حتى كانما باشرن بالمعزاء مس الارائك
وقال عكرمة وقتادة الارائك الحجال على السرر متكئون فمتكى متفعل من موكات الحال
الواو بدلت تاء ثم قال لهم فيها يعني في الجنة فاكهة ولهم ما يدعون اى ما يتمنون
وقال ابو عبيدة تقول العرب ادع على ما شئت اى تمن ما شئت وقيل معناه ان من
ادعى شيئا فهو له بحكم الله تعالى لانه قد هذب طباعهم فلا يدعون الا ما يحسن منهم وقوله
سلام قولا من رب رحيم ومعناه ولهم سلام قولا من رب رحيم بهم يسمعونه من
الله ويؤذن بهم دوام الامن والسلامة مع سبوغ النعمة والكرامة ثم يقول للعصاة
امتازوا اليوم ايها المجرمون ومعناه انفصلوا معاشر العصاة الذين اجترموا وارتكبوا

العاصي من جملة المؤمنين وقال قتادة معناه اعتزلوا معاشر العصاة عن كل خير فقال
يعني انفردوا فيه عيباً واماذا اعتزلوا ثم حكى ما يقول تعالى لهم فانه يقول
لهم الم اعهد اليكم يا بني آدم يعني على لسان انبيائه الا تعبدوا الشيطان فيفعل عبادة
للاوثان بامر الشيطان عبادة له انه لكم عدو اى وصيت لكم ان الشيطان لكم عدو
مبين اى ظاهر العداوة لكم قوله تبارك وتعالى وان اعبدوني
هذا صراط مستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه
جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون قرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي وخلف ورويس جبلا بضم الجيم والباء خفيفة اللام وقرأ نافع وابو جعفر
وعاصم بكسر الجيم والباء مشددة وقرأ ابو عمرو وابن عامر بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة
هذه كلها لغات والمعنى واحد قال التوزي يقال جبلا وجبلا وجبلا وحكى غيره
بالتشديد لما حكى الله تعالى ما يقوله للكفار يوم القيامة ويوافقهم عليه من انه عهد
اليهم الا يعبدوا الشيطان وانه عدوهم حكى انه كان امرهم ايضا بان يعبدوا الله وان
عبادته صراط مستقيم فوصف عبادته تعالى بانه طريق مستقيم من حيث كان طريقا
الى الجنة وانه لا تخليط فيه ولا تعويج ثم قال ولقد اضل منكم يعني اضل عن
الدين الشيطان منكم جبلا كثيرا اى خلقا كثيرا واضلاله اياهم هو اغواؤه لهم كما
اضل السامري قوم موسى لما دعاهم الى عبادة العجل فكان الاضلال على هذا الوجه قبيحا
فاما اضلال الله تعالى للكفار عن طريق الجنة الى طريق النار او اضلالهم بمعنى الحكم
عليهم بالضلال فهو حسن واما الشيطان فالاضلال الذي يقع معه القبول اضلال كما يسمى
الحق بالاهتداء الذي يقع عنده القبول هدى وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة
في ارادة الله لضلالهم لان ذلك اضر عليهم من ارادة الشيطان واشد عليهم في العقاب

العداوة

العداوة قبل ان يكفروا والجبل الجمع الذين جبلوا على خليقة وجبلوا اى طبعوا واصل
الجبل الطبع ومنه جبلت التراب بالماء اذا صيرته طينا يصلح ان يطبع فيه ومنه الجبل
لانه مطبوع على الثبات افلم تكونوا تعقلون انه عدو لكم وتبعدكم عن دين الحق
فتنتهون عنه فهو بصورة الاستفهام ومعناه الانكار عليهم والتبكيت لهم ثم يقول
هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في دار التكليف حاضرة بشاهدونها ادخلوها
اليوم بما كنتم تكفرون معناه الزموا العذاب بها واصل الصلاء اللزوم فمنه
المصلي يعني في اثر السابق للزوم اثره والصلوات مكتنفا ذنب الفرس للزومهما
موضعهما وقوله وصلى على دنها للزومه الدعاء وسمي الصلاة صلاة للزوم
الدعاء فيها وقوله بما كنتم تكفرون اى جزاء على كفركم بالله وجحدكم لوحدانيته
وتكذيبكم انبياءه ثم اخبر تعالى بانه يختم على افواه الكفار يوم القيامة فلا يقدرون
على الكلام والنطق وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
وقيل في معنى شهادة الايدي قولان احدهما ان الله تعالى يجعلها خلقة يمكنها
ان يتكلم وينطق ويعترف بذنوبها والثاني ان يجعل الله فيها كلاما وتنسبه
اليها لما ظهر من جهتها وقال قوم انه يظهر فيها من الامارات ما يدل على ان
اصحابها عصوا بها وجنوا بها اقبح الجنايات فسمى ذلك شهادة كما يقول القائل
عيناك تشهد بسهرك وقال الشاعر امتلأ الحوض وقال قطني مهلا رويدا
قد ملأت بطني وغير ذلك مما قد بيناه فيما تقدم وكل ذلك جائز وقال آخر
وقالت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب قوله تعالى
ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم
على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا
يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر

لمن كان حيا ويحق القول على الكافرين، حتى آيات. قرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتهم
على الجمع الباقون على التوحيد لانه يدل على القليل والكثير وقرأ عاصم وحمزة ننكسه
بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الكاف الباقون بفتح النون الاولى وتخفيف الثانية
وتخفيف الكاف وهما لغتان يقول نكست ونكّست مثل رددت وردّدت غير ان التثقيل
للتكثير والتخفيف يحتمل القليل والكثير وقال ابو عمرو بالتشديد ان يرد الرجل
من ذا الى ذا وبالتخفيف ان يرده الى ارذل العمر ففرق بينهما وقرأ نافع وابو جعفر و
الداجوني عن هشام والنقاش ويعقوب افلا تعقلون بالتاء الباقون بالياء فالاول
على الخطاب والثاني على الخبر عن الغائب وقرأ اهل المدينة وابن عامر لتنذر بالتاء الباقون
بالياء. يقول الله تعالى مخبرا عن قدرته على اهلاك هؤلاء الكفار الذين جحدوا
وحدانيته وعبدوا سواه وجحدوا رسله انا لو نشاء لطمسنا على اعينهم قال
ابن عباس معناه انا لو نشاء اعميناهم عن الهدى وقال الحسن وقتادة معناه لتركناهم عميا
يترددون والطمس محو الشيء حتى يذهب اثره فالطمس على العين كالطمس على الكتاب
ومثله الطمس على المال اذهابه حتى لا يقع عليه ادراك فاستبقوا الصراط معناه و
طلبوا النجاة والسبق اليها ولا بصر لهم فانى يبصرون وقيل معناه فاستبقوا الطريق
المسلك لهم فلم يهتدوا اليها وقال ابن عباس معناه طلبوا طريق الحق وقد عموا عنه
والطمس على العين اذهاب الشق الذي بين الجفنين كما يطمس الريح الاثر يقال اعمى
مطموس وطميس فاستبقوا معناه فابتدروا وهذا بيان من الله انهم في قبضته وهو قادر
على ما يريد بهم فليحذروا تعجيله بهم ثم قال زيادة في التهديد والارهاب ولو نشاء
لمسخناهم على مكانتهم والمسخ قلب الصورة الى خلقة مشوهة كما مسخ قوم قردة
وخنازير والمسخ نهاية التنكيد وقال الحسن وقتادة معناه لمسخناهم على مقعدهم
على ارجلهم والمكانة والمكان واحد ولو فعلنا بهم ذلك لما استطاعوا مضيا اي لما قدروا

ان

٦٠

ان يذهبوا اصلا ولا ان يجيئوا ثم قال ومن نعمره ننكسه في الخلق ومعناه ان من طولنا
عمره يصير بعد القوة الى الضعف وبعد زيادة الحس الى النقصان وبعد الجدة والطراوة
وقيل معناه نضعفه ونرده الى حال الهرم الذي يشبه حال الصبي وعدم الجلد وضعف
القوى ذكره قتادة وقوله افلا يعقلون يعني ما ذكرناه بان يتفكروا فيعرفوا صحة
ما قلناه ثم اخبر تعالى عن نبيه عليه السلام فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له
ومعناه وما علمناه الشعر لانا لو علمناه لدخلت به الشبهة على قوم فيما اتى به من القرآن
انه قدر على ذلك بما في طبعه من الفطنة للشعر وقيل لما لم يعط الله نبيه العلم بالشعر
واسبابه لم يكن قد علمه الشعر لان الذي يعطي فطنة ذلك من يشاء من عباده ثم قال
ان هو الا ذكر وقرآن مبين يعني ليس الذي اتيناه عليه شعرا بل ليس الا ذكر من
الله وقرآن بين واضح ومعناه ذلك وعرضنا لينذر به اي يخوف به من معاصي الله
من كان حيا قيل معناه من كان مؤمنا لان الكافر شبهه ومثله بالاموات في قوله اموات
غير احياء وبقوله قوله ويحق القول على الكافرين ويجوز ان يكون اراد من كان حيا
عاقلا دون من كان جمادا لا يعقل ويحق القول على الكافرين اذا لم يقبلوه وقرأ اهل
فمن قرأ بالتاء وجه الخطاب الى النبي عليه السلم لانه الذي يخوف ومن قرأ بالياء معناه
ان الله يخوفهم ويرهبهم بالقرآن لانه الذي اتاه ويجوز ان يكون القرآن هو الذي
ينذر من حيث يتضمن الانذار قوله تبارك وتعالى اولم يروا انا خلقنا لهم
مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها
يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون واتخذوا من دون الله
آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون
خمس آيات يقول الله تعالى منبها لخلقه على الاستدلال على معرفته فقال اولم يروا
ومعناه اولم يعلموا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما ومعناه انا عملنا من غير ان

ان نكله الى غيرنا فهي بمنزلة ما يعمله العباد بايديهم في انهم يتولوا فعله و لم يكلوه الى غيرهم
وتقديره انا تولينا خلق الانعام منفعة لهم بانفسنا والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر
والغنم فهم لها مالكون معناه لو لم نخلق ذلك لما صح ملكهم لها فذكر الله سبحانه
العباد بهذه الصفة تنبيها على عظيم نعمه على عباده بكل ما ملكهم مما ينتفعون به ليكون
حلال النعم واليد في اللغة على اربعة اقسام احدها الجارحة والثاني النعمة والثالث
القوة والرابع بمعنى تحقيق الاضافة يقول لفلان عندي يد بيضا اي نعمة وتلق قول
باليدين اي بالقوة والقبيل وقول الشاعر دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي
يدي مسور هذا بمعنى تحقيق الاضافة وتقول هذا ما جنت يداك وما كسبت يداك
اي ما كسبت انت وقوله وذللناها لهم فذلل الانعام تسخيرها وتوطئتها بالانقياد
ورفع النفور لان الوحش من الحيوان نفور والانسي منه ذلل بما جعله الله فيه من
الانس والسكون ودفع عنه من الاستيحاش والنفور وفي ذللها ركوبهم ومنها
ياكلون قسم الانعام فان الله تعالى جعل منها ما يركب ومنها ما يذبح وينتفع بلحمه
فيؤكل فالركوب بفتح الراء صفة يقال دابة ركوب اي يصلح للركوب والركوب بضم الراء
مصدر ركب وقرات عائشة فمنها ركوبتهم مثل الحلوبة وقوله ولهم فيها منافع
ومشارب فمن منافعها لبس اصوافها وشرب البانها واكل لحومها وركوب ظهورها
الى غير ذلك من انواع المنافع الكثيرة فيها ثم قال افلا يشكرون الله على هذه النعم
المختلفة المتقنة ثم اخبر عن حال الكفار فقال واتخذوا من دون الله الهة
يعبدونها لكي ينصروهم ثم قال تعالى لا يستطيعون نصرهم يعني هذه الالهة
التي اتخذوها وعبدوها لا تقدر على نصرهم والدفع عنهم ما ينزل بهم من عذاب
الله وهم لهم جند محضرون ومعناه ان هذه الالهة معهم في النار محضرون لان كل حزب
مع ما عبد من الاوثان في النار كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم

الا من استثناه بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون
حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون فاما الاصنام فان الله تعالى يجعلها مع من
عبدها في النار فلا الجند يدفعون عنها الاحراق بالنار ولا هي تدفع عنهم العذاب
وقال قتادة معنى وهم لهم جند محضرون اي وهم يغضبون للاوثان في الدنيا ثم
قوله تبارك وتعالى فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي
خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل
خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون اوليس
الذي خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم
انما اراد شيا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه
ترجعون ثمان آيات قرا رويس يقدر بالياء جعله فعلا مستقبلا وقرا الكسائي
وابن عباس فيكون نصبا عطفا على ان يقول فيكون الباقون بالرفع بتقدير فهو يكون
هذا خطاب من الله تعالى لنبيه عليه السلام على وجه التسلية له عن تكذيب قومه
اياه فقال ولا يحزنك قولهم وضم الياء نافع ويحزن واحزن لغتان والحزن الم
القلب بما يرد عليه مما ينافر الطبع ومثله الغم وضده السرور والفرح والمعنى في صرف
الحزن عن النبي عليه السلام في كفر قومه وهو ان حشر كفرهم عائد عليهم لانهم يعاقبون
به دون غيرهم ثم قال انا نعلم ما يسرون وما يعلنون اي ما يظهرونه وما يبطنونه
فيجازي كلا منهم على قدره لا يخفى عليه شيء منها ثم قال منبها لخلقه على الاستدلال
على صحة الاعادة والنشاة الثانية فقال اولم ير الانسان ومعناه اولم يعلم انا
خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومعناه انا نقلناه من النطفة الى العلقة
ومن العلقة الى المضغة ومن المضغة الى العظم ومن العظم الى ان جعلناه خلقا

١٣

سويا جعلنا فيه الروح واخرجناه من بطن امه وليدا ونقلناه من حال الى حال الى ان
كمل عقله وصار متكلما خصيما عليما بمن قدر على جميع ذلك لا يقدر على الاعادة وهي
اسهل من جميع ذلك ولا يجوز ان يكون خلق الانسان لا خالق له ولا ان يكون واقعا بالطبيعة
لمنافاة حكم الموات في افعاليته فاذا ثبت انه قادر ومن كان كذلك لا يصح منه الفعل ولا ان يكون
كذلك بالاتفاق لان الحدوث لا بد له من محدث قادر واذا كان محكما فلا بد من كونه عالما
وفي الاية دلالة على صحة استعمال النظر لان الله تعالى اقام الحجة على المشركين بقياس
النشاة الثانية على النشاة الاولى وانه يلزم من اقر بالاولى ان يقر بالثانية ثم حكى
عن بعض الكفار انه ضرب لله مثلا ونسي خلقه كيف كان في الابتداء فقال
من يحيي العظام وهي رميم فقال قتادة ومجاهد كان القايل ابي ابن خلف وقال
سعيد بن جبير هو العاص بن وايل السهمي وقال ابن عباس هو عبد الله ابن ابي
سلول وقال الحسن جاء امية الى النبي عليه السلام بعظم قد بلي فقال يا محمد اتزعم
ان الله يبعث هذا بعد ما بلي قال نعم فنزلت الاية والرميم هو البالي فقال الله
تعالى في الرد عليه قل يا محمد لهذا المتعجب من الاعادة يحييها الذي انشاها اول مرة لان
من قدر على اختراعها ابتداء مما يعبر عن صفة القادر فهو على اعادتها قادر لا محالة وهو
بكل شيء عليم اي عالم بكل جنس من اجناس الخلق ثم وصف نفسه فقال الذي جعل
لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون فبين ان من قدر على ان يجعل
في الشجر الاخضر الذي هو في غاية الرطوبة نارا حامية مع تضاد النار للرطوبة حتى اذا
احتاج الانسان حك بعضه ببعض وهو المرخ والعفار وغير ذلك من انواع الشجر
فيخرج منه النار وتنقدح فمن قدر على ذلك لا يقدر على الاعادة ثم نبههم على دليل
اخر فقال اوليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ومعناه من
قدر على اختراع السماوات والارض كيف لا يقدر على امثاله وقد ثبت الان من شان

العور

٦٢

من شان القادر على الشيء ان يكون قادرا على جنس مثله وجنس ضده ودخول الباء في
خبر ليس للتاكيد ومن للنفي ثم قال تعالى مجيبا لهم عن هذا النفي فقال بلى وهو
الخلاق العليم اي هو خالق لذلك عالم بكيفية الاعادة ثم قال تعالى انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى بذلك الاخبار عن تسهيل الفعل عليه وانه اذا
اراد فعل شيء فعله بمنزلة ما يقول للشيء كن فيكون في الحال فهو مثل قول الشاعر
وقالت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب وانما اخبر عن سرعة دمعه
دون ان يكون هناك قول على الحقيقة ولا يجوز فيكون العطف على ان يكون جوابا للامر لان
الفعل واحد وانما ينصب الثاني الذي يجب بوجوب الاول كقولك ائتني فاكرمك
وقال قتادة هذا مثل وليس من كلام العرب شيء هو اخف من ذلك ولا اهون
فامر الله كذلك ثم قال فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ومعناه تنزيها له عما لا
يليق به من نفي قدرته على الاعادة وغير ذلك مما لا يليق به الذي بيده القدرة على ملكوت
كل شيء والملكوت هو الملك وفيه مبالغة واليه ترجعون يوم القيامة بعد ان ردوكم
المحيين لا يملك احد الامر والنهي سواه فيجازيكم على قدر اعمالكم من الطاعات والمعاصي
بالثواب والعقاب سورة الصافات مكية في قول مجاهد وقتادة
والحسن وهي مائة واثنان وثمانون اية في الكوفي والمدنيين واحدى وثمانون
في البصري وليس فيها ناسخ ولا منسوخ قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السماوات
والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من
كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم
عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ٥ عشر ايات بلا خلاف

ادغم ابو عمرو اذا ادرج وحمزة التاء في الصاد والتاء في الزاي والتاء في الذال في قوله
والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا لقرب مخرجهما اذا كانتا من كلمتين
ووافقه حمزة في جميع ذلك الباقون بالاظهار لان قبل التاء حرفا ساكنا وهو الالف
ولان مخارجهما متغايرة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بزينة الكواكب
على الاضافة وهو اضافة الى المفعول به وقيل انه مضاف الى الفاعل والمعنى بزينتها
الكواكب ولذلك كان يجوز ان يقرا برفع الكواكب غير انه لم يقرا به احد وقرا ابو بكر
عن عاصم بزينة منونا الكواكب نصبا على المعنى بان زينا الكواكب الباقون بزينة
منونا الكواكب خفضا على البدل وهو بدل الشيء من غيره وهو هو بعينه لان
الزينة هي الكواكب وهو بدل المعرفة من النكرة ومثله قوله لنسفعا بالناصية
ناصية فابدل النكرة من المعرفة ٥ وقرا الكسائي وحمزة وخلف وحفص عن عاصم لا
يسمعون بالتشديد واصله لا يتسمعون فادغم التاء في السين الباقون لا يسمعون
بالتخفيف لان معنى تسمعت الى فلان وسمعت الى فلان واحد وانما يقولون سمعت فلانا
بمعنى ادركت كلامه بغير الى ومن شدد كره ذلك وانما كره ذلك بلا تثنية قال
ابن عباس كانوا يتسمعون ولا يسمعون هذه اقسام من الله تعالى بالاشياء التي ذكرها
وقد بينا ان له تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه ان يحلفوا الا بالله ٥ و
قيل انما جاز ان يقسم تعالى بهذه الاشياء لما فيها من تعظيمه بما فيه من القدرة الدالة
على ربه وقال قوم التقدير ورب الصافات وحذف لما ثبت من ان التعظيم
بالقسم لله وجواب القسم قوله ان الهكم لواحد وقال مسروق وقتادة والسدي
ان الصافات هم الملائكة مصطفون في السماء يسبحون الله وقيل صفوف الملائكة في
صلاتهم عند ربهم ذكره الحسن وقيل هم الملائكة تصف اجنحتها في الهواء واقفة حتى
يامرها الله بما يريد كما قال وانا لنحن الصافون وقال ابو عبيدة كل شيء من السماء

والارض

والارض لم يضم قطريه فهو صافات ومنه قوله والطير صافات اذا نشرت اجنحتها والصافات
جمع الجمع لانه جمع صافة وقوله فالزاجرات زجرا قال السدي ومجاهد هم الملائكة
يزجرون الخلق عن المعاصي زجرا يوصل الله مفهومه الى قلوب العباد كما يوصل مفهوم
اغواء الشيطان الى قلوبهم ليصح التكليف وقيل انها تزجر السحاب في سوقها وقال
قتادة الزاجرات زجر آيات القرآن تزجر عن معاصي الله تعالى والزجر الصرف عن الشيء
بخوف الذم والعقاب وقد يكون الصرف عن الشيء بالامر فقط على معنى ان من فعله استحق
الذم وقوله فالتاليات ذكرا قيل فيه ثلثة اقوال احدها قال مجاهد والسدي هم
الملائكة تقرأ كتب الله تعالى وقال قتادة هو ما يتلى في القرآن وقال قوم يجوز ان
يكون جماعة الذين يتلون القرآن وانما قال فالتاليات ذكرا ولم يقل تلوا كما قال فالزاجرات
زجرا لان التالي قد يكون بمعنى التابع يقول تلوت فلانا اذا تبعته بمعنى جئت بعده ومنه
قوله والقمر اذا تلاها فلما كان مشتركا بينه وبين الابهام وكل هذه اقسام على ان
الاله الذي يستحق العبادة واحد لا شريك له وقوله رب السموات والارض وما بينهما
معناه ان الاله الذي يستحق العبادة واحد وهو الذي خلق السموات والارض وما بينهما من
سائر الاجناس من الحيوان والنبات والجماد ورب المشارق ومعناه وملك التصرف فيها
والمشارق هي مشارق الشمس وهي مطالعها بعدد ايام السنة ثلثمائة وستون مشرقا وثلثمائة وستون
مغربا ذكره السدي ثم اخبر تعالى عن نفسه فقال انا زينا السماء الدنيا فالتزيين تحسين
الشيء وجعله على صورة تميل اليها النفس فالله تعالى زين السماء الدنيا على وجه يمتع الرائي
لها وفي ذلك النعمة على العباد مع ما لهم فيها من المنفعة بالفكر فيها والاستدلال على صانعها
والكواكب هي النجوم والبدور للسماء بها زينة ٥ قال النابغة: بانك شمس والملوك
كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب وقوله وحفظا من كل شيطان مارد معناه وحفظناها
حفظا والحفظ المنع من ذهاب الشيء ومنه حفظ القرآن بالدرس المانع من ذهابه والمارد

الخارج الى الفساد العظيم وهو وصف الشياطين وهم المردة واصله الانجراد ومنه الامرد والمارد
المتجرد من الخير وقوله لا يسمعون الى الملإ الاعلى من شدد اراد لا يتسمعون فادغم التاء
في السين ومن خفف اراد ايضا لا يتسمعون في المعنى الى الملإ الاعلى يعني الملائكة الذين هم
في السماء وقوله ويقذفون من كل جانب دحورا معناه يرمون بالشهب من كل جانب
اذا ارادوا الصعود الى السماء للاستماع دحورا اي دفعا لهم بعنف يقال دحرته دحرا ودحورا
فاما جاز ان يأتوا لاستراق السمع مع علمهم بانهم لا يصلون وانهم يحرقون بالشهب لانهم تارة
يظنون اذا لم يكن من الملائكة هناك شيء لا يجدون ان يتعلموا فيه وتارة يهلكون كراكب
البحر في وقت يطمع في السلامة وقوله ولهم عذاب واصب قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
وابن زيد معناه ان لهم مع ذلك ايضا عذابا دائما يوم القيامة ومنه قوله وله الدين واصبا
اي دائما قال ابو الاسود لا اشتري الحمد القليل بقاؤه يوما بذم الدهر اجمع واصبا
اي دائما وقوله الا من خطف الخطفة لما اخبر الله تعالى ان الشياطين لا يسمعون
الى الملإ الاعلى ولا يصغون اليهم اخبر انهم من رام ذلك رموا من كل جانب دفعا لهم على اشد
الوجوه قال لكن من خطف الخطفة اي استلب السماع استلابا والخطفة الاستلاب بسرعة
فمن فعل ذلك اتبعه شهاب ثاقب قال قتادة والشهاب كالعمود من نار وثاقب معناه كانه
يثقب بضوئه يقال اثقب نارك واستثقب النار اذا استوقدت واضاءت ومنه قولهم
حسب ثاقب اي مضيء شريف قال ابو الاسود اذع به في الناس حتى كانه بعلياء نار
اوقدت بثقوب اي بحيث يضيء ويعلو **قوله تبارك وتعالى**
فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت
ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان
هذا الا سحر مبين أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون
قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا

هذا

هذا يوم الدين عشر آيات قرأ اهل الكوفة الا عاصما بل عجبت بضم التاء الباقون
بفتحها قال ابو علي من فتح التاء اراد بل عجبت يا محمد من انكارهم البعث او من نزول الوحي
على قلبك وهم يسخرون ومن ضم قال المعنى ان انكار البعث مع بيان القدرة على
الابتداء وظهوره للناس عن ان يستدل عجيب عندك وقال قوم ان ذلك اخبار
من الله عن نفسه بانه عجب وذلك كما قال وان تعجب فعجب قولهم وهذا غير صحيح
لان الله تعالى عالم بالاشياء على تفصيلها وانما يعجب من خفي عليه اسباب الاشياء وقوله
فهل هي لهم معناه عندكم وقرأ ابن عامر اذا على الخبر الباقون على الاستفهام على
اصولهم في التحقيق والتخفيف والفصل وقرأ انا على الخبر اهل المدينة والكسائي
ويعقوب وقرأ الباقون بهمزتين على اصولهم في التحقيق والتليين والفصل وقرأ اهل
المدينة وابن عامر او آباؤنا بسكون الواو وهنا وفي الواقعة الا ان ورشا على اصله
في القاء حركة الهمزة على الواو الباقون بفتح الواو هذا خطاب من الله تعالى لنبيه بان
يستفتي على وجه التقريع للكفار وهو ان يسألهم ان يحكموا بما يقتضيه عقولهم ويعدلون
عن الهوى واتباعه فالاستفتاء طلب الحكم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني من قبلهم
من الامم الماضية والقرون الخالية فانه تعالى اهلك الامم الماضية الذين هم اشد خلقا
منهم بكفرهم ولهم مثل ذلك ان اقاموا على الكفر وقيل المعنى اهم اشد خلقا ام من
خلقنا من الملائكة والسموات والارضين فقال ام من خلقنا لان الملائكة يعقل فغلب
ذلك على ما لا يعقل من السماوات والشدة قوة الفتل وهو خلاف الفترة والقوة وكل
شدة قوة وليس كل قوة شدة واشد خلقا كان فيه قوة يمتنع بها قتله الى المراد به ثم اخبر
تعالى انه خلقهم من طين لازب والمراد ان خلق آدم من طين وان هؤلاء نسله وذريته
فكانهم خلقوا من طين ومعنى لازب لازم فابدلت من الميم الباء لانها من مخرجها يقولون
طين لازم وطين لازب قال النابغة ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون

النوع ضربة لازب وبعض بنى عقيل يبدلون من الزاى تاء فيقولون لاتب ويقولون لازب
ولاتب ويقال لزب يلزب لزوبا وقال ابن عباس اللازب الملتصق من الطين
الحر الجيد وقال قتادة هو الذى يلزق باليد وقال مجاهد معناه لازق وقيل
معناه طين علك خلق آدم منه ونسب ولده اليه وقوله بل عجبت ويسخرون من ضم
التاء اراد ان النبى عليه السلام امره ان يخبر عن نفسه انه عجب من هذا القرآن حين اعطيه
وسخر منه اهل الضلالة قال المبرد وتقديره بل عجبت ومن فتح التاء اراد ان الله
تعالى خاطبه بذلك والعجب تغير النفس بما خفى فيه السبب فيما لم تجر به العادة يقال
عجب يعجب عجبا وتعجب تعجبا والمعنى فى الضم على ما روى عن على عليه السلام وابن مسعود
ليس على انه يعجب كما يعجب لان الله تعالى عالم بالاشياء على حقايقها وانما المعنى انه يجازى
على العجب كما قال فيسخرون منهم سخر الله منهم ومكروا ومكر الله ويجوز ان يكون
المعنى فحلوا محل من يعجب منه والفتح على عجب النبى ويسخرون معناه تعجبت وهم
من غالبك اياهم الى الله والنظر فى دلايله وآياته واذا ذكروا بايات الله وحججه وخوفوا
بها لا يذكرون اى لا يتفكرون ولا ينتفعون بها واذا راوا آية من آيات الله تعالى
يستسخرون اى يسخرون وهما لغتان وقيل معناه يطلب بعضهم من بعض ان يسخرون
ويستهزءون بآيات الله ويقولون ان هذا الذى يدعونا اليه من القرآن ويزعم
انه من عند الله الا سحر مبين اى ظاهر بين وحكى انهم يقولون ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمبعوثون بعد ذلك ومحشورون ومجازون او آباؤنا الاولون الذين
تقدمونا بهذه الصفة واللفظ لفظ الاستفهام والمراد بذلك التهزؤ والاستبعاد لان يكون
هذا حقيقة وصحيحا من فتح الواو فلانها واو العطف دخل عليها الف الاستفهام فقال
الله تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم نعم الامر على ذلك فانكم تحشرون وتسالون وتجازون
على اعمالكم من الطاعات بالجنة والثواب وعلى المعاصى بالنار والعقاب فيها وانتم داخرون

اى

اى صاغرون اذلا وهو قول الحسن وقتادة والسدى وقيل الداخر الصاغر اشد الصغر
والصاغر الذليل لصغره وقدره ثم قال ايضا وقل لهم فانما هى زجرة واحدة قال الحسن
يعنى النفخة الثانية والزجرة الصرفة عن الشى بالمخافة فكانهم زجروا عن الحال التى هم
عليها الى المصير الى الموقف للجزاء والحساب فاذا هم ينظرون اى يشاهدون ذلك ويرونه
وقيل معناه فاذا هم احياء ينتظرون ما ينزل بهم من عذاب الله وعقابه ويقولون معترفين
على نفوسهم بالعصيان يا ويلنا هذا يوم الدين يعنى الجزاء والحساب والويل كلمة يقولها
القائل اذا وقع فى الهلكة والخطاب ومثله يا ويلتى ويا حسرتى ويا عجبا قال
الزجاج والمعنى فى جميع ذلك ان هذه الاشياء حين نداوها على وجه التنبيه والتعظيم
على عظم الحال والمعنى يا عجب اقبل ويا حسرة اقبلى فانه من اوانك واوقاتك ومثله
قوله يا ويلتى االد وانا عجوز وقوله يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله قوله تعالى
هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وازواجهم
وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم
مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان
لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين ۞ عشر آيات فى الكوفى والمدنيين
عدوا قوله وما كانوا يعبدون راس آية والبصريون لم يعدوها فهى عندهم تسع آيات
لما اخبر الله تعالى عن الكفار انهم اذا حشروا شاهدوا القيامة وقالوا يا ويلنا هذا
يوم الدين يعنى الجزاء حكى ما يقول الله لهم فانه تعالى يقول لهم هذا يوم الفصل بين
الخلايق والحكم وتميز الحق من الباطل على وجه يظهر لجميعهم الحال فيه وانه تعالى يدخل
المطيعين الجنة على وجه الاكرام والاعظام ويدخل العصاة النار على وجه الاهانة والاذلال
فقال هذا يوم الفصل وهو اليوم الذى كنتم معاشر الكفار به تكذبون وتجحدونه وتغالبون

يوم

من اخبر عنه بالتكذيب وينسبه الى ضد الصدق ثم حكى ما يقول الله للملائكة
الموكلين بسوق الكفار الى النار فانه يقول لهم احشروا الذين ظلموا انفسهم بارتكاب
المعاصي يعني اجمعوهم من كل جهة فالكفار يحشرون من قبورهم الى ارض الموقف
للجزاء والحساب ثم يساق الظالمون مع ما كانوا يعبدون من الاوثان والطواغيت الى النار
وكذلك ازواجهم الذين كانوا على مثل حالهم من الكفر والضلال وقال ابن عباس
ومجاهد وابن زيد ومعنى وازواجهم اشباههم وهو من قوله وكنتم ازواجا ثلثة اي
اشكالا واشباها وقال قتادة معناه واشباههم من الكفار وقيل من الاتباع وقال
الحسن يعني وازواجهم المشركات وقيل اتباعهم على الكفر من نسائهم وقوله فاهدوهم
الى صراط الجحيم انما عبر عن ذلك بالهداية من حيث كان بدلا من الهداية الى الجنة كما قال
فبشرهم بعذاب اليم لهذه العلة من حيث ان البشارة بالعذاب اليم لهم وقعت لهم بدلا من
البشارة بالنعيم فقال هديته الطريق اي دللته عليها واهديت الهدية ثم حكى الله تعالى
ما تقول الملائكة الموكلين بهم فانه يقول لهم قفوهم اي الكفار اي احبسوهم انهم
مسؤولون عما كلفهم الله في الدنيا من فعل الطاعات واجتناب المعاصي هل فعلوا ما امروا
ام لا على وجه التقريع لهم والتبكيت دون الاستعلام فقال وقفت انا ووقفت غيري
ووقفت الدابة بغير الف وبعض بني تميم يقولون اوقفت الدابة والدار وزعم الكسائي
انه سمع ما اوقفك هاهنا وانشد الفراء وترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا
وان نحن اومانا الى الناس وقفوا بالجر فقال لهم ايضا على وجه التبكيت ما لكم
معاشر الكفار لا تناصرون يعني لا تتناصرون ولذلك شدد بعضهم التاء ومن لم يشدد
حذف احداهما والمعنى لم لا يدفع بعضكم عن بعض ان قدرتم عليه ثم قال تعالى انهم لا
يقدرون على التناصر والتدافع لكن هم اليوم مستسلمون ومعناه مسترسلون مستخذلون
فقال استسلم استسلاما اذا القى بيده غير منازع فيما يراد منه وقيل معناه مسترسلون مطالح

يستطيعون

يستطيعون له دفعا ولا منه امتناعا وقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اخبار منه ثم
ان كل واحد من الكفار يقبل على صاحبه الذي اغواه على وجه التأنيب والتعنيف له يا هذا لم
غررتني ويقول ذلك لم قبلت مني وقوله قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين حكاية
ما يقول الكفار لمن قبلوا منهم انكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحة واليمين البركة
فلذلك اغتررنا بكم والفريقين يحاجان من جهة اليمين وقال الفراء معناه انكم
كنتم تأتوننا من قبل الدين فتخدعوننا من اقوى الوجوه واليمين القوة ومنه قوله
فراغ عليهم ضربا باليمين اي بالقوة ثم حكى ما يقول اولئك لهم وجواب ذلك [در]
ليس الامر على ما قلتم بل لم تكونوا مصدقين بالله فرددناكم عن ايمانكم وما كان لكم [لنا عليكم]
علينا في ترك المؤمن سلطان ولا مقدرة فلا تسقطوا اللوم عن انفسكم فانه لازم لكم ولاحق
بكم وقال قتادة اقبل الانس على الجن يتساءلون بل كنتم انتم معاشر الكفار قوما طاغين
اي باغين متجاوزين الحد الى افحش الظلم واصله تجاوز الحد في العظم ومنه قوله انا
لما طغى الماء حملناكم في الجارية وطغيانهم كفرهم بالله لانهم تجاوزوا في ذلك الحد العظيم
المعاصي وقال الزجاج معنى لا تناصرون غير متناصرين فهو نصب بانه حال
قوله تبارك وتعالى فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم
انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون
الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين عشر آيات هذا تمام ما حكى الله عن
الغاوين للكفار يوم القيامة بانهم اذا قالوا لهم لم يكن لنا عليكم من سلطان وانما انتم كنتم
قوما طاغين اخبروا ايضا وقالوا فحق علينا ايضا اي وجب قول ربنا بانا لا نؤمن ونموت
على الكفر او وجب علينا وعيد ربنا بالعذاب ويحق على الكفر والاغواء انا لذائقون العذاب
[الذي هو] [قوله]

ثم يعترفون م

يعنى انا نذكه كما تدرك المطعوم بالذوق عقب اقتحم بانهم كانوا غاوين اى دعوناكم
الى الغى وقيل معناه خيبناكم طرق الرشاد دعوناكم عن ابينا وجنا فالاغواء الدعاء الى
الغى والغى نقيض الرشد واصله الخيبة من قول الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس
امره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما ٭ ويكون اغوى بمعنى خيب ومنه قوله رب بما
اغويتنى اى خيبتنى ثم اخبر تعالى انهم فى ذلك اليوم مشتركون فى العذاب ومعنى اشتراكهم
اجتماعهم فى العذاب الذى هو يجمعهم ثم اخبر تعالى فقال انا كذلك نفعل بالمجرمين اى كذلك نفعل
بجميع المجرمين وبين انه انما فعل بهم ذلك لانهم كانوا اذا قيل لا معبود يستحق العبادة
الا الله استكبروا عن قبول ذلك وطلبوا التكبر وهذه لفظة ذم من حيث يقولون ائنا لتاركوا
الهتنا ومعنى انا نترك عبادة الهتنا لشاعر مجنون يدعونا الى خلافه يعنون بذلك النبى
عليه السلام يرمونه بالجنون تارة وبالشعر تارة فهو قول الحسن وقتادة افرط جهلهم حتى
قالوا هذا القول الفاحش الذى يفضح قائله لان المعلوم انه صلى الله عليه واله كان على خلاف هذا
الوصف والجنون آفة تغطى على العقل حتى يظهر التخليط فى فعله واصله تغطية الشئ جن عليه
الليل اذا غطاه ومنه الجن لانه يستر صاحبه ومنه الجنان الروح لانها مستورة بالبدن
ومنه الجنة لان الشجر يغطيها ثم احسن تعالى تكذيبا لهم بان قال بل جاء بالحق وصدق المرسلين ما
قالوه بل النبى صلى الله عليه جاء بالحق من عند الله فهو ما يجب العمل به وصدق مع ذلك
جميع من ارسله الله قبله ثم خاطب الكفار فقال انكم لذائقوا العذاب الاليم يعنى المؤلم
الموجع جزاء على تكذيبكم اياه وما تجزون الا على قدر ما كنتم تعملون من المعاصى ثم استثنى
من جملة الخاطئين عباد الله المخلصين وهم الذين اخلصوا العبادة لله واطاعوه فى كل
ما امرهم به فانهم لا يذوقون العذاب وانما ينالون الثواب الجزيل قوله تبارك وتعالى
اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم على سرر متقابلين
يطاف عليهم بكاس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون

اخلصوا

دعندهم

٦٧

وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون
عشر آيات ٭ قرا حمزة والكسائى وخلف ينزفون بكسر الزاى على اسناد الفعل اليهم الباقون
بفتح الزاى على ما لم يسم فاعله ومن فتح فانه ماخوذ من نزف الرجل فهو منزوف ونزيف
اذا ذهب عقله بالسكر وانزف فهو منزف اذا انفد حمله ويقال انزف ايضا اذا سكر
لما استثنى الله تعالى من جملة من يعاقبهم من الكفار المخلصين الذين اخلصوا عبادتهم لله وحده
بين ما اعد لهم من انواع الثواب فقال اولئك لهم رزق معلوم يعنى عطاء جعل لهم التصرف
فيه وحكم لهم فى الاوقات المستانفة فى كل وقت شيئا معلوما معتدا ثم فسر ذلك الرزق فقال
ذلك الرزق فواكه وهى جمع فاكهة وهى تكون رطبا ويابسا يتفكهون بها ويتمتعون بالتصرف
فيها وهم مع ذلك مكرمون اى معظمون مجلون وضد الاكرام الاهانة وهى الاحتقار وهم
مع ذلك فى جنات النعيم اى بساتين فيها انواع النعيم التى يتنعمون بها على سرر وهو جمع
سرير متقابلين يستمتع بعضهم بالنظر الى وجوه بعض يطاف عليهم بكاس من معين اى
بكاس من خمر جارية فى انهار ظاهرة للعيون فى قول الحسن وقتادة والضحاك والسدى
والكاس اناء فيه شراب وقيل لا يسمى كاسا الا اذا كان فيه شرابا والا فهو اناء فقوله
معين يحتمل ان يكون فعيلا من المعين وهو الماء الشديد الجرى من امعن فى الامر اذا
اشتد دخوله فيه ويحتمل ان يكون وزنه مفعولا من عين الماء او لانه يجرى ظاهرا
للعين ثم وصف الخمر التى فى الكاس فقال بيضاء وصفها بالبياض لانها تجرى فى انهار
كاشرف الشراب وهى خمر فيها اللذة والامتاع فهى بيضاء صافية فى نهاية الرقة واللطافة
مع النورية الى غاية الشفافية لانها على احسن منظر ومخبر وقال هم بيضاء صفة الكاس
وهى مؤنثة واللذة نيل المشتهى بوجود ما يكون به صاحبه ملتذا والشراب ماخوذ من الشرب
وقوله لا فيها غول معناه لا يكون فى ذلك الشراب غول اى فساد يلحق العقل خفيا يقال
اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه امره ومنه الغيلة وهى القتل سرا وقال ابن عباس لا فيها

فنت

الشفافير

غول معناه لا يكون فيها صداع ولا اذى كما يكون في خمر الدنيا وقال الشاعر
وما زالت الكاس يغتالنا وتذهب بالاول الاول هذا من الغيلة اي تصرع واحدا بعد
واحد ولا هم عنها ينزفون اي لا يسكرون والنزيف السكران لانه ينزف عقله قال
الابيرد الرياحي لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا فالبيت يدل
على ان انزف لغة في نزف اذا سكر لانه جعله في مقابلة الصحو ومن قرا بالكسر فعلى معنى
انهم لا ينفدون خمرهم اي لا تفنى عندهم وقوله وعندهم قاصرات الطرف معنى قاصرات
الطرف تقصر طرفهن على ازواجهن في قول الحسن وغيره وقال بعضهم معنى قاصرات
راضيات من قولهم اقتصرت على كذا ومعنى عين الشديدات البياض العين الشديدة سوادها
في قول الحسن والعين النجل الاعين وهي الواسعة العين وقوله كانهن بيض مكنون شبههن
ببيض النعام يكن بالريش من الريح والغبار في قول الحسن وابن زيد وقال سعيد
بن جبير والسدي شبههن بالبيض قبل ان يقشر وقيل ان عنه الايدي والمكنون
المصون يقال كننت الشيء اذا صنته واكننته اذا سترته من كل شيء فقال الشاعر
وهي زهراء مثل لؤلؤ الغواص ميزت من جوهر مكنون ثم قال واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون يعني اهل الجنة يقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن احوالهم وما تفضل الله
عليهم من انواع الكرامات قوله تبارك وتعالى قال قائل منهم اني كان لي
قرين يقول اءنك لمن المصدقين اءذا متنا وكنا ترابا وعظاما اءنا لمدينون
قال هل انتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا
نعمة ربي لكنت من المحضرين افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن
بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم ٥٥ عشر ايات حكى الله تعالى ان اهل
الجنة يقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن احوالهم واحوالهم وذكر ان قائلا منهم يقول
انه كان لي قرين في دار الدنيا اي صاحب يختص بي ايناس الانس على ما قال ابن عباس

او

او من الجن على ما قال مجاهد يقول لي على وجه الانكار علي والتعجيب لفعلي ائنك لمن
المصدقين بيوم الدين بان الله يبعث الخلق بعد ان يصيروا ترابا وعظاما وانهم يجزون
بعد ذلك ويحاسبون ويجازون ان هذا لبعيد فالف الاستفهام دخلت ها هنا على جهة
الانكار وانما دخلت الف الاستفهام للانكار من حيث انه لا جواب لقائله الا ما يفتضح به
فالذي الكفار غلطوا في هذا الانكار وتوهموا ان من يقول في جواب ذلك نعم يأتي بقبيح
من القول وقوله انا لمدينون معناه لمجزيون مشتق من قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي
تجزى والدين الجزاء والدين الحساب ومنه الدين لان جزاءه القضاء وقال ابن عباس القرين
الذي كان له شريكا من الناس وقال مجاهد كان شيطانا ثم حكى انه يقال لهذا القائل على
وجه العرض عليه هل انتم مطلعون اي تؤثرون ان تروا مكان هذا القرين في النار فيقول
نعم فيقال له اطلع في النار فيطلع في الجحيم فرآه في سواء اي وسطه في قول ابن عباس
والحسن وقتادة وانما قيل للوسط سواء لاستواء المسافة منه الى الجوانب كلها ويقال
تعبت لا انسان سواه لاستوائه في مكانه بان صار بدلا منه وقد كثر حتى صار بمعنى غير وروى
حسين عن ابي عمرو مطلعون فاطلع بكسر النون وقطع الالف وهو شاذ لان الاسم اذا اضيف
حذفت منه النون كقولك مطلعي وانما يجوز في الفعل على حذف احدى النونين
وقد انشد الفراء على شذوذه قول الشاعر وما ادري وظني كل ظن اسلمني
الى قوم شراح يريد شراحيل وانشد المبرد اذا اسلمني وانشد الزجاج هم الفاعلون
الخير والامرونه اذا ما خشوا من محدث الامر معظما وقيل ان لاهل الجنة في توبيخ
اهل النار لذة وسرورا وقال الحسن الجنة في السماء والنار في الارض فلذلك صح
منهم الاطلاع ثم حكى تعالى ما يقول المؤمن اذا اطلع عليه ورآه في وسط الجحيم
فانه يقول تالله ان كدت لتردين ومعنى تالله القسم على وجه التعجب وانما كان
كذلك لان التاء بدل من الواو في القسم على وجه النادر ولذلك اختصت باسم الله

ليدل على العفو النادر وقوله ان كدت هذه ان المخففة من الثقيلة بدليل مصاحبة
لام الابتداء الفارقة قوله لتردين هي التي في قوله ان كل نفس لما عليها حافظ الا انها
دخلت في هذا على فعل ومعنى لتردين لتهلكني كهلاك المتردي من شاهق ومنه
قوله وما يغني عنه ماله اذا تردى في النار ويقول ردى يردى اذا هلك وارداه
غيره ارداه اذا اهلكه بقوله فلولا نعمة ربي علي ورحمته بان لطف لي في ترك
متابعتك والقبول منك لكنت انا ايضا من المحضرين معك في النار فالاحضار الاتيان
بالشيء الى حضرة غيره وقال الشاعر اي الطوف خف على الردى وكم من راحد وامرد
اي من هالك وقوله افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين هذا توبيخ
لهم وتوبيخ لان هذا المنافق كان يقول كثيرا ذلك في الدنيا ومثله . قول الشاعر
فان لم تصدق منك . لا تكذبني لعمي اخذل عنك . ومعناه انها كانت تلومه على داريدمر
الانفاق فكان يقول لها لا تكذبي لوى فا طلقت فلا احقق عبرة بذلك ويحته
وحكى ما كان يقوله عند قصتهما وعد لها وقال الجبائي هذا يقوله المؤمن على
وجه التحاد بانه لا يموت بعد هذا النعيم لكن الموتة الاولى فقد مضت فلخص معنى
الاية على التحقيق انه يقوله المؤمن على وجه السرور بنعيم الله في انه لا يموت ولا يعذب
الثاني ان المؤمن يقوله على وجه التوبيخ لقرينه بما كان ينكره وقوله ان هذا لهو الفوز
العظيم اخبار منه تعالى بان هذا الثواب الذي حصل له لهو الفلاح العظيم
قوله تبارك وتعالى لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا
أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ
طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ
لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ
عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ . عشر آيات يقول الله تعالى في تمام الحكاية عن قول المؤمن

الفائز لمثل هذا يعني لمثل ثواب الجنة ونعيمها فليعمل العاملون في دار التكليف
وعين من العامل ان يعمل العمل للثواب اذا اوقعه على الوجه الذي يدعو اليه الحكمة
من وجوب او ندب قال الرماني الا ترى انه لو عمل القبيح لينال ما تدعو اليه
الحكمة لا يستحق الثواب اذ لخلص من الاحباط وهذا الذي ذكره غير صحيح لان القبيح
لا يجوز ان يستحق عليه الثواب على وجه الحسن فانه لا يعتد بها فان علمنا بما ظاهره
القبيح انه وقع على وجه يستحق فيه الثواب علمنا انه خرج من كونه قبيحا مثال ذلك
اظهار كلمة الكفر عند الاكراه عليها او الاخبار لكون نبي عصره لمن يطلبه فان هذا
وان كان كذبا في الظاهر فلا بد ان يؤدي المظهر ما يخرجه عن كونه كاذبا فمتى لم يعن التورية
منع الله من اكراهه عليه وفي الناس من يقول يجب عليه الصبر على القتل ولا يعين
منه الكذب فمتى كان من عين التورية فلم يؤت كان القول منه كذبا وقبيحا وان الله
تعالى ضمن من العوض عليه ما يخرجه عن كونه قبيحا كما يقول في ذبح البهائم ومتى لم
يعلم بالشرع ذلك فانه يقبح ادخال الضرر على الغير والحد ماله فاما ادخال الضرر
على الغير والحد ماله نفسه ببذل مال او تحمل خراج ليدفع بذلك عن نفسه ضررا
اعظم منه فانه عين لانه وجه نفع على الالم فيصير حسنا وهذا الباب الحكماء في كتاب الاصول
لا يحتمل هذا الموضع اكثر من هذا وقوله اذلك خير اي سبب ادى الى النار كما هم
فالوا فيه خير لما علموا ما ادى اليه والنزل الفضل طعام له نزل ونزل اي فضل وريع
وقيل معناه خير نزلا من الانزال التي تقيم الابدان وتبقى عليها الارواح والزقوم
قيل هو ثمر شجرة منكرة جدا من قولهم تزقم هذا الطعام اذا تناوله على تكره ومشقة
شديدة وقيل شجرة الزقوم ثمرة مرة خشنة منتنة الرائحة وقوله انا جعلناها
فتنة للظالمين معناه انا جعلنا شجرة الزقوم محنة لشدة التعبد وقال قتادة لما نزلت هذه
الاية قال المشركون النار تحرق الشجر وكيف ينبت هذا في النار فكان ذلك تغيظا للجنة

وان عرض في القبيح وجوه
كثيرة من وجوه ...

ليعتله

ولا يستحق به الثواب فاما الاكراه على اخذ مال الغير
وادخال ضرر عليه دون القتل ومتى كان قد
علمنا بالشرع وجوب فعل ذلك عند الاكراه
حسنه علمنا انه خرج بذلك عن كونه قبيحا

نزلا ام شجرة الزقوم انما جاز ذلك مع انه لا خير
في شجرة الزقوم لامرين احدهما على الحذف
بتقدير اسبب هذا الذي دعا اليه خير

لانه محتاج الى الاستدلال على انه قادر على ان يمنع النار من احراقها حتى ينبت الشجر فيها وقيل
معناه انها عذاب للظالمين من قوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون وقيل
هو قول ابي جهل فيما التمر والزبد انه يتزقمه • روى انه لما سمع هذه الآية دعا الكفار
واخرج التمر والزبد وقال تعالوا تزقموا هذا بخلاف ما يعدنا به محمد ثم قال انها شجرة
انها شجرة يعني الزقوم تخرج في اصل الجحيم اي تنبت في قعر جهنم طلعها كانه رؤوس
الشياطين قيل في تشبيه ذلك برؤوس الشياطين مع ان الشياطين لم تر قط ثلثة اقوال
احدها ان قبح صورة الشياطين متصور في النفس ولذلك يقولون لشيء يستقبحونه جدا
كانه شيطان • وقال امرؤ القيس • ايقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق
كانياب اغوال • فشبه النصول بانياب الاغوال وهي لم تر ويقولون كانه راس شيطان
وانقلب على كانه شيطان الثاني انه شبه براس حية يسميها العرب شيطانا • قال
الراجز عنجرد تحلف حين احلف كمثل شيطان الحماط اعرف الثالث انه شبه بنبت
معروف برؤوس الشياطين وقيل قد دل الله انه يشوه خلق الشيطان في النار حتى
لو راهم راء من العباد لاستوحش منهم غاية الاستيحاش فلذلك شبه برؤوسهم ثم اخبر
تعالى ان اهل النار لاكلون من تلك الشجرة فمالؤن بطونهم منها ليحملون لشدة ما
يلحقهم من الم الجوع والملأ الطرح في الوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه فيها او لحشت
بطونهم من الزقوم بما لا يحتمل الزيادة عليه ثم قال ان لهم عليها يعني زيادة على شجرة
الزقوم لشوبا من حميم فالشوب خلط الشيء بما ليس منه مما هو شر منه ويقال هذا الطعام
مشوب وقد شابه شيء من الفساد والحميم اذا شاب الزقوم اجتمعت المكاره فيه من المرارة
والخشونة ونتن الرائحة والحرارة المحرقة نعوذ بالله منها والحميم الحار الذي له من الاحراق
المهلك • قال الشاعر • احم الله ذلك من لقاء احاد احاد في الشهر الحلال
اي ادناه • وحم ريش الفرخ اذا نبت حتى يدنو من الطيران والمحموم المقرب من حال

الغول

الاحراق وقال ابن عباس يشربون الحميم المشوب على الزقوم اي قد شيب مع حرارته
بالنتن لكرهه والحميم الصديق القريب اي الداني من القلب وقوله ثم ان مرجعهم
لالى الجحيم معناه انهم يردون بعد ذلك الى النار الموقدة وفي ذلك دلالة على انهم قد
يطعمون الزقوم بمعزل عنها كما قال يطوفون بينها وبين حميم ان ثم حكى تعالى ان
هؤلاء الكفار القوا يعني صادفوا اباءهم ضالين عن الطريق المستقيم الذي هو طريق
الحق فهم على آثارهم يهرعون في الضلال اي تقليدا وتبعا لهم قال ابو عبيدة
معنى يهرعون يستحثون من خلفهم وقيل معناه يزعجون الى الاسراع هرع واهرع لغتان

قوله تبارك وتعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا
فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد
نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته
هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي
المحسنين • عشر آيات اقسم الله تعالى انه لقد ضل قبل هؤلاء الكفار الذين هم
في عصر النبي عليه السلام عن طريق الحق واتباع الهدى اكثر من كان قبلهم لان اللام في لقد
هي لام القسم وتدخل على جوابه لعمري لك والله لقد كان كذا وقد تدخل للتاكيد
والضلال الذهاب عن الحق الى طريق الباطل يقول ضل عن الحق يضل ضلالا والضلال
قد يكون بمعنى الذم بالضلال والحكم عليه به وقد يكون بمعنى الاهلاك والاغواء كقوله
واضلهم السامري والاكثر هو الاعظم في العدد والاول الكائن قبل غيره والاول قبل كل شيء
هو الله تعالى لان كل ما سواه فهو موجود بعده ثم اقسم انه ارسل فيهم منذرين من
الانبياء والرسل يخوفونهم بالله ويحذرونهم معاصيه ثم قال فانظر يا محمد كيف
كان عاقبة المنذرين والتقدير ان الانبياء المرسلين لما خوفوا قومهم فعصوهم ولم
يقبلوا منهم اهلكهم وانزل عليهم العذاب فانظر كيف كان عاقبتهم ثم استثنى من

المنذرين في الهلاك عباده المخلصين الذين قبلوا من الانبياء واخلصوا عبادتهم لله تعالى
فان الله تعالى خلصهم من ذلك العذاب وعدهم بالثواب ثم اخبر ان نوحا نادى الله و
دعاه واستنصره على قومه وانه تعالى اجابه جل وعز نعم المجيب لمن دعاه وتقديره
فلنعم المجيبون نحن له ولما اجابه نجاه وخلقه واهله من الكرب العظيم فالنجاة هي
الرفع من الهلاك واصله الرفع فمنه النجوة المرتفع من المكان ومنه النجا النجا كقولهم
الوحا الوحا والاستنجا رفع الحدث والكرب الحزن الثقيل على القلب قال الشاعر
عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب والكرب قرب الارض باصلاحها
للمزارعة والكرب هو الذي يجي قلب النخلة باحاطته بها وصيانته لها والعظيم الذي
تصغر مقدار غيره ويكون العظيم في الخير والعظيم في الشر والعظيم في النفس وقال
السدي معناه نجيناه واهله من الغرق وقال غيره بل نجاهم من الاذى والمكروه
الذي كان ينزل بهم من قومه لانه بذلك دعا ربه فاجابه وقيل الذين نجوا مع نوح
سبعة وقوله وجعلنا ذريته هم الباقين قال ابن عباس وقتادة الناس كلهم
من ذرية نوح بعد نوح وقال قوم العجم والعرب اولاد سام بن نوح والترك
والصقالبة والخزر اولاد يافث بن نوح والسودان اولاد حام بن نوح وقوله
وتركنا عليه في الاخرين قيل في معناه قولان احدهما قال ابن عباس ومجاهد
وقتادة تركنا عليه في الاخرين بعده ذكرا جميلا واثنينا عليه في امة محمد ومعنى
وتركنا ابقينا فلما ترکوا سلام على نوح في العالمين من قول الله على غير جهة
الحكاية الثاني قال الفراء تركنا عليه قولا هو ان يقال في آخر الامم سلام على نوح في
العالمين ثم قال انا كذلك اي كما فعلنا بنوح من ابقاء الجميل كذلك نجزي من احسن
افعاله وتجنب المعاصي قوله تبارك وتعالى انه من عبادنا المؤمنين
ثم اغرقنا الآخرين وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه

فقوله

٧١ وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين
فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين عشر آيات
هذا رجوع من الله تعالى الى ذكر وصف نوح بانه كان من عبادة المؤمنين الذين
يصدقون بتوحيد الله ووعده ووعيده وجميع اخباره والعباد جمع عبد وهو
الذليل لمالكه بالعبودية والخلق كلهم عباد الله فمنهم عابد له ومنهم عابد لغيره تضيعا
منه لحق نعمه وجهلا بما يجب له عليه والمؤمن هو المصدق بجميع ما اوجب الله عليه
او ندب اليه وقال قوم هو الفاعل بجميع ما اوجب الله عليه الفاعل بما يؤمنه من
العقاب ثم اخبر تعالى انه اغرق الباقين من قوم نوح بعد اخلاصه نوحا واهله
المؤمنين ثم قال وان من شيعته لابراهيم فالشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم
وصار بالعرف عبارة عن شيعة علي عليه السلام الذين معه على اعدائه وقيل
من شيعة نوح ابراهيم يعني انه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق
وقال الفراء معناه وان من شيعة محمد لابراهيم كما قال انا حملنا ذريتهم اي ذرية من هو آت
لم يخلقهم ذريتهم قد سبقوهم وقال الحسن معناه على دينه وشريعته ومنهاجه
قال الرماني هذا لا يجوز لانه لم يجر لمحمد ذكر وهو ترك الظاهر وقد روي عن اهل البيت
ان من شيعته علي لابراهيم وهذا جائز ان صح الخبر المروي في هذا الباب لان الكناية
عن لم يجر له ذكر جائز اذا اقترن بذلك دليل كما قال حتى توارت بالحجاب ولم يجر
للشمس ذكر ويكون المعنى انه على منهاجه وطريقته في اتباع الحق والعدول عن الباطل
وكان ابراهيم وعلي عليهما السلام بهذه الصفة وقوله اذ جاء ربه بقلب سليم من الشرك
بريء من المعاصي في الوقت الذي قال لابيه وقومه حين رآهم يعبدون الاصنام من
دون الله على وجه التهجين لفعلهم والتقريع لهم ماذا تعبدون اي اي شيء تعبدون
من هذه الاصنام التي لا تنفع ولا تضر وقال لهم ائفكا آلهة دون الله تريدون

معناه حين جاء الى الموضع الذي امره الله بالرجوع اليه بقلب سليم صح

فالافك هو اشنع الكذب وافظعه والافك قلب الشي عن جهته التي هي له فلذلك
كان الافك كذبا وانما جمع الالهة مع انه لا اله الا واحد على اعتقادهم في الالهية
الاصنام وان كانوا هم فاسدا لما اعتقدوا انها تستحق العبادة وكان المشركون قد
اغروا باتخاذ الالهة الى ان جاء دين الاسلام وبين الحق فيه وعظم الزجر وقوله
دون الله تريدون معناه اتريدون عبادة الهة دون عبادة الله فحذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه كما قال واسئل القرية اي اهلها لان الارادة لا تتعلق
الا بما يصح حدوثه وهذه الاجسام ليست مما يحدث فلا يصح ارادتها وقوله فما ظنكم
برب العالمين قيل في معناه قولان احدهما اي شي ظنكم باسوا ظن فما ظنكم
برب العالمين يصنع بكم مع انكم تعبدون غيره وقوله فنظر نظرة في النجوم انه فقال اني سقيم قيل في معنى نظر نظرة في النجوم اي صح
استدل بها على وقت حمى كانت تعتاده فقال اني سقيم ومن اشرف على شي جاز ان
يقال انه فيه كما قال تعالى انك ميت وانهم ميتون ولم يكن نظره في النجوم على
حسب المنجمين طلبا للاحكام لان ذلك فاسد ومثله قول الشاعر شعر اسهري
ما سهرت ام حكيم واقعدي مرة لذاك وقومي وافتحي الباب فانظري في النجوم كم
علينا من قطع ليل بهيم وقال الحجاج نظر في النجوم كنظرهم لانهم كانوا يتعاطون
علم النجوم فيوهمهم انه يقول مثل قولهم فقال عند ذلك اني سقيم فتركوه ظنا منهم فيوهمهم
انه يجهد بل علته وقال ابو مسلم معناه انه نظر فيها نظر تفكر فاستدل بها
على انها ليست الهة لهم كما قال تعالى في سورة الانعام فلما جن عليه الليل راى كوكبا
قال هذا ربي تمام الايات وكان هذا انه في زمان مهلة النظر وهذا الذي ذكره
يمنع منه سياق الاية لان الله تعالى حكى عن ابرهيم انه جاء ربه بقلب سليم يعني
سليم من الشرك وذلك لا يليق بزمان مهلة النظر ثم انه تعالى قال لقومه على وجه
التقريع لفعلهم ماذا تعبدون ائفكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين

وهذا كلام عارف بالله مستبصر وكيف يحمل على زمان مهلة النظر وقيل في معنى قوله
اني سقيم اي سقيم القلب فيما ارى من احوالكم القبيحة من عبادة غير الله وعدولكم
عن عبادته مع وضوح الادلة الدالة على توحيده واستحقاقه للعبادة منفردا بها
وقيل انه كان عرضت له علة في الحال وكان صادقا في ذلك وقيل معناه ان عاقبتي
الموت ومن كان عاقبته الموت جاز ان يعبر عن حال حياته بانه مريض وقيل معناه
اني ساسقم في المستقبل وقيل انه اراد بقوله سقيم مطعون فلذلك تركوه خوفا
من ان يتعدى اليهم الطاعون فاما من قال انه لم يكن سقيما وانما كذب فيه ليتاخر عن
الخروج معهم الى عيدهم لكسر اصنامهم وانه يجوز الكذب في المكيدة والتقية فقوله
باطل لان الكذب قبيح لا يحسن على وجه فاما ما يروونه من ان النبي عليه السلم قال
ما كذب ابي ابرهيم الا ثلث كذبات يحاج بها عن ربه قوله اني سقيم ولم يكن كذلك
وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة انها اختي وكانت زوجته فاول ما فيه انه
خبر واحد لا يعول عليه والنبي عليه السلم اعرف بما يجوز على الانبياء وما لا يجوز من كل
واحد وقد دلت الادلة العقلية على ان الانبياء لا يجوز ان يكذبوا فيما يؤدونه
عن الله من حيث انه كان يؤدي الى انه لا يوثق بشي من اخبارهم والى ان لا تنزاح علة
المكلفين ولا فرق بين ما يؤدونه عن الله من حيث ان عزة ذلك ينفر عن قبول قولهم ظ تجويز
فاذا يجب ان يقطع على ان الخبر لا اصل له ولو سلم لجاز ان يكون المعنى ما ظاهره ظاهر
الكذب وان لم يكن في الحقيقة كذلك لان قوله اني سقيم قد بينا الوجه فيه وقوله
بل فعله كبيرهم بيناه في موضعه وقوله في سارة انها اختي معناه انها اختي
في الدين وقال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وان لم يكونوا من اب واحد
وقوله فتولوا عنه مدبرين اخبار منه تعالى انه حين قال لهم اني سقيم اعرضوا عنه
وتركوه وخرجوا الى عيدهم قوله تبارك وتعالى فراغ الى الهتهم

فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا اليه يزفون
قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
في الجحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين
رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم • احدى عشر آية • وقراءة العامة
من عاصم يزفون بضم الياء الباقون بفتحها وهما لغتان وزففت اكثر ويجوز ان يكون
المراد زف الرجل في نفسه وازف غيره والتقدير فاقبلوا اليه يزفون انفسهم وقوله
فراغ الى الهتهم معناه مال اليها بحيلة تقول راغ يروغ روغا وروغانا حاد يحيد
حيدا وحيدانا والرواغ الحياد قال عدي بن زيد • حين لا ينفع الرواغ
ولا ينفع الا الصادق التحرير • وانما مال اليها عرضا على عابديها وقوله
الى الهتهم معناه الى ما يدعون انها الهتهم اي ما اتخذوها الهة لهم كقول البطل
هات حجتك مع علمك انه لا حجة له وقوله تعالى الا تاكلون انما جاز ان يخاطب
الجماد بذلك تبجيحا لعابدها وتنبيها على ان ما لا يتكلم ولا يعقل على الجواب
كيف تصح عبادتها فاجراها مجرى من يفهم الكلام وحين ذكر الجواب استطهارا في الحجة
وايضاحا للبرهان لكل من سمع ذلك ويبلغه وقوله ما لكم لا تنطقون
معناه تبجيحا لعابديها كانهم حاضرون لها وقوله فراغ عليهم ضربا باليمين قيل
في معناه قولان احدهما انه مال عليهم بيده اليمنى لانها اقوى على العمل من الشمال
الثاني بالقسم لكسرها لانه كان قال وتالله لاكيدن اصنامكم وقال الفراء
اليمين القوة ومنه قول الشاعر • تلقاها عرابة باليمين • اي بالقوة وقوله
فاقبلوا اليه يزفون قال ابن زيد معناه يسرعون وقال السدي يمشون وقيل
يتسللون بحال بين المشي والعدو ومنه زفت النعامة وذلك اول عدوها وهو
بين العدو والمشي وقال الفرزدق • وجاء قريع الشول قبل افالها يزف وجاءت

خلفه وهي زفف ومنه زفت العروس الى زوجها ومعنى يزفون يمشون
على مهل قال الفراء لم اسمع الا زففت قال وبعض من قرأ بالضم اراد من قولهم
طردت الرجل اذا اخسأته واطردته جعلته طريدا وقرأ بعضهم يزفون بفتح الياء وتخفيف
الفاء من زف يزف قال الكسائي والفراء لا اعرف هذه الا ان يكون احدهم سمعها
فلما راهم ابرهيم عليه السلام اقبلوا عليه قال لهم على وجه الانكار عليهم والتبكيت
لهم بفعلهم اتعبدون ما تنحتون فالالف الف الاستفهام ومعناها الانكار وفي وجه
التوبيخ انه كيف يصح ان تعبد الانسان ما يعمله بيده فانهم كانوا ينحتون الاصنام
بايديهم فكيف تصح عبادة من هذه حاله معنا فاي كونها جمادا لم ينبههم فقال
والله تعالى هو الذي خلقكم وخلق الذي تعملون من الاصنام لانها اجسام والله
تعالى هو المحدث لها وليس للمجبرة ان يتعلق بقوله والله خلقكم وما تعملون فيقول
ذلك يدل على ان الله خالق لافعالنا لامور لاحدها ان موضوع كلام ابرهيم لهم
على التقريع لهم لعبادتهم الاصنام ولو كان ذلك من فعله تعالى لما توجه عليهم
العيب بل كان لهم ان يقولوا ولم توبخنا على عبادتنا الاصنام والله الفاعل لذلك
فكانت تكون الحجة لهم لا عليهم • الثاني انه قال لهم اتعبدون ما تنحتون ونحن نعلم
انهم لم يكونوا يعبدون نحتهم الذي هو فعلهم وانما كانوا يعبدون الاصنام التي هي
الاجسام وهي فعل الله بلا شك فقال لهم والله خلقكم وخالق هذه الاجسام ومثله
قوله فاذا هي تلقف ما يافكون ومثله قوله والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا
وعصا موسى لم تكن تلقف افكهم وانما كانت تلقف الاجسام التي هي العصي
والحبال ومنها ان ما في قوله وما تعملون لا يخلوا ان يكون بمعنى الذي او مع ما بعدها
بمنزلة المصدر فان كانت بمعنى الذي فعملون صلتها ولا بد لها من عائد يعود اليها
فليس لهم ان يقدروا فيها ضميرا لها ليصح ما قالوه لان لنا ان نقدر ضميرا فيه فيصح

ما تعملونه ويكون التقدير وما تعملون فيه والذي تعملون فيه هي الاصنام وان كانت مصدرية
فانه يكون تقديره والله خلقكم وعملكم ونفس العمل يعبر به عن المعمول فيه بل لا يفهم
في العرف الا ذلك يقولون فلان يعمل الخوص وفلان يعمل السروج وهذا الباب من عمل
النجار والخاتم من عمل الصائغ وغير ذلك كله مما يعملون فيه فعلى هذا تكون الاوثان
عملا لهم بما يحدثون فيها من النحت والنجر على انه تعالى اضاف العمل اليهم بقوله وما تعملون
فكيف يكون ما هو مضاف اليهم مضافا الى الله تعالى وهل يكون ذلك الا متناقضا
ومنها ان الخلق في اصل اللغة هو التقدير للشيء وترتيبه فعلى هذا لا يمتنع ان يقال
ان الله خالق افعالنا بمعنى انه قدرها للثواب والعقاب فلا تعلق للقوم على حال
ثم حكى تعالى ما قال قوم ابرهيم بعضهم لبعض فانهم قالوا ابنوا له بنيانا قيل انهم
بنوا له شبه الحظيرة وقيل مثل التنور واججوا نارا ليلقوه فيها والبناء وضع الشيء
على غيره على وجه مخصوص ويقال لمن رد الفرع الى الاصل بناه عليه فالقوه في الجحيم
يعني المرجوم في النار التي اججت ... حالة والجحيم عند العرب النار التي تجمع بعضها
على بعض ثم اخبر تعالى ان كفار قوم ابرهيم ارادوا به كيدا او حيلة وهو ما ارادوا
من احراقه بالنار فجعلهم الله الاسفلين بان اهلكهم الله ونجا ابرهيم وقيل منع الله
عن فعل النار فيه بل صرفها الى خلاف جهته فلما اشرفوا على ذلك علموا انهم لا طاقة لهم
ثم حكى ما قال ابرهيم حين كادوه فانه قال اني ذاهب الى ربي وقصده حين كادوه
~~ثم قال اني ذاهب الى ربي ومعناه الى مرضاة ربي بالمصير الى المكان الذي امرني ربي~~
ومعناه الى مرضاة ربي بالمصير الى المكان الذي امرني ربي بالذهاب اليه وقيل الى الارض
المقدسة وقيل الى ارض الشام وقال قتادة معناه اني ذاهب الى ربي بعملي ونيتي
سيهدين يعني سيدلني فيما بعد الى الطريق الذي امرني بالمصير اليه او الى الجنة بطاعتي
اياه ثم دعا ابرهيم ربه فقال رب هب لي من الصالحين يعني ولدا صالحا من الصالحين

٧٤

كما تقول اكلت من الطعام وحذف لدلالة الكلام عليه فاجابه الله تعالى الى ذلك وبشره
بغلام حليم لا يعجل في الامور قبل وقتها وفي ذلك بشارة له على بقاء الغلام حتى يصير
حليما وقال جمهور المفسرين اسحق وقال آخرون اسماعيل وسنذكر خلافهم في ذلك فيما بعد
قوله تبارك وتعالى فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين
فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي
المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين
سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ؛ عشر آيات
قرا اهل الكوفة الا عاصما ماذا تري بضم التاء وكسر الراء الباقون بفتح التاء من ضم التاء
اراد ماذا تشير وقال الفراء يجوز ان يكون المراد ماذا ترى من صبرك وحلمك
لانه لا يتشبث في امر الله واصله ترئي فنقلوا كسرة الهمزة الى الراء وحذفت الهمزة لسكونها
وسكون الياء ومن فتح جعله من الرأي والرؤية لا من المشورة لما اخبر الله تعالى انه
اجاب دعوة ابرهيم في طلب الولد وبشره بولد حليم اخبر ان من وعد به ولد له وكبر
وترعرع فلما بلغ مع ابيه السعي يعني في طاعة الله قال الحسن السعي العمل الذي تقوم به
الحجة وقال مجاهد بلغ معه السعي معناه اطاق ان يسعى معه ويعينه على اموره
وهو قول الفراء قال وكان له ثلث عشرة سنة وقال ابن زيد السعي في العبادة وقال
يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى وكان الله تعالى اوحى الى ابرهيم في
حال اليقظة وتعبده ان يمضي ما يامره في حال نومه من حيث ان منامات الانبياء لا تكون
الا صحيحة ولو لم يامره في اليقظة لما جاز ان يعمل على المنامات احب ان يعلم حال ابنه
في صبره على امر الله وعزيمته على طاعته فلذلك قال له ماذا ترى والا فلا يجوز ان يكون
في الصبي في امر الله ابيه لانه واجب على كل حال ولا يمتنع ايضا ان يكون فعل ذلك بامر الله

ايضا فوجده عند ذلك صابرا مسلما لامر الله وقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني اي ستصادفني
ان شاء الله ممن يصبر على الشدائد في جنب الله ويسلم امره اليه فلما اسلما يعني ابرهيم وابنه اي
استسلما لامر الله ورضيا به اخذ ابنه وتله للجبين معنى تله صرعه والجبين ما عن يمين
الجبهة او شمالها وللوجه جبينان والجبهة بينهما وقال الحسن معنى وتله اضجعه للجبين
ومنه التل من التراب وجمعه تلول والتليل العنق لانه يتل به وناداه الله ان يا ابرهيم
وناديناه هو جواب فلما قال الفراء العرب تدخل الواو في جواب فلما وحتى اذا كما قال
حتى اذا جاؤوها وفتحت وفي موضع اخر فتحت وفي قراءة عبد الله فلما جهزهم بجهازهم وجعل
السقاية وفي المصاحف جعل بلا واو وموضع ان نصب بوقوع النداء عليه وتقديره وناديناه
بان يا ابرهيم اي بهذا الضرب من القول فلما حذف الباء نصب وعند الخليل انه في موضع
الجر قد صدقت الرؤيا وعملت ما امرت به في الرؤيا واختلفوا في الذبيح فقال
ابن عباس وعبد الله بن عمر ومحمد بن كعب القرظي وسعيد بن المسيب والحسن في احدى
الروايتين عنه والشعبي انه كان اسماعيل وهو الظاهر في روايات اصحابنا ويقويه قوله
بعد هذه القصة وتمامها وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فدل على ان الذبيح كان اسماعيل
ومن قال انه بشر بنبوة اسحق بعد مولده فقد ترك الظاهر لان الظاهر يقتضي البشارة باسحق
دون نبوته ويدل ايضا عليه قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ولم
يذكر اسماعيل فدل انه كان مولودا قبله وايضا فانه بشره باسحق وانه سيولد له يعقوب
فكيف يامره بذبحه مع ذلك واجابوا عن ذلك بان قالوا لم يقل الله ان يعقوب يكون من
ولد اسحق قالوا ايضا يجوز ان يكون امره بذبحه بعد ولادة يعقوب والاول هو الاقوى
على ما بيناه وقد روي عن النبي عليه السلم انه قال انا ابن الذبيحين ولا خلاف انه كان من
ولد اسمعيل والذبيح الاخر عبد الله ابوه ؛ وروي عن ابن عباس وعلي وابن مسعود وكعب
الاحبار انه كان اسحق وروي ذلك ايضا في اخبارنا وفي الناس من استدل بهذه الاية على

بجواز

جواز النسخ قبل وقت الفعل من حيث ان الله تعالى كان قد امره بذبح ولده ثم نسخ عنه قبل ان
يفعله ولا يمكننا ان نقول ان الوقت كان قد مضى لانه لو اخر عن الوقت الذي امره به فيه
لكان عاصيا ولا خلاف ان ابرهيم لم يعص فدل على انه نسخ عنه قبل وقت فعله ومن لم يجز
النسخ قبل وقت فعله اجاب عن ذلك بثلثة اجوبة احدها ان الله تعالى امر ابرهيم
ان يقعد منه مقعد الذابح ويشد يديه ورجليه ويأخذ المدية ويتركها على حلقه و
ينتظر الامر بامضاء الذبح على ما راى في منامه وكل ذلك فعله ولم يكن امر بالذبح
وانما سمي مقدمات الذبح بالذبح لقربه منه وغلبة الظن انه سيؤمر بذلك على ضرب
من المجاز الثاني انه امر بالذبح وذبح وكلما فرى جزءا من حلقه وصله الله بلا فصل
حتى انتهى الى اخره فاتصل به وصل الله تعالى فقد فعل ما امر به ولم يبن الراس ولا
انقى الروح الثالث انه امر بالذبح بشرط التخلية والتمكين فكان كما روي انه كلما اهوى
بالشفرة انقلبت وجعل على حلقه صفحة من نحاس وهذا الوجه ضعيف لان الله تعالى
لا يجوز ان يامر بشرط لانه عالم بالعواقب وانما يامر الواحد منا بشرط ذلك لانه لا يعلم العواقب
ولا فيه انه امر بما منع منه وهذا عيب ؛ فاما قول من قال انه فداه بذبح فدل ذلك
على انه كان مأمورا بالذبح على الحقيقة امتثالا على الوجه الاول لان من شان الفداء ان
يكون من جنس المفدى فليس ينبغي لانه لا يلزم ذلك الا ترى ان من حلق راسه وهو محرم
يلزمه دم وكذلك اذا لبس ثوبا مخيطا او شم طيبا او جامع وان لم يكن جميع ذلك من جنس
المفدى وقوله انا كذلك نجزي المحسنين معناه انا جازينا ابرهيم على فعله باحسن
الجزاء ومثل ذلك نجزي كل من فعل طاعة فانا نجازيه على فعله باحسن الجزاء ثم اخبر
تعالى بان هذا الذي تعبد به ابرهيم هو البلاء المبين اي الاختبار الظاهر وقيل هو النعمة
البينة الظاهرة ويسمى النعمة بلاء والنقمة ايضا بلاء من حيث انهما سبب بهما الود والبغا
كما يقال للاختبار البلوى هو الموت بعينه والمبين هو البين في نفسه الظاهر ويكون بمعنى المظهر

نافى الامر من خير او شر ثم قال تعالى وفديناه يعنى ولد ابرهيم بذبح عظيم فالفدا اسمعيل الذى
كان عزم لدفع الضرر عنه وقته وفداء المسلمين بالمشركين لدفع ضرر الاسر عنهم فكذلك
فداه الله ولد ابرهيم بالكبش لدفع ضرر الذبح عنه والعظيم هو الكبير وقيل
لان الكبش الذى فدى به تضعف مقدار غيره من الكباش هنه بالاضافة اليه وقال ابو يعلى
فدى بكبش من الغنم وهو قول مجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقال الحسن
فدى بوعل اهبط عليه من ثبير وقيل انه لا خلاف انه لم يكن من الماشية التى كانت
لابرهيم او غيره فى الدنيا وقيل انه رعى فى الجنة اربعين خريفا وقال مجاهد وصفه
بانه عظيم لانه متقبل والذبح بكسر الذال المثال لان يذبح وبفتح الذال المصدر وقوله
وتركنا عليه فى الاخرين يعنى اثنينا عليه الثناء الحسن فى امة محمد لانهم آخر الامم بان قلنا
سلام على ابرهيم وقد بينا تاويل ذلك ثم قال مثل ذلك نجزى كل محسن فاعل لما امر الله
به كما جازينا ابرهيم عليه السلام ثم اخبر تعالى ان ابرهيم كان من جملة عباده الذين
يصدقون بتوحيد الله وبجميع ما اوجبه عليهم ومن جملة المصدقين بوعد الله ووعيده
والبعث والنشور والجنة والنار وانما قال انه من المؤمنين مع انه افضل المؤمنين
ترغيبا فى الايمان بان مدح مثله فى جلالته بانه من المؤمنين كما يقال هو من الكرماء
وكذلك قوله ونبيا من الصالحين واذا مدح بانه يصلح فلانه لا يقوم غيره مقامه
ويستغنى به عنه **قوله تبارك وتعالى** وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين
وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ولقد مننا
على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم
الغالبين وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما
فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين
احدى عشرة آية يقول الله تعالى بعد ان ذكر قصة ابرهيم وولده الذى اخبر الله بذبحه

على ما اخبر الله انه بشره باسحق وانه آخر نعمه عليه بعد ذلك فعل من المسارعة الى ما امره
الله به وقصره على امتثال امره فيه وبين انه جعله نبيا من الصالحين وانه بارك عليه
يعنى على يعقوب وعلى اسحق وخلق من ذريتهما الخلق الكثير فمنهم محسن بفعل الطاعات
ومنهم ظالم لنفسه بارتكاب المعاصى مبين اى بين ظاهر ثم اقسم تعالى بانه من
على موسى وهرون اى انعم عليهما نعمة قطعها عنهما كل اذية واصل المن القطع من قوله
لهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع وقيل منه تقطع والمنية الموت لانها قاطعة من تصرف
الحى والبركة ثبوت الخير النامى على مر الدهر وقلت مثل من موسى وهرون باللطف فى دعائهما
الى الحق وبالحجج عن احوال الجبلة فى الشك بطاعة الله ونجيناهما وقومهما من الكرب
العظيم ومعناه انا خلصنا موسى وهرون وقوم كان آمن بهما من الكرب العظيم اى الاذى
الذى كان يؤذونهم بان اهلك الله فرعون وقومه وغرقهم ونصرناهم يعنى موسى وهرون
وقومهم وكانوا هم الغالبين لاعدائهم بالحجج الظاهرة وبالقهر من حيث ان الله غرق اعدائهم
وآتيناهما يعنى موسى وهرون الكتاب المستبين يعنى التورية الداعى الى ما فيه من
البيان بالمحاسن التى يظهر منه فى الاسماع فكل كتاب لله يجنب الصفة من ظهور الحكمة
فيه وهديناهما الصراط المستقيم يعنى ارشدنا موسى وهرون ودللناهما على الطريق
المؤدى الى الحق الموصل الى الجنة باخلاص الطاعة لله تعالى وقال قتادة الطريق المستقيم
الاسلام وتركنا عليهما فى الآخرين اى الثناء الجميل بان قلنا سلام على موسى وهرون
كما قلنا سلام على نوح فى العالمين ثم اخبر تعالى انه مثل ما فعل بهما نفعل بالمحسنين
المطيعين ونجزيهم مثل ذلك على طاعاتهم وقد دل ذلك على ان ما ذكره الله كان على
وجه الثواب على الطاعات لموسى وهرون ومن تقدم ذكره لان لفظ الجزاء يفيد ذلك
ثم اخبر ان موسى وهرون من جملة عباده المصدقين بجميع ما اوجبه الله عليهم العاملين
بذلك **قوله تبارك وتعالى** وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه

الا تتقون أتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين
فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الآخرين سلام
على آل ياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ء غير ابي
وقرا اهل الكوفة الا ابا بكر الله ربكم ورب آبائكم نصبا الباقون بالرفع من نصب جعله
بدلا من قوله احسن الخالقين ومن رفع استانف الكلام وقرا نافع وابن عامر ويعقوب
سلام على آل ياسين على اضافة ياسين الى آل والباقون على الياسين موصولة من [illegible]
المراد به على آل محمد لانه ليس اسم من اسمائه على ما حكيناه وقال بعضهم اراد آل
الياس عليه السلام وقال الجبائي اراد اهل القرآن ومن لم يضف اراد الياس
وقال الياسين لان العرب تغير الاسماء الاعجمية بالزيادة كما يقولون ميكائيل وميكائين
وميكال وميكائيل وفي اسماعيل اسماعين قال الشاعر يقول اهل السوق لما جينا
هذا ورب البيت اسرائينا اي اسرائيل وفي قراءة عبد الله وان ادريس لمن المرسلين
سلام على ادراسين وقيل ايضا انه جمع لانه اراد الياس ومن آمن معه من قومه وقال
الشاعر قدني من نصر الخبيبين قدي يعني ابن الزبير واخاه وكانا على
رايه عددا او لم يصنهم بالماء فقيل خبيبين فخفف في الشعر مثل الاشعرين وكما
قالوا سيرة العمرين وخبا لزهدمين وانما احدهما زهدم والآخر كردم وقال
قوم تقديره على آل ياسين فخفف لانه اراد الياس وقومه كما قالوا الاشعرون والمهلبون
قال الشاعر انا ابن سعد اكرم السعدينا وكلهم قرا وان الياس بقطع الهمزة
الا ابن عامر فانه وصل الهمزة واسقطها في الدرج فاذا ابتدا فتحها قال ابو علي
الفارسي يجوز ان يكون حذف الهمزة حذفا كما حذفها ابو جعفر في قوله انها لحدى
الكبر ويحتمل ان يكون الهمزة التي تصحب لام التعريف وهي تسقط في الدرج واصله
ياس اخبر الله تعالى ان الياس لمن جملة من ارسله الله الى خلقه ينادي عبادا الى توحيده

الا ياسين

وطاعته حين قال لقومه الا تتقون الله بترك معاصيه وفعل طاعاته فاللفظ لفظ الاستفهام
والمراد به الانكار كما يقول القائل الا تتقي الله يا فلان في ان تظلم او تزني او ما اشبه
ذلك وانما يريد بذلك الانكار ثم قال لهم اتدعون بعلا قال الحسن والضحاك وابن زيد
المراد بالبعل ههنا صنم كانوا يعبدونه والبعل في لغة اهل اليمن هو الرب يقولون من بعل
هذا الثوب اي من ربه وهو قول عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي ويقول هو بعل هذه
الدابة اي ربها كما يقولون رب الدار ورب الفرس وزوج المراة بعلها والنخل والزرع اذا
استغنى بماء السماء فهو بعل وهو العذي خلاف السقي والاصل الرب المالك فالزوج رب
البضع لانه مالكه ومعنى الآية اتدعون بالالهية صنما عادلين عن احسن الخالقين
وهذا انكار عليهم ان يعتقدوا ان غير الله اله او يقولون لغيره يا الهي وقال
قتادة الياس وهو ادريس وقال ابن اسحق هو من ولد هرون وهو اسم نبي وهو اعجمي
فلذلك لم ينصرف ولو جعل افعالا من الاليس وهو الشجاع الجري لجاز ثم بين لهم الذي هو
احسن الخالقين فقال الله ربكم الذي خلقكم ورب آبائكم الاولين الذي دبركم فخلقكم
وخلق آبائكم الاولين يعني من مضى من آبائكم واجدادكم ثم حكى ان قومه كذبوه ولم
يصدقوه وان الله اهلكهم وانهم لمحضرون عذاب النار ثم استثنى من جملتهم عباده الذين
اخلصوا عبادتهم لله وبين انه اثنى عليهم في الآخرين بان قال سلام على الياسين
وآل محمد هم كل من آل اليه بحسب او بقرابة وقال قوم آل محمد كل من كان على دينه ولا خلاف
بين النحويين ان اصل آل اهل فقلبوا الهاء همزة وجعلوها مدة لئلا يجتمع ساكنان الا ترى
انك اذا صغرت قلت اهيل ولا يجوز اويل لانه رد الى الاصل لا الى اللفظ وفي قوله
لمحضرون حذف لانه تقديره فانهم لمحضرون العقاب واليم العذاب لتكذيبهم وانما جاز
ما يقتضيه الحكم فيه وهذا الايهام تغليظ في الوعيد بالعذاب لانه لعظمه معلوم لا يخفى
امره وقصد الحجة عليهم في قوله ورب آبائكم الاولين انه اذا كان الرب واحدا اوجب

وجب اخلاص العبادة لواحد لانه الذي يملك الضر والنفع في جميع الامور وذلك باطل
عبادة الاوثان ثم قال كما جازينا هاولاء نجزي الجزاء وهو ان اثنينا عليهم في آخر الامم مثل
ذلك نجزي من فعل الطاعات واجتنب المعاصي ثم اخبر ان الياس كان من جملة عباده المؤمنين
بجميع ما اخبر الله به من وعد ووعيد وغير ذلك العاملين بما اوجب الله عليهم
قوله تبارك وتعالى وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ
فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ
لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ
شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ
إِلَى حِينٍ ستة عشر آية اخبر الله تعالى ان لوطا كان من جملة من ارسله الله نبيا
الى خلقه داعيا لهم الى طاعة الله ومنبها لهم على توحيده ووحدانيته وان قومه كذبوه
وجحدوا نبوته فاهلكهم الله ونجا لوطا واهله اجمعين واستثنى من جملة اهله
الناجين عجوزا اهلكها الله لكونها على مثل ما كان قومه عليه في الغابرين
اي في الباقين الذين اهلكوا فالغابر هو الباقي قليلا بعد ما مضى ومنه الغبار لانه
يبقى بعد ذهاب التراب قليلا والتغبير التلحين لانه يبقى الصوت فيه بالترديد قليلا
ومنه قول الشاعر به غبر من داء وهو صالح ثم انه لما نجى اهله وخلصهم دمر
الآخرين من قومه والدمار الاهلاك على وجه التنكيل ودمر عليهم اذا غيره الى
حال التشويه فان الله تعالى اهلك قوم لوط بما ارسل عليهم من الحجارة وبما فعل بهم في
انقلاب قراهم وقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون
توبيخ من الله للكفار الذين عاصروا النبي عليه السلم وتعنيف لهم على ترك اعتبارهم

واتعاظهم بمواضع هاولاء الذين اهلكهم الله ودمر عليهم مع كثرة مرورهم عليها صباحا
ومساء ليلا ونهارا وفي كل وقت ومن كثر مروره بمواضع العبرة فلم يعتبر كان الوم
٧٨ ممن قل ذلك منه وقوله افلا تعقلون معناه افلا تتدبرون فتتفكرون فيما نزل بهؤلاء
القوم فتعتبرون به لتجتنبوا ما كان يفعله القوم من الكفر والضلال وقيل وجه الحض
لذكر النبيين التشويق الى مثل ما كانوا عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال (التسويف)
وصرف الناس عن مساوي الاخلاق وقبايح الافعال قال الشاعر
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا ثم قال تعالى مخبرا
عن يونس عليه السلم انه كان من جملة من ارسله الله الى خلقه فحمله نبيا يدعوا الى
توحيده وخلع الانداد دونه وقوله اذ ابق الى الفلك المشحون معناه حين هرب
الى السفن المملوءة فالآبق الفار الى حيث لا يهتدي اليه طالبه يقال ابق العبد يابق
اباقا فهو آبق اذا فر من مولاه والآبق والهارب والفار واحد قال الحسن فر من قومه
الى الفلك المشحون اي المحمل الموقر وقوله فساهم قال ابن عباس معناه فاقرع
هو قول السدي وكان من المدحضين قال مجاهد يعني من المسهومين والمساهمة
المقارعة فلما ساهم يونس قومه وقع السهم عليه فالقي في البحر فالتقمه الحوت فكان من
المدحضين قال الحسن كان من المقرعين وقيل معناه فكان من الملقين
في البحر والدحض الزلق لانه يسقط عنه المار فيه وقوله حجتهم داحضة اي
ساقطة ودحض دحضا فهو داحض وادحضه ادحاضا وقيل كان يونس عليه السلم
قد توعدهم بالعذاب ان اقاموا على ما هم عليه فلما راوا مخايل العذاب وامارته دعوا
الله ان يكشف عنهم وتابوا اليه فكشفه وكان يونس قد خرج قبل ان يامره الله عز وجل
بالخروج من بين قومه استحياء فلما كشف الله عنهم لم ينته على الخروج ومضى على
وجهه الى ان ركب البحر وقيل انما ساهموا لانهم اشرفوا على الغرق فراوا ان طرح واحد

ابن عرفة الجميع وقيل لابل لما ادا اولهوت قد تعرضت لهم قالوا فينا مذنب مطلوب فقلدعوا
فقاخرج على يونس ثم رمى في البحر فالتقمه الحوت ومعناه ابتلعه يقال التقمه التقاما و لقم
يلقم لقما و تلقم تلقما وقوله وهو مليم معناه اتى بما يلام عليه و ان وقع مكفرا عنه
من قال يجوز الصغاير على الانبياء وعندنا مذ يلام على ترك الندب يقال الام الرجل
الامة فهو مليم وقال مجاهد وابن زيد المليم المذنب ❁ قال لبيد
سفهاعذلت ولمت غير مليم وهداك قبل اليوم غير حكيم ❁ ثم قال فلولا انه
كان من المسبحين قال قتادة المصلين في حال الرضا فنجاه الله من البلاء وقال
سعيد ابن جبير كان يقول لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين والتسبيح
التنزيه عما لا يليق به و لا يجوز في صفته ويقال سبح الله يسبح تسبيحا اذا قال سبحان
الله معظما له بما هو عليه من صفات التعظيم نافيا عنه ما لا يليق به و لا يجوز عليه
من صفات المخلوقين والمحتاجين وقوله للبث في بطنه الى يوم يبعثون اخبار منه
تعالى انه لولا تسبيح يونس لتركه الله يبقى في بطن الحوت الى يوم القيامة الذي
يبعث الله فيه الخلايق وقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم اخبار منه تعالى انه لما اراد
تخليصه طرحه بالعراء وهو الفضاء الذي لا يواريه شجر ولا غيره ❁ قال الشاعر
رفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابى وقال السدي
لبث في بطن الحوت ثم اخبر تعالى انه انبت عليه شجرة من يقطين يكنه من حر
الشمس واليقطين كل شجرة ليس لها ساق يبقى من الشتاء الى الصيف فهو يقطين
وقال ابن عباس وقتادة هو القرع وقال مجاهد وسعيد بن جبير كل
شجر لا يقوم على ساق كالبطيخ والدبا والقرع فهو يقطين وهو يفعيل من قطن
بالمكان اذا اقام اقامة زايل لا اقامة راسخ كالنخل والزيتون ونحوه والقطانى
من الحبوب التي تقيم في البيت مثل العدس والحلبة والحمص واحدها قطنية وقطنية

ادبعين يوما وهو سقيم
اى هو مريض حين
القاه الحوت صح

وقاطنه

وقطنة

٧٩

وقطنية مثل بريك لقطوية في البيت قال ابن ابي الصلت ❁ فانبت يقطينا عليه برحمة
من الله لولا الله القى صاحيا ❁ وروى عن ابن عباس ان اليقطين كل شجرة لها ورق
عريض وقوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قيل ارسل الله يونس الى اهل
نينوى من ارض الموصل في قول قتادة وقال ابن عباس كانت رسالته بعد ما نبذه الحوت
فيجوز هذا على انه ارسل الى قوم بعد قوم ويجوز ان يكون ارسل الى الاولين بشريعة
فامنوا بها وقيل ان قوم يونس لما راوا امارات العذاب و لم يكونوا في معاينة
الجنة واليأس من البقاء امنوا وقبل الله ايمانهم لانه لو كانوا حصلوا في العذاب
لكانوا ملجئين ولما صح ايمانهم على وجه يستحقون به الثواب وقوله او يزيدون
قيل في معنى او ثلثة اقوال احدها ان تكون بمعنى الواو وتقديره الى مائة الف
وزيادة عليهم الثاني ان تكون بمعنى بل على ما قال ابن عباس الثالث ان تكون
بمعنى الابهام على المخاطبين كانه قال ارسلناه الى احدى العددين ثم حكى تعالى انهم
امنوا بالله واقروا له بالوحدانية وراجعوا التوبة وكشف الله عنهم العذاب
ومتعهم الى وقت فناء اجالهم فالتمتع والامتاع هو التعريض للنافع الحاصلة كالامتاع
بالبساتين والرياض وسرى الطعام والشراب قوله تبارك وتعالى شىء
فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون
الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على
البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم
ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين ٤ اثنا عشرة اية ❁ كلهم قرا اصطفى
بقطع الهمزة على الاستفهام الا ورشا واسماعيل عن نافع فانهما وصلاه على الخبر وبه
قرا ابو جعفر قال ابو علي الفارسي يجوز ان يكون على تقدير لكاذبون قالوا اصطفى

ويجوز ان يكون على تقدير لكاذبون اصطفى البنات على ما يقولونه والوجه قطع الهمزة
لانه على وجه التقريع والتوبيخ في لدام اتخذ مما يخلق بنات قال قتادة والسدي
ان قريشا كانت تقول الملائكة بنات الله تعالى فامر الله نبيه عليه السلم ان يستفتيهم
معنى ان يطلب الحكم منهم في هذه القضيه على وجه التقريع لهم والتوبيخ لقولهم الربك
البنات يعني كيف يكون لربك البنات ولهم البنون ومن اين علموا ان الملائكة
اناث الا انهم شاهدوا اخلق الله لهم فراوهم اناثا فانهم لا يمكنهم ادعاء ذلك
ثم اخبر تعالى فقال الا انهم من افكهم اى من كذبهم في قول قتادة والسدي هذا القول
وهو ان يقولوا ولد الله وانهم لكاذبون في هذا القول ثم قال اصطفى البنات
على البنين من قطع الهمزة اراد الانكار بلفظ الاستفهام والمعنى كيف يكون هذا
وكيف يختار البنات على البنين ومن وصل الهمزة اراد الاخبار بذلك فالاصطفاء اخراج
الصفوة من الشيء وهي خالصته وانما يصطفي الله تعالى افضل الاشياء ومن اصطفى ا
الادون على الافضل مع القدرة على الاعلى كان ناقصا والله تعالى لا يليق بصفات
النقص في اصطفاء البنات على البنين مع استحالة اتخاذ الولد عليه لما في ذلك من حق
التشبيه لانه انما يتخذ الولد من يجوز ان يكون مثل ذلك ولد الله ولذلك لا يجوز ان
يتخذ النبات شيئا ولدا ولا ان يتخذ الانسان بعض البهائم ولدا لما لم يكن ذلك فاذا
استحال الولد عليه تعالى فما هو شبيه به اولى بان يستحيل عليه واصل اصطفى اصتفى
فقلبت التاء طاء لتعديل الحروف في الاطباق والاستعلاء بما هو من مخرج التاء فالطاء
وسط بين الحرفين لمناسبتها التاء بالمخرج والصاد بالاستعلاء والاطباق وقوله
ما لكم كيف تحكمون تعجيب لهم بوضعهم الشيء في غير موضعه لانهم وضعوه موضع الحكمة
وليس الامر كذلك اذ انهم على غاية من الخطاء الذي يدعوا اليه الجهل وقوله ام لكم سلطان
مبين معناه هل لكم حجة ظاهرة وبرهان بين فيما تدعونه وعكوه وسمى البرهان

سلطانا لانه يتسلط به على الانكار لمخالفة الحق والبيان اظهار المعنى النفس ثم قال
على وجه الانكار عليهم فاتوا بكتابكم ان كان معكم حجة من كتاب انزله الله اليكم فاتوا
ان كنتم صادقين في هذا القول فانهم لا يجدون على ذلك ابدا ثم اخبر تعالى ٨٠
عن هؤلاء الكفار انهم جعلوا بين الله وبين الجنة نسبا قال الحسن اشركوا
الشيطان في عبادة الله فهذا النسب الذي جعلوه وقال قوم بل لانهم قالوا ان الله
تعالى تزوج من الجن تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقيل سميت الملائكة جنة
لاستتارهم عن العيون ومعنى الاية ان هؤلاء الكفار بجعلهم الملائكة بنات الله جعلوا
بينه وبينهم نسبا وهو قول مجاهد وقتادة ثم قال تعالى على وجه الرد عليهم
ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وقال مجاهد انهم علموا انهم محضرون الحساب وقال
السدي علموا ان قايل هذا القول يحضر العذاب ثم نزه تعالى نفسه عن قولهم وصفتهم
فقال سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين استثنى عباده الذين اخلصوا تقوى
في جهوا العبادة اليه تعالى ووصفوه بما يليق به من جملة الكفار القايلين بما لا يليق به
قوله تبارك وتعالى فانكم وما تعبدون وما انتم عليه بفاتنين
الا من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن
المسبحون وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله
المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ه عشر آيات ا قرا الحسن صال الجحيم بالرفع وهي
تحتمل شيئين احدهما الجمع الثاني القلب كقولهم شاك وشايك في السلاح وهاير وهاير
الباقون صالي بكسر اللام على وزن فاعل هذا خطاب من الله تعالى للكفار الذين كانوا يعبدون
الاصنام بان قال لهم فانكم وما تعبدون موضع ما نصب عطفا على الكاف والميم وهو
في موضع نصب بان والتقدير انكم معاشر الكفار والذين تعبدونه ما انتم عليه بفاتنين
قال الفراء تقديره انكم وآلهتكم ما انتم عليه بفاتنين اى بمفتنين وما انتم عليه اى وما

انتم على ذلك الذين تعبدون عليه وبه ولا سواء في المعنى واحل عند يقولون افتنت واهل
الحجاز فتنت اى لستم عليه بفاتنين والفاتن الداعي الى الضلال لا بتزيينه له فكل من دعا
الى عبادة غير الله بالاغواء والتزيين فاتن لانه يخرجه الى الهلاك واصل الفتنه من
قولهم فتنت الذهب بالنار اذا اخرجته الى حال الخلاص وفتنات فتونا اى اخرجت
بالامر الحق الى حال الخلاص وقوله الا من هو صال الجحيم اى لستم تفتنون الا من يصلى
الجحيم ومعناه الا من يلزم النار ومنه الصلاة للزوم الدعاء فيها والمصلي الذي يجيء — وحرق بها ومنه المصطلى وهو المستدفي بالنار
السابق للزومه اثره والمعنى ان من يقبل من هذا الفاتن ويتقاده هو يصلى الجحيم
وقوله وما منا الا له مقام معلوم معناه ما منا ملك الا له مقام مختص ومعناه لا يتجاوز
ما امر به ورتب له كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذي حد له فكيف يجوز ان يعبد من هذه
الصفة وهو عبد مربوب ووصف المقام بانه معلوم لانه معلوم انه معلوم لله على ما يقتضيه
الحكمة وهو محدود لا يتجاوز ما امر به ولا يخرج وقوله وانا لنحن الصافون قيل صافون
حول العرش ينتظرون الامر والنهي من الله تعالى وقيل الصافون في الصلاة وقوله
وانا لنحن المسبحون معناه المصلون من قولهم فرغت من سبحتي اى من صلاتي وسميت الصلاة
تسبيحا لما فيها من تسبيح الله وتعظيمه بعبادته والمسبحون القايلون سبحان الله على وجه
التعظيم له بعظيم العبادة وقوله وان كانوا ليقولون فان هذه المخففة من الثقيلة
بدلالة دخول اللام في خبرها كما قال وان ربك ليحكم بينهم ودخلت هذه اللام
لتفرق بين ان الثقيلة والخفيفة التي للجحد في مثل قوله ان الكافرون الا في غرور
والمعنى ان هؤلاء الكفار كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اى كتابا فيه ذكر من
كتب الاولين الذي انزل على انبيائه وقيل معنى ما يبقى العلم ذكرا لان الذكر
من اسبابه فسمي باسمه من الاولين الذين تقدموا وما فعل الله بهم لكنا نحن ايضا من
عباد الله الذين اخلصوا العبادة لا يجعلوا العذر في امتناعهم من الايمان انهم

لا يعرف فوت الخيار من تقدمهم وهل حصلوا في جنة او نار فقال الله تعالى وكفروا به ٨١
يعني بالذكر لانهم طلبوا كتابا كما للاولين التوراة دالا على توحيد الله فلما جاءهم
القرآن كفروا به وبمن جاء بالقرآن في قول ابن عباس والسدي فهددهم الله
على هذا الكفر فقال فسوف يعلمون فيما بعد اذا لاقوا ما هم بعقاب النيران
قوله تبارك وتعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون
افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى
حين وابصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين ه اثنا عشرة آية ه اقسم الله تعالى لان هذه
اللام لام القسم بانه سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الذين بعثهم الله الى خلقه بانهم سينصرون
بنصرهم على اقوامهم بالحجج وانما قدم الله تعالى الكلمة للمرسلين بانهم سينصرون
لما في ذلك من اللطايف للملايكة والسامعين لها وصيت جملة من الكلام بانها كلمة لانعقاد
بعض معانيه ببعض حتى صارت الجملة صفة التوحيد كحكم واحد وقضية واحدة وقال
السدي النصر للمرسلين بالحجة لان منهم من قتل وقال الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل
قط ثم اخبر تعالى ان جنود الله للكفار لغالبون اى يقهرونهم تارة بالحجة واخرى
بالفعل ثم قال لنبيه عليه السلم فتول عنهم يعني اعرض عن هؤلاء الكفار حتى حين
الى ان آمرك بقتالهم يعني يوم بدر في قول السدي وقال قتادة الى الموت وقال
قوم الى يوم القيامة وقال قوم الى انقضاء مدة الامهال وقوله وابصرهم فسوف
يبصرون معناه انظرهم فسوف يرون العذاب في قول ابن زيد وقال غيره ابصر
حالهم بقلبك وقيل ابصرهم في وقت النصر وفي الاية دلالة على المعجز لانه تعالى وعد
نبيه بالنصر فكان الامر على ما قال وقوله افبعذابنا يستعجلون معناه الانكار

علمهم بانهم يطلبون العذاب عاجلا قبل وقته ثم قال فاذا نزل يعني العذاب بساحتهم اى
بفنائهم فساء صباح المنذرين اى بئس الصباح صباح من خوف وحذر ثم عجل نقوله ويقال
فالساحة ناحية الدار وهو فناؤها وهو الفناء الواسع من ذلك وصف بانه نازل به العذاب
لعظمه لا يسعه الا الساحة ذات الفناء الواسع وقال السدى نزل بساحتهم اى
ببلادهم وساء اذا كانت يعني بئس لا تنصرف تصرف بئس ومثل قوله ساء مثلا القوم الذين
كذبوا بآياتنا ولو كان يعني الاخبار المحض لجاز ان يقال ساء يسوء سوءا اى وقع به ما يسوء
ثم قال لنبيه وتول عنهم حتى حين اى اعرض عنهم الى حين وقد فسرناه وابصر فسوف
يبصرون وقد مضى معناه وانما كرر لانهما علامتان عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ثم قال
سبحان ربك رب العزة عما يصفون اى التنزيه لك عما لا يليق به من الصفات ربك
الذى خلقك ومالك التصرف فيك رب العزة يعني العزة التى يعز الله بها الانبياء وقيل
وهى منعة القادر الذى لا يضام ولا يرام فالعزة لله جل هو رب بها القادر الذى لا يعجزه
شئ منها ولا من غيرها جل وعلا عما يصفون يعني ما يصفه به الكفار من اتخاذ الاولاد و
اتخاذ الشريك وسلام على المرسلين الذين ارسلهم الله الى عباده والحمد لله رب العالمين
اى والشكر والحمد لله الذى خلق جميع العالم وملك التصرف فيهم

سورة ص

هى مكية فى قول مجاهد وقتادة والحسن ليس فيها ناسخ ولا منسوخ وهى ثمان وثمانون
آية فى الكوفى وست وثمانون فى البصرى وست فى المدنى قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم
من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون
هذا ساحر كذاب اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ٥ آيات

وابصرهم فى عذاب الاخرة و ابصرهم فى عذاب الدنيا ثم قال

قرأ الحسن صاد بكسر الدال وقال عيسى بن عمر بفتحها الباقون بالوقف وهو الصحيح لان حروف
الهجاء يوقف عليها ومن كسر فلاجتماع الساكنين وقيل انه جعله من المصاداة وهى المعارضة
ومن فتح فلان الفتحة اخف من الكسرة لم يعتد واصاد آية لانه يشبه الاسم المفرد فى انه على
ثلثة احرف فى هجاء حروف الجملة ولا يشاكل آخره رؤس الآى التى بعده بالردف فخرج عن الحروف
وليس هاهنا شئ من ذلك واختلفوا فى معنى صاد فقال قوم هو اسم من اسماء السور
على ما اخترناه فيما مضى وقال ابن عباس هو اسم من اسماء الله اقسم به وقال السدى
هو من حروف المعجم وقال الضحاك معناه صدق وقال قتادة هو اسم من اسماء القرآن
اقسم الله تعالى به وقال الحسن هو من المصاداة وهو صاد بالكسر امر للنبى عليه السلام اى عارض القرآن
بعملك والقرآن قسم فلله الحمد ذى الذكر قال ابن عباس ذى الشرف وقال الضحاك وقتادة
ذى التذكر وقيل معناه ذى الذكر للبيان والبرهان المؤدى الى الحق الهادى الى الرشد
الواقع عن الغى وفيه ذكر الادلة التى من تمسك بها سعد ومن عدل عنها شقى ومن عمل بها نجا
ومن ترك العمل بها هلك واختلفوا فى جواب القسم فقال قوم هو محذوف وتقديره لجاء الحق
وظهر لان حذف الجواب فى مثل هذا ابلغ لان الذكر يقتضى التحقيق على وجه والحذف يصرف
الى كل وجه فهم وقال قوم جوابه ما دل عليه قوله بل الذين كفروا كانه قال والقرآن
ذى الذكر ما الامر على ما قالوا ذكر ذلك قتادة وقال الفراء والزجاج الجواب كم وتقديره
كم اهلكنا فلما طال الكلام حذفت اللام وصارت كم جوابا للعزة والبينة ومثله قوله
والشمس وما سواها فالهمها فصارت قد افلح تابعا لقوله فالهمها وكفى من جواب القسم وكان
قال والشمس وضحاها قد افلح وقال قوم الجواب قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار والاول
ضعيف من اول الكلام وقوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق اخبار منه تعالى ان
الكفار فى عزة اى حمية وشقاق فى قول قتادة وقال ابن زيد الشقاق الخلاف والعزة التعزز
فى الاقدار فالله تعالى اخبر بها وان الكفار ومكنهم ليبعدوا بها على الطاعات فعقوا وابتوه

المعجم نحو تاب وداب وباب وانما يعد آية ما يشبه

للقسم

العاصي وعلى

اتباعهم بها على دفع الحق الذي اتاهم وصاروا في شق غير شق رسولهم الذي من قبل بعثه
ثم اخبر تعالى انه اهلك امما كثيرة قبل هولاء الكفار حين عصاه الذين كفروا فلما
نزل بهم العذاب نادوا اى استغاثوا ولات حين مناص ومعناه ليس حين فرار من العذاب
وقيل المناص المنجا يقال ناص ينوص نوصا اذا تاخر وناص ينوص نوصا اذا تقدم قال
امرو القيس ؛ امن ذكر ليلى ان نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة وتبوص وتنصب لات
حين لانها مشبهة بليس من جهة انها نفي ولا يعمل الا في الحين خاصة لضعف الشبه حتى
مثل له ما اذا كانت مشبهة من جهة النفي والحال قال الشاعر ؛ تذكرت ليلى لات
حينا واضحى الشيب قد قطع القرينا والوقف على لات بالتاء على قياس نظيرها ربت
وثمت لان ما قبلها ساكن وهو قول الفراء والكسائي يقف بالهاء لانه يجعل الالف في بنية
الحركة ومن زعم انه لاتحين موصولة فقد غلط لانها في المصحف وتاويل العلماء مفصولة
وقيل ان ناصا جر بلات وانشدوا لابي حيان زبيد طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا
ان ليس حين بقاء ؛ وقال الزجاج انشد ابو العباس بالرفع قال وقد روى بالكسر
وقال الزجاج من كسر اوان جعله مبنيا منزلة قبل الاقوام وبناه على حذف المضاف اليه
وكسر دون ان يضم لانه نونه فاجراه على نظايره من السوى المبنى واراد ولات اوانا ثم اخبر
تعالى ان الكفار عجبوا حين جاءهم منذر اى مخوف من جهة الله يحذرهم معاصيه ويدعوهم
الى طاعته فقالوا هذا امر عجاب وعجب وعجاب وعجاب شدد بمعنى واحد مثل كريم وكرام
وكرام فعجب هولاء الكفار من ان الله بعث نبيهم وهو منهم وقالوا كيف خص بذلك وليس
باشرفنا ولا اغنانا وقيل ان ابا جهل وجماعة من اشراف قريش مشوا الى ابي طالب وشكوا
اليه النبي عليه السلام وقالوا له قد سفه احلامنا وشتم الالهة فدعاه ابو طالب وقال له ما لي
هولاء يشكونك فقال النبي عليه السلام ادعوهم الى كلمتين خفيفتين يسودون على العرب بها
ويؤدي الخراج اليهم بها العجم فقال ابو جهل وغيره ما هما فقال عليه السلام يشهدون ان لا اله الا

الله

٨٣

الله واني رسول الله فقال ابو جهل اجعل الالهة الها واحدا فانزل الله الاية قوله تعالى
وانطلق الملا منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة
الاخرة ان هذا الا اختلاق أانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل
لما يذوقوا عذاب ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب ؛ خمس ايات في الكوفي واربع في الباقي
اخبر الله تعالى عن هولاء الكفار الذين ذكرهم انهم انطلقوا اى ذهبوا فالانطلاق
ذهاب بسهولة ومنه طلاقة الوجه وهي سهولة وبشره خلاف العبوس وقوله ان امشوا قال
الزجاج اى بهذا القول وتقديره بان امشوا وقال قوم معنى ان اى التي للتفسير لانه
صار انطلاقهم بدلالة حالهم هذا المعنى بمنزلة الناطق به كما يقولون قام يصلي اى انا رجل
صالح وقال بعضهم معناه الدعا لهم بان يكثر ما شيتكم وهذا باطل لفظا ومعنى اما اللفظ
لانه لو كان كما قالوه لكانت الهمزة من امشوا اذا امر منها مفتوحة لانه من امشى يمشي
اذا كثرت ماشيته والامر منه امشوا بقطع الهمزة والقراء يكسرها قال الشاعر ؛
وكل فتى وان اثرى واشى ستحلجه عن الدنيا منون ؛ واما المعنى فلانه لا يتاول ما قبله
ولا ما بعده وقوله واصبروا على الهتكم اى قال بعضهم لبعض ان اصبروا واعلى عبادة
الهتكم وتحمل المشاق لاجلها وقال مجاهد القايل لذلك عقبة بن ابي معيط فالصبر
محمود اذا كان في حبس النفس عن المحارم فهولاء الجهال اعتقدوا ان الحق في الصبر على
الهتهم ولم يعلموا ان ذلك كفر وفي ذلك دلالة على فساد قول من يقول ان المعارف
ضرورة وقال الحسن اى ان هذا امر يكون في اخر الزمان وقوله ان هذا لشيء يراد
معناه هذا الذي يدعيه محمد ويدعوا اليه لشيء يراد به امر من الاستعلاء علينا والرياسة
فينا والتفضل لنا ثم حكى ما قالوه فانهم قالوا ما سمعنا بهذا يعنون ما يدعونا اليه النبي
عليه السلام من التوحيد وخلع الانداد من دون الله في الملة الاخرة قال ابن عباس يعنون

في الضلالة لانها آخر الملل وقال مجاهد يعنون في مكة وقريش ثم قالوا ان هذا الا اختلاق
قال ابن عباس ومجاهد معناه ليس هذا الا تخرص وكذب ثم تعجبوا فقالوا أأنزل عليه الذكر
من بيننا يعنون كيف خص محمد بانزال القرآن دوننا فقال الله تعالى بل هم في شك من ذكري
معناه ليس يحملهم على هذا القول الا الشك في الذكر الذي انزلت على رسولي بل لما يذوقوا عذاب
ثم قال ام عندهم خزائن رحمة ربك قال الفراء الاستفهام اذا توسط الكلام ابتدئ بالالف وبأم
فاذا لم يسبقه كلام لم يكن الا بالالف او بهل ووجه اتصال هذا القول بما تقدم هو اتصال
الانكار لما قالوا فيه اي ذلك اليهم وانما هو الى من ملك هذه الامور وخزائن رحمة
ربك معناه مفاتيح النعم يعطيها على ان ينعم بها عليهم وقوله العزيز يعني القادر الذي
لا يغالب ولا يقهر الوهاب الكثير الهبة الانعام ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فان كان
لهم ذلك فليرتقوا في الاسباب وهي جمع سبب وكل ما يتوصل به الى المطلوب من حبل او سلم
او وسيلة او رحم او قرابة او طريق او جهة صوب ومنه قيل تسببت بكذا الى كذا اي توصلت السبب
قوله تبارك وتعالى جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب كذبت
قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة
اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة
واحدة ما لها من فواق ه خمس آيات ه قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم الفاء والباقون
بفتحها فالفواق بفتح الفاء معناه ما لها من راحة واذا ضمت الفاء فالمعنى ما لها من فواق
ناقة وهو قدر ما بين الحلبتين وقيل هو ما بين الرضعتين وقيل ها هنا مثل مصاص
النفس وخلاصه وجمام الماء وجمامه وهو الافاقة وهو الحالة بعد الغشية ما في قوله
جند ما صلة مؤكدة يريد جند هنالك هنالك المكان البعيد وهناك للوسط بين القريب
والبعيد وهنا للقريب ونظيره ذا وذاك وذلك ومثل ما في كونها صلة قولهم
لامر ما جدع قصير انفه وعندي طعام ما ه قال الاعشى ه فاذهبي ما اليك

ادركني

ادركني الحلم عندي اي من حلمكم اذ غالني وقيل انها مقوية للنكرة المبتدأة في ما والجند جمع معد
للحرب وجمعه اجناد وجنود وجند الاجناد اي جيش الجيوش ومنه قوله الارواح جنود
مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقوله مهزوم يعني مغلوب عن
ان يصعدوا الى السماء والمهزوم من وقعت بهم الهزيمة وهي الفرار من الحرب ولو فر
انسان من ضرب لم يكن ذلك هزيمة وكذلك من فر من الجيش وقوله من الاحزاب معناه
من حزب ابليس واتباعه ه ثم اخبر تعالى انه كذب مثل هؤلاء الكفار واتباعه فاتت
له اراد العبرة قوم نوح فاغرقهم الله وقوم عاد فاهلكهم الله وقوم فرعون ذي
الاوتاد وقيل في معناه اقوال منها انه كانت له ملاعب من اوتاد يلعب له عليها وهو
قول ابن عباس وقتادة وقال السدي والربيع ابن انس انه كانت له اوتاد يعذب
الناس بها وقال الضحاك معناه ذو البنيان والبنيان اوتاد ثم قال وثمود وقوم لوط
واصحاب الايكة اولئك الاحزاب يعني احزاب ابليس والايكة الغيضة وقال ابو عمرو
ابن العلاء هي الملتف من النبع والسدر وهي الحرجة ه قال الشاعر افمن بكاء حمامة قال السدي
في ايكة فرضت دمعك فوق ظهر المحمل يعني محمل السيف وقوله ان كل الا كذب الرسل
معناه ليس كلهم الا كذبوا انبياء الله وجحدوا نبوتهم فاستحقوا عقابي ثم قال
عقابي ثم قال وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة اي ليس ينتظر هؤلاء الا صيحة عذاب
لا يكون لتلك الصيحة افاقة بالرجوع الى الدنيا وهو قول قتادة والسدي وقال
ابن زيد ما لها من فواق اي من فتور كما يفيق المريض قوله تبارك وتعالى
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا
داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق
والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب
خمس آيات ه يقول الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين قصصنا انهم يقولون

الله وشكا فيه وقيل قول السدي انهم سالوا ان يريهم حظهم

على وجه الاستهزاء بعذاب الله ربنا عجل لنا قطنا اى قدم لنا نصيبنا من العذاب قال
ابن عباس ومجاهد وقتادة طلبوا حظهم من العذاب تهزيا بخبر النعيم في الجنة حتى يوصفوا
وقيل انما سألوا ان يعجل كتبهم التي يقرءونها في الآخرة استهزاء منهم بهذا الوعيد والقط
الكتاب قال الاعشى ولا الملك النعمان يوم لقيته بنعمته يعطي القطوط ويافق
اى كتب الجوائز لانها قطع نصيب لكل واحد مما كتب والتعجيل فعل الشيء قبل وقته الذي
ينبغي ان يفعل فيه والقط النصيب واصله القطع من قولك قط يقط ومثله قدّ يقدّ
قدًّا ومنه قط لهم ما دام يحفظ يقطعه اى قطع الاجر الذي حق قبل يوم الحساب
اى قبل اليوم الذي يحاسب فيه الخلق ويجازون فيه على اعمالهم على ما يقولون فقال
الله تعالى لنبيه اصبر على ما يقولون اى احبس نفسك على اذاهم وصبر على اذى الجهم
واذكر عبدنا داود ذا الايد ترغيبا له في الصبر المامور به وانه لا يجد فيه من لسان
الله الملك على ما احسانه الى داود وقبلك وانه لو شاء لاعطاك في الدنيا مثل ما اعطى داود
ولكنه دبّر لك ما هو اعود لك وقوله ذا الايد قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
معناه ذا القوة ومنه قوله والسماء بنيناها بأيد اى بقوة وقوله انه اواب قال
ابن زيد معناه تواب وبه قال مجاهد وهو من آب يؤوب اى رجع الى الله فلذلك
مدحه ثم احسن تعالى من نعمه التى انعم بها على داود فقال انا سخرنا الجبال معه يسبحن
بالعشي والاشراق ومعناه انها كانت تسير بامر الله معه حيث سار بالغداة والعشي
فسمى الله ذلك تسبيحا لما في ذلك من دلالة على قدرته وتنزيهه عن خلقه وصفاته التي
لا يشاركه فيها غيره والاشراق وقت طلوع الشمس يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت
اذا اضاءت والطير محشورة وتقديره وسخرنا الطير محشورة اى مجموعة من كل ناحية اليه
يعني الطير والجبال له اواب اى رجاع الى ما يريد وقيل مسخرة ذكره قتادة وقال
الجبائي لا يمتنع ان يكون الله خلق في الطيور من المعارف ما تفهم به امر داود ونهيه فتطيعه

رحا

٨٥

فيما يريد منها وان لم يكن كاملة العقل مكلفة ثم قال وشددنا ملكه يعني قوينا
ملكه بالجنود والهيبة وآتيناه الحكمة اى علمناه الحكمة وفصل الخطاب ومثله قوله
البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه اى اصابة الحكم بالحق وقال البلخي يجوز ان
يكون المراد تسبيح الجبال تسبيحا هو ما اعطى الله تعالى داود من حسن الصوت بقراءة
الزبور فكان اذا قرأ الزبور او ذكر ما هو تسبيح فرفع صوته بين الجبال رد الجبال
عليه مثله كما يرد الصدى فسمى الله ذلك تسبيحا لما تضمنه من الدلالة والاول احسن
قوله تبارك وتعالى وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا
على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق
ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي
نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا و
عملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر
راكعا واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب خمس آيات
هذا خطاب من الله تعالى لنبيه وصورته صورة الاستفهام والمراد اخباره بما كان
من قصة داود من الحكم بين الخصمين وتنبيهه على موضع اخلاله ببعض ما كان
ينبغي ان يفعله فقال وهل اتاك نبأ الخصم يعني خبره فالنبأ الخبر بما يعظم حاله
اذ تسوروا المحراب يعني حين صعدوا اليه المحراب والخصم هو المدعي على غيره حقا من
الحقوق المنازع له فيه ويعبر به عن الواحد والاثنين والجماعة بلفظ واحد لان اصله
المصدر فتقول رجل خصم ورجلان خصم ورجال خصم ولذلك قال اذ تسوروا
المحراب لانه اراد المدعي والمدعى عليه ومن معهما فلا يمكن ان يتعلق به في ان اقل
الجمع اثنان لما قال خصمان بغى بعضنا على بعض لانه اراد بذلك الفريقين والخصمين

خصمته اخصمه خصماً والتسور الاتيان من جهة السور يقال تسور فلان الدار اذا اتاها
من قبل سورها وكانوا اتوه من اعلى المحراب فلذلك فزع منهم والمحراب مجلس الاشراف
الذي يحارب دونه لشرف صاحبه ومنه سمي المصلى محراباً وموضع القبلة ايضاً محراب وقوله
اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض معناه ان
هاؤلاء حين دخلوا على داود من غير جهة الباب الذي اعتاد الدخول عليه منها فزع منهم لانه ظنهم
اعداء يريدون به سوءاً فقالوا لا تخف خصمان اي نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فهو كقولهما يعني فريقان
خصمان بغى بعضنا على بعض لانهما كانا ملكين ولم يكونا خصمين ولا بغى احدهما
على الآخر وانما هو على المثل فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط معناه ولا تجاوز الحق ولا
تجر ولا تسرف في حكمك بالميل مع احدهما على الآخر يقال اشط في حكمه اذا جار يشط فهو
مشط وشططت علي في السوم تشط شططاً قال الشاعر الا يا لقومي قد اشطت
عواذلي ويزعمن ان اودى بحقي باطلي وقال آخر تشط غداً دار جيراننا وللدار
بعد غد ابعد وقوله واهدنا الى سواء الصراط معناه ارشدنا الى قصد الطريق
الذي هو طريق الحق ووسطه كما قال فاطلع فرآه في سواء الجحيم ثم حكى تعالى ما قال
احد الخصمين لصاحبه فقال ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة قال
وهب ابن منبه يعني اخي في ديني وقال اكثر المفسرين انه كنى بالنعاج عن تسع
وتسعين امرأة كانت له وان الآخر له نعجة واحدة يعني امرأة واحدة وقال الحسن لم
يكن له تسع وتسعون امرأة وانما هو على وجه المثل وقال ابو مسلم محمد بن بحر
الاصفهاني اراد النعاج باعيانها وهو الظاهر غير انه خالف اقوال المفسرين
وقال هما خصمان من ولد آدم ولم يكونا ملكين وانما فزع منهما لانهما دخلا
عليه في غير الوقت المعتاد وهو الظاهر غير انه خلاف اقوال المفسرين على ما قلناه
وقوله فقال اكفلنيها معناه اجعلني كفيلاً بها اي ضمنها لامرها ومنه قوله

وكفلها

وكفلها زكريا وقال ابو عبيدة معناه ضمها اليها وقال ابن عباس وابن مسعود معنى
اكفلنيها انزل لي عنها وعزني في الخطاب اي غلبني في المخاطبة من قولهم من عزّ بزّ اي
من غلب سلب وقال ابن زيد معناه قهرني وقال ابو عبيدة معناه صار اعز مني فقال
له داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض
ومعناه ان كان الامر على ما تدعيه لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فاضاف السؤال
الى المفعول به وهي النعجة وان يضيف اليها ما اخبر ان كثيراً من الشركاء والخلطاء ليبغي
بعضهم على بعض فيظلمه وقال اصحابنا كان موضع الخطيئة انه قال للخصم لقد ظلمك من
غير ان يسأل خصمه عن دعواه وفي آداب القضاء الا يحكم بشيء ولا يقول حتى يسأل خصمه
عن دعوى خصمه فما اجاب حكم به وهذا ترك الندب وفي الناس من قال
ان ذلك كان صغيرة منه وقعت مكفرة والشرط الذي ذكرناه لا بد فيه لانه لا يجوز ان
يخبر النبي ان الخصم ظلم صاحبه قبل العلم بذلك على وجه القطع وانما يجوز مع تقرير
الشرط الذي ذكرناه ثم استثنى من جملة الخلطاء الذين بعضهم يبغي على بعض الذين
آمنوا بالله وعملوا بما يجب عليهم فانهم لا يفعلون ذلك ثم قال وقليل ما هم وهذا
وقليل هم وما صلة وقال قوم ما بمعنى الذي كانه قال وقليل الذين كذلك
وروي ان الملكين غابا من بين يديه فظن عند ذلك ان الله اختبره بهذه الحكومة و
ابتلاه وقرئ فتناه بالتخفيف يعني ان الملكين فتناه بها وقال قوم الظن العلم كانه
قال وعلم داود ذلك وقال آخرون انما ظن ظناً قوياً وهو الظاهر وقوله فاستغفر ربه
ومعناه سأل الله المغفرة والستر عليه وخر راكعاً واناب اليه اي رجع اليه بالتوبة ثم اخبر
تعالى انه اجاب دعوته وغفر له ذلك واخبر ان له مع المغفرة عنده الله لزلفى اي
القربة من رحمة الله وثوابه في جنته وحسن مآب فالمآب هو المرجع والمصير والمآل القربة
واحد ومن قال ان ذلك كان صغيرة وقعت مكفرة يقول معنى قوله فغفرنا له تقبلنا

وان كانت الخطيئة مغفورة حين وقعت لانها مغفرة بعد مغفرة كما قال تعالى حاكيا عن
ابرهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فان كانت الخطيئة غفرت في الدنيا
وقيل انه خطب امراة كانت اوريا بن حنان خطبها ونزل في سومه فاختاروه عليه فعاتبه
الله على ذلك لان الانبيا يتنزهون عن ذلك وان كان مباحا لانه مما ينفر عن بعض
الوجوه وقيل بل انفذه الى غزاة وكان يجب ان يستشهد ليتزوج امراته لانها كانت لها
الى فوقعت امراته في قلبه واشتهاها شهوة الطباع من غير ان احدث امرا قبيحا واولى
الوجوه ما قدمناه انه ترك الندب فيما يتعلق بادب القضاء لان في الوجوه ما ينبغي ان ينزه
الانبياء عنها لانها تنفر في العادة عن قبول اقوالهم فاما ما يقول بعض الجهال
من القصاص ان داود تعشق امراة اوريا وانه امره بان يخرج الى الغزو وان يتقدم
امام التابوت وكان من يتقدم التابوت من شرطه الا يرجع الى ان يغلب او يقتل فحديث
باطل موضوع وهو مع ذلك خبر واحد لا اصل له ولا يجوز ان يقبل اخبار الاحاد فيما
يتضمن رمي الانبياء بما لا يجوز على ادون الناس فان الله نزههم عن هذه المنزلة وعلى
قدرهم عنها وقد قال تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وقال
ولقد اخترناهم على علم على العالمين فكيف يختار تعالى من يتعشق نساء الصحابة ويعرضهم
للقتل من غير استحقاق لا يجوز مثل هذا على الانبياء الا من لا يعرف مقدارهم ولا يعتقد
منزلتهم التي خصهم الله بها نعوذ بالله من سوء التوفيق وقد روي عن علي عليه السلام
انه قال لا اوتى برجل يقول ان داود ارتكب فاحشة الا ضربته حدين احدهما للقذف
والاخر لاجل النبوة ۝ وقرا ابن مسعود تسع وتسعون نعجة انثى قال النحويون هذا
تاكيدا كما قال النبي ابن لبون ذكر وكما قال يطير بجناحيه وقال ابن جرير
معناه تسع وتسعون نعجة انثى اي حسنة قال ابن خالويه هذا احسن جدا قوله تعالى
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى

ور
كان باقي الوجوه

فيضلك

ص

٨٧

فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا تسواه
يوم الحساب وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته
وليتذكر اولوا الالباب ۝ القراءة قرا ابو جعفر والبرجمي عن ابي بكر لتدبروا بالتاء
وتقديره لتتدبروا وابن التدبر حذف تاء التفعل وبقي تاء المضارعة وتقديره لتتدبر
انت بالحق والمسلمون ومن قرا بالياء فعلى ليتدبر المسلمون فيتقرر عندهم صحتها ويكن
انتهم الى العلم بها المعنى اخبر الله تعالى عن داود انه رجع اليه وتاب واستغفر ربه
من التقصير الذي وقع منه في الحكم فانه تعالى غفر له ذلك واجاب دعوته ووعده
بان له عنده والقربة من ثوابه ثم ناداه ايضا فقال له يا داود انا جعلناك خليفة في
الارض والخليفة هو المدبر للامور من قبل غيره بدلا من تدبيره فداود لما جعل
الله اليه تدبير الخلق فكان بذلك خليفة ولذلك يقال فلان خليفة الله في
ارضه اي جعل اليه تدبير عباده بامره وقيل معناه جعلناك خليفة لمن كان قبلك
من رسلنا ثم امره فقال فاحكم بين الناس ومعناه افصل بين المختلفين من الناس
والمتنازعين بالحق بوضع الاشياء مواضعها على ما امرك الله ولا تتبع الهوى اي ما
يميل طبعك اليه ويدعوك هواك اليه اذا كان مخالفا للحق فلا تمل اليه فيضلك عن
سبيل الله ومعناه انك متى اتبعت الهوى في ذلك عدل بك الهوى عن سبيل الله
الذي هو سبيل الحق ثم اخبر تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله يعني يعدلون
عن العمل بما امرهم الله به لهم عذاب شديد يعني شديد الالم بما نسوا يوم الحساب
وقيل في معناه قولان احدهما لهم عذاب شديد يوم الحساب بما تركوا طاعته
في الدنيا فعلى هذا يكون يوم الحساب متعلقا بعذاب شديد وقول عكرمة والسدي

الثاني قال الذين لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اى بما اعرضوا عنه فصاروا بمنزلة
الناسى فيكون على هذا القول فى يوم قوله تعالى ثم احتج سبحانه بانه لم يخلق السماء
والارض وما بينهما باطلا لا غرض فيه حكمى بل خلقهما وما بينهما بالحق لغرض حكمى
وهو ما فى ذلك من اظهار الحكمة وتعريض انواع الحيوان للمنافع الجليلة وتعريض
العقلاء لمنافع الثواب وذلك يفسد قول المجبرة الذين قالوا ان كل باطل وضلال
من فعل الله وقوله ذلك ظن الذين كفروا معناه ان خلق السماء والارض وما
بينهما باطلا ظن الذين كفروا من يكفر بالله ويجحد وحدانيته وحكمته ثم توعد من هذه
صفته فقال فويل للذين كفروا من النار ثم قال على وجه التوبيخ والتقريع
للكفار بلفظ الاستفهام ام نجعل الذين امنوا معناه هل نجعل الذين صدقوا بالله
واقروا برسله وعملوا الصالحات مثل الذين افسدوا فى الارض وعملوا بالمعاصى ام هل
نجعل الذين اتقوا معاصى الله خوفا من عقابه كالفجار الذين عملوا بمعاصيه وتركوا
طاعته هذا لا يكون ابدا وكيف يكون كذلك وهؤلاء يستحقون الثواب بطاعاتهم
واولئك يستحقون العقاب بمعاصيهم وقال ابو عبيدة ليس لهذا جواب استفهام فخرجت
مخرج الوعيد وقال الزجاج تقديره انجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار وهو استفهام بمعنى التقريع ثم خاطب نبيه عليه السلام
فقال كتاب انزلناه اليك مبارك اى هذا كتاب انزلناه يعنى القران الذى انزله الله
عليه ووصفه بانه مبارك لان به يستديم الناس ما انعم الله عليهم به ومراد الله
تعالى بانزال هذا القران ان يدبروا آياته بان يتفكروا فى ادلته وليتذكر اولوا الالباب
يعنى اولوا العقول وفى الاية دلالة على بطلان مذهب المجبرة فى خلق القبائح من حيث
بين انه انما يعاقبهم جزاء بما نسوا طاعاته فى الدنيا وقوله ذلك ظن الذين كفروا يدل
على فساد قول من يقول ان المعارف ضرورية لانهم لو كانوا عارفين ضرورة لما كانوا ظانين

قوله تبارك وتعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ
عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى
حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق ولقد فتنا
سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا
ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث
اصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد هذا عطاؤنا
فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب آية احدى عشرة
قرا ابن كثير وحده بالسؤق مهموزة قال ابن مجاهد الرواية الصحيحة عنه بالسوق
على فعول واما الضمة الواو وهمزها مثل وقتت واقتت هذه رواية قنبل وقرا البزى
بالسوق مثل ابى عمرو وجمع ساق مثل باحة وبوح ولابة ولوب والعرصة والقارة
واحدة وشدة فارة ونور الخيل الصغير وبين همز سوق فعلى لغة من قال احب الموقدين
الى موسى همز انشده ابو الحسن لابى حية النميرى ولهذا لم يكن متماوين الضمة كالجزء
صاد كان الضمة عليه همز احسن الله تعالى انه وهب لداود سليمان ثم وصف سليمان فقال
نعم العبد كان سليمان انه اواب اى رجاع الى طاعة الله وطلب ثوابه وقوله اذ عرض
يجوز ان يتعلق بقوله اواب نعم العبد اى نعم العبد حين عرض عليه ويجوز ان يكون
العامل فيه واذكر يا محمد اذ عرض على سليمان بالعشى يعنى آخر النهار الصافنات الجياد
والصافنات جمع صافنة قال ابن زيد صفون الخيل قيامها على ثلاث مع رفع رجل واحدة
يكون طرف الحافر على الارض وقال مجاهد صفون الفرس رفع احدى يديه حتى
يكون على طرف الحافر وصفنت الخيل تصفن صفونا اذا وقفت كذلك قال الشاعر
الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا وقال الزجاج والفراء هو
كل قائم على ثلاث قوائم والجياد السراع من الخيل فرس جواد كانه يجود بالركض كانه جمع

كان صغيرة من حيث انه لم يستثن مشية الله فى ذلك فعلى هذا فسد لانه وان لم يذكر مشية
الله لفظا فلابد من تقديرها فى المعنى والا لم يامن ان يكون خبره كذبا وذلك لا يجوز
على الانبياء عند من جوز الصغاير عليهم ومنها انه روى ان الجن لما ولد لسليمان ولد قالوا
لنلقين منه ما لقينا من سليمان فلما ولد له ولد اشفق منهم فاسترضعه فى المزن فلم يشعر
الا وقد وضع على كرسيه ميتا تنبيها على ان الحذر لا ينفع مع القدر ومنها انه ذكر انه
ولد لسليمان ولد شاب ذكى احبه حبا شديدا فاماته الله فجاة على بساطه بلا مرض اختبارا
من الله لسليمان وابتلاء لصبره فى اماتته والقى على كرسيه وقيل انه اماته فى حجره وهو على
كرسيه فوضعه من حجره ومنها ما ذكره ابو مسلم فانه قال يجوز ان يكون الجسد جسد سليمان
وان يكون ذلك لمرض امتحنه الله به وتقديره والقينا منه على كرسيه جسدا لشدة المرض
كما يقولون فلان لحم على وضم اذا كان ضعيفا وجسد بلا روح تغليظا للعلة وقوة الضعف
ثم حكى ما قال سليمان حين اناب الى الله فانه سال الله تعالى وقال رب اغفر لى وهب
لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب قال الحسن انما قال لا ينبغى لاحد
من بعدى اى لا يسلبنيه كما سلبته فى الدفعة الاولى وقال ابو عبيدة معنى
لا ينبغى لا يكون وانشد لابن احمر ما ام غفر رات دعجاوى على قنن الفرابية حصنا
اعصم الوعل فى راس حلقاء عنقا مشرفة لا ينبغى دونها سهل ولا جبل وقال
ابو عبيدة اى لا يكون فوقها سهل ولا جبل احصن منها فان قيل ان ظاهر هذه
الاية يقتضى الشح والضن لانه لم يرض بان سال الملك حتى اضاف الى ذلك الا يكون
لاحد بعده مثله قلنا قد ثبت ان الانبياء لا يجوز ان يسالوا الا ما يؤذن لهم بالاذن
الله لهم فى ذلك فعلى هذا يجوز ان يكون الله تعالى اعلم سليمان انه ان سال ملكا لا يكون
لغيره كان لطفا له فى الدين واعلمه ان غيره لو سال ذلك لم يجب اليه لانه لا يكون مصلحة لغيره
او لا صلاح له فيه ولو ان احدنا صرح فى مسالته هذا الشرط بان يقول اللهم اجعلنى ايسر اهل

زمانى وارزقنى ما لا يساوينى فيه احد اذا كانت المصلحة لى فى ذلك لكان هذا جائزا
حسنا ولم يكن منسوبا الى البخل فلا يمتنع ان يسال النبى ايضا مثل ذلك وقيل انه لا يمتنع
ان يسال النبى مثل هذه المسايل من غير اذن اذا لم يكن بحضرة من قومه بعد ان يكون
الشرط فيه مقدرا وقيل فيه وجه آخر وهو انه عليه السلم انما سال ان يكون ملكه معجزة
لنبوته يبين بها من غيره ممن ليس بنبى وقوله لا ينبغى لاحد من بعدى معناه لا ينبغى
لاحد غيرى ممن انا مبعوث اليه ولم يرد من بعدى الى يوم القيامة من النبيين وقيل
انه لا يمتنع ان يكون المراد انه سال ملك الاخرة وثواب الجنة الذى لا يناله المستحق الا بعد
انقطاع التكليف ومعنى لا ينبغى لاحد من بعدى لا يستحقه بعد وصولى اليه احد
من حيث لا يصح ان يعمل ما يستحق به الثواب لانقطاع التكليف ثم بين بعد ذلك انه اعطاه
ما ساله فقال فسخرنا له الريح اى ذللناها له والتسخير التذليل تجرى بامره يعنى الريح
تتوجه الى حيث شاء رخاء قال قتادة معناه طيبة سريعة وقال ابن زيد لينة وقال
ابن عباس مطيعة وبه قال الضحاك والسدى والرخاء الريح اللينة وهو رخاوة المر وسهولته
ووصفت باللين لانها اذا عصفت لم يتمكن منها واذا لانت امكنت وقوله حيث اصاب
قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدى معناه حيث اراد يقول القائل اصاب
الله بك الرشاد اى اراد الله والمعنى انها تنطاع له كيف اراد وقال الحسن كان يغدو من
ايليا ويقيل بقزوين ويبيت بكابل والاصابة لحاق البغية يقال اصاب الغرض بالسهم
يصيبه اصابة ومنه الصواب ادراك الحق بالميل اليه وقوله والشياطين نصبه بالعطف
على سخرنا وتقديره وسخرنا له الشياطين كل بناء وغواص ونصب كل على البدل من الشياطين
وهو نعته فالغواص هو الذى يغوص فى الماء اى ينزل فيه تقول غاص يغوص غوصا
فهو غائص وغوصه تغويصا وكان الشياطين يغوصون له فى البحار ويخرجون اللئالى
ويبنون ما يريد منهم ويبنون له الابنية العجيبة التى يعجز الناس عن مثلها وقال

جود كما يقال مطر جود اذا كان مدرارًا ونظيره سوط وسياط والعرض اظهار الشي بحيث
يرى ليميز من غيره ومنه قوله وعرضوا على ربك صفًا واصله الاظهار قال
عمرو بن كلثوم، واعرضت اليمامة واشمخرت كاسياف بايدي مصلتينا، اي ظهرت والعرض
هو معناه اظهره جبلوه بين يديه وعرض الشي اذا اصاب عرضًا وقوله تعالى اني
احببت حب الخير قال قتادة والسدي المراد بالخير هاهنا الخيل والعرب تسمي الخيل
الخير وبذلك سمي زيد الخيل اي زيد الخير وقيل في ذلك وجهان احدهما انه اراد
احببت حبًا الخير ثم اضاف الحب الى الخير والثاني انه اراد احببت اتخاذ الخير لان ذوات
الخير لا تراد ولا تحب فلا بد من شي يتعلق به فالمعنى آثرت حب الخيل على ذكر ربي
فيوضع الاستحباب موضع الايثار كما قال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة
اي يوثرون وقوله عن ذكر ربي معناه ان هذه الخيل شغلتني عن صلاة العصر
حتى فات وقتها وهو قول علي عليه السلم وقتادة والسدي وروى اصحابنا انه فاته الوقت
الاول وقال الجبائي لم يفته الفرض وانما فاته نفل كان يفعله آخر النهار ففاته
لاشتغاله بالخيل وقوله حتى توارت بالحجاب معناه توارت الشمس بالحجاب
يعني بالغيبوبة واضمارها قبل الذكر لانه معلوم قال لبيد حتى اذا القت يدًا
في كافر واجن عورات الثغور ظلامها وقال ابو مسلم محمد بن بحر وغيره وذكره
الرماني ان الكناية عن الخيل وتقديره حتى توارت الخيل بالحجاب يعني انها شغلت
فكره الى تلك الحال ثم قال لاصحابه ردوها علي يعني الخيل فلما ردت عليه طفق مسحًا
بالسوق والاعناق وقيل ان الخيل هذه جي بها من غنيمة حين فتشاغل باعتراضها
حتى غابت الشمس وفاته العصر قال الحسن كشف عراقيبها وضرب اعناقها وقال
لا تشغلني عن عبادة ربي مرة اخرى وقيل انه انما فعل ذلك على وجه القربة الى الله تعالى
بان ذبحها ليتصدق بلحومها لا لعقوبتها بذلك وانما فعل ذلك لانها كانت اعز ماله

فاراد

89

فاراد بذلك ما قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال ابو عبيدة طفق يفعل
مسح علاونا اي ضربًا وقال ابن عباس جعل يمسح اعراف الخيل وعراقيبها حبًا لها
وقال ابو مسلم محمد بن بحر غسل اعرافها وعراقيبها اكرامًا لها قال لان المسح يعبر به عن
الغسل من قولهم تمسحت للصلاة ثم قال تعالى على وجه القسم بانه فتن سليمان
ومعناه اختبرناه وابتليناه وشددنا المحنة عليه والقينا على كرسيه جسدًا قال
ابن عباس القي شيطانًا اسمه صخر على كرسيه وقال مجاهد كان اسمه اصف وقال
السدي كان اسمه حبقيق وكان ملكه في خاتمه تخدمه الجن والشياطين ما دام في
يده فلما اذنب سليمان نزع الله منه الخاتم وجعل مع الجني فاجتمعت عليه الجن والشياطين
وقيل انه كان ذنبه انه وطي في ليلة عدة كثيرة من جواريه حرصًا على كثرة الولد وقيل
كان ذنبه انه وطي امراة في الحيض وقوله ثم اناب يعني تاب الى الله من خطيئته
فرد الله عليه الملك لان الجني لما اخذ خاتمه رمى به في البحر فرد عليه الملك من بطن
سمكة ذكر ما قلناه المفسرون والذي قاله المفسرون من اهل الحق ومن نزه الانبياء
عن القبائح ونزه الله تعالى عن مثل هواه انه لا يجوز ان يمكن الله تعالى جنيًا فيتمثل في
صورة نبي لما في ذلك من الاستفساد وان النبوة لا تكون في الخاتم وانه تعالى لا يسلب
النبي نبوته وليس في الاية شي من ذلك وانما قال فيها انه القى على كرسيه جسدًا وقيل
في معنى ذلك الجسد اقوال منها ان سليمان قال يومًا في مجلسه وفيه جمع كثير لاطوفن
الليلة على سبعين امراة تلد كل امراة منهن غلامًا يضرب بالسيف في سبيل الله وكان له فيما
يروى عدد كثير من السراري فاخرج الكلام على سبيل المحبة لهذا الحال فنزهه الله عما
ظاهره الحرص على الدنيا لئلا يقتدى به في ذلك فلم يحمل من نسائه الا امراة واحدة ولدًا
ميتًا فحمل حتى وضع على كرسيه جسدًا بلا روح تنبيهًا له على انه ما كان يجب ان يظهر
منه ما اظهره فاستغفر الله وفزع الى الصلاة والدعاء على وجه الانقطاع لا على ان ذلك

قتادة كانوا يغوصون في البحار ويستخرجون له الحلي منها وعمل ذلك وآخرين مقرنين
في الاصفاد الاصفاد واحدها صفاد وهو الغل وجمعه اغلال وقال السدي السلاسل
تجمع اليدين الى العنق والاصفاد الغل والصفد العطاء وبعضهم يقول اصفدني
قال الاعشى ، واصفدني على الزمانة قائدا ، وذلك انه ارتبطه شكره بمثل
الغل في العنق ومعنى مقرنين انه قرن بعضهم الى بعض بالسلاسل ثم قال
تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب قال الحسن معناه هذا الملك الذي اعطيناك
فاعط ما شئت وامنع ما شئت وقال قتادة والضحاك معناه لا تحاسب على ما تعطي
وتمنع يوم القيامة ليكون اهنأ لك ومعناه ليس عليك تبعة وقيل معناه بغير مقدار
يجب عليك اخراجه من يدك او لا يكون بغير حساب في الآخرة لا تنطيع فيه وقال
الفراء فيه تقديم وتأخير وتقديره هذا عطاؤنا بغير حساب فامنن او امسك وقال
الزجاج المعنى جزيناك التسخير عطاء منا فاطلق من شئت واحبس من شئت
فلا حساب عليك منه ثم قال تعالى وان له عندنا لزلفى اي لقربى زيادة
على ما اعطيناه في الدنيا وحسن مآب اي وحسن مآل في العاقبة قوله تبارك وتعالى
واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض
برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى
لاولي الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم
العبد انه اواب ، اربع آيات ، القراءة ابو جعفر بنصب بضم النون والصاد وقرأ يعقوب
بفتحهما الباقون بضم النون واسكان الصاد وهي لغات اربع وقرأ هبيرة بفتح النون وا هبيرة
واسكان الصاد يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله واذكر يا محمد عبدنا
ايوب اذ نادى ربه فقال يا رب لان النداء هو الدعاء بطريقة يا فلان ومتى قال اللهم
افعل بي وارزقني وعافني كان داعيا ولا يكون مناديا اني مسني الشيطان اي في موضع

نصب

ص ٩١

نصب لان تقديره انه نادى بهذا القول وتقديره باني مسني فلما حذف الباء نصب اني
ومعنى مسني الشيطان اي وسوس الي وذكرني ما كنت فيه من نعم الله في الاهل والولد والمال
وكيف زال ذلك كله وما حصل فيه من البلية طمعا منه ان يزله بذلك ويجد طريقا الى
اضلاله وتضجره وتبرمه فوجده صابرا عند ذلك مسلما لامر الله تعالى وقيل انه كان
يوسوس الى قومه ان يستقذروه ويخرجوه من بينهم ولا يتركوا امرأته التي تخدمه ان
تدخل عليهم لما فيه برصا وجذاما لئلا يعدي اليهم وكان ايوب يتأذى بذلك ويألم به و
النصب والوصب والتعب نظائر وفيه لغات اربع على ما حكيناه نُصْب ونَصَب مثل
حزن وحزن ورشد ورشد وعدم وعدم ثم تسكن الصاد مع فتح النون تخفيفا
وتضم النون اتباعا لما قبله ونقيض النصب الراحة واصله الانتصاب يقال
انصبني اي عذبني وبرح بي ومنهم من يقول نصبني ، قال بشر بن ابي خازم
تعناك نصب من امية منصب ، وقال النابغة كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه
بطيء الكواكب والعذاب الالم يريد ما كان يدخل عليه من الم الوسوسة فاجاب الله تعالى
دعاءه وقال اركض برجلك اي ادفع برجلك الارض فالركض الدفع بالرجل
على جهة الاسراع ومنه ركض الفرس لاسراعه اذا دفعه برجله قال الاصمعي
لا يقال ركضت الدابة لكن ركضتها فادرتها اي برجلي وقال سيبويه يقال ركضت الدابة
وركضتها انا مثل جبر العظم وجبرته انا وحزن وحزنته انا وفي الكلام حذف وتقديره
فركض برجله فظهرت عين ماء فقال الله له هذا مغتسل اي ماء مغتسل بارد وشراب
وقال الحسن وقتادة نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فالمغتسل
موضع الاغتسال وقيل كل ما يغتسل فيه فهو مغتسل وغسول ذكره ابو عبيدة وفي الكلام
حذف وتقديره ان ايوب اغتسل من تلك العين واذهب الله تعالى عنه جميع ما كان
فيه من الامراض ثم اخبر بما من عليه زيادة على صلاح جسمه ونوال الله فقال

ووهبنا له اهله لانه لما ارتد عليه اهله كان ذلك هبة منه بعد ما ثم سلم منهم وتقديره
ووهبنا له مثل اهله دفعة اخرى وقد ذكرنا اختلاف المفسرين في ذلك في سورة الانبياء
فان منهم من قال اعطاه بكل امراة امراتين وبكل ولد ولدين في دار الدنيا ومنهم من
قال ذلك لجزاء ما يهبه الله له في الآخرة وقيل ان الله تعالى امطر عليه جرادا من
ذهب وقوله رحمة منا معناه فعلنا ذلك لرحمتنا اياه فهو نصب على انه مفعول له ويجوز
ان يكون نصبا على المصدر وذكرى لاولي الالباب اي وليتذكر به ويعتبر ذوو العقول
فيصبروا كما صبر ثم حكى سبحانه ما قال له فانه قال له وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث
فالضغث ملؤ الكف من الحشيش او الشماريخ وما اشبه ذلك قال عوف بن
الخرع ◦ واسفل مني نهدة قد ربطتها والقيت ضغثا من خلا متطيب ◦ اي نطيب لها
وقيل انه كان حلف على امراته لامر انكره من قولها لئن عوفي ليضربنها مائة فقيل له خذ
ضغثا بعدد ما حلفت فاضرب به دفعة واحدة فانك اذا فعلت ذلك فقد برت يمينك
ولم تحنث فهو قول قتادة والضحاك وقوله ولا تحنث يعني لا تحنث ثم اخبر تعالى
عن حال ايوب وعظم شانه فقال انا وجدناه صابرا على البلاء مستسلما لامرنا ثم اثنى عليه فقال
نعم العبد انه اواب اي رجاع الى الله منقطع اليه وعندنا ان من حلف ان يضرب
عبده مائة فضربه بشمراخ فيه مائة طاقة فقد بر في يمينه وفيه خلاف بين الفقهاء
قوله تبارك وتعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي
الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين
الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان
للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون
فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون
ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ◦ عشر آيات ◦ قرأ ابن كثير واذكر

عبدنا

ص

٩٢

عبدنا ابراهيم على التوحيد والباقون على الجمع وقرأ نافع بخالصة ذكرى الدار مضافا والباقون
بالتنوين من نون جعل ذكرى بدلا من خالصة وموضعه جر ويجوز ان يكون نصبا باضمار
اعني او يكون مفعولا لخالصة في قول ابي عبيدة فيجوز ان يكون رفعا باضمار هي ذكرى
كما قال قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار اي هي النار قال ابو علي الدار يحتمل
ان يكون الدنيا ويحتمل ان يكون الآخرة اي يخلصهم ذكرى في الدنيا فاذا حملت على دار الآخرة
فعلى تقدير باخلاصهم ذكر الدار فيكون ذكرهم لها وجل قلوبهم منها ومن حسابها
كما قال وهم من الساعة مشفقون فالدار على هذا مفعول بها وليست كالوجه الاول المتقدم
فاما من اضاف فانه يكون قد اضاف الى المفعول كانهم باخلاصهم ذكرى الدار والخوف
منها اخلصوا ذكرها والخوف منها لله ويكون على اضافة المصدر الى الفاعل وتقديره
بان خلصت لهم ذكرى الدار وقرأ اهل الكوفة الا عاصما والليسع بلامين ادخل على الاسم
الالف واللام ثم ادغم احدى اللامين في الاخرى كما قال الشاعر وجدنا الوليد
ابن يزيد مباركا شديدا باحناء الخلافة كاهله لانه قدره تقدير النكرة وقرأ هذا ما يوعدون
بالياء ابن كثير وابو عمرو وفي سورة ق ابن كثير وحده والباقون بالتاء من قرأ بالياء
فللغيبة ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب ومن قرأ عبدنا على التوحيد يجوز ان يكون
خص به ابراهيم بكونه عبدا له كما خصه بالخلة ويجوز ان يكون لان لفظه يدل على القليل
والكثير ومن جمع فلانه ذكر جماعة بقول الله تعالى مخاطبا لنبيه واذكر يا محمد عبادنا
ابراهيم واسحق ويعقوب فمن قرأ بالجمع فلانه ذكر جماعة ومن قرأ بالتوحيد فلان لفظه
عبد لفظ جنس يقع على القليل والكثير ثم وصفهم فقال اولي الايدي يعني اولي
القوة على العبادة والابصار الفقه في الدين في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل
اولي الايدي معناه اولي الاعمال الصالحة وقيل معناه اولي النعم في الدين قال الشاعر
فاعمل لما يعلو فما لك بالذي لا تستطيع من الامور يدان ◦ ثم اخبر تعالى عن حالهم

فاخبر ان

الباقون بلام واحدة
من قرأ بلامين ثم

٦٠

قال تعالى ان هذا يعني الذي وصفه من الجنة وما فيها من انواع اللذات لرزقنا ما له
من نفاد يعني من انقطاع لانه على سبيل الدوام وهو قول قتادة قوله تبارك وتعالى
هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم و
غساق وآخر من شكله ازواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا
النار قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار ◦ ست آيات
لما وصف الله تعالى اهل الجنة وما اعده لهم من انواع النعيم فيها وصف ما اعده
لاهل النار والعصاة من انواع العقاب فقال هذا يعني هذا ما ذكرنا لاهل الجنة ثم
ابتدأ فقال وان للطاغين وهم الذين طغوا في معاصي الله لشر مآب يعني شر مرجع
ثم بين ذلك المرجع فقال جهنم يصلونها فبئس المهاد وانما وصف جهنم بانها مهاد
لما كانت عوضا لهم من المهاد فسميت باسمه كما قال فبشرهم بعذاب اليم وقال
قوم هو على تقدير بئس موضع المهاد والمهاد الفراش الموطأ تقول مهدت له تمهيدا
كقولك وطأت له توطئة ومنه مهد الصبي لانه يوطأ له ثم قال هذا فليذوقوه
حميم وغساق وتقديره هذا حميم فليذوقوه ويجوز ان يجعله مستأنفا كانك قلت
هذا فليذوقوه ثم قلت منه حميم وغساق [illegible] لان الذوق ابتداء
ادراك الطعم على طلبه بالفم ولذلك يقال ذقته فلم اجد له طعما لما فيه من طلب ادراك
الطعم بالفم ومن طلب ادراك الشيء كان اشد احساسا به والحميم الحار الشديد الحرارة
ومنه الحمى لشدة حرارتها وحم الشيء اذا دنا واحمه لحما اي ادناه قال الشاعر
احم الله ذلك من لقاء احاد احاد في الشهر الحلال ◦ والغساق ما يسيل من صديد اهل
النار قال ابن عمر هو القيح الذي يسيل منهم يجمع فيسقونه وقال كعب
الغساق عين في جهنم يسيل اليها سم كل ذات حمة من عقرب وحية وقيل هو قيح
شديد النتن يقال غسقت القرحة تغسق غسوقا والشديد والخفيف لغتان

ومن

ص

٩٢

وقيل الغساق الزمهرير في قول ابن مسعود فلبرده يحرق كما يحرق النار ثم قال وآخر من
شكله ازواج معناه انواع اخر من شكل العذاب ازواج اي امثال وقال الحسن ذكر السلاسل
والاغلال ونحوه ثم قال ولون من شكله مما لم ير في الدنيا والشكل بفتح الشين الضرب
المشابه والشكل بكسر الشين النظير في الحسن وهو الدل فمن قرأ وآخر اراد الواحد
ومن قرأ واخر اراد الجمع ازواج معناه اشكال ثم قال هذا فوج مقتحم معكم قال
الحسن يعني به بني ابليس والآخر بنو آدم يقتحمون معكم النار وعذابها لا مرحبا
بهم اي لا اتسعت لهم اماكنهم انهم صالوا النار اي لازموها قال الفراء هي الامة تتبع
الامة تدخل النار اي لازموها وقوله لا مرحبا بهم من قول اهل النار كما قال كلما دخلت
امة لعنت اختها وقيل هم اتباع الرؤساء في الضلالة قيل لهم لا مرحبا بهم وهو نصب
على المصدر قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار حكاية ما يردون
عليهم من الجواب فانهم يقولون بل انتم لا اتسعت عليكم اماكنكم انتم قدمتموه لنا فبئس
القرار الذي استقررنا عليه وهو مثل قوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ◦ قرأ حمزة والكسائي
وخلف غساق بالتشديد والباقون بالتخفيف وهما لغتان وقرأ ابو عمرو وابن كثير
واخر مضمومة الالف على الجمع والباقون وآخر بفتح الالف ممدودة على التوحيد ومن قرأ
على الجمع فلقوله ازواج وهو لا ينصرف لانه آخر وزنه افعل واما اخر فلانه
معدول عن الالف واللام لانه لا يستعمل الجارية الكبرى والمراة الاخرى الا بالالف
واللام فلما عدلوه وعرفوه تركوا صرفه مثل سحر اذا اردت سحر يوم بعينه تركت
صرفه لانه معدول عن الالف واللام في السحر قوله تبارك وتعالى
قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا لا
نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار

الذين وصفهم فقال انا اخلصناهم فالاخلاص اخراج كل شائب عن الشي ليس من شكله
فهاولا الابرار قد اخلصهم الله لنعيم الجنان لطيفة بما اذ زنوه من الاحسان وقوله
بخالصة ذكرى الدار معناه انا اخلصنا ابرهيم واسحق ويعقوب بخلة خلصت لهم ثم قال
ذكرى الدار بدل من خالصة اي يذكرون دار الاخرة ويزهدون في الدنيا ويجوز
ان يكون المعنى انهم يكثرون ذكر الاخرة والرجوع الى الله فمعنى اخلصناهم اصفيناهم وقال
الطبري معناه اخلصناهم بافضل ما في الاخرة هذا على قول من اضاف وهو قول ابن زيد
ومن نون فالمعنى ان الخالصة التي اخلصناهم بها هي ذكرى الدار العمل لها فاخلصت لها
من خالصة ادت اليها وهي الجنة ثم قال وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار فالا
اخيار الصفوة من كل شي منهم صفوة وغيرهم كدر كما ان الله تعالى اصطفى هاولا الانبيا
بان اختارهم لنبوته بحسب ما سبق في علمه انه يكون منهم من القيام باعبا النبوة والدار
الى الخير والتبري الفضل والذكر الذي يحتاج اليه على وجهين احدهما ذكر
ما يجب بالرغبة فيه والدعا اليه وذكر ما يتقى بالرهبة منه والتحذير منه وفي ذلك
تمام الداعي والصارف اللذين يقتضيهما الحكمة والاخيار جمع خير على وزن اموات جمع
ميت وهو من يفعل الافعال الكثيرة الحسنة وقيل هو جمع خير ومثله الابرار جمع
بر وصفوا بالصدق قال مجاهد وقتادة ذكرى الدار دار الاخرة وقال ابن زيد
هي دار الجنة كما قال تعالى ولنعم دار المتقين قيل انهم كانوا يذكرون العمل لها ويدعوا
الناس اليها وقيل ذكرى الدار الثنا الذي ليس لغيرهم من اجل قيامهم بالنبوة
وقيل الاصطفا الاختصاص بمدحهم بانهم هم الصفوة وقيل انما خاطب الله النبي
عليه السلم ان يذكرهم بصبرهم وفضلهم ليسلك طريقهم ثم قال عليه السلم واذكر
اسمعيل واليسع وذا الكفل مثل ذلك ثم اخبر عنهم بانهم كلهم من الاخيار
وقيل ذو الكفل ذو الضعف من الثواب وقيل كان اسمه ذلك وقيل سمي بذلك

لانه

ص

93

لانه تكفل بامر انبيا اخلصهم من القتل وقيل تكفل بعمل صالح فقيم به ثم قال تعالى هذا
ذكر ومعناه ان ما اخبرناهم ذكر اي شرف لهم وذكر جميل وثنا حسن يذكرون به في الدنيا
وان للمتقين لحسن ماب يعني حسن المرجع في الاخرة لانهم يرجعون الى الجنة ثم بين ذلك
الماب فقال جنات عدن وهو في موضع جر على البدل من ماب والجنان جمع جنة
وهي البستان التي يجنها الشجر وعدن يعني موضع اقامة وخلود مفتحة لهم الابواب قيل
تفتح من غير كلفة قال الحسن تكلم تفتح انفلق وتصفق الابواب لان تقديره مفتحة
لهم ابوابها فدخلت الالف واللام بدلا من الاضافة كما يقولون مررت برجل حسن العين
قبيح الانف يريدون قبيح الانف ذكره الفرا وقال الزجاج تقديره مفتحة لهم
الابواب منها ولو نصب الابواب جاز كقول الشاعر ° فما قومي بثعلبة بن سعد
ولا بفزارة الشعر الرقابا ° هذا على شبه المفعول ثم وصف تعالى الذين يحصلون
في الجنة فقال متكئين فيها والاتكا الاستناد الى المساند ومنه الوكا لانه يسند
به ما في الوعا يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب اي يستدعون الفواكه للاكل والشراب
للشرب وعندهم قاصرات الطرف اتراب يعني قصرت طرفهن على ازواجهن فلا همهن في
غيرهم بعينه فالقاصر نقيض الماد يقال هو قاصر طرفه عن فلان وماد عينه الى
فلان قال امرو القيس ° من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق
الاتب منها لاثرا ° والاتراب الاقران على سن واحد ليس فيهن هرمة ولا عجوز قال
الفرا لا يقال الاتراب الا في الاناث ولا يقال في الذكران قال ابن ابي ربيعة °
ابرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب اتراب ° والترب اللدة فهو ماخوذ
من اللعب بالتراب وقيل اتراب على مقادير الازواج من غير زيادة ولا نقصان
ثم قال تعالى هذا ما توعدون وقرى بالتاء فعلى انه يقال لهم ويخاطبون
بهذا القول ومن قرا بالياء فعلى الخبر عن حالهم ليوم الحساب يعني يوم الجزاء ثم قال

إنَّ ذلكَ لحقٌّ تخاصمُ أهلِ النارِ قل إنما أنا منذرٌ وما من إلهٍ إلا اللهُ الواحدُ
القهارُ ﴿خمس آيات﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي اتخذناهم موصولة على وجه الإخبار
والباقون بقطع الهمزة على الاستفهام وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخريًا بضم السين
والباقون بكسرها حكى الله تعالى عن الكفار الذين اتبعوا غيرهم في الضلال وانقادوا
للرؤساء منهم فيها أنهم يقولون يوم القيامة إذا حصلوا في عذاب جهنم ربنا من قدم لنا هذا
أي من سبب لنا هذا العذاب ودعانا إلى ما استوجبنا به ذلك فزده عذابًا ضعفًا
أي مثلًا مضاعفًا إلى مثل ما يستحقه في النار أحد الضعفين لكفرهم بالله تعالى و
الضعف الآخر لدعائهم إيانا إلى الكفر ﴿ثم حكى عنهم أيضًا أنهم يقولون ما لنا لا نرى
رجالًا كنا نعدهم من الأشرار قال مجاهد نزلت في أبي جهل والوليد
بن المغيرة وذويهما أنهم يقولون ما لنا لا نرى عمارًا وخبابًا وصهيبًا وبلالًا الذين
كنا نعدهم في الدنيا من جملة الأشرار الذين يفعلون الشر والقبيح ولا يفعلون
الخير وفي تفسير أهل البيت أن هذا حكاية عما يقوله أعداء أهل الحق فإنهم لا يرون
أهل الحق يوم القيامة لكونهم في الجنة وكون أعدائهم في النار وكانوا يعدونهم
في الدنيا من الأشرار ثم حكى أنهم يقولون أيضًا اتخذناهم سخريًا من قطع الهمزة أراد
الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ ومن وصل أراد الإخبار يعنون الذين كنا
نعدهم من الأشرار اتخذناهم سخريًا فمن كسر السين جعله من الهزء أي كنا نسخر منهم
في الدنيا ومن ضم السين جعله من السخرة أي كنا نسخرهم ونستذلهم أم زاغت عنهم
الأبصار ومن قطع الهمزة جعل أم معادلة ومن وصلها جعل أم بمعنى بل قال
مجاهد والضحاك أم زاغت عنهم الأبصار فلا ندري أين هم وقال الحسن كل ذلك قد
فعلوا أنهم اتخذوهم سخريًا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم ثم أخبر تعالى أن الذي
حكاه من تخاصم أهل النار وجدال بعضهم لبعض لحق أي كائن لا محالة ثم أمر نبيه عليه السلام

فقال

فقال قل يا محمد إنما أنا منذر أي مخوف من معاصي الله ومحذر من عقابه وما من إله أي وليس
من يحق له العبادة إلا الله الواحد الفرد القهار لجميع خلقه المستعلي عليهم بنعمه مقدرًا لا
يقدر أحد على الخلاص من عقوبته إذا أراد عقابه ومن اختار وصل الهمزة في قوله
اتخذناهم قال لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سخريًا في دار الدنيا وإنما اعترفوا بذلك يوم القيامة
فيقولون اتخذناهم سخريًا بل زاغت عنهم أبصارنا تحقيرًا لهم ومن قطع الهمزة قال هذا
على وجه التوبيخ لنفوسهم والتبكيت لها أنهم يقولون بل زاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم
قوله تبارك وتعالى رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار
قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون إن
يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين ﴿خمس آيات﴾ قرأ أبو جعفر إلا إنما أنا نذير مبين بكسر الهمزة
والباقون بفتحها لما وصف الله تعالى نفسه بأنه الواحد القهار وصفها أيضًا بأنه رب
السماوات ورب الأرض أي مالكهما ومدبرهما ومدبر ما بينهما العزيز الذي لا يغالب
لسعة مقدوراته الغفار لذنوب عباده إذا تابوا ثم قال قل لهم يا محمد هو نبأ عظيم
أي الخبر العظيم وقال الحسن هو يوم القيامة ثم خاطب الكفار فقال أنتم معاشر الكفار
معرضون عن هذا النبأ العظيم لا تعملون بما يوجب مثله من اجتناب المعاصي وفعل الطاعات
ثم أمر نبيه أن يقول أيضًا ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون يعني بالملإ
الأعلى الملائكة اختصموا في آدم حين قيل لهم إني جاعل في الأرض خليفة في قول ابن عباس
وقتادة والسدي فما علمت ما كانوا فيه إلا بوحي من الله تعالى وقيل كان التخاصم الملائكة
فيما طريقه الاجتهاد وقيل بل طريقه استخراج الفائدة ولا يجوز أن يختصموا في دفع الحق
وقوله إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين قيل في معناه قولان أحدهما ليس يوحى
إلي إلا أني نذير مبين أي مخوف من المعاصي مظهر للحق الثاني ليس يوحى إلي إلا
الإنذار البين الواضح قوله تبارك وتعالى إذ قال ربك للملائكة إني

مع قرنائهم

أي أبصارنا [illegible]

من [illegible]

أنا [illegible]

نبأ عظيم قال مجاهد والسدي يعني القرآن هو [illegible]

خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال
يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين
خمس آيات ٥ يقول الله تعالى لنبيه محمد قل يا محمد ما كان لي من علم بالملأ الاعلى
من الملائكة اذ يختصمون اي حين قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين يعني
آدم عليه السلام لان الله تعالى خلقه من طين والخلق فعل الشيء على تقدير وترتيب
وكان جعل آدم على مقدار ما يقتضيه الحكمة واصل الخلق التقدير والبشر ماخوذ من
البشرة وهي الجلدة الظاهرة والانسان ماخوذ من الانس لانه يانس بعقله بما يمكن ان
يجري عليه الاسم لان هذا من شانه فاذا سويته اي سويت خلق هذا البشر وتممت اعضاءه
وصورته فقعوا له ساجدين اي اسجدوا له وقد بينا فيما مضى ان السجود كان لله
تعالى وعبادة له فيه تفضيل لآدم على الملائكة وقوله ونفخت فيه من روحي فالروح
جسم رقيق هوائي بقائم كون الحي حيا لتخرقه في مخارق الانسان وهو مشتق من الريح
ومنه الراحة والاستراحة من الكد المنفة على النفس كالريح ومنه الاريحية والراح
الكف لاستراحة الناس اليها في العمل ومنه الرواح الى المنزل للاستراحة ومعنى
ونفخت فيه من روحي اي توليت خلقها من غير سبب كالولادة التي تؤدي اليها لان الله
تعالى شرف آدم بهذه الحال وكرمه وفي الكلام حذف وتقديره ان الله خلق ذلك
البشر الذي وعدهم بخلقه ثم ان الملائكة سجدت باجمعها له الا ابليس الذي امتنع وقد
بينا الخلاف الناس في ان ابليس هل كان من جملة الملائكة ام من غيرهم او كان في جملتهم
يتناوله الامر بالسجود فلا نطول باعادته ومن قال لم يكن منهم قال الا بمعنى لكن وتقديره
لكن ابليس استكبر وتجبر وامتنع من السجود له وكان بذلك الاباء والخلاف من جملة الكافرين
ثم حكى ما خاطب الله تعالى ابليس به حين امتنع من السجود لآدم ما منعك ان تسجد

لما خلقت بيدي على وجه التقريع له والتعجيب لفعله وانما قال بيدي على وجه
تحقيق الاضافة لخلقه اليه تعالى لا انه امر به او كان على سبب ادى اليه تعالى والتثنية
اشد مبالغة كما قال الشاعر دعوت لما نابني سويدا فلبى فلبي يدي مسور ٥
فثنى لتحقيق اضافة التلبية الى مسور ومثله قولهم هذا ما كسبت يداك اي ما كسبته
انت وقال الشاعر ايها المبتغي فنا قريش بيد الله عمرها والفنا ٥ فوحد لتحقيق
الاضافة ثم قال له بلفظ الاستفهام والمراد به الانكار استكبرت يا ابليس اي طلبت
التكبر بامتناعك من السجود له ام كنت من العالين الذين يعلون على الخلق تجبرا
وتكبرا وقرئ في الشواذ بيدي استكبرت على وصل الهمزة وروى ذلك ابن مجاهد عن
شبل عن ابن كثير اجتزاء بام عن الف الاستفهام ويحتمل ان يكون على اليمين كانه اقسم
فقال يعني الدنيه والدنيا او تكبرت بل كنت من العالين بهذا الفعل فتكون
على هذا ام منقطعة وعلى الاول وهو المعروف تكون معادلة لهمزة الاستفهام ٥
قوله تبارك وتعالى قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني
الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من
المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نباه بعد حين ٥ ثلث عشرة آية في
الكوفي واثنتا عشرة في الباقي ٥ قرأ عاصم الا هبيرة وخلف وحمزة قال فالحق بالرفع
والحق بالنصب الباقون بالنصب فيهما من رفع تقديره فانا الحق ويجوز على تقدير فالحق
لاملأن كما يقول عزيمة صادقة لآتينك ويجوز على تقدير حذف الخبر وتقديره فالحق
مني لاملأن ومن نصب جعلى فالحق لاملأن على القسم كما تقول الله لافعلن ويجوز في

مثله حقا لاملأن ويكون والحق اقول اعتراضا بين الكلامين ويجوز ان يكون النصب
على تقدير اتبعوا الحق او اقول الحق وقال ابو علي من نصب الحق الاول فعلى اضمار
فعل عوضا من حرف القسم في الحق وفي قوله ويحق الحق لما حكى تعالى ما قال لابليس
على وجه الانكار عليه استكبرت ام كنت من العالين حكى ما اجاب به ابليس فانه قال
انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من
الريح وهو انما لك روحا بينا وخلق آدم من الطين وخلق ابليس من النار فظن
ابليس ان النار اشرف من الطين لما فيها من النور ولما يكون بها من الانضاج لكن
ما يحتاج اليه من اللحاق الذي يقع به الزجر عن العقاب فدخلت عليه الشبهة بهذا
وظن انه افضل منه من حيث كان اصله افضل من اصل آدم وكيف يجوز ان يفضل عليه ادم
وهذا يدل على ان السجود لادم كان على وجه التفضيل له على جميع من امر بالسجود له
والا لم يكن يمتنع من ذلك ولم يعلم ابليس ان الله تعالى انما امرهم بالسجود لادم عبادة
له وان كان تفضيلا لادم وان لهم في ذلك لطفا في تكليفهم فلذلك امرهم الله بالسجود
له ولو انعم النظر في ذلك لزالت شبهته فقال الله تعالى فاخرج منها قال الحسن
يعني من السماء وقال غيره من الجنة فانك رجيم اي مرجوم ان رجعت اليها بمثل
الشهب التي ترجم بها الشياطين واصل الرجيم المرجوم وهي الرمي بالحجر وان عليك لعنتي
يا ابليس يعني ابعادي لك من رحمتي الى يوم الدين يعني يوم القيامة الذي هو يوم
الجزاء فقال ابليس عند ذلك يا رب فانظرني اي اخرني الى يوم يبعثون اي يوم يحشرون
للحساب وهو يوم القيامة فقال الله تعالى له فانك من المنظرين اي من المؤخرين
الى يوم الوقت المعلوم اي اليوم الذي قدره الله فيه اماتتك فعلى هذا لا يلزم ان
يكون ابليس مغرى بالقبائح لعلمه بانه يبقى الى وقت الاجل وهو يجوز ان يخترم فيه
ولا يتقدم على التوبة فالزجر حاصل له ومن قال انه اجابه الى يوم القيامة يقول كما علمه

انه يبقيه الى يوم يبعثون اعلمه ايضا انه من اهل النار لا محالة وانه لا يتوب وصح مع ذلك
تكليفه لانه يلزمه بحكم العقل ان لا يفعل القبيح من حيث انه متى فعله زاد عقابه وتضاعف
على ما يستحق له وتخفيف العقاب عن النفس واجب بحكم العقل كما يجب اسقاط العقاب
جملة ثم حكى تعالى ما قال ابليس فانه اقسم وقال فبعزتك يا الهي لاغوينهم اجمعين
فالعزة القدرة التي تقهر بها غيره من القادرين والاغواء التخييب وابليس يغوي الخلق
بان يزين لهم القبيح ويرغبهم فيه والغي خلاف الرشد وهو الخيبة يقال اغواه يغويه اغواء
فهو مغو اذا دعاه الى ما فيه الخيبة ثم استثنى من جملة من يغويهم عباد الله المخلصين
مع حرصه على اغواء الجميع من حيث انه يئس منهم من حيث علم انهم لا يقبلون منه ولا ينقادون
لاغوائه وانه ليس له عليهم سلطان الا بالاغواء فاذا علم ان منهم من لا يقبل منه صرف ذلك
عنه لياسه منه ومن فتح اللام من المخلصين اراد ان الله اخلصهم بما فعل لهم من اللطف
الذي امتنعوا لمكانه من القبائح ومن كسر اللام اراد انهم اخلصوا عبادتهم لله لم يشركوا
معه غيره ثم حكى تعالى ما اجاب به عز وجل لابليس فانه قال له فالحق والحق اقول
من رفع الاول اراد فانا الحق او فالحق لاملان واقول الحق ومن نصب فعلى تقدير فالحق
لاملان كما يقول حقا لاملان ويكون والحق اقول اعتراضا بين الكلامين ويكون العامل
في الحق الثاني قوله اقول لاملان جهنم منك يا ابليس وممن تبعك منهم اجمعين اي
ممن تابعك على دعائك الى المعاصي ثم خاطب النبي عليه السلم فقال قل يا محمد ما اسالكم
عليه من اجر اي لست اسالكم اجرا على دعائي اياكم الى الله وما انا من المتكلفين اي ولست
ممن يتعسف في طلب الامر الذي لا يقتضيه العقل بصفة متكلف صفة تجري مجرى الذم
فلذلك قال وما انا من المتكلفين لانه لا يدعو الا الى الامر الجميل الذي يقتضيه الحق
ثم قال ان هو الا ذكر للعالمين اي ليس هذا القران الا شرف للعالمين ولتعلمن نباه بعد
حين قال الفراء لتعلمن خبر القران وانه حق او خبر محمد انه صادق بعد حين قال

الحين عند الموت يأتيك الخبر اليقين وقال ابن زيد يوم القيامة والحين الوقت وقال
عكرمة قوله تؤتي اكلها كل حين باذن ربها وذلك حين يصرم النخلة الى حين تطلع
ستة اشهر وهو مثل ما رواه اصحابنا سواء

سورة الزمر

وتسمى ايضا سورة الغرف وهي مكية في قول مجاهد وقتادة والحسن ليس فيها ناسخ ولا منسوخ
عدد آياتها خمس وسبعون آية في الكوفي واثنان في البصري والمدنيين

وسبعون حجازي وبصري
وثلث وسبعون شامي

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله
مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي
من هو كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه
هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار
خمس آيات قوله تنزيل الكتاب رفع بالابتداء وخبره من الله ويجوز ان يكون رفعا بانه
خبر الابتداء والمبتدأ محذوف وتقديره هذا تنزيل والمراد بالكتاب القرآن في قول
قتادة وسمي كتابا لانه مما يكتب والعزيز هو القادر الذي لا يقهر ولا يمنع والحكيم
هو العليم بما يدعو اليه الحكمة فيما يصرف عنه وعلى هذا يكون من صفات ذاته تعالى
وقد يكون بمعنى ان افعاله كلها حكمة ليس فيها قبيح من وجوه القبح فيكون من صفات
الافعال وعلى الاول يكون تعالى موصوفا بها فيما لم يزل بانه حكيم وعلى الثاني لا يوصف
الا بعد الفعل وقيل العزيز في انتقامه من اعدائه الحكيم فيما يفعله بهم من انواع العقاب
والذي اقتضى ذكر العزيز الحكيم في انزال الكتاب انه تعالى يحفظ هذا الكتاب حتى

يصل

يصل الى من على حقه من غير تغيير ولا تبديل لموضع حكمته ولا شيء منه وفي قوله
عزيز تحذير عن مخالفته ثم اخبر تعالى عن نفسه انه انزل الكتاب الذي هو القرآن
اليك يا محمد بالحق اي بالدين الصحيح ثم امره فقال فاعبد الله مخلصا له الدين ومعناه وجه
عبادتك اليه تعالى وحده مخلصا من شرك الاوثان والاصنام وقوله مخلصا له الدين
نصب مخلصا على الحال ونصب الدين بانه مفعول مخلصا وقال الفراء كان يجوز
ان يرفع الدين ولم يجز الزجاج قال لانه يصير ما بعده تكريرا ثم قال
تعالى الا لله الدين الخالص فالاخلاص لله ان يقصد العبد بطاعته وعمله وجه
الله لا يقصد الرياء والسمعة ولا وجها من وجوه الدنيا والخالص في اللغة ما لا يشوبه
شيء غيره ومنه خلاصة السمن لانها خالصة وقال الحسن معناه الاسلام وقال
غيره معناه ان له التوحيد في الطاعة والعبادة وقال قوم معناه الا لله الطاعة بالعبادة
التي يستحق بها الجزاء فهذا لله وحده لا يجوز ان يكون لغيره لاستحالة ان يملك هذا الامر
سواه وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
معناه الحكاية عما يقول الكافرون الذين يعبدون الاصنام فانهم يقولون ليس نعبد
هذه الاصنام الا ليقربونا الى الله زلفى اي قربى في قول ابن زيد وقال السدي
الزلفى المنزلة والاولياء جمع ولي وهو من يقوم بامر غيره في نصرته وحذف يقولون لدلالة
الكلام عليه وهو افصح واوجز ثم اخبر تعالى فقال ان الله يحكم بينهم يوم القيامة
فيما هم فيه يختلفون من اخلاص عبادة الله والاشراك به ثم قال ان الله لا يهدي
من هو كاذب كفار ومعناه انه تعالى لا يهدي الى طريق الجنة او لا يحكم بهدايته الى
الحق من هو كاذب على الله في انه امره باتخاذ الاصنام كافر بما انعم الله عليه جاحد لخالص
العبادة ولا يريد الهداية الى الايمان لانه قال واما ثمود فهديناهم ثم قال تعالى لو اراد الله
ان يتخذ ولدا لا على ما يقول هؤلاء من ان الملائكة بنات الله او على ما يقول النصارى من ان

عيسى ابن الله او يقول اليهود ان عزير ابن الله لاصطفى اى لاختار مما يخلق ما يشاء ثم نزه
نفسه عن ذلك فقال سبحانه هو الله الواحد القهار الذى لا نظير له القهار لجميع
خلقه ومن هذه صفته كيف يجوز ان يتخذ الولد ثم بين عن قدرته فقال خلق السموات
والارض بالحق اى لغرض حكمى دون العبث وما لا فايدة فيه يكور الليل على النهار
ويكور النهار على الليل اى يدخل كل واحد منهما على صاحبه ومنه كور العمامة وقال
قتادة معناه يغشى وسخر الشمس والقمر بان اجراهما على وتيرة واحدة وتقدير واحد
كل ذلك يجرى لاجل مسمى يعنى الى مدة قدرها الله لهما ان يجريا اليها وقيل الى قيام
الساعة ثم قال الا هو العزيز الغفار يعنى الله الذى لا يقهر ولا يغالب الغفار لمعاصى
عباده اذا تابوا واقلعوا وفايدة الاية ان من قدر على خلق السموات والارض
وتسخير الشمس والقمر وادخال الليل فى النهار ينبغى ان ينزه عن اتخاذ الولد واتخاذ
شريك اليه لان جميع ذلك لا يليق به لانه من صفات المحتاجين **قوله تعالى**
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية
ثمانية صح **ازواج يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلث ذلكم**
الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ان تكفروا فان الله غنى
عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر
اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور ايات
قرا السوسى وابن فرح الا من طريق بكر عن اليزيدى ويحيى والكسائى عن ابى بكر يرضه
لكم بسكون الهاء وقرا ابن كثير والكسائى وابو جعفر من طريق النهروانى واسمعيل
من طريق ابن فرح وهبة عن الاخفش والزيدى الا ابن فرح وسديد من طريق عبد
السلام والسوسى والبرجمى وخلف بضم الهاء من غير اشباع اصل الخطاب من الله تعالى
لجميع خلقه من البشر يقول لهم على وجه تعداد نعمه عليهم وامتنانه لديهم هو الذي خلقكم

عبد السلام

من نفس واحدة يعنى آدم لان جميع البشر من نسل آدم وقوله ثم جعل منها زوجها قيل
انه خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم وقال قوم خلقها من فضل طينته وفى قوله
ثم جعل منها زوجها وثم يقتضى التراخى والمهلة وخلق الوالدين قبل الولد وذلك يقتضى
ان الله تعالى خلق الخلق من آدم ثم من بعد ذلك خلق حواء وذلك خلاف المعلوم لان
خلق حواء كان قبل خلق ولد آدم فيه ثلثة اقوال احدها ان الله تعالى اخرج ذرية
آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء من ضلع من اضلاعه على ما روى فى الاخبار
وهذا ضعيف لما بيناه فى غير موضع فيما مضى والثانى انه وان كان مؤخرا
فى اللفظ فهو مقدم فى المعنى ويجرى مجرى قول القايل قد رايت ما كان منك اليوم ثم ما كان
منك امس وان كان ما كان امس قبل ما يكون فى اليوم الثالث انه معطوف على معنى
واحدة كانه قال من نفس واحدة بمعنى وحدها ثم جعل منها زوجها فهى واحدة بمعنى خلقها
وحدها وقيل انه لا يمتنع ان يكون المراد بقوله زوجها غير حواء بل يريد المزدوج من
نسل هذه النفس وهذا الاجمال متاخر عن خلق النفس الواحدة التى هى آدم وقيل
ايضا ان سبب دخول ثم الاعتداد بهذه النعمة والتذكير بها على سبيل الامتنان انما كان
بعد ذكر خلقنا من نفس واحدة فكانه قال هو الذى ذكر لكم واعتد عليكم بانه خلقكم
من نفس واحدة ثم عطف على هذا الاعتداد والامتنان ذكر نعمة اخرى وهى ان زوج هذه
النفس المخلوقة مخلوقة منها فزمان الخلق للزوج وان كان متقدما فزمان ذكره والاعتداد
به متراخ وزمان الذكر للنعم والاعتداد بها غير زمان وجودها وحصولها فلا يمتنع
ان يكون الترتيب فى زمان الذكر والاعتداد غير الترتيب فى زمان الايجاد والتكوين
كما يقول احدنا لغيره لى عليك من النعم كذا اليوم ثم كذا امس وان كان المعطوف متقدما
للمعطوف عليه اذا كان زمان الامتنان بذلك على خلاف ترتيب زمان ايصال النعم وقيل
ان المراد بثم الواو فانه قد يستعمل الواو بمعنى ثم وثم بمعنى الواو لان معنى الجمع والانضمام

وان اراد بعضه على بعض قال الله تعالى فالينا مرجعهم ثم الله شهيد ومعناه والله شهيد
وقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج قال الحسن معناه وانزل جعل لكم فيها وقيل
انزلها بعد ان خلقها في الجنة ويعني بها الابل والبقر والضان والمعز من كل صنف اثنين
فهما زوجان وهو قول قتادة ومجاهد والضحاك والسدي معناه نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم عظاما ثم تكسى العظام لحما ثم ننشئ خلقا اخر وقال ابن زيد معناه الخلق في بطون
الامهات بعد الخلق في ظهر آدم وقوله في ظلمات ثلاث قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
والضحاك والسدي وابن زيد يعني ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل صلب
الرجل وظلمة الرحم وظلمة البطن ثم خاطب خلقه فقال ذلكم الله ربكم يعني الذي خلق
ما ذكره هو الذي انشاكم وهو ربكم له الملك يتصرف فيكم له الملك على جميع الخلق فاثبت لا اله الا
هو يستحق العبادة فانى تصرفون للعمى تؤفكون اي كيف تنقلبون عن ذلك الى اتخاذ الهة
سواه ثم قال تعالى مخاطبا لهم ان تكفروا فان الله غني عنكم ومعناه ان جحدوا نعم الله فلا
تشكروه فان الله غني عن شكركم ولا يرضى لعباده الكفر وفي ذلك دلالة على ان الكفر
ليس من فعل الله ولا بارادته لانه لو كان من فعله لكان راضيا به لان الرضا هو الارادة اذا
وقعت على وجه ثم قال وان تشكروا نعمه وتعترفوا بها يرضه لكم ويريده منكم
ويثيبكم عليه واشباع الهاء الجيد لان الهاء قبلها متحرك مثل ضربه وخيبره وفي الهاء
اذا انفتح ما قبلها في نحو الفعل لم يجز الا الاشباع كقولهم كلمه والهاء في يرضه كناية
عن المصدر الذي دل عليه وان تشكروا كقولهم من كذب كان شرا له اي كان الكذب
شرا له وشكر الله لعبده هو اثابته على الشكر في الطاعات والشكر من العبد الاعتراف
بالنعمة مع ضرب من التعظيم ومن اسكن الهاء قال ابو الحسن هي لغة كقول الشاعر
ومطواي مشتاقان له ارقان فعلى هذه اللغة حمله ذلك على ان يجري الوصل مجرى الوقف
وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى معناه لا يؤاخذ بالذنب الا من يفعله ويرتكبه ولا

ثمانية

وقوله يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق قال قتادة ومجاهد والضحاك صح

يؤاخذ

ولا يؤاخذ بذنب غيره وذلك نهاية العدل وفي ذلك دلالة على بطلان قول المجبرة في ان
الله يعذب اطفال الكفار بكفر آبائهم وقوله ثم الى ربكم مرجعكم ومعناه ان مصيركم يوم القيامة
الى حيث لا يملك الامر الا هو سواه فينبئكم بما كنتم تعملون اي يخبركم باعمالكم ويوافقكم عليه
ويجازيكم بحسب ذلك انه عليم بذات الصدور لا يخفى عليه شيء من الاسرار والعلانية قوله تعالى
واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو
اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من
اصحاب النار امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة
ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب
قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض
الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ٥ ثلث آيات بلا خلاف
قرا ابن كثير ونافع وحمزة امن هو قانت بتخفيف الميم الباقون بتشديدها من خفف
اراد النداء وتقديره يا من هو قانت قال ابن خالويه سمعت ابن الانباري يقول
ينادي العرب بسبعة الفاظ زيد اقبل وازيد اقبل ويا زيد اقبل وها زيد اقبل وايا زيد
اقبل واي زيد اقبل وهيا زيد اقبل وانشد هيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين
النقا أأنت ام ام سالم وجرى ذلك مجرى قول القائل فلان لا يصوم ولا يصلي فيا من
يصوم ويصلي ابشر وقال ابو علي الفراء هذا وجه له والمعنى امن هو قانت
كمن هو بخلاف ذلك لانه موضع معادلة وانما يقع في مثل هذا الموضع الجمل التي تكون
اخبارا وليس كذلك النداء ويدل على الحذف قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون لان التسوية لا تكون الا بين شيئين في ... من الجنس والمعنى امن هو قانت كمن
جعل لله اندادا ليضل عن سبيل الله وقال ابو الحسن القراءة بالتخفيف ضعيفة لان
الاستفهام انما يبنى على ما بعده ولا يحمل على ما قبله وهذا الكلام ليس قبله شيء يحمل عليه

شيئين وصح

على ...

الاول الفوق ومن شدد احتمل امرين احدهما ان يريد هذا الخبر ام من هو قانت والثاني ان يكون
حرف لم بمنزلة بل والف الاستفهام ويكون على هذا الخبر محذوفا لدلالة الكلام عليه كما
قال الشاعر فاقسم لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا اي الفوق لو اتانا
غيرك ناصدقناه ولا احتد بالحذف وقال تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وافمن
يتقي بوجهه سوء العذاب كل ذلك محذوف الجواب والقانت الداعي والقانت الساكت و
القانت المصلي قائما وانشد فانا الله نتلو كتبه وعلى عبد من الناس اعتزل
وقيل القانت الدايم على الطاعة لله تعالى في قول ابن عباس والسدي يقول الله عز وجل
مخبرا عن حال الانسان وضعف يقينه وشدة تحوله من حال الى حال اذا اذاقته ضر من شدة
وفقر ومرض وقحط دعا عند ذلك ربه منيبا اليه اي راجعا اليه راغبا فيه ثم اذا خوله
نعمة منه وانه اذا اعطاه نعمة عظيمة فالتخويل العطية العظيمة على جهة الهبة وهي المنحة
وقال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول
نسي ما كان يدعوا اليه من قبل يعني ترك دعاء الله كما كان يدعو في حال ضره قال الفراء
فيجوز ان يكون بمعنى من كما قال فانكحوا ما طاب لكم من النساء وجعل لله اندادا اي
وسمى له تعالى امثالا في توجيه عبادته اليها من الاصنام والاوثان ليضل عن سبيله من ضم
الياء اراد ليضل بذلك غيره عن سبيل الحق ومن فتح الياء اراد ليضل هو عن ذلك واللام
لام العاقبة لانهم لم يفعلوا ما فعلوه وغرضهم ان يضلوا عن سبيل الله لكن عاقبتهم
كان اليه فقال تعالى لنبيه قل له يا محمد على وجه التهديد تمتع بكفرك قليلا يعني
مدة حياتك انك من اصحاب النار في العاقبة فهم الذين يلزمون عذاب جهنم ثم قال
امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما فآناء الليل ساعات الليل واحدها انى وانى بالياء
ساجدا وقائما اي في حالتي الخائفين يحذر الاخرة اي يخاف عذاب الاخرة ويرجو رحمة ربه
كمن خالف ذلك فانهما لا يتساويان ابدا ثم قال قل لهم على وجه الانكار عليهم هل يستوي الذين

١٠١ يعلمون الحق ويعملون به والذين لا يعلمون فانهما لا يتساويان ابدا وانما يتذكر في ذلك
اولوا الالباب اي ذوو العقول وروى جابر عن ابي جعفر في تفسير هذه الاية قال نحن الذين
يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون ثم قال تعالى لنبيه قل لهم يا محمد يا عبادي الذين امنوا
بالله وصدقوا بوحدانيته واقروا برسله اتقوا ربكم اي عقاب ربكم باجتناب معاصيه
ثم قال للذين احسنوا يعني فعلوا الافعال الحسنة واحسنوا الى غيرهم جزاهم على ذلك
في هذه الدنيا حسنة يعني بالحسن وذكر جميل ومدح وشكر وقيل صحة وسلامة وعافية
ذكره السدي وارض الله واسعة فتهاجروا عن دار الشرك في قول مجاهد وقيل ارض
الله يعني ارض الجنة واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم وثوابهم على طاعاتهم وصبرهم على
شدايد الدنيا بغير حساب اي لكثرته لا يمكن عده وحسابه وقيل ان معناه انهم يعطون
من المنافع زيادة على ما يستحقونه على وجه التفضل فكان ذلك بغير حساب اي بغير مجازاة
بل تفضل من الله تعالى قوله تبارك وتعالى قل اني امرت ان اعبد الله
مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين قل اني اخاف ان عصيت ربي
عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من
فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون
ست ايات في الكوفي وخمس في الباقي هذا امر من الله تعالى لنبيه عليه السلام ان يقول
لهؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي لخالص
طاعتي له واوجه عبادتي نحوه دون الاصنام والاوثان والخطاب وان توجه الى النبي
عليه السلام فالمراد به جميع المكلفين وامرت ايضا ان اكون اول المسلمين اي المستسلمين لما امر
الله به ونهى عنه وانما امر بان يكون اول مسلم وان قبله مسلمين كثيرين لان المراد به اول
المسلمين من هذه الامة فنبي ذلك اذ دعاهم الى ما رضيه الله له ورضيه لنفسه وان يقول

لهم اي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم يعني عذاب يوم القيامة ثم قال قل الله
اعبد مخلصا بعبادتي له تعالى ديني وطاعتي فاعبدوا انتم معاشر الكفار ما شئتم من
دونه من الاصنام والاوثان على وجه التهديد لهم بذلك ثم قال قل ان الخاسرين في الحقيقة
هم الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة بافعالهم القبيحة خسروا بان اهاليهم الذين
كانوا لهم في الدنيا في قول مجاهد وابن زيد وقيل خسروا اهاليهم الذين كانوا اعدت
لهم من الحور العين لو اطاعوه في قول الحسن وخسروا انفسهم اي اهلكوها بالعذاب المبين
الظاهر لمن ادركه ولا يخفى على احد الحال فيه ثم قال تعالى الا ذلك هو الخسران المبين يعني
الظاهر الذي لا يخفى ثم بين الخسران بان قال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
فالظلة السترة العالية وجمعها ظلل وانما قيل من تحتهم ظلل لانها ظلل لمن تحتهم لان
النار دركات فهم بين اطباقها نعوذ بالله منها فما هو تحتها ظلال لمن دونهم ويجوز ان يكون
المراد من تحتهم مثل تلك الظلل لان الظلة تسمى كذلك اذا كانت عالية فوق من هي
ظلة له ثم قال ذلك يخوف الله به عباده اي ما اخبركم به من الوعيد وما اعده للكفار
يخوف الله به عباده من ارتكاب معاصيه ثم ناداهم فقال يا عباد فاتقون اي اتقوا معاصي
وافعلوا طاعاتي والتخويف الاعلام بموضع المخافة ليتقى ومثله التحذير والترهيب وقرأ
رويس يا عبادي باثبات الياء في الحالين الباقون بحذفها لان الكسرة تدل على الياء
قوله تبارك وتعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا
الى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك
الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب افانت
تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري
من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ۝ اربع ايات في الكوفي والبصري
والمدني الاول دون الاخير وانما الخلاف في تفصيلها ۝ لما اخبر الله تعالى عن الكفار

وما اعده

١٠٢ وما اعده لهم من انواع العقاب اخبر بعدها عن حال المؤمنين وما اعده لهم من الثواب فقال
والذين اجتنبوا الطاغوت يعني الذين يجتنبون عبادة الطاغوت والتقرب اليها بانواع
القرب والطاغوت جماعة الشياطين في قول مجاهد والسدي وابن زيد وانما انث
الجماعة ولفظه لفظ المذكر وقيل ان كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت ان يعبدوها
اي اجتنبوا عبادتها وانابوا الى الله اي تابوا اليه واقلعوا عما كانوا عليه لهم البشرى
جزاء على ذلك والبشرى والبشارة واحد وهو الاعلام بما يظهر السرور به في بشرة الوجه وضده
السوأى وهو الاعلام بما يظهر الغم به في الوجه ويسوء صاحبه ثم امر النبي بتبشيره فقال
فبشر عبادي فمن اثبت الياء وفتحها فلانه الاصل ومن حذف الياء اجتزأ بالكسرة
الدالة عليه ثم وصف عباده الذين اضافهم الى نفسه على وجه الاختصاص فقال الذين
يستمعون القول يعني يستمعون الى تلاوة القرآن والاقوال الدالة على توحيده فيتبعون
احسنه انما قال احسنه ولم يقل حسنه لانه اراد ما يستحق به المدح والثواب وليس
كل حسن يستحق به ذلك لان المباح حسن ولا يستحق به مدح ولا ثواب فالاحسن الاولى
بالفعل في العقل والشرع ثم اخبر تعالى فقال اولئك يعني هؤلاء الذين وصفهم
من المؤمنين هم الذين هداهم الله يعني الى الجنة ودلوا بها وحكم بانهم مهتدون
الى الحق واولئك هم اولوا الالباب يعني اولوا العقول على الحقيقة لانهم الذين انتفعوا
بعقولهم من حيث انتفعوا بما يجب اتباعه والكفار وان كان لهم عقول فكأنه لا عقول
لهم من حيث انهم لم ينتفعوا بما دعوا اليه ثم قال تعالى على وجه التنبيه افمن حق
عليه كلمة العذاب اي وجب عليه الوعيد بالعقاب جزاء على كفره كمن وجب له الوعد بالثواب
جزاء على ايمانه وحذف لدلالة الكلام عليه تنبيها على انهما لا يستويان ثم قال لنبيه
عليه السلام افانت تنقذ من في النار وتقديره افانت تنقذه لا يمكنك ذلك لمن العقاب
وجب له بكفره واخبر تعالى انه لا يقدر عليه واتى بالاستفهام من تأكيدا للتنبيه

على العق قال الزجاج معناه معنى الشرط والجزاء والف الاستفهام هاهنا معناها التوقيف
والثانيه في قوله افانت تنقذ جاءت موكده لما طال الكلام لانه لا يصلح ان ياتي بعد
بالف الاستفهام في الاسم والاخرى في الخبر والمعنى افمن حق عليه كلمة العذاب افانت
تنقذه وفي سياق الكلام حذف وفيه دليل على المحذوف والمعنى افمن حق عليه كلمة العذاب
فيخلص منه او ينجا منه افانت تنقذه اي لا يقدر احد ان ينقذه وقال الفرا هما استفهام
واحد وتقديره افانت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب من النار ومثله ايعدكم
انكم اذا متم انكم مخرجون وتقديره ايعدكم انكم تخرجون اذا متم ثم ذكر وبين ما اعد للمومنين
ثم فسر وبين ما اعده المومن كما فسر ما اعده للكافر فقال لكن الذين اتقوا ربهم يعني
اتقوا معاصيه لهم غرف من فوقها غرف في مقابلة ما قال للكافر لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ثم قال للتقي لهم من فوقهم ظلل من النار ومن قبل
انما قال ومن تحتهم ظلل لانها تظلل عليهم وقيل المعنى لهم منازل رفيعة في الجنة
وفي فوقها منازل ارفع منها فللمومنين الغرف تجري من تحتها الانهار وتقديره تجري
من تحت اشجارها الانهار ثم بين تعالى ان الذي ذكره من ثواب المومن وعد
من الله وعد الله المومن لا يخلف الله ميعاده ولا يكون بخلاف ما اخبر به ووعد
وعد الله على الصدق قوله تبارك وتعالى الم تر ان الله انزل من
السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه
مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب افمن شرح
الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر
الله اولئك في ضلال مبين الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر
الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد افمن يتقي

بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون
كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم بين ايات
يقول الله تعالى مخاطبا لنبيه عليه السلام والمراد به جميع المكلفين على وجه التنبيه ١٠٣
لهم على الادلة الدالة على توحيده واختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره الم
تر يا محمد ومعناه الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء يعني مطرا فسلكه ينابيع
في الارض ويقولون دخل في الاسلام ولا يقال سلك في الاسلام والينابيع [يعني ادخله في عيون الارض و منابعها وقيل السلوك دخول على الشيء ولهذا حسن في صفة الماء الجاري فقيل فسلكه ينابيع في الارض]
جمع ينبوع وهو خروج الماء من العيون وقيل الينبوع المكان الذي ينبع منه
الماء تقول نبع الماء من موضع كذا اذا فار منه وعيون الماء منبع الماء ونبع الماء اذا
انفجرت به العيون وقوله ثم يخرج به يعني بذلك الماء زرعا وهو كل ما نبت على
غير ساق والنجم ما له ساق واغصان والنبات يعم الجميع يقال نبت النخلة والنجم ولحبة
نبت نباتا وقوله مختلفا الوانه يعني صنوفه اخضر واصفر واحمر وابيض من البر
والشعير والسمسم والارز والذرة والدخن وغير ذلك وقوله ثم يهيج ومعناه يجف
ويضطرب فالهيج شدة الاضطراب بالانقلاب عن حال الاستقامة والصلاح هاج يهيج
هيجا وهيجانا وهاج البعير هيجا وقيل معنى يهيج اي يجيء ويحين انه يجف
الجميع يجيء الى تلك الحال فيتغير عن لون الخضرة الى لون الصفرة وقوله ثم يجعله
حطاما فالحطام فتات التبن والحشيش ثم قال ان في ذلك يعني فيما ذكره من انزال
الماء وانبات الزرع به ونقله من حال الى حال لذكرى اي ما يتذكر به ويتفكر فيه لاولي
الالباب يعني ذوي العقول السليمة ثم قال تعالى على وجه التنبيه للخلق افمن
شرح الله صدره للاسلام اي من لطف الله له حتى امن وعرف الله ووحده وصدق
نبيه فهو على نور من ربه يعني فهو على هداية من الله ودين صحيح كمن كان بخلاف
ذلك وحذف لدلالة الكلام عليه ثم قال فويل للقاسية قلوبهم يعني الويل في

والعقاب للذين قست قلوبهم عن ذكر الله حتى لم يعتبروا ولا وجلوا ثم قال فيه الشيء
اذا اصلب كما قال ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ويقال عتا وعثا وقسا بمعنى واحد ويقال
ما اقسى قلبه اذا كان لا يلين لشيء والمعنى كلما تلي عليه ذكر الله قسا قلبه وقوله عن ذكر
الله معناه غلظ قلبه عن ذكر الله فالقاسية قلوبهم هم الذين الفوا الكفر وتعصبوا
له فلذلك قست قلوبهم ثم قال تعالى اولئك يعني القاسية قلوبهم عن ذكر الله في
ضلال اي عدول عن الحق مبين اي واضح ظاهر ثم قال تعالى الله نزل احسن الحديث
يعني القرآن كتابا متشابها نصب كتابا على البدل من قوله احسن ومعناه متشابها في الحكم
التي يعمل عليها في الدين وصلاح التدبير يشبه بعضه بعضا لا تناقض فيه مثاني اي يثنى
فيه الحكم والوعد والوعيد بتصريفها في ضروب البيان ويثنى ايضا في التلاوة فلا
يمل الحسن مسموعة في القرآن تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم اي تقشعر جلود
المؤمنين الذين يخافون عذاب الله لما يسمعونه من الوعيد فيه ثم تلين جلودهم و
قلوبهم الى ذكر الله وما وعدهم الله على ذلك من الثواب ثم قال تعالى ذلك يعني
ما وصف به المؤمن من اقشعرار قلوب المؤمنين تارة ولينها اخرى هدى الله اي لطف
الله الذي يلطف به لمن يشاء من عباده الذين يعلم ان له لطفا لهم وقال الجبائي انه خص به امة
محمد صلى الله عليه والنبي ثم قال ومن يضلل الله فما له من هاد ومعناه من اضله عن طريق
الجنة لم يهده احد الى الهدى اليها ويحتمل ان يكون المراد من حكم الله بانه ضال لا يقدر
احد ان يحكم بانه هاد ثم قال سبحانه افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم
القيامة وتقديره كمن يدخل الجنة وجاء في التفسير ان الكافر يلقى في النار مغلولا
لا يمكنه ان يتقي النار الا بوجهه ومعنى يتقي يتوقاها كما قال الشاعر
اذ يتقون بي الاسنة لم اخم عنها ولكني تضايق مقدمي اي يتقون بي الى الابطال
فيتوقون بي حرها وحذف كمن كان عالما في ذلك لدلالة الكلام عليه فان هذا

التوفيق بين الحجج والمواعظ والاحكام

لحكم

لا يكون ابدا ثم حكى الله تعالى ما يقال للكافرين الظالمين نفوسهم بالكفر بالله يوم
القيامة اذا دخلوا النار ذوقوا ما كنتم اي جزاء ما كنتم تكسبون من المعاصي ثم اخبر
تعالى عن الامم الماضية من امثالهم من الكفار بان قال كذب الذين من قبلهم بايات الله
وجحدوا توحيده وكذبوا رسله فاتاهم العذاب جزاء لهم على فعلهم وعقوبة عاجلة
من حيث لا يشعرون اي من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون قوله تبارك وتعالى
فاذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير
ذي عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا
سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم
ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ست آيات قال المبرد
العرب تقول لكل شيء يصل الى الجارحة من الجوارح ذق اي يصل معرفته اليك كما يصل
اليك معرفة ما تذوقه من حلو ومر ومنه قوله فذاقوا وبال امرهم وقوله
ذق انك انت العزيز الكريم والخزي هو المكروه والهوان وخزي فلان اذا وقع في المكروه
والخزي افراط الاستحياء يقال ما استحيا وما خزي وانه خزيان نادما قال الشاعر
ولا انت ديّاني فتخزوني
قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب ورجلا سالما على وزن
فاعل ومعناه خالصا لا شريك فيه لان الله تعالى ضرب مثلا المؤمن والكافر شبه الكافر
بمن كان مشتركا بين مختلفين والمؤمن عبد الها واحدا من سلّما لرجل على المصدر من قولهم
سلم فلان لله سلما بمعنى خلص له خلوصا كما يقولون ربح الرجل في تجارته ربحا وربحا
وسلم سلما وسلما وسلامة وتقديره ذا سلم ثم فعل اذا قهم الله اي جعلهم يدركون
الالم كما يدرك الذائق الطعام والخزي الذل الذي يستحيا من مثله بما فيه الفضيحة و
خزيهم في الحياة الدنيا هو ما فعل بهم من العذاب العاجل من اهلاكهم واستيصالهم

الذي سبق ذكره على التفصيل ثم قال تعالى ولعذاب الآخرة اكبر مما فعل بهم في دار الدنيا لو
كانوا يعلمون صدق ما اخبرنا به، ثم اقسم تعالى بان قال ولقد ضربنا للناس في هذا
القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون فالتذكر طلب الذكر بالفكر وهذا حث على طلب
الذكر المؤدي الى العلم والعمل لكي يتذكروا ويتعظوا فيجتنبوا ما فعل من تقدم من
الكفار والعصاة لئلا يحل بهم ما حل باولئك وقوله قرآنا عربيا اي انزلناه قرآنا عربيا
غير ذي عوج اي غير ذي ميل عن الحق بل هو مستقيم موصل الى الحق ويقال
في الكلام عوج بكسر العين اذا عدل به عن جهة الصواب والمثل علم شبه به حال الثاني
بالاول والمثال قياس يحتذى عليه وانما قال ضربنا مثلا واحدا ولم يقل مثلين
لانهما جميعا ضربا مثلا واحدا ومثله قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية ولو قال آيتين كان
حسنا في قول الفراء وقوله لعلهم يتقون معناه لكي يتقوا معاصي الله خوفا من
عقابه ثم قال تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون فالتشاكس
التمانع بالتنازع تشاكسوا في الامر تشاكسا وفي الشكاسة يتشاكس في البيع وتدبير الملك
وكذلك ورجلا سلما لرجل فضرب المثل للموحد بعبادة الله وحده عز وجل والمشرك
بعبادة غير الله في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد هل يستويان مثلا
في حسن الحال لان الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وحياطته ما لا يستحقه
صاحب الشركاء المختلفين في امره ثم قال الحمد لله يعني المستحق للشكر والثناء على
الحقيقة هو الله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون حقيقة لجهلهم بالله وبمواضع نعمه ثم قال
لنبيه انك يا محمد ميت اي عاقبتك الموت وكذلك عاقبة هؤلاء لان كل نفس ذائقة
الموت ثم انكم يحشركم الله يوم القيامة وتحشركم يوم القيامة فتختصمون عند الله و
معناه كل طائفة منكم ترد على صاحبتها يوم القيامة وتخاصمه فالاختصام رد كل واحد
من الاثنين ما اتى به الآخر على وجه الانكار عليه وقد يكون احدهما محقا والآخر مبطلا

كالموحد

كالموحد والملحد وقد يكونان جميعا مبطلين كاختصام اليهود والنصارى وقد يكونان
جميعا محقين اذا قطع كل واحد منهما على صواب اعتقاده دون غيره ويكون اختصامهم في
الآخرة بذم رؤساء الضلالة فيما دعوهم اليه ودفع اولئك عن انفسهم فيقول الاولون
لولا انتم لكنا مؤمنين ويقول الرؤساء ما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي واقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقال ابن زيد الاختصام يكون بين المؤمنين
والكافرين وقال ابن عباس يكون بين المهتدين والضالين والصادقين والكاذبين
وقال ابو العالية يكون بين اهل القبلة ورجل شكس اذا كان سيئ الخلق وقال
السدي هذا مثل ضربه الله للاوثان وقال قتادة هذا المشرك تنازعه الشياطين
معرفة بعضهم بعض ورجلا سالما فهو المؤمن اخلص الدعوة لله والعبادة وقال
ابو عبيدة متشاكسون الرجل الشكس ورجلا سالما الرجل الصالح وقال ابو عمرو
معناه خالصا لله وقال ابو علي رجلا فيه شركاء يعني في اتباعه او في شيعته قوله تعالى
فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم مثوى
للكافرين والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون
عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم
باحسن الذي كانوا يعملون ٥ اربع آيات قوله فمن اظلم ممن كذب على الله صورته
صورة الاستفهام والمراد به التقريع والتوبيخ والمعنى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
وادعى ان له ولدا وصاحبة وانه حرم ما لم يحرمه او احل ما لم يحله وانما كان من كذب
على الله وكذب بالحق اظلم لانه ظلم نفسه باخس الظلم من جهة كفره به وجحوده
لحق نعمه حين اشرك به تعالى من لا نعمة له يستحق بها عبادته وقال قتادة وكذب
بالصدق اذ جاءه يعني القرآن ثم قال تعالى مهددا لمن هذه صورته اليس في جهنم مثوى
للكافرين والمثوى المقام يقال اثوى يثوي اثواء وثوى يثوى ثواء قال الشاعر

طال الثواء على ربع بمودها اودى وكل جديد مرة مود ، وقوله والذي جاء بالصدق
وصدق به وقال قتادة وابن زيد الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وصدق
به المؤمنون وقال السدي الذي جاء بالصدق وصدق به هم المؤمنون جاؤوا
بالصدق الذي هو القران وصدقوا به فهو حجتهم في الدنيا والاخرة ، وقيل الذي
جاء بالصدق جبريل وصدق به محمد صلى الله عليهما وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤوا
بالصدق قال الزجاج الذي هاهنا والذين بمعنى واحد بالصدق يراد به الجمع وقال
لانه غير موقت وقيل الذي جاء بالصدق النبي عليه السلم من قول لا اله الا الله وصدق
به ايضا هو عليه السلام والصحيح ان قوله وصدق به من صفة الذي جاء بالصدق
لانه لو كان غيره لقال والذي جاء بالصدق والذي صدق به وقوله اولئك
هم المتقون معاصي الله خوف عقابه وانما جاء بلفظ الجميع فهم المتقون مع ان لفظ
الذي واحد لانه اراد به الجنس ومعناه الجمع كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات ، وقال الاشهب بن رميلة ، ان الذي حانت بفلج دماؤهم
هم القوم كل القوم يا ام خالد ، ثم بين ما اعد لهم من النعيم فقال لهم ما يشاؤون عند
ربهم جزاء على تقواهم وبين ان ذلك جزاء المحسنين الذين يعملون الطاعات وقوله
ليكفر الله عنهم اي يسقط عنهم عقاب الشرك والمعاصي التي فعلوها قبل ذلك بتوبتهم
ورجوعهم الى الله ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون يعني يثيبهم على طاعاتهم
من الفرض والنفل وهي احسن افعالهم لان المباح وان كان حسنا لا يستحق به ثواب ولا مدح
قوله تبارك وتعالى اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين
من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس
الله بعزيز ذي انتقام ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن
الله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات

١٠٦ ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل
عليه عذاب مقيم ، ايات قرا حمزة والكسائي وخلف بكاف عباده على الجمع الباقون
بكاف عبده على واحد من قرا على التوحيد اراد النبي عليه السلم لقوله ويخوفونك
ومن جمع اراد النبي وسائر الانبياء لان امة كل نبي خاطبوا انبيائهم بمثل ذلك كما قال
تعالى مخبرا عن قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وقرا ابو عمرو و
الكسائي عن ابي بكر كاشفات ضره وممسكات رحمته منونة فيهما الباقون بالاضافة
فمن اضاف فللتخفيف ومن نون فلانه غير واقع واسم الفاعل انما يعمل اذا كان
لما يستقبل فقوله وكلبهم باسط ذراعيه على الحكاية ، قوله اليس الله بكاف
عبده لفظه لفظ الاستفهام والمراد به التقرير يقرر عباده فيقول اليس الله الذي
يكفي عبده كيد اعدائه ويصرف عنه شرهم فمن وحد اراد محمدا صلى الله عليه واله وهو
قول السدي وابن زيد ومن جمع اراد انبياءه كابرهيم ولوط وشعيب وقوله
ويخوفونك بالذين من دونه خطاب للنبي عليه السلم بان الكفار يخوفونه بالاوثان
التي كانوا يعبدونها في قول قتادة والسدي وابن زيد لانهم قالوا له انا نخاف ان تهلكك
الهتنا وقيل انه لما قصد خالد لكسر العزى بامر النبي عليه السلم قال له سادنها اياك
يا خالد ان باسها شديد ثم قال ومن يضلل الله فما له من هاد ويحتمل معناه شيئين
احدهما ان من اضله عن طريق الجنة بكفره ومعاصيه فليس له هاد يهديه اليها والثاني
ان من حكم الله بضلاله وسماه ضالا اذا ضل هو عن الحق فليس من يحكم بهدايته ويسميه
هاديا ثم بين عكس ذلك فقال ومن يهده الله الى طريق الجنة فلا احد يضله عنها و
الثاني من يحكم بهدايته ويسميه هاديا فلا احد يمكنه ان يحكم بضلاله على الحقيقة ثم قرر خلقه
فقال اليس الله بعزيز اي قادر قاهر لا يقدر احد على مغالبته ذي انتقام من اعدائه

ومن يهد الله فما له من مضل وهو
يحتمل ايضا الامرين احدهما
صح

والجاحدين لنعمته ثم قال لنبيه عليه السلام ولئن سألتهم يا محمد يعني هؤلاء الكفار
هؤلاء الكفار من خلق السماوات والارض فانشأها واخترعهما فاوجدهما بعد ان كانت
معدومة ليقولن الله الفاعل لذلك لانه لو احالوا على غيره لبان كذبهم وافتراؤهم
لانه لا يقدر على ذلك الا القادر لنفسه الذي لا يعجزه شيء ثم قال قل لهم افرايتم
ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة
هل هن ممسكات رحمته من اضاف لم يعمل اسم الفاعل ومن نون اعمله وهما جميعا جيدان
والمعنى ان من يعجز عن النفع والضر وكشف الكرب عمن يتقرب اليه ولا يتأتى منه ذلك
كيف يحسن عبادته وانما يحسن العبادة لمن يقدر على جميع ذلك ولا يلحقه عجز ولا منع وهو
الله تعالى والوجه في الزام من خلق السماوات والارض اخلاص العبادة له ان من خلق
السماوات والارض هو القادر على النفع والضر بما لا يمكن احد منعه ويمكنه منع كل احد
من خير او شر فالعبادة اعلى منزلة الشكر بحيث النعم التي لا يقدر عليها غير الله فمن
اقر بخلق السماوات والارض لزمه اخلاص العبادة لمن خلقهما ومن لم يقر دل عليه بما يلزمه
الاقرار به ثم قال قل لهم يا محمد حسبي الله اي يكفيني الله عليه يتوكل المتوكلون
فالتوكل رد التدبير الى من يقدر على الاحسان فيه فلما كان لا يقدر على الاحسان
في جميع التدبير الذي يصلح الانسان الا الله تعالى وجب على كل عاقل التوكل عليه
بما هو حسبه منه ثم قال قل لهم يا محمد اعملوا على مكانتكم اي على حالكم وقال
مجاهد على ناحيتكم وقيل على مكانتكم من العمل وقيل على مكانتكم اي حيثكم التي
اخترعتموها وتمكنتم في العلم بها ثم قال اني عامل بما ادعوكم اليه فسوف
تعلمون عاقبة اعمالكم وآخر كفركم وتعرفون من ياتيه عذاب يخزيه في الدنيا و
يهينه في الآخرة ويحل عليه اي ينزل عليه عذاب مقيم اي دائم لا يتحول وذلك غاية
الوعيد والتهديد قوله تبارك وتعالى انا انزلنا عليك الكتاب للناس

بالحق

بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل الله
يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل
الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ام اتخذوا من دون
الله شفعاء قل او لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة
جميعا له ملك السماوات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت
قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون
حتى آيات ۰ القراءة حمزة والكسائي والاعمش وخلف فيمسك التي قضي عليها على ما لم
يسم فاعله الباقون قضى بفتح القاف وهو الاجود لان اسم الله قد تقدم في قوله
الله يتوفى الانفس حين موتها وقيل ان الموت هاهنا المراد به النوم والتوفي هاهنا
توفي النفس لا الروح لان ابن عباس قال في ابن آدم نفس وروح فاذا نام قبضت نفسه
وبقيت روحه والروح هو الذي يكون فيه الغطيط والنفس هي التي يكون بها التمييز
فاذا مات قبضت نفسه وروحه فان قيل كيف قال هاهنا الله يتوفى الانفس
وقال في موضع آخر توفته رسلنا قيل ان الذي يتولى قبض الارواح ملك
الموت بامر الله ومعه رسل واعوان فلذلك قال توفته رسلنا وجه من
بنى الفعل للفاعل قوله ويرسل الاخرى ومن بنى للمفعول فلان المعنى
يؤول اليه وقال الفراء تقديره الله يتوفى الانفس حين موتها ويتوفى التي
لم تمت في منامها عند انقضاء اجلها وقيل توفيها نومها لقوله وهو الذي
يتوفاكم بالليل يقول الله تعالى مخبرا عن نفسه انا انزلنا عليك
يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق ومعناه انزلناه على انه حق بانه حق
فهذه فائدة الباء وفي ذلك حجة على من زعم انه تعالى يريد بانزاله اضلال
الكافرين عن الايمان لانه لو كان كذلك لم يكن منزلا بالحق واذا كان

منزلة على انه حق وجب النظر في موجبه ومقتضاه فما رغب فيه وجب العمل به وما
حذر منه وجب اجتنابه وما صححه وجب تصحيحه وما افسده وجب افساده وما دعا
اليه فهو الرشد وما صرف عنه فهو الضلال ثم قال فمن اهتدى يعني بما فيه من
الادلة فلنفسه لان منفعة عاقبته من الثواب يعود عليه ومن ضل عنه وجار فانما
يضل عليها يعني على نفسه لان وخيم عاقبته من العقاب يعود عليه ثم قال وما انت
يا محمد عليهم بوكيل اي بحفيظ ولا رقيب ولا قائم بتدبيرهم فيما هديتهم به او ضلوا
عنه وانما عليك البلاغ والوكيل القائم بالتدبير وقيل وما انت عليهم بوكيل معناه و
ما انت عليهم برقيب في ايصال الحق الى قلوبهم وحفظه عليهم حتى لا يتركوه ولا ينصرفوا
عنه ولا تقدر على اكراههم على الاسلام وانما الله تعالى القادر على ذلك ودل عليه
بقوله الله يتوفى الانفس حين موتها ومعناه انه يقبضها اليه اذا اراد اماتتها بان
يقبض روحها بان يفعل فيها الموت ويتوفى الانفس حين منامها فيمسك التي قضى
عليها الموت فلا يردها اليه ويرسل الاخرى التي يريد ابقاءها الى ان يتوفى
اجلها الذي قدره لها وقد ذكرنا ما روي عن ابن عباس من ان قبض الروح يكون
بكونه ميتا وقبض النفس يكون به فاقد التمييز والعقل وان لم تفقد حياته
والفرق بين قبض النوم والموت ان قبض النوم يضاد اليقظة وقبض الموت يضاد
الحياة وقبض النوم تكون الروح معه في البدن وقبض الموت يخرج الروح فيه عن
البدن وقال سعيد بن جبير والسدي ان ارواح الاحياء اذا ناموا تجمع
مع ارواح الاموات فاذا ارادت الرجوع الى الاجساد امسك الله ارواح الاموات
وارسل ارواح الاحياء ثم قال ان في ذلك يعني في قبض الارواح تارة بالموت
وقبض النفس بالنوم اخرى لايات اي دلالات واضحات على توحيد الله وانه
لا يقدر عليه سواه لقوم يتفكرون اي يتعقلون عقولهم بالفكر في ذلك فيعرفون

الله

الله تعالى بذلك ثم اخبر عن حال الكفار فقال ام اتخذوا ومعناه بل اتخذوا اولئك الكفار
من دون الله شفعاء يعني من الاصنام والاوثان فقل لهم يا محمد اولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون نبههم على انهم يتخذونها شفعاء وان كانوا لا يقدرون
على شيء من الشفاعة ولا غيرها ولا يعقلون شيئا والالف في اولو الف الاستفهام
يراد به التنبيه ثم قال قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات و
الارض اي الشفاعة لمن له الملك يريد التصرف في السموات والارض ليس لاحد الاعتراض
عليه في ذلك اذ لم ياذن له فيها ثم اليه ترجعون معاشر الخلق اي الى حيث لا
يملك احد النصرة والامر والنهي سواه وهو يوم القيامة فيجازي كل انسان على
عمله على الطاعة بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب ثم اخبر عن حالهم وشدة عنادهم
فقال واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة يعني نفرت
نفوسهم من التوحيد وانقبضت عنه يقال فلان مشمئز عن كذا اذا انقبض عنه و
في قوله اشمازت قلوبهم دليل على فساد قول من يقول المعارف ضرورة واذا ذكر
الذين من دونه قال الذي يعني الاوثان اذا هم يستبشرون اي يفرحون
ويسرون حتى يظهر السرور في وجوههم ثم قال تعالى قوله تبارك وتعالى
قل اللهم فاطر السماوات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان
ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن
اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
حتى ايات هذا امر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله والمراد به جميع

المكلفين ان يدعوه بهذا الدعاء فيقولوا اللهم فاطر السموات والارض اى خالقهما ومنشئهما
ومبدئهما عالم الغيب والشهادة اى عالم ما غاب علمه عن جميع الخلائق وعالم ما شهدوه
فعلمه لا يخفى عليك شىء من الاشياء انت تحكم بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
فى دار الدنيا من امر دينهم ودنياهم وتفصل بينهم بالحق وفاطر السموات عند سيبويه لا يجوز
ان يكون صفة اللهم قال لانه غير الاسم فى النداء ولانه لا يذكر هذا الا كما لا توصف ما قد
عرف كما لا يغير الاسم الا بعد ما عرف وكما لا يوصف المضمرات فكذلك هذا الاسم وليس
عنده مثل ذلك فى قولنا الله لانه قد يذكر الهاوف لمن لا نعرفه الا بصفته فيقول فيعرفونه
الله فاطر السموات والارض وخالق الخلق ورب العالمين ومالك يوم الدين وقال
ابو العباس يجوز ان يكون صفة اللهم [illegible] على وجه المبالغة فى وقوع عقاب الكفار على يا الله فاطر السموات والارض ثم اخبر تعالى
وعظمه بانه لو كان لهم ملك جميع ما فى الارض ومثله معه زيادة عليه واراد الظالم نفسه
بارتكاب المعاصى ان يفتدى نفسه من شدة ذلك العذاب يوم القيامة لما قبل منه ولما
فودى به وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه ثم قال وبدا لهم يعنى للكفار
ما لم يكونوا يحتسبونه ولا يظنونه واصله الظهور والاحتساب الاعتداد بالشىء من جهة
دخوله فيما يحسبه فلما كان اهل النار لم يكونوا يعدون ما ينزل بهم من العذاب جاز ان
يقال بدا لهم من عذاب الله ما لم يحتسبوه اى ظهر لهم ايضا سيئات ما كسبوا اى جزاء معاصيهم
وحاق بهم اى نزل بهم ما كانوا به يستهزؤون فى الدنيا من قول الله ووعده ووعيده
ثم اخبر تعالى عن شدة تقلب الانسان وتحوله من حال الى حال بانه اذا مسه ضر
من مرض وشدة وبلاء دعانا وفزع الينا ثم بعد ذلك اذا خولناه اى اعطيناه نعمة
منا والتخويل العطاء بغير مكافاة ولا مجازاة بل تفضلا محضا قال انما اوتيته على علم
قال الحسن معناه انى اوتيته بحيلتى وعلمى وقال غيره معناه على علم برضاه عنى فلذلك
اعطانى ما اعطانى من النعمة وقال آخرون معناه على علم بان سببه العافية

وكش

وكشف البلية وانه لم ينلها من قبل ربه ثم قال ليس الامر على ما يقوله بل هى فتنة اى بلية
واختبار يبتليه الله بها كيف شكره فى مقابلتها فيجازيه بحسبها وان كان عالما بالحال
لم يجز ان يجازيه على علمه وانما يجازيه على فعله الذى يفعله ولكن اكثرهم لا يعلمون
صحة ما قلناه من ان ذلك النعمة واختبار لقلة معرفتهم بالله وبصفاته ثم قال قد قالها
الذين من قبلهم يعنى قد قال كلمتهم مثل ما قال هؤلاء فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من الاموال وجمعوه بل صار وبالا عليهم قوله تبارك وتعالى
فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم
بمعجزين وما يعلمون ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لايات
لقوم يؤمنون قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان
الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من
قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل
ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون خمس آيات يقول الله تعالى مخبرا عن
حال هؤلاء الكفار فى الآخرة وما يصيرون اليه فقال فاصابهم سيئات ما كسبوا وقيل
فى معناه قولان احدهما فاصابهم عقاب سيئات ما كسبوا فحذف المضاف واقام المضاف اليه
مقامه لدلالة الكلام عليه الثانى انه اراد فاصابهم عقاب ما كسبوا من المعاصى وسماه
سيئات لازدواج الكلام كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم قال والذين ظلموا من
هؤلاء يعنى من كفار قوم النبى عليه السلام سيصيبهم ايضا سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين
اى لن يفوتون الله ثم قال على وجه التنبيه لهم على معرفته او لم يعلموا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء اى يوسعه على من يشاء بحسب ما يعلم من مصلحته ويقدر اى ويضيق
على من يشاء بمثل ذلك ان فى ذلك لايات اى دلالات وحجج واضحات لقوم يؤمنون
يصدقون بتوحيد الله ويقرون بانبيائه واضاف الآيات الى المؤمنين لانهم الذين

انتفعوا بها ثم قال قل لهم يا محمد يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم بارتكاب المعاصي
لا تقنطوا من رحمة الله اي لا تيأسوا من رحمة الله يقال قنط يقنط قنوطاً اذا يئس
ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم ففي ذلك دلالة واضحة على انه يجوز
ان يغفر الله بلا توبة تفضلاً منه وبشفاعة النبي عليه السلم لانه لم يشترط التوبة بل
اطلقها وروي عن فاطمة عليها السلام انها قالت ان الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي
وروي عن علي عليه السلم وابن عباس انهما قالا ارجى آية في كتاب الله قوله وان ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم فقال عبد الله بن عمرو بن العاص بل ارجى آية في كتاب
الله قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وهو المروي عن علي عليه السلم ايضاً
وقوله وانيبوا الى ربكم امر منه تعالى لخلقه بالرجوع الى الله والتوبة من معاصيه
والانابة هي الرجوع واسلموا له معناه آمنوا به وسلموا الامر اليه من قبل ان يأتيكم العذاب
ثم لا تنصرون عند نزول العذاب بكم واتبعوا احسن ما انزل اليكم وانما قال
احسن ما انزل لانه اراد بذلك الواجبات والنوافل التي هي الطاعات دون المباحات والمكروهات
التي لا بأس بها وقال السدي احسن ما انزل اي ما امر الله تعالى به في الكتاب
وقال قوم احسن ما انزل اليكم من ربكم يريد به الناسخ دون المنسوخ وهذا خطأ
لان المنسوخ لا يجوز العمل به بعد النسخ وهو قبيح ولا يكون الحسن احسن من قبيح وقال
الحسن احسنه ان يأخذوا بما امرهم الله به وان ينتهوا عما نهاهم عنه من قبل ان يأتيكم
العذاب بغتة اي فجأة في وقت لا تتوقعونه وانتم لا تشعرون اي لا تعرفون وقت
نزوله بكم قوله تبارك وتعالى ان تقول نفس يا حسرتى على ما
فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين او تقول لو ان الله هداني لكنت
من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين
بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين

ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى
للمتكبرين خمس آيات قرأ ابو جعفر من طريق ابن العلاف يا حسرتاي بياء ساكنة بعد
الالف وفتح الباقون والف وروي عن ابي جعفر الياء مفتوحة بالخيار لما امر الله تعالى باتباع طاعاته
والانتهاء عن معاصيه عند اتيان نزول العذاب بهم بغتة وهم لا يعلمون بين الغرض
بذلك وهو لئلا تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وحذف لا كما حذف
في قوله يبين الله لكم ان تضلوا وقال الزجاج معناه كراهة ان تقول نفس
ومثله قوله والقى في الارض رواسي ان تميد ومعناه لئلا تميد بكم في قول الفراء وعلى
قول الزجاج كراهة ان تميد والنفس نفس الانسان والفرق بين النفس والروح ان
النفس هي النفاسة والروح من الريح والنفس من الحيوان نفسه فهو جسم رقيق روحاني
من الريح ونفس الشيء هو الشيء بعينه والتفريط اهمال ما يجب ان يتقدم فيه حتى يفوت وقته
ومثله التقصير وضده الاخذ بالحزم يقال فلان حازم وفلان مفرط وقوله
في جنب الله معناه فرطت في طاعة الله او في امر الله الا انه ذكر الجنب كما يقال
هذا صغير في جنب ذلك الماضي اي في امره وفي جهته فاذا ذكره كذا دل على الاختصاص
به من وجه قريب من معنى صفته وقال مجاهد والسدي معنى في جنب الله اي في
امر الله والالف في قوله يا حسرتى منقلبة من ياء الاضافة ويفعل ذلك في الاستغاثة
لمد الصوت والحسرة الاغتمام بما فات وقته لانحساره عنه بما لا يمكنه استدراكه ومثله
التأسف وقوله وان كنت لمن الساخرين قال قتادة والسدي معناه المستهزئين بالنبي
والكتاب الذي معه وقيل معناه كنت ممن يسخر بمن يدعوني الى الايمان ومعناه وما
كنت الا من جملة الساخرين اعترافاً منهم على نفوسهم وقوله تعالى او تقول لو ان
الله هداني لكنت من المتقين معناه فعلنا ذلك لئلا تقول لو اراد الله هدايتي لكنت
من المتقين لمعاصيه خوفاً من عقابه او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة

فاكون من المحسنين ومعناه فعلت ذلك لئلا يقولوا اذا نزل بهم العذاب يوم القيامة لو ان
لي رجعة الى الدار الدنيا لكنت من يفعل الطاعات وقد نصب فاكون على جواب لو ويجوز
ان يكون نصبا باضمار ان بمعنى لو ان لي كرة فاكون وفي ذلك دليل على بطلان مذهب
المجبرة في ان الكافر لا يقدر على الايمان لانه لو كان اذا ردّ لا يقدر الا على الكفر لم يكن لتمنيه
معنى ثم قال تعالى منكرا عليهم بلى قد جاءتك آياتي اي حججي ودلائلي فكذبت بها واستكبرت
وكنت من الكافرين الجاحدين لنعمي عليك وانما خاطب بالتذكير والنفس مؤنثة لانه اراد
بالنفس الانسان ويذكر شاذا ثم اخبر تعالى عن حال الكفار في الاخرة فقال ويوم القيامة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة جزاء على كفرهم ثم قال اليس في جهنم مثوى
اي موضع اقامة للمتكبرين الذين تكبروا عن طاعة الله وعصوا اوامره قوله
تبارك وتعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين
كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون
ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ست آيات قرا روح وينجي الله بالتخفيف الباقون
بالتشديد وقرا ابن كثير تأمروني اعبد مشددة النون مفتوحة الياء وقرا نافع
وابن عامر في رواية الداجوني خفيفة النون وفتح الياء نافع ولم يفتحها ابن عامر وقرا
ابن عامر في غير رواية الداجوني تأمرونني بنونين الباقون مشددة النون ساكنة الياء
وقرا اهل الكوفة الا حفصا بمفازاتهم جمعا الباقون بمفازتهم على واحدة فمن وحّد
قال هو بمنزلة السعادة والنجاة كما قال الله تعالى بمفازة من العذاب وقال
قوم المفازة الصحراء فهي مهلكة سميت مفازة تفاؤلا كما قالوا للمعوج الرجلين
احنف وللحبشي ابو البيضاء وقال ابن الاعرابي ليست مقلوبة بل المفازة المهلكة

المهلكة يقولون فوّز الرجل اذا هلك ومات ومن قرأ تأمرونني فلانه الاصل ومن
شدد ادغم احدى النونين في الاخرى ومن خفف حذف احدى النونين كما قال الشاعر
يراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات اذا فليني اراد فلينني فحذف ثم اخبر
الله تعالى عن حال الكفار وان الله يحشرهم يوم القيامة مسودة وجوههم وان مقامهم
في جهنم اخبر انه ينجي الذين اتقوا معاصي الله خوفا من عقابه ويخلصهم وقوله
بمفازتهم ينجيهم من النار لطاعاتهم التي اطاعوا الله بها واصل المفازة المنجاة وقيل
سميت الفلاة مفازة على وجه التفاؤل بالنجاة منها كما سمي اللديغ سليما ومن وحّد فلانه
اسم جنس او مصدر يقع على القليل والكثير ومن جمع اراد تخلصهم من مواضع كثيرة
فيها هلاك الكفار وانواع عذابهم وقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون معناه ان
هؤلاء المؤمنين الذين خلصهم الله من عذاب الاخرة واهوالها لا يمسهم عذاب اصلا
ولا هم يغتمون على وجه وقوله لا يمسهم السوء وان كان نفيا عاما لسائر انواع العذاب
والغموم فقوله ولا هم يحزنون فيه تأكيد له وقيل لئلا يظن ظان انه انما لا يمسهم
العذاب وان جاز ان يمسهم بعض الغم ففي ذلك تفصيل واضح يزيل الشبهة ثم اخبر
تعالى انه خلق كل شيء ومعناه انه محدث كل شيء وهو على كل شيء وكيل اي له التصرف
فيما به حافظ له وان حملنا معنى الخلق على الاحداث فالمراد به خالق كل شيء من
مقدوراته من الاجسام والاعراض وقوله له مقاليد السموات والارض
فالمقاليد المفاتيح واحدها مقليد كقولك منديل ومناديل ويقال في واحدها ايضا
اقليد وجمعه اقاليد وهو من التقليد والمعنى له مفاتيح خزائن السموات والارض
يفتح الرزق على من يشاء ويغلقه عمن يشاء وقوله والذين كفروا بآيات الله يعني
كفروا بآياته من مقاليد السموات والارض وغيره وقوله اولئك هم الخاسرون
يعني هؤلاء الذين كفروا بآيات الله وجحدوها هم الخاسرون لانهم يخسرون الجنة ونعيمها

محبطون في النار وسعيها وقوله قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون امر النبي
عليه السلام ان يقول لهؤلاء الكفار تامرونني ايها الكفار ان اعبد الاصنام من دون
الله ايها الجاهلون بالله وباياته والعامل في قوله افغير الله اعبد على احد وجهين
احدهما ان يكون تامروني اعتراضا فيكون التقدير افغير الله اعبد ايها الجاهلون
فيما تامروني الثاني ان لا يكون اعتراضا ويكون تقديره اتامروني اعبد غير الله ايها
الجاهلون واذا جعلت تامروني اعتراضا فلا موضع لقوله اعبد من الاعراب لانه على تقدير اعبد
غير الله ايها الجاهلون واذا لم يجعله اعتراضا يكون موضعه نصبا على الحال وتقديره
اتامروني عابدا غير الله فخرجه مخرج الحال ومعناه ان اعبد كما قال طرفة الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي اي الزاجري ان احضر وحذف ان ثم
جعل الفعل على طريقة الحال ثم قال لنبيه عليه السلام ولقد اوحي اليك يا محمد والى الذين
من قبلك من الانبياء والرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين لثواب
الله وقال قوم فيه تقديم وتاخير وتقديره ولقد اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن
عملك والى الذين من قبلك مثل ذلك وقال اخرون هذا مما اجتزي باحد الخبرين
عن الاخر كما يقول القائل لقد قيل لزيد وعمرو ليذهبن ومعناه لقد قيل فيه لكل هم
عما ذكر لزيد وليس في ذلك دليل على صحة الاحباط على ما يقوله اصحاب الوعيد لان
المعنى في ذلك لئن اشركت بعبادة الله غيره من الاصنام لوقعت عبادتك على وجه
لا يستحق عليها الثواب ولو كانت العبادة خالصة لوجهه لاستحق عليها الثواب
فلذلك وصفها بانها محبطة وبين ذلك بقوله بل الله فاعبد اي وجه عبادتك
اليه تعالى وحده دون الاصنام وكن من الشاكرين الذين يشكرون الله على نعمه ويخلصون
العبادة له ونصب قوله بل الله بفعل يفسره قوله فاعبد وتقديره اعبد الله فاعبد وقال
الزجاج هو نصب بقوله فاعبد وتقديره قد تلقت فاعبد الله وقال المبرد

معن

112

معنى الحبط لغة ان تقول حبط بطنه وحبج اذا فسد من داء معروف قوله تعالى
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن
في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واشرقت الارض
بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا
يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون ٥ اربع ايات
قال محمد بن كعب القرظي ما قدروا الله حق قدره معناه ما علموا كيف حق الله يقول
الله تعالى مخبرا عن حال الكفار انهم ما عظموه حق عظمته اذ دعوك الى عبادة غيره
وقال الحسن معناه اذ عبدوا الاوثان من دونه والاول قول السدي قال المبرد اقوى وهو
اشتقاقه من قولك فلان عظيم القدر يريد بذلك جلالته والقدر اختصاص الشيء
بعظم او صغر او مساواة وقوله والارض جميعا قبضته قال الفراء يجوز
في قبضته النصب وقال الزجاج لا يجوز زيد دارك اي في دارك على حذف في كقولهم
شهر رمضان انسلاخ شعبان اي في انسلاخه قال المبرد الناصب لجميعا تقديره و
الارض اذا كانت جميعا قبضته وخبر الابتداء قبضته كانه قال والارض قبضته
اذا كانت جميعا ومثله هذا بسرا اطيب منه تمرا اي اذا كان ومذهب سيبويه
اي ثبت جميعا في قبضته كقولك هنيئا مريئا اي ثبت ذلك لانه دعاء في موضع المصدر
كما قلت سقيا ومثل الاية قول الشاعر اذا المرء اعيته المروءة ناشئا فمطلبها
كهلا عليه بعيد اي اذا كان كهلا وقال الزجاج هو نصب على الحال والمعنى شديد
والارض في حال اجتماعها قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه على الابتداء
والخبر ومعنى الاية ان الارض جميعها في مقدوره كما يقبض عليه القابض فيكون
في قبضته وكذلك قوله والسموات مطويات بيمينه ومعناه اي في مقدوره يطويها

وذكر اليمين مبالغة في الاقتدار والتحقق للملك وقيل اليمين القوة قال الشاعر
اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين ثم نزه نفسه تعالى عن ان يكون له شريك في
العبادة او معين في خلق شيء من الاشياء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون يعني الجهلة
اليه الكفار من الاصنام والاوثان وقوله ونفخ في الصور قال قتادة هو جمع
صورة فكانه ينفخ في صور الخلق وروي في الخبر ان الصور قرن ينفخ فيه الصوت
ووجه الحكمة في ذلك انه علامة جعلها الله تعالى ليعلم بها العقلاء آخر امرهم
في دار التكليف ثم تجديد الخلق فشبه بما يتعارفونه من بوق الرحيل والنزول ولا
تصور ذلك للنفس باحسن من هذه الطريقة وقوله فصعق من في السماوات ومن
في الارض قيل معناه يموت من شدة تلك الصيحة التي تخرج من الصور جميع من في السماوات
والارض ومنه الصواعق التي تأتي عند شدة الرعد وصعق فلان اذا مات
بحال هائلة يشبه بالصيحة الشديدة وقوله الا من شاء الله استثنى من جملة
الذين يهلكون جماعة من الملائكة لان الملك الذي ينفخ فيه يبقى بعده ويجوز ان
يبقى غيره من الملائكة وقال السدي المستثنى جبريل وميكائيل واسرافيل
وملك الموت وهو المروي في حديث مرفوع وقال سعيد بن جبير هم الشهداء الذين
قتلوا في سبيل الله وقوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون هذه
النفخة الثانية للحشر وقال قتادة في حديث رفعه ما بين النفختين اربعون
سنة وروي ايضا ان صاحب الصور اسرافيل عليه السلم وقيل يفني الله تعالى
بعد الصعق وموت الخلق الاجسام كلها ثم يعيدها وقوله فاذا هم قيام ينظرون
اخبار عن سرعة ايجادهم لانه اذا نفخ النفخة الثانية اعادهم عقيب ذلك فيقومون
من قبورهم احياء ينظرون ما يراد ويفعل بهم وقوله واشرقت الارض
بنور ربها قيل معناه اضاءت بعدل ربها وحكم بالحق فيها وقال الحسن معناه بعدل

ربها وقوله ووضع الكتاب يعني الكتب التي اعمالهم فيها مكتوبة وجيء بالنبيين
والشهداء اي يؤتى بهم والشهداء هم الذين يشهدون على الامم للانبياء بانهم قد بلغوا
وان الامم قد كذبوا وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقضي بينهم بالحق
اي يفصل بينهم بالحق ولا ينقص احد منهم شيئا مما يستحقه من الثواب ولا يفعل به ما لا
يستحقه من العقاب وقوله ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون معناه
انه يعطي كل نفس ما عاملة بالطاعات جزاء مثلها على الكمال دون النقصان والله
تعالى اعلم من كل احد بما يفعلون من طاعة او معصية لا يخفى عليه شيء منها قوله
تبارك وتعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا
جاؤوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون
عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة
العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى
المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوها وفتحت
ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد
لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم
اجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي
بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ٥ حتى الاية ٥ قرا اهل الكوفة
الا الكسائي عن ابي بكر فتحت وفتحت بالتخفيف فيهما الباقون بالتشديد من خفف
قال لانها تفتح دفعة واحدة ومن شدد قال لانها تفتح مرة بعد اخرى ولقوله مفتحة
لهم الابواب لما اخبر الله تعالى عن حال الخلق وانه يحشرهم الى الارض التي قد
وتوفى كل احد على قدر استحقاقه اخبر هاهنا عن قسمة احوالهم فقال وسيق
الذين كفروا الى جهنم زمرا فالسوق الحث على السير يقال ساقه يسوقه سوقا

فهو سايق وذاك سوق ومنه قولهم الكلام يجري على سياقة واحدة ومنه السوق
لان المقاتلة فيها تساق بالبيع والشراء ومنه الساق لانه ينساق به البدن والزمر
جمع زمرة وهي الجماعة لها صوت كصوت المزمار ومنه مزامير داود عليه السلام يعني
اصوات كانت له حسنة وقال الشاعر له زجل كانه صوت حاد اذا طلب
الوسيقة او زمير وقال ابو عبيدة معناه جماعات في تفرقة بعضهم في اثر بعض
حتى اذا جاءوها يعني جاءوا جهنم فتحت ابواب جهنم وقال لهم خزنتها الموكلون
بها على وجه الانكار عليهم والتبكيت لهم الم ياتكم رسل منكم يعني من امثالكم
من البشر يتلون عليكم ايات ربكم اي حجج ربكم وما يدلكم على معرفته ووجوب
عبادته وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي ويخوفونكم من مشاهدة هذا اليوم وعذابه فيقول
الكفار لهم بلى جاءتنا رسل ربنا وخوفونا لانه لا يمكنهم جحد ذلك لحصول
معارفهم الضرورية ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ومعناه انه وجب العقاب
على من كفر بالله لانه تعالى اخبر بذلك وعلم من يكفر ويوافي بكفره فقطع على عقابه
فلم يكن يقع خلاف ما علمه واخبر به فصار كونهم في جهنم موافقا لما اخبر به تعالى
وعلمه فيقول لهم عند ذلك الملائكة الموكلون بجهنم ادخلوا ابواب جهنم خالدين
فيها اي مؤبدين لا آخر لعقابكم ثم قال تعالى فبئس مثوى اي بئس مقام المتكبرين
جهنم ثم اخبر تعالى عن حال اهل الجنة فقال وسيق الذين اتقوا ربهم باجتناب
معاصيه وفعل طاعاته الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها بالواو
وفي النار فتحت بغير واو لانه قيل ابواب النار سبعة وابواب الجنة ثمانية ففرق
بينهما لذلك هذا المعنى قالوا لان العرب تعد من واحد الى سبعة ويزيدون
واو الثمانية كقوله التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون الامرون بالمعروف ثم قال والناهون عن المنكر فاتى بالواو بعد

واو الثمانية

114

السبعة وقال مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا فاتى
بالواو في الثامنة وقيل ان المعنى واحد وانما حذفت تارة وجيء بها اخرى تصرفا
في الكلام قال الفراء الواو لا تقحم الا مع لما وحتى واذا وانشد
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اراد انتحى وقيل دخلت الواو لبيان انها كانت مفتحة
لمجيئهم حتى اذا جاءوها فازوا ونالوا المنى او دخلوها او تمت سعادتهم او ما اشبه
ذلك وحذف الجواب ابلغ لاحتماله لجميع ذلك ومثله قول عبد مناف بن ربع
حتى اذا اسلكوهم في قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا وهو اخر القصيدة فحذف
الجواب من قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم اي طابت افعالكم من
الطاعات وزكت فادخلوا الجنة جزاء على ذلك خالدين مؤبدين لا غاية له ولا انقطاع
وقيل معناه طابت انفسكم بدخول الجنة ثم حكى تعالى ما تقوله اهل الجنة اذا
دخلوها فانهم يقولون اعترافا بنعم الله عليهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا
الارض يعني ارض الجنة وقيل ورثوها عن اهل النار وقيل لما صارت الجنة
عاقبة امرهم كما يصير الميراث عبر عن ذلك بانه اورثهم وقوله نتبوأ من الجنة
حيث نشاء معناه نتخذ منها اي مأوى حيث شئنا واصله الرجوع من قولهم باء بكذا
اي رجع ثم قال فنعم اجر العاملين يعني المقام في الجنة والنعيم فيها ثم قال فنعم اجر
العاملين يعني المقام في الجنة والنعيم فيها ثم قال تعالى وترى الملائكة حافين
من حول العرش اي محدقين به في قول قتادة والسدي يسبحون بحمد ربهم اي
ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ويذكرونه بصفاته التي هو عليها وقيل لهم على
اعمالهم لاجل وجه العبادة لانه ليس هناك دار تكليف وقيل الوجه في ذلك
تشبيه حال الاخرة بحال الدنيا فان السلطان الاعظم اذا اراد الجلوس للمظالم والقضاء
بين الخلق قعد على سريره واقام حشمه وجنده قدامه وحوله تعظيما لامره فلذلك

قبل مجيئهم واذا كان بغير واو افاد انها فتحت في ذلك الوقت وجواب حتى اذا الى صفة اهل الجنة محذوف وتقديره

تسبيحهم ذلك الوقت على سبيل التنعم والتلذذ ثوابا لهم

اجزاء الالم بان الخصلة الواحدة من الالم تكون اعظم من خصال كثيرة من الالم كالنعم
على شيء واجزاء كثيرة من قرص برغوث وقوله ذي الطول قال ابن عباس وقتادة
معناه ذي النعم وقال ابن زيد معناه ذي القدرة وقال الحسن ذي الفضل على المؤمنين
وقيل الطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه كما ان التفضل النفع الذي فيه افضال
على صاحبه ولو وقع النفع على خلاف هذا الوجه لم يكن تفضلا ويقال لفلان على
فلان طول اي فضل وقوله لا اله الا هو نفي منه تعالى ان يكون معبود على
الحقيقة يستحق العبادة غيره تعالى ثم قال اليه المصير ومعناه يؤول الامور الى
حيث لا يملك احد الامر والنهي والضر والنفع غيره تعالى وهو يوم القيامة لان دار
الدنيا قد ملك الله كثيرا من خلقه الامر والنهي والضر والنفع فيها ثم قال
ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا ومعناه لا يخاصم في دفع حجج الله وانكارها وجحدها
الا الذين يجحدون نعم الله ويكفرون باياته وادلته ثم قال لنبيه عليه السلام فلا
يغررك تقلبهم في البلاد اي تصرفهم لان لهم لفلان مال يتقلب فيه اي يتصرف
فيه والمعنى لا يغررك سلامتهم وامهالهم فان عاقبتهم تصير الى والي يئولون
وفي ذلك غاية التهديد ثم بين ذلك بانه قال كذبت قبلهم اولاد الكفار قوم نوح
بان جحدوا نبوته والاحزاب من بعدهم ايضا كذبوا رسلهم وهمت كل امة برسولهم
وانما قال برسولهم لانه اراد الرجال وفي قراءة عبد الله برسولها ليأخذوه قال قتادة
هموا به ليقتلوه وجادلوا بالباطل اي وخاصموا في دفع الحق بباطل من القول وفي
ذلك دليل ان الجدال اذا كان بحق كان جائزا ليدحضوا به الحق اي ليبطلوا الحق الذي
بينه الله واظهره ويزيلوه يقال ادحض الله حجته وقال تعالى حجتهم داحضة
اي زائلة ثم قال فاخذتهم اي فاهلكتهم ودمرت عليهم فكيف كان عقابي لهم الا
يؤمن هؤلاء من مثل ذلك قوله تبارك وتعالى وكذلك حقت كلمة

116

ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون
بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما
فاغفر للذين تابوا واتبعوا وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعد سبيلك
تهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات
ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ان الذين كفروا
ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون
حجتي آيات قرأ نافع وابن عامر حقت كلمات على الجمع الباقون على التوحيد وحد
فلان الكلمة تقع على القليل والكثير مفردة ومن جمع فلان ذلك قد جمع اذا اختلف
اجناسها كما قال وصدقت بكلمات ربها يعني شرائعه لان كتبه قد ذكرت والمعنى وحقت
كلمات ربك كقوله الحق لازم وجه التشبيه في قوله وكذلك حقت كلمة ربك على الذين
كفروا ان الكفار يعاقبون في الاخرة بالنار كما عوقبوا في الدنيا بعذاب الاستئصال
الدائم في الاخرة على ملازمة النار والحصول فيها او قد حقت الكلمة عليهم في الامرين
جميعا فحقت الكلمة على هؤلاء كما حقت الكلمة على اولئك وموضع انهم اصحاب النار يحتمل
ان يكون نصبا على تقدير بانهم او لانهم ويحتمل ان يكون رفعا على البدل من كلمة وقال
الحسن حقت كلمة ربك على مشركي العرب كما حقت على من قبلهم ثم اخبر تعالى عن حال
الملائكة وعظم منزلتهم بخلاف ما عليه الكفار من البشر فقال الذين يحملون العرش
عبادة لله تعالى امتثالا لامره ومن حوله يعني الملائكة الذين حول العرش يطوفون
به ويسبحون اليه يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عما لا يليق به ويحمدونه على نعمه
ويصدقون به ويعترفون بوحدانيته ويستغفرون اي يسألون الله المغفرة للذين
آمنوا اي صدقوا بوحدانيته واعترفوا بالالهية من البشر ويقولون ايضا مع ذلك
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ونصبهما على التمييز ومعناه وسعت رحمتك اي نعمتك

عظم الله امر القضاء في الآخرة بنصب العرش وقيام الملائكة حوله معظمين له تعالى مسبحين وان لم يكن تعالى على العرش لان ذلك يستحيل عليه لكونه غير جسم والجلوس على العرش من صفات الاجسام ثم قال تعالى وقضي بينهم بالحق اي فصل بين الخلائق بالحق لا ظلم فيه على احد وقيل الحمد لله رب العالمين اخبار منه تعالى ان جميع المؤمنين يقولون عند ذلك معترفين بان المستحق للحمد والشكر الذي لا يساويه حمد ولا شكر الله الذي خلق العالمين ودبرهم وقيل ابتداء الله خلق الاشياء بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض فلما افنى الخلق ثم بعثهم واستقر اهل الجنة في الجنة ختم بقوله الحمد لله رب العالمين

سورة المؤمن

مكية في قول مجاهد وقتادة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ وقال الحسن هي مكية الا آية واحدة وهي قوله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار يعني بذلك صلاة الفجر والعصر وقد بين ان فرض الصلاة كان بالمدينة وهي خمس وثمانون آية في الكوفي واربع في المدنيين واثنان في البصري **قوله تبارك وتعالى**

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب خمس آيات في الكوفي واربع في غيره

عد الكوفيون حم آية ولم يعدها الباقون

قرا اهل الكوفة الا حفصا وابن ذكوان حاميم بامالة الالف الباقون بالفتح من غير امالة وهما لغتان فصيحتان وقال قوم حم موضعه نصب وتقديره اتل حم اقاصم وقال آخرون موضعه جر بالقسم ومن جزم قال لانها حروف التهجي وهي لا يدخلها الاعراب وقد فتح الميم عيسى بن عمر وجعله اسم السورة فنصبه ولم ينونه لانه على وزن هابيل ويجوز ان يكون فتح لالتقاء الساكنين والقراء على تسكين الميم وهو الاجود لما بيناه وقد بينا اختلاف المفسرين واهل العربية في مبادي السور بحروف التهجي ومعناها وان اقوى ما قيل في ذلك انها اسماء للسور وذكرنا باقي الاقوال فلا نطول باعادته وقال قتادة والحسن حم اسم للسورة وقال شريح بن اوفى العبسي:

يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم

ووجدنا الكميت في آل حاميم آية تاولها منا تقي ومعرب

وقوله تنزيل الكتاب اي هو تنزيل من الله انزله على نبيه العزيز معناه القادر الذي لا يغالب ولا يمتنع عليه شيء على غيره ولا يقدر عليه غيره وهذه الصفة لا تصح الا لله تعالى واصل الصفة المنع من قولهم عز كذا او كذا اي امتنع وفلان عزيز اي منيع بسلطانه او عشيرته او قومه والعليم الكثير المعلوم والعالم الذي له معلوم وقوله غافر الذنب جر بانه صفة بعد صفة ومعناه من شأنه غفران الذنب فيما مضى وفيما يستقبل فلذلك كان من صفة المعرفة وقابل التوب قال الزجاج جعلها نعتا للمعرفة وهي نكرة لان المعنى ذي الغفران وذي قبول التوبة كقولهم ذي الطول وهو معرفة وان جعلته بدلا كانت النكرة والمعرفة سواء ومعنى قابل التوب انه يقبل توبة من تاب اليه من المعاصي بان يثيب عليها ويسقط عقاب معاصيه تفضلا منه ولذلك كان صفة مدح ولو كان سقوط العقاب عندها واجبا لما كان فيه مدح والتوب يحتمل وجهين احدهما ان يكون جمع توبة كدوم ودومة وعوم وعومة والثاني ان يكون مصدر تاب يتوب توبا وقوله شديد العقاب معناه شديد عقابه وذكر ذلك عقيب قوله غافر الذنب لئلا يعول المكلف على العفو بل يخاف عقابه ايضا لانه كما انه يغفر لكونه غافرا فهو يعاقب لكونه شديد العقاب وفرق بين شدة العقاب وتضاعف

فيعلمون كل شيء فنقل الفعل الى الموصوف على وجه المبالغة كما قالوا طبت به نفسا وجعل
العلم في موضع المعلوم كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه اي بشيء من معلومه على التفصيل
وتقديره وسعت رحمتك وعلمك كل شيء ويقولون ايضا ربنا اغفر للذين تابوا من
معاصيك ورجعوا الى طاعتك واتبعوا سبيلك الذي دعوت خلقك اليه من التوحيد
واخلاص العبادة وقهم عذاب الجحيم اي امنع منهم عذاب جهنم لا تصل اليهم وحذف يقولون
قبل قوله ربنا لانه مفهوم من الكلام واستغفارهم للذين تابوا يدل على ان اسقاط
العقاب عند التوبة غير واجب لانه لو كان واجبا لما كان يحتاج الى مسألتهم بل الله تعالى
كان يفعله لا محالة ثم حكى تمام ما يدعو به حملة العرش والملائكة للمؤمنين فانهم
يقولون ايضا ربنا وادخلهم مع قبول توبتك منهم ووقايتك النار الى الجنة التي وعدتها المؤمنين
وهي جنة عدن اي اقامة ودوام ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم كل ذلك
في موضع نصب ويحتمل ان يكون عطفا على الهاء والميم في وادخلهم وتقديره وادخل من
صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم الجنة ايضا ويحتمل ان يكون عطفا على الهاء والميم
في وعدتهم وتقديره ادخلهم جنات عدن التي وعدت المؤمنين ووعدت من صلح من
آبائهم انك انت العزيز في انتقامك من اعدائك الحكيم فيما تفعل بهم وباوليائك
وفي جميع افعالك وقولهم وقهم السيئات معناه وقهم عذاب السيئات ويجوز ان يكون
العذاب هو السيئات وسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة للازدواج وقوله ومن تق
السيئات اي تصرف عنه شر عاقبة سيئاته من صغيرة او كبيرة تاب منه فتفضلت
عليه يومئذ يعني يوم القيامة فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم اي صرف العذاب
عنهم هو الفلاح العظيم والفوز الظاهر ثم اخبر تعالى ان الذين كفروا ينادون اي
يقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم قال مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد مقتوا انفسهم
حين عاينوا العقاب فقيل لهم مقت الله اياكم اكبر من ذلك وقال الحسن لما راوا

اعمالهم

اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم وقال البلخي لما تركوا
الايمان ثم صاروا الى الكفر فقد مقتوا انفسهم اعظم المقت كما يقول احدنا لصاحبه اذا كنت
لا تبالي بنفسك فانا لا ابالي بك اقل ليس يريد انه لا يبالي بنفسه لكنه يفعل فعل من هو كذلك
وقال غيرهم لمقت الله اكبر من مقت بعضكم لبعض والمقت اشد العداوة والبغض ثم بين ان
مقت الله اياهم حين دعاهم الى الايمان على لسان رسله فكفروا به وتبرؤا منهم فمقتهم الله عند
ذلك وتقديره ينادون لمقت الله ينادون ان مقت الله اياكم وناب اللام مناب ان كما ينوب
نادت ان زيد القائم ونادت لزيد قائم وقال البصريون هذه لام الابتداء كما يقول
القائل لزيد افضل من عمرو اي يقال لهم وهذا نداء قوله **قوله تبارك وتعالى**
قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج
من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم
لله العلي الكبير هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من
ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو
العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم
هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب سبع آيات
حكى الله تعالى عن الكفار الذين تقدم وصفهم انهم يقولون بعد حصولهم في
النار والعذاب يا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين قال السدي
الاماتة الاولى في الدنيا والثانية في البرزخ اذا احيي للمسألة قبل البعث يوم القيامة
وهو اختيار الجبائي والبلخي وقال قتادة الاماتة الاولى حال كونهم نطفا فاحياهم
الله ثم يميتهم ثم يحييهم يوم القيامة وفي الناس من استدل بهذه الآية على صحة
الرجعة بان قال الاماتة الاولى في دار الدنيا والاحياء الاول حين احياهم للرجعة

والاماتة الثانية بعدها والاحياء الثاني يوم القيامة فانهم اعتقدوا والذي معنا
ان حال كونهم نطفا لا يقال له اماتة لان هذا القول يفيد اماتة عن حياة والاحيا
يفيد عن اماتة منافية للحياة وان سموا في حال كونهم نطفا امواتا وهذا ليس بقوي
لانه لو سلم ذلك لكان لا بد من اربع احياآت وثلاث اماتات اول احياء حين احياهم
بعد كونهم نطفا لان ذلك يسمى احياء بالاتفاق ثم اماتة بعد ذلك في حال الدنيا ثم احيا
في القبر ثم اماتة بعده ثم احياء في الرجعة ثم اماتة بعدها ثم احياء يوم القيامة لكن
يمكن ان يقال ان اخبار الله عن الاحياء مرتين والاماتة مرتين لا يمنع من احياء آخر
واماتة اخرى وليس في الاية انه احياهم مرتين واماتهم مرتين بلا زيادة فالاية محتملة
لما قالوه ومحتملة لما قاله السدي وليس للقطع على احدهما سبيل قال ابن عباس
وعبد الله والضحاك هو كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وقوله فاعترفنا بذنوبنا اخبار منه تعالى ان
الكفار يعترفون بذنوبهم التي اقترفوها في الدنيا لا يمكنهم جحدها وانما تمنوا الخروج
مما هم فيه من العذاب فقالوا فهل الى خروج من سبيل والمعنى هل الى خروج لنا
فنسلكه في طاعتك واتباع مرضاتك ولو علم الله انهم يطيعون لردهم الى حال
التكليف لانه لا يمنع احسانا بفعل ما ليس باحسان ولا يوتى احد من عقابه الا من
قبل نفسه ولذلك قال في موضع اخر ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون
ثبت انهم لم يصدقوا في ذلك لعلمه الى ما تمنوه وانما يقولون هذا القول على سبيل
التمني بحال ما يجدون اليه سبيلا في التلطف للخروج عن تلك الحال وانه لا يمكن
احدا ان يتجلد على عذاب الله كما يمكن ان يتجلد على عذاب الدنيا ووجه اتصال
قوله فاعترفنا بذنوبنا بما قبله هو الاقرار بالذنب بعد الاقرار بصفة الرب كانه
قيل فاعترفنا بانك ربنا الذي امتنا واحييتنا وطال البلاء لنا فاعترفنا بذنوبنا

فهل الى خروج من سبيله فنسلكه في طاعتك واتباع مرضاتك وفي الكلام حذف
وتقديره فاجيبوا ان لا سبيل لكم الى الخروج ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم
اي اذا دعي الله دون الهتكم جحدتم ذلك وان يشرك به تومنوا اي ان يشرك به معبود
آخر من الاصنام والاوثان تصدقوا ثم قال فالحكم لله في ذلك والفصل بين الحق
والباطل العلي الكبير فالعلي القادر على كل شيء يجب ان يكون قادرا عليه ويصح ذلك
منه وصفة القادرين تتفاضل فالعلي القادر الذي ليس فوقه من هو اقدر منه ولا من
هو مساو له في مقدوره وجاز وصفه تعالى بالعلي لان الصفة بذلك قد نقلت من
علو المكان الى علو الشان يقال استعلى عليه بالقوة واستعلى عليه بالحجة وليس كذلك
الرفعة فلذلك لا يوصف بانه رفيع والكبير العظيم في صفاته التي لا يشاركه فيها غيره
وقال البلخي معناه السيد الجليل ثم قال تعالى هو الذي يريكم اياته يعني حججه
ودلالاته وينزل لكم من السماء رزقا من الغيث والمطر الذي ينبت ما هو رزق
الخلق وما يتذكر الا من ينيب اي ليس يتفكر في حقيقة ذلك الا من يرجع اليه
وقال السدي معناه الا من يقبل الى طاعة الله ثم امر تعالى المكلفين
فقال فادعوا الله مخلصين له الدين اي وجهوا عبادتكم اليه وحده ولو كره ذلك
الكفار فلا تبالوا ثم رجع الى وصف نفسه فقال رفيع الدرجات وقيل معناه رفيع
طبقات الثواب التي يعطيها الانبياء والمومنين في الجنة ورفيع نكرة اجراه على [illegible]
او على تفسير المكنة الاولى وتقديره وهو رفيع ذو العرش بانه مالكه وخالقه
ومعناه عظيم الثواب لهم والمجازاة على طاعاتهم يلقي الروح من امره على من يشاء من
عباده قيل الروح القرآن وكل كتاب انزله الله على نبي من انبيائه وقيل معنى الروح هنا
الوحي لانه يحيا به القلب بالخروج من الجهالة الى المعرفة ومنه قوله وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا ذكره قتادة والضحاك وابن زيد وقيل الروح هاهنا النبوة وتقديره

ويعلم به لينذر من يلقى عليه الروح يوم التلاق من يختاره لنبوته ويصطفيه لرسالته
وقوله لينذر يوم التلاق اى ليخوف يوم يلتقى فيه اهل السماء واهل الارض
فى قول قتادة والسدى وابن زيد وقيل يوم يلتقى فيه المرء عمله وهو يوم القيامة
حذرنيه وقيل يوم يلتقى فيه الاولون والاخرون والصغير فى قوله لينذر يوم التلاق
عن النبى عليه السلام ويحتمل ان يكون فيه ضمير الله والاول اجود لانه قد قرئ
بالتاء وهو الحسن ومن اثبت الياء فلانها الاصل ومن حذف اجتزاء بالكسرة الدالة
عليها وقوله يوم هم بارزون اى يظهرون من قبورهم ويخرجون الى ارض المحشر
وهو يوم التلاق ويوم الجمع ويوم الحشر ونصب يوم على الظرف وقوله
لا يخفى على الله منهم شىء انما خصهم بانه لا يخفى عليه شىء منهم وان كان لا يخفى عليه لامنهم ولا
من غيرهم شىء لاحد امرين احدهما ان يكون من لتبيين الصفة لا للتخصيص
والتبعيض والاخر ان يكون بمعنى يجازيهم من لا يخفى عليه شىء منهم فذكر بالتخصيص
لتخصيص الجزاء بمن يستحقه دون ما لا يصح له من المعلوم وقيل لا يخفى على الله
منهم شىء فلذلك صح انه انذرهم جميعا وقوله لمن الملك اليوم قيل فى معناه قولان احدهما
انه تعالى يقرر عباده فيقول لمن الملك فيقر المؤمنون والكافرون بانه لله الواحد
القهار والثانى انه القائل لمن الملك وهو المجيب لنفسه ويكون فى الاخبار بذلك مصلحة
للعباد فى دار التكليف والاول اقوى لانه عقيب قوله يوم هم بارزون وانما قال
لمن الملك اليوم مع انه ملك الانبياء والمؤمنين فى الاخرة الملك العظيم لاحد وجهين
احدهما لانه على تخصيص يوم القيامة قبل تمليك اهل الجنة ما يملكهم والثانى
لانه لا يستحق اطلاق الصفة بالملك الا الله تعالى لانه يملك جميع الامور من غير تمليك
مملك هو احق باطلاق الصفة وقوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم
اليوم اخبار منه تعالى ان يوم القيامة تجزى كل نفس على قدر عملها لا تؤاخذ احد بجرم

١١٩ غيره لا يظلم ذلك اليوم احد ولا ينقص حقه ان الله سريع الحساب لا يشغله محاسبة واحد
عن محاسبة غيره فيحاسب جميعهم على حد واحد قوله تبارك وتعالى
وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم
ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق
والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء ان الله هو السميع البصير تلك آيات
فى الكوفى واربع فيما سواه عدوا كاظمين راس آية قرا نافع وهشام عن ابن عامر
والذين يدعون بالتاء الباقون بالياء من قرا بالتاء فعلى الخطاب وتقديره قل لهم يا محمد
ومن قرا بالياء حمله على الاخبار عن الغائب امر الله تعالى نبيه محمد ان يخوف المكلفين
عقاب يوم الازفة ويخبرهم بما فيه من الثواب والعقاب والازفة الدانية من
قولهم ازف الامر اذا دنا وازف الوقت اذا دنا يازف ازفا ومنه ازفت الازفة
اى دنت القيامة والمعنى يوم دنو المجازاة وهو يوم القيامة وقوله اذ القلوب
لدى الحناجر اى فى الوقت الذى تنتزع القلوب من اماكنها وهى الصدور فتعلق
بالحناجر فلم يستطع ان يلفظها ولم يعد الى اماكنها وقيل الكاظم الساكت
على امتلائه غيظا او غما ونصب كاظمين على الحال فى قول الزجاج وتقديره
قلوب الظالمين لدى الحناجر كاظمين اى فى حال كظمهم والحناجر جمع حنجرة وهى
الحلقوم وقيل انما خصت الحناجر بذلك لان الفزع ينتفخ منه سحره فيرتفع القلب
من مكانه لشدة انتفاخه حتى يبلغ الحنجرة والكاظم الممسك للشىء على ما فيه ومنه قوله
والكاظمين الغيظ ومنه قولهم كظم قربته اذا شدها ملا لان ذلك الشد يمسكها من خروج وغيره
على ما فيها فهؤلاء قد اطبقوا افواههم على ما فى قلوبهم لشدة الخوف وقوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع نفى من الله ان يكون للظالمين شفيع يطاع ويحتمل ان يكون المراد بالظالمين الكفار
على ما فيها ولا لاحد منهم شفاعة شافع اصلا وان حملنا على عموم كل ظالم وكافر
ومتى جاز ان يكون انما اراد نفى شفيع يطاع وليس فى ذلك نفى شفيع يجاب ويكون المعنى
ان الذين يشفعون يوم القيامة من الانبياء والملائكة والمؤمنين انما يشفعون على وجه

يكون

المسالة اليه والاستعانة اليه لا انه يجب على الله ان يطيعهم فيه وقد يطاع الشافع بان
الشافع فوق المشفوع اليه ولذلك قال النبي عليه السلم لبريرة انا انا شافع فكونه فوقها
في الرتبة لم يمنع من اطلاق اسم الشفاعة على سواله وقيل يحتمل ان يكون الكلام تاما عند
قوله ولا شفيع ويكون قوله يطاع ابتداء الكلام اخر لان هذا خلاف لجميع القراء لانهم
لا يختلفون ان الوقف عند قوله يطاع وهو راس آية فهو يسقط السوال وايضا فلو وقفنا
عند قوله ولا شفيع لما كان لقوله يطاع بعدها معنى لان الفعل لا يلي فعلا فان قدر
يطاع الذي يعلم كان ذلك شرطا ليس هو في الظاهر فحمل الاية على ما لا يحتاج الى زيادة
اولى وقوله يعلم خائنة الاعين اي يعلم سارقة الاعين من النظر الى غير ما يحل
النظر اليه على وجه السرقة وما يخفي الصدور اي يضمر لا يخفى عليه شيء من جميعه وقيل
النظرة الاولى مباحة والثانية محرمة فقوله خائنة الاعين في النظرة الثانية وما يخفي الصدور
في النظرة الاولى فان كانت الاولى تعمدا كان فيها الاثم ايضا وان لم يكن تعمدا فهي معفوة
ثم قال والله يقضي بالحق اي يفصل بين الخلائق بالحق ويوصل كل واحد الى حقه
والذين يدعون من دونه من الاصنام لا يقضون بشيء من الحق ومن قرا بالياء فعلى الاخبار
عنهم ومن قرا بالتاء فعلى الخطاب للكفار ثم اخبر تعالى ان الله هو السميع اي من يجب
ان يسمع المسموعات اذا وجدت المسموعات البصير اي يجب ان يبصر المبصرات
اذا وجدت المبصرات وحقيقتهما يرجع الى كونه حيا لا آفة به وقال قوم معناه العالم
بالمسموعات العالم بالمبصرات قوله تبارك وتعالى اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة
وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك
بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب
ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا

ساحر

ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا
نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال حتى آياته قرا ابن عامر اشد منكم بالكاف
الباقون بالهاء قال ابو علي من قرا بالهاء فلان ما قبله اولم يسيروا وافق لفظ
الغيبة فحمله على ذلك نحو اشد منهم ومن قرا بالكاف انصرف من الغيبة الى الخطاب
كقوله اياك نعبد بعد قوله الحمد لله وحسن هذا لانه خطاب لاهل مكة يقول
الله تعالى منبها لهم اولم الكفار على النظر فيما نزل بالماضين جزاء على كفرهم فيتعظوا
بذلك وينتهوا عن مثل حالهم فقال اولم يسيروا في الارض والسير واحد وهو الجولان
في المواضع تقول سار يسير سيرا وسايره مسايرة وسير تسييرا ومنه قوله السيارة المسيرة والسيابه
التي فيها خطوط وقوله فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اي يتفكروا
في عواقب الكفار من قوم عاد وقوم لوط فيرون بلادهم هالكة وآثارهم دارسة و
منازلهم خالية بما حل بهم من عذاب الله ونكاله جزاء على جحودهم نعم الله واتخاذهم معه
الها غيره وكان الامم الماضية اشد قوة من هاولاء والقوة هي القدرة ومنه قولنا القوي العزيز
وقد يعبر بالقوة عن الصلابة فيقال خشبة قوية وحبل قوي اي صلب واصله من قوى الحبل
وهو شدة الفتل ثم نقل الى معنى القدرة كما نقل كبير عن كبر الجثة الى كبر الشان والاثر
حدث يظهر بالشي ومنه الاثر لانه الحديث عن تقدم بما يظهر من احوالهم وطرايقهم
في امر الدنيا والدين وقوله فاخذهم الله بذنوبهم ومعناه فاهلكهم الله جزاء على
معاصيهم وما كان لهم من الله من واق في دفع العذاب عنهم ومنعهم من نزوله بهم وهو قول
قتادة ثم بين الله تعالى انه انما فعل بهم ذلك لانهم جاءتهم رسلهم بالبينات يعني بالمعجزات
الظاهرات والدلالات الواضحات فكذبوهم وجحدوا رسالتهم فاستحقوا العذاب
فاخذهم الله بذنوبهم اي اهلكهم الله جزاء على معاصيهم انه قوي شديد العقاب اي قادر
شديد العقاب اي قادر شديد عقابه ثم ذكر قصة موسى عليه السلم فقال ولقد ارسلنا

موسى بآياتنا وسلطان مبين اي بعثناه بحججنا وادلتنا وسلطان مبين اي وحجة
ظاهرة نحو قلب العصا حية وفلق البحر وغيره ذلك الى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى عليه السلم ثم قال تعالى فلما جاءهم يعني موسى عم
بالحق من عند الله قالوا يعني فرعون وهامان وقارون اقتلوا ابناء الذين آمنوا
معه واستحيوا نساءهم اي استبقوهم قال قتادة كان هذا الامر بقتل
الابناء والاستحياء للنساء امرا من فرعون بعد الامر الاول وقيل انما امر بقتلهم بذلك (استحيا نسائهم للمهنة وقيل معنا استحيوا نسائهم واقتلوام)
من اتباعه ويقطعوا عنه من يعاونه وانما ذكر قصة موسى لتصبير محمد صلى الله عليه
وآله على قومه كما صبر موسى قبله ثم اخبر تعالى ان ما فعلوه من قتل الرجال واستحياء
النساء لم ينفعه وان كيد الكافرين لا يكون الا في ضلال عن الحق وانما كان
الاولى قوله عاقبة وخبرها كيف وانما قدم لان الاستفهام له صدر الكلام
وانما كان الثاني الضمير الذي دخل عليه الواو وخبره من قبلهم وانما كان الثالث الضمير
الذي هو فصل عند البصريين وعماد عند الكوفيين واشد خبر كان الثالث
قبل افعل لا يكون الا بين معرفتين واشد نكرة كيف صار هو فصلا قيل ان افعل الذي
معه من بمنزلة المضاف الى المعرفة قال الله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه
عند الله هو خيرا لان خير افعل في الاصل فحذف الهمزة تخفيفا قوله تعالى
وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان
يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان
يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان
يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا

قال

قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذي آمن يا
قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب حتى آباب قرأ عاصم وحمزة و
الكسائي ويعقوب او ان بالالف قبل الواو الباقون وان بغير الف وقرأ نافع ويعقوب
وابو جعفر وابو عمرو وحفص عن عاصم يظهر بضم الياء الفساد نصبا الباقون يظهر بفتح
الياء الفساد رفعا من نصب الفساد اشركه مع التبديل في تعديه اي اخاف ان يبدل دينكم
واخاف ان يظهر الفساد ومن رفع لم يشركه وقال تقديره اخاف ان يبدل دينكم فاذا
بدل ظهر في الارض الفساد وعلى القراءتين حسنه فانا او فقد تستعمل بمعنى الواو كما
قال وارسلناه الى مائة الف او يزيدون اي ويزيدون وقيل بل يزيدون وقد لا يكون او
بمعنى او في قول ابي عبيدة وقال ابن خالويه اذا كانت او اباحة كانت الواو بمعناها
لان قولك جالس الحسن او ابن سيرين بمعنى للاباحة وكذلك قوله ولا تطع منهم
آثما او كفورا لان معناه ولا كفورا وقال ابو علي من قرأ وان فالمعنى اني اخاف
الضرب منه كما تقول كل خبزا او تمرا اي هذا الضرب ومن قرأ او ان فالمعنى اني اخاف
هذين الامرين على الاول يجوز ان يكون الامران مخافين ويجوز ان يكون احدهما وعلى الثاني
هما مخافان ومن ضم الياء في قوله يظهر فلانه اشبه بما قبله لان قبله يبدل فاسند
الفعل الى موسى وهم كانوا في ذكره ومن فتح الياء اراد انه اذا بدل الدين ظهر الفساد
بالتبديل او اراد يظهر الفساد بمكانه فقال قوم اراد بالفساد ان فرعون قال
اني اخاف ان يبدل موسى عليكم دينكم فان لم يفعله فيوقع الفساد بينكم وقد يكون قاطعا
على احدهما وروى رواية شاذة عن ابي عمرو انه قرأ وقال رجل باسكان الجيم
الباقون بضمها وذلك لغة قال الشاعر رجلان من ضبة اخبرانا
انا رأينا رجلا عريانا اراد رجلين فاسكن وهو مثل عضد وكرم فلان بمعنى كرم حكى
الله تعالى عن فرعون انه قال لقومه ذروني ومعناه اتركوني اقتل موسى وذلك دليل

ان في خاصة فرعون كان منهم يمنعونه من قتل موسى ومن معه ويخوفونه ان يدعو ربه
فيهلك فلذلك قال ذروني وليدع ربه كما يقولون وقالوا هم انما قال ذلك حين
قالوا انه هو ساحر فان قتلته قويت الشبهة بمكانه بل ارجه واخاه وابعث في المداين حاشرين
وليدع ربه في دفع القتل عنه فانه لا يجيء من دعائه شيء وهذا تمويه من فرعون وتمرد وجرأة
على الله وايهام لقومه بان ما يدعو به موسى لا حقيقة له ثم قال فرعون اني اخاف
ان يبدل يعني موسى دينكم وهو ما يعتقدونه من الهية او ان يظهر في الارض الفساد بان
يتبعه قوم فيحتاج ان يقاتله فيخرب فيما بين ذلك البلاد ويظهر الفساد وقال فاخاف
الفساد عند فرعون ان يعمل بطاعة الله فمن قرا او ان فانه يجعل الخوف احد الامرين
ومن جعل او بمعنى الواو جعل الخوف الامرين معا ومن قرا بالواو جعل الخوف الامرين
معا فيعمل الذين يظهر الفساد والتبديل رفع الشي الى غيره فيما يقع موقعه الا انه بالعين
لا يستعمل الا في رفع الجيد بالردي والفساد انتقاض الامر عما ينافي العقل او الشرع
او الطبع ونقيضه الصلاح والاظهار جعل الشي بحيث يقع عليه الادراك ثم حكى الله تعالى
ما قال موسى عند ذلك فانه قال عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب
والعياذ الاعتصام بالشي من عارض الشر عذت بالله من شر الشيطان واعتصمت منه
واحد من الشر ولم يعم قال لا يخرج المال منه من المتاد من ادعم فلقيت يخرجها
والمعنى اني اعتصمت بربي الذي خلقني وربكم الذي خلقكم من كل متكبر على الله يتجبر
عن الانقياد له لا يصدق بيوم الحساب يعني يوم المجازاة وانما خص من لا يؤمن بالمعاد
لانه لا يصدق بالثواب والعقاب فلا يخاف وقوله وقال رجل مؤمن من آل فرعون
يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات يعني الحجج الواضحة
من ربكم قال السدي كان القائل ابن عم فرعون فعلى هذا يكون قوله من آل فرعون
اشد العذاب وقال غيره كان المؤمن اسرائيليا يكتم ايمانه من آل فرعون فعلى
مخصوصام

هذا يكون الوقف عند قوله وقال رجل مؤمن ويكون قوله من آل فرعون متعلقا بقوله
يكتم اي يكتم ايمانه من آل فرعون والقول الاول اظهر في اقوال المفسرين وقال الحسن كان المؤمن
قبطيا وقوله وان يك كاذبا فعليه كذبه معناه ان المؤمن قال لفرعون ان يك
موسى كاذبا فيما يدعو اليه فوبال ذلك عليه وان يك صادقا فيما يدعيه يصبكم
بعض الذي يعدكم قيل انه كان يتوعدهم امورا مختلفة تكون على اوصاف مختلفة
وقيل انه قال المراد يصبكم بعضه في الدنيا وقيل هو من لطيف الكلام كما قال الشاعر
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل ثم قال ان
الله لا يهدي من هو مسرف كذاب اي لا يحكم بهدايته من كان مسرفا على نفسه ومتجاوزا
الحد في معصية الله كذاب على الله ويحتمل ان يكون المراد ان الله لا يهدي الى طريق
الثواب والجنة من هو مسرف كذاب ويجوز ان يكون ذلك حكاية عما قال مؤمن آل
فرعون ويجوز ان يكون ذلك ابتداء خبر من الله تعالى بذلك ثم قال يعني مؤمن
آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا
اي لكم الملك والسلطان على اهل الارض وذلك لا يمنع من بأس الله قال فرعون
ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فيما ادعوكم اليه من الاحق وتكذيب
موسى ثم حكى ما قال المؤمن فقال وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم عذابا
مثل عذاب يوم الاحزاب وقال قوم القائل لذلك موسى نفسه لان مؤمن آل فرعون
كان يكتم ايمانه وهذا ضعيف لان قوله هذا كقوله اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
وكما اظهر هذا جاز ان يظهر ذلك قوله تبارك وتعالى مثل دأب
قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم اني
اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل
الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم

ذلك مظاهرة في الحجاج والمعنى انه يلقى بعضه قال صح

به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف
مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله و
عند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار خمس آيات
قرأ ابو عمرو والاخفش والداجوني عن هشام وقتيبة على كل قلب منونا الباقون على
الاضافة من نون جعله نعتا للقلب لان القلب اذا تكبر تكبر صاحبه كما قال
فظلت اعناقهم لها خاضعين لان الاعناق اذا خضعت خضع اربابها او تكبر القلب
قسوته واذا قسا القلب كان معه ترك الطاعة ومن اضاف قال لان في قراءة ابن مسعود
على قلب كل متكبر جبار قال الفراء وسمعت بعض العرب تقول ان فلانا يرجل شعره
يوم كل جمعة يريد يوم الجمعة والجبار هو الذي يقتل على الغضب يقال اجبر فهو جبار مثل ادرك
فهو دراك قال الفراء ولا ثالث لهما قال ابن خالويه وجدت لهما ثالثا اسأر فهو سآر
لما حكى الله تعالى عن مؤمن آل فرعون انه حذر قومه العذاب مثل عذاب يوم الاحزاب
فسر ذلك فقال مثل دأب قوم نوح يعني كعادتهم مع قوم نوح والدأب العادة يقال
دأب يدأب دأبا فهو دائب في عمله اذا استمر فيه والعادة تكرار الشيء مرة بعد مرة وانما فعل
بهم ذلك حين كفروا به فاغرقهم الله وكقوم هود وهم عاد وكقوم صالح وهم ثمود والذين
من بعدهم من الانبياء واممهم الذين كذبوهم فاهلكهم الله بان استاصلهم جزاء على كفرهم
ثم اخبر انه تعالى لا يريد ظلما للعباد ولا يؤثره لهم وذلك دال على فساد قول المجبرة الذين
يقولون ان كل ظلم في العالم بارادة الله ثم حكى ايضا ما قال لهم المؤمن المقدم ذكره
فانه قال يا قوم اني اخاف عليكم عذاب يوم التناد وقيل هو اليوم الذي ينادي
بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور لما يرى من سوء عقاب الكفر والمعصية وقيل
انه اليوم الذي ينادي اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وينادي اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا

من الماء او مما رزقكم الله في قول الحسن وقتادة وابن زيد وقيل يوم التناد هو اليوم الذي
يدعى فيه كل اناس بامامهم ومن اثبت الياء في التنادي فلانها الاصل ومن حذف فلا
جتزاء بالكسرة الدالة عليها ولانها اخر الآية فهي فصل شبهت بالقوافي وقرئ في
الشواذ بالتشديد يوم التناد من قولهم ند البعير اذا هرب روي ذلك عن ابن عباس
وقوله يوم تولون مدبرين قال الحسن وقتادة معناه منصرفين الى النار وقال
مجاهد مارين غير معجزين وقيل تولون مدبرين والمقامع تردهم الى ما يكرهونه من
العقاب وقوله ما لكم من الله من عاصم اي مانع من عذاب ينزل بكم واصله
المنع وشبه بذلك من فعل به اللطف الذي يمتنع عنده من فعل المعصية فهو عاصم وذلك
معصوم اذا فعل به ذلك اللطف ومنه قوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم اي
لا مانع قال ومن يضلل الله فما له من هاد اي من حكم الله بضلاله فليس له من يحكم
بهدايته على الحقيقة ويحتمل ان يكون المراد من يضله الله عن طريق الجنة فما له من يهديه اليها
ثم قال حاكيا ما قال لهم موسى عليه السلام فانه قال لهم ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات قيل هو يوسف ابن يعقوب كان قبل موسى جاءهم بالبينات يعني بالحجج الواضحات
فما زلتم في شك من نبوته حتى اذا هلك ومات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اخر ثم
قال كذلك مثل ما حكم الله بضلال اولئك يحكم بضلال كل مسرف على نفسه بارتكاب
معاصيه مرتاب اي شاك في ادلة الله ثم بينهم فقال الذين يجادلون في آيات الله معناه يجادلون
في دفع آيات الله وابطالها بغير سلطان اي بغير حجة اتاهم الله وموضع الذين نصب
لانه بدل من من ويجوز ان يكون رفعا بتقدير هم ثم قال كبر مقتا اي كبر ذلك الجدال
منهم مقتا اي عداوة من الله وبغضه على المتقين وعند الذين آمنوا بالله مثل ذلك ثم
قال كذلك اي مثل ما طبع على قلوب اولئك بان ختم عليها علامة لكفرهم يفعل
مثله ويطبع على كل قلب متكبر جبار من نون قلب جعل متكبر جبارا من صفة القلب ومن

اي على جملة القلب من المتكبر وليس ذلك المراد وانما المراد يطبع على كل قلب كل متكبر صح

اضافه جعل القلب المتكبر الجبار قال ابو علي من اضاف لا يخلو ان يترك الكلام على ظاهره
او يقدر فيه حذفا فان ترك على ظاهره كان تقديره يطبع على كل قلب كل متكبر والمعنى
انه يطبع على القلوب اذا كانت قلبا قلبا من كل متكبر بمعنى انه يختم عليها قوله تعالى
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد
عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم
سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار من
عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب القراءة قرأ حفص عن عاصم فاطلع
نصبا على جواب لعلي الباقون رفعا عطفا على قوله لعلي ابلغ الاسباب فاطلع وقيل
انه هامان اول من طبخ الآجر لبناء الصرح وقرأ اهل الكوفة وصد بضم الصاد على ما لم يسم
فاعله الباقون بفتحها فمن ضم اراد صده الشيطان عن سبيل الحق وطابق قوله زين لفرعون
سوء عمله ومن فتح الصاد اراد انه صد غيره عن سبيل الحق وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر
عن عاصم يدخلون بالضم لقوله يرزقون الباقون بفتح الياء لانهم اذا ادخلوا فقد دخلوا
المعنى حكى الله تعالى ان فرعون قال لهامان يا هامان وقيل انه كان وزيره ابن لي صرحا
اي بناء ظاهرا عاليا لا يخفى على الناظر وان بعد وهو من التصريح بالامر وهو الاظهار
باتم الاظهار لعلي ابلغ الاسباب ثم فسر تلك الاسباب فقال اسباب السموات وقال
ابن عباس اراد به منازل السماء وقال قتادة معناه ابواب طرق السموات وقال السدي
طرق السموات وقيل هي الامور التي تستمسك بها فهي اسباب لكونها على ما هي به ولا تضطرب
ولا تسقط الى الارض بثقلها ولا تزول الى خلاف جهتها وقوله فاطلع الى اله موسى
معناه فاشرف عليه لاراه وقيل ان فرعون كان مشبها فطلب رؤية الاله في السماء كما يرى

الاشخاص اذا اشرف عليها وقيل يجوز ان يكون اراد فاطلع الى بعض الآيات التي يدعيها
موسى الدالة على اله موسى لانه كان يعلم ان الصرح لا يبلغ السماء فكيف يرى من الصرح
ما هو في السماء ولو كان فيها على قول المجسمة ويجوز ان يكون قال ذلك تمويها على من جهل
من قومه وقوله واني لاظنه كاذبا حكاية ما قال فرعون وانه يظن ان ما يقوله موسى من
ان له خالق السماء والارض كاذب في قوله وقال الحسن انما قال فرعون هذا على التمويه
وتعمد الكذب وهو يعلم ان له الها وقوله وكذلك زين لفرعون سوء عمله اي مثل
ما زين لهؤلاء الكفار سوء اعمالهم كذلك زين لفرعون سوء عمله وقيل المزين له سوء
عمله جهله بالله تعالى والشيطان الذي اغواه ودعاه الى الجهل بالقبح في العقل ويدعوا
الى الحسن والصواب فان جهل فرعون ان له الها يجب عليه عبادته وتوهم كذب ما دعاه
اليه نبيه موسى سولت له نفسه ذلك من امره وقد بين الله تعالى ذلك في موضع آخر
فقال وزين لهم الشيطان اعمالهم وقوله وصد عن السبيل من ضم اراد انه صد عنه ومن
فتح اراد انه صد نفسه او صد غيره ثم قال تعالى وما كيد فرعون الا في تباب
يعني في هلاك والتباب الهلاك بالانقطاع ومنه قوله تبت يدا ابي لهب اي خسرت
بانقطاع الرجاء ومنه قولهم تبا له وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة معنى
تباب خسران ثم حكى تعالى ما قال مؤمن آل فرعون في قوله وقال الذي آمن يا قوم
اتبعون اهدكم سبيل الرشاد وهو الايمان بالله وتوحيده واخلاص العبادة له والاقرار
بموسى عليه السلام وقال لهم ايضا على وجه الوعظ لهم والزجر عن المعاصي يا قوم انما هذه
الحياة الدنيا متاع يعني انتفاع قليل ثم يزول باجمعه ويبقى وزره وآثامه وان الآخرة
هي دار القرار اي دار مقام وثبات دار قرار لاستقرار اهل الجنة باهلها واستقرار اهل
النار باهلها والقرار المكان الذي يستقر فيه ثم قال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها
ومعناه ان من عمل معصية فليس يجازى الا بمقدار ما يستحقه عليها من العقاب لا اكثر

من ذلك ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اى زيادة على ما يستحقونه تفضلا منه تعالى ولو كان على مقدار العمل فقط لكان بحسابه قال الحسن هذا كلام مومن آل فرعون ويحتمل ان يكون ذلك اخبارا من الله تعالى عن نفسه قوله تعالى ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ست آيات قرا اهل الكوفة الا ابا بكر ادخلوا آل فرعون اشد العذاب بقطع الهمزة على انه يومر الملائكة بادخالهم النار الباقون بوصلها يعني انهم يومرون بدخولها وعلى الاول يكون آل فرعون نصبا على انه مفعول به واشد المفعول الثاني وعلى الثاني يكون نصبا على النداء حكى الله تعالى ان مومن آل فرعون قال لهم ما لي ادعوكم الى النجاة يعني الى ما فيه خلاصكم من توحيد الله واخلاص العبادة له والاقرار بموسى عليه السلام وهو قول الحسن وابن زيد وتدعونني انتم الى النار لانهم اذا دعوا الى عبادة غير الله التي يستحق بها النار فكانهم دعوا الى النار لان من دعا الى سبب الشيء فقد دعا اليه ومن صرف عن سبب الشيء فقد صرف عنه فمن صرف عن معصية الله فقد صرف عن النار ومن دعا اليها فقد دعا الى النار والدعا طلب الطالب الفعل من غيره فالمحق يدعو الى عبادة الله وطاعته وكل ما امر الله به ونهى عنه والمبطل يدعو الى الشر والعصيان فمنهم من يدري انه عصيان ومنهم من لا يدري ثم بين ذلك فقال تدعونني لاكفر بالله واجحد نعمه واشرك به في العبادة ما ليس

لي

١٢٥

لي به علم وانما قال ما ليس لي به علم مع حصول العلم ببطلانه لانه لا يصح ان يعلم شريك له وما لا يصح ان يعلم باطل فدل على فساد اعتقادهم للشرك من هذه الجهة ثم قال وانا ادعوكم معاشر الكفار الى عبادة العزيز يعني القادر الذي لا يقهر ولا يمنع الغفار لذنوب من عصاه اذا تاب اليه تفضلا منه على خلقه وقوله لا جرم انما تدعونني اليه قال الزجاج هو رد الكلام كانه قال لا محالة ان لهم النار وقال الخليل لا جرم لا يكون الا جوابا تقول فعل فلان كذا فيقول المجيب لا جرم انه عوقب والفعل منه جرم يجرم وقال المبرد معناه حق واحق ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ومعناه ليس له دعوة ينتفع بها في الدنيا ولا في الآخرة فاطلق ليس له دعوة لانه ابلغ وان توهم جاهل ان له دعوة ينتفع بها فانه لا يعتد بذلك لفساده وتناقضه وقال السدي وقتادة والزجاج معناه ليس لهذه الاصنام استجابة دعاء احد في الدنيا ولا في الآخرة وقيل معناه ليس له دعوة تجب بالالهية في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله اي ووجب ان مردنا الى الله ووجب ان المسرفين بارتكاب المعاصي وقال مجاهد يعني بقتل النفس من غير حلها وقال قتادة بالاشراك بالله هم اصحاب النار يعني الملازمون لها قال الحسن هذا كله من قول المومن من آل فرعون ثم قال لهم على وجه التخويف والوعظ فستذكرون صحة ما اقول لكم اذا حصلتم في العذاب يوم القيامة ثم اخبر عن نفسه فقال وافوض امري الى الله اي اسلمه اليه ان الله بصير بالعباد اي عالم باحوالهم وما يفعلونه من طاعة ومعصية وقال السدي معنى افوض اسلم اليه ثم اخبر تعالى فقال فوقاه الله سيئات ما مكروا قال قتادة صرف الله عنه سوء مكرهم وكان قبطيا من قوم فرعون فنجا مع موسى وقوله وحاق بآل فرعون اي حل بهم ووقع بهم سوء العذاب لان الله غرقهم مع فرعون وبين انهم مع ذلك في النار يعرضون عليها غدوا وعشيا يعني صباحا ومساء ورفع النار بدلا من قوله سوء العذاب واذا كان

يوم القيامة يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب فمن قطع الهمزة فمن وصلها اراد
ان الله يأمرهم بذلك والعرض اظهار الشيء لتراه الذي يظهره ومنه قوله وعرضوا على ربك
اي اظهروا واصفا كما يظهرون للرائي لهم ومنه قولهم عرضت الكتاب على الامير فهؤلاء
يعرضون على النار لتيا لهم من المقام والغم بالمصير اليها والغدو المصير الى الشيء بالغداة
غدا يغدو غدوا واغتدى ومنه قولهم يتغدى اي اكل بالغداة وغاداه اي سابقه الى الامر بالغداة و
قيام الساعة وجودها وقد جعلها على استقامة بما يقوم من صفتها وقامت السوق اذا حضر
اهلها على ما جرت به العادة واشد العذاب اغلظه وفي الاية دلالة على صحة عذاب
القبر لانه تعالى اخبر انهم يعرضون على النار غدوا وعشيا وقال الحسن آل فرعون
اراد به من كان على دينه وقال السدي ارواحهم في اجواف طير سود يعرض على النار
غدوا وعشيا ويجوز ان يحييهم الله بالغداة والعشي ويعرضهم على النار ووجه الاحتجاج
على رؤسا الضلال بالاتباع انهم كانوا يدعونهم الى اتباعهم بما يدعون من صواب مذهبهم
فهذا مذهبهم الرفع نفعاتهم وان يسعوا في تخفيف عذابهم فاذا هي سبب عذابهم وقال
الفراء وغيرهم من المفسرين ذكر البلخي ان في الكلام تقديما وتاخيرا وتقديره وحاق
بآل فرعون سوء العذاب ويوم تقوم الساعة يقال لهم ادخلوا آل فرعون اشد العذاب
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويكون معنى غدوا وعشيا مع انهم فيها ابدا انه يجدد
جلودهم بعد الاحتراق غدوا وعشيا وقال قوم يجوز ان يكون المراد انهم يعرضها
كما يقال فلان يعرض على سيف شديد اي تقرب ذلك الشيء وقال قوم يجوز ان يكون المراد ان
اعمالهم اعمال من يستحق النار فكانهم يعرضون دون ان يروحون اليها باعمالهم وقال قوم
المعنى يعرضون عليها وهم احياء بالزجر والتحذير والوعد والوعيد فاذا كان يوم القيامة
وماتوا على كفرهم ادخلوا اشد العذاب قوله تبارك وتعالى واذ يتحاجون
في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون

عنا

عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال
الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك
تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال
اربع ايات يقول الله تعالى لنبيه واذكر يا محمد الوقت الذي يتحاجون في النار و
يخاصم بعضهم بعضا يعني الرؤسا والاتباع فيقول الضعفاء وهم الاتباع للذين استكبروا
وهم الرؤسا انا كنا لكم معاشر الرؤسا تبعا ويحتمل ان يكون ذلك جمع تابع كغايب
وغيب وقايل وقيل ويجوز ان يكون مصدرا اي تبعناكم تبعا فهل انتم مغنون عنا
نصيبا من النار لانه يلزم الرئيس الدفع عن اتباعه والمنقادين لامره فسالوهم
ان تغنوا عنهم قسطا من النار اي طائفة منه فيقول لهم الرؤسا الذين استكبروا انا كل
فيها اي نحن وانتم في النار فكيف ندفع عنكم وندفع كل منا على انفسنا كقوله
ان الامر كله ويجوز ان يكون رفعا بالابتداء وخبره فيها ان الله قد حكم بين العباد
وانه يعاقب من اشرك به وعبد معه غيره ثم حكى ما يقوله الذين حصلوا في النار
من الاتباع والمتبوعين لخزنة جهنم وهم الذين يتولون عذاب اهل النار ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما من العذاب ويقولون ذلك لانه لا صبر لهم من شدة العذاب
لا انهم يطمعون في التخفيف لان معارفهم ضرورية يعلمون ان عقابهم لا ينقطع ولا يخفف
عنهم ثم حكى ما يجيب به الخزنة لهم فانهم يقولون لهم اولم تك تأتيكم رسلكم
بالبينات يعني بالحجج والدلالات على صحة توحيده ووجوب اخلاص العبادة له فيقولون
في جوابهم بلى جاءتنا الرسل والبينات فكذبناهم وجحدنا نبوتهم وانكرنا بيناتهم
فيقول لهم الخزنة اذا فادعوا انتم فانه لا ينفعكم ويقولون الله ما دعاء الكافرين
الا في ضلال لانه في وقت لا ينفع قوله تبارك وتعالى انا لننصر رسلنا
والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم

وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ قرأ نافع والكوفيون لا ينفع الظالمين بالياء لان المعذرة ليس تانيثها حقيقيا ولانهم ارادوا اعذارهم الباقون بالتاء لتانيث المعذرة اخبر الله تعالى عن نفسه بانه ينصر رسله الذين بعثهم بالحق الى خلقه وينصر الذين امنوا به وصدقوا رسله في دار الدنيا وينصرهم ايضا يوم يقوم الاشهاد والنصر المعونة على العدو وهو على ضربين نصر بالحجة ونصر بالغلبة في المحاربة بحسب ما يعلم الله تعالى من المصلحة وتقتضيه الحكمة هذا اذا كان في دار التكليف فاما نصره اياهم يوم القيامة فبعلو كلمتهم وظهور حقهم وعلو منازلهم واعزازهم بجزيل الثواب واذلال عدوهم بعظيم العقاب والاشهاد جمع شاهد مثل صاحب واصحاب وهم الذين يشهدون بالحق للمؤمنين واهل الحق وعلى المبطلين والكافرين بما قامت به الحجة يوم القيامة وفي ذلك سرور المحق وفضيحة المبطل في ذلك الجمع العظيم والمحفل الكبير وقال قتادة الاشهاد الملائكة والانبياء والمؤمنون وقال مجاهد هم الملائكة ثم بين الله تعالى اليوم الذي تقوم فيه الاشهاد فقال يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم فالمعذرة والاعتذار واحد وانما نفى ان تنفعهم المعذرة في الاخرة مع كونها نافعة في دار الدنيا لان الاخرة دار الالجاء الى العمل والملجأ غير محمود على العمل الذي الجئ اليه لانه لا يفعله لداعي الحكمة الى ما يمكنه ان يفعله والا يفعله فيستحق الحمد على فعله وقيل انما لم يقبل معذرتهم لانهم يعتذرون بالباطل في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم بين تعالى انه مع بطلان معذرتهم لهم اللعنة وهي الابعاد من رحمة الله والحكم عليهم بدوام العقاب ولهم سوء الدار وهي عذاب النار نعوذ بالله منها والظالمين الذين لا تنفعهم المعذرة هم الذين ظلموا انفسهم او غيرهم

12 بارتكاب المعاصي التي يستحق بها دوام العقاب ثم اخبر تعالى على وجه القسم فقال وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى اي اعطيناه التوراة فيها ادلة واضحة على معرفة الله وتوحيده وانزلنا عليه الكتاب واورثناه بني اسرائيل يعني التوراة وهدى يعني ادلة واضحة على معرفة الله وتوحيده وذكرى اي ما يتذكر به اولوا الالباب واخص العقلاء بذلك لانهم الذين يتمكنون من الانتفاع به دون من لا عقل له ثم امر الله نبيه عليه السلام فقال فاصبر يا محمد على اذى قومك وتحمل المشقة في تكذيبهم اياك ان وعد الله حق الذي وعدك به من الثواب والجنة لمن اطاعك والنار والعقاب لمن عصاك حق لا خلف له واطلب ايضا المغفرة لذنبك ويجوز ان يكون الخطاب له والمراد به امته وسبح بحمد ربك اي نزه الله تعالى واعترف بشكره بما انعم عليك بالعشي والابكار اي صباحا ومساء وقيل فسبح بحمد ربك معناه صل بحمد ربك بالعشي من زوال الشمس الى الليل والابكار من طلوع الفجر الثاني الى طلوع الشمس **قوله تعالى**

إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ستّ آيات وست في المدني الاخير قرأ اهل الكوفة تتذكرون بالتاء على الخطاب الباقون بالياء على الاخبار عنهم وقرأ ابو جعفر وابن كثير ورويس ويحيى والبرجمي وابن غالب سيدخلون بضم الياء على ما لم يسم فاعله الباقون بفتح الياء على اسناد الفعل اليهم يقول الله تعالى ان الذين يجادلون اي يخاصمون في دفع ايات الله تعالى وابطالها

بغير سلطان اي بغير حجة اتاهم الله اياها تسلط بها على انكار مذهب يخالف مذهبهم
ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه اي ليس في صدورهم الا كبر قال مجاهد معناه
الا عظمة وجبرية ما هم ببالغي تلك العظمة لان الله تعالى مذلهم وقيل معناه الا كبر
عليك على النبوة التي اكرمك الله بها ما هم ببالغيه لان الله يرفع بها من يشاء و
قيل معناه الا كبر ما هم ببالغي مقتضاه وذلك لان الكبر انما يعمله صاحبه لمقتضى
ان يعظم حاله وهؤلاء يصير حالهم الى الاذلال والتحقير بكفرهم فلا يبلغون ما في
صدورهم من مقتضى كبرهم وقيل الاية نزلت في اليهود وان الكبر الذي ليس
هم ببالغيه توقعهم امر الدجال فاعلم الله ان هذه الفرقة التي تجادل لا تبلغ خروج الدجا
ل لذلك قال فاستعذ بالله ثم امر نبيه بان يستعيذ بالله من شر هؤلاء المخاصمين
انه هو السميع البصير ومعناه انه يسمع ما تقول هؤلاء الذين يخاصمون في دفع آيات
الله بصير بما يضمرونه وفي ذلك تهديد لهم فيما يقدمون عليه وقيل فيه قمع لهم تكبا
شرهم ثم قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس معناه ان خلق
السموات والارض على ما هما عليه من العظم والثقل مع وقوفهما من غير عمد وجريان
الفلك والكواكب من غير سبب اعظم في النفس واهول في الصدر من خلق الناس
وان كان عظيما لما فيه من الحياة والحواس المهيأة لانواع مختلفة من الادراكات الا ان
امر السموات والارض خارج عن مقتضى الطبيعة او ان يكون فاعلهما وخالقهما يجري مجرى
العبادين الجسمية هو اكبر شانا من هذه الجهة ولكن اكثر الناس لا يعلمون لعدولهم
عن الفكر فيه والاستدلال على صحته وادخال الشبهة على نفوسهم فيه وقد ذكر خلق
السموات والارض وما هو خارج عن الطبيعة حجة على المشركين في انكارهم النشأة الثانية
بما هو خارج عن عادة الولادة ثم قال وما يستوي الاعمى والبصير اي لا يتساوى
من عمي عن طريق الرشد والصواب فلم يهتد اليها والبصير الذي ابصرها واهتدى

اليها والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء اي ولا يتساوى ايضا الذين امنوا بالله
وعملوا الصالحات من الاعمال والذين اساؤوا وظلموا نفوسهم بارتكاب المعاصي ثم قال
قليلا ما تتذكرون اي قليلا ما تتفكرون في ذلك والوقف على قوله قليلا وقوله
ما تتذكرون يجوز ان يكون ما صلة ويجوز ان يكون بمعنى المصدر ويكون تقديره قليلا
تذكركم ومن قرا بالتاء اراد قل لهم وخاطبهم به ومن قرا بالياء فعلى وجه الاخبار عنهم
بذلك ثم اخبر تعالى ان الساعة يعني القيامة آتية لا ريب فيها اي جائية واقعة
لا شك في مجيئها ولكن اكثر الناس لا يصدقون بذلك لجهلهم بالله وشكهم في اخبا
ثم قال وقال ربكم ادعوني استجب لكم يعني اجب لكم اذا اقتضت المصلحة اجابتكم
ومن يدعو الله ويسأله فلا بد ان يشترط المصلحة اما لفظا او اضمارا والا كان قبيحا لانه
اذا دعا بما يكون فيه مفسدة ولا يشترط انتفاؤها كان قبيحا ثم قال تعالى مخبرا ان
الذين يستكبرون عن عبادتي اي يتكبرون ويتعظمون عن اخلاص العبادة لله تعالى
سيدخلون جهنم داخرين من ضم الياء ذهب الى انهم تدخلهم الملائكة كرها ومن فتح اليا
قال لانهم اذا ادخلوا فقد دخلوا فاضاف الفعل اليهم ومعنى يستكبرون عن عبادتي
اي عن دعائي بالخضوع لي وقال السدي داخرين معناه صاغرين قوله تعالى
الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل
على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا
هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي
جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من
الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو
فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين خمس آيات يقول الله تعالى
مخبرا عن نفسه بانه الذي جعل لكم معاشر الخلق الليل وهو ما بين غروب الشمس

الى طلوع الفجر الثاني لتسكنوا فيها اى وجعله فيه سكونكم واستراحتكم فيه من حر النهار وتعبه وجعل لكم النهار ايضا وهو ما بين طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس مبصرا تبصرون فيه مواضع حاجاتكم فجعله مبصرا لما كان يبصر فيه المبصرون ثم اخبر تعالى فقال ان الله لذو فضل اى لذو زيادة كثيرة من نعمه على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعمه اى لا يعترفون بها بل يجحدون ويكفرون بها ثم قال مخاطبا لخلقه ذلكم الله يعنى الذى خلق ووصفه لكم هو الذي خلقكم وعليكم خالق كل شئ من مقدوراته من السموات والارض وما بينهما مما لا يقدر عليه سواه لا اله الا هو اى لا يستحق العبادة سواه تعالى فانى تؤفكون اى فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع وضوح الدلالة على توحيده ثم قال مثل الانقلاب والانصراف عنها كذلك يؤفك اى تصرف الذين كانوا بآيات الله يجحدون ومعناه كما صرف هؤلاء ما كذب لهم كذلك كذب من كان قبلهم من الكفار الذين كانوا يجحدون بدلالات الله وبيناته ولا يتفكرون فيها ثم عاد الى صفاته تعالى الذي جعل لكم الارض قرارا اى قرارا كرعيت تستقرون عليها والسماء بناء اى وجعل السماء بناء مرتفعا فوقنا ولو جعلها دفقا لما امكن الخلق التقلع فيما بينهما ثم قال وصوركم فاحسن صوركم لان صورة ابن آدم احسن من صور الحيوان والصور جمع صورة مثل سورة وسور ورزقكم من الطيبات لانه ليس شئ من الحيوان من الطيبات المأكل والمشارب مثل ما خلق الله لبنى آدم فان انواع الطيبات واللذات التي خلقها الله لهم ليس شئ منها من الثمار وفنون النبات واللحوم وغير ذلك ثم قال ذلكم يعنى الذي تقدم وصفه هو الذي تحق له العبادة على الحقيقة وهو الله ربكم فتبارك الله رب العالمين اى جل بانه الثابت الدائم الذي لم يزل ولا يزال ثم قال هو الحي ومعناه الحي على الاطلاق هو الذي يستحق الوصف بانه حي لا الى اجل لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قال

قال ابن عباس وسعيد بن جبير اذا قال احدكم لا اله الا الله وحده فليقل في اثرها الحمد لله رب العالمين قوله تبارك وتعالى قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وامرت ان اسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذي يحيى ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ست آيات هذا امر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله ان يقول للكفار من قومه انى نهانى الله ان اعبد اى اوجه العبادة الى من تدعونه من دون الله التى تجعلونها آلهة لما جاءنى البينات من ربى اى حين اتانى الحجج والبراهين من جهة العقل والسمع على ذلك وامرت مع ذلك ان اسلم اى استسلم لامر رب العالمين الذى خلقكم ووحدكم وعليك تدبير الخلائق اجمعين ثم وصفه فقال وهو الذى خلقكم معاشر البشر من تراب ومعناه خلق اباكم آدم من تراب وانتم نسله واليه ترجعون واباه تنتمون ثم من نطفة اى ثم انشأ من ذلك الاصل الذي خلقه من تراب النطفة ثم قلبها الى علقة وهى القطعة من الدم لانها تعلق بما يمر به لظهور اثرها فيه فخلقكم منها ثم يخرجكم طفلا اى اطفالا واحدا واحدا فلهذا ذكره بالتوحيد كما قال بالاخسرين اعمالا لان لكل واحد منهم اعمالا فتخرج ثم لتبلغوا اشدكم وهو حال استكمال القوة وهو جمع شدة واشد كنعمة وانعم واصل الشدة الانعقاد الذي يصعب معه الانحلال ثم لتكونوا شيوخا بعد ذلك ومنكم من يتوفى من قبل ان يصير شيخا ومن قبل ان يبلغ اشده ولتبلغوا اجلا مسمى

لتبلغوا ايضا

اى يبلغ كل واحد منكم ما سمى له من الاجل وقال الحسن هو الاجل الذي يقوم عليه
القيامة فالاجل المسمى القيامة ولعلكم تعقلون اى خلق لكم هذه الاغراض
التي ذكرها وكي تتفكروا في ذلك فتعقلوا انما انعم الله عليكم من انواع النعم واراده
بكم من اخلاص العبادة ثم قال هو الذي يحيي ويميت يعني من خلقكم على هذه
الاوصاف التي ذكرها هو الذي يحييكم وهو الذي يميتكم فاولكم من تراب والى تراب
تعودون فاذا قضى امرا اى اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون ومعناه انه
يفعل ذلك من غير ان يتعذر عليه فلا يمتنع عنه فكانما يقال له كن فيكون لا انه خاطب
المعدوم بالكون لان ذلك محال والله لا يامر بالمحال ثم قال الذين يجادلون في آيات الله
يعني المشركين الذين يخاصمون في دفع آيات الله وابطالها انى يصرفون اى كيف
ومن اين ينقلبون عن الطريق المستقيم الى الضلال ولو كانوا يخاصمون في آيات الله
بالنظر في صحتها والفكر فيها لما ذمهم الله قال ابن زيد اراد بذلك المشركين
ثم وصفهم فقال الذين كذبوا بالكتاب يعني بالقران وجحدوه وكذبوا بما ارسلنا به
من الكتب في الشرايع رسلنا قبلك فسوف يعلمون عاقبة امرهم اذا حل بهم وبال
ما جحدوه ونزل بهم عقاب ما ارتكبوه ويعرفون ان ما دعوتهم اليه حق وما ارتكبوه
ضلال وفساد قوله تبارك وتعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل
يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون
الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين
ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون
حتى الآية قوله اذ الاغلال متعلق بقوله فسوف يعلمون اذ الاغلال اى يعلمون
في حال ما يجعل الاغلال وهي جمع غل وهو طوق يدخل في العنق للاسر والذل واصله
الدخول من قولهم انغل في الشيء اذا دخل فيه والغلول الخيانة التي تصير كالغل في عنق

صاحبها والاعناق جمع عنق وهو مركب الراس من البدن وبينه وقوله فاضربوا فوق
الاعناق اى اصل الراس وما والاه وقوله والسلاسل اى وجعل السلاسل ايضا
في اعناقهم وقرا ابن عباس والسلاسل بالنصب يسحبون بفتح اليا بمعنى يسحبون
السلاسل وحكى عنه الجر ايضا بتقدير وهم في السلاسل يسحبون والجر ضعيف
عند النحويين لا يجوز حذف الجار لا يجوز اضماره واجاز بعضهم ذلك على ضعفه بان يتوهم ان
التقدير اذ الاغلال في الاعناق والسلاسل جمع سلسلة وهي حلق منتظمة في جهة
الطول مستمرة ويقال تسلسلت المعاني اذا استمرت شيئا قبل شيء كالسلسلة الممدودة وقوله
يسحبون اى يجرون على الارض وموضع يسحبون النصب على الحال وتقديره اذ الاغلال
والسلاسل في اعناقهم مسحوبين على النار مجرورين نصب على الحال والسحب جر الشيء من
الاصل الغايب وسحب الكافر على وجهه في النار سحبا في الحميم وهو الماء الحار الذي
بلغ الغاية في الحرارة ثم في النار يسجرون فالسجر القاء الحطب في معظم النار كالتنور الذي
يسجر بالوقود فهؤلاء الكفار الحميم كالحطب للتنور ثم قيل لهم على وجه التوبيخ لهم
قلوبهم كايلامهم ابدانهم بالعذاب اين ما كنتم تشركون من دون الله فتوجهون العبادة اليه
من الاصنام والاوثان فيخلصوكم وينصروكم من عذاب الله فيقولون بل لم نكن ندعو
من قبل شيئا فمعناه لم نكن ندعوه من قبل شيئا يستحق العبادة ولا ما ينتفع بعبادته فلذلك
اطلق القول فقال الله تعالى كذلك يضل الله الكافرين قال الحسن معناه
كذلك يضل اعمالهم بان يبطلها وقيل معناه كذلك يضل الله الكافرين عن نيل الثواب
في الجنة وقيل كذلك يضل الله الكافرين عما اتخذوه الها بان يصرفهم عن الطمع في
نيل منفعة من جهتها ثم يقول لهم موبخا لهم ذلكم اى ما فعل بكم جزاء على ما كنتم تفرحون
في الارض والفرح والمرح والبطر والاشر نظاير بغير الحق اى كنتم تفرحون بالباطل
لا بالحق لان من فرح بالحق لا يوبخ وبما كنتم تمرحون اى وجزاء بما كنتم تبطرون

في معاصي الله والمرح الختيال في السرور والتبطر قال الثعلبي
ولد ينني الحد ان عوض والا ادجى من المرح الدنار قوله تبارك وتعالى
ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر ان وعد
الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ولقد
ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما
كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك
المبطلون الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع ومنها سو
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون حتى آيات
لما حكى الله تعالى ما يقال للكفار من قوله ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق
وبما كنتم تمرحون حكى ايضا انه يقال لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقيدين فيها
لا انقطاع لكونكم فيها ولا نهاية لعقابكم وقيل انما جعل لجهنم ابواب كما جعل فيها
الدركات تشبيها بما يتصور الانسان في الدنيا من المطابق والسجون والمطامير فان ذلك
اهول واعظم في الزجر وقيل لجهنم سبعة ابواب كما قال تعالى لها سبعة ابواب وقوله
فبئس مثوى المتكبرين اي بئس مقام الذين تكبروا عن عبادة الله وتجبروا عن الانقياد
له وانما اطلق عليه اسم بئس مع كونه حسنا لان الطبع ينفر عنه كما ينفر العقل من القبيح
بالذم عليه فحسن لهذه العلة اطلاق اسم بئس عليه ووصف الواحد منا بانه متكبر اسم ذم
ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله فاصبر يا محمد على اذى قومك وتكذيبهم اياك
ومعناه اثبت على الحق فسماه صبرا للمشقة التي تلحق فيه كما تلحق بتجرع المر ولذلك لا يوصف
اهل الجنة بالصبر وان وصفوا بالثبات على الحق وكان في الوصف به في الدنيا فضل
ولكن يوصفون بالحلم لانه مدح لمن فيه صفة نقص وقوله ان وعد الله حق
معناه ان ما وعد الله به المؤمنين على الصبر من الثواب في الجنة وتوعد الكافرين

الفلك

من العقاب حق لا شك فيه بل هو كائن لا محالة ثم قال فاما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك فالينا يرجعون معناه انا ان اريناك يا محمد بعض ما نعدهم من العقاب عاجلا
واهلاكهم في دار الدنيا او لم نفعل ذلك وقبضناك الينا فالينا يرجعون يوم القيامة فيفعل
بهم ما اوعدناهم به من العقاب واليم العذاب وقال الحسن تقديره اما نرينك بعض
الذي نعدهم فنريك ذلك في حياتك او نتوفينك فيكون ذلك بعد موتك فاي ذلك
كان فالينا يرجعون ثم قال تعالى ولقد ارسلنا يا محمد رسلا من قبلك
جملتهم من قصصنا عليك قصصهم ومنهم من لم نقصص عليك وروي عن علي عليه السلم ان الله
من بعث الله نبيا اسود لم يذكره الله وقيل بعث الله ثمانية الاف نبي اربعة الاف
من بني اسرائيل واربعة الاف من غيرهم ولم يذكر الا نفرا يسيرا ثم قال
وما كان لرسول ان ياتي باية اي بمعجزة ودلالة الا باذن الله وامره فاذا جاء امر الله
يعني قيام الساعة قضي بالحق اي فصل بين الخلائق وخسر هنالك المبطلون لانهم يخسرون
الجنة ويحصلون في النار بدلا منها وذلك هو الخسران المبين ثم قال تعالى على وجه
تعداد نعمه على الخلق الله الذي جعل لكم الانعام من الابل والبقر والغنم لتركبوا
منها فانه يصلح لذلك الابل وقال قوم المراد بالانعام هاهنا الابل خاصة لانها التي — اي خلقها لتنتفعوا بركوبها وتاكلوا منها ماهو
تركب ويحمل عليها في اكثر العادات واللام في قوله لتركبوا لام الغرض فاذا كان الله تعالى
خلق هذه الانعام واراد ان ينتفع خلقه بها وكان تعالى لا يريد القبيح ولا المباح فلا بد
ان يكون اراد انتفاعهم بها على وجه الطاعة والقربة اليه ولكم فيها منافع اخر
من البانها واصوافها واشعارها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بان تركبوها
وتبلغوا المواضع التي تقصدونها لحوائجكم وعليها يعني على الانعام وعلى الفلك
وهي السفن تحملون ايضا لانه تعالى هو الذي يسيرها في البحر بالريح الى حيث تقصدونها
وتبلغوا اغراضكم منها وقال ابو عبيدة معنى وعلى الفلك وفي الفلك كما قال ولاصلبنكم

في جملة مع الحمل والادعلى عليها في وفي الجن يقوم بعضها مقام بعض قوله تعالى
ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون
فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون
خمس آيات يقول الله تعالى مخاطباً للكفار الذين جحدوا آيات الله وانكروا ادلته
الدالة على توحيده واخلاص العبادة له ويريكم آيات الله اي يعلمكم حججه ويعرفكم اياها
منها اهلاك الامم الماضية على ما اخبر عنهم ووجه الآية فيه انهم بعد النعمة العظيمة
صاروا الى النقمة فاقتضى ذلك عصيان المنعم اولئك النعم ثانياً وكان فيه اوضح الدليل
على تثبيت القديم تعالى الذي لولاه لم يصح فعل ولا تدبير ومنها الآية في خلق الانعام
التي قدم ذكرها ووجه الآية فيها تسخيرها لمنافع العباد بالتصرف في الوجوه التي تجعل
كل شيء منها لما يصلح له وذلك يقتضي ان الجاعل لذلك قادر على تصريف عالم بتدبيره
وانما يرى الآيات بإبانة منها الذي يخص الناس معناها فيخطرها بالهم وينبه عليها
فانه يحتاج أولاً مع الآية احضارها للنفس ثم الاستدلال عليها او التمييز بين الحق والباطل
منها فلحل الغايرة احضارها بالبال والتنبيه عليها واما الى الاستدلال عليها للاداء
الى الحق ثم قال فأي آيات الله تنكرون توبيخاً لهم على جحدها وقد يكون الانكار
للاشارة بان يجحدها اصلاً وقد يكون بان يجحد كونها دالة على صحة ما هي دلالة عليه
والخلاف في الدلالة يكون من ثلاثة اوجه اما في صحتها في نفسها او في كونها دلالة او فيهما
وانما يجوز من الجهال دفع الآية بالشبهة مع قوة الآية وضعف الشبهة لامور منها اتباع
الهوى وقصور الشبهة التي تغطي على الحجة حتى لا يكون لها في النفس منزلة ومنها التقليد

لمن

لمن ترك النظر في الامور ومنها السبق الى اعتقاد فاسد للشبهة فيمنع ذلك من توليد النظر للعلم
ثم نبههم فقال افلم يسيروا في الارض بان يمروا في جنباتها فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم الذين كانوا اكثر منهم عدداً واشد قوة اي واعظم آثاراً في الارض وقيل الابنية
العظيمة التي بنوها والقصور المشيدة التي شيدوها وقال مجاهد بمشيهم على ارجلهم
على عظم خلقتهم فلما عصوا وكفروا بالله اهلكهم واستأصلهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
معناه لم يغن عنهم ما كسبوه من الاموال والبنيان وقيل ان ما بمعنى اي وتقديره فأي
شيء اغنى عنهم كسبهم على وجه التعجيب لفعلهم والتقريع لهم فتكون ما الاولى نصباً وموضع
الثانية رفعاً ثم قال فلما جاءتهم رسلهم بالبينات يعني لما اتى هؤلاء الكفار رسلهم
الذين دعوهم الى توحيده واخلاص العبادة فرحوا بما عندهم من العلم وفي الكلام حذف
وتقديره لما جاءتهم رسلهم بالبينات جحدوها وانكروا دلالتها ووعد الله تعالى الرسل
باهلاك اممهم ونجاة الرسل فرح الرسل بما عندهم من العلم بذلك وقيل ان المعنى فرحوا
بما عندهم من العلم يعني الكفار بما اعتقدوا انه علم اذ قالوا نحن اعلم منهم لن نعذب ولن
نبعث وكان ذلك جهلاً واعتقدوا انه علم فاطلق الاسم عليه بالعلم على اعتقادهم كما
قال حجتهم داحضة وقال ذق انك انت العزيز الكريم يعني عند نفسك او عند قومك
بالاول قال به الجبائي والثاني قول الحسن ومجاهد وقيل المعنى ان الكفار فرحوا بما
عند الرسل فرح استهزاء وسخرية لا فرح سرور وغبطة وقوله وحاق بهم اي حل بهم
ما كانوا به يستهزئون اي جزاء ما كانوا به يسخرون برسلهم من الهلاك والعذاب ثم اخبر
تعالى عنهم انهم لما رأوا بأس الله ونزول عذابه قالوا آمنا بالله وحده وخلعنا الانداد
من دونه وكفرنا بما كنا به مشركين في عبادة الله من الاصنام والاوثان فقال الله
تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم عند رؤيتهم بأس الله وعذابه لانهم يصيرون عند ذلك
ملجئين وفعل الملجأ لا يستحق به الثواب ثم قال سنة الله التي قد خلت في عباده نصب

سنة الله على الصدر والمعنى طريقنا لله المسترون حقلهم باعدائه ولي احدبن لغيره واتخاذ
الولايج من دونه فيما معنى مع عباده الذين كفروا به وخسر هنالك الكافرون لعنه لغو تم الكواكب
والجنة واسخافهم **سورة حم السجدة** العذاب والكوفين الثالث
هي مكية في قول قتادة ومجاهد ليس فيها ناسخ ولا منسوخ وهي اربع وخمسون آية في
الكوفي وثلث في المدنيين **قوله تبارك وتعالى** والخمس في البصري

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا
ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون، حم آيات
في الكوفي واربع في الباقي، **قال** بعض الكوفيين حم رفع بتنزيل وتنزيل بحم وقال
الفراء ارتفع تنزيل باضمار ذلك وهذا تنزيل وقال البصريون تنزيل رفع بالابتداء
وخبره كتاب فصلت آياته وقرانا بالنصب على المصدر او الحال وقوم قد بينا اختلافهم المفسرين
في معنى قوله حم فلا وجه لاعادته وقيل في وجه الاشتراك في اسماء هذه السور السبع
بحم انه المشاكلة التي بينها بما يختص به ليس لغيرها لانه اسم علم اجرى على الصفة الغالبة
بما يصح فيه الاشتراك والمشاكلة التي اختصت به هو ان كل واحد منها استفتح بصفة
الكتاب مع تقارنها في الطول والقصر ومع شدة تشاكل الكلام في النظام وحكم الكتاب
البيان عن طريق النجاة التي يصغر كل شيء في جنب الفائدة به من طريق الهلاك التي لا يحصى
للنفس مليء وهو عمل وجه مما بين الواجب مما ليس بواجب وتبين الاولى في الحكمة
مما ليس باولى وتبين الجائز مما ليس بجائز وتبين الحق في الدين من الباطل وتبين
الدليل على الحق مما ليس بدليل وتبين ما يرغب فيه مما لا يرغب وما يحذر منه مما
لا يحذر مثله وغير ذلك من وجوه احكامه وهي اكثر من ان تحصى وقوله تنزيل

١٣٢

من الرحمن الرحيم وصف الكتاب بانه تنزيل لان جبريل عليه السلام نزل به على محمد صلى الله عليه وآله
في ذلك دلالة على حدثه لان التنزيل لا يكون الا على ما هو محدث وقوله كتاب فصلت
آياته اي هو كتاب وانما وصف القرآن بانه كتاب وان كان المرجع فيه الى كلام مسموع لانه
مما ينبغي ان يكتب ويدون لان الحافظ ربما نسيه او نسي بعضه فيذكر وغير الحافظ فيعلم
منه وقوله فصلت آياته معناه ميزت دلايله وانما وصفه بالتفصيل دون الاجمال
لان التفصيل ياتي على وجوه البيان لانه تفصيل جملة عن جملة او مفرد عن مفرد ومدار
امر البيان على تفصيل البين فيما يحتاج اليه من امور الدين فالعلم علمان علم دين وعلم دنيا
وعلم الدين اجلهما واشرفهما لشرف النفع به وقيل فصلت آياته بالامر والنهي والوعد
والوعيد والترغيب والترهيب ونصب قوله قرآنا عربيا على الحال في قول الزجاج وتقديره
فصلت آياته في حال جمعه ووصفه بانه قرآن لانه جمع بعضه الى بعض وبانه عربي لانه خالف
جميع اللغات التي ليست عربية لقوم يعلمون اي لمن يعلم العربية وقوله بشيرا ونذيرا
اي مبشرا بالجنة وثوابها ومخوفا من النار وعقابها وقوله فاعرض اكثرهم اخبار منه
تعالى عن الكفار ان اكثرهم يعدل عنه وعن استماعه والفكر فيه لا يسمعون ليعدلهم
عنه ويجوز ان يكون مع كونهم سامعين اذا لم يتفكروا فيه ولم يقبلوه فكانهم لا يسمعون
وقال البلخي معناه انهم يفعلون فعل من لا يسمعه لانهم مع سماعه يشتغلون ويعرضون
عن الفكر فيه ثم حكى ما قال الكفار من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه قال
مجاهد والسدي معناه في اغطية وانما قالوا ذلك ليؤيسوا النبي صلى الله عليه وآله من قبولهم
دينه فهو على التمثيل فكانهم شبهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلا يصل اليه شيء مما وراءه
وفيه تحذير من مثل حالهم في كل من دعي الى امر لا يمتنع ان يكون هو الحق فلا يجوز
ان يدفعه بمثل ذلك الدفع وفي آذاننا وقر اي ثقل عن استماع هذا القرآن ومن
بيننا وبينك حجاب قيل الحجاب الخلاف الذي يقتضي ان يكون معتزلا عنك الى قال

يعدل عن التفكر فيه وعن سماعه

الزجاج معناه حاجز في النحلة وانه الذي لا يوافقك في مذهب فاعمل انا عاملون معناه فاعمل
بما يقتضيه دينك فانا عاملون بما يقتضيه ديننا وقال الفراء معناه فاعمل في هلاكنا انا
عاملون في هلاككم فعذبنا لهم **قوله تبارك وتعالى** قل انما انا بشر
مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له
اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين **ح** حتى آباي **قرا** ابو جعفر سواء رفعا
وقرا يعقوب خفضا الباقون نصبا فمن رفعه فعلى الاستيناف ومن خفضه جعله
نعتا للايام ومن نصبه فعلى المصدر يامر الله تعالى نبيه عليه السلم ان يقول لهم الكفار
انما انا بشر مثلكم لحم ودم ومن ولد آدم وانما خصني الله بنبوته وميزني منكم بان اوحى
الي بان الهكم الذي يحق العبادة اله واحد لا شريك له في العبادة فاستقيموا اليه
اي استمروا على وجه واحد في الطاعة له واخلاص العبادة له على ما يقتضيه الحكمة
واطلبوا المغفرة من جهته لذنوبكم ثم **اخبر** فقال وويل للمشركين الذين يشركون
بعبادة الله غيره من الاصنام والاوثان ووصفهم بانهم الذين لا يؤتون الزكاة **وقال**
الحسن معناه لا يؤتون ما يكونون به ازكياء اتقياء من الدخول في دين الله **وقال**
الفراء الزكاة في هذا الموضع ان قريشا كانت تطعم الحاج وتسقيهم فحرموا ذلك على من آمن
بمحمد صلى الله عليه وآله وقال قوم انما توعدهم على ترك الزكاة الواجبة عليهم لانهم متعبدون
بجميع العبادات ويعاقبون على تركها وهو الظاهر **وقال** الزجاج معناه وويل
للمشركين الذين لا يؤمنون بان الزكاة واجبة وانما خص الزكاة بالذكر تقريعا لهم
على شحهم الذي يانف منه اهل الفضل ويتركون ما يقتضي انهم علوم لاجله وفي ذلك

دعالهم

دعالهم الى الايمان وصرفهم عن الشرك وكان يقال الزكاة قنطرة الايمان فمن عبرها نجا
وقال الطبري معناه الذين لا يعطون الله الطاعة التي تطهرهم وتزكي ابدانهم
ولا يوحدونه **وقال** عكرمة هم الذين لا يقولون لا اله الا الله وقد بينا ان الاقوى
قول من قال الذين لا يؤدون زكاة اموالهم لان هذا هو حقيقة هذه اللفظة وهم
بالآخرة هم كافرون معناه وهم مع ذلك يجحدون ما اخبر الله به من الثواب والعقاب والذين
يعملون الطاعات ولا يجحدون ويعملون صنعهم ولهم جزاء على ذلك اجر غير ممنون اي غير
مقطوع بل هو متصل دايم ويجوز ان يكون معناه لا اذى فيه من المن الذي يكدر الصنيعة
ثم امر النبي عليه السلم ان يقول لهم على وجه الانكار عليهم بلفظ الاستفهام ائنكم لتكفرون
اي تجحدون نعمه من خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا اي تجعلون له اشباها
وامثالا في استحقاق العبادة ثم **قال** الذي يحق العبادة ذلك رب العالمين الذي
خلق الخلايق ومالك التصرف فيهم **وقوله** جبالا ثابتات وجعل فيها رواسي من
فوقها اي وخلق في الارض جبالا راسيات ثابتات فوق الارض وبارك فيها بما خلق
فيها من المنافع وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين **وروي** عن النبي عليه السلم
انه قال الله خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلثا وخلق الشجر
والماء والعمران يوم الاربعا فتلك اربعة ايام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة
الشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم وقال الحسن والسدي وابن زيد قدر فيها اقواتها
اي ارزاقها **وقال** قتادة معناه قدر فيها ما فيه صلاحها قال ابو عبيدة الاقوات
جمع قوت وهي ارزاق الخلق وما يحتاجون اليه وقيل انما خلق ذلك شيئا بعد شيء
في هذه الاربعة ايام لتعتبر به الملائكة **وقيل** بل لاعتبار العباد في الاخبار عن ذلك
اذا تصوروه على تلك الحال **وقال** الزجاج الوجه فيه تعليم الخلق التاني في الامور
والاستعجال فيها بان الله تعالى كان قادرا على ان يخلق ذلك في لحظة لكن خلقها

في الآخرة ثم اخبر الله تعالى عن المؤمنين فقال ان الذين يؤمنون بالآخرة اي يصدقون بامر الآخرة من الثواب والعقاب صح

الصنيعة

والخراب

في هذه الذي ليعتبر بذلك على انها صادرة من قادر مختار عالم بالمصالح وبوجوه الاحكام
اذ لو كان صادرا عن مطبوع او موجب لحصلت في حالة واحدة وقال الزجاج معناه في
اربعة ايام معناه في تتمة اربعة ايام وقوله سواء للسائلين قال قتادة والسدي معناه
سواء للسائلين من ذلك لان كلا يطلب القوت ويسأله وفي قراءة عبد الله وقسم فيها
اقواتها ومعناه خلق في هذه البلدة ما ليس في هذه ليتعايشوا ويتجروا ومن نصب سواء
فعلى تقدير استوت سواء واستواء لمن سأل في كم خلقت السموات والارض فيقال في اربعة
ايام سواء لا زيادة ولا نقصان قوله تبارك وتعالى ثم استوى الى السماء وهي
دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن
سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا
ذلك تقدير العزيز العليم فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو
شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا في الارض
بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد
منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ست ايات في الكوفي والمدنيين وسبع في البصري
لما اخبر الله تعالى انه بعد خلق الارض والجبال وتقدير الاقوات فيها استوى الى السماء
وهي دخان قال الحسن معناه استوى امره ولطفه الى السماء وقال غيره معنى
الاستواء الى السماء العمد والقصد اليها كانه قال ثم قصد اليها واصل الاستواء الاستقامة
والقصد للتدبير المستقيم تسوية له وقوله ثم استوى على العرش معناه ثم استوى
ملكه بتقدير القادر عليه وقيل ان الاستواء بمعنى الاستيلاء كما قال الشاعر
ثم استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق * فاما الاستواء من اعوجاج فمن
صفات الاجسام لا يجوز ذلك على الله تعالى وقوله ثم استوى الى السماء بعد ان خلق

السماء

السماء بعد خلق الارض وخلق الاقوات فيها ولا ينافي ذلك قوله أأنتم اشد خلقا ام
السماء بناها رفع سمكها فسواها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها لان ذلك يفيد ان
الارض كانت مخلوقة غير مدحوة فلما خلق الله السماء دحا بعد ذلك الارض فبسطها
وانما جعل الله السموات اولا دخانا ثم سبع سماوات طباقا ثم زينها بالمصابيح لما في ذلك
من الدلالة على ان صانعها وخالقها ومدبرها ليس كمثله شيء من الموجودات غني عن
كل شيء سواه وان كل ما سواه يحتاج اليه من حيث انه قادر لنفسه لا يعجزه شيء عالم
لنفسه لا يخفى عليه شيء والدخان جسم لطيف مظلم فالله تعالى خلق السماوات اولا دخانا
ثم نقلها الى حال السماء من الكثافة والالتئام لما في ذلك من الاعتبار واللطف لخلقه وقوله
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين قال ابن
عباس ائت يا سماء باظلال الشمس والقمر والنجوم وائت يا ارض بما فيها من الانهار والاشجار
والثمار وليس هناك امر بالقول على الحقيقة ولا الطاعة ولا جواب لذلك القول بل الخبر
تعالى عن اختراعه السماوات والارض وانشائهما من غير تعذر ولا مشقة ولا كلفة ومن
غير ممانعة ولا معاناة بمنزلة ما يقال للمأمور افعل فيفعل من غير تلبث ولا توقف
فعبر عن ذلك بالامر والطاعة وهو كقوله كن فيكون وقد بينا الوجه في ذلك
وتكون التقدير كانه قيل ائتيا فاتتا طائعين اي فعل الطائع فيما امر به وانما
قال ذلك لانه تعالى لا يأمر المعدوم ولا الجماد لان ذلك قبيح تعالى الله عن ذلك
ومثل ذلك قول الشاعر * امتلأ الحوض وقال قطني * مهلا رويدا قد ملأت بطني *
ونظائر ذلك كثيرة بيناها فيما مضى وانما قال طائعين ولم يقل طائعات
لانه لما اسند اليهما ما يكون من العقلاء اخبر عنهما بالياء والنون وقال قطرب
لان المعنى اتينا من فيهن من العقلاء فغلب حكم العقلاء وقال الشاعر فاجهشت للتوباد
حين رايته وكبر للرحمن حين رآني فقلت له اين الذين رايتهم بجنبك في خفض وطيب زمان

در للمومنات

فقالا سمعنا واستودعونا بلادهم ومن ذا الذي يقوى على الحل اثان وقوله
فقضاهن سبع سماوات في يومين معناه جعلهن سبع سماوات على اتمام خلقهن لان القضا
جعل الشيء على اتمام واحكام ولذلك قيل انقضى اى تم ومضى وقضى فلان اذا
مات لان عمره تم ومضى وقيل ان السماء موج مكفوف روى ذلك في الخبر عن النبي
صلى الله عليه وآله وقال الحسن هي سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة عام وقوله
في يومين قال السدي خلق الله السموات وسواها يوم الخميس والجمعة وسمي
جمعة لانه جمع فيه خلق السماوات والارض وانما خلقها في يومين نظير الخلق الارض
في يومين فان قيل قوله خلق الارض في يومين وخلق الجبال والاقوات في اربعة ايام
وخلق السماوات في يومين يكون ثمانية ايام وذلك ينافي قوله ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام قلنا لا تنافي بين ذلك لانه خلق الارض وخلق
الجبال والاقوات في تمام اربعة منها اليومان المتقدمان كما يقول القائل خرجت
من البصرة الى بغداد في عشرة ايام ثم الى الكوفة في خمسة عشر يوما اى في تمام خمسة
عشر فيكون قوله فقضاهن سبع سموات في يومين تمام ستة ايام وهو الذي
ذكره في ستة ايام وزال الاشكال وقوله واوحى في كل سماء امرها قال السدي
جعل فيها ما اراده من ملك وغيره وقيل معناه اوحى الى اهل كل سماء من الملائكة
ما امرهم به من امره وقيل معناه اوحى في كل سماء بما اصلحها وزينا السماء الدنيا
بمصابيح وروى ان الكواكب في السماء الدنيا وهي الاقرب الى الارض دون ما فوقها من
السماء الدنيا وهي اول السموات وقوله وحفظا منصوب على المعنى وتقديره وحفظناها
حفظا اى وحفظناها حفظا من استراق الشياطين السمع بالكواكب التي
جعلناها فيها وقيل حفظا من ان تسقط على الارض ذلك تقدير العزيز العليم معناه القادر
الذي لا يغالب العليم بجميع الاشياء لا يخفى عليه شيء منها ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله فان اعرضوا

يعنى

يعنى ان عدل الكفار عن الفكر فيما ذكرناه والتدبر لما بيناه وابوا الا الشرك والجحود
فقل لهم يا محمد انذرتكم صاعقة اى خوفتكم اياها ان ينزل بكم كما نزل بمن قبلكم
ونصب صاعقة على انه مفعول ثان مثل صاعقة عاد وثمود التى ارسلها الله عليهم
واهلكهم بها قال السدي الصاعقة اراد بها العذاب وقال قتادة
معناه وقيعة وقيل ان عادا اهلكت بالريح والصاعقة جميعا وقوله اذ جاءتهم
الرسل فاذ متعلقة بقوله صاعقة اى نزلت بهم اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم
ومن خلفهم اى منهم من تقدم زمانهم ومنهم من تأخر وقال الفراء اتت الرسل اباهم
ومن كان قبلهم ومن خلفهم اى وجاءتهم انفسهم رسل من بعد اولئك الرسل فيكون
الهاء والميم في خلفهم للرسل ويكون لهم من عند من خلفهم لانهم وقال قوم
معناه قبلهم وبعدهم ان تلقوا وتعبدوا بأس الرسل الذين تقدموهم قال البلخي
ويجوز ان يكون المراد انهم اخبار الرسل من ها هنا وها هنا معا جاءهم منهم الا تعبدوا الا
الله اى ارسلناهم بالا تعبدوا الا الله وحده لا شريك له والا تشركوا بعبادته غيره قال
المشركون عند ذلك لو شاء ربنا ان نؤمن ونخلع الانداد لانزل ملائكة يدعوننا الى
ذلك ولم يبعث بشرا مثلنا فكانهم انفوا من الانقياد لبشر مثلهم وجهلوا ان الله يبعث
نبيا على ما يعلم من مصالح عباده ومن يصلح للقيام بها وقالوا لهم ايضا انا معاشر قومنا بما
ارسلتم به من اخلاص العبادة والتوحيد كافرون جاحدون ثم فصل تعالى اخبارهم فقال
فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق اى تجبروا وعتوا وتكبروا على اهل الغير
حق جعله الله لهم بل للكفر المحض والظلم الصراح وقالوا من اشد منا قوة لما كان
الله تعالى اعطاهم من فضل قوتهم على اهل زمانهم فقال الله تعالى اولم يروا ومعناه
اولم يعلموا ان الله الذي خلقهم واخترعهم وخلق فيهم هذه القوة اشد منهم قوة واعظم
اقتدارا وكانوا مع ذلك بآيات الله يجحدون اى يكذبون بها ولا يعترفون بها

فارسلنا

قوله تبارك وتعالى فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، حم ايات ، قرا ابن كثير وابو عمرو ونافع نحسات ساكنة الحاء الباقون بكسرها لان نحسات صفة تقول العرب يوم نحس مثل رجل هرم وقيل هما لغتان وقرا نافع ويعقوب ويوم نحشر بالنون لقوله ونحشرهم يوم القيامة اعمى ولان قوله ونجينا الذين آمنوا ااشبه الباقون بضم اليا على ما لم يسم فاعله لانه عطف عليه قوله فهم يوزعون فطابق بينهما ، لما حكى الله تعالى عن عاد وثمود انه ارسل اليهم رسلا وامرهم بعبادة الله وحده والا يشركوا به شيا وانهم كفروا بذلك وجحدوه اخبر انه اهلكهم بان ارسل عليهم ريحا صرصرا اى شديدة الصوت واشتقاقه من الصرير وكذلك ضوعف اللفظ اشعارا بمضاعفة المعنى يقال صرصر شديد يصرصر وقال قتادة يعني باردة وقال السدي باردة ذات صوت وقال مجاهد شديدة السموم وقيل اصله صرر ثم قلبت الراء صادا كما قيل ردده وردرده ونهنهه وفهفهه قال رويه فاليوم قد نهنهني تنهنهي واول حلم ليس بالمسفه وقتله كففته وكفكفه قال النابغة اكفكف عبرة غلبت عزائي اذا نهنهتها عادت دباحا ومنه سمى نهر صرصر لصوت الماء الجاري فيه وقوله في ايام نحسات قال مجاهد وقتادة والسدي يعني مشومات فالنحس سبب الشر والسعد سبب الخير وبذلك سميت سعود الايام ونحوسها وسعود النجوم ونحوسها ومن سكن الحاء خففه ومن جرها فعلى الاصل وقال ابو عبيدة معناه ايام ذات نحوس اى مشايم العذاب وقوله لنذيقهم عذاب الخزي

صرّ يصرّ صريرا وصرصر يصرصر صرصرة وريح ..

قال

في الحياة الدنيا اخبار منه تعالى انه انما يفعل بهم ذلك ليذيقهم حال الهوان في الدنيا والخزي الهوان الذي يستحيا منه خوفا من الفضيحة يقال خزى يخزى خزيا واخزاه الله اخزاء فهو مخزى ثم بين تعالى ان عذاب الآخرة اخزى وافضح من ذلك وهم لا ينصرون اى لا يدفع عنهم العذاب الذي ينزل بهم ثم قال تعالى واما ثمود فهديناهم فالذي عليه القراء رفع الدال وقرا الحسن بالنصب على تقدير هدينا ثمود هديناهم والرفع اجود لان اما لا يقع بعدها الا الاسماء فالنصب ضعيف في المعنى واما ثمود فالمراد هديناهم الى طريق الحق والرشاد فعدلوا عنها الى طريق الغي والفساد والهدى ينصرف على وجوه بيناها فيما مضى وقال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد معناه بيناهم وانما لم يصرف ثمود لانه اسم القبيلة او الامة وهو معرفة وانما رفع لان اما يرفع الاسم بعدها اولى وقوله فاستحبوا العمى على الهدى معناه اختاروا العمى على طريق الحق على الاهتداء الى الحق بئس الاختيار ذلك وهو قول الحسن وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة ان الله يضل الكفار عن الدين لا يهديهم اليه لانه صرح بانه هدى ثمود الى الدين وانهم اختاروا العمى على الهدى وذلك واضح لا اشكال فيه وقوله فاخذتهم صاعقة العذاب الهون اى ارسل عليهم الصاعقة التي تعينها للعذاب دون غيره والهون والهوان واحد في قول ابي عبيدة وقال السدي معناه الهوان وقوله بما كانوا يكسبون اى جزاء على ما كسبوه من الشرك والكفر وقوله ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون اخبار منه تعالى انه خلص من جملتهم من آمن بالله واتقى معاصيه خوفا من عقابه عاجم التمييز ذلك العذاب ثم قال تعالى ويوم يحشر اعداء الله يعنون وهو يوم القيامة فمن قرا بالنون فعلى الاخبار من الله عن نفسه بذلك ومن ضم اليا فعلى انهم يحشرون ويحشرون الى النار فهم يوزعون اى يحبسون من المقرف ويحبسون ويكفون يقال وزعته اذا منعته ومنه قول الحسن لا بد للناس من وزعة وقوله اوزعني اى الهمني فقوله

الناس وان فيها باذا الفارح مؤدع اى مولع ويقال حكت الرجل بمعنى فرعته
ومنه حكمة الدابة اذا منعتها وحبستها وقوله حتى اذا ما جاؤوها معناه حتى اذا اتوها والحبر
الكفار النار واراد الله القائم فيها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا
يعملون وقيل في شهادة هذه الجوارح قولين احدهما انها تبنى بنية حى وتلجاء
الى الشهادة والاعتراف بما فعله اصحابها والاخر ان يفعل فيها الشهادة ويضاف اليها
مجازا او وجه ثالث قال قوم انه تظهر فيها امارات تدل على كون اصحابها مستحقين
للنار فسمى ذلك شهادة مجازا كما يقال عيناك تشهد بسهرك اى فيها ما يدل على سهرك
وقيل المراد بالجلود الفروج على طريق الكناية وقيل لا بل الجلود المعروفة وهو الظاهر
وقوله تبارك وتعالى وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ
الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ
أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ
كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ
فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ٥ حتى الىٰ ٥ هذا حكاية من الله عن
الكفار فى الاخرة اذا شهدت عليهم ابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون من المعاصى فى دار
الدنيا انهم يقولون لجلودهم لم شهدتم علينا مستنكرين عليهم اقامة تلك الشهادة وقيل
اشتقاق الجلد من القوة من قولهم فلان جلد على كذا وهو جلد اى قوى فيقول
جلودهم فى الجواب عن ذلك انطقنا الله الذى انطق كل شىء فالانطاق جعل القادر
على الكلام ينطق اما بالالجاء الى النطق او الرغبة اليه فيها ولكن ... الله الى ان ينطقوا
بالشهادة والنطق ادارة اللسان فى الفم بالكلام ولذلك لا يوصف تعالى بانه ناطق

وان

١٣٧

وان وصف بانه متكلم ومعنى انطق كل شىء اى كل شىء لا يمتنع منه النطق كالاعراض
والموات والفائدة فى الاخبار عنهم بذلك التحذير من مثل حالهم فيما نزل فيهم من الفضيحة
بشهادة جوارحهم عليهم بما كان من فواحشهم فلم يكن عندهم فى ذلك اكثر من هذا القول
الذى لا ينفعهم وقال قوم ان الجوارح تشهد عليهم حين يجحدون ما كان منهم وقوله
وهو خلقكم اول مرة اخبار منه تعالى وخطاب لخلقه بانه الذى خلقهم فى الابتداء
واليه يرجعون فى الحشر اى بحيث لا يملك احد النفع والضر سواه وقوله فما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم قال مجاهد معناه وما كنتم تستترون
اى تتقون وقال السدى معناه لم تكونوا فى دار الدنيا تستخفون عن معاصى الله بتركها
وقيل ان الاية نزلت فى ثلثة نفر تساروا فقالوا اترى الله يسمع سرارنا وقال الفراء — فقال بعضهم لبعض
معناه لم تكونوا تخافون ان يشهد عليكم جوارحكم فتستتروا منها ولم تقدروا على
الاستتار منها ويكون على وجه التعيير اى لم تكونوا تستترون منها وقوله ولكن
ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وصف لهاولاء الكفار بانهم ظنوا انه تعالى
يخفى عليه اسرارهم ولا يعلمها فبين الله بذلك جهلهم به تعالى وانهم وان علموا من
جهة انه قادر غير مقدور وعالم عادل فاذا ظنوا انه يخفى عليه شىء منها فهو جاهل
به على التحقيق وفى قراءة عبد الله ولكن زعمتم قال الفراء الزعم والظن يكونان بمعنى
واحد وقد يختلفان ثم حكى ما يقال لهم به فانه يقال لهم قد ذكرتم معاشر الكفار
ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم اى اهلككم يقال ردى فلان يردى اذا هلك قال
الاعشى ٥ افى الطوف خفت على الردى وكم من ردٍ اهله لم يرم ٥ وقوله — وكم من ردى اهله لم يرم
فاصبحتم من الخاسرين معناه فظللتم من جملة من خسر فى تجارته لانكم خسرتم الجنة وحصل
لكم النار ثم قال فان يصبروا فالنار مثوى لهم قال البلخى معناه فان يصبروا والعاقبة
فالنار مصيرهم وقال قوم معناه وان يصبروا فى الدنيا على المعاصى فالنار مثواهم

وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وقرأ ابو عمرو ومعناه ان طلب منهم العتبى لم يعتبوا اى لم يرجعوا ولم
ينزعوا وقال قوم المعنى فان تصبروا او تجزعوا فالنار مثوى لهم وان تستعتبوا معناه
فان يجزعوا فيستعتبوا فما هم من المعتبين لانه ليس يستعتب الا من فيجزع مما قد اصابه
فطلب العتبى حينئذ كما قال اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم فمعنى الاية
فان تصبروا على ما هم فيه فمقامهم فى النار وان تستعتبوا اى وان تطلبوا العتبى
فهى الرضا فما هم من المعتبين اى ليس يرضى عنهم لان السخط من الله تعالى بكفرهم
قد لزمهم وزال التكليف عنهم وليس لهم طريق الى الاعتاب والعتب الذي قبل عتابه وجب
الى ما سال وقوله وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم قال
الحسن معناه خلينا بينهم وبين الشياطين الذين اغووهم ودعوهم الى ما استوجبوا
العقاب به ولم يمنعهم منهم جزاء على ما استحقوه من الخذلان فمعنى قيضنا خلينا ومكنا
وقال الجبائي التقييض الى المرأة فالمرأة الى الرجل وكحاجة الغنى الى الفقير
يستعمله وحاجة الفقير الى ان يستعمله الغنى فعبرة الناس احواج بعضهم الى بعض
وقال قوم التقييض المماثلة والمقايضة المعاوضة قال الشماخ تذكرت لما اثقل
الدين كاهلي وخاب بزيد تأد وتعيد بالرجال الاصم واعوز فلت بقايضا بهم ابدانى بذلك
الناس معشرا فالمعنى على هذا انا نضم الى كل كافر قرينا له من الجن مثله فى الكفر
فى نار جهنم كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فزينوا لهم
يعنى فعل اهل الفساد الذين فى زمانهم وفعل من كان قبلهم وقيل ما بين ايديهم
من امر الدنيا وما خلفهم من امر الاخرة فى قول الحسن والسدى وذلك بدعائهم
الى انه لا بعث ولا جزاء وقال الفراء فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الاخرة فقالوا
لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وما خلفهم من الدنيا فزينوا لهم اللذات وجمع الاموال
وترك انفاقها فى سبيل الله وقيل زينوا لهم اعمالهم التى يعملونها وهى ما بين ايديهم

معناه احواج بعض العباد الى بعض كحاجة الرجل

فهو له قرين

وما خلفهم يعنى ما عزموا عليه ان يعملوه وقوله وحق عليهم القول يعنى وجب عليهم القول
بمصيرهم الى العذاب الذي كان اخبر انه يعذب به من عصاه فى امم قد خلت من قبلهم من
الجن والانس اى حق على هؤلاء الكفار وعلى الامم من الجن والانس اذا عصوا الله القول
انهم يعاقبون ثم قال تعالى انهم كانوا خاسرين خسروا الجنة وحصلت لهم النار
قوله تبارك وتعالى، وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ
الذي كانوا يعملون ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا
يجحدون وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما
تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل
عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون،
خمس آيات بلا خلاف حكى الله تعالى عن الكفار انه يقول بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا
القرآن الذي يقرأ ويتلى ولا تصغوا اليه والغوا فيه لكى تغلبوه او تعجزوا ان يغلبوه
فاللغو هو الكلام الذي لا معنى له يستفاد والغاء الكلمة اسقاطها لغا يلغو
لغوا ولغا، قال الراجز من اللغا ورفث التكلم واذا كانت جملة الكلام لغوا لا فائدة
فيه لم يجز واذا كان تاكيدا لمعنى تقدم وان لم يكن له معنى فى نفسه مفرد حسن لانه يجرى
مجرى المتمم للكلمة التى تدل بمتاملة المعنى وان لم يكن له معنى فى نفسه وقال مجاهد قالوا
خلطوا عليهم فى القول بالمكاء والصفير وقال غيره هو الضجيج والصياح واعلم جدل وقع
قال فلنذيقن الذين كفروا بالله وجحدوا آياتنا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ
الذي كانوا يعملون قيل معناه اسوأ الذي كانوا يعملون اى المعاصى من جملة ما كانوا
يعملون دون غيرها مما لا يستحق به العقاب وقال قوم خص بذلك الكبائر تجرلا
وتغليظا بعينها واقتصر فى الصغير على الجملة فى الوعيد ثم قال تعالى ذلك يعنى

١٣٨

رجز

ما نفعل الوعيد به جزاء اعداء الله الذين عادوه بالعصيان وكفروا به وعادوا اوليآءه من
الانبياء والمؤمنين وهي النار واكون فيها فالنار رفع بانه بدل من قوله ذلك جزاؤهم هو
لهم فيها دار الخلد اى منزل دوام وتابيد جزاء لهم وعقوبة على كفرهم به تعالى في الدنيا
وجحدهم لاياته قال الفراء هو كقولهم لهم في الكوفة منها دار صالحة فالدار هي الكوفة
فحسن ذلك لما اختلف لفظاها فكذلك قوله ذلك جزاء اعداء الله النار ثم قال
لهم فيها دار الخلد وهي النار بعينها وفي قراءة عبد الله ذلك جزاء اعداء الله النار
دار الخلد هذا بين لا شئ فيه لان الدار هي النار واعداء الله العصاة الذين يعادون
الله عز وجل وليس هو من عداوة الانسان بعينه الا ان يراد انهم يعملون عمل المعادي
كما قال يحادون الله والذين اسوا ثم حكى ما يقول الكفار ايضا فانهم يقولون ربنا
ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس قيل اراد به ابليس الابالسة وهو راس الشياطين
وابن آدم الذي قتل اخاه وهو قابيل روى ذلك عن علي عليه السلم لانه اسس الفساد
في ولد آدم وقيل هم الدعاة الى الضلال من الجن والانس وقوله نجعلهما تحت
اقدامنا انهم لشدة عداوتهم وبغضهم لهم بما اضلوهم واغووهم يتمنون ان يجعلوهما
تحت اقدامهم ويطأوهم ليكونا من الاسفلين وقيل المعنى فيكونا في الدرك
الاسفل من النار وقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اخبار منه تعالى
ان الذين يقرون بلسانهم بتوحيد الله ويصدقون انبياءه ويعترفون بالله يقولون
ربنا الله ثم استقاموا اى استمروا على ما توجبه الربوبية وقال الحسن وقتادة وابن
زيد معناه ثم استقاموا على طاعة الله تتنزل عليهم الملائكة قال مجاهد والسدي
يعني عند الموت وقال الحسن تتنزل عليهم الملائكة تستقبلهم اذا خرجوا من قبورهم
في الموقف بالبشارة ويقولون لهم لا تخافوا من عقاب الله ولا تحزنوا لفوت الثواب
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها في دار الدنيا جزاء على الطاعات وموضع لا تخافوا

الفنصب

١٣٦

النصب وتقديره تتنزل عليهم الملائكة بان لا تخافوا فلما حذف الباء نصب وفي قراءة عبد الله
لا تخافوا بلا ان وتقديره يقولون لهم لا تخافوا وقال مجاهد معنى لا تخافوا على ما
تقدمون عليه من امر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتموه في دار الدنيا وقيل البشرى
في ثلاثة مواضع عند الموت وفي القبر وفي البعث قوله تبارك وتعالى
نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم
فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل
صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما
يلقاها الا ذو حظ عظيم خمس ايات لما حكى الله تعالى ان الملائكة تنزل على المؤمنين
المستقيمين على طاعاته التاركين لمعاصيه وتبشرهم بالجنة وتؤمنهم من عقاب النار
ذكر ايضا انهم يقولون لهم مع ذلك نحن معاشر الملائكة اولياؤكم وهو جمع ولي
اى انصاركم واحباؤكم في الحياة الدنيا واولياؤكم ايضا في الآخرة فعنى ذلك البشارة بنيل
مثناهم في الجنة وتفيد الاية وجوب اعتقاد تولي الملائكة الى من كان مستقيما على الطاعة
وفيها حجة على شرف الاستقامة بالطاعة على كل ما عداه من اعمال العباد بتولي الملائكة
لصاحبه من اجله وقوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم يعني ما تشتهونه وتتمنونه
من المنافع والملاذ حاصلة لكم ولكم فيها ايضا ما تدعون اى ما تستدعونه وقيل
معناه ما تدعي انه لك فهو لك بحكم الله لك بذلك وقوله نزلا من غفور رحيم تقديره
انزلكم ربكم فيها ما تشتهون من النعيم نزلا فيكون نصبا على الحال ويقال به ما لكم
فيها ما تشتهي انفسكم نزلا نزلا كما تقول جاءني زيد مشيا مشيا وقال الحسن
نزلا من غفور رحيم لمن تاب وقيل معناه ان هذا الموعود به مع جلالته في نفسه لجلالة
لعطيه بعد ان غفر الذنب حتى صار بمنزلة ما لم يكن رحمة منه لعباده وهو اهنا الكتب

المؤمنين بمودة الملائكة لهم وفي الاية بشارة لهم
على المصدر ويجوز ان يكون نصبا
فهو اهنا واكمل السرور به

وأكمل البشر وبه فعله ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من
المسلمين صورته صورة الاستفهام وهب هو على الغير ومعناه النفي وتقديره ولا أحد
أحسن قولاً ممن دعا إلى طاعة الله وأضاف إلى ذلك أن يعمل الأعمال الصالحات ويقول
مع ذلك إنني من المسلمين الذين استسلموا لأمر الله وانقادوا لطاعته وقيل المعني بالآية
النبي عليه السلام لأنه الداعي إلى الله وروي الحارث في المؤذنين وفي الخبر لا تزعل من
يقول أنا مسلم إن شاء الله من أصحاب عبد الله بن مسعود لأنه لا أحد أحسن قولاً منه يجب
عليه أن يقول أني مسلم قطعي في الحكم إذا لم يكن فاسقاً ثم قال ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة أي لا يتماثلان ودخلت لا في ولا السيئة تأكيداً وقيل دخلت لتحقيق أنه لا
يساوي ذا ذاك ولا ذاك ذا هو بمعنى المساواة وقوله ادفع بالتي هي أحسن
أمر للنبي عليه السلام أن يدفع بالتي هي أحسن وقيل معنى الحسنة هاهنا المداراة والسيئة
المراد بها الغلظة فأدب الله عباده بهذا الأدب ثم قال فإذا الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولي حميم معناه دار العدو ولا تغلظ عليهم حتى كأن عدوك الذي يعاديك في الدين
بصورة أولك من حسن عشرتك له وبذلك له ويعود لك انقياده وتك لك أن يصير
لك كالولي الحميم وقيل المراد أن من أساء إليك فأحسن إليه ليعود عدوك وليك وكأنه
حميمك والحميم القريب الذي يحمى لغضب صاحبه وقوله وما يلقاها إلا الذين صبروا
معناه ما يعطى هذه الخصلة من دفع السيئة بالحسنة إلا ذو حظ من الخير عظيم وقيل معناه
وما يلقى البشرى بالجنة والأمان من العذاب إلا الذين صبروا على طاعة الله والجهاد
في دينه وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم من الثواب والخير وعد الله تعالى الجم لا يلقى
مثل ما لقي من صبر عليها فيهم من لم يلقه كما يلقاه من صبر وقيلوا ما اسم القدير
قوله تبارك وتعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله إنه هو السميع العليم ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا

١٢٠

للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون فإن استكبروا
فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ومن آياته
أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي
أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون
علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون
بصير حتى آيات بالخلاف قوله وإما ينزغنك أصله إن الشرط وزيد
عليها ما تأكيداً فأشبه ذلك القسم فلذلك دخلت نون التأكيد في قوله ينزغنك
كما تقول والله ليخرجن والنزغ الخنس ما يدعو إلى الفساد ومنه قوله من بعد أن
نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي بإيقاع العداوة بين من يجب ولاؤه يقال نزغ
اخوتي فنزغ الشيطان وسوسته ودعاؤه الى معصيته
ينزغ نزغاً فهو نازغ بين الرجلين وفلان ينزغ فلاناً كأنه ينخسه بما يدعو إلى خلاف
الصواب والمعنى وإن ما يدعوك إلى المعاصي نزغ من الشيطان بالإغواء والوسوسة فاستعذ
بالله ومعناه اطلب الاعتصام من شره من جهة الله واحذره منه وامتنع من جهته بقول
الله نحن نستعيذ بالله من شر كل شيطان وشر كل ذي شر من إنس وجان وقوله
كل شيطان إنه هو السميع العليم يعني إنه سميع لأقوالكم من الاستعاذة وغيرها عليم
بضمائركم قادر على إجابة دعائكم وقوله ومن آياته الليل والنهار والشمس
والقمر معناه من أدلته وحججه الباهرة الدالة على توحيده وصفاته التي باين بها
خلقه الليل بذهاب الشمس عن بسيط الأرض والنهار بطلوعها على وجهها بالمقادير
التي أجراها عليه وديانته بما يقتضي تدبير عالم بها قادر على تصريفها لأن ذلك
لا يقدر عليه غير الله والشمس والقمر وجه الدلالة فيهما أن الأجرام الثقيلة لا تقف
بغير عمد ولا تتصرف على غير قرار ولا تهتدي إلا أن نصر فيهما قادر ليس كالقادرين من
الأجسام التي تحتاج إلى ما تقلها وتمسكها من غيرها وكل جسم يقبل تصرف من غير حاجة

تعرف هو الله تعالى والادلة الدالة على الله على وجهين احدهما ما لا يقدر عليه الا هو كخلق الحياة والقدرة والاجسام وغير ذلك والاخر اذا وقع على وجه مخصوص لا يتاتى من القادر بقدرة وان كان جنسه مقدورا للعباد كتحريك الارض من غير عمد وتحريك الشمس والقمر بكونهما مرة صاعدة ومرة هابطة ومرة طالعة ومرة غاربة مع نقل ابو اسحاق تعبدها من عباد لها اعظم دلالة على ان لها مصرفا ومدبرا لا يشبهها ولا تشبهه ثم قال تعالى لا تسجدوا للشمس ولا للقمر كما تفعله قوم من المجوس بل اسجدوا لله الذي خلقهن وانما قال خلقهن وانما قال خلقهن لانه اجرى مجرى جمع التكسير ولم يغلب المذكر على المؤنث لانه فيما لا يعقل وقال الزجاج تقديره الذي خلق هذه الايات ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم تقصدون بعبادتكم الله فوجهوا العبادة اليه دون الشمس والقمر ثم قال فان استكبروا يعني هؤلاء الكفار اي تكبروا واعن توجيه العبادة الى الله وابوا الا عبادة الاصنام فالذين عند ربك يعني من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون اي لا يفترون من عبادته ولا يملونه والسجود عند اصحابنا عند قوله ان كنتم اياه تعبدون وهو مذهب ابي عمرو بن العلاء وعند الباقين عند قوله وهم لا يسامون ثم قال تعالى ومن اياته اي من ادلته الدالة على توحيده واخلاص العبادة له انك ترى الارض خاشعة يعني محترسة متهشمة في قول قتادة والسدي والخاشع الخاضع فكان حالها حال الخاضع المتواضع فاذا انزلنا عليها الماء يعني المطر اهتزت اي تحركت بالنبات وربت قال السدي معناه انتفخت وارتفعت قبل ان تنبت وقيل وربت يعني عظمت ومعنى ربت ارتفعت ذكره الزجاج ثم قال ان الذي احياها يعني من احيا الارض بما انزل من المطر حتى نبتت لمحيي الموتى مثل ذلك بعد ان صاروا امواتا ويرد فيها الارواح لانه قادر على ذلك ومن قدر على ذلك قدر على هذا لانه ليس احدهما باعجب من الاخر انه على كل شيء يصح ان يكون مقدورا له قادر لا يتناهى مقدوراته ثم قال ان الذين

يلحدون في اياتنا ومعناه الذين يميلون عن الحق في ادلتنا يقال الحد يلحد الحادا وقيل لحد يلحد ايضا وقال مجاهد معناه ما يفعلونه من المكاء والصفير وقال ابو روق يعني الذين يعقون فيه ولا يخفون علينا بل نعلمهم على التفصيل لا يخفى علينا شيء من احوالهم ثم قال على وجه الانكار عليهم والتعجيب لفعلهم والتهديد لهم افمن يلقى في النار جزاء على كفره ومعاصيه خير ام من ياتي امنا من عذاب الله جزاء على معرفته بالله وعمله بالطاعات ثم قال اعملوا ما شئتم ومعناه التهديد وان كان بصورة الامر لانه تعالى لم يرضنا ان يفعل ما شئنا بل نهانا عن القبائح كلها ثم قال انه بما تعملون بصير اي عالم بافعالكم لا يخفى عليه شيء منها فيجازيكم بحسبها قوله تبارك وتعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ خمس ايات قرا اعجمي وعربي على الخبر حفص والحلواني عن هشام وابن مجاهد من قبل في غير رواية ابن الحالي عن بكار الباقون بهمزتين وخففهما اهل الكوفة الا حفصا وروح الباقون بتخفيف الاولى وتليين الثانية وفصل بينهما بالف اهل المدينة الا ورشا وابو عمرو ومن تواتر لفظ الاستفهام اراد الانكار فادخل حرف الاستفهام على الف اعجمي وهي الف قطع ومن حققها فلانها الاصل ومن خففها او فصل بينهما فلكراهة بالف اجتماع الهمزتين ومن قراه على الخبر جاز معنى هلا كان النبي عربيا والقران اعجميا او النبي اعجميا والقران عربيا فكان يكون اظهر في باب الاعجاز يقول الله تعالى مخبرا ان الذين كفروا بالذكر الذي هو القران وجحدوه وسمي القران ذكرا لانه يذكر به وجوه الدلائل المؤدية الى الحق

والمعاني التي يعمل عليها فيه واصل الذكر ضد السهو وهو حضور المعنى للنفس لما جاءهم اي
حين جاءهم وخبر ان محذوف وتقديره ان الذين كفروا بالذكر هلكوا او شقوا او نحوه
وقيل تقديره ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به فحذف لدلالة الكلام عليه وقيل
خبره اولئك ينادون من مكان بعيد وقيل قوله وانه لكتاب عزيز في موضع الخبر وتقديره
الكتاب الذي جاءهم عزيز وقوله وانه الهاء كناية عن القرآن والمعنى وان القرآن لكتاب
عزيز بانه لا يقدر احد من العباد على ان ياتي بمثله ولا يقاومه في حججه على كل مخالف فيه
وقيل معناه انه عزيز باعزاز الله عز وجل اياه اذ حفظه من التغيير والتبديل وقيل
هو عزيز حيث جعله على اتم صفة المحكم وقيل معناه انه منيع من الباطل بما فيه من حسن البيان
ووضوح البرهان لان احكامه حق يقتضي صحتها العقل وقوله لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه فيه قيل في معناه اقوال خمسة احدها انه لا يتعلق به الشبهة من طريق
المشاكلة ولا الحقيقة من جهة المناقضة وهو الحق المخلص الذي لا يليق به الدنس والثاني
قال قتادة والسدي معناه لا يقدر الشيطان ان ينقص منه حقا ولا يزيد فيه باطلا
الثالث ان معناه لا ياتيه بشيء يوجب بطلانه مما وجد قبله ولا معه ولا مما يوجد بعده
وقال الضحاك لا ياتيه كتاب من بين يديه يبطله ولا من خلفه اي ولا حديث من بعده يكذبه
وقال ابن عباس معناه لا ياتيه من التوراة والانجيل ولا من خلفه اي لا يجيء كتاب من بعده
الرابع قال الحسن معناه لا ياتيه الباطل من اول تنزيله ولا من آخره والخامس ان معناه
لا ياتيه الباطل في اخباره عما تقدم ولا من خلفه ولا عما تأخر ثم وصف تعالى القرآن بانه
تنزيل من حكيم حميد فالحكيم هو الذي افعاله كلها حكمة فيكون من صفات الفعل ويكون
بمعنى العالم بجميع الاشياء باحكامها فيكون من صفات الذات والحميد هو المحمود الذي يحق
الحمد له والشكر على جميع افعاله لان افعاله كلها نعمة يجب بها الشكر وقوله ما يقال لك الا ما قد
قيل للرسل من قبلك قيل في معناه اقوال احدها ان الدعاء الى الحق في عبادة الله تعالى

ولزوم

ولزوم طاعته والثاني ما حكاه تعالى عنه من ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فيكون
على جهة التعليق بالوعيد والثالث قال السدي وقتادة هو تعزية للنبي عليه السلام بان ما
يقول لك المشركون مثل ما قال من قبلهم من الكفار لانبيائهم من التكذيب والجحد لنبوتهم
وقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم اي وقد يفعل العقاب بالعصاة من الكفار
قطعا ومن الفساق على تجويز عقابهم فلا ينبغي ان يغتروا فيجب عليهم ان يجتنبوا ارتكاب
المعاصي وفعل الطاعات ثم قال تعالى ولو جعلناه يعني الذكر الذي جاءهم ذكره قرآنا
اعجميا اي مجموعا بلغة العجم يقال رجل اعجمي اذا كان لا يفصح وان كان عربي النسب وعجمي
اذا كان من ولد العجم وان كان فصيحا بالعربية قال ابو علي عجمان يقال رجل اعجمي يراد به
العجم بغير ياء كما يقال احمري واحمر ودواري ودوار لقالوا لولا فصلت آياته ومعناه هلا
فصلت آياته وبينت وقالوا أاعجمي وعربي او قالوا القرآن اعجمي ونحن عرب ذكره سعيد بن جبير
وقال السدي لقالوا اعجمي وقوم عرب ومن قرأ على الخبر حمله على انهم يقولون ذلك مخبرين
ومن قرأ على الاستفهام اراد انهم يقولون ذلك على وجه الانكار وانما قيل للعجمي في
الآية بالعربي وخلاف العربي العجمي لان الاعجمي في انه لا يبين مثل العجمي عندهم من حيث
اجتمعا في انهما لا يبينان قوبل به العربي في قوله اعجمي وعربي وحكي ان الحسن قرأ اعجمي
بفتح العين قابل بينه وبين قوله وعربي ثم قال الله تعالى لنبيه قل لهم يا محمد هو يعني القرآن
للذين آمنوا بالله وصدقوا بتوحيده واقروا بنبوة نبيه هدى يهتدون بها وشفاء من سقم
الجهل والذين لا يؤمنون بالله ولا يصدقون بتوحيده في آذانهم وقر يعني ثقل اي هم
بمنزلة ذلك من حيث لم ينتفعوا بالقرآن فكانهم صم او في آذانهم ثقل وهو عليهم عمى حيث
ضلوا عنه وحاروا عن تدبره فكانه عمى لهم وقوله اولئك ينادون من مكان بعيد لا يسمع
الصوت ولا يفهم المعنى من حيث لم ينتفعوا به وقال مجاهد لبعده من قلوبهم وقال الضحاك
ينادي الرجل في الآخرة باشنع اسمائه وقيل معناه اولئك لا يفهمون ذلك كما يقال لمن لا يفهم

على وجه المثل فكانهم الذين ينادون من مكان بعيد

شيئا كانك تنادي من مكان بعيد ثم اقسم تعالى بانه آتى موسى الكتاب يعني التوراة فاختلف فيه
لانه آمن به قوم وجحد اخرون تسلية للنبي عليه السلام عن جحود قومه وانكارهم نبوته ثم قال
ولولا كلمة سبقت من ربك في انه لا يعاجلهم بالعقوبة وانه يؤخرهم الى يوم القيامة لقضي
بينهم اي لفصل بينهم بالواجب من الحكم ثم اخبر عنهم فقال وانهم لفي شك منه مما ذكرناه
مريب يعني اقبح الشك لان الريب اقطع الشك وفي ذلك دلالة على اصحاب المعارف لانه الريب
تعالى بين انهم في شك وانهم يواخذون مع ذلك **قوله سبحانه تبارك وتعالى**
من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد اليه يرد علم الساعة
وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم
اين شركاي قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل
وظنوا ما لهم من محيص لا يسام الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس
قنوط ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة
قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا
ولنذيقنهم من عذاب غليظ آية حتى ايات قرا اهل المدينة وابن عامر وحفص ثمرات
على الجمع الباقون ثمرة على التوحيد من قرا على الجمع فلاختلاف اجناس الثمار ولان في المصاحف
مكتوبا بالتاء ومن وحد قال الثمرة تفيد الجمع والتوحيد فلا يحتاج الى الجمع ولان في
في مصحف عبد الله مكتوب بالهاء والاكمام جمع كم في قول الفراء وكمة في قول ابي عبيدة وهي
الكفرى وقال ابن خالويه يجوز ان يكون الاكمام جمع كم وكم جمع كمة فيكون
جمع الجمع يقول الله تعالى من عمل صالحا اي فعل فعلا هو طاعة فلنفسه لان ثوابه واصل
اليه وهو المنتفع به دون غيره ومن اساء يعني فعل فعلا قبيحا من الاساءة الى غيره او فيما
فعلى نفسه لان وبال ذلك وعقابه يلحقه دون غيره ثم قال تعالى على وجه النفي عن نفسه
ما لا يليق به من فعل القبيح والمنع به وما ربك بظلام للعبيد وانما قال بظلام على وجه

اي وليس بذي

المبالغة في نفي الظلم عن نفسه مع انه لا يفعل مثقال ذرة لامرين احدهما انه لو فعل قليل
الظلم وهو غير محتاج اليه مع علمه بقبحه وبانه غني عنه لكان ظلاما والثاني انه على طريق الجواب
لمن زعم انه يفعل ظلم العباد فقال ما هو بهذه الصفة التي يتوهمها الجهال فيأخذ احدا
بذنب غيره والظلام هو الفاعل للموصوف بظلم والظالم من فعل الظلم وظالم صفة
ذم وكذلك قولنا فاعل الظلم هما سواء وكذلك آثم فاعل الاثم ومسيء فاعل الاساءة وقوله
اليه يرد علم الساعة معناه اليه يرد علم الساعة التي يقع فيها الجزاء للمطيع والعاصي
فاحد ردها فقيل انه يلي كما يرد اليه علم اخراج الثمار وما يكون من الاولاد والنتاج فذلك
غائب عنكم فهذا شاهد الحكم فقد دل عليه ولزم فكل من سئل متى قيام الساعة يجب
ان يقول الله تعالى العالم به حتى يكون قد رده الى الله وما تخرج من ثمرة من اكمامها
معناه وعنده علم ذلك والاكمام الاوعية التي تكون فيه وقيل الاكمام جمع كمة
وهو الظرف المحيط بالثمرة وقال الحسن الاكمام هنا ليف النخل وقيل من اكمامها
معناه خروج الطلع من قشره وما تحمل من انثى وما تضع الا بعلمه الا في الوقت الذي علمه
انه ان تضع فيه وقوله ويوم يناديهم اين شركاي اي يوم يناديهم ينادي اين شركائي الذين
كنتم تعبدونهم من دون الله وتوجهون العبادة اليهم قالوا آذناك ما منا من شهيد
معناه انهم يقولون اعلمناك ما منا من شهيد لما انهم ثم بين ذلك فقال وضل عنهم ما كانوا
يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص قال السدي معناه ايقنوا وقال ابن عباس
آذناك معناه اعلمناك وقيل المنادي هو الله تعالى وقال السدي ما منا من شهيد ان
لك شريكا وقيل معنى آذناك اقررنا لك ما منا من شهيد ما لا معك وقيل قوله آذناك
من قول المعبودين ما منا من شهيد لهم بما قالوا وقيل من قول العابدين ما منا من شهيد
بانهم آلهة وقال آخرون يجوز ان يكون العابدون والمعبودون يقولون ذلك وقوله
وظنوا ما لهم من محيص اي ايقنوا ان ليس لهم مخلص ودخل الظن على ما التي للنفي كما يدخل

لكان ظالما وما هو متصف بهذه الصفة لانه غني

١٤٣

اي وعنده تعالى علم ما تحمل كل انثى من حمل ذكرا كان او انثى ولا تضع الانثى الا بعلمه

علق على لام الابتداء وكلاهما أصله الكلام وقوله لا يسأم الإنسان من دعاء الخير أي لا يمل

الإنسان من طلب المال وصحة الجسم وهو قول ابن زيد

وقال بعضهم معناه لا يمل الإنسان من الخير الذي يصيبه وإن مسه الشر أي نالته ذهاب
مال أو سقم في جسمه فيؤوس قنوط أي يقنط من رحمة الله وييأس من روح الله ففي ذلك
إخبار عن سرعة تحول الإنسان وتنقله من حال إلى حال ثم قال تعالى ولئن أذقناه رحمة
يعني لئن أذقنا الإنسان نعمة أو أنلناه إياها من بعد ضراء أي من بعد شدة لحقته ليقولن
هذا لي قال مجاهد يقول أنا حقيق بهذا العمل وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن
لي الحسنى يعني الجنة فقال الله تعالى على وجه التهديد لمن هذه صفته فلننبئن الذين
كفروا أي فلنخبرنهم يعني الكفار بعد أن نعلمهم بما عملوا من كفرهم ومعاصيهم ثم نجازيهم
عليها بأن نذيقهم من عذاب غليظ قدر ما يستحقونه **قوله تبارك وتعالى**
وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض
قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه
على كل شيء شهيد ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط آية بلا خلاف
أخبر الله تعالى عن جهل الإنسان الذي تقدم وصفه بمواقع نعم الله وما يجب عليه من
الاعتراف بتلك بتركه النظر المؤدي إلى معرفته فقال وإذا أنعمنا على الإنسان بنعمة من
إعطاء مال أو ولد أو صحة جسم أعرض عن القيام بشكر الله على ذلك حسبما يلزمه ونأى
بجانبه كبراً وتجبراً عن الاعتراف بنعم الله وقيل معناه وباعد عن الواجب وإذا مسه الشر

أي بعد بجانبه

يعني إذا ناله مرض أو مصيبة في مال أو نفس فذو دعاء عريض قال السدي يدعو
الله كثيراً عند ذلك وإنما قال فذو دعاء عريض ولم يقل طويل لأنه أبلغ لأن العرض
يدل على الطول ولا يدل الطول على العرض إذ قد يصح طويل ولا عرض له ولا يصح عريض
ولا طول له لأن العرض الانبساط في خلاف جهة الطول والطول الامتداد في أي جهة كان

دن

١٤٢

وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة أنه ليس لله على الكافر نعمة لأنه أخبر تعالى عنه بأنه
ينعم عليه وأنه يعرض عن موجبها من الشكر ويدعو عند الشدة بحجة عليه لأنه يجب من أجل
قلة صبره على الشدة أن يتذكر بخضوعه إلى النعمة فقال الله تعالى لهم على وجه الاحتجاج
عليهم قل أرأيتم إن كان هذه النعمة من عند الله ثم كفرتم به أي وجحدتموه من أضل ممن هو في
شقاق بعيد أي في مشاقة الله بخلافه له بعيد عن طاعته والشقاق الميل إلى شق العداوة
لأهل الحق ولذلك كان لا أحد أضل ممن هو في شقاق بكفره فيه فهم من كان عليه كما قال
علي عليه السلام يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوي الأخلاق وقيل
الشقاق والتولي للعداوة إظهاراً وقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم معناه أن
الدليل في آفاق السماء بسير النجوم وجريان الشمس والقمر فيها بتقدير وفي أنفسهم جعل
كل شيء لما يصلح له من آلات الغذاء ومخارج الأنفاس ومجاري الدم وموضع العقل والفكر
وسبب الأفهام وآلة الكلام وقال السدي آياتنا في الآفاق فتح أقطار الأرض على أهل
الإسلام وفي أنفسهم فتح مكة وقيل نريهم آياتنا في الآفاق بصدق ما يخبر به النبي صلى الله عليه وآله
من الحوادث عنها وما يحدث من أنفسهم فإذا رأوا ذلك تنبهوا وعلموا أن خبره حق وأنه من قبل
الله تعالى وقوله أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد أي هو عالم بجميع الأشياء والمعنى

ذلك والباء زائدة والتقدير أولم يكفهم ربك أنه عالم بجميع

ألبتة في الله كفاية في معاقبة هؤلاء الكفار على كفرهم إذ كان عالماً بكل شيء مشاهداً له
لجميع ما يفعلونه قادراً على مجازاتهم عليه وكأنه شهيد على ذلك بأنه شهيد على جميع الحوادث
ومشاهد لجميعها وعالم بها لا يخفى عليه موضعها وقوله أنه يحتمل أن يكون موضعه رفعاً
بيكف ويحتمل أن يكون جراً بالباء وتقديره بأنه على كل شيء شهيد ثم قال ألا إنهم في مرية
من لقاء ربهم أي هم في شك من لقاء ثواب ربهم وعقابه لأنهم في شك من البعث والنشور
ألا إنه بكل شيء محيط أي هو عالم بكل شيء قادر عليه **قوله تبارك وتعالى**

سورة حم عسق

هي مكية في قول قتادة ومجاهد وليس فيها ناسخ ولا منسوخ فهي ثلاث وخمسون

آية في الكوفي وخمس في البصري والمدنيين قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم حم آيتان في الكوفي وأربع فيما سوى ذلك قال أبو عبد الله ابن خالويه سألت ابن مجاهد فقلت إن القاف أبعد من الميم فلم أظهر حمزة النون عند الميم في طسم ولم يظهرها عند القاف في حم عسق فقال والله ما فكرت في هذا قط قال أبو عبد الله الحجة في ذلك أن طس أول سورة النمل ثم جاءت سورتان فيهما الميم فيتبين لهم أن الميم زائدة على هجاء السين واتفق أهل الكوفة على أن لم يعدوا السين من حروف في الكلام هذا على الأصل وأما الحجة من جهة اللفظ فإن النون تدغم في الميم وتخفى عند القاف والخفي بمنزلة المظهر فلما كره التشديد في طسم أظهر ولما كان الخفي بمنزلة الظاهر لم يحتج إلى إظهارها عند القاف قال الفراء ذكر عن ابن عباس أنه قال كل جماعة تكون حم عسق بلا عين وقال السين كل فرقة تكون والقاف كل جماعة تكون قال الفراء وكانت في مصحف عبد الله مثل ذلك قرأ ابن كثير وحده يوحى إليك بفتح الحاء على ما لم يسم فاعله فعلى هذا يكون اسم الله مرتفعا بمحذوف يدل على المذكور قال الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح

أي ليبكه ضارع فيكون التقدير يوحي إليك يوحي الله قال أبو علي ذكر أن مثل هذه السور أوحي إلى من تقدم من الأنبياء فعلى هذا يكون التقدير يوحى إليك هذه السورة كما أوحي إلى الذين قال الزجاج والفراء يقال إن حم عسق أوحيت إلى كل نبي كما أوحي إلى محمد قال ابن عباس وبها كان علي عليه السلام يعلم الفتن وقرأ الباقون يوحي بكسر الحاء والجيم فيكون على هذا اسم الله

مرتفعا بأنه فاعل يوحي وقرئ شاذا بالنون مع كسر الحاء فعلى هذا يحتمل رفع اسم الله وجهين أحدهما أن يكون رفعا بالابتداء والثاني أن يكون مرتفعا بفعل مقدر يدل عليه يوحي الأول كما قدمناه في فتح الحاء ويجوز أن يكون بدلا من الضمير ويجوز أن يجعل اسم الله خبر ابتداء محذوف وتقديره هو الله العزيز الحكيم وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر تكاد بالياء ينفطرن بالياء والنون لأن تأنيث السموات غير حقيقي وقد تقدم الفعل وكذلك أنث ينفطرن لما تأخر الفعل عن السماوات وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة في رواية حفص تكاد بالتاء لتأنيث السموات وينفطرن بالياء والنون لما قدمناه وقرأ نافع والكسائي يكاد بالياء لما قدمناه من أن التأنيث غير حقيقي يتفطرن بياء وتاء ويتفطرن في معنى ينفطرن وهو مضارع فطرته فتفطر وفطرته بالتخفيف فانفطر ومعنى يتفطرن يتشققن قيل إنما عدت حم وليس آية ولم يعد طس لأن طس لما انفرد عن نظيره من طسم فأشبه الاسم حمل عليه ولما لم ينفرد حم عن نظيره جرى عليه حكم الجملة التامة التي تعد آية من أجل أنها آية فلما اجتمع في طس الانفراد عن النظير وأشبه قابيل وكل واحد من هذين الوجهين يقتضي عدا له حكم طسم وجب الخلاف ولما انفرد حاميم بالترجمة فقط لم يجب الخلاف كما وجب فيما اجتمع فيه شيئان وفخم من الفائدة تعظيم الله عز وجل للسورة وتسميتها تشريفا لها وتنويها باسمها وإجراؤها في التفضيل مجرى ما يفعل في فضله على ما لا يعقل من الأجسام والأعراض وقيل إن حم عسق انفردت بأن معانيها أوحيت إلى سائر الأنبياء فلذلك اختصت بهذه التسمية وقيل إنما فضل حم عسق من سائر الحواميم لعسق لأن جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به إلا هذه السورة فإنه دل عليه دلالة التضمين بذكر الوحي الذي يرجع إلى الكتاب والوحي أعم من الكتاب في معناه إلا أنه دال في هذا الموضع على الكتاب بهذه الصفة وقوله كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك قيل في المشبه به في قوله كذلك وجهان أحدهما

كالوحي الذي تقدم يوحي اليك قال الجبائي هذا الوحي الذي يأتي في هذه السورة يوحي اليك
لان ما لم يكن حاضرا يراه صلح فيه هذا الضرب وفيه وذلك ليعدل نفسه ومعنى
التشبيه في كذلك اي بعضه كبعض في انه حكمة وصواب بما تضمنه من الحجج والمواعظ
والعقائد التي يعمل عليها في الدين والى الذين من قبلك معناه مثل ذلك اوحي الى الذين
من قبلك من الانبياء وتعبدهم بشرايعه كما تعبدك بمثل ذلك وقوله العزيز الحكيم
معناه القادر الذي لا يغالب الحكيم في جميع افعاله ومن كان بهاتين الصفتين خلصت
له الحكمة في كل ما يأتي به لان العزيز الذي لا يغالب الغني الذي لا يحتاج الى غيره والحكيم
ان يمنعه مانع عما يريده وهو الحكيم العليم بالحسن لا يخفى عليه شيء منها لا يجوز ان
يأتي الا بالحكمة فاما الحكيم فمحتاج فلا يوثق بكل ما يأتي به الا ان يدل على ذلك الحكيم
الغني وقوله له ما في السموات والارض معناه انه مالكهما ومدبرهما وله التصرف
فيهما ولا احد له منعه من ذلك وهو العلي مع ذلك معنى المستعلي على كل قادر العظيم
في صفاته التي لا يشاركه فيها احد وقوله تكاد السموات يتفطرن من فوقهن قيل
في معناه قولان احدهما قال ابن عباس وقتادة والضحاك يتفطرن من فوقهن من عظمة
الله وجلاله الثاني ان السموات تكاد تتفطرن من فوقهن استعظاما للكفر
بالله والعصيان له مع حقوقه الواجبة فذلك على وجه التمثيل لان السموات لا تعقل شيئا
او تكون شيئا فاما المراد ان السموات لو انشقت لمعصية استعظاما لها او لشيء من الاشياء
لتفطرت استعظاما للكفر من كفر بالله وعبد معه غيره وقوله والملائكة يسبحون بحمد
ربهم ينزهونه عما لا يجوز عليه في صفاته ولا يليق به من افعاله ويستغفرون لمن في الارض
من المؤمنين وفي ذلك صرف الاهلاك العام عن غيرهم من اهل الارض بصرفه عنهم ثم قال
الا ان الله تعالى هو الغفور لعباده عصيانهم تارة بالتوبة وتارة ابتداء منه كل ذلك
تفضلا منه وتلافيهم ورحمة اياهم قوله تبارك وتعالى

والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل وكذلك
اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب
فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن
يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا من
دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم
فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب خمس آيات
بلا خلاف هذا اخبار من الله تعالى ان الذين اتخذوا من دونه اولياء يعني الكفار
الذين اتخذوا الاصنام آلهة فوجهوا عبادتهم اليها وجعلوهم اولياء لهم وانصارا من
دونه وانما قال من دونه لان من اتخذ وليا بامر الله لم يتخذه من دون الله وقوله
الله حفيظ عليهم اي حافظ عليهم اعمالهم فيحفظها عليها بانه لا يعزب عنه شيء منها وانه
قد كتبها في اللوح المحفوظ مظاهرة في الحجة عليهم وليكون اقرب الى افهامهم اذا تصوروها
مكتوبة لهم وعليهم وقوله وما انت عليهم بوكيل معناه انك لم توكل بحفظ اعمالهم
فلا يظن ظان هذا الظن فاسد وانما بعثك الله نذيرا لهم وداعيا الى الحق ومبينا
لهم سبيل الرشاد وقيل معناه انك لم توكل عليهم اي تمنعهم من الكفر بالله لانه قد
يكفر بما لا يمكنك منعه من كفره بسلبه فقوله وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا
معناه مثل ما اوحينا الى من تقدمك من الانبياء بالكتب التي انزلناها عليهم اوحيناه
اليك ايضا قرآنا عربيا لتنذر ام القرى اي لتخوفهم بما فيه من الوعيد وتبشرهم بما فيه
من الوعد قال السدي ام القرى مكة والتقدير لتنذر اهل ام القرى ومن حولها
من سائر الناس وسميت ام القرى لانه روي ان الله تعالى دحا الارض من تحت الكعبة
قال المبرد كانت العرب تسمي مكة ام القرى ومن حولها من يطيف بها وتنذر يوم
الجمع عام لسائر الناس وتنذر يوم الجمع معناه وتخوفهم يوم الجمع ايضا فنصب يوم

منعول ثان ولتبين بظرف لانه لتبين ببذل في يوم الجمع وانما يخوفهم عذاب يوم الجمع وقيل
هو يوم القيامة لا ريب فيه اي لا شك في كونه ثم قسم اهل يوم القيامة فقال فريق منهم في
الجنة بطاعتهم وفريق منهم في السعير جزاء على معاصيهم ثم قال ولو شاء الله لجعلهم
امة واحدة معناه الاخبار عن قدرته بانه لو شاء ان يلجيهم الى الايمان ودين الاسلام لكان
قادرا على ذلك وفعله لكن يبطل الغرض بالتكليف وهو ان يفعلوا العبادة على وجه
يستحقون بها الثواب ومع الالجاء لا يمكن ذلك فلذلك لم يشاء ذلك فالاية تفيد قدرته
على الالجاء وبيان ذلك ثم قال ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي يدخلهم الجنة و
ثوابها من يشاء منهم اذا اطاعوه واجتنبوا معاصيه وبين ان الظالمين نفوسهم بارتكاب
معصية الله ما لهم في الارض من ولي يواليهم ولا نصير ينصرهم من عذاب الله اذا اراد حلوله
بهم جزاء على معاصيهم ثم قال ام اتخذوا من دونه اولياء معناه بل هؤلاء الكفار اتخذوا
من دون الله اولياء مثل الاصنام والاوثان يوالونهم وينصرونهم ثم قال فالله
هو الولي ومعناه المستحق في الحقيقة للولاية والتقرب اليه هو الله تعالى دون غيره وهو
تعالى يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير يصح ان يكون مقدورا له قادرا ومن كان هذه الصفة
هو الذي يجب ان يتخذ وليا وقوله وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله معناه ان
الذي تختلفون فيه من امر دينكم ودنياكم وتتنازعون فيه فحكمه الى الله يعني انه
الذي يفصل بين المحق فيه وبين المبطل لانه العالم بحقيقة ذلك فيحكم على المحق باستحقاق
الثواب وعلى المبطل باستحقاق العقاب وقيل معناه فحكمه الى الله لانه يجب ان يرجع
الى امره في الدنيا و[فصل] القضاء في الاخرة ثم قال لنبيه قل لهم ذلكم معاشر الكفار
الذي وصفته من انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير هو ربي عليه توكلت بمعنى
فوضت امري اليه واستند ظهري اليه واليه انيب اي ارجع اليه في جميع اموري ثم قال
قوله تبارك وتعالى فاطر السماوات والارض جعل لكم من انفسكم

ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى
وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي
اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم
وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير خمس
آيات ، لما قال الله تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم الذي وصفته بانه الذي يحيي ويميت
هو ربي واليه ارجع في اموري كلها زاد في صفاته فقال فاطر السموات اي هو فاطر السموات
ومعنى فاطر السموات خالق السموات ابتداء وحكي عن ابن عباس انه قال لم اكن اعرف
معنى فاطر حتى تحاكم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها يعني انا ابتدأتها والفطر
ايضا الشق ومنه قوله تكاد السموات يتفطرن وقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني
اشكالا مع كل ذكر انثى ليسكن اليها ويالفها ومن الانعام ازواجا من الضان اثنين
ومن المعز اثنين ومن البقر اثنين ومن الابل اثنين ذكرا وانثى ووجه الاعتبار
بجعل الازدواج ما في ذلك من انشاء الشيء حالا بعد حال على وجه التصريف الذي
يقتضي الاختيار وجعل الخير لاسباب تطلب كما للشر اسباب تجتنب فجعل لكل
حيوان زوجا من شكله على ما يقتضيه الحكمة فيه وقوله يذرؤكم فيه اي يخلقكم ويكثركم
فيه يعني في التزويج وبما جعل فيه وقال الزجاج [والفراء] معناه يذرؤكم به اي يجعل لكم
ازواجا وانشد الازهري قول الشاعر يذكر امراة ، وارغب بها عن لقيط ورهطه

وذلك عن سيبويه لث لبث اي ارعب بقاعي اي بط فالذرء اظهار الشيء بايجاده ويقال ذرأ
الله الخلق يذرؤهم ذرأ واصله الظهور ومنه ملح ذرآني لظهور بياضه والله يظهرها
من جهة منه وقوله ليس كمثله شيء قيل في معناه ثلثة اقوال احدها ان الكاف زائدة وتقديره
ليس مثل الله شيء من الموجودات ولا المعدومات كما قال اوس بن حجر وقتلى كمثل جذوع
النخيل تغشاهم سبل منهمر وقال اخر سعد بن زيد اذا ما نسبت فضلهم ما ان كمثلهم منهمر
في الناس من احد وقال الراجز وصاليات ككما يؤثفين الثاني قال الرماني انه
ابلغ في نفي الشبه اذا نفى مثله لانه يوجب نفي الشبه على التحقيق وذلك انه لو قدر له
مثل بان يكون له مثل صفاته لبطل ان يكون له مثل ولا ينفرد بتلك الصفات وبطل ان
ان يكون مثلا له فيجب ان يكون ليس له مثل هذه الصفات على الحقيقة لا مثل له اصلا لو
كان له مثل لم يكن هو بصفاته وكان ذلك الشيء الاخر هو الذي له تلك الصفات لانها لا تصح
الا لواحد في الحقيقة وهذا لا يجوز ان يشبه شيء حقيقة ولا بلاغة توجب البعد من
الشبه لبطلان شبه الحقيقة الثالث وجه كان المرتضى علي بن الحسين الموسوي رحمه الله
جاراناه فاتفق لي بالخاطر وجه قلته فاستحسنه واستجاده وهو ان لا يكون الكاف
زائدة ويكون المعنى انه نفى ان يكون لمثله مثل واذا ثبت انه لا مثل لمثله فلا مثل له ايضا لانه
لو كان له مثل لكان له امثال لان الموجودات على ضربين احدهما لا مثل له كالقدرة فلا
امثال لها ايضا والثاني له مثل كالسواد والبياض واكثر الاجناس فله امثال ايضا وليس
في الموجودات ما له مثل واحد فحسب فعلم بذلك ان المراد انه لا مثل له اصلا من حيث لا مثل لمثله
وقوله وهو السميع البصير معناه انه على صفة يجب ان يسمع المسموعات اذا وجدت ويبصر
المبصرات اذا وجدت وذلك يرجع الى كونه حيا لا آفة به وفائدة ذكره ها هنا هو انه
لما نفى ان يكون له شبه على وجه من الوجوه بين انه مع ذلك سميع بصير لئلا يتوهم
نفي هذه الصفة له على الحقيقة فقط فانه لا مدحة في كونه لا مثل له على الانفراد لان القدرة

لا مثل

لا مثل لها وانما المدحة في انه لا مثل له مع كونه سميعا بصيرا وذلك يدل على التفرد الحقيقي
وقوله له مقاليد السموات والارض معناه له مفاتيح الرزق منها بانزال المطر من السماء
واستقامة الهواء فيها واثبات الثمار والاقوات من الارض ثم قال يبسط الرزق لمن يشاء ان ابنات
يوسعه له ويقدر اي يضيق لمن يشاء ذلك على ما يعلم من مصالحهم انه بكل شيء عليم بما
يصلحهم او يفسدهم ثم خاطب تعالى خلقه فقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا معنى
شرع بين واظهر وهو الذي اوحينا اليك يا محمد وهو ما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
وسائر النبيين وهو انا امرناهم بعبادة الله والشكر على نعمه وطاعته في كل واجب
وندب مع اجتناب كل قبيح وفعل ما امر به مما ادى الى القيام بهذه الاصول مما يختلف به
شرايع الانبياء ثم بين ذلك فقال ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وموضع ان اقيموا
يحتمل ثلثة اوجه من الاعراب احدها ان يكون نصبا بدلا من ما في شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا الثاني ان يكون جرا بدلا من الهاء في به الثالث ان يكون رفعا على
الاستيناف وتقديره هو ان اقيموا الدين وقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
معناه كبر عليهم واستعظموا كونك داعيا الى الله وادعاءك بانك رسول مع انك مثلهم بشر
ومن قبيلهم السابق وليس لهم ذلك لان الله يجتبي لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم من
قيامه باعباء الرسالة وتحمله لها فاجتباك الله تعالى كما اجتبى موسى ومن قبله من الانبياء
ومعنى يجتبي يختار وقوله ويهدي اليه من ينيب معناه ويهدي الى طريق الصواب
بان يلطف له في ذلك اذا علم ان له لطفا ثم قال وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ومعناه ان هؤلاء الكفار لم يختلفوا عليك في التوحيد الا بعد ان اتاهم طريق العلم
بصحته بنوك هذه لواعى النظر فيه بغيا بينهم للحسد والعداوة والحرص على طلب الدنيا
واتباع الهوى وقيل ان هؤلاء لم يختلفوا الا عن علم بان الفرقة ضلال لكن فعلوا ذلك
للبغي ثم قال ولولا كلمة سبقت من ربك بان اخرناهم وبقيتهم الى اجل مسمى ذكر انهم يقيمهم اليه

لم يجز مخالفته لانه بجيب كذبا لعقيني بحمهم اى لفصل بينهم الحكم وانزل عليهم ما يستحقونه
من العذاب عاجلا ثم قال وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم قال السدي يعني اليهود
والنصارى من بعد الذين اورثوا الكتاب الذي هو القران لفي شك منه مريب اى من الدين
وقال غيره الدين اورثوا الكتاب من بعد اليهود والنصارى في شك من الدين مريب
فهم الذين كفروا بالقران وشكوا في صحته وانه من عند الله من سائر الكفار والمنافقين
وقوله فلذلك فادع معناه فالى ذلك فادع كما قال بان ربك اوحى لها يقال دعوته
لذا والى ذا وقيل معناه فلذلك الدين فادع وقيل معناه فلهذا القران فادع والاول
احسن واستقم وقوله ولا تتبع اهواءهم نهى النبي عليه السلم من اتباع ما هويه المشركون
والمراد به امته وقيل ثلث من كن فيه فاز العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى
والفقر والخشية في السر والعلانية وثلث من كن فيه هلك شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه وقوله وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اى قل لهم صدقت بما انزل
الله من القران وبكل كتاب انزله الله على الانبياء قبلي وامرت لاعدل بينكم وقيل
في معناه قولان احدهما امرت بالعدل والثاني امرت كي اعدل وقل لهم ايضا الله ربنا
وربكم اى مدبرنا ومدبركم ومصرفنا ومصرفكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ومعناه ان
جزاء اعمالنا لنا من ثواب او عقاب وجزاء اعمالكم لكم من ثواب او عقاب لا يواخذ احد بعذاب
غيره كما قال ولا تزر وازرة وزر اخرى لا حجة بيننا وبينكم اى لا خصومة بيننا في قول
مجاهد وابن زيد اى قد ظهر الحق فسقط الجدال والخصومة وقيل معناه ان الحجج لنا
عليكم لظهورها واليس بيننا بالاشتباه والالتباس وقيل معناه لا حجة بيننا وبينكم
لظهور امركم في البغي علينا والعداوة لنا والمعاندة لا على طريق الشبهة وليس ذلك
على حجة تحريم اقامة الحجة لانه لم يلزم قبول الدعوة الا بالحجة التي تظهر بها الحق من الباطل
فاذا صار الانسان الى البغي والعداوة سقط الحجاج بينه وبين اهل الحق ثم قال

الله يجمع بيننا يعني يوم القيامة واليه المصير اى المرجع الى حيث لا يملك احد الحكم فيه ولا الامر
والنهي غيره فيحكم بيننا بالحق ففي ذلك غاية التهديد وقيل ان ذلك قبل الامر بالجهاد والقتال
قوله تبارك وتعالى والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب
له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي انزل
الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة
لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز من كان
يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له
في الآخرة من نصيب خمس آيات بلا خلاف يقول الله تعالى ان الذين يحاجون
في الله اى يجادلون في الله بنصرة مذاهبهم من بعد ما استجيب له وقيل في معناه قولان
احدهما من بعد ما استجاب له الناس لظهور حجته بالمعجزات التي اقامها الله يستعجل
بها يعني بالساعة الذين لا يؤمنون بها اى لا يقرون بها ولا يصدقون لجهلهم باعلم
في مجيئها من استحقاق العقاب وما للمؤمنين من الثواب وقال الذين آمنوا اى صدقوا
بها مشفقون منها اى خائفون من مجيئها لعلمهم بانهم فيها من استحقاق العقاب والاهوال
فيحذرونها ويعلمون ان مجيئها الحق الذي لا خلاف فيه ثم قال تعالى الا ان الذين
يمارون في الساعة اى يخاصمون في مجيئها على وجه الانكار لها لفي ضلال عن الصواب
وعدول عن الحق بعيد ثم قال تعالى الله لطيف بعباده فلطفه بعباده ايصاله المنافع
اليهم من وجه يدق على كل عاقل ادراكه وذلك في الارزاق التي قسمها الله لعباده وصرف
الآفات عنهم وايصال السرور اليهم واللذات وتمكينهم بالقدرة والآلات الى غير ذلك
من لطائفه التي لا تدرك على حقيقتها ولا يوقف على كنهها لغموضها ثم قال
تعالى يرزق من يشاء وهو القوي يعني القادر الذي لا يعجز في العزيز الذي لا يغالب

بان قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن اولى بالحق
منكم فلذلك قال الله تعالى حجتهم داحضة لان ما ذكروه
لا يمنع من صحة نبوة نبينا بان نسخ الله كتابهم وما شرع
النبي الذي كان قبل والثاني معناه من بعد ما استجيب له
بعد النبي دعاؤه بالمعجزات التي اجاب الله تعالى دعاؤه
في اقامتها وقال الجبائي اجاب الله تعالى دعاؤه في كفار
بدر حتى قتلهم الله بايدي المؤمنين واجاب دعاؤه عليهم
بمكة وعلى مضر من القحط والشدائد التي نزلت بهم وما
دعا به من انجاء الله المستضعفين من ايدي قريش
فانجاهم الله وخلصهم من ايديهم وغير ذلك مما يكثر
تعداده فقال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وهي
شبهة وانما سماها حجة على اعتقادهم فلشبهها بالحجة
149 اجرى عليها اسمها من غير اطلاق الصفة بها وداحضة
معناه باطلة عند ربهم وعليهم غضب من الله اى لعن
واستحقاق عقاب في الاخبار به عاجلا ولهم مع ذلك
عذاب شديد الى يوم القيمة ثم قال تعالى الله الذي انزل
الكتاب بالحق يعني القران بالحق والميزان فقوله بالحق
دلالة على بطلان مذهب المجبرة بان الله انزله ليكفروا به
واراد منهم الضلال والعمل الباطل وانزل الميزان يعني
العدل لان الميزان اظهار التسوية من خلو فيها بالعدل
اليه الحاجة في المعاملة والتفاضل ومثل الموازنة للمعارضة
والمقابلة والمقايسة فالقران اذا قوبل بينه وبين ما يدعونه
وقويس بينهما ظهرت فضيلته وبانت حجته وعلت دلالته
فلذلك وصفه بالميزان وقال مجاهد وقتادة الميزان
هنا العدل وقال الجبائي انزل الله عليهم الميزان من السماء
وعرفهم كيف يعملون به بالحق وكيف يزنون به وقيل ان الحق الذي
انزل به الكتاب وصفه على عقد معتقده على ما هو به من نعته
والعقد قد يكون بمعنى حكم وبمعنى امر او نهي وبمعنى وعد او
وعيد وبمعنى دليل وقوله وما يدريك لعل الساعة قريب
معناه وما يدريك يا محمد ولا غيرك لعل الساعة قريبا منا قال
قوم يسمع ما يتشاء الساعة لان تانيثها ليس بحقيقي وقيل التقدير
لعل مجيئها قريب وانما اخفى الله تعالى الساعة ووقت مجيئها
عن العباد ليكونوا على خوف ويبادروا بالتوبة ولو عرفهم وقتها
لكانوا مغرين بالقبيح قبل ذلك تعويلا على التلافي بالتوبة
وقوله صح

[illegible]

وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه قيل معناه انا نعطيه بالحسنة عشرا الى ما شاء الله
من الزيادة ومن عمل للدنيا نؤته منها اى نعطه نصيبا منها لا انه ينال من الدنيا جميع ما يريده بل على
ما تقتضيه الحكمة دون الآخرة وشبه الطالب بعمله الآخرة بالزارع في طلب النفع بحرثه وكذلك
الطالب بعمله نفع الدنيا ثم قال وما له يعني لمن يطلب الدنيا دون الآخرة في الآخرة من نصيب
من الثواب والنعيم في الآخرة وقيل ان الذي وعدهم الله به ان يوتيهم من الدنيا اذا طلبوا
حرث الدنيا هو ما جعله لهم من الغنيمة والفي اذا قاتلوا مع المسلمين لانهم لا يمنعون ذلك مع اظهارهم
الايمان لكن ليس لهم في الآخرة نصيب من الثواب **قوله تبارك وتعالى**
ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم
وان الظالمين لهم عذاب اليم ، ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم
والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ،
ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا
الصالحات قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ، ومن يقترف حسنة
نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ، ام يقولون افترى على الله كذبا فان
يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات
الصدور وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون
خمس آيات ، قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم يفعلون بالياء
الباقون بالتاء من قرا بالياء فعلى ان الله يعلم ما يفعله الكفار فيجازيهم عليها ومن
قرا بالتاء فعلى وجه الخطاب لهم بذلك ثم قال لما اخبر الله تعالى ان من يطلب بعمله الدنيا
انه يعطيه شيئا منها وانه ليس له حظ من الخير في الآخرة قال بل هؤلاء الكفار لهم
شركاء فيما يفعلونه اى اشركوهم معهم في اعمالهم بان شرعوا لهم من الدين الذي فعلوهم
فيه ما لم ياذن به الله اى لم يامر به ولا اذن فيه ثم قال ولولا كلمة الفصل اى كلمة

الحكم الذي قال الله اى اخر عقوبتهم ولا عاجلهم به في الدنيا لقضى بينهم وفصل الحكم فيهم
وعجلوا بما يستحقونه من العقاب ثم قال وان الظالمين لنفسهم بادخال المعاصي
لهم عذاب اليم اى مولم اى هم مستحقون لذلك يوم القيامة ثم قال ترى الظالمين يا محمد مشفقين
اى خائفين مما كسبوا يعني من جزاء ما كسبوا من المعاصي وهو العقاب الذي استحقوه وهو واقع ١٤٠
بهم لا محالة لا تنفعهم شفقتهم منه ولا خوفهم من وقوعه فالاشفاق الخوف من جهة الرقة
على المخوف عليه من وقوع الامر واصل الشفقة الرقة من قولهم ثوب مشفق اى رقيق ردي
ودين فلان مشفق اى ردي ثم قال والذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الاعمال
الصالحات من الطاعات في روضات الجنات فالروضة الارض الخضرة بحسن النبات والجنة
الارض التي تحفها الشجر والبستان الارض التي يحفها النبات اى هم مستحقون الكون فيها لهم
ما يشاؤون عند ربهم ومعناه لهم ما يشتهون من اللذات لان الانسان لا يشاء الشيء من
طريق الحكمة الا للشهوة او للحاجة في دفع ضرر وقد دفع الضرر لا يحتاج اليه في الجنة واراده
الحكمة تتبع التكليف فطريق بعد ذلك الا انهم يشاؤون ما يشتهون وقوله عند ربهم
يعني يوم القيامة الذي لا يملك فيه الامر والنهي غيره وليس يريد عنده من قرب المسافة
لان ذلك من صفات الاجسام ثم قال ذلك يعني الكون عنده بهم وانه لهم ما يشاؤون
هو الفضل يعني الزيادة التي لا يوازيها شيء في كثرتها ثم قال ذلك يعني ما تقدم ذكره مما
يشاؤونه هو الذي يبشر الله عباده به ومن شدد الشين اراد التكثير ومن خفف فلانه
يدل على القليل والكثير وقيل هما لغتان وحكى الاخفش لغة ثالثة ابشر ثم وصفهم فقال
الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الاعمال الصالحات ثم قال قل لهم يا محمد لا اسالكم
على اداى اليكم الرسالة وما بعثني الله به من المصالح الا المودة في القربى وقيل في هذا الاستثنا اجرا عن هم
قولان احدهما انه استثنا منقطع لان المودة في القربى ليس من الاجر ويكون التقدير لكن
اذكركم المودة في القرابة ليس من الاجر ويكون التقدير الثاني انه استثنا حقيقة ويكون
قرابتهم

اجري المودة في القربى كانه اجري وان لم يكن اجرا ولفظه اوقع فقوله المودة في القربى فقال علي بن
الحسين عليه السلم وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب معناه الا ان تودوا قرابتي فهو المروي عن ابي
جعفر وابي عبد الله عليهما السلم وقال الحسن معناه الا المودة في القربى الى الله يعني الا التقرب
الى الله والتودد بالعمل الصالح اليه وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي والضحاك وابن
زيد وعطاء بن دينار معناه الا ان تودوني لقرابتي منكم وقالوا لم يكن بطن من قريش الا وبين
رسول الله قرابة ويكون المعنى ان لم تودوني لحق النبوة فلا تتركوا ان تودوني لحق القرابة
والاول هو المختار عندنا وعليه اصحابنا وقال بعضهم الا ان تتقربوا الى الله بالطاعات
ثم قال تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا اي من فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسنا
بان نوجب له عليها الثواب والاقتراف الاكتساب واصله من قرفت الشيء اذا كشطته كقرف
قرف الحبل وحين الاعتماد والاكتساب ان الله غفور رحيم اي ستار على عباده معاصيهم
بالتوبة وغير التوبة تفضلا منه تعالى واحسانا منه الى عباده شكور ومعناه انه يعاملهم معاملة
الشاكر في توفية الحق حتى كانه ممن وصل اليه النفع فشكره وقيل معناه مجازيهم على شكرهم اياه
فسماه شكرا على عادتهم في تسمية الشيء باسم ما كان سببه مجازا كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها
ثم قال ام يقولون افترى على الله كذبا معنى بل يقولون هؤلاء الكفار انك يا محمد افتريت
على الله كذبا في ادعائك رسالته على الله فقال له تعالى فان يشاء الله يختم على قلبك قال
قتادة معناه يختم على قلبك بان ينسيك القرآن وقيل المعنى انه قال لنبيه لو حدثت نفسك بان
تفتري على الله كذبا لطبعت على قلبك واذهبت الوحي الذي آتيتك لاني امحو الباطل
واحق الحق وقال الزجاج معناه فان يشاء الله ان يربط على قلبك بالصبر على اذاهم
لك وعلى قولهم افترى على الله كذبا ويمحو الباطل وقوله ويمحو الله الباطل رفع الا انه حذف
الواو من المصاحف كما حذفوا من قوله سندع الزبانية على اللفظ ذهابا الى لفظ الساكنين
وليس بعطف على قوله يختم لانه رفع ويبين ذلك بقوله ويحق الحق بكلماته اي ويحق الحق

الا ان يضلوا قرابتكم و
قال اخرون معناه تكم

١٥١

باقواله التي ينزلها على انبيائه يبين بها كذب من ادعى على الله كذبا في ادعائه ولم يكون كذلك انه
عليم بذات الصدور اي باسرارها في الصدور لا يخفى عليه شيء منها ثم قال وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون بان لا يعاقب عليها دليل على ان اسقاط
العقاب عندها تفضل ويعلم ما يفعل من التوبة وغيرها فيجازيكم عليها من قرا بالتاء على الخطاب
ومن قرا بالياء فعلى وجه الاخبار عن الغائب قوله تبارك وتعالى ويستجيب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير وهو الذي
ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن آياته خلق السموات
والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ويعفو عن كثير آية قرا ابن عامر ونافع بما كسبت بلا فاء وكذلك
هو في مصاحف اهل المدينة واهل الشام الباقون بالفاء وكذلك في مصاحفهم فعلى هذا تكون
جزاء وعلى الاول المعنى الذي اصابكم من مصيبة بما كسبت ايديكم لما اخبر الله تعالى انه يقبل
التوبة عن عباده وانه يعلم ما يفعلون من طاعة ومعصية وانه مجازيهم بحسبها ذكر انه تعالى
يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني يجيبهم والذين في موضع نصب واستجاب واجاب
بمعنى واحد قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
وقيل الاستجابة موافقة عمل العامل ما يدعو اليه لاجل دعائه اليه فلما كان المؤمن يوافق بعمله
داعي عقله كان مستجيبا للداعي بالفعل وعن معاذ بن جبل ان الله تعالى يجيب الذين آمنوا
وعملوا الصالحات في دعاء بعضهم لبعض وقيل معناه ويجيب المؤمنون ربهم فيما دعاهم اليه
فيكون الذين في موضع رفع ويكون قوله ويزيدهم راجعا الى الله اي يزيدهم الله من فضله وقيل
معناه يجيب دعاء المؤمنين ولا يجيب دعاء الكافرين لانه ثواب وليس ثواب الكافرين وقيل بل
يجوز ان يكون ذلك اذا كان فيه لطف للمكلفين وقوله ويزيدهم من فضله معناه ويزيدهم

فبدحسبان يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن السيات
يفعلون

زيادة من فضله على ما يستحقونه من الثواب وقال الرماني الزيادة بالوعد تصير اجرا على العمل
اذا كان من جنس الوعد من طريق الوعد كما لو كان انسان يكتب مائة ورقة بدينار وترغبه ملك
في نسخ مائتي ورقة بعشرة دنانير فانه يكون الاجر تحت عشرة دنانير فلما اذا بلغ عليه الاجر
في مقدار لا يصلح عليه اكثر من ذلك فانما تستحق الزيادة بالوعد وقوله والكافرون لهم عذاب
شديد اخبار عما يستحقه الكافر على كفره من العقاب المؤلم الشديد وقوله ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض اخبار منه تعالى بانه لو وسع رزقه على عباده وسوى بينهم لبطروا النعمة و
تنافسوا وتغالبوا وكان ذلك يؤدي الى وقوع الفساد بينهم والقتل وتغلب بعضهم على
بعض واستعانة بعضهم ببعض ببذل الاموال ولكن دبرهم على ما علم من مصلحتهم في غنا بعضهم
وفقر اخرين واحواج بعضهم الى بعض وتسخير بعضهم لبعض فلذلك قال ولكن ينزل بقدر
ما يشاء مما يعلم مصلحتهم انه بعباده خبير بصير يعني عالم باحوالهم بصير بما يصلحهم مما يفسدهم
ثم قال وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا اي ينزل عليهم من بعد الياس من نزوله
ووجه انزاله بعد القنوط انه ادعى الى شكر الآتي به وتعظيمه والمعرفة بمواقع احسانه وكذلك
الشدائد التي تمر بالانسان وتاتي الفرج بعدها تعلق الامل بمن ياتي به وتكسب المعرفة بحسن تدبيرها
فيما يدعوا اليه من العمل بامره والانتهاء الى نهيه وينشر رحمته يعم بها جميع خلقه هكذا ينشر
رحمة الله مجددة حالا بعد حال ثم يضاعفها لمن يشاء وكل ذلك على مقتضى الحكمة وحسن التدبير
الذي ليس شيء احسن منه وهو الولي الحميد معناه هو الاولى بكم وبتدبيركم المحمود على جميع افعاله
لكونها منافع واحسانا ثم قال ومن آياته اي من حججه الدالة على توحيده وصفاته التي باين بها
خلقه خلق السموات والارض لانه لا يقدر عليها الا قادر بنفسه وما بث فيهما من دابة اي من سائر
انواع الحيوان وهو على جمعهم يوم القيامة وحشرهم الى الموقف بعد ان اماتهم قادر لا يتعذر
عليه ذلك ثم قال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير قال
الحسن ذلك خاص في الحدود التي تستحق على وجه العقوبة وقال قتادة هو عام وقال آخرون ذلك

خاص وان كان مخرجه مخرج العموم لمصائب الاطفال والمجانين ومن لا ذنب له من المؤمنين
وقال بعضهم [?] هو عام بمعنى ان ما يصيب المؤمنين والاطفال انما هو شدة محنة تلحقهم
وعقوبة للعاصين كما فعلت الاطفال والبهائم مع الكفار بعلة الاستصلاح ولانه
قد يكون فيه استصلاح اقتضاه وقوع تلك الاجرام وقيل قوله ولو بسط الله الرزق
لعباده بحسب ما يطلبونه ويقترحونه لبغوا في الارض وانما منعهم ذلك لا لبخل [?]
وقوله اذا يشاء يدل على حدوث المشيئة لانه لا يجوز اذا قدر على شيء فعله ولانا
علم شيئا فعله ويجوز اذا شاء ان يفعل شيئا فعله قال ابو علي الفسوي قوله اصابكم
يحتمل امرين احدهما ان يكون صلة لما الثاني ان يكون شرطا في موضع جزم فمن
قدره شرطا لم يجز سقوط الفاء على قول سيبويه واجاز ذلك ابو الحسن والكوفيون
وان كان صلة فالاثبات والحذف جايزان على معنيين مختلفين فاذا ثبت الفاء كان
ذلك دليلا على ان الامر الثاني وجب بالاول كقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار
سرا وعلانية فلهم اجرهم فثبوت الفاء يدل على وجوب الانفاق واذا حذف احتمل الامرين

قوله تعالى عز وجل وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن
الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور او
يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من
محيص ۝ خمس آيات ۝ قرا ابن كثير بالياء في الحالين [?] وابو عمرو ونافع الجواري بياء في الوصل
ووقف ابن كثير بالياء الباقون بغير ياء في الوصل والوقف وقرا نافع وابو جعفر
وابن عامر ويعلم الذين رفعا على الاستيناف لان الشرط والجزاء قد تم فجاز الابتداء
بما بعده والباقون بالنصب فمن نصبه فعلى الصرف كما قال النابغة
فان يهلك ابو قابوس يهلك ربيع الناس والبلد الحرام ونأخذ بعده بذناب عيش

اجب الظبي ليس له سنام قال الكوفيون هو مصروف من مجزوم الى منصوب وقال
البصريون هو نصب باضمار ان وتقديره ان يعلم كما قال الشاعر للبس عباءة و
تقر عيني احب الي من لبس الشفوف وتقديره وان تقر عيني قال ابو علي ومن
نصب ويعلم فلان قبله شرط وجزاء وكل واحد منهما غير واجب تقول في الشرط ان
تاتني وتعطيني اكرمك فتنصب وتعطيني وتقديره ان يكن منك اتيان واعطاء
اكرمك فانتصب بعد الشرط اذا عطفته بالفاء اسهل من النصب بالفاء بعد جزاء
الشرط نحو ان تاتني وتكرمني واكرمك فالذي يختار سيبويه في العطف على جزاء الشرط فاما العطف على الشرط فهو
الجزم فيجاز ويعلم الذين اذا لم يقطعه عن الاول برفعه فان عطف على جزاء الشرط
فالنصب اسهل ومن اثبت الياء في الحالين في قوله الجواري فلانها الاصل لكن خالف
المصحف ومن اثبتها وصلا دون الوقف استعمل الاصل ويتبع المصحف ومن حذفها
في الحالين تبع المصحف واجتزاء بالكسرة الدالة على الياء واصل الجواري جارية وهي
السفينة وحكي عن ابن مسعود انه قرا بضم الراء كانه قلب كما قالوا شاك في شايك فاراد
الجوائر فقلب قوله وما انتم بمعجزين في الارض خطاب من الله تعالى للكفار بانكم لستم
تفوتون الله بالهرب منه في الارض ولا في السماء فانه يقدر عليكم في جميع الاماكن
ومن لا يمكنه النجاة من عذابه الا بطاعته فواجب عليه طاعته وفي ذلك استدعاء الى عبادة
الله وترغيب في كل ما امر به وتحذير عما نهى عنه ووجه الحجة بذلك على العبد انه اذا كان
لا يعجز الله ولا يجد دافعا عنه عقابه خشيه وعمل على كل شيء في جنب ما توعده به وقوله
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير اي ليس لكم من يدفع عنكم عقاب الله اذا اراد
فعله بكم ولا ينصركم عليه فيجب ان يحبوا الى طاعته من غير نصفه وقوله ومن آياته الجوار
في البحر كالاعلام معناه من آياته الدالة على انه تعالى مختص بصفات لا يشركه فيها احد
السفن الجارية في البحر مثل الجبال لانه تعالى يسيرها بالريح لا يقدر على تسييرها غيره

وهو

كا وليه هاديا ثم قال وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل
اخبار منه تعالى انك يا محمد ترى الظالمين اذا شاهدوا عذاب النار يقولون هل الى مرد
الرجوع والرد الى دار التكليف من سبيل تمنيا منهم لذلك والتجاء الى هذا القول لما نزل بهم
من البلاء مع علمهم بان ذلك لا يكون لان معادهم ضرورية ثم قال وتراهم يعرضون
عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي قال ابن عباس من طرف ذليل
وقال الحسن وقتادة يسارقون النظر لانهم يجزعون ان ينظروا الى النار بجميع ابصارهم
لما يرون من هول النار والوان العذاب وقيل يرون النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا وقال
الذين امنوا يعني الذين صدقوا بالله ورسوله ذلك اليوم اذا راوا حصول الظالمين
في النار واليم العذاب يقولون الذين خسروا انفسهم باستحقاق النار واهليهم لما حيل بينهم ان الخاسرين هم
وبينهم يوم القيامة الا ان هاولاء الظالمين في عذاب مقيم اي دايم لا زوال له وقيل
معناه الانتفاع بنفوسهم واهليهم ذلك اليوم قوله تبارك وتعالى
وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا
لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من يومئذ
نكير فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا
اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان
كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن
يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير
خمس آيات لما اخبر تعالى ان الظالمين انهم بارتكاب المعاصي وترك الواجبات
في عذاب مقيم دايم غير منقطع اخبر في الاية التي بعدها انه لم يكن لهم اولياء يعني
عبدوه من دون الله لا من اطاعوه في معصيته اي نصار ينصرونهم من دون
الله ويدفعون عنهم عقابه وقيل المراد من يعبدونه من دون الله او يطيعونه

اليأس صح

في معصية لا تنفعهم يوم القيامة فالغاية بذلك من وضع اليأس من فضل الله فيحل بمن كان هذا كله
مكبوره لم يكن له ناصر يمنع منه ثم قال ومن يضلل الله اي من اضله الله عن طريق الجنة وعدل
به الى النار فما له من سبيل يوصله الى الجنة والثواب ويحتمل ان يكون المراد ومن يحكم الله بضلاله
وتسميته ضالا لم يكن لاحد سبيل الى ان يحكم بهدايته ثم قال تعالى لخلقه استجيبوا لربكم يعني
اجيبوه الى ما دعاكم اليه ورغبكم فيه من المصير الى طاعته والانقياد لامره من قبل ان
ياتي يوم لا مرد له اي لا مرجع له بعد ما حكم به وقيل معناه لا يتمنا لاحد رده ولا يكون
ملجا تلجؤون اليه في ذلك اليوم والملجا والمعقل والحرز نظاير فما لكم من نكير اي
تغيير انكار وقيل معناه من نصير ينكر ما يحل بكم ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام فان
لم يرضوا بنبوتها اولو الكفار وعدلوا عما دعوناهم اليه ولا يستجيبون اليه فما ارسلناك
عليهم حفيظا اي حافظا منعهم من الكفر وليس عليك الا البلاغ وهو ايصال المعنى
الى افهامهم وتبيين لهم ما فيه رشدهم فالذي يلزم الرسول دعاؤهم الى الحق ولا
يلزمه ان يحفظهم من اعتقاد خلاف الحق ثم اخبر تعالى عن حال الانسان وسرعة
تنقله من حال الى حال فقال وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة واوصلنا اليه نعمة
فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اي عقوبة جزاء بما قدمته ايديهم من
المعاصي فان الانسان كفور يعدد المصائب ويجحد النعم وقوله لله ملك السموات
والارض ومعناه له التصرف في السموات والارض وما بينهما وسياستهما بما يقتضيه
الحكمة حسب ما يشاء ويخلق ما يشاء من انواع الخلق يهب لمن يشاء من خلقه الذكور بلا
اناث او يزوجهم ذكرانا واناثا وقال ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك و
السدي معناه ان يكون حمل المراة مرة ذكرا ومرة انثى ويحتمل ان يكون المراد ان يولد
توامًا ذكرا وانثى او ذكرا وذكرا او انثى وانثى وهو قول ابن زيد ويجعل
من يشاء عقيما فالعقيم من الحيوان الذي لا يكون له عقم وجه من الحوادث يمنع
الولد ويكون منه

اناثا يعني البنات بلا ذكور و يهب لمن يشاء من خلقه صح

عليم بمصالحهم قادر على خلق ما اراد من ذلك قوله تبارك وتعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي
الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير
الامور آيتان بلا خلاف قرا نافع وابن عامر في رواية الداجوني عن اصحابه
او يرسل فيوحي بالرفع على تقدير او هو يرسل فيوحي ولا يكون العطف باديه الحال بعده
لا موحيا او مرسلا وذلك كلامه اياهم الباقون بالنصب او يرسل فيوحي على تاويل
المصدر كانه قال الا ان يوحي او يرسل فهو او في قوله او يرسل رسولا يحتمل وجهين
احدهما العطف فيكون ارسال الرسول احد اقسام الكلام كما يقال عتابك السيف
كانه قيل الا وحيا او ارسالا الثاني ان يكون الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني
حقي فلا يكون الارسال في هذا الوجه كلاما ولا يجوز ان يكون او يرسل فيوحي نصبا
عطفا على قوله ان يكلمه الله لانك لو حملته على ذلك لكان المعنى وما كان لبشر
ان يكلمه الله او ان يرسل رسولا ولم يخل قولك او يرسل رسولا من ان يكون المراد
به او يرسله رسولا او ان يكون المراد او يرسل اليه رسولا ولا يصح واحد منهما الا ترى
انك ان قدرت العطف على ان هذه المظهرة كان المعنى وما كان لبشر ان يرسله رسولا
او يرسل اليه رسولا والتقديران جميعا فاسدان لانا نعلم ان كثيرا من الرسل قد
ارسل رسولا وكثيرا منهم ارسل اليه رسولا فاذا كان ذلك صحيحا فقدرنا او لا و
يكون التقدير ما كان لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحي وحيا او يرسل رسولا فيوحي
فيجوز في قوله الا وحيا امران احدهما ان يكون استثناء منقطعا والاخر ان

يكون حالا فان قدرته استثناء منقطعا لم يكن في الكلام شيء يتصل به من لان ما قبل الاستثناء
لا يعمل فيما بعده لان حرف الاستثناء في معنى حرف النفي الا ترى انك اذا قلت قام القوم الا زيدا
فالمعنى قام القوم لا زيد فكما لا يعمل ما قبل حرف النفي فيما بعده كذلك لا يعمل ما قبل الا
اذا كان كلاما تاما فيما بعده اذ كان بمعنى النفي وكذلك لا يجوز ان يعمل ما بعد الا فيما قبلها
فاذا كان كذلك لم يتصل الجار بما قبل الا ويمتنع ان يتصل به الجار من وجه آخر وهو ان
قوله او من وراء حجاب في صلة وحي الذي هو بمعنى ان يوحي فاذا كان كذلك لم يجز ان
يحمل الجار الذي هو في قوله من وراء حجاب على او يرسل لانك تفصل بين الصلة والموصول
بما ليس في الصلة فتفصل بين الصلة والموصول الا ترى ان المعطوف في الصلة اذا حملت العطف
على ما ليس في الصلة فصلت بين الصلة والموصول بالاجنبي الذي ليس منها فاذا لم يجز حمله
على يكلمه في قوله ما كان لبشر ان يكلمه الله ولم يكن بد من ان يعلق الجار بشيء ولم يكن
في اللفظ شيء يحمل عليه اضمرت فيه يكلم وجعلت الجار في قوله او من وراء حجاب متعلقا بفعل
مراد في الصلة محذوف حذفا للدلالة عليه ويكون في المعنى معطوفا على الفعل المقدر صلة
لان الموصول يوحي فيكون التقدير ما كان لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحي اليه او يكلمه
من وراء حجاب فحذف يكلم من الصلة لان ذكره قد جرى وان كان خارجا من الصلة فحسن
ذلك حذفه من الصلة ومن رفع او يرسل رسولا فانه يجعل يرسل حالا والجار في قوله
او من وراء حجاب يتعلق بمحذوف ويكون في الظرف ذكر من ذي الحال ويكون قوله
الا وحيا على هذا التقدير مصدرا وقع موقع الحال كقولك جئت ركضا واتيت عدوا
ومعنى او من وراء حجاب في هذا الكلام استثناء منقطعا او حالا يكلمهم بحجاب
لم يكلمه به ان كلامه يسمع ويحيث من حيث لا يرى كما ترى سائر المتكلمين ليس ان
ثم حجابا يفصل موضعا من موضع فيدل ذلك على تحديد المحجوب ومن رفع يرسل كان يرسل

بمعنى

في موضع نصب على الحال والمعنى هذا كلامه كما تقول تحيتك الضرب وعتابك السيف يقول
الله تعالى انه ليس لبشر من الخلق ان يكلمه الله الا ان يوحي اليه وحيا او من وراء حجاب
معناه او يكلمه بكلام بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب لانه تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام
من حلول الصورة والانتقال او يرسل رسولا فان جعلناه عطفا على ارسال الرسول
كان احد اقسام الكلام كما قلناه في قولهم عتابك السيف كانه قال الا وحيا او ارسالا
وان لم تجعله عطفا لم يكن احد اقسامه ويكون كقولهم لا تركبك او تعطيني حقي فلا
يكون الارسال في هذا الوجه كلاما فيكون كلام الله لعباده على ثلاثة اقسام اولها
ان يسمع منه كما يسمع من وراء حجاب كما خاطب الله به موسى عليه السلام الثاني يوحى
يأتي به الملك الى النبي من البشر كسائر الانبياء الثالث بتأديه الرسول الى المكلفين
من الناس وقيل في الحجاب ثلاثة اقوال احدها حجاب عن ادراك الكلام لا الكلم
وحده الثاني حجاب لموضع الكلام الثالث انه بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب
فيوحي باذنه ما يشاء معناه انه ذلك الرسول الذي هو الملك يوحي الى النبي من البشر بامر
الله ما يشاء الله انه علي حكيم معناه ان كلامه المسموع منه لا يكون مخاطبة يظهر
فيها المتكلم بالرؤية لانه العلي عن الادراك بالابصار وهو الحكيم في جميع افعاله
وفي كيفية مخاطبته لخلقه وقال السدي معنى الآية انه لم يكن لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا يعني الا الهاما بخاطر في منام او نحوه من معنى الكلام اليه في خفاء او من وراء
حجاب يحجبه عن ادراك جميع الخلق الا عن المتكلم الذي يسمعه كما سمع موسى
كلام الله او يرسل رسولا يعني جبريل قوله وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا معناه مثل ما اوحينا الى من تقدم من الانبياء اوحينا اليك بالوحي من الله
الى نبيه روحا من امرنا وهو نور يهدي به من يشاء من عباده الى صراط مستقيم
يصاحبه الى الجنة فالصراط المستقيم الطريق المؤدي الى الجنة وهو صراط الله

الذي له ما في السموات وما في الارض ملكا له يتصرف فيه كيف يشاء وهو صراط حق من نصب الامور اليه ولا يبقى لاحد امر ولا نهي ولا املاك ولا تصرف وهو يوم القيامة وقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان يعني ما كنت قبل البعث تدري ما الكتاب ولا ما الايمان قبل البلوغ ولكن جعلناه يعني الروح الذي هو القران نورا نهدي به من نشاء من عبادنا يعني من المكلفين لان من ليس بعاقل وان كان نعمة الله فلا يمكن هدايته لانه غير مكلف ثم قال وانك لتهدي يا محمد الى صراط مستقيم اي طريق مفض الى الحق وهو الايمان ثم فسر صراط الله بانه بدل من قوله صراط مستقيم ثم قال الا الى الله تصير الامور اي اليه ترجع الامور والتدبير وحده يوم القيامة

تم الجزء من تاويل القران لابي جعفر الطوسي

ويتلوه في الجزء الذي ياتي ان شاء الله سورة الزخرف

والحمد لله رب العالمين وصلواته

على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

احمد بن الطير الطاهر

م م

م

الجزء الحادي عشر من كتاب التبيان

في تفسير القرآن

تاليف الشيخ الجليل الفقيه ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي

رضي الله عنه م

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسّر

سورة الزخرف

هي مكية في قول مجاهد وقتادة وهي تسع وثمانون آية بلا
خلاف في جملتها قوله تبارك وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب
لدينا لعلي حكيم افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين حمزة
في الكوفة واربع فيما سوى ذلك قرأ نافع وحمزة والكسائي وخلف ان كنتم بكسر الهمزة جعله
شرطا مستانفا واستغنى عما تقدم كقولك انت ظالم ان فعلت فكانه قال ان كنتم
مسرفين نضرب الباقون بفتحها جعلوه فعلا ماضيا اى اذ كنتم كما قال ان جاءه الاعمى
والمعنى اذ جاءه الاعمى موضع ان نصب عند البصريين وجر عند الكسائي لان التقدير
افنضرب الذكر صفحا لان كنتم ولانكم قوما مسرفين والمسرف الذي ينفق ماله
في معصية الله ولا اسراف في الطاعة قد بينا معنى حم فيما مضى والخلاف والقرآن
فيه فلا معنى لاعادته وقوله والكتاب خفض بالقسم وقيل تقديره ورب
الكتاب والمراد بالكتاب القرآن والمبين صفة له وانما وصف بذلك لانه ابان عن
طريق الهدى من الضلالة وكل ما يحتاج اليه الامة في الديانة والبيان هو الدليل
الدال على صحة الشي او فساده وقيل هو ما يظهر به المعنى للنفس عند الادراك
بالبصر او السمع وهو على خمسة اوجه باللفظ والخط والعقد بالاصابع والاشارة
اليه والهيئة الظاهرة للحاسة كالاعراض عن الشي والاقبال عليه والتقطيب وضده
وغير ذلك واما ما يوجد في النفس من العلم فلا يسمى بيانا على الحقيقة وكل ما
هو بمنزلة الناطق بالمعنى المفهوم فهو مبين وقوله انا جعلناه قرآنا عربيا
اخبار منه تعالى انه جعل القرآن الذي ذكره عربيا بان يفعله على طريقة العرب
في مذاهبها في الحروف والمفهوم ومع ذلك فانه لا يتمكن احد منهم من انشائه والابتداء

بالفوائد

بالفوائد فيه لو طلبته في البلاغة والفصاحة اما لعدم علمهم بذلك او صرفهم عنه عن الاتيان بمثله
على حسب اختلاف الناس فيه وهذا يدل على جلالة موقع التنبيه في التمكين التسمية
به والقدرة مع قدمه وجيد دلالة على حدوثه لان المجعول هو المحدث ولان ما يكون
عربيا لا يكون قديما لحدوث العربية فان قيل معنى جعلناه سميناه لان الجعل قد
يكون بمعنى التسمية قلنا لا يجوز ذلك هاهنا لانه لو كان كذلك لكان الواحد منا
اذا سماه عربيا فقد جعله عربيا فيكون عربيا وكان يجب لو كان القرآن على ما هو عليه
وسماه الله اعجميا ان يكون اعجميا او كان بلغة العجم وسماه عربيا ان يكون
عربيا وكل ذلك فاسد وقوله لعلكم تعقلون معناه جعلناه على هذه
الصفة كي تعقلوا وتتفكروا في ذلك فتعلموا صدق من ظهر على يده وقوله
وانه يعني القرآن في ام الكتاب لدينا يعني اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه ما يكون
الى يوم القيامة لما فيه من مصلحة ملائكته بالنظر فيه والخلق فيه من اللطف بالاخبار
عنه وام الكتاب اصله لان اصل كل شي امه وقوله لعلي حكيم معناه العالي
في البلاغة مظهر لما بالعباد اليه الحاجة مما لا شي اولى منه ومن طريقه ولا شي منه
والقرآن بهذه الصفة علمه من علمه وجهله من جهله لتركه طريقه وحكيم
معناه مظهر المعنى الذي يعمل عليه المؤدي الى العلم والصواب والقرآن حكيم من
هذا الوجه لانه مظهر الحكمة البالغة عند من تدبره وادركه ثم قال لمن جحده ولم
يعتبر به على وجه الانكار عليهم افنضرب عنكم الذكر صفحا ومعناه انعرض عنكم
جانبا باعراضكم عن القرآن والتدبر له والتفكر فيه ان كنتم قوما مسرفين
على نفوسكم بترككم النظر فيه والاعتبار بحججه ومن كسر الهمزة جعله مستانفا
شرطا ومن فتحها جعله فعلا ماضيا اى اذ كنتم كما قال ان جاءه الاعمى يعني اذ
جاءه الاعمى فموضع ان نصب عند البصريين وجر عند الكسائي لان التقدير الذكر

ينفق

صفحاً لان كنتم وبان كنتم قال الشاعر أتجزع ان بان الخليط المودّع
وحبل الصفا من عزة المتقطع والمسرف الذي ينفق ماله في معصية الله لان من انفق
في طاعة او مباح لم يكن مسرفاً وقال علي عليه السلام لا اسراف في المأكول والمشروب
وصفحاً نصب على المصدر لان قوله أفنضرب عنكم الذكر يدل على ان اصفح عنكم
صفحاً وكان قولهم صفحت عنه اي اعرضت وولّيته صفحة العنق والمعنى أفنضرب عنكم
ذكر الانتقام منكم والعقوبة لكم لان كنتم قوماً مسرفين كما قال أيحسب الانسان
ان يترك سدى ومن كسر فعلى الجزاء واستغنى عن جوابه بما تقدم كقولهم انت ظالم
ان فعلت كذا قال ان كنتم مسرفين نضرب وقال المبرد المعنى فعلتم هذا
طلبتم ان نضرب الذكر عنكم صفحاً قال الفراء تقول العرب اضربت عنك وضربت
عنك بمعنى تركتك واعرضت عنك وقال الزجاج المعنى أفنضرب عنكم الذكر اي نهملكم
فلا نعرفكم ما يجب عليكم لان اسرفتم واصل ضربت عنه الذكر ان الراكب اذا ركب دابة
فاراد ان يصرفها عن جهة ضربها بعصاً او سوط لتعدل به الى جهة اخرى ثم وضع
الضرب موضع الصرف والعدل وصفحاً مصدر اقيم مقام الفاعل ونصب على الحال و
المعنى أفنضرب عنكم مذكرين اذكر الواجب صافحين اي معرضين يقال صفح فلان
بوجهه عني اي اعرض قال كثير صفوح فما تلقاك الا بخيلة فمن مل منها
ذلك الوصل ملت والصفوح من صفات الله معناه العفو يقال صفح عن ذنبه اذا عفا
وقال بعضهم المعنى أفظننتم انا نضرب عنكم الذكر الذي بيّنا لكم فيه امر دينكم
صفحاً فلا نطالبكم بالعمل بما فيه ولا نؤاخذكم بمخالفتكم اياه ان كنتم قوماً مسرفين
على انفسكم وجرى ذلك مجرى قول احدنا لصاحبه وقد انكر فعله أأتركك تفعل
ما تشاء أأغفل عنك اذا اهملت نفسك فهو ذلك انكار ووعيد شديد قوله
تبارك وتعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي

الا كانوا

الا كانوا به يستهزءون فاهلكنا اشد منهم بطشاً ومضى مثل الاولين
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم
الذي جعل لكم الارض مهاداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون
خمس آيات بلا خلاف ● يقول الله تعالى مخبراً انه كم ارسلنا من نبي في الاولين
يعني في الامم الماضية وكم موضوعة للتكثير في باب الخبر وهي ضد رب لانها
للتقليل ثم اخبر عن تلك الامم الماضية انه ما كان يجيئهم من نبي من قبل الله الا كانوا
يستهزءون به بمعنى يسخرون منه فالاستهزاء اظهار خلاف الابطان استصغاراً
او استخفافاً فالامم الماضية كذبت بالانبياء واحتقروا ما اتوا به وظنوا انه من المخاريق
التي لا يعمل عليها لجهلهم وفرط غباوتهم فلذلك حملوا انفسهم على الاستهزاء بهم وهو عنادهم
عائد بالوبال عليهم فان قيل لم بعث الله الانبياء مع علمه بانهم يستهزءون
بهم ولا يؤمنون عنده قيل يجوز ان يكون قوم آمنوا وان قلوا لان الله اخبر
بالاستهزاء عن الاكثر ولذلك قال في موضع ومن آمن وما آمن معه الا قليل
وايضاً فكان يجوز ان يكون لولا ارسالهم لوقع منهم المعاصي اضعاف ما وقع
عند ارسالهم فصار ارسالهم لطفاً في كثير من القبائح فلذلك وجب وحسن على
الله في ارسالهم تمكينهم مما كلفوه لانه اذا كان هناك مصالح لا يمكنهم معرفتها
الا من جهة الرسل وجب على الله ان يبعث اليهم الرسل ليعرفوهم تلك المصالح فاذا لم
يؤمنوا بهم وعادوهم من المصالح اتوا من قبل نفوسهم والحجة قائمة عليهم وقوله
فاهلكنا اشد منهم بطشاً اخبار منه تعالى انه اهلك اشد بطشاً من هؤلاء
المشركين الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وآله فلذلك قال ومضى مثل الاولين اي ق
هو مثل لها ولمن يأتي ومعناه انكم قد سلكتم في تكذيب الرسل مسلك
من كان قبلكم فاحذروا ان ينزل بكم من الخزي ما نزل بهم قال الحسن

استرجوه من فوقك ثم قال ولئن سألتهم يعني الكفار من خلق السموات والارض
بان انشأها واخترعها لم يكن جوابهم في ذلك الا ان يقولوا خلقهن يعني السموات والارض
العزيز الذي لا يغلبه العليم بمصالح الخلق وهو الله تعالى لانه لا يمكنهم ان يحيلوا في ذلك
على الاجسام والاوثان لظهور فساد ذلك وليس في ذلك ما يدل على انهم كانوا عالمين
بالله ضرورة لانه لا يمتنع ان يكونوا عالمين بذلك استدلالا وان دخلت عليهم شبهة في
انه يستحق العبادة سواه قال الجبائي لا يمتنع ان يقولوا ذلك تقليدا لانهم
لو علموه ضرورة لعلموا انه لا يجوز ان يعبد معه غيره وهو الذي يليق بمذهبنا في الموافاة
ثم وصف العزيز العليم الخالق للسموات والارض فقال هو الذي جعل لكم الارض
مهادا اي مواضع تستقرون عليها ومن قرأ على التوحيد فلانه يدل على الكثرة
وجعل لكم في الارض سبلا تسلكونها لكي تهتدوا الى مقاصدكم في اسفاركم وقيل
معناه لتهتدوا الى الحق في الدين والاعتبار الذي جعل لكم بالنظر فيها قوله
تبارك وتعالى والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك
تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون
لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا
له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين ٤ خمس آيات بلا خلاف
يقول الله تعالى ان الذي جعل لكم الارض مهادا لتهتدوا الى ما شئتم في دينكم
ودنياكم هو الذي نزل من السماء ماء يعني غيثا ومطرا بقدر اي على قدر الحاجة
لا زيادة عليها فتفسد ولا ناقصا عنها فتقصر ولا ينفع بل هو مطابق للحاجة ويحييها
وذلك يدل على انه واقع من مختار جعله على تلك الصفة وقدره على ما تقتضيه
الحكمة لعلمه بجميع ذلك قوله فانشرنا به بلدة ميتا اي احييناها بالنبات بعد ان كانت

لا يقال له

ميتة

ميتة بالمحل والجفاف يقول انشر الله الخلق فنشروا اي احياهم فحيوا ثم قال وكذلك
تخرجون اي مثل ما اخرج النبات من الارض اليابسة فاحياها بالنبات مثل ذلك يخرجكم
من القبور بعد موتكم ولا فرق بين اخراج النبات واخراج الاموات لان كل ذلك مقدور
على كل قادر الا القادر لنفسه الذي لا يعجزه شيء ومن قدر على احدهما قدر على الآخر
بحكم العقل وقوله والذي خلق الازواج كلها معناه الذي خلق الاشكال من الحيوان
والجماد فمن الحيوان الذكر والانثى ومن غير الحيوان ما هو كالمتقابل كالحلو والحامض
والحلو والمر والرطب واليابس وغير ذلك من الاشكال وقال الحسن الازواج الشتاء
والصيف والليل والنهار والشمس والقمر والسماء والارض والجنة والنار وقوله وجعل
لكم من الفلك يعني السفن والانعام يعني الابل والبقر وما جرى مجراها من الدواب
والحيوان التي تصلح للركوب ثم بين انه خلق ذلك وغرضه لتستووا على ظهوره واعاد
الهاء في قوله على ظهوره لانها راجعة الى ما كما قال تعالى مما في بطونه وفي موضع آخر
بطونها ردها الى الانعام فذكر في سارات في الانعام وقال الفراء اضاف
الظهور الى الواحد لان الواحد في معنى الجمع كالجنس فان قيل لم قال على
ظهوره فجمع الظهور واحد حين اضافه الى واحد وقيل لان الواحد فيه معنى الجميع
فردت الظهور الى المعنى ولم يقل ظهره فيكون الواحد الذي معناه ولفظه واحد وقيل
الايمان غرضه تعالى ان ينتفعوا بالاستواء على ظهورها ثم يذكروا نعمة ربكم اذا
استويتم عليه فتشكروه على تلك النعم وتقولوا معترفين بنعم الله ومنزهين له عن صفات
المخلوقين سبحان الذي سخر لنا هذا يعني هذه الانعام والفلك وما كنا له مقرنين
اي مطيقين يقال انا لفلان مقرن اي مطيق اي انا قرن له ويقال اقرن يقرن اقرانا اذا
اطاق وهو من المقارنة كانه يطيق حمله في تصرفه وقيل مقرنين اي مطيقين ان يقرن
بعضها ببعض حتى يسيرها الى حيث نشاء ويقولوا ايضا وانا الى ربنا لمنقلبون

اى راجعون اليه يوم القيامة فان قيل قوله لتستووا على ظهوره يفيد ان غرضه
بخلق الانعام والفلك ان تستووا على ظهورها وان يريد ذلك منهم فالاستواء على
الفلك والانعام مباح ولا يجوز ان يريده الله تعالى قيل يجوز ان يكون المراد بقوله
لتستووا على ظهورها في السير الى ما امر الله بالمسير اليه من الحج والجهاد وغير ذلك من
العبادات وذلك يحسن ارادته وانما لا يحسن ارادة ما هو مباح محض وايضا فانه تعالى
قال وتذكروا نعمة ربكم اى تعترفون بنعم الله بالشكر عليها وتقولوا سبحان الذي
سخر لنا هذا وذلك طاعة فجوزنا ان يكون مرادا يتعلق الارادة به وقوله وجعلوا له
من عباده جزءا اخبار منه تعالى ان هؤلاء الكفار جعلوا لله من عباده جزءا وقيل
فيه وجهان احدهما انهم جعلوا لله جزءا من عبادته لانهم اشركوا بينه وبين
الاصنام وقال الحسن زعموا ان الملائكة بنات الله وبعضه فالجزء الذي جعلوه له
من عباده هو قولهم الملائكة بنات الله ثم قال تعالى مخبرا عن حال الانسان لنعم الله
فقال ان الانسان لكفور لنعم الله جاحد لها مبين اى مظهر لكفره غير مستتر به
قوله تبارك وتعالى ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم
بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم
اومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون وقالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون حتى
آيات بلا خلاف قرا اهل الكوفة الا ابا بكر اومن ينشأ بضم الياء والتشديد
الباقون بفتح الياء والتخفيف وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر عند الرحمن بالنون الباقون
عباد على الجمع وقرا نافع أأشهدوا بضم الالف وفتح الهمزة من اشهدت الباقون اشهدوا
من شهدت من ينشأ بالتشديد جعله في موضع مفعول لانه تعالى قال انا انشأناهن

انشاء فالنشاء ونشأت بمعنى اذا ربيت ويقول نشأن فلان ونشاه غيره وغلام ناشئ
اى مدرك وقيل في انا انشأناهن انشاء خلقنا اخر فالاهو بنات شعر وابطر ومن خفف جعل
الفعل لهن الله انشاهن فنشوا ونقال الجوار الملاح المنشآت قال نصيب
ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشأ الصغار ومن قرا عباد جمع عبد فهو
كقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون فاراد الله ان يكذبهم
في قولهم ان الملائكة بنات الله وبين انهم عباده ومن قرا عند بالنون فلقوله ان الذين
عند ربك لا يستكبرون عن عبادته وقال سعيد بن جبير قلت لابن عباس في مصحفي
عباد فقال حكه ووجه قراءة نافع أأشهدوا انه جعله من اشهد يشهد جعلهم مفعولين
وقال تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم ومن قرا بفتح الهمزة
جعله من شهد يشهد بها ولا الكفار اذا لم يشهدوا خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
من اين علموا ان الملائكة بنات الله وهم لم يشهدوا ذلك ولم يخبرهم عنه مخبر لما اخبر الله
تعالى عن الكفار انهم جعلوا له من عباده جزءا على ما قررناه وحكم عليهم بالجحود ونعمه
ويكفرون اياديه فقرر ذلك وهوانهم فقال او بل اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين
وفي هذا القول حجة عليهم لانه ابى يحكم من يختار لنفسه ادون المنزلتين ولغيره اعلاها
فلوكان على ما يقول المشركون من جواز اتخاذ الولد عليه لم يتخذ لنفسه دون البنات
ويصفيهم بالبنين فغلطوا في الاصل الذي هو جواز اتخاذ الولد عليه وفي البناء على الاصل
باتخاذ البنات نعوذ بالله من الخطار في الدين ومعنى اصفاكم خصكم وآثركم بالذكور
واتخذ لنفسه البنات ثم قال تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل يعني
اذا ولد لواحد منهم بنت حسب ما اضافوها الى الله ونسبوها اليه وعلى وجه المثل
له ذلك ظل وجهه مسودا اى متغيرا مما لحقه من الغم بذلك حتى يسود وجهه ويربد وهو
كظيم قال قتادة معناه حزين وفي هذا ايضا حجة عليهم الا ان من اسود وجهه

بما يضاف اليه ما لا يرضى هو لنفسه ان يسود وجهه باضافة مثل ذلك الى من هو اجل منه وكيف
الى ربه ثم قال تعالى على وجه الانكار لقولهم او من ينشأ في الحلية قال ابن عباس
او من ينشأ في الحلية المرأة وبه قال مجاهد والسدي هو في موضع نصب والتقدير ابمن ينشأ
في الحلية يجعلون ويجوز ان يكون الرفع بتقدير اولئك ولده على ما قالوا اهو بنات الله من ينشأ
في الحلية على وجه التوبيخ لهم بمعنى الانكار قوله تعالى كالمعزين وقال ابو زيد يعني
الاصنام والاول اصح وهو في الخصام غير مبين في حال الخصومة هو ناقص حتى هو يعني هذه
الصفة في التشبيه على ما يصلح للحلية ودفع الاتحين البيان عند الخصومة فعلى هذا الزمهم ان
يكونوا اضافوا البنات فقد اضافوا ادنى الصفات اليه ثم قال تعالى وجعلوا يعني هؤلاء الكفار
الملائكة الذين هم عباد الرحمن عند الموت انه خاضعون له ومن قرأ بالنون اراد الذين هم
مصطفون عند الله اناثا فقال لهم على وجه الانكار اشهدوا خلقهم ثم قال ستكتب
شهادتهم بذلك ويسألون عن صحتها وفائدة الآية ان من شهد بما لا يعلم فهو حقيق بان
يوبخ ويلام على ذلك وشهادته بما هو مكذب به على الملائكة اعظم من الفاحشة للاجرام
على تنقصهم في الصفة وان كانوا في ذلك على جهالة ثم حكى عنهم انهم قالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم كما قالت المجبرة بان الله تعالى اراد كفرهم ولو لم يشأ ذلك لما كفروا فقال
الله لهم على وجه التكذيب ما لهم بذلك من علم اي ليس يعلمون صحة ما يقولونه وليس
هم الا كاذبين وفي ذلك ابطال لمذهب المجبرة في ان الله تعالى يريد القبيح من افعال
العباد لان الله تعالى قطع على كذبهم في ان الله شاء عبادتهم للملائكة وذلك قبيح
لا محالة وعند المجبرة فالله شاءه ومن نفاه تعالى عن نفسه وكذبهم في قوله بذلك

قوله تبارك وتعالى أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به
مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون
كذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا

آباءنا

آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم
قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
آيات. قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم قال أولو جئتكم على انه فعل ماض
وتقديره قال النذير الباقون قل على الامر على وجه الحكاية لما اوحى الله الى النذير كانه
قال اوحينا اليه فقلنا له قل اولو جئتكم وقرأ ابو جعفر جئناكم بالنون على وجه الجمع
لما حكى الله تعالى عن هؤلاء من تضعيف عبادة الاصنام والملائكة الى مشيئة الله وبين انه لا
يشاء ذلك قال ام آتيناهم كتابا والمعنى التقريع لهم على خطائهم بلفظ الاستفهام و
التقدير اهذا الذي ذكروه شيء تخرصوه وافتروه ام آتيناهم كتابا من قبله فهم مستمسكون
بذلك فاذا لم يمكن ادعاء ان الله انزل بذلك كتابا علم انه من تخرصهم ودل على حذف
حرف الاستفهام ام لانها المعادلة ثم قال ليس الامر على ما قالوا بل قالوا يعني الكفار
إنا وجدنا آباءنا على أمة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي يعني على ملة ودين
والديانة ملة لاجتماع الجماعة على صفة واحدة فيها وقرئ على إمة بكسر الهمزة والمراد
به الطريقة وإنا على آثارهم يعني على آثار آبائنا مقتدون بهداهم ثم قال مثل
ما قال هؤلاء في احوالهم على تقليد آبائهم في الكفر كذلك لم نرسل من قبلك في قرية
وجمع من الناس من نذير الا قال مترفوها وهم الذين اترفوا النعمة
مع طلب الحجة وهم المتنعمون الرؤساء إنا وجدنا آباءنا على أمة يعني على ملة وإنا
على آثارهم مقتدون نقتدي بهم فاحال الجميع على التقليد للآباء وحسب دون
الحجة والتقليد قبيح بموجب العقل لانه لو كان جائزا للزم فيه ان يكون الحق في الشيء
ونقيضه فيكون عابد الوثن مقلدا اسلافه وكذلك مقلدا اسلافه اليهودي والنصراني
والمجوسي وكل فريق يعتقد ان الآخر على خطاء وضلال وهذا باطل باختلافهم
فاذا لا بد من الرجوع الى الحجة عقلا او كتابا منزلا من قبل الله فقال الله تعالى للنذير

قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم هل تقبلونه وفي ذلك حسن التلطف في
الاستدعاء الى الحق وهو انه لو كان ما تأتونه حقا وهدى على ما تزعمون لكان ما جئتكم به من
الحق اهدى من ذلك واوجب ان يتبع ويرجع اليه لان ذلك لو سلموا انه اهدى مما هم عليه
لبطل الرد والتكذيب واذا بطل ذلك لزم التباعد في ترك ما هم عليه ثم حكى ما قالوا في
الجواب عن ذلك فانهم قالوا انا بما ارسلتم به معاشر الانبياء كافرون ثم اخبر تعالى فقال
فانتقمنا منهم بان اهلكناهم وعجلنا عقوبتهم فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المكذبين
لانبياء الله والجاحدين لرسله قوله سبحانه تبارك وتعالى
واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين
وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم
الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون
خمس آيات بلا خلاف يقول الله تعالى لنبيه واذكر يا محمد اذ قال ابرهيم لابيه
وقومه حين رآهم يعبدون الاصنام والكواكب انني براء مما تعبدون اي بريء من
عبادتكم الاصنام والكواكب فقوله براء مصدر وقع موقع الوصف لا يثنى ولا يجمع و
لا يؤنث تقول نحن البراء منك والخلاء منك ثم استثنى من جملة ما كانوا يعبدونه الله ثم
فقال الا الذي فطرني ومعناه اني بريء من كل معبود سوى الله تعالى الذي فطرني
اي خلقني وابتدائي وتقديره الا من الذي فطرني وقال قتادة كانوا يقولون الله ربنا
مع عبادتهم الاوثان فانه سيهدين ثبتها بعد والمعنى انه سيهديني الى طريق الجنة من لطف
من الطافه يكون داعيا الى ان اتمسك به حتى يؤديني اليها وانما قال ذلك ثقة بالله
تعالى ودعا لقومه الى ان يطلبوا الهداية من ربه والتبري من كل من عبد من دون الله
ولجب بحكم العقل كما يجب ذمه على فعل القبيح ليكف ذلك من الزجر عن القبيح والردع عن
الظلم وكذلك يجب تولي من اخلص عبادة الله كما يجب مدحه على فعله وقوله وجعلها

كلا

كلمة باقية في عقبه معناه جعل هذه الكلمة التي قالها ابرهيم كلمة باقية في عقبه بما وصى به
ما اظهره الله من قوله اجلالا له وتنويها به ودفعا عن هذه بما كان منه من جلائل الافعال عنه
والصبر على ما امر الله وقال قتادة هي لا اله والسدي معنى قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه
قول لا اله الا الله لم يزل في ذريته من يقولها وقال ابن زيد هو الاسلام بدلالة
قوله هو سماكم المسلمين وقال ابن عباس في عقبه من خلفه وقال مجاهد في ولده
وذريته وقال السدي في آل محمد عليهم السلام وقال الحسن معناه راجع الى قوم ابرهيم وقال
الفراء معناه لعلهم يرجعون الى دينك الذي هو دين ابرهيم وقال قوم معناه لعلهم يرجعون
عما هم عليه الى عبادة الله وقال قتادة معناه لعلهم يتوبون ويذكرون الله وقال
الله تعالى انا لم نعاجل هؤلاء الكفار بالعقوبة بل متعناهم وآباءهم حتى جاءهم
الحق يعني القرآن قالوا هذا سحر وهو حيلة خفية بوهم المعجزة وانا به يعني بالقرآن كافرون
اي جاحدون لكونه من قبل الله تعالى وانما كان من نسب الحق والدين الى السحر كافرا بالله
لانه بمنزلة من عرف نعمة الله وجحدها فعظم اجرامه فسمى باسم يدل على ذلك
قوله سبحانه تبارك وتعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في
الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا
ورحمة ربك خير مما يجمعون ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا
عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند
ربك للمتقين خمس آيات قرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا على التوحيد بفتح
السين الباقون سقفا بضم السين والقاف على الجمع وقرأ حمزة والكسائي لما متاع
الحياة مشددة الميم الباقون خفيفة من شدد الميم جعل لما بمعنى الا ومن خفف

ورسول مبين اي مظهر الحق يعني محمد صلى
ثم قال تعالى ولما جاءهم الحق
يعني القرآن

جعل ما صلة اى لما العاين عاص فا متحف وشدد قال ابو على من خفف جعل ان المخففة من الثقيلة
وادخل اللام للفصل بين النفي والايجاب كقوله وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ومن نصب لما
مخففة فقال ان نافية لمنطلق استغنى عن هذه اللام لان النافية لا يتصل بعدها اللام
وما زايدة والمعنى وان كل ذلك لمتاع الحياة حكى الله تعالى عن جاهلية الكفار الذين حكى
عنهم انهم قالوا لما جاءهم الحق الذي هو القرآن انه سحر وانهم كافرون بتحقيرهم فقالوا ايضا
لولا نزل هذا القرآن اى يعنون هلا انزل ان كان حقا على رجل من القريتين يعنون القريتين
مكة والطائف يعنون بالرجل العظيم من احد القريتين فى قول ابن عباس الوليد
بن المغيرة المخزومى القرشى من اهل مكة او حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى وقال مجاهد يعنى من الطائف
بالذى من اهل مكة عتبة بن ربيعة والذى من اهل الطائف ابن عبد ياليل وقال قتادة الذى
من اهل مكة يريدون الوليد بن المغيرة والذى من اهل الطائف عروة بن مسعود الثقفى
وقال السدى الذى من اهل الطائف كنانة بن عمرو وانما قالوا ذلك لان الرجلين كانا
عظيمى قومهما وذوى الاموال الجسيمة فيهما ودخلت الشبهة عليهم فاعتقدوا ان من كان
كذلك كان اولى بالنبوة وهذا غلط لان الله تعالى يقسم الرحمة بالنبوة بين الخلق كما يقسم الرزق
فى المعيشة على حسب ما يعلم من مصالح عباده فليس لاحد ان يتحكم فى شىء من ذلك فقال
تعالى على وجه الانكار عليهم والتعجب لقولهم اهم يقسمون رحمة ربك اى ليس الامر على ذلك
بل ذلك اليه تعالى ثم قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وقيل الوجه فى اختلاف الرزق بين الخلق فى
الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة ان فى ذلك تسخير بعض العباد لبعض باحواجهم
اليهم لما فى ذلك من الاحوال التى تدعوا الى طلب الرفعة وارتباط النعم وما فيه من الاعتبار بحال
الغنى والحاجة وما يترتب من صحة التكليف على المؤمنين ثم قال تعالى ورحمة ربك خير مما يجمعون
يعنى رحمة الله ونعمه من الثواب فى الجنة خير مما يجمعه هؤلاء الكفار من حطام الدنيا

ثم اخبر

ثم اخبر تعالى عن هوان الدنيا عليه وقلة مقدارها عنده بان قال لولا ان يكون الناس امة واحدة
اى لولا انهم يصيرون كلهم كفارا لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
عليها يظهرون احتقارا للدنيا وقلة مقدارها ولكن لم يفعل ذلك لانه يكون مفسدة والله تعالى
لا يفعل ما فيه مفسدة ثم زاد على ذلك وكذا يجعل لبيوتهم سقف مثل رهن ورهن وقال
مجاهد كل شىء من السماء فهو سقف وكل شىء من البيوت فهو سقف بضمتين ومنه قوله
وجعلنا السماء سقفا قال الفراء قوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
يحتمل ان يكون اللام الثانية مكررة للاولى ويحتمل ان يكون الثانية بمعنى على كانه قال
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن على بيوتهم سقفا كما تقول جعلت لك لقومك العطاء اى جعلته
لاجلك ومعارج اى ادراجا وسررا جمع سرير يتكئون عليها من فضة ايضا وحذفها لدلالة
الكلام عليها وقوله وزخرفا قال ابن عباس هو الذهب وبه قال الحسن وقتادة والضحاك
وقال ابن زيد هو الفرش ومتاع البيت والزخرف الزين وقال الحسن الزخرف النقوش
والسقف جمع سقوف كرهون ورهن وقيل هو جمع سقف وليس له نظير والاول اولى لانه على
وزن زبور وزبر والمعارج الدرج فى قول ابن عباس وقتادة وهى المراقى قال جندب بن
المثنى يا رب رب البيت ذى المعارج عليها يظهرون اى يصعدون وقال ابن عباس
والحسن وقتادة والسدى لولا ان يكون الناس امة واحدة اى يجتمعون كلهم على الكفر وقال
ابن زيد معناه يصيرون كلهم امة واحدة على طلب الدنيا ثم قال وان كل ذلك لما متاع
الحياة الدنيا معناه ليس كل ذلك يعنى ما ذكره من الذهب والفضة والزخرف الا متاع
الحياة الدنيا ينتفع به قليلا ثم يفنى وينقطع ثم قال والعاقبة عند ربك بالثواب الدائم
للمتقين الذين يتقون معاصيه ويفعلون طاعاته فصار كل حال الدنيا صغيرا بالاضافة
الى ما يعمل للآخرة لان ما يعمل للدنيا ينقطع وما يعمل للآخرة دائم قوله تبارك وتعالى
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن

والسقف بالضم جمع

السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون افانت
افانت تسمع الصم او تهدي العمى ومن كان في ضلال مبين ٤ حتى اذا جاءنا
قراه حمزة والكسائي وابو عمرو وحفص عن عاصم جاءنا بالتوحيد والباقون جاءانا على التثنية
من قرا على التثنية اراد الكافر وقرينه من الشيطان كقوله واذا النفوس زوجت اي قرنت
بنظيرها ومن اوحد قال لان الكافر هو الذي افرد بالخطاب في الدنيا واقيمت عليه الحجة بانفاذ
الرسول اليه فاجتزى بالواحد عن الاثنين كما قال لينبذن في الحطمة والمراد لينبذن هو
هو وماله وقرا يعقوب والعليمي نقيض بالياء على لفظ الخبر عن الغايب والباقون بالنون على
وجه الخبر عن الله يقول الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن اي يعرض عن ذكر الله لجهله
عليه بجهله يقال عشا يعشو عشوا وعشوا اذا ضعف بصره واظلمت عينه كان عليها غشاوة
قال الشاعر متى تاته تعشو الى ضوء ناره تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ٤
واذا ذهب بصره قيل عشي يعشى عشا ومنه رجل اعشى وامرأة عشواء فعشي يعشى مثل
عمي يعمى ومعنى يعشو اذا نظر نظرا ضعيفا وقرى من يعش بفتح الشين ومعناه يعم يقال
عشا الى النار اذا تنورها فقصدها وعشي عنها اذا اعرض عنها قاصدا لغيرها كقولهم مال
اليه ومال عنه وقيل معناه من يعرض عن ذكره وقوله نقيض له شيطانا قيل
في معناه ثلثة اقوال احدها قال الحسن نخلي بينه وبين الشيطان الذي يغويه ويدعوه الى الضلالة
ولا نمنعه منه وقيل نخيل له شيطانا قرينا يقال قيض له كذا وكذا اي سهل ويسر الثالث
قال قتادة نقيض له شيطانا في الاخرة يلزمه حتى يصير به الى النار فحينئذ يتمنى البعد منه نعيده
واما المؤمن فيوكل به ملك فلا يفارقه حتى يصير به الى الجنة وقال الحسن يعشو الى
ذات الشمال فلا يأتي الواحد وانما خذلناه وخلينا بينه وبين الشيطان لاعراضه عن ذكر الله
حتى يغويه لانه اذا كان ممن لا يفلح فلولم يغوه الشيطان لفعل من قبل نفسه مثل ذلك

الفساد

١٦٣

الفساد الذي يفعله باغواء الشيطان او اعظم منه فلم يمنع لطفا وقيض له الشيطان
عقابا وفي ذلك التحذير من الاعراض عن حجج الله وآياته تعالى ثم قال تعالى وانهم يعني
الشياطين ليصدونهم يعني الكفار عن السبيل يعني عن سبيل الحق الذي هو الاسلام ويحسبون
مع ذلك هؤلاء الكفار انهم مهتدون الى طريق الحق وقوله حتى اذا جاءنا من قرا
جاءانا على التثنية اراد حتى اذا جاء الشيطان ومن اغواه يوم القيامة الى الموضع الذي
يتولى الله حساب الخلق فيه وجزاهم ومن قرا على التوحيد فالمراد حتى اذا جاء الكافر
الى الله وعلم ما يستحقه من العقاب ضرورة قال في ذلك الوقت لقرينه يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين وقيل في معناه قولان احدهما انه عنى المشرق والمغرب الا انه غلب
احدهما كما قال شاعر العرب وقال الشاعر اخذنا بآفاق السماء عليكم
لنا قمراها والنجوم طوالع يعني الشمس والقمر وقال الاخر الفضل اراد محمدا وابراهيم
النبي عليهما السلم وقال الاخر وبصرة الازد منا والعراق لنا والموصلان
منا مصر والحرم يعني الموصل والجزيرة الثاني انه اراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف
كما قال رب المشرقين ورب المغربين وانما اراد يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين مسافة
فلم اراك ولا اغتررت بك فبئس القرين كنت انت يقول هذا الشيطان الذي اغواه
فقال الله تعالى ولن ينفعكم اليوم هذا الندم اذ ظلمتم نفوسكم بارتكاب المعاصي
في دار التكليف انكم في العذاب مشتركون اي لانكم في العذاب شركاء فلذلك لا ينفعكم
هذا القول وقيل ان المراد انه لا يسليكم عما انتم فيه ما يتسلى الانسان عن محنة يحصل فيها
اذا راى ان عدوه في مثلها جنيت الله تعالى ان ذلك لا ينفعكم يوم القيامة ولا يبعدكم
عن العذاب ولا يخفف عنكم ذلك يوم القيامة ثم قال لنبيه عليه السلم افانت يا محمد تسمع الصم
او تهدي العمى شبه الكفار في عدم انتفاعهم بما يسمعونه من انذار النبي عليه السلم ووعظه
بالصم الذين لا يسمعون وفي عدم انتفاعهم بما يرونه بالعمي الذين لا يبصرون شيئا ومن

انتم فيه من انواع العذاب ان
اعداءكم شركاؤكم فيها الانر ٥

كان في ضلال عن الحق مبين اي بين ظاهر لا شبهة فيه ومن لا يطلب الحق ولا يجتهد
فيه لبعثه الى الباطل واغتباطه به فهو الذي يتسع هدايته ولا طريق الى ارشاده وصار ولا حيلة فيه
بمنزلة الاعمى الاصم عنده وقرأ ابن عامر وحده ولن ينفعكم اليوم انكم بكسر الهمزة جعل تمام
الآية والوقف على قوله اذ ظلمتم ثم استانف انكم وفتح الباقون جعلوا ان اسما في موضع رفع
قوله تبارك وتعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك
الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط
مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون واسأل من ارسلنا من قبلك من
رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون حمس آيات بلا خلاف قوله
فاما نذهبن بك فانا منهم معناه ان نذهب بك فلما دخلت ما على حرف الشرط اشبه القسم
في التأكيد والايمان يطلب التصديق فدخلت النون في الكلام لذلك الا ان النون تلزم
في جواب القسم ولا تلزم في الجزاء لانه مشبه به وانما وجب ما ذهاب بني الهلاك فيه
من الكفار لانه علامة ليأسه من فلاح احدهم كما اسرى [...] باهله وموسى بقومه ونحوهما
من النبيين وكانه قال فاما نذهبن بك على سنتنا فيمن قبلك فيكون اذهابه من احوالهم
من بين الكفار وقال قوم انما اراد اذهابه بالموت ويكون قوله فانا منهم منتقمون
على هذا ما كان من نقم الله على اهل الكفر اكرم بما بينه حيث اهلكهم ما كان من النقمة
امته بعده ذهب اليه الحسن وقتادة وهو الذي روي عن اهل البيت ورووا ان التأويل
فانا بعلي منهم منتقمون وقال الاولون ان ذلك في المشركين وخوطب بذلك بان الله
ذكر ذلك عقيب ذكر المشركين قالوا وهو ما كان من نقم الله على المشركين يوم بدر بعد
اخراج النبي من مكة وانه استعلى عليهم واسرهم مع قلة اصحابه وضعف عددهم وكثرة
الكفار وكثرة عددهم فقتلوهم كيف شاؤوا واسروا من احبوا وبان بذلك مصداقا لما قال وشدة شوكتهم
لهم وقوله او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون يعني ما اذلهم يوم بدر

بما وعدناه وبين انه تعالى على ذلك قادر وكان كما قال ومن قال بالتأويل الاخير قال
معنى او نرينك او نفعلن ما وعدنا لهم وهلاكهم ثم قال لنبيه فاستمسك بالذي اوحي اليك
من اخلاص العبادة لله تعالى واتباع اوامره والانتهاء عما نهى عنه انك على صراط مستقيم
وصف الاسلام بانه صراط مستقيم لانه يؤدي الى الحق المطلوب حيث يستقيم بصاحبه حتى
يوصله اليه وقوله وانه لذكر لك ولقومك قيل في معناه قولان احدهما ان هذا
القرآن شرف لك بما اعطاك الله عز وجل من الحكمة ولقومك بما عرضهم له من ادراك الخير ان لم
على رجل منهم الثاني انه حجة يؤدي الى العلم لك ولامتك والاول اظهر وقال
الحسن ولقومك لامتك وقيل انه لذكر لك ولقومك يذكرون به الدين ويعملون به وسوف
يسألون عما يلزمكم من القيام بحقه والعمل به ثم قال لنبيه عليه السلم واسأل من ارسلنا من
قبلك من رسلنا قال قتادة والضحاك سل من ارسلنا من رسلنا قبلك يعني اهل
الكتابين التوراة والانجيل وقال ابن زيد يريد الانبياء الذين جمعوا له ليلة الاسرى
وهو الظاهر لان من قال بالاول يحتاج ان يقدر فيه محذوفا وتقديره واسأل امم من ارسلنا
من قبلك وقيل المراد سلهم فانهم وان كانوا كفارا فان تواتر خبرهم يقوم به الحجة وقيل
الخطاب وان توجه الى النبي فالمراد به الامة كانه قال وسلوا من ارسلنا كما قال يا ايها النبي
اذا طلقتم وقوله اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون معناه سلوا من ذكرناه هل
حكم الله فيما مضى معبودا سواه يعبده قوم من الاصنام او غيرها فانهم يقولون لك
انا لم نأمرهم بذلك ولا تعبدناهم به قوله تعالى ولقد ارسلنا
موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا
هم منها يضحكون وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب
لعلهم يرجعون وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون
فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون حمس آيات بلا خلاف هذا اخبر من الله

تعالى بانه ارسل موسى رسولا بالايات الباهرة والحجج اللايحة الى فرعون واشراف قومه وخص
الملأ بالذكر وان كان رسولا الى غيرهم لان من عداهم تبع لهم فقال موسى لهم انى رسول
من رب العالمين الذى خلق الخلق ارسلنى اليكم ثم اخبر تعالى انه لما جاء فرعون وملائه
بالايات والحجج اذا هم منها يعنى من تلك الايات يضحكون جهلا منهم بما عليهم من ترك النظر
فيها وما لهم من النفع عجبوا منها يعادى الجهل من ضحك اولئك الجهال عند ظهور الايات
زجر عن مثل حالهم ودعاء الى العلم الذى ينافى الجهل وفيه ايضا انه لا ينبغى ان يلتفت
الى تضاحك امثالهم من الاولما اذا كان الانسان على يقين من امره والانبياء كلهم يتركون
فى الدعاء الى الله واخلاص عبادته وطاعته فى جميع ما يامر به او ينهى عنه ودعوتهم الى
محاسن الافعال ومكارم الاخلاق وان اختلفت شرايعهم وتباينت مللهم ونسخ
بعضها بعضا وقوله وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها معناه انه تعالى لم يرهم
يعنى فرعون وقومه معجزة ولا دلالة الا وهى اكبر من التى عند ادراك الانسان
لها لما يجوله من امرها فيجد نفسه يقتضى انها اكبر كما يقول الانسان هذه العلة التى
نزلت بى اعظم من كل علة وهو يريد ان لها مزية اعظم منها الا انه ذهب هول الاولى
بلا ضرار فاحكم الثانية بعضو اخاوقال قوم المعنى وما نريهم من اية الا وهى اهول بعجزهم
فى صدورهم من التى مضى قبلها ثم قال تعالى واخذناهم بالعذاب اذ عصوا فيها وكفروا
بها لكى يرجعوا الى طاعته وانما اخذناهم بالعذاب ليرجعوا مع العلم بانهم لا يرجعون
لعمان ان يرجعوا اليه لان كما فى المعلوم انه لا يقع لا يجوز ان يفعل العالم بما ان اجل
انه سيقع ولكن يجوز ان يفعل شيئا لامكان ان يقع والمعنى هاهنا لعلهم يرجعون الى طريق
الحق الذى ذهبوا عنه الى طريق الباطل ثم حكى تعالى ما قال فرعون وملاوه لموسى
عند ذلك فانهم قالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون
وقال قوم انما قالوا له يا ايها الساحر لجهلهم بنبوته وصدقه واعتقادهم انه

165 سحرهم لذلك وقال قوم كان الساحر عندهم هو العالم ولم يكن صفة ذم وقال
الحسن انما قالوا ذلك على وجه الاستهزاء بموسى كما قال المشركون يا ايها الذى نزل عليه الذكر
انك لمجنون وقال الزجاج وجه ذلك انه جرى على السنتهم على عادتهم قبل ذلك وقال
قوم ارادوا يا ايها الفطن ويا ايها العالم لان السحر عندهم دقة النظر والعلم بالشىء كالسحر الحلال
يقال فلان يسحر بكلامه وقال قوم خاطبوه بما تقدم لهم من تسميته بالساحر فقالوا ادع لنا
ربك بما عهد عندك ومعناه انك يا موسى ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب فى قول مجاهد
فانه متى كشف عنا ذلك اهتدينا ورجعنا الى الحق الذى دعوتنا اليه وفى الكلام حذف لان
تقديره فدعا موسى وسال ربه وضرع اليه ان يكشف عنهم العذاب وكشف الله عنهم ذلك فاذاهم
عند ذلك ينكثون ومعناه ينقضون ما عقدوا على انفسهم وقال قتادة معناه يغدرون
وانما اخبر الله تعالى وقص خبر موسى وما جرى له تسلية للنبى محمد صلى الله عليه وآله والمعنى
ان حال موسى مع قومه وحالك مع قومك سواء فاصبر ان امرك يؤول الى الاستعلاء كما آل
امر موسى عليه السلام اليه قوله تبارك وتعالى ونادى فرعون فى قومه
قال يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون ام انا خير
من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القى عليه اساورة من ذهب او جاء معه الملائكة
مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم
فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك
منه يصدون وقالوا ءالهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون
ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة
فى الارض يخلفون عشر آيات قرأ حفص عن عاصم اسورة بغير الف الباقون
بالف اساورة وقرأ حمزة والكسائى وخلف سلفا بضم السين واللام الباقون بفتحهما فمن قرأ بالضم
اراد جمع السين واللام سليف اى جمع قد مضى من الناس ومن قرأ اسورة اراد جمع سوار و

وقال ابو عبيدة وقد يكون اسوار جمع اسورة ومن قرأ سلفاً بضم السين واللام جعله جمع سليف
وقال ابو علي ويجوز ان يكون جمع سلف مثل اَسَد واُسُد ووَثَن ووُثُن ومن فتح
فلانه جعله اسماً في حروف مراد بها الكثرة فكأنه اسم من اسماء الجمع كقولهم خادم وخَدَم والفتح
اكثر وقد روي بضم السين وقرأ الكسائي ونافع وابن عامر يَصُدُّون بضم الصاد معنى
يعرضون اي عنه لكن الباقون بفتح الياء وكسر الصاد معنى يضجون وقيل هما لغتان
لما حكى الله تعالى عن قوم فرعون انه حين كشف العذاب عنهم نكثوا عهدهم وعادوا الى ما كانوا
عليه من الكفر نادى فرعون في قومه الذين اتبعوه على دينه وقال لهم يا قوم على وجه التقرير
لهم اليس لي ملك مصر اتصرف فيها كما اشاء لا يمنعني احد منه وهذه الانهار تجري كالنيل واجزاء
تجري من تحتي اي من تحت امري وقيل انها كانت تجري من تحت قصره وهو مشرف عليها افلا تبصرون
ان ما ادعيه حق وان ما تقوله يا موسى باطل وقيل قوله من تحتي معناه ان النيل كانت تجري
منه انهار تحت قصره وقيل من تحتي من بين يديه في جنانه وبساتينه ثم قال لهم فرعون ام انا خير
من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين وقال قوم معناه بل انا فكأنه قال بل انا خير
من موسى وقال قوم هي بمنزلة ام المنقطعة وفيها معنى المعادلة لقوله افلا تبصرون ام انتم بصراء
لانهم لو قالوا انت خير كان بمنزلة قولهم نحن بصراء وكذلك لو قالوا اعني بصراء لكان بمنزلة قولهم
انت خير والاصل في المعادلة على اي الحالين انتم على حال البصراء ام على خلاف حالهم ولا يجوز
ان يكون المعنى على اي الحالين انتم على حال البصراء ام على حال في اي خير من هذا الذي هو مهين
وفي المعادلة تفصيل ما اجمله في ام هاهنا بتقدير اانا خير من هذا الذي هو مهين ام هو
ثم ذكر بام لاتصال الكلام بما قبله وحكى الفراء اما انا وهذا شاذ غير جيد المهين
الضعيف في قول قتادة والسدي وقيل معناه حقير وقيل يمتهن نفسه في جميع ما يحتاج اليه ليس
له من يكفيه ولا يكاد يبين لعقدة كانت في لسانه وقال قتادة كانت في لسانه آفة وقال السدي
وقيل انه كان احترق لسانه بالجمر الذي وضعه في فيه حين اراد ان يعتبر فرعون عقله لما لطم

وجهد

وجهد اراد ان ياخذ خير النار صرف جبرئيل يده الى النار فدفع عنه القتل وقال الحسن كان في لسانه
ثقل فنسبه الى ما كان عليه اولاً وقوله فلولا القي عليه اساورة من ذهب معناه هلا ان
كان صادقاً في نبوته طرح عليه اساورة من ذهب فمن قرأ اساورة جعله جمع اسورة واسورة
جمع سوار وهو الذي يلبس في اليد واما اسوار فهو الرامي الحاذق بالرمي ويقال اسوار بالضم ومن
جعله جمع اسورة الا انه اسقط الياء فجعل الهاء عوضاً من الياء مثل الزنادقة فالذي صرفه لانه صار
له نظير في الآحاد وشكله في الجمع الزنادقة والاسوار الرجل الرامي الحاذق بالرمي من رجال العجم
وقوله او جاء معه الملائكة مقترنين قال قتادة معناه متعاضدين متظاهرين كل واحد
مع صاحبه ما يأتي على امره وقال مجاهد معناه مقترنين يمشون معه وقوله فاستخف قومه
معنى فرعون استخف عقول قومه فاطاعوه فيما دعاهم اليه لانه احتج عليهم بما ليس بدليل
وهو قوله اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي ولو عقلوا وفكروا لقالوا ليس في
ملك الانسان ما يدل على انه محق لكون ملوك يخالفونك مبطلين عندك وليس يجب ان يأتي
مع الرسل ملائكة لان الذي يدل على صدقه المعجز دون غيره ثم اخبر الله تعالى عنهم
بانهم كانوا قوماً فاسقين خارجين عن طاعة الله الى معصيته ثم قال فلما آسفونا انتقمنا منهم قال
ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد معنى آسفونا اغضبونا لان الله تعالى يغضب
على العصاة بمعنى يريد عقابهم ويرضى عن المطيعين بان يريد ثوابهم بما يستحقونه من طاعتهم ومعاصيهم
كما يستحقون المدح والذم وقيل الاسف الغيظ من المغتم الغالب هاهنا بمعنى الغضب ثم بين
تعالى ماذا انتقم منهم فقال فاغرقناهم اجمعين ثم قال فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين السلف
المتقدم على غيره وقيل يجيء وقته ومنه السلف في البيع والسلف نقيض الخلف ومن قرأ بضم السين
واللام فهو جمع سليف من الناس وهو المتقدم امام القوم وقيل معناه جعلناهم سلفاً
متقدمين ليتعظ بهم الآخرون وقال قتادة جعلناهم سلفاً الى النار ومثلاً اي عظة للآخرين
والمثل بيان عن ان حال الثاني كحال الاول فيما ذكر صار في الشهرة كالعلم فحال هؤلاء كحال المتركين

متتابعين وقال السدي معناه يقارن بعضهم بعضاً وقيل معاً
صح

آسفونا

كما من تقدم في الاسراف بانتقضى ان يحرموا عن الاهلاك انه اقاموا على الطغيان
ثم قال الله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قيل المراد من لما
ضرب الله المسيح مثلا بآدم في قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم اعرض قوم النبي عليه السلم
عن ذلك من كفار قريش فانزل الله تعالى هذه الآية ووجه الاحتجاج في امر المسيح بآدم
ان الله الذي قدر ان ينشئ آدم من غير ذكر قادر على انشاء المسيح من غير ذكر فلا وجه للاستنكار
من هذا الوجه وقيل انه لما ذكر المسيح بالبراءة من الفاحشة وانه كآدم في الخاصية قالوا هذا
يقتضي ان نعبده كما عبدوه النصارى وقيل انه لما نزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم قالوا رضينا ان يكون الهتنا مع المسيح وروى عن النبي عليه السلم انه قال يوما
لعلي عليه السلم لولا اني اخاف ان يقال فيك ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولا لا تمر
بملأ الا اخذوا التراب من تحت قدميك انكر ذلك جماعة من المنافقين وقالوا لم يرض ان يضرب
له مثلا الا بالمسيح عليه السلم فانزل الآية وقوله يصدون بكسر الصاد وضمها لغتان
وقد قرئ بهما مثل يشد ويشد وينم وينم من النميمة وقيل معنى يصدون بكسر الصاد يضجون
اي ضجوا سرورا منهم بانهم عبدوا الاوثان كما عبدت النصارى المسيح بن مريم ومن ضمها اراد يعرضون
ثم حكى عن الكفار انهم قالوا االهتنا خير ام هو قال السدي يعنون ام المسيح وقال قتادة
يعنون ام محمد وقيل معنى سؤالهم في قولهم االهتنا خير ام هو انهم الزموا ما لا يلزم على ظن منهم و
توهم كانهم قالوا ومثلنا فيما نعبد مثل المسيح فايهما خير اعبادة الهتنا ام عبادة المسيح الزمهم بعبادة المسيح على انه ان قال عبادة المسيح
غير الله وكذلك ان قال عبادة الاوثان وان قال ليس في عبادة المسيح خير قصر به عن المنزلة التي
ليست لاحد من سائر العباد وجوابهم عن ذلك ان اختصاص المسيح بضرب من التشريف والانعام
عليه لا يوجب العبادة كما لا يوجب ان قد انعم على غيره النعمة ووجه اتصال سؤالهم بما قبله انه
معارضة الالهية الاوثان بالالهية المسيح كمعارضة انشاء المسيح من غير ذكر بانشاء آدم عليه السلم
من غير ذكر ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله ما ضربوه يعني المسيح مثلا الا جدلا اي خصومة

ودفعا

ودفعا لك عن الحق لان المجادلة لا يكون احد المجادلين الا مبطلا والمناظرة قد تكون بين المحقين
لانه يعارض ليظهر له الحق ثم قال تعالى بل هم قوم خصمون اي جدلون في دفع الحق بالباطل
ثم وصف المسيح عليه السلم فقال ان هو الا عبد انعمنا عليه اي ليس هو سوى عبد خلقناه وانعمنا
عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل قال السدي وقتادة اي آية وعظة وعبرة لهم
يعتبرون به ويتعظون ثم قال ولو نشاء لجعلنا منكم اي بدلا منكم معاشر بني آدم ملائكة
في الارض يخلفون بني آدم غير انه انشا بني آدم لاسباغ النعمة عليهم وروى قالون عن نافع االهتنا
بهمزة واحدة بعدها مدة والباقون بهمزتين على اصولهم غير انه لم يفصل احد بين الهمزتين
بالف وانما حققهما اهل الكوفة وروح ولين الباقون الثانية وقال ابو عبد الله بن خالويه
هي ثلاث الفات الاولى للتوبيخ والتقرير بلفظ الاستفهام الثانية الف الجمع الثالثة اصلية والاصل
االهتنا فصارت الهمزة الثانية مدة ثم دخلت الف الاستفهام قوله تعالى
وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان
انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم
بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم
خمس آيات الضمير في قوله وانه لعلم للساعة يحتمل ان يكون راجعا الى عيسى
عليه السلم لان ظهوره يعلم به مجيء الساعة لانه من اشراطها وهو قول ابن عباس ومجاهد
وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد وقيل انه اذا نزل المسيح رفع التكليف لئلا يكون رسولا
الى اهل ذلك الزمان وما يامرهم به عن الله وينهاهم عنه وقيل انه عليه السلم يعود غير مكلف
في دولة المهدي وان كان التكليف باقيا على اهل ذلك الزمان وقال قوم ان الضمير عائد
الى القرآن يعلمكم قيامها ويخبركم عنها وعن اهوالها وهو قول الحسن والفائدة بالعلم للشيء
انه يجب التاهب لها من اجلها يقوم الجزاء لا محالة وفي الشك فيها امور في اهوالها ويجب

لاجلها اجتناب القبائح التي يستحق بها الذم والعقاب واكتساب المحاسن التي يستحق بها المدح و
الثواب وروى عن ابن عباس شاذا انه قرأ العلم بفتح العين واللام يعني انه علامة و
دلالة على الساعة ومن جعله خطاب الامة فقال فلا تمترن بها اي لا تشكن فيها والمرية
الشك ويدل على ان المراد به جميع الامة قوله واتبعون هذا صراط مستقيم اي ما اخبرتكم
به من البعث والنشور والثواب والعقاب صراط مستقيم ثم نهاهم فقال ولا يصدنكم الشيطان
اي لا يمنعكم الشيطان عن اتباع الطريق المستقيم الذي بيّنته الذي يفضي بكم الى الجنة و
لا يعدل بكم الى الطريق المؤدي الى النار انه لكم عدو مبين فالعداوة طلب المكيدة والايقاع
في كل هلكة من اجل العداوة التي تدعو صاحبها اشتغالها في صدره ثم اخبر مهلكة
تعالى عن حال عيسى حين بعثه الله نبيا فقال ولما جاء عيسى بالبينات يعني بالمعجزات
قال قتادة يعني بالمعجزات قال لهم قد جئتكم بالحكمة اي بالذي من عمل به من العباد نجا ومن
خالفه هلك وقوله ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه قال مجاهد يعني من احكام
التوراة وقال قوم تقديره جئتكم بالانجيل وبالبينات التي يعرفها الخلق والذي جاء به
عيسى انما هو بعض ما اختلفوا فيه وبين لهم وقال قوم البعض يراد به ههنا الكل كما قال
ولابين لكم جميع ما تختلفون فيه وقيل المراد به من امر دينكم دون امر دنياكم والاختلاف
اصل كل عداوة والوفاق اصل كل ولاية لان الخلاف يوجب البغض ثم يقوى بالكثرة
حتى يصير عداوة ثم قال لهم يعني عيسى عليه السلام فاتقوا الله بان تجتنبوا معاصيه وتفعلوا
طاعاته واطيعون فيما ادعوكم اليه من العمل بطاعة الله ثم قال لهم ايضا ان الله الذي يحق
له العبادة هو ربي وربكم فاعبدوه خالصا ولا تشركوا به معبودا آخر ثم قال هذا
صراط مستقيم يفضي بكم الى الجنة وثواب الله وقوله فاختلف الاحزاب من بينهم قال
السدي يعني اليهود والنصارى وقال قتادة يعني الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى ثم
قال الله تعالى فويل للذين ظلموا انفسهم بارتكاب معاصي الله من عذاب يوم القيامة

قوله سبحانه وتعالى هل ينظرون الا الساعة ان
تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا
الجنة انتم وازواجكم تحبرون خمس آيات بلا خلاف يقول الله تعالى مخاطبا لخلقه
وموبخا لهم هل ينظر هؤلاء الكفار ومعناه هل ينتظرون الا الساعة يعني يوم القيامة وقيل
معناه هل ينتظر بهم لانهم لم يكونوا ينتظرونها فاضاف اليهم مجازا وقيل سميت القيامة
ساعة لقرب اولها ثم يحصل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وقيل سميت بذلك كانها تكون في ساعة
لانها ابتداء اوقات الآخرة ومن ابتداء تعديد الساعات وقوله بغتة اي فجأة واتاك
الساعة فيمتنع تقديم الانذار بها لانهم مع الانذار بها لا يدرون وقت مجيئها كما لا يدري
الانسان وقت الرعد والزلازل فتأتي بغتة وان علم انها تكون ثم قال تعالى الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض وهو جمع خليل يومئذ بعضهم لبعض عدو يعني من كانت خلته في دار الدنيا في غير
طاعة الله بل كانت في معصية الله فان تلك الخلة تنقلب عليه عداوة لان صاحبه يتبين فساد
تلك الخلة يوم القيامة وانما كان كذلك لان كل واحد من المتخالين في غير طاعة الله يرى من
صاحبه خلاف الحق ويدعوه الى ما يوبقه ويورثه سوء العاقبة بدل ما كان يلزمه من النصيحة له في
الارشاد الى ترك القبيح وفعل الحسن ثم استثنى المتقين من جملة الاخلاء الذين اخبر عنهم انهم يصيرون
اعداء المتقين لان من كانت خلته في طاعة الله وعلى ما امر الله به فانها تتأكد ذلك اليوم ولا تنقلب
عداوة ثم اخبر تعالى بما يقال للمؤمنين المطيعين من عباده فانه يناديهم فيقول لهم يا عبادي
وخصهم بانهم عباده من حيث اطاعوه واجتنبوا معاصيه لا خوف عليكم اليوم من العقاب ولا
انتم تحزنون من فوت الثواب ثم وصف عباده وميزهم من غيرهم فقال الذين آمنوا بآياتنا يعني
الذين صدقوا بحجج الله واتبعوها وكانوا مسلمين اي مستسلمين لما امرهم الله به منقادين له ثم بين
انه يقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم اللاتي كن مؤمنات تحبرون اي تسرون فيها والحبور السرور

الذي يظهر في بشرة الوجه انه وحبر يحسنه بما يظهر اثر السرور به وقال قتادة وابن زيد معنى يحبرون ينعمون وقال السدي معناه يكرمون والمراد بالازواج من كان مستحقا للثواب ودخول الجنة وقيل المراد بالازواج اللاتي يزوجهم الله بهن من الحور العين في الجنة قوله سبحانه وتعالى
يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون
حتى ايات بلا خلاف قرا نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ما تشتهيه الانفس بالهاء الباقون تشتهي بلا هاء وحذف الهاء من الصلة اذا كان المفعول حسن كقوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا ومن اثبتها فلانه الاصل لما استوفى الله تعالى المتقين من جملة الاخلاء الذين يقلب خلتهم عداوة وان خلتهم باقية واخبر انه يقال لهم ولازواجهم ادخلوا الجنة محبورين اخبر عما لهم فيها من انواع اللذات فقال يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وتقديره ينقل الوان الطعام اليهم في صحاف الذهب ثم يوتون باكواب الشراب على جهة الاستمتاع في جميع تلك الاحوال والصحاف الجامات التي يوكل فيها الالوان الاطعمة واحدها صحفة والذي يطوف بين تلك الوصفا والوصايف من الحور العين الذين يخلقهم الله في الجنة واكتفى بذكر الصحاف والاكواب من ذكر الطعام والشراب وواحد الاكواب كوب وهو اناء على صورة الابريق لا اذن له ولا خرطوم قال الاعشى صريفية طيبا طعمها لها زبد بين كوب ودن وهو كالكاس للشراب وقال السدي الصحاف القصاع وقوله تعالى وفيها اي في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانما اضاف الالتذاذ الى الاعين وهو للانسان لان المناظرة الحسنة سبب من اسباب اللذة فاضافتها الى هذه الجهة احسن وابلغ لما فيه من البيان مع الايجاز لانه الموضع الذي يلتذ الانسان بعد رويته ثم قال وانتم فيها يعني في الجنة وفي هذه الانواع من اللذات خالدون اي مويدون وقوله وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون قال الحسن ورث الله تعالى

[illegible]

الذين اطاعوه وقبلوا امره ونهيه ومنازل الذين عصوه ولم يقبلوا امره ونهيه ويجوز ان يكون المراد لما كانت الجنة جزاء على اعمالهم التي عملوها وعقيب ذلك عبر عن ذلك بالميراث او ورثوها ثم بين ما لهم في الجنة ايضا فقال لكم معاشر المتقين فيها يعني في الجنة فاكهة كثيرة اي ثمار عظيمة منها تاكلون ثم اخبر تعالى عن حال اهل النار والعصاة فقال ان المجرمين في عذاب جهنم يعني الذين عصوا الله في عذاب جهنم وعقابها خالدون اي دايمون لا يفتر عنهم يعني العذاب واصل الباب الفتور ضعف الحرارة وهم فيه يعني في العذاب مبلسون اي يايسون من رحمة الله وفرجه وهو قول قتادة والابلاس الياس من الرحمة لشدة الحيرة يقال ابلس فلان اذا تحير عند انقطاع الحجة قوله تبارك وتعالى
مالك
وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون حتى ايات بلا خلاف لما بين الله تعالى ما يفعله بالعصاة والمجرمين من انواع العذاب بين انه لم يظلمهم بذلك لانه تعالى منزه عن ظلمهم عالم بقبح الظلم ومن كان كذلك لا يفعل القبيح والظلم قبيح وبين انهم هم الذين ظلموا انفسهم بارتكابهم المعاصي وفعل القبايح ثم حكى تعالى ما ينادي به هاولا العصاة في حال العذاب فانهم ينادون مالكا خازن النار فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك اي يميتنا حتى نتخلص من هذا العذاب فيقول لهم مالك مجيبا لهم انكم ماكثون اي لابثون فيها وقال ابن عباس والسدي انما يجيبهم مالك خازن جهنم بعد الف سنة وقال عبد الله بن عمر بعد اربعين عاما وقال نوف بعد مائة عام ثم اخبر تعالى انه جاء الخلق بالحق وبما اخبر به من حال اهل الجنة واهل النار ولكن اكثركم معاشر الخلق كارهون للحق وانما لم يكره ذلك المومنون منكم ثم قال ام ابرموا امرا اي بل اجمعوا على التكذيب اي عزموا عليه فانا مجمعون على الجزاء لهم بالتعذيب وهو قول قتادة ويكون ذلك فانا مبرمون

ويكون ذلك على وجه الاحتجاج لان العزم لا يجوز عليه تعالى ومثاله وجزاء سيئة سيئة مثلها
وقيل معناه ام احكموا امرا في المخالفة فانا محكمون امرا في المجازاة ثم قال ام يحسبون
انا لا نسمع سرهم ونجواهم اي يظن هؤلاء الكفار انا لا نسمع سرهم ونجواهم اي ما يخفونه
بينهم وما يعلنونه ثم قال بلى بل نسمع ذلك وندركه ومع ذلك رسلنا لديهم يكتبون قال
السدي وقتادة معناه ان رسلنا الذين هم الحفظة لديهم يكتبون ما يفعلونه ويقولونه وقد
روي لسبب نزول هذه الاية ما هو معروف في الكتب لا نطول بذكره قوله تعالى
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين سبحان رب السموات والارض
رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك السموات
والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون حتى آيات قيل في معنى قوله
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اقوال احدها فانا اول الانفين من عبادته لان
من كان له ولد لا يكون الا جسما محدثا ومن كان كذلك لا يستحق العبادة لانه لا يقدر على النعم
التي يستحق بها العبادة يقول العرب عبدت فضحت قال الفرزدق واعبد ان يهجى كليب
بدارم وقال اخر الا هزئت ام الوليد واصبحت لما ابصرت في الراس مني تعبد
الثاني ما قال ابن زيد وابن اسلم وقتادة ان ان بمعنى ما وتقديره ما كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين لله الثالث هو انه لو كان له ولد لعبدته على ذلك كما يقول لو دعت
الحكمة الى عبادة غير الله لعبدته لكنها لا تدعو الى عبادة غيره وكما يقول لو دل الدليل على ان
له ولدا لقلت به لكنه لا يدل فهذا تحقيق نفي الولد لانه تعليق محال بمحال الرابع قال السدي
لو كان له ولد لكنت اول من عبده بان له ولدا لكن لا ولد له وهذا قريب من الوجه الثالث
الخامس ان كان لله ولد على قولكم فانا اول من وحده وعبده على انه لا ولد له ذهب اليه مجاهد
وانما لم يجز على الله تعالى الولد لانه لا يخلو ان يضاف اليه الولد حقيقة او مجازا وحقيقة الولد ان يكون

الأنفين

اجمعت

مخلوقا من مائه او مولودا على فراشه وذلك مستحيل عليه تعالى ومجازه ان يضاف اليه على وجه
التبني وانما يجوز ذلك فيمن يجوز عليه حقيقته الا ترى انه لا يقال تبنى شاب شيخا لما لم يمكن
ان يكون ولدا له حقيقة وان جاز ان يضاف الى شيخ شاب انه تبناه لما كانت حقيقته معقولة
فيه وكذلك لا يقال تبنى انسان بهيمة لما كان يستحيل ان يكون مخلوقا من مائه او على فراشه
فلما استحال حقيقته على الله تعالى استحال ايضا مجازه وانما جاز ان يقال روح الله ولم يجز
ان يقال ولد الله لان روح الله بمعنى ملك الله للروح وانما اضيف اليه تشريفا وان
كانت الارواح كلها لله بمعنى انه مالك لها ولا يعرف مثل ذلك في الولد ثم نزه تعالى نفسه
عن اتخاذ الولد فقال سبحان رب السموات والارض يعني الذي خلقهن رب
العرش اي خالقه ومدبره عما يصفونه من اتخاذ الولد لان من قدر على خلق ذلك واختاره
مستغن عن اتخاذ الولد ثم قال لنبيه على وجه التهدد للكفار فذرهم اي اتركهم
يخوضوا في الباطل ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فيه بالعذاب الابدي وقال
تعالى وهو الذي في السماء اله اي يحق له العبادة في السماء ويحق له العبادة في الارض وانما كرر
لفظة اله في قوله وفي الارض اله لاحد امرين احدهما للتاكيد ليتمكن المعنى في النفس
لعظمه في باب الحق الثاني ان المعنى هو في السماء اله تجب على الملائكة عبادته وفي الارض
اله يجب على الادميين عبادته وهو الحكيم في جميع افعاله العليم بجميع المعلومات وتبارك
الذي له وهو ماخوذ من الثبوت ومعناه جل الثابت الذي لم يزل ولا يزال وقيل
معناه جل الذي عم بركة ذكره الذي له ملك السموات والارض اي الذي له التصرف فيهما بلا
دافع وله منازع وفيما بينهما وعنده علم الساعة يعني علم يوم القيامة لانه لا يعلم وقته
على التعيين غيره واليه ترجعون يوم القيامة فيجازي كلا على قدر عمله فمن قرا بالتاء خاطب
الخلق ومن قرا بالياء رد الكناية الى الكفار الذين تقدم ذكرهم قوله تعالى
ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون

البرك وهو

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ
قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٤ اربع آيات
قرأ عاصم وحمزة وقيله يا رب بكسر اللام على تقدير وعنده علم الساعة وعلم قيله
الباقون بالنصب وقال الاخفش ردا على قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم و
قيله وقال الاخفش هو نصب على المصدر وقال قوم معناه ام يحسبون انا لا نسمع
سرهم ونجواهم وقيله وقيل لانه لما قال وعنده علم الساعة كان تقديره ويعلم قيله
وقرأ قتادة وقيله بالرفع جعله ابتداء يقول الله تعالى مخبرا ان الذين يدعون الكفار
الاها ويعبدون عبادة ثم اليه من الاصنام والاوثان وغيرها لا يملكون من دون
الله الشفاعة وهي مسألة الطالب العفو عن غيره واسقاط الضرر عنه لان حقيقة الشفاعة
ذلك وعند قوم يدخل فيها المسألة في زيادة المنافع ثم استثنى من جملتهم من شهد بالحق
وهم يعلمون بذلك وهم الملائكة وعيسى وعزير وقيل المعنى ولا تشفع الملائكة
وعيسى وعزير الا لمن يشهد بالحق وهو يعلم الحق ذكره مجاهد وقال قوم الا من
شهد بالحق الملائكة وعيسى وعزير لهم عند الله شهادة بالحق وقيل المعنى الا من يشهد
بانه اهل العفو عنه وهم يعلمون ذلك وهذا لا اصحاب الصغائر والذين تابوا من الكبائر
ثم قال تعالى ولئن سألتهم يا محمد يعني هؤلاء الكفار من خلقهم واخترعهم من العدم
الى الوجود ليقولن الله لانهم يعلمون ضرورة ان الاصنام لم تخلقهم فقال الله معنفا لهم
فانى يؤفكون مع علمهم بان الله هو خالقهم فكيف ينقلبون عن عبادته
الى عبادة غيره وقوله وقيله يا رب من نصبه احتمل ان يكون بقوله الا من شهد بالحق
وقال قيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون على وجه يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
على وجه الانكار عليهم وقيل المعنى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وقال
الزجاج الاختيار وعنده علم الساعة ويعلم قيله ومن جر فعلى تقدير وعنده علم الساعة وقيله

علم

قيله يا رب وقيل معنى وقيله انه شكا محمد عليه السلام شكوة الى ربه ثم قال لنبيه عليه السلام فاصفح
عنهم اي اعف عنهم قال قتادة وكان ذلك قبل امره اياه بقتالهم وقل سلام رفع على تقدير وعليكم
سلام اي ما سلم به من شرهم واذاهم وقال الحسن معنى وقل سلام احلم عنهم ثم هددهم
فقال فسوف يعلمون يعني يوم القيامة اذا عرفوا ما يستحقون من الثواب والعقاب جزاء على
كفرهم في دار التكليف وقرأ نافع وابن عامر فسوف تعلمون بالتاء على وجه الخطاب الباقون
بالياء على الخبر عن الكفار الذين مضى ذكرهم

سورة الدخان

هي مكية في قول قتادة ومجاهد وهي تسع وخمسون آية في الكوفي وسبع في البصري وست في المدني

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ
كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
ست آيات في الكوفي وخمس في الباقين قد بينا معنى حم فيما مضى واختلاف الناس فيه
وان اقوى الوجوه انه اسم للسورة وانما كرر ذكر حم لانه ينبئ عن استفتاح السورة بذكر
الكتاب على وجه التعظيم اذ على ذلك جميع الحواميم فهو اسم علم للسورة متضمن بمعنى
الصفة من وجهين احدهما انها من الحروف العربية والآخر انها استفتحت بذكر
الكتاب على طريق المدحة وقوله والكتاب المبين فالمراد بالكتاب القرآن وجره بانه قسم
وقال قوم تقديره ورب الكتاب المبين وانما اقسم به لينبئ عن تعظيمه لان القسم يوكد
الخبر بذكر المعظم منعقدا بما يوجب انه حق كما ان تعظيمه حق وانما وصف بانه مبين وهو
بيان لما انه في وصف بانه بمنزلة الناطق بالحكم الذي فيه من غير ان يحتاج الى استخراج
الحكم من بيان غيره لانه يكون من البيان ما لا يقوم بنفسه دون مبين حتى يظهر المعنى
فيه وقوله انا انزلناه في ليلة مباركة اخبار منه تعالى انه انزل القرآن في الليلة
المباركة وهي ليلة القدر في قول قتادة وابن زيد وقال قوم هي ليلة النصف من شعبان

والاول اصح لقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وقيل هي في كل شهر
رمضان فيها يقسم الآجال والارزاق وغيرها من الالطاف في قول الحسن وقيل انزل
الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم انزل نجوما على النبي عليه السلام وقيل ينزل في ليلة القدر
قدر ما يحتاج اليه في تلك السنة وقيل المعنى انا ابتدأنا انزاله في ليلة مباركة ووصفها بانها
مباركة لان فيها يقسم الله نعمه على عباده من السنة الى السنة والبركة نماء الخير وضده
الشوم وهو نماء الشر فالليلة التي انزل فيها كتاب الله مباركة فان الخير ينمي فيها على ما دبره
الله لها من علو من تجنبها بالخير الذي قسمه فيها وقوله انا كنا منذرين فالانذار
الاعلام بموضع الخوف ليتقى وموضع الامن ليرتجى فالله فيها يفرق كل امر حكيم
تعالى قد انذر العباد باتم الانذار ومن طريق العقل والسمع وقوله
هاهنا يعني محكم وهو ما بيناه من انه تعالى يقسم في هذه الليلة الآجال والارزاق و
غيرها وقوله امرا من عندنا يحتمل ان يكون نصبا على الحال وتقديره انزلناه امرين و
يحتمل ان يكون على المصدر وتقديره يفرق كل امر فرقا ووضع امرا موضعه وقوله
انا كنا مرسلين اخبار منه تعالى انه يرسل الرسل رحمة اي نعمة ونصبه على المصدر واختار
الاخفش النصب على الحال اي انزلناه امرين راحمين ويجوز ان يكون نصبا على انه مفعول
له اي انزلناه للرحمة وسميت النعمة رحمة لانها بمنزلة ما يبعث على فعله رقة القلب على
صاحبه ومع داعي الحكمة الى الاحسان اليه وتأكيد امره وقوله انه هو السميع العليم
معناه انه يسمع ما يقول خلقه من المبطلين والمحقين فيجب كل احد منه على ما يعلم من مصالح
من ارسال الرسل اليه وانعامه عليه **قوله تبارك وتعالى**
رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ
مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ خمس آيات قرأ اهل الكوفة الا حفصا
رب السماوات خفضا بدلا من قوله رحمة من ربك رب السماوات الباقون

بالرفع

بالرفع على الاستئناف ويجوز ان يكون خبرا ثانيا في قوله انه هو السميع العليم لما ذكر تعالى
انه جل وعز السميع العليم وصف نفسه ايضا بانه الذي خلق السماوات والارض ودبرهما
ودبر ما بينهما ان كنتم موقنين بهذا الخبر محققين له وقيل ان وجه الاحتجاج بذكر رب السماوات
والارض هاهنا ان الذي دبرهما على ما فيه مصالح العباد هو الذي دبر الخلق بارسال الرسل
رحمة منه بعباده وعلى ما فيه مصالحهم ومعنى ان كنتم موقنين اي بهذا التدبير فايقنوا بما
هو مثله ويجوز ان يكون المراد ان كنتم موقنين اي ان كنتم ممن يطلب اليقين فهذا طريقه
واليقين ثلج الصدر بالعلم وهو حال يجده الانسان من نفسه عند التقبل ولهذا
يقال من وجد برد اليقين ولذلك لا يوصف الله تعالى باليقين وان وصف بانه عالم وعليم
ثم بين تعالى انه لا احد يستحق العبادة سواه بقوله لا اله الا هو وانه يحيي الخلق
بعد موتهم ويميتهم بعد احيائهم ربكم الذي خلقكم ودبركم ورب آبائكم الذي خلقهم
ودبرهم الاولين الذين سبقوكم وتقدموكم ثم اخبر تعالى عن الكفار فقال ليس
هؤلاء بموقنين بما قلناه بل هم في شك يعني مما اخبرناك به ووصفنا الله تعالى به
يلعبون بذلك ويهزؤن ثم قال لنبيه عليه السلام فارتقب قال قتادة فانتظر
يوم تأتي السماء بدخان مبين والدخان الظلمة التي كانت تغشى ابصار المشركين من
شدة الجوع حين دعا عليهم النبي عليه السلام فقال اللهم سنين كسني يوسف
في قول ابن مسعود والضحاك وقال ابن عباس والحسن وهو المروي عن النبي عليه السلام
ان الدخان آية من اشراط الساعة تدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس
الحنيذ ويصيب المؤمن منه مثل الزكمة ويغشى الناس يعني الدخان يعم الناس ثم حكى تعالى
بان هؤلاء الكفار يقولون عند ذلك هذا عذاب اليم اي مؤلم موجع والغشي للباس يعم الشيء
من الاطراف من يلبس الازار ولم يغشه فاذا عمه كان قد غشاه والغاشية من اللباس
الجلالة يغشون وغاشيته السرج من ذلك ومنه قوله يغشي الليل النهار والعذاب استقرار

الا وهو وصف بالیم مبالغة فی سببه لاجل استمراره وصار بالعرف عبارة عن العقاب
لان الالم الذی یفعل للعوض والاعتبار کانه لا یعتد به لما یؤول الیه من النفع
قوله تعالی ربنا اکشف عنا العذاب انا مؤمنون انی لهم الذکری
وقد جاءهم رسول مبین ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا کاشفوا العذاب
قلیلا انکم عائدون یوم نبطش البطشة الکبری انا منتقمون حتی آیات
ثم اخبر الله تعالی ان الدخان یغشی الناس عذابا لهم وعقابا للکفار وحکی انهم یقولون
ویدعون ربنا اصرف عنا العذاب الذی انزلته من الدخان انا موقنون بانه لا اله غیرک وکان
لا یستحق العبادة سواک فقال تعالی انی لهم الذکری قال ابن عباس معناه کیف وقال
غیره معناه من این لهم الذکری وقد جاءهم رسول مبین وحثهم علی ذلک فلم یقبلوا منه
وهذا زمان سقوط التکلیف لکونهم ملجئین فلا یقبل لهم التوبة وقوله ثم تولوا عنه
وقالوا معلم مجنون قال مجاهد المعنی ثم تولوا عن محمد صلی الله علیه وآله وقالوا هو معلم یعلمه
غیره ونسبوه الی الجنون وانه مجنون ثم قال تعالی علی وجه التبکیت لهم وشدة عنادهم انا
لو کشفنا عنهم العذاب ورفعناه عنکم انکم عائدون من قال ان العذاب بالدخان عند
رفع التکلیف قال انکم عائدون فی العذاب وهو قول قتادة ومن ذهب الی انه فی الدنیا
مع بقاء التکلیف قال معناه انکم عائدون فی الضلال وقوله یوم نبطش البطشة الکبری
فالبطش الاخذ بشدة وقع الالم بطش به یبطش بطشا وبطش مثل عرش یعرش ویعرش
وهو باطش واکثر ما یکون بوقوع الضرب المتتابع فاجری انواع الالام المتتابع مجراه والبطشة
الکبری قال ابن مسعود ومجاهد وابو العالیة فی روایة عن ابن عباس وابی بن کعب
والضحاک وابن زید هو ما جری علیهم یوم بدر وفی روایة اخری عن ابن عباس والحسن انه
یوم القیامة وهو اختیار الجبائی وقوله انا منتقمون اخبار منه تعالی انه ینتقم من
هؤلاء الکفار بانزال العقوبة بهم وقد فرق قوم بین النقمة والعقوبة بان النقمة ضد

النعم

النعم والعقوبة ضد المثوبة فهی مضمنة بالجنایة المعصیة فی الصفة ولیس کذلک النقمة
وانما تدل الحکمة علی انها لا تقع من الحکیم الا لاجل المعصیة قوله تعالی
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول کریم ان ادوا الی عباد الله انی لکم
رسول امین وان لا تعلوا علی الله انی آتیکم بسلطان مبین وانی عذت بربی وربکم
ان ترجمون وان لم تؤمنوا لی فاعتزلون حس آیات اقسم تعالی انه فتن قبلهم یعنی
قبل کفار قوم النبی علیه السلم قوم فرعون ای اختبرناهم وشددنا علیهم بان کلفناهم لان
الفتنة شدة التعبد فی الاخذ بالسراء والضراء واصلها الاحراق بالنار لخلاص الذهب
من الغش هذه الشدة کشدة الاحراق للخلاص وقیل الفتنة معاملة المختبر
لیجازی بما یظهر دون ما یعلم مما لم یظهر وجاءهم رسول کریم ای حقیق بالکرم فی الدعاء
الی الله والبرهان الواضح والدلیل القاهر حتی یسلکوا طریق الهدی المؤدی الی الثواب
الجنة ویعدلوا عن طریق الردی المؤدی الی العقاب وقیل معناه کریم عند الله بما استحق
بطاعته من الاکرام والاجلال وقوله ان ادوا الی عباد الله قال الحسن هو مثل
قوله ان ارسل معنا بنی اسرائیل فعباد الله منصوب بادوا وقیل هو منصوب علی النداء ای
یا عباد الله وادوا ما امرکم به فی قول الفراء انی لکم رسول امین علی ما ادویه الیکم وادعوکم
الیه وان لا تعلوا علی الله قال ابن عباس معناه لا تطغوا علیه بافتراء الکذب علیه وقال قتادة
معناه لا تبغوا علیه بکفر نعمه وقیل معناه لا تتکبروا علی الله بترک طاعته واتباع امره وقیل
معناه لا تبغوا علی اولیاء الله بالبغی علیهم وقال الحسن معناه لا تستکبروا علیه
بترک طاعته انی آتیکم بسلطان مبین ای حجة واضحة لان السلطان الحجة والمبین الظاهر
الذی مع ظهوره یظهر الحق فکانه اظهره ثم قال وانی عذت بربی ای الذی خلقنی وربکم الذی خلقکم
ان ترجمون قال ابن عباس وابو صالح الرجم الذی استعاذ منه موسی هو الشتم کقولهم
هو ساحر کذاب ونحوه وقال قتادة هو الرجم بالحجارة ثم قال لهم وان لم تؤمنوا لی ای ان لم تصدقونی

فاللام بمعنى الباء ومعناه وان لم تصدقوني فاني رسول الله اليكم وان ما ادعوكم اليه حق
يجب عليكم العمل به فلا اقل من ان تعتزلوني تصرف اذاكم عني لا تكونوا لم تجازوا الاحسان بالاحسان
فلا اساءة فلما دعاهم الى ترك ملابسته بسوء اصروا على الكفر وابوا ان يقبلوا الى الايمان لان
هذا امر يدعو اليه العقل بيد يهتيه ولا يحتاج الى برهان قوله تبارك وتعالى
فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا
إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا
فَاكِهِينَ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ
ثمان آيات قرا ابو جعفر فكهين بغير الف هاهنا وفي المطففين وفي الطور واتفقوا في
وحفص في المطففين حكى الله تعالى ان موسى حين يئس من قومه ان يؤمنوا به دعا الله ربه
فقال ان هاولاء قوم مجرمون وقيل انه دعا بما يقتضي سوء افعالهم وقبح اجرامهم وسوء معاملتهم
له فكانه قال اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم ومعاصيهم بما به يكونون نكالا لمن بعدهم
وما دعا عليهم الا بعد ان اذن الله له في الدعاء عليهم وقوله فاسر بعبادي ليلا
وقعت موقع الجواب وتقديره فدعا فاجيب بان قيل له فاسر بعبادي معنى عطف وقع موقع
جواب الدعاء وامره الله تعالى بان يسير باهله والمؤمنين به ليلا لئلا يردهم اذا خرجوا
نهارا واعلمه انه سيتبعهم فرعون وقومه ويخرجون خلفهم وامره بان يترك البحر رهوا
اي ساكنا على ما هو به من كثرة اذا قطعه ولا يرده الى ما كان ويقال عيش راه اذا كان خفضا
وادعا وقال قوم معناه اترك البحر يبسا او طريقا يابسا وقال ابن الاعرابي معناه واسعا
ما بين الطرقات وقال ابن خيري معناه ربنا اي سهلا ليس برمل ولا حزن الطاقات
ذكره الازهري يقال جاءت الخيل رهوا اي متابعة وقال ابن الاعرابي الرهو من
من الخيل والطير السراع وقال العكلي الرهو من الخيل الذي يراه كانه لا يسرع واذا طلب
لا يدرك ويقال لعطاء سهوا رهوا اي كثيرا لا يحصى وانما قال ذلك لانه كان اراد ان

وكم

يرد ان يضرب البحر بعصاه لتنطبق فيه طرق الفرعون فامره بان يتركه على حالة الاولى ليغرق
فيه فرعون وجنده قال الليث طيرات ترى رهوا ينضح الزماع به او لمتحرك
رهوا الى صعيد اي ساكنا على كثرتهم ثم اخبره ان فرعون وقومه سيغرقهم الله وفي
الكلام حذف لان تقديره ان موسى سار بقومه وتبعه فرعون وجنده وان الله اهلكهم
وغرقهم ثم اخبر عن حالهم بان قال كم تركوا من جنات يعني من بساتين وعيون
لهم تركوها لم تنفعهم حين نزل بهم عذاب الله وعيون جارية لم تدفع عنهم عذاب
الله وزروع جمع زرع ومقام كريم قيل هو المجلس الشريف وقيل مقام الملوك
والامراء والحكام وقيل المنازل الحسنة وقال قتادة يعني مقام حسن بهج وقال مجاهد
وسعيد بن جبير هي المنابر وقيل المنابر وقيل المقام الكريم هو الذي يعطي اللذة
كما يعطي الرجل الكريم الصلة ونعمة كانوا فيها فاكهين فالنعمة بفتح النون التنعم كرعا
منفعة يستحق بها الشكر وان كانت مشقة لان التكليف نعمة وان كانت فيه مشقة و
معنى الاية انهم كانوا متنعمين فاكهين فالفاكه المتمتع بضروب اللذة كما يتمتع الاكل بضروب
الفاكهة يقال فكه يفكه فكها فهو فكه وفاكه وتفكه تفكها فهو متفكه وقوله
كذلك واورثناها قوما آخرين فتوريث النعمة تصييرها الى الثاني بعد الاول
بغير مشقة كما تصير الميراث الى اهله على تلك الصفة وتوريث العلم تشبيه بذلك
لان الاول تعب في استخراجه وتوطئة الادلة المؤدية اليه ووصل الى الثاني وهو وادع
كم وادع لم يكل لطول الفكر وشدة طلب العلم فلما كانت نعمة قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم
الى غيرهم وكان ذلك توريثا من الله لهم قال قتادة يعني بقوم آخرين بني
اسرائيل لان بني اسرائيل رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون على ما قيل وكذلك
قال في موضع آخر واورثناها بني اسرائيل وقوله فما بكت عليهم السماء والارض
قيل في معناه ثلاثة اقوال احدها قال الحسن فما بكى عليهم اهلهم الله تعالى اهل

اهل السماء واهل الارض لانهم مسخوط عليهم مغضوب عليهم بانزال الخزي بهم الثاني ان التقدير
ان السماء والارض لو كانتا ممن تبكي على احد ان اهلك لما بكتا على هؤلاء لانهم ممن اهلكهم
الله بالاستحقاق وانزل عليهم جزاء ما كانوا يكفرون والعرب تقول اذا ارادت تعظيم
موت انسان اظلمت الشمس وكسف القمر لفقده وبكته السماء والارض وانما يريد المبالغة قال
الشاعر الريح تبكي شجوه والبرق يلمع في الغمامة وقال اخر فالشمس طالعة ليست
بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمر الثالث انهم لم يبك عليهم ما يبكي على المؤمن من
مصلاه ومصعد عمله ذكره ابن عباس وابن جبير ومعناه لم يكن لهم عمل صالح وقال السدي
لما قتل الحسين عليه السلام بكت السماء عليه وبكاؤها حمرة اطرافها وقال الحسن ما بكى عليهم
المؤمنون من الملائكة بل كانوا بهلاكهم مسرورين وقوله وما كانوا منظرين اي ما امهلوا بالعقوبة
ولم يمهلوا قوله تبارك وتعالى ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين
من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم
من الآيات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن
بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين سبع آيات اقسم الله تعالى انه نجى اي
خلص بني اسرائيل الذين آمنوا بموسى من العذاب المهين الذي كان يفعل بهم فرعون وقومه
لانهم كانوا قوما استعبدوهم وكانوا يجلدونهم الشاق ويحملونهم الاثقال ويكلفونهم كنسها
وتنظيفها وغير ذلك فخلصهم الله بموسى ثم اخبر تعالى ان فرعون كان عاليا من المسرفين
اي متجبرا متكبرا من المسرفين في الارض الذين يتجاوزون حد ما يجوز فعله الى ما لا يجوز فعله
استكبارا وعتوا يقال اسرف يسرف اسرافا فهو مسرف ومثله الافراط وضده الاقتصار [الاقتار] وانما
وصف المسرف بانه عال وان كان صفة عال قد يكون صفة مدح لانه قيده بانه عال في الاسراف
لان العالي في الاحسان ممدوح والعالي في الاساءة مذموم ولاطلاق صفة عال معظم واذا اطلق
فالمدح به اولى ثم اخبر تعالى مقسما بانه اختارهم يعني موسى وقومه على علم على العالمين والاختيار

هو اختيار

هو اختيار الشيء على غيره بالارادة له لتفضيله عليه ومثله الايثار وليس في مجرد الارادة تفضيل
شيء على غيره لانه قد يمكن ان يريد شيئا من غير ان يخطر بالبال ما هو اولى منه في الفعل فلا
يكون اختياره قال ان يريد الاعلى ولا يدري انه اولى فيختاره عليه لجهله بانه اولى او
يختاره وهو يعلم انه ادنى فيختاره عليه لحاجته اليه من جهة تعجيل النفع به دون اختيار الادون
في الصلاح على الاصلح كان منقوصا مذموما لانه بمنزلة من اختار القبيح على الحسن وقيل
المعنى اخترناهم على عالمي زمانهم بدلالة قوله لامة نبينا كنتم خير امة اخرجت
للناس وذلك يوجب انه ما اختارهم على من هو خير منهم وانما اختارهم على من هو في وقتهم
من العالمين وقال قتادة ومجاهد على عالمي زمانهم وانما قال اخترناهم على العالمين
بما جعل فيهم من الانبياء الكثيرين بهذه خاصة لهم ليست لغيرهم لما في المعلوم من صلاح المكلفين
بانبيائهم ثم بين ما به اختارهم بان قال وآتيناهم يعني اعطيناهم من الآيات يعني الدلالات
والمعجزات ما فيه بلاء مبين قال الحسن يعني ما فيه النعمة الظاهرة قال الفراء البلاء قد يكون
العذاب وقد يكون النعمة وهو ما فعل الله بهم من اهلاك فرعون وقومه وتخليصهم منهم والعذاب
نعمة عليهم شيئا بعد شيء ثم اخبر تعالى عن كفار قوم نبينا عليه السلام وقال ان هؤلاء ليقولون
ان هي الا موتتنا الاولى اي ليس هذا الا الموتة الاولى ولسنا بعدها بمبعوثين ولا معادين
منشرين ويقولون فأتوا بآبائنا الذين ماتوا قبلنا واعيدوهم ان كنتم صادقين في ان الله تعالى
يقدر على اعادة الاموات واحياء الموتى لان من قدر على النشأة الاولى قدر على اعادة الاحياء
وهذا باطل لان النشأة الثانية انما وجبت للجزاء لا للتكليف فلا يلزم اعادة الآباء و
لا يجب قوله تبارك وتعالى اهم خير ام قوم تبع والذين من
قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين
اربع آيات ان قيل لم لم يجابوا عن شبهتهم في الآية ولم يبين لهم ان ذلك لا يلزم

ومن الوجه في جوابهم خير ام قوم تبع قلنا ان من عادة اهل الحجاج الذي يجري مجرى
الشغب الذي لا يعتقد به مذهب الحق الشبهة فانه ينبغي ان يعدل عن مقابلته
الى الوعظ له بما هو اعود عليه فكان الله تعالى معهم لا يحسن الا الوعظ الشديد وقال
اهؤلاء الكفار خير ام قوم تبع والذين من قبلهم فانا اهلكناهم لما جحدوا الآيات وكفروا
بنعم الله وارتكبوا معاصيه فالذي يؤمن هؤلاء من مثل ذلك وقيل تبع الحميري كان
رجلا من حمير سار بالجيوش حتى حيّر الحيرة ثم اتى سمرقند فهدمها وكان يكتب باسم الذي الى الحيرة حتى حيرها
ليس وملك برا وبحرا وضحا وريحا ذكره قتادة وقال سعيد بن جبير وكعب الاحبار
ذم الله قومه ولم يذمه ومعنى ان ... وحكى الزجاج ان تبعا كان مؤمنا وان قومه كانوا
كافرين وقيل انه نظر الى كتاب على قبرين بناحية حمير هذا قبر رضوى وقبر حبى
ابنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل سمي تبعا لانه تبع من قبله من ملوك اليمن والتبابعة
اسم ملوك اليمن ثم قال تعالى وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين اي لم
نخلق ذلك الا لغرض حكمي بل خلقناهم لغرض حكمي سائر وهو ان ينتفع به المكلفين
وتعريضهم للثواب وينتفع سائر الحيوان بالمنافع لهم فيها والآيات وفي الآية دلالة على
من انكر البعث لانه لو كان على ما قالوه لكان لا يجري به الى الجزاء في دار الجزاء من
الاعمال كان لعبا لانه ابتداء باخبار الالم لا يجري به الى غرض ثم قال تعالى ما خلقناهما يعني
السماوات والارض الا بالحق قال الحسن معناه الا للحق الذي يصل به الى دار الجزاء
وقيل فيه قولين احدهما ما خلقناهما الا بداعي الحكمة الى خلقهما والعلم لا يدعو
الا الى الصواب الثاني ما خلقناهما الا على الحق الذي يحق به الحمد خلاف الباطل الذي
يستحق به الذم ثم قال ولكن اكثرهم لا يعلمون صحة ما قلناه لعدولهم عن النظر فيه والاستدلال
على صحته وفي ذلك دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورة لانها لو كانت كذلك لما نفى تعالى علمهم ضرورة
بذلك ثم قال تعالى ان يوم الفصل يعني اليوم الذي يفصل فيه بين المحق والمبطل بما يفصل

٧

١٧٦

كل واحد منها الى حال من حقه او باطله فتشفى صدور المؤمنين ويقطع قلوب الكافرين بما يرون
من ظهور الامر وانكشافه وهو يوم القيامة وبين انه ميقات الخلق اجمعين وهو من له ثواب
او عوض او عليه عقاب قوله تبارك وتعالى يوم لا يغني مولى يوصل اليه
عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم
ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا
ما كنتم به تمترون القراءة قرأ يغلي بالياء ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم
الباقون بالتاء من قرأ بالياء رده الى المهل ومن قرأ بالتاء رده الى الشجرة قال
ابو علي من قرأ بالياء حمله على الطعام لان الطعام هو الشجرة في المعنى الا ترى انه خبر الشجرة
والخبر هو المبتدأ بعينه اذا كان مفردا في المعنى ولا يحمل على المهل لان المهل انما ذكر للتشبيه
به في الذوب لان التقدير ان شجرة الزقوم طعام الاثيم تغلي في البطون كالمهل على الحميم
لما ذكر تعالى ان يوم الفصل ميقات الخلق يحشرهم الله فيه ويفصل بينهم بالحق بين اي
يوم هو فوصفه انه يوم لا يغني فيه مولى عن مولى شيئا لان الله تعالى ايأس من ذلك
لما علمه فيه من صلاح العباد ولولا ذلك لجاز ان يغري والمعنى انه ليس لهم من ينصرهم
من عقاب الله تعالى ولا ينافي ذلك ما يقوله من ان يشفع النبي والائمة والمؤمنون في
اسقاط كثير من عقاب المؤمنين لان الشفاعة لا تحصل الا بامر الله واذنه والمراد
في الآية انه ليس لهم من يغني عنهم من غير ان يأذن الله له فيه على وجه الدفع عنه
والنصر له ويقال ذلك بقوله ولا هم ينصرون والمولى هاهنا الصاحب الذي
شأنه ان يتولى معونة صاحبه على اموره فيدخل في ذلك ابن العم والحليف وغيره مما هو
صفته وقد بين ما اشرنا اليه بقوله الا من رحم الله فان من رحمه الله اما ان
يسقط عقابه ابتداء او يأذن في اسقاط عقابه بالشفاعة فيه ثم وصف نفسه بانه القادر

الذي لا يغلب ولا يمتنع عليه دفع العذاب عمن يريد فعله به الرحيم اى المنعم لمن يريد العفو
عنه باسقاط عقابه ثم اخبر الله تعالى ان شجرة الزقوم فى النار طعام الاثيم الذى
يستحق العقاب بمعاصيه وعنى بها هنا ابو جهل فالزقوم ما اكل بتكره شديد ولهذا
يقال تزقم هذا الطعام تزقما اى فى حكم من اكله بتكره شديد له لانه عشوه
فيه وياكله بشره شديد ولهذا حكى عن ابى جهل انه اتى بتمر وزبد فقال تزقموا هذا
اى علاجه ما اصاحبنا ثم شبه ذلك بانه مثل المهل وهو المشى الذى يذاب فى النار
حتى يشتد حره كالفضة والرصاص وغيرهما مما يماع بالنار وهو مهل لانه يمهل فى النار
حتى يذوب وقال ابن عباس المهل ما اذيب بالنار كالفضة وهو قول ابن مسعود
وروى عن ابن عباس ايضا ان المهل دردى الزيت فى النار ثم وصف المهل بانه يغلى فى
البطون من حرارته كما يغلى الحميم وهو الماء المغلى على النار فالمهل يغلى فى بطون اهل
النار كما يغلى الماء بحق الاتقاد والغلى ارتفاع المايع من الماء او نحوه لشدة الحرارة والحميم
الحار ومنه احم الله ذلك من لقائه اى ادناه وقربه لانه ما حم فللاسراع وما برد فللابطاء
ومنه حمم ريش الطاير اذا قرب خروجه ثم بين انه تعالى يامر الملائكة بان ياخذوا الكافر
وان يعتلوه الى سواء الجحيم يعنى الى وسطه والعتل زعزعة البدن بالجفاء والغلظة
فمعنى فاعتلوه احملوه بهذا الحمل ومنه العتل وهو الجافى الغليظ قال تعالى عتل بعد
ومعتله عتلا اذا ساقه دفعا وجرا قال الفرزدق ليس الكرام بناحليك
اباهم حتى ترد الى عطية تعتل وسواء الجحيم وسطه فى قول قتادة وسمى وسط الشى سواء
لاستواء المسافة بينه وبين اطرافه المحيطة به والسواء العدل كقولهم هذا سواء بيننا
اى عدل ثم بين تعالى انه يامرهم بان يصبوا فوق راس الكافر من عذاب الحميم وهو
ما امرناه ثم يخاطبه فيقول له ذق انك انت العزيز الكريم على وجه التهجين له بما كان
يدعى له مما ليس به اى انت الذليل عند نفسك وقومك ويجوز ان يكون على معنى النقيض

كانه

كانه قيل انك انت الذليل المهين الا انه قيل على تلك الجهة للتبعيد منها على وجه الاستخفاف
به وقيل ان الاية نزلت فى ابى جهل وقد كان قال انا اعز من بها واكرم ذكره قتادة وقيل
المعنى انك الذى كنت تطلب العز فى قومك والكرم بمعصية الله وقيل المعنى انك انت
العزيز فى قومك الكريم عليهم فما اغنى عنك ثم قال ان هذا يعنى العذاب ما كنتم به تمترون
اى تشكون فيه فى دار الدنيا وفى الاية دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورة
وقرأ الكسائى ذق انك بفتح الهمزة بمعنى لانك انت العزيز او بانك الباقون بكسر الهمزة
على وجه الابتداء والخبر عنه ويكون الوقف على ذق العذاب ثم ابتدا انك وقرا فاعتلوه بضم
التاء ابن كثير ونافع وابن عامر الباقون بكسر التاء وهما لغتان على ما حكيناه. قوله
تعالى إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ
آمِنِينَ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلًا
مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ
مُرْتَقِبُونَ سبع آيات. قرأ ابن عامر ونافع فى مقام بضم الميم وهو موضع الاقامة الباقون
بفتح الميم وهو موضع القيام لما اخبر الله تعالى عن الكفار وما يفعل بهم من انواع
العقاب اخبر عن حال المطيعين وما اعده لهم من الثواب فقال ان المتقين يعنى الذين
يتجنبون معاصيه لكونها قبائح ويفعلون طاعاته لكونها طاعة فى مقام اى موضع اقامة
فمن ضم الميم ومن فتحها يريد انهم فى موضع قيامهم ووصفه بانه امين من كل ما يخاف وليس
هو كدار الدنيا لانه لا يخلو احد فيها من موت خوفا من مرض او اذى او غير ذلك
ثم بين ذلك المقام فقال فى جنات يعنى بساتين تجنها الاشجار وعيون ماء نابعة فيها يلبسون
من سندس فالسندس الحرير فى قول الحسن والاستبرق الديباج الغليظ فى
قول قتادة وانما رغبهم فى ذلك بحسب ما كانوا يعرفونه وان كان هاهنا ما هو ارفع منها

واحسن متقابلين اي يقابل بعضهم بعضاً بالمحبة لا متدابرين بالبغضة ثم قال ومثل
ما فعلنا بهم ذلك زوجناهم بحور عين فالحور جمع حوراء من الحور وهو شدة البياض وقال
قتادة بحور اي بيض ومنه الحوارى لبياضه وحورته اي بيضته ومن حار يحور اي رجع الى الحال
الاولى كانه رجع الى حال الابيض ومنه المحور والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين الحسنة وقال
الحور في حكم الله وقال الحسن العين الشديدة سواد العين الشديدة بياض العين يدعون
فيها بكل فاكهة آمنين اي يستدعون اي ثمرة شاءوا ولونٍ كانوا فيه من ثمارها ثم قال لا يذوقون
فيها يعني في الجنة الموت الا الموتة الاولى شبه الموت بالطعام الذي يذاق ويكره عند المذاق
ثم نفى ذلك وانه لا يكون ذلك في الجنة وانما خصهم بانهم لا يذوقون الموت مع ان جميع الحيوان
يوم القيامة لا يذوقون الموت لما في ذلك من البشارة لهم بانتقالهم الى الحياة الطيبة في الجنة
فاما من يكون فيها هو كحال الموت في الشدة فلا يطلق له هذه الصفة لانه يموت موتات
بلا وقوعه كثيرة بما يقاسي من الشدة والا أعني المكلفين فليس ما يفعل فلحقه هذه البشارة وان
حكم ذلك اهل الجنة وقوله الا الموتة الاولى قيل ان الا بمعنى بعد كانه قال بعد
الموتة الاولى وقيل معنى الا سوى كانه قال سوى الموتة الاولى وقيل انما معناه لكن
وتقديره لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقال الجبائي هذا حكاية حال المؤمنين
في الجنة فاما حين هم في الدنيا فهم يموتون وقيل بعد الموت جاز ان يقول لا يذوقون فيها
الموت في المستقبل الا الموتة الاولى يخرجون بها من دار التكليف وهذا ضعيف لان
ذلك خبر عن حكمهم في الجنة وانهم لا يذوقون فيها الموت ثم استثنى من ذلك الموتة الاولى التي
وكيف يدل على دار الدنيا وحقيقته الا لاخراج بعض من كل وحقيقة بعد الاخراج الثاني
من الوقت الاول وقوله ووقاهم عذاب الجحيم اي صرف عنهم عذاب النار وليس في
ذلك ما يدل على ان الفاسق الملي لا يعذب ويخرج من النار من حيث انه لا يكون قد
وقي النار لانه يحتمل امرين احدهما ان يكون ذلك مخصوصاً بمن لا يدخل النار ممن

يستحقه

لا يستحقه او من عفي عنه والثاني ان يكون المراد ووقاهم عذاب الجحيم على وجه التأبيد على
الوجه الذي يعذب عليه الكفار ثم بين ان ذلك فضل من الله وهبه على القصد وتقديره
فضل فضلاً منه تعالى واخبر بان ذلك هو الفوز العظيم يعني الفلاح العظيم ثم قال
لنبيه انما يسرناه بلسانك يعني باللغة العربية ليفقهوه ويتذكروا ويتفكروا فيعلموا ان الامر
على ما قلناه ثم امره عليه السلم فقال فارتقب بالمجيء اي انتظر ما يحل بهم ما وعدتك به انهم
منتظرون ايضا وهو قول قتادة وانما قال فيهم انهم منتظرون لانهم في مثل حال المنتظر
في انه سيأتيه عاقبة حاله كما يأتي المنتظر **سورة الجاثية**
مكية في قول مجاهد وقتادة وهي سبع وثلثون آية في الكوفي وست في البصري والمدنيين
قوله تبارك وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين
وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما
انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم
يعقلون خمس آيات في الكوفي واربع في الباقي قرأ اهل الكوفة الا عاصماً آيات
بالكسر في الثلاثة المواضع الباقون بالرفع في الثاني والثالث من خفض التاء فعلى انه
في موضع نصب رداً على ان وانما كسرت التاء لانها تاء جمع التأنيث وقال المبرد
هذا لحن لانه عطف على عاملين على ان وعلى حرف الواو لانه يكون عطف والتلاوة على
في وعطف آيات على ان هذه الواو وحدها فاما آيات الثانية فاجاز عطفها على الاولى
لان موضعها وتقديره ان في خلقكم قال ابن خالويه ليس ذلك لحنا لان من رفعها
فقد عطف على عاملين فيكون عطف جملة على جملة ويجوز ان يكون عطفا على موضعها لان
موضعها الرفع والخفض كان يجيز العطف على عاملين فيقول مررت بزيد في الدار
والحجرة [illegible] ح بقول الشاعر اكل امرئ تحسبين امرأ ونار تأجج للحرب نارا

عطف على ما عملت فيه كل وما عملت فيه عن بين واجود من العطف على عاملين ان يجعل
ايات الثانية بدلا من الاولى فيكون حينئذ عطفا على عاملين وتقديره ان في السموات والارض
لايات للمؤمنين لايات كما تقول ضربت زيدا زيدا فلا يحتاج الى حرف العطف ومن رفع ايات
الثانية حملها على الابتداء والخبر وجعل الثالثة تكريرا للثانية بالرفع قال ابو
الحسن من رفع ايات عطفها على ما قبلها كما خفض واختلاف عطفا على ما قبلها وقال ابو علي
وجه قراءة الكسائي انه لم يحمل على موضع ان كما حمله من رفع ايات في الموضعين او قطعه و
استانف لكنه حمله على لفظ ان دون موضعها فحمل ايات في الموضعين على نصب ان في قوله
ان في خلق السموات والارض لايات للمؤمنين ويكون على تقدير ان وان كانت محذوفة من
اللفظ ويجعلها في حكم المثبت فيه لان ذكره قد تقدم في قوله ان في السموات وفي خلقكم
فيجوز ان يكون تجر فيها لان حرف الجر قد تقدم ذكره في قوله ان في السموات وقوله
وفي خلقكم فلما تقدم الجار في هذين الموضعين قدر في الاثبات في اللفظ وان كان محذوفا
منه كما قدر سيبويه في قوله اكل امرئ تحسبين امرأ البيت وقال كل في حكم الملفوظ
به واستغنى عن اظهاره بتقدم ذكره وكذلك هذه الابواب في الجار المجرور اذا لم يجيزوا
من مررت بامرد واجازوا ابن تمر امرد وعلى ايهم يزيد اذ لم يحذف الجار حتى لتقدم ذكر
الجار وعلى هذا قول الشاعر ان الكريم وابيك يعتمل ان لم يجد يوما على من يتكل
اذ ذكر على وان كانت زائدة في قول سيبويه حسن حذف الجار من الصلة فلو لم يذكر لم يجز
وحكي في بعض القراءات عن ابي انه قرأ لايات في خلقكم وما يبث من دابة لايات
وكذلك الاخر بدخول اللام يدل على ان الكلام محمول على ان واذا كان محمولا عليها حسن
النصب على قراءة حمزة والكسائي وصار كل موضع من ذلك كان ان مذكورة فيه بدلالة دخول
اللام لان هذه اللام انما تدخل على خبر ان او اسمها وحكي ان ابيا قرأ لايات بالرفع
مع ادخال اللام عليها وهذا لا يجيزه اكثر النحويين كالكسائي وغيره كما لا يجيز في الابتدا

لزيد

لزيد واجازه الفراء وانشد لحميد بن ثور ان الخلافة بعدهم لذميمة وخلائف ظرف لمما احقر وحكى
الفراء انه يقول العرب ان لي عليك مالا وعلى ابيك مال بالرفع والنصب وحكى ابو علي [illegible]
ان يحمل الثاني على التاكيد للاول وكذلك في الثالث ولا يكون عطفا على عاملين كما قال بعض
شيوخنا في قوله الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له يحمل الثاني على انه تاكيد للاول
قد ذكرنا فيما تقدم ان حم اسم للسورة وانه اجود الاقوال قال ابو عثمان وفي تسمية السورة
بحم دلالة على ان هذا القرآن المعجز كلام من حروف المعجم لا يتميز بشيء يدل عليه باوصافه ومن
اوصافه انه مجرى من اوصافه انه مفصل قد فصلت كل سورة من اختها ومن اوصافه انه هدى
ونور فكانه قيل هذا اسمه الدال عليه باوصافه ثم وصف تعالى الكتاب بانه تنزيل من الله
في مواضع من السور لاستفتاحه بتعظيم شانه على تصريف القول بما يقتضي ذلك فيه من
اضافته الى الله تعالى من اكرم الوجوه واجلها وما يتبع الوصف بمقتضى انه كالاول في علو المرتبة
وجلالته عند الله واذا افاد هذا المعنى باقتضائه له لم يكن تكريرا ويقول القائل
اللهم اغفر لي اللهم ارحمني اللهم عافني اللهم وسع علي رزقي فياتي بما يوذن ان تعظيمه
له منعقد بكل ما يطلبه وقوله من الله يدل على ان ابتداءه منه تعالى العزيز ومعناه
القادر الذي لا يغالب الحكيم معناه العالم وقد يكون معنى ان افعاله حكمة وصواب ثم قال
تعالى ان في السموات والارض لايات للمؤمنين الذين يصدقون بالله ويقرون بتوحيده و
صدق انبيائه وانما اضاف الايات الى المؤمنين وان كانت ادلة للكافرين ايضا لان المؤمنين
انتفعوا بها دونهم والايات هي الدلالات والحجج وفي السموات والارض دلالات على الحق
من وجوه كثيرة منها انه يدل بحدوثها على ان لها خالقا وانه قادر لا يعجزه شيء وانه مخالف
لها ولا يشبهها ولا تشبهه وعلى انه عالم بما فيها من الاتقان والانتظام وفيها دلالة تتعلق
القدرة بها دلالة على ان صانعها قديم غير محدث ومن وقوع بعضها وتعلق اجرامها بغير عمد
ولا سند يدل على ان القادر عليها قادر على ما لا يتناهى ولا يشبهه احد من القادرين وانه

خارج عن حد الطبيعة ثم بين تعالى ان في خلقكم آيات والوجه في الدلالة من خلقنا اظهر وبكثرة
منها اخلاق الفتى على ما هو به من وضع كل شئ موضعه لما يصلح له وفي ذلك دلالة على ان
صانعه عالم لانه فعل الحواس الخمس على البنية التي تصلح لما يختص كل واحد منها بادراك
شئ بعينه لا يشركه فيه الآخر لان العين لا تصلح الا لادراك المبصرات والسمع لا يصلح الا لادراك
المسموعات وكذلك الفم يصلح للذوق والانف للشم والبشرة للمس وكل شئ من ذلك يختص بالة لا
يشركه فيه الآخر وفي ذلك اوضح دلالة على ان صانعها عالم بها وانه لا يشبهه شئ ولولا كون
الاخلاق العقل الذي اهتدى الى كل امر ويميز به العاقل من كل حيوان ولا يشبهه شئ في اجلاله
وعظم من لنية لكان فيه كفاية على جلالة صانعه وعظم خالقه وقوله واختلاف الليل والنهار
تعاقبهما وقيل زيادتهما ونقصانهما وما انزل الله من السماء من رزق الغيث والمطر واحيا به الارض بالنبات
بعد الجدب والقحط فيبث الله بذلك قوت الحيوان وقوله وبث فيها من كل دابة اي
فرق فيها من جميع الحيوان بان خلقها واوجدها وتصريف الرياح بان يجعلها تارة جنوبا وتارة
شمالا ومرة دبورا ومرة صبا في قول الحسن وقال قتادة يجعلها رحمة مرة وعذابا اخرى
وقال الحسن كثافة السماء مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء الى سماء فوقها مسيرة خمسمائة عام
وبين كل ارضين فوقها مسيرة خمسمائة عام وكثافة الارض خمسمائة عام قوله تعالى
تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فباي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل
لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره
بعذاب اليم واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين
من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم
عذاب عظيم خمس آيات قرا ابن عامر وحمزة والكسائي يؤمنون بالتاء على وجه الخطاب
للكفار على تقدير قل لهم وقرا الباقون على وجه الاخبار عنهم والتقدير ثم لما اخبر
الله تعالى عن القران بانه تنزيل من الله وان في السموات والارض آيات ودلالات لمن نظر

فيها ادلة على الحق وان في انفس الخلق وانزال الماء من السماء واخراج النبات وبث انواع الحيوان ادلة
لخلقه تدلهم على توحيد الله وحكمته لمن انعم النظر فيها بين ان هذه ادلة الله التي نصبها للخلق (ان ما ذكره)
المكلفين لازاحة علتهم وانه يتلوها بمعنى يقراها على نبيه محمد ليقراها عليهم بالحق دون الباطل
والتلاوة الاتيان بالثاني في اثر الاول في القراءة فتلاوة الحروف بعضها بعضا تكون في الكتابة
والقراءة وفلان يتلو فلانا اي ياتي بعده وفلان يتلو القران اي يقراه والحق الذي يتلى بالآيات
هو كلام مدلوله على ما هو به في جميع انواعه والفرق بين حديث القران وآياته ان حديثه قصص
يستخرج منه عبر تدل على الحق من الباطل والآيات هي العلامة التي تفصل بين الصحيح والفاسد
فهو مصرف في العرب لسبيل الناظر في الطريقين لما في كل واحد منهما من الفائدة في القطع بالحجة
القاطعين في امور الدين ثم قال على وجه التهجين لهم ان هؤلاء الكفار ان لم يصدقوا بما تلوناه
فباي شئ بعده يؤمنون ثم قال ويل لكل افاك اثيم فالويل هو
الواد سايل من صديد جهنم وقيل ان الويل كلمة يتلقى بها الكفار والفساق تتضمن استحقاقهم
العقاب والافاك الكذاب ويطلق ذلك على من يكثر كذبه او يعظم كذبه وان كان في خبر واحد
ككذب مسيلمة في ادعائه النبوة والاثيم ذو الاثم وهو صاحب المعصية التي يستحق بها العقاب
ثم وصف هذا الافاك الاثيم فقال يسمع آيات الله اي حججه تتلى عليه اي تقرا عليه ثم يقيم مصرا
على كونه مستكبرا متجبرا عن النظر في آيات الله لا ينظر فيها ولا يعتبر بها كانه لم يسمعها اصلا
ثم امر نبيه عليه السلام ان يبشر من هذه صفته بعذاب اليم اي مولم موجع ثم عاد تعالى الى وصفه
فقال واذا علم هذا الافاك الاثيم من حجج الله وادلته شيئا وسمعها اتخذها هزوا اي (من آياتنا شيئا اتخذها هزوا الى ما اعلم)
سخر منها وتلهى بها كما فعل ابو جهل حين سمع قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ثم قال
اولئك يعني من هذه صفته لهم عذاب مهين اي مذل لهم ثم قال من ورائهم جهنم اي من بين ايديهم
يعني يوم القيامة جهنم تعذبهم وانما قيل لما بين ايديهم من ورائهم والوراء هو الخلف لانه
يكون في مستقبل اوقاتهم بعد تقضيهم فصلح لهذه العلة فيه الوجهان ثم قال تعالى ولا يغني

عنهم اذا حصلوا في جهنم ما كسبوه في دار الدنيا من جميع الاموال ولا يغني عنهم ايضا ما اتخذوا
من دون الله اولياء يتولونهم ويحبونهم لينصروهم ويدفعوا عنهم ولهم مع هذا عذاب
عظيم ووصفه بانه عظيم لانه مؤبد نعوذ بالله منه قوله تبارك وتعالى
هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذي سخر
لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون [illegible]
قرا ابن كثير وحفص من رجز اليم بالرفع جعلوه صفة للعذاب والباقون بالخفض
جعلوه صفة الرجز فكانه قال من رجز اليم والرجز هو العذاب فلذلك صح وصفه بانه
اليم وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي قوما بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه
بانه يجازيهم والباقون بالياء ردا الى الله على الاخبار عنه يعني قوله هذا هدى
اي هذا القرآن الذي تلوناه والكلام الذي ذكرناه هدى اي دلالة موصلة الى الفرق
بين ما يستحق به الثواب والعقاب ويفرق به بين الحق والباطل من امر الدنيا والدين
ثم قال تعالى والذين كفروا بآيات الله وجحدوها لهم عذاب من عند الله جزاء على
كفرهم من رجز اليم ثم نبه تعالى خلقه على وجه الدلالة على توحيده فقال الله الذي
سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا بتجارته من فضل الله فهو محسن في فعله ووجه الدلالة من تسخير البحر لتجري الفلك فيه بامره
ليستحق الشكر به على وجه لا يجوز لغيره وان احسن لانه اعظم من كل نعمة وبين انما
فعل ذلك لكي تشكروه على نعمه ثم قال وسخر ايضا ما في لكم معاشر الخلق ما في
السماوات وما في الارض جميعا من شمس وقمر ونجم وهواء وغيث وغير ذلك وجعل السماء
سقفا مبنيا وجوها كريا وسخر الارض للاستقرار عليها وما يخرج من الاقوات منها

[illegible]

والنبات و
من ضروب الثمار والنبات فيها الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة من ضروب نعمه مما لا يحاط به علما
وسهل الوصول الى الانتفاع به تفضلا منه على خلقه ثم بين ان في ذلك يعني فيما بينه
لآيات ودلالات لقوم يتفكرون فيه ويعتبرون به ثم قال لنبيه عليه السلام قل
للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي لا يخافون عذاب الله اذا نالوكم
بالاذى والمكروه ولا يرجون ثوابه بالكف عنكم وقيل معناه لا يرجون ثواب الله
المؤمنين ان الله يؤتيهم عقاب سيئاتهم بما عملوا من ذلك وغيره ومعنى يغفروا ههنا
يتركوا مجازاتهم على اذاهم ولا يكافوهم ليتولى الله مجازاتهم وقال ابن عباس
وقتادة وابن زيد والضحاك هو منسوخ وقال ابو صالح نسخها قوله اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا ويغفروا والجواب ابن يحذف وقد دل عليه الكلام وتقديره قل لهم اغفروا
يغفروا واو صار قل لهم على هذا الوجه يغني عنه وقال الفراء معناه في الاصل حكاية
بمنزلة الامر كقولك قل للذين آمنوا اغفروا واذا ظهر الامر مصرحا فهو مجزوم لانه امر
واذا كان على الخبر مثل قوله قل للذين آمنوا يغفروا وقل لعبادي الذين آمنوا يقيموا
الصلاة فهذا مجزوم تشبيها بالجزاء وقوله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون يحتمل
معنيين احدهما قل لهم يغفروا لهم فان الله يجازيهم يعني الكفار فانهم اليه يرجعون
الثاني ان يكون المعنى ليجزيهم الله يعني المؤمنين ويعظم اجرهم على احتمالهم وصبرهم
ولم يفوتونه الكافرون بل اليه مرجعهم ثم قال تعالى من عمل صالحا يعني طاعة وخيرا فلنفسه
لان ثواب ذلك عائد عليه ومن اساء بان فعل المعصية فعليها اي على نفسه لان عقاب
معصيته يناله دون غيره ثم قال الى ربكم الذي خلقكم ودبركم تردون يوم القيامة
اي الى حيث لا يملك احد الامر والنهي والضر والنفع غيره فيجازي كل انسان على قدر عمله
قوله تبارك وتعالى ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا

الذين من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم يوم القيامة ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين
لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله
ولي المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون حتى آيات بالاجلاء
هذا قسم من الله تعالى بانه اعطى بني اسرائيل الكتاب يعني التوراة وآتاهم الحكم وهو
العلم بالفصل بين الخصمين وبين الحق والباطل يقال حكم في الامر يحكم حكما وحكمة
وامور محكمة واحكم العمل احكاما اعادة ورزقناهم من الطيبات فالرزق العطاء الجاري
على توقيت وتوظيف في الحكم وانما قلنا في الحكم لانه لو حكم بالعطاء الموقت في الاوقات
الدايم على الاستمرار كان رزقا وان انقطع حاله عن ذلك العطاء ثم قال وفضلناهم على العالمين
والتفضيل جعل الشي افضل من غيره باعطائه من الخير ما لم يعط غيره او بالحكم انه افضل
منه فالله تعالى فضل بني اسرائيل بما اعطاهم على عالمي زمانهم قال الحسن فضلهم الله على
اهل زمانهم وقال قوم فضلهم على كثرة الانبياء منهم على ساير الامم وان كانت امة محمد
افضل في كثرة المطيعين لله وكثرة العلماء منهم كما يقول هذا افضل في علم النحو وذاك في علم
الفقه فان نبينا محمد صلى الله عليه وآله افضل في علو منزلته عند الله على ساير الانبياء وكثرة
العلماء منهم والقائلين بالحق لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس لان اولئك خالف اكثرهم
انبياءهم ووافق كثير من هذه الامة علماءهم واخذوا عنهم واقتبسوا من نورهم والفضل الخير
الزايد على غيره وامة محمد افضل بفضل نبيها ثم قال وآتيناهم يعني اعطيناهم بينات اي
دلالات وبراهين واضحات من الامر ثم قال فما اختلفوا اي لم يختلفوا الا من
من بعد ما جاءهم العلم فالاختلاف في الاعتقاد كل واحد من النفسين ضد ما يعتقده الاخر
اذا كان اختلافا في المذاهب وقد يكون الاختلاف في الطريق بان يذهب احدهما يمنة و
الاخر يسرة وقد يكون الاختلاف في المعاني بان لا يسد احدهما مسد الاخر فيما يرجع الى

واستحكم الشي استحكاما وحاكمته الى الحاكم صح

ذلك

ذاته والاختلاف بني اسرائيل كان فيما يرجع الى المذاهب وقوله بغيا بينهم نصب
على المصدر ويجوز ان يكون على انه مفعول له اي اختلفوا للبغي وطلب الرياسة ومعنى
البغي الاستعلاء بالظلم وهو خلاف الاستعلاء بالحجة والبغي يدعو الى الاختلاف
لما فيه من طلب الرفعة بما لا يرجع الى حقيقة ولا يسوغ في الحكمة وانما قال
ذلك طلبا للرياسة والامتناع من الانقياد للحق بالانفة ثم قال ان ربك يا محمد يقضي
بينهم يوم القيمة اي يحكم ويفصل بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون في دار
التكليف وقيل الحكم العلم بالفصل بين الناس في الامور ثم قال تعالى لنبيه عليه السلم
ثم جعلناك يا محمد على شريعة من الامر فالشريعة السنة التي من سلك طريقها ادته
الى البغية كالشريعة التي هي طريق الى الماء وهي علامة منصوبة على الطريق الى الجنة
كما ان هذه الى الوصول الى الماء فالشريعة العلامات المنصوبة من الامر والنهي المؤدية
الى الجنة ثم قال فاتبعها يعني اعمل بهذه الشريعة ولا تتبع اهواء الذين
لا يعلمون الحق ولا يفصلون بينه وبين الباطل ثم اخبر النبي عليه السلم فقال انهم لن
يغنوا عنك من الله شيئا يعني هؤلاء الكفار لا يغنون عنك شيئا وان الظالمين بعضهم
بعضهم اولياء بعض يفعل المعاصي والله ولي المتقين الذين يجتنبون معاصيه
ويفعلون طاعاته ثم قال هذا بصاير للناس يعني هذا الذي ذكرناه بصاير
للناس اي ما يتبصرون به واحدها بصيرة اي هدى ودلالة والحجة ورحمة اي
ونعمة من الله عليهم لقوم يوقنون بحقيقة ذلك وانما اضافه الى المؤمنين لانهم الذين
انتفعوا به دون الكفار الذين لم يتفكروا فيه قوله تبارك وتعالى
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى
كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله

عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ
بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا
أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ خمس آيات قرأ اهل الكوفة الا ابا
بكر سواءً نصبا الباقون بالرفع وقرأ اهل الكوفة الا عاصما غشوة على التوحيد الباقون
غشاوة على الجمع من رفع سواء جعله مبتدأ وما بعده خبرا عنه ويكون الوقف على قوله
وعملوا الصالحات تاما ويجعل الجملة في موضع النصب لانها خبر لجعل ورفع سواء لانه
حين لا يجري على ما قبله كما لا يجري صفة كما ان الصفة المشبهة بالمستمر اذا كانت لسبب
الاول لكن ان نحو مررت برجل خير منه ابوه فجعل هذا في الحال والخبر والصفة مثل
واحد اذا كانت لسبب الاول ومن نصب محياهم ومماتهم جعل سواء في موضع مستويا
لان العاملة تجعله في موضع المفعول الثاني نصب سواء على الحال وهو وقف حسن
ويرفع محياهم بمعنى استوى محياهم ومماتهم ومن قرأ غشوة جعله كالرجفة والخطفة
ومن قرأ غشاوة جعله مصدرا مجهولا لان الفعلة المرة الواحدة وقال قوم
هما لغتان بمعنى واحد ويحكى الضم ايضا وقيل في الضمير في قوله سواء محياهم ومماتهم
قولان احدهما انه ضمير للكفار دون الذين آمنوا والثاني انه ضمير الفريقين
فمن جعل الضمير للكفار قال سواء على هذا القول مرتفع بانه خبر ابتداء مقدم وتقديره
محياهم ومماتهم سواء اي محياهم محيا سوء ومماتهم ممات سوء وكذلك فعلى هذا لا يجوز النصب في سواء
لانه اثبات الخبر بان محياهم ومماتهم يستويان في الذم والبعد من رحمة الله ومن قال
الضمير يرجع الى الفريقين قال يجوز ان ينتصب سواء على انه مفعول ثان لانه ملتبس
بالفريقين جميعا وليس كذلك الوجه الاول لانه للكفار دون المؤمنين فلا يلتبس
بالمؤمنين حيث كان للكفار دونهم فيقول الله تعالى على وجه التوبيخ للكفار على

من محياهم والهاء والميم المفعول الاول وان جعلت كالذين آمنوا المفعول الثاني صح

ومماتهم

معاجيم

١٨٣

معاجيم تكبرهم بلفظ الاستفهام ام حسب ومعناه يجوز ان يكون للتقرير وتقديره احسب الذين
اجترحوا السيئات والحسبان هو الظن وقد بيناه فيما مضى والاجتراح الاكتساب اجترح السيئة
اجتراحا اي اكتسبها من الجراح لان له تأثيرا كتأثير الجراح ومثله الاقتراف وهو مشتق من قرف
القرحة والسيئة هي التي يسوء صاحبها وهي الفعلة القبيحة التي يستحق بها الذم والحسنة هي التي
يسر صاحبها باستحقاق المدح بها عليها ووصفها هنا يفيد هذا المعنى وقال الرماني
القبيح ما ليس للقادر عليه فعله والحسن هو ما للقادر عليه ان يفعله قال وكل فعل وقع لا لامر
من الامور فهو لغو لا ينسب الى الحكمة ولا السفه والجعل تصيير الشيء على صفة لم يكن عليها
وهو انقلاب الشيء عما كان عليه والمعنى ايظن هؤلاء الكفار والذين يكسبون المعاصي الذين يكتسبوا
القبائح ان نجعلهم بحكم المؤمنين العارفين بتوحيد الله المصدقين لرسله العاملين بطاعته
ثم اخبر عن الكفار فقال سواء محياهم ومماتهم اي هم متساوون في حال كونهم احياء وحال كونهم
امواتا لان الحي متى لم يفعل الطاعات فهو بمنزلة الميت وقال مجاهد المؤمن يموت
على ايمانه ويبعث عليه والكافر يموت على كفره ويبعث عليه ثم قال ساء ما يحكمون اي بئس الشيء
الذي يحكمون به في هذه القصة وانما قال يحكمون مع ان الحكم مأخوذ من الحكمة وهي حسنة لان المراد
على ما يدعونه من الحكمة كما قال حجتهم داحضة عند ربهم وقوله وما كان حجتهم الا ان قالوا
ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ثم قال تعالى وخلق الله السموات والارض بالحق اي للحق لم يخلقها
عبثا وانما خلقها لمنافع خلقه بان يكلفهم فيها ويعرضهم للثواب الجزيل ولتجزى كل نفس بما كسبت
من ثواب طاعة او عقاب على معصية وهم لا يظلمون اي لا يبخسون حقوقهم ثم قال افرأيت
من اتخذ الهه هواه وانما سمى الهوى الها من حيث ان العاصي يتبع هواه ويرتكب
ما يدعوه اليه ولم يرد انه يعبد هواه او يعتقد انه يحق له العبادة لان ذلك لا يعتقده احد
قال الحسن معناه اتخذ الاهه بهواه لان الله يجب ان يعرف بحجة العقل لا بالهوى وقال
سعيد بن جبير كانوا يعبدون العزى وهو حجر ابيض حينا من الدهر فاذا وجدوا ما هو احسن منه

طرحوا الاول وعيد والاخر وقال ابن عباس معناه افرايت من اتخذ دينه ما يهواه لانه يعبده
بغير هدى من الله ولا برهان وقوله واضله الله على علم معناه حكم الله بضلاله عالما بعدوله
عن الحق ويحتمل ان يكون المعنى يعدل الله به عن طريق الجنة الى طريق النار جزاء على فعله عالما بانه
يستحق ذلك وختم على سمعه وقلبه وقد فسرناه فيما مضى ومعناه انه يجعل عليهما علامة تدل
على كفره وضلاله واستحقاقه للعقاب الا انه يفعل فيهما ما يمنع من فعل الايمان والطاعة وجعل
على بصره غشاوة شبهه بمن كان على عينه غشاوة تمنعه من الابصار لان الكافر اذا كان لا ينتفع
بما يراه ولا يعتبر به فكانه لم يره ثم قال فمن يهديه الى طريق الجنة او من يحكم بهدايته من بعد ان
حكم الله بضلاله افلا تذكرون اي افلا تتفكرون فتعلمون ان الامر على ما قلناه ثم حكى
تعالى عن الكفار انهم قالوا ليس الحياة الا هذه الحياة التي نحن فيها في دار الدنيا نموت ونحيا
وقيل في معناه ثلاثة اقوال احدها انه على التقديم والتاخير وتقديره نحيا ونموت من غير
رجوع ولا بعث على ما يدعون والثاني ان يكون المراد نموت ويحيا اولادنا كما يقال ما مات
من خلف ابنا مثل فلان والثالث ان يكون المعنى يموت بعضنا ويحيا بعضنا كما قال تعالى فاقتلوا
انفسكم اي ليقتل بعضكم بعضا ثم حكى انهم يقولون وما يهلكنا الا الدهر يعنون مرور
الدهر الليل والنهار والشهور والاعوام ثم اخبر تعالى انه ليس لهم بما يقولونه علم وليس هم فيما
يذكرونه الا ظانين اي الامر فيه بخلافه ثم قال تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
اي اذا قرئت عليهم حججنا الظاهرة لم يكن لهم في مقابلتها حجة الا قولهم ائتوا بآبائنا الذين
ماتوا وبادوا ان كنتم صادقين في ان الله يعيد الاموات ويبعثهم يوم القيامة وانما لم يجبهم
الله الى ذلك لانهم قالوا ذلك متعنتين معترضين لا طالبين الحجة قوله تبارك وتعالى
قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا

ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم
في رحمته ذلك هو الفوز المبين خمس آيات يقول الله تعالى لنبيه عليه السلام قل لهم يا محمد
الله يحييكم في دار الدنيا لانه لا يقدر على الاحياء احد سواه تعالى لانه قادر لنفسه ثم يميتكم بعد هذا
ثم يجمعكم الى يوم القيامة بان يبعثكم ويعيدكم احياء واما الاحتجاج بالاعادة في دار الدنيا لانه من
قدر على فعل الحياة في وقت قدر على فعلها في كل وقت ومن عجز عنها في وقت وتعذرت عليه في كل وقت
كونه حيا وارتفاع الموانع عجز عنها في كل وقت ثم بين ان يوم القيامة لا شك في كونه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ما قلناه لعدولهم عن النظر الموجب للعلم بصحة ذلك ثم قال تعالى ولله ملك السموات
والارض ويوم تقوم اي له الملك يوم تقوم الساعة الذي يخسر فيه المبطلون ثواب الله والمبطل
هو من فعل الباطل وعدل عن الحق ثم اخبر عن يوم القيامة فقال وترى كل امة جاثية فالامة
الجماعة التي على مقصد واحد واشتقاقه من ام يوم اما اذا قصد والامام امام الانبياء وجاثية
قال مجاهد والضحاك وابن زيد معناه باركة مستوفزة على ركبها والجثو البروك على
الركب والجثو البروك على اطراف الاصابع ابلغ من الجثو وقوله كل امة تدعى الى كتابها
قيل معناه الى كتابها الذي كان يستنسخ لها ويثبت فيه اعمالها وقال بعضهم كتابها الذي
انزل على رسولها حكى ذلك عن الجاحظ والاول الوجه ثم حكى انه يقال لهم اليوم تجزون
ما كنتم تعملون من طاعة ومعصية على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب ثم قال
تعالى هذا كتابنا يعني الذي استنسخ ينطق عليكم بالحق جعل ثبوت ما فيه وظهوره بمنزلة النطق
وانه ينطق بالحق دون الباطل ثم قال تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون قال الحسن
نستنسخ ما حفظت عليكم الملائكة الحفظة وقيل الحفظة تستنسخ ما هو مدون عندها من احوال
بني آدم الحسن في قول ابن عباس وروي عن علي عليه السلام ان لله ملائكة ينزلون في كل يوم يكتبون
فيه اعمال بني ادم ومعنى تستنسخ تستكتب الحفظة ما يستحقونه من ثواب وعقاب ويلقى ما عداه
مما اثبته الحفظة لانهم يثبتون جميعه ثم اقسم تعالى الخلق فقال فاما الذين امنوا اي صدقوا

بوحدانيته وصدقوا رسله وعملوا الاعمال الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته من الثواب والجنة
ان ذلك هو الفوز المبين اى الفلاح الظاهر **قوله تبارك وتعالى** واما الذين كفروا ثم بين
أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق
والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم
سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم
هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم
الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السماوات ورب
الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم سبع آيات
قرأ حمزة وحده والساعة لا ريب فيها نصبا عطفا على ان وعد وتقديره ان وعد الله حق وان
الساعة آتية الباقون بالرفع على الاستيناف او عطفا على موضع ان لما اخبر الله تعالى عن
حال المؤمنين العاملين بطاعة الله وانه يدخلهم الجنة اخبر عن حال الكفار فقال واما الذين كفروا اي
جحدوا وحدانيتي وكذبوا رسلي فيقال لهم افلم تكن آياتي وحججي تتلى عليكم **قال** الزجاج
جواب اما محذوف والفاء في افلم دلالة عليه وتقديره فيقال لهم الم ومثله **قوله** فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فقال فهم جواب اما الفاء في افلم تكن آياتي الا ان الالف وتقديره فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم
تقدمتها لان لها صدر الكلام وقوله فاستكبرتم فالاستكبار هو طلب التعظيم في اعلى
المراتب فهو صفة ذم في العادة وصفة منكرة لانها تقتضي التعظيم في اعلى المراتب ولا تحق
التعظيم في اعلى المراتب الا لمن لا يجوز عليه صفة النقص بوجه من الوجوه وكنتم قوما مجرمين
اي عاصين فالاجرام الانقطاع الى الفساد واصله قطع العمل عما تدعو اليه الحكمة ثم **حكى**
تعالى انه اذا قيل ان وعد الله حق اي ما وعد به من الثواب والعقاب كائن لا محالة وان الساعة
لا شك في حصولها قلتم معاشر الكفار ما ندري ما الساعة اي لا نعرفها ان نظن الا ظنا اي
ليس نظن ذلك الا ظنا لا نعلم ذلك وما نحن بمستيقنين ذلك ثم اخبر تعالى فقال وبدا لهم

سيئات

سيئات ما عملوا ومعناه ظهر لهم جزاء معاصيهم التي عملوها في دار التكليف من العقاب وحاق
بهم اي حل بهم جزاء ما كانوا به يستهزءون باخبار الله واخبار نبيه وقيل لهم اليوم ننساكم
اي نترككم في العقاب كما تركتم الحكم الكتاب في قول ابن عباس وغيره كما تركتم ثواب الجنة كما نسيتم اي كما تركتم
التأهب للقاء يومكم هذا فلم تعملوا الطاعات وارتكبتم المعاصي وقال مجاهد نترككم
يومكم ومأواكم النار اي مستقركم جهنم وما لكم من ناصرين يدفعون عنكم عذاب الله ثم بين ولا لكم من يستنقذكم من عذاب الله
تعالى لم فعل بهم ذلك بان قال ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا اي حججه وآياته هزوا اي
سخرية تسخرون منها وغرتكم الحياة الدنيا اي خدعتكم زينتها ومعناه اغتررتم بها لانها
لا تغتروا فاليوم لا يخرجون منها اي من النار وقرأ اهل الكوفة الا عاصما يخرجون بفتح الياء
وضم الراء الباقون بضم الياء وفتح الراء فمن فتح الياء فلانهم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ومن ضم فلقوله ولا هم يستعتبون وطابق بينهما ومعنى ولا هم يستعتبون اي
لا يطلب منهم العتبى والاعتذار لان التكليف قد زال وقيل معناه لا يقبل منهم العتبى وقيل
الوجه في ظهور احوالهم وسيئاتهم في الآخرة التبكيت بها والتقريع بالتكذيب بما كان يمكنهم معرفته
لظهور حججه على خلقه ثم قال تعالى فلله الحمد رب السماوات ورب الارض رب العالمين اي الشكر
التام والمدحة التي لا توازيها مدحة لله الذي خلق السموات والارض ودبرهما وخلق العالمين
وله الكبرياء في السموات والارض اي له السلطان القاهر والعظمة العالية التي هي في اعلى
المراتب لا يستحقها سواه وهو العزيز اي القادر الذي لا يغالب الحكيم في جميع افعاله وقيل
عزيز في انتقامه من الكفار حكيم فيما يفعل بهم وبالمؤمنين من الثواب

سورة الاحقاف

مكية بلا خلاف وهي خمس وثلاثون آية في الكوفي واربع وثلاثون
في البصري والمدنيين عد اهل الكوفة حم آية ولم يعده الباقون والباقي لا خلاف فيه

قوله بسم الله الرحمن الرحيم **تبارك وتعالى**

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السماوات والارض وما بينهما الا

بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون قل أرأيتم ما تدعون من دون
الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل
هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب
له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون خمس آيات في الكوفي وأربع فيما عداه
قد بينا معنى حم واختلاف العلماء في ذلك وبينا أيضا تأويل قوله تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم فلا وجه لإعادته وقيل الوجه في تكرير ذلك الإبانة عن أن هذه
السورة حالها حال السورة التي قبلها في أنه تعالى نزلها وشرفها وكرمها في الإضافة إلى العزيز
الحكيم والعزيز القادر الذي لا يغالب ولا يعجز وقيل هو العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم
في أفعاله وقد يكون الحكيم بمعنى العالم بتصريف الأمور الذي لا يوقعها إلا على مقتضى الحكمة
في التدبير وهو صفة مدح وضده السفيه وضد العزيز الذليل ثم قال تعالى مخبرا
أنه لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ومعناه أنه لم يوجد السماوات والأرض
وما بينهما من الأجناس إلا للحق ولغرض التعريض لضروب النعم ولتعريض المكلفين للثواب
الجزيل ولم يخلقها عبثا ولا سدى بل عرضناهم للثواب بفعل الطاعات وتجنبهم للعقاب
عن فعل المعاصي وقدرنا لهم أوقات يعيدهم إليها وأوقات يجازيهم فيها مسمى أي مذكورا
للملائكة في اللوح المحفوظ ثم قال والذين كفروا وجحدوا آيات الله وجحدوا ربوبيته عما
أنذروا به وخوفوا من خلافه بالعقاب معرضون أي عادلون عن الفكر فيه والتدبر له ثم قال
قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الأصنام ويدعون مع الله إلها آخر أرأيتم ما تدعون
من دون الله آلهة وتوجهون عبادتكم إليها بأي شيء استحقوا ذلك أروني ماذا خلقوا من
الأرض فاستحقوا لأجل ذلك العبادة والإكرام أم لهم شرك في السماوات أي في خلقها فإنهم
لا يقدرون على ادعاء ذلك ثم قال لهم ائتوني بكتاب من قبل هذا يعني هاتوا الكتاب أو له
الله يدل على صحة قولكم قبل هذا القرآن أو أثارة من علم شيء يستخرج منه فيثار فيعلم ما هو

منفعة لكم وهو قول الحسن وقال مجاهد معناه أو علم تأثرونه عن غيركم يدل على صحة ما
تذهبون إليه وقال أبو بكر بن عياش معناه أو بقية من علم تشهد بصحة قولكم وصدق دعواكم
إن كنتم صادقين فيما تذكرونه وتذهبون إليه ويقال أثر الشيء أثارة مثل قبح قباحة وسمج
سماجة قال الراعي وذات أثارة أكلت عليه بمعنى ذات بقية من شحم ثم قال
تعالى ومن أضل ممن يدعو أي من أضل عن طريق الصواب ممن يدعو من دون الله ويفزع إليه
ويوجه عبادته إلى من لا يستجيب له إلى يوم القيامة مع ظهور الدلالة على توحيد الله ووضوح
آثاره ونعمه على خلقه وهم مع ذلك عن دعائهم إياهم غافلون أي ذاهبون عن الفكر فيه لأنهم
بأنهم لا يعقلون ولا يفقهون والغفلة ذهاب المعنى عن نفس العاقل بمعنى يمتنع به إدراكه
وضده اليقظة وهو حضور المعنى لنفس العاقل بما يجد إدراكه وإنما كنى عن الأصنام بالواو
والنون مع أنها لا تعقل لما أضاف إليها ما يكون من العقلاء كنى عنها بكنايتهم كما قال
والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وقوله كل في فلك يسبحون قوله تعالى
وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وإذا تتلى عليهم آياتنا
بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل إن
افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم
وهو الغفور الرحيم قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم
إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين قل أرأيتم إن كان من عند الله و
كفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي
القوم الظالمين خمس آيات بلا خلاف لما قال تعالى إنه لا أحد أضل عن طريق
الحق ممن يدعو من لا يستجيب له يعني الأصنام التي عبدوها وأنهم عن دعائهم غافلون أيضا
ذكر أنه إذا حشر الناس يوم القيامة وبعثهم الله للثواب والعقاب كانوا يعني هذه الأوثان
التي عبدوها ينطقها الله حتى يجحدوا أن يكونوا دعوا إلى عبادتها أو شعرت بذلك

من امرها وكانوا بعبادتهم كافرين يعني يكفرون بعبادة الكفار لهم ويجحدون ذلك ثم وصفهم
ايضا فقال اذا تتلى عليهم يعني هاولا الكفار الذين وصفهم آياتنا اي ادلتنا التي انزلناها من
القرآن وغيرها ظاهرة والآيات الدلالة التي تدل على ما يعجز منه قال الذين
كفروا للحق يعنون القرآن لما جاءهم هذا سحر مبين قال امر لم يكن ... فقال الذين كفروا
وحدانية الله ... للحق لما جاءهم يعني القرآن والمعجزات التي ظهرت على يد النبي صلعم
هذا سحر مبين اي حيلة لطيفة ظاهرة ومن اعتقد ان السحر حيلة لطيفة لم يكن بلا خلاف
ومن قال انه معجزة كان كافرا لانه لا يمكنه مع هذا القول ان يفرق بين النبي والمتنبي
ثم قال الله تعالى ام يقولون افتراه اي بل يقولون اختلقه واخترعه فقال الله له قل
لهم ان كنت افتريته واخترعته فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان كان الامر على ما تقولون
اني ساحر ومفتر لا يمكنكم ان تمنعوا الله مني اذا اراد اهلاكي على افترائي عليه هو
اعلم بما تفيضون فيه يقال افاض القوم في الحديث اذا مضوا فيه وحديث مستفيض اي شايع
من قولكم هذا سحر وافتراء ثم قل لهم كفى به شهيدا بيني وبينكم تشهد بالحق منا والمبطل
وهو الغفور لذنوب عباده الرحيم بكثرة نعمه عليهم وفي ذلك الحث لهم على المبادرة بالتوبة
والرجوع الى طريق الحق ثم قال قل لهم يا محمد ما كنت بدعا من الرسل فالبدع الاول
في الامر يقال هو بديع من قوم ابداع قال عدي بن زيد فلا انا بدع من حوادث
تعتري رجالا عرت من بعد موسى واسعد قال ابن عباس ومجاهد وقتادة معناه ما
كنت باول رسول بعث وقوله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم قال الحسن معناه لا ادري ما يأمرني
الله تعالى فيكم من حرب او سلم او تعجيل عقابكم او تاخيره وقال قل لهم ان اتبع الا ما يوحى
الي اي لست اتبع في امركم من حرب او سلم او امر او نهي الا ما يوحي الله الي ويأمرني به وما
انا الا نذير مبين اي لست الا مخوفا من عقاب الله ومحذرا من معاصيه ومرغبا في طاعته
وقيل ان اصحاب النبي عم شكوا اليه ما يلقونه من اهل مكة من الاذى فقال لهم اني رأيت

في المنام

نقتدى

في المنام اني اهاجر الى ارض ذات نخل وشجر ففرحوا بذلك فلما تاخر ذلك قالوا يا رسول الله
ما نرى ما بشرتنا به فانزل الله الآية وقوله مبين معناه مظهر لكم الحق فيه ثم قال
قل لهم يا محمد ارايتم ان كان من عند الله يعني هذا القرآن وكفرتم به يعني بالقرآن وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك وعون بن مالك
الاشجعي صحابي وابن زيد نزلت الآية في عبد الله بن سلام وهو الشاهد من بني اسرائيل
وروي ان عبد الله بن سلام جاء الى النبي عليه السلم وقال يا رسول الله سل اليهود عني
فهم يقولون هو اعلمنا فاذا قالوا ذلك قلت لهم ان التوراة دالة على نبوتك وان صفاتك فيها
واضحة فلما سألهم عن ذلك قالوا ذلك فحينئذ اظهر ابن سلام ايمانه واوقفهم على ذلك فقالوا
هو شرنا وابن شرنا وقال الفراء هو رجل من اليهود وقال مسروق الشاهد من بني اسرائيل
هو موسى عليه السلم شهد على التوراة كما شهد النبي على القرآن قال لان السورة مكية وابن سلام اسلم
بالمدينة وقوله فآمن واستكبرتم جواب ان كان من عند الله محذوف وقال الزجاج تقديره
فآمن تؤمنون وقال غيره فآمن واستكبرتم اما تهلكون وقال الحسن جوابه فمن اضل منكم ثم
اخبر تعالى فقال ان الله لا يهدي القوم الظالمين ويحتمل امرين احدهما انه لا يهديهم الى الجنة
لاستحقاقهم العقاب والثاني انه لا يحكم بهداهم لكونهم ضلالا ظالمين ولا يجوز ان يكون المراد
لا يهديهم الى طريق الحق لانه تعالى هدى جميع المكلفين بان نصب لهم الادلة على الحق ودعاهم اليه
ابتلعهم ورغبهم فيه وقد قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فبين انه هداهم
الى الحق وانهم اختاروا الضلال قوله تبارك وتعالى وقال الذين كفروا
للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم
ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا
وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه

واستكبرتم فلا هم

الادلة

حتى حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ
اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل
صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين حتى آيات
قرا ابن كثير في احدى الروايتين عنه ونافع وابو جعفر وابن عامر ويعقوب لتنذر بالتاء على
وجه الخطاب ويحتمل ان يكون مردودا الى اللسان وهو مؤنث الباقون بالياء على وجه
الاخبار عن الكتاب او القرآن وقرا اهل الكوفة احسانا بالف الباقون حسنا بضم الحاء
بلا الف وقرا ابن كثير ونافع والكسائي وابو عمرو كرها بفتح الكاف الباقون بضمها وهما لغتان
وقرا يعقوب وفصله بفتح الفاء وسكون الصاد من غير الف الباقون وفصاله بكسر الفاء واثبات
الف وهما لغتان واثبات الالف كلام العرب وفي الحديث لا رضاع بعد فصال وروى بعد
فطام اخبر الله تعالى عن الكفار الذين جحدوا وحدانيته وكذبوا نبيه محمد صلى الله عليه وآله
انهم قالوا للذين امنوا وصدقوا رسوله لو كان هذا الذي تدعونا اليه ولا السابقون اليه محمد
ومن اتبعه خيرا اي نفعا عاجلا او آجلا لحصل لنا ذلك ما سبقونا اليها ولهم الكفار الذين آمنوا
بالله اتباعه لانا كنا نحن اولى به واحرى فخلى ان الاسلام واعتقاد وحدانيته اهل به لما
اسلموا قال بنو عامر بن صعصعة وغطفان واسد واشجع قالوا هذا القول لجهينة ومزينة والسبق
المصير الى الشيء قبل غيره وكذلك السابق الى الخير والتابع فيه فقال تعالى واذ لم يهتدوا به يعني
هؤلاء الكفار بهذا القرآن ولا استبصروا به ولا حصل لهم العلم فانه من عند الله فسيقولون
يقولون هذا افك قديم اي كذب متقدم حيث لم يهتدوا به ووصفه بالقديم للمبالغة في الذم
اي ليس هذا اول من ادعى الكذب في ذلك بل قد تقدم اشباهه والقديم في عرف اللغة هو المتقدم
الوجود وفي عرف المتكلمين هو الموجود الذي لا اول لوجوده ثم قال تعالى ومن قبله
يعني من قبل القرآن كتاب موسى يعني التوراة اماما ورحمة اي جعلناه اماما ورحمة وانزلناه
اماما يقتدى به ورحمة اي نعمة على الخلق ثم قال وهذا يعني القرآن كتاب مصدق لذلك الكتاب

لسانا

لسانا عربيا نصب على الحال ويجوز ان يكون حالا من هذا الكتاب ويجوز ان يكون حالا من الضمير في مصدق
من الضمير وقوله لتنذر الذين ظلموا اي يخوفهم ويعلمهم استحقاق العقاب على المعاصي واستحقاق
الثواب على الطاعات فمن قرا بالتاء جاز ان يكون اراد خطاب النبي عليه السلم ويجوز ان يكون
ردا على اللسان على ما قدمناه وهو مؤنث ومن قرا بالياء رده الى الكتاب الذي هو القرآن وقوله
وبشرى للمحسنين معناه ان يكون هذا القرآن بشارة لمن فعل الصالحات واختار الحسنات ويجوز
بشرى ان يكون رفعا عطفا على مصدق ويجوز ان يكون نصبا او في موضع نصب فيكون
حالا كما تقول اتيتك لازورك وكرامة لك وقضاء لحقك ثم اخبر تعالى بان الذين قالوا
ربنا الله واعتقدوا ذلك بقلوبهم ثم استقاموا على ذلك لم يعدلوا عنه بانه لا خوف عليهم
من العقاب في الآخرة ولا هم يحزنون من اهوال القيامة ثم اخبر عنهم فقال اولئك يعني من
تقدم ذكرهم اصحاب الجنة اي الملازمون لها متنعمون فيها جزاء لهم على ما كانوا يعملونه
في الدنيا من الطاعات ثم قال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي امرناه بان يحسن الى والديه
احسانا من قرا بالالف ومن قرا حسنا فالمعنى ان يفعل معهما حسنا فالحسن والحسن
لغتان يقال حسن يحسن حسنا ومن قرا احسانا فانه جعله مصدر احسن وكرها بفتح الكاف المصدر وبضمها
الاسم وقيل هما لغتان وقوله حملته امه كرها ووضعته كرها قال الحسن وقتادة
ومجاهد اي بمشقة ثم قال وحمله يعني حمل الانسان وفصاله ثلثون شهرا بين الله على المشقة
الوالدان من الاحسان اليه وما يلقيان من حيث انهما يتكلفان به وبتربيته وانه حملته كرها ووضعته
كرها يعني اي بمشقة في حال الولادة وارضعته مدة الرضاع ثم بين ان اقل مدة الحمل وكمال
مدة الرضاع ثلثون شهرا وانما يكفله حتى يكبر ويبلغ حد الكمال حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين
سنة قيل الفصال مدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا واقل الحمل ستة اشهر والمعنى وصيرنا ذلك
يكون اذا بلغ اشده اي حال التكليف وحال الاربعين قال هذا القول الذي علم الله اياه وقال
قتادة وابن عباس اشده ثلث وثلثون سنة وقال الشعبي هو وقت بلوغ الحلم وقال الحسن

تكفلا

اشده وقت قيام الحجة عليه ثم قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
فالايزاع المنع من الانصراف عن الشي فايزاع الشكر المنع من الانصراف عنه باللطف ومنه قولهم
يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ومنه قول الحسن لا بد للسلطان من وزعة قال
النابغة وفي الشيب وازع اي مانع وقيل ايزاع الشكر هو الهام الشكر وقيل الاغراء بالشكر وان
اعمل صالحا ترضاه اي واصلح لي في ذريتي اي بيت البيت واني من المسلمين تمام ما علمه الله الانسان
ووصاه انه يدعو به اذا بلغ اشده ان يقول اني تائب الى الله من المعاصي واني من جملة المسلمين
لامر الله قوله تبارك وتعالى اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا
ويتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون والذي
قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان
الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك
الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين
ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا
على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب
الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون حى آيات
بلا خلاف قرا نتقبل ونتجاوز بالنون حمزة والكسائي وخلف على وجه الاخبار من الله
عن نفسه والمولد وقرا الباقون بالياء فيهما على ما لم يسم فاعله وروى هشام اتعداني بنون
مشددة الباقون بنونين وقرا ابن كثير واهل البصرة وعاصم الا الكسائي عن ابي بكر و
الحلواني عن هشام وابو فهم بالياء الباقون بالنون وقرا ابن ذكوان وروح أأذهبتم بهمزتين
محققتين على الاستفهام وقرا ابن كثير وابو جعفر وهشام بتحقيق الاولى وتليين الثانية
وفصل بينهما بالف ابو جعفر والحلواني عن هشام الباقون بهمزة واحدة على الخبر الحجة لما اخبر
تعالى بما اوصى به الانسان ان يعمله ويقوله عند بلوغ اشده اخبر بعده بما يستحقه من الثواب

اذا فعل ما امره به فقال اولئك يعني الذين فعلوا ما وصاهم به من التائبين المسلمين هم
الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا من قرا بالنون اضاف الفعل الى الله واخبر عن نفسه
بانه يفعل بهم ومن قرا بالياء والضم فيهما فلم يذكر الفاعل لانه معلوم ان المراد بانه
الله الذي يتقبل الطاعات ويجازي عليها وقوله احسن ما عملوا يعني ما يستحق به الثواب
من الواجبات والمندوبات لان المباحات وان كانت حسنة لا يستحق بها الثواب ولا
يوصف بانها متقبلة لانه لا يتقبل الا ما ذكرناه من واجب او مندوب ثم قال ويتجاوز
عن سيئاتهم التي اقترفوها فلا نؤاخذهم بها اذا تابوا منها او اردنا ان نتفضل عليهم
باسقاطها وقوله في اصحاب الجنة اي هم في اصحاب الجنة وعد الصدق اي وعدهم
وعد الصدق فهو نصب على المصدر الذي كانوا يوعدون به في دار الدنيا
اذا اطاعوا الله ثم اخبر تعالى عن حال من يقول لوالديه اف لكما ومعناه انه في موضع
ضجر انتنكما وقيل معناه نتنا وقذرا لكما كما يقال عند شم الرائحة الكريهة وقال
الحسن هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث وانه يتأفف بهما اذا دعواه الى
الاقرار بالبعث والنشور وقال قوم نزلت الآية في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل ان يسلم
ثم بين انه يقول لهما اتعدانني ان اخرج من القبر واحيا وابعث وقد خلت القرون
من قبلي اي مضت امم قبلي وماتوا فما اخرجوا ولا اعيدوا وهما يعني والديه يستغيثان
الله ويقولان له ويلك آمن ان وعد الله حق بالبعث والنشور والثواب والعقاب
فيقول في جوابهما ما هذا الا اساطير الاولين اي ليس هذا الا اخبار الاولين الذين
حق عليهم القول باستحقاق العقاب وادخالهم النار مع امم وجماعات قد خلت من قبلهم
من الجن والانس على مثل حالهم ومثل اعتقادهم وقال قتادة قال الحسن الجن
لا يموتون قال قتادة فقلت اولئك الذين حق عليهم القول الآية تدل على خلافه ويجوز
ان يكون الحسن اراد انهم لا يموتون في دار الدنيا ويبقون الى وقت قيام الساعة ثم يميتهم الله

كما ان ذلك سبيل خلق من الملائكة ثم قال تعالى مخبرا عن حالهم فقال انهم يعني الذين وصفتهم
كانوا قوما خاسرين في امورهم لانهم خسروا الثواب الدائم وحصل لهم العقاب المؤبد ثم قال
ولكل درجات مما عملوا اي لكل مطيع درجات ثواب وان تفاضلوا في مقاديرها وقوله
وليوفيهم من قرأ بالياء معناه ليوفيهم الله ومن قرأ بالنون فعلى وجه الاخبار من الله عن نفسه
انه يوفيهم ثواب اعمالهم من الطاعات من غير ان ينقص منه شيئا ثم قال تعالى ويوم يعرض الذين
كفروا على النار يعني يوم القيامة اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا اي يقال لهم
على وجه التعيير والتوبيخ اذهبتم طيباتكم اي انفقتم ذلك في ملاذ الدنيا وفي معاصي الله و
لم تستعملوها في طاعاته فمن حقق الهمزتين اراد بالالف الاستفهام التوبيخ ومن لين الثانية
كره الجمع بين الهمزتين ومن قرأ على الخبر فعلى تقدير يقال لهم اذهبتم او يكون حذف
احدهما تخفيفا ويكون الحذف وقد الاصلية لان همزة الاستفهام دخلت لمعنى وقوله
واستمتعتم بها يعني بالطيبات ثم حكى ما يقال لهم بعد ذلك فانما يقال لهم فاليوم تجزون
عذاب الهون يعني عذاب الهوان في قول مجاهد بما كنتم تستكبرون في الارض اي جزاء
بما كنتم تطلبون التكبر والتجبر على الناس بغير استحقاق وبما كنتم تفسقون اي تخرجون
من طاعة الله الى معاصيه قوله تبارك وتعالى واذكر اخا عاد اذ
انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني
اراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا
بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا
ترى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين حتى آيات بلا خلاف وقرأ عاصم
وحمزة وخلف لا يرى بالياء مضمومة على ما لم يسم فاعله الا مساكنهم برفع النون الباقون

بالتاء ونصب النون من ضم الياء فعلى ما لم يسم فاعله ومن فتح التاء فعلى الخطاب والمعنيان متقاربان
يقول الله تعالى لنبيه اذكر يا محمد لاخا عاد يعني هودا عليه السلم اذ انذر قومه اي خوفهم
من الكفر بالله وحذرهم معاصيه ودعاهم الى طاعته بالاحقاف قال ابن عباس هو واد بين
عمان ومهرة وقال ابن اسحق الاحقاف الرمل فيما بين عمان الى حضرموت وقال قتادة الاحقاف
رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقال الحسن الاحقاف ارض خلالها رمال وقال
الضحاك الاحقاف جبل بالشام يسمى بذلك قال العجاج بات الى ارطاة حقف احقفا
اي رمل مشرف وقال ابن زيد الحقف الرمل يكون كهيئة الجبل وقال المبرد الحقف هو الكثيب
المكسر غير العظيم وفيه اعوجاج قال العجاج سماوة الهلال حتى احقوقفا وهو
اعوجاج وقوله وقد خلت النذر اي مضت الرسل من بين يديه ومن خلفه اي قدامه
وورائه بان لا تعبدوا الا الله اي انذرهم وخوفهم الا يعبدوا الا الله وقال لهم اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم يعني عذاب يوم القيامة ثم حكى ما اجابه به قومه وانهم قالوا
اجئتنا يا هود لتأفكنا اي لتلفتنا وتصرفنا عن عبادة آلهتنا بالكذب والافك فأتنا — اجئتنا
بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين فانا لا نصدقك فيما تقوله فقال
هود لهم انما العلم عند الله يريد العلم بوقت انزال العذاب بكم عند الله وحده
العالم به ولا اعلمه مفصلا وابلغكم ما ارسلت به اي اؤدي اليكم ما بعثت به اليكم
من الدعاء الى عبادة الله واخلاص العبادة له قلت اذ لكم تقبلون ذلك ولكني
اراكم قوما تجهلون اي تفعلون ما يفعله الجهال وقوله فلما رأوه عارضا معناه
فلما رأوا العذاب وشاهدوه اطل عليهم قالوا هذا عارض اي سحاب ممطرنا والعارض
المار يعني انه لم يلبث من خير او شر فلما رأوا العارض ظنوا انه عارض خير بالمطر
فقيل لهم ليس الامر كما ظننتم بل هو عارض من العذاب الذي استعجلتموه وطلبتموه
مكذبين به وقوله عارض نكرة وممطرنا معرفة وانما وصفه به لان التقدير ممطر لنا

لقولك مررت برجل مثلك اى مثل الشىء فرح فقال هو ريح فيه عذاب اليم اى مولم
دمى السحاب عارضا لانه يبدو فى عرض السماء قال الاعشى يا من راى عارضا قد بت ارمقه قد بت
كانما البرق فى حافاته الشعل وقيل كانت الريح ترفع الظعينة حتى ترى كانها جرادة وقيل
عمرو بن ميمون وقوله تدمر كل شىء اى تخرب وتلقى بعض الاشياء على بعض حتى تهلك فلا
جوبروا كانهم كبكر غوجاء قد غاظها اقل منهم دمارا وقوله فاصبحوا لا يرى اهل
الاحقاف لا ترى الا مساكنهم على وجه وما عداها قد هلك ومن فتح التاء نصب المساكن
مساكنهم على وجه الخطاب للنبى عليه السلم ومن ضم الياء ضم النون وتقديره فاصبحوا لا يرى
شىء الا مساكنهم وقرا الحسن بالتاء والضم وقال النحويون القراءة بالياء ضعيفة لان
العرب تذكر ما قبل الا فى الجحد فيقول ما قام الا اختك ثم قال تعالى مثل ما اهلكنا لان المحذوف احد وتقديره ما قام احد الا اختك قامت صح
اهل الاحقاف وجازيناهم بالعذاب نجزى القوم المجرمين الذين سلكوا مسلكهم
قوله تبارك وتعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا
لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شىء
اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ولقد اهلكنا
ما حولكم من القرى وصرفنا الايات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين
اتخذوا من دون الله قربانا الهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى
ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا
لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم خمس ايات يقول الله
تعالى على وجه القسم فى خبره انه مكن هؤلاء الكفار الذين اخبر عنهم بانه اهلكهم
انه مكنهم من الطاعات ومن جميع ما امرهم به من ارجعهم قادرين متمكنين نصب الادلة
على توحيده ومكنهم من النظر فيها ودعاهم فى ذلك بما ضمن لهم من الثواب وزجرهم عما

يحق

يحق به العقاب ولطف لهم وازاح عللهم فى جميع ذلك لان التمكين عبارة عن فعل جميع ما لا يتم
الفعل الا معه ثم قال وجعلنا لهم سمعا يسمعون به الادلة وابصارا يبصرون بها الايات
وافئدة يفكرون بها ويعتبرون بالنظر فيها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم
من شىء اى لم ينفعهم جميع ذلك لانهم لم يعتبروا بها ولا تفكروا فيها حيث كانوا يجحدون
بايات الله وادلته وحاق بهم اى حل بهم عذاب ما كانوا به يستهزءون ويسخرون منه وقوله
فيما ان مكناكم فيه قال ابن عباس وقتادة معناه لم نمكنكم فيه وقال المبرد ما الاولى فيما لم
بمعنى الذى وان بمعنى ما وتقديره فى الذى ما مكناكم والمراد بالاية وعيد كفار قريش
وتهديدهم وان الله قد مكن قوم عاد بما لم يمكن هؤلاء منه من عظيم القوة وشدة البطش
والقدرة على جميع ما يطلبونه وانهم مع تمكينهم لم ينفعهم ذلك لما نزل بهم عذاب الله جزاء
كفرهم وجحودهم ربوبيته ولم ينجهم جميع ذلك ثم قال ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى
يعنى قوم هود وصالح لانهم كانوا مجاورين بلاد العرب وبلادهم حول بلادهم فاذا اهلكهم
الله بكفرهم كان ينبغى ان يعتبروا وانهم صرفنا الايات تصريف الايات تصييرها فى
الجهات وتصريف المعنى تصييره تارة مع هذا الشىء وتارة مع ذلك وتصريف الايات تصييرها
تارة فى الاعجاز وتارة فى الاهلاك وتارة فى التذكير بالنعم وتارة فى التذكير بالنقم وتارة
فى وصف الابرار وتارة فى وصف الفجار ليجتنب مثل فعلهم لعلهم يرجعون اى لكى يرجعوا
الى طاعته ثم قال فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دونه الهة معناه فهلا نصرهم الذين
اتخذوا الهة من دون الله من الاصنام توبيخا لهم على فعلهم واعلاما بان من لا يقدر
على نصرة اوليائه كيف تصح عبادته قربانا الهة اى يتقربون اليهم قربانا وسموها الهة
ثم قال لم ينصروهم بل ضلوا عنهم واخبر ان ذلك افكهم اى كذبهم الذى
كذبوه والذى كانوا يفترونه ويخترعونه ثم قال لنبيه واذكر يا محمد اذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه بمعنى القران او النبى قالوا بعضهم لبعض

انصتوا فلما قضي اي حين فرغ من تلاوته ولوا الى قومهم منذرين لهم مخوفين من معاصي
الله وقال بعضهم ان الله تعالى امر نبيه ان يقرا القرآن على الجن ويدعوهم
الى عبادته وقال بعضهم هم سمعوا من قبل قومهم قراءة القرآن ورجعوا الى قومهم قالوا
لقومهم انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني التوراة يهدي الى الحق
اي يرشد اليه ويهدي الى طريق مستقيم من توحيد الله ومعرفة نبيه المؤدي الى الجنة و
قال ابن عباس وسعيد بن جبير صرفوا اليه بالرجم بالشهب فقالوا عند ذلك ان هذا الامر
كبير وقال قتادة صرفوا اليه من نينوى وفي رواية عن ابن عباس من نصيبين و
قيل ان نصيبين من ارض اليمن وقال زر بن حبيش كانوا تسعة نفر وقال ابن عباس
كانوا سبعة نفر وقال قوم صرفوا اليه بالتوفيق قوله تعالى
يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب
اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في
ضلال مبين اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان
يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق
قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون ٭ حتى آيات بلا خلاف قرأ يعقوب يقدر بالياء
جعله فعلا مستقبلا الباقون بالباء ٭ لما حكى الله تعالى ان نفرا من الجن استمعوا القرآن وتدبروه اسم فاعل
ورجعوا الى قومهم مخوفين لهم من معاصي الله واثم قالوا انا سمعنا كتابا يعني القرآن انزل
من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني التوراة يهدي الى الحق والى طريق مستقيم حكى
انهم قالوا ايضا يا قومنا اجيبوا داعي الله يعنون محمدا صلى الله عليه وآله الذي دعاهم الى توحيده وخلع
الانداد دونه وقال بعضهم يجوز ان يكون المراد كل من دعا الى الله والاجابة موافقة الفعل

الدعاء

الدعاء اليه بانه حق من اجله ولهذا لا يكون فعل الكافر وان دعا به اجابة له اذا لم يفعل من اجل دعائه
اليه وانما فعل لامر اخر وعلى هذا قال بعضهم انه لا يجيب الله دعاء الكافر لان فيه اجلالا له كما
لا يجوز ان يلعن فيه مصلحة فان قيل لو ان الكافر دعا الى حق هل يلزم اجابته قلنا
يجب القول بما يدعو اليه ولا يلزم اجابته وانما يجب القول به لانه حق وقيل يجوز اجابته اذا لم يكن
فيه مفسدة وقالوا لهم آمنوا به اي آمنوا بالله يغفر لكم من ذنوبكم من زائدة والمعنى يغفر لكم
ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم فالاجارة من النار جعلهم في جوار الاولياء بالمباعدة من النار
ومن الدعاء اللهم اجرني من النار واللهم اعذني منها ثم قالوا ايضا ومن لا يجب داعي الله لما
نادى له الى خلاصه فليس بمعجز اي بفائت في الارض وليس له من دونه اولياء ينصرونهم و
يدفعون عنهم العذاب اذا نزل بهم ويجوز منقطع قولهم ويدفعون عنهم الى ان يكون ذلك من كلام
الله ابتداء ثم قال اولئك يعني الذين لا يجيبوا داعي الله في ضلال اي في عدول عن الحق مبين
ثم قال تعالى منبها لهم على قدرته على الاعادة والبعث اولم يروا اي اولم يعلموا ان الله الذي
خلق السموات والارض وانشاهما ولم يعي بخلقهن اي لم يصبه في خلق ذلك اعياء ولا تعب
بقادر فالباء زائدة وموضعه رفع بانه خبر ان ودخول الباء في خبر ان جائز اذا كان اول
الكلام نفيا تقول ما ظننت ان زيدا بقائم ولو قلت ان زيدا بقائم لم يجز لانه اثبات على ان يحيي
الموتى ثم قال بلى هو قادر عليه لانه على كل شيء قدير ثم قال ويوم يعرض الذين
كفروا على النار أليس هذا اي يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم أليس هذا بالحق لانكم
شاهدتموه الآن فيقولون بلى وربنا ويحلفون على ذلك فيقال لهم عند ذلك فذوقوا العذاب
جزاء بما كنتم تكفرون اي بما كنتم تجحدون من نعمه وتنكرونه من وحدانيته ثم قال
لنبيه فاصبر يا محمد على اذى هؤلاء الكفار على ترك اجابتهم لك كما صبر اولوا العزم من
الرسل قبلك على اممهم وقال قوم اولوا العزم هم الذين يثبتون على عقد القيام بالواجب
واجتناب المحارم فعلى هذا الانبياء كلهم اولوا العزم ومن قال ان من ها هنا للتبيين

لا للتبعيض ومن قال ان اولي العزم طائفة من الرسل وهم قوم مخصوصون قال من هاهنا للتبعيض
وهو الظاهر في روايات اصحابنا واقوال المفسرين ويريدون باولي العزم من اتى بشريعة
مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه من الانبياء قالوا وهم خمسة اولهم نوح ثم ابرهيم ثم موسى
ثم عيسى ثم محمد صلى الله عليه ثم قال ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون من يوم
القيامة لو ثبت بحيث لم يلبثوا الا ساعة من نهار في دار التكليف لمرعوبهم يوم القيامة و
قولـــه بلاغ قرئ معناه هو هذا الذي وعظتم به بلاغ او تلك اللبث بلاغ والآخر هذا القرآن
بلاغ ثم قال فهل يهلك هذا الاهلاك وجوبا لاستحقاق الا القوم الفاسقون الذين خرجوا من الاهلاك مر
من طاعة الله الى معصيته ومن ولايته الى عداوته **سورة محمد صلى الله عليه واله**
هي مدنية كلها الا آية واحدة قال ابن عباس وقتادة فالآية الواحدة نزلت حين خرج
النبي من مكة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكي حزنا عليه فنزل قوله وكاين من قرية هي
اشد قوة من قريتك التي اخرجتك الآية وهي ثمان وثلثون آية في الكوفي وتسع
وثلثون في المدنيين واربعون في البصري **قولـــه تبارك وتعالى**
بسم الله الرحمن الرحيم
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذلك
بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب
الله للناس امثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا
الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله
لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم
سيهديهم ويصلح بالهم حتى بانتها قرا اهل البصرة وحفص عن عاصم والذين كونوا ستفيا اعداء
قتلوا على ما لم يسم فاعله بضم القاف وكسر التاء والباقون قاتلوا بالالف من المقاتلة وفي

١٩٣
شاذا قَتَلوا بفتح القاف وتشديد التاء ومن قرا بالالف كان اعم فايدة لانه يدخل فيه من قُتِل
ومن قرا بغير الف لم يدخل في قراءته القاتل الذي لم يقتل وكلاهما لم يضل الله اعمالهم
فهو اكثر فايدة ومن قرا قُتّلوا خص هذه الآية بمن قُتل وقال علي ان الله لم يضل اعمال
من قاتل في سبيله آخر ولان من قاتل لم يضل عمله بشرط الاحباط عند من قال بالاحباط
وليس من قتل كذلك لانه لا يضل الله اعمالهم على وجه بلا شرط ولانه لا يقبل الا وفر
قاتل فصار معناهما واحدا قال مجاهد عن ابن عباس ان قوله الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله نزلت في اهل مكة وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
في الانصار يقول الله تعالى مخبرا بان الذين جحدوا توحيد الله وعبدوا معه غيره وكذبوا
محمدا نبيه وصدوا من اراد عبادته والاقرار بتوحيده وتصديق نبيه عن الدين ومنعوه في الذي جاء به
من الاسلام اضل اعمالهم ومعناه حكم الله على اعمالهم بالضلال عن الحق والعدول
من الاستقامة وسماها بذلك لانها عملت على غير هدى وغير رشاد والصد عن
سبيل الله هو الصرف من سبيل الله بالنهي عنه والمنع منه والترغيب في خلافه وكل
ذلك صد فهاهنا كفروا في انفسهم ودعوا غيرهم الى مثل كفرهم والاضلال الاهلاك
حتى يصير عبرة لما لم يعمل وليس في الآية ما يدل على القول بصحة الاحباط اذ اطلقها
على ما قلناه ومن قال بالتحابط بين المستحقين ذهب الى ان يترك ظاهر الآية ثم قال
والذين آمنوا يعني صدقوا بتوحيد الله والاقرار بنبوة نبيه واضافوا الى ذلك الاعمال
الصالحات وصدقوا بما نزل على محمد من القرآن والعبادات وغيرها وهو الحق الذي
لا مرية فيه كفر الله عنهم سيئاتهم وقولـــه وهو الحق يعني القرآن على ما قاله قوم
وقال آخرون ايمانهم بالله وبالنبي هو الحق من ربهم اي لطفه لهم فيه وحثه
عليه وامره به ومعنى التكفير عن السيئات هو الحكم باسقاط المستحق عليها من العقاب
فاخبر تعالى انه متى فعل المكلف الايمان بالله والتصديق لنبيه اسقط عقاب معاصيه

حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل وقوله واصلح بالهم قال قتادة معناه واصلح حالهم في معايشهم وامر
دنياهم وقال مجاهد واصلح شانهم والبال لا يجمع لانه ابهم اخواته من الحال والشان
ثم بين تعالى لم فعل ذلك ولم قسمهم هذين القسمين فقال ذلك فعلنا بالكفار وحكمنا
بابطال اعمالهم جزاء على انهم اتبعوا الباطل والمعاصي وفعلنا بالمومنين من تكفير سياتهم
لانهم اتبعوا الحق الذي امر الله باتباعه وقيل الباطل هو الشيطان هاهنا والحق هو
القران ويجوز ان يكون التقدير الامر ذلك وحذف الابتدا ثم قال تعالى كذلك يضرب
الله للناس امثالهم اي هولاء الذين حكينا عملهم وضلالهم بمنزلة من دعاه الباطل فاتبعه
والمومن بمنزلة من دعاه الحق من الله فاتبعه ويكون التقدير يضرب الله للناس صفات
اعمالهم بان بينها وبين ما يستحق عليها من ثواب وعقاب ثم خاطب تعالى المومنين فقال
فاذا لقيتم معاشر المومنين الذين كفروا بالله وجحدوا ربوبيته من اهل دار الحرب
فضرب الرقاب ومعناه اضربوهم على الرقاب وهي الاعناق حتى اذا اثخنتموهم اي اثقلتموهم
بالجراح وظفرتم بهم فشدوا الوثاق ومعناه احكموا وثاقهم في الاسر ثم قال فاما منا
بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ومعناه اثقالها وقوله اما منا نصب
على المصدر والتقدير تمنون منا واما تفدوا فداء وقال قتادة وابن جريج
الاية منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فاما تثقفنهم في الحرب
فشرد بهم من خلفهم وقال ابن عباس والضحاك الفدا منسوخ وقال ابن عمر والحسن
وعطاء وعمر بن عبد العزيز ليست منسوخة وكان الحسن يكره ان يفادى بالمال ويقول
يفادى الرجل بالرجل وقال قوم ليست منسوخة والامام مخير بين الفداء والمن
والقتل بدلالة الايات المحكمة حتى تضع الحرب اوزارها اي اثقالها وقال قتادة
حتى لا يكون شرك وقال الحسن ان شاء الامام ان يستعبد الاسير من المشركين فعل ذلك
بالسنة والذي رواه اصحابنا ان الاسير ان اخذ قبل انقضاء الحرب والقتال والحرب

تثقفنهم

قائمة

قائمة والقتال باق فالامام مخير بين ان يقتلهم او يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ويتركهم حتى
ينزفوا وليس له المن ولا الفداء وان كان اخذ بعد وضع الحرب اوزارها وانقضاء الحرب
والقتال كان مخيرا بين المن والمفاداة اما بالمال او النفس وبين الاسترقاق وضرب الرقاب
فان اسلموا في الحالين سقط جميع ذلك وصار حكمه حكم المسلم وقوله ذلك باي الامر اي الذي
حكيناه هو الحق الذي يجب عليكم اتباعه ولو يشاء الله لانتصر منهم واهلكهم بانزال العذاب
عليهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ويختبرهم ويتعبدهم بقتالهم ان لم يومنوا ثم اخبر
تعالى ان الذين قتلوا في سبيل الله لن يضل الله اعمالهم قال قتادة هم الذين قتلوا يوم
احد ومن قرا قاتلوا اراد قاتلوا سواء قتلوا او لم يقتلوا لن يهلك الله اعمالهم ولا
يحكم بضلالها وعدولها عن الحق ثم قال سيهديهم يعني الى طريق الجنة ويصلح بالهم
اي شانهم وحالهم وليس في ذلك تكرار البال لان المعنى مختلف لان المراد بالاول
انه يصلح حالهم في الدين والدنيا والثاني يصلح حالهم في النعيم فالاول سبب النعيم
والثاني نفس النعيم قوله تبارك وتعالى ويدخلهم الجنة
عرفها لهم يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين
كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله
عليهم وللكافرين امثالها ٦ خمس ايات لما اخبر تعالى انه سيهدي
المومنين الى طريق الجنة ويصلح بالهم فيها بين انه ايضا يدخلهم الجنة عرفها لهم
وقيل في معنى عرفها لهم قولان احدهما انه عرفها لهم بان وصفها على ما
يشوق اليها ليعملوا ما يستوجبونها به من طاعة الله واجتناب معاصيه الثاني عرفها
لهم بمعنى طيبها مضروب المثل من العرف وهي الرائحة الطيبة التي تقبلها
النفس ما يعرفونه ولا تنكره وقال ابو سعيد الخدري وقتادة ومجاهد وابن زيد

معناه انهم يعرفون منازلهم فيها كما كانوا يعرفون منازلهم في الدنيا وقال الحسن وصف
الجنة في الدنيا لهم فلما دخلوها عرفوها بصفتها ثم خاطب المومنين فقال يا ايها الذين
آمنوا بتوحيد الله وصدقوا رسوله ان تنصروا الله ومعناه تنصروا دين الله ونبيه واضافه
الى نفسه تعظيما كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا وقيل معناه تنصروا واتبعوا
نبيه ينصركم الله اي يدفع عنكم اعداءكم في الدنيا عاجلا وعذاب الآخرة آجلا ويثبت اقدامكم
في حال الحرب فيثبت ويثبت اقدامكم يوم الحساب ثم قال والذين كفروا بالله وجحدوا
نبوة نبيه فتعسا لهم اي خزيا لهم وبلاء لهم والتعس الانحطاط والعثار عن منازل
المومنين واضل اعمالهم اي اهلكها وحكم عليها بالضلال وانما كرر قوله واضل اعمالهم
واحبط اعمالهم تاكيدا ومبالغة في النهي عن الكفر والمعاصي وكرر ذكر النعيم اذا ذكر
المومنين مبالغة في الترغيب في الطاعات وانما عطف قوله واضل وهو فعل على قوله
فتعسا وهو اسم لان المعنى اتعسهم الله واضل اعمالهم فلذلك حسن العطف ثم بين
تعالى لم فعل ذلك فقال فعلنا ذلك جزاء لهم على معاصيهم بانهم كرهوا ما انزل الله من
القرآن والاحكام وامرهم بالانقياد لها فخالفوا ذلك فاحبط اعمالهم من اجل ذلك اي حكم
ببطلانها لانها وقعت على خلاف الوجه المامور به ثم نبههم على الاستدلال على صحة ما دعاهم
اليه من توحيده واخلاص العبادة له فقال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم حين ارسل الله اليهم الرسل ودعوهم الى توحيده واخلاص
العبادة له فلم يقبلوا منهم وعصوهم وعملوا بخلافه فاهلكهم الله جزاء على ذلك ودمر
عليهم مثل ما فعل بعاد وثمود وقوم لوط واشباههم ثم قال وللكافرين بك يا محمد
ان لم يقبلوا ما تدعوهم اليه امثالها اي امثال تلك العقوبات اي هم مستحقون لمثلها
وانما يؤخر عذابهم تفضلا منه **قوله تبارك وتعالى**
ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين

آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون
كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا
اهواءهم مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من
كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم
حتى آية — قرا ابن كثير اسن على وزن فعل الباقون على وزن فاعل ومعناهما
واحد لان المعنى من ماء غير متغير لما اخبر الله تعالى انه اهلك الامم الماضية بكفرهم
وان للكافرين امثالها بين انه لم كان كذلك فقال ذلك اي الذي فعلنا في الفريقين
لان الله مولى الذين آمنوا ينصرهم ويدفع عنهم لان الله مولى كل مومن وكل الكفار
لا مولى لهم ينصرهم من عقابه اذا نزل به ولا احد يدفع عنهم لا عاجلا ولا آجلا ثم
اخبر تعالى انه يدخل الذين آمنوا بتوحيده وصدقوا انبياءه وعملوا الصالحات مضافة
اليها جنات اي بساتين تجري تحتها الاشجار تجري من تحتها الانهار وقيل ان انهار
الجنة في اخاديد من الارض فلذلك قال من تحتها ثم قال والذين كفروا بتوحيده و
كذبوا رسله يتمتعون في دار الدنيا ويلتذون فيها ويأكلون الماكل فيها مثل
ما تأكل الانعام والبهائم لانهم لا يعتبرون ولا ينظرون ولا يفكرون ولا يعلمون
ما اوجبه الله عليهم فهم بمنزلة البهائم وقيل ان المعنى بذلك الاجلاف منهم
في اكلهم بانهم يأكلون الشره والنهم لانهم جهال ثم قال والنار مثوى لهم اي موضع
مقامهم الذي يقيمون فيه ثم قال لنبيه مهددا للكفار بقوله وكاين من قرية هي
اشد قوة من قريتك يعني مكة التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم يدفع عنهم
اهلاكنا اياهم ويجوز ان يكون المراد فلم يكن لهم ناصر في وقت اهلاكنا اياهم ويجوز

ان يكون المراد فلا ناصر لهم الآن فان الذي يجري مجراه الآن ان افعل بهم مثل ذلك ومعنى كاين
وكم الاصل فيها اي قرية الا انها اكثر تصرفا ثم قال على وجه التعجيب للكفار
والتوبيخ لهم افمن كان على بينة اي حجة واضحة قال قتادة يعني محمد وقال الحسن يعني بالمؤمنين
الذين عرفوا الله تعالى واخلصوا العبادة كمن زين له سوء عمله من المعاصي زينها لهم الشيطان
واغواهم بها واتبعوا اهواءهم اي شهواتهم في ذلك وما تدعوهم اليه طباعهم ثم اخبر
تعالى عن وصف الجنة التي وعد المتقون بها فقال مثل الجنة اي وصف الجنة التي وعد
المتقون بها ان فيها انهار من ماء غير آسن اي غير متغير لطول المقام وانهار من لبن
لم يتغير طعمه كتغير ذلك وانهار من خمر لذة للشاربين يلتذون بشربها ولا يتاذون
بها ولا بعاقبتها وانهار من عسل مصفى من كل اذى ولهم فيها من جميع الثمرات ومغفرة
من ربهم لخطاياهم في الجنة ستر شيء من معاصيهم لان الله قد تفضل بسترها عليهم فصارت
بمنزلة ما لم يعمل بابطال حكمها وقوله مثل الجنة مرفوع بالابتداء وخبره محذوف
وتقديره فيما يتلى عليكم مثل الجنة التي وعد المتقون ولو جعل المثل مقحما جاز الخبر الذي كون
عن الجنة كانه قيل الجنة التي وعد المتقون فيها كذا وفيها كذا وقوله كمن هو خالد في
النار اي يتساوى من له نعيم الجنة على ما وصفناه ومن هو في النار مؤبد ومع ذلك يسقى
ماء حميما اي حارا يقطع امعاءهم من حرارتها ولم يقل امن هو في الجنة الا ان قوله
كمن هو خالد يدل عليه وقيل معنى قوله كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم اي صفتها
هل يكون نعيمها وحالها سواء وبما تلاهي فيه فانه لا يكون ذلك ابدا قوله تعالى
ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال
آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى
وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى
لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات

والله يعلم

والله يعلم متقلبكم ومثواكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة
محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه
۱۹۶ من الموت فاولى لهم حتى آيات قرأ ابن كثير في احدى الروايتين انفا على وزن
فعل الباقون آنفا بالمد على وزن فاعل قال ابو علي الفارسي جعل ابن كثير ذلك مثل
حاذر وحذر وفاكه وفكه والوجه الرواية الاخرى حكى الله تعالى عن المنافقين
من اذا جاء الى النبي عليه السلام واستمع لقراءة القرآن منه وسمع ما يؤديه الى الخلق من الوحي
وما يدعوهم اليه فلا يصغي اليه ولا ينتفع به حتى اذا خرج من عنده لم يدر ما سمعه ولا فهمه
ويسألون اهل العلم الذين آتاهم الله العلم والفهم من المؤمنين ماذا قال آنفا اي اي شيء
قال الساعة وقيل معنى قوله مبتديا وقيل انهم كانوا يستمعون الخطبة يوم الجمعة
وهم المنافقون والآنف الجائي باول المعنى ومنه الاستيناف وهو استقبال الامر باول
المعنى والانف لانه اول ما يبدو من صاحبه ومنه الانفة وهي انفة النفس عن الشيء وهو نفي ومنه
عن اول الدخول في الريبة وانما قال من يستمع اليك فوحده الى اللفظ من وحده ثم قال
حتى اذا خرجوا بلفظ الجمع ردا الى المعنى لان من يقع على الواحد والجماعة ثم قال
تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اي وسم قلوبهم وجعل عليها علامة تدل على انهم
كفار لا يؤمنون وهو كالختم وان صاحبه لا يؤمن فطبع الله على قلوب هؤلاء الكفار
ذما لهم على كفرهم اي لزموا عاداتهم عن الحق به واخبر انهم اتبعوا في ذلك اهواءهم
وهو ما تنزع نفوسهم وما مال اليه طبعهم دون ما قامت عليه الحجة يقال هوي يهوى
فهو هوي واستهواه هذا الامر اي دعاه الى الهوى ثم وصف تعالى المؤمنين فقال
والذين اهتدوا الى الحق ووصلوا الى الهدى والايمان زادهم هدى فالضمير في زادهم
يحتمل ثلثة اوجه احدها زادهم الله هدى بما ينزل عليهم من الآيات والاحكام فاذا اقروا
بها وعرفوها زادت معارفهم الثاني زادهم ما قال النبي هدى الثالث زادهم استهزاؤهم

المنافقين ايمانا والوجه في اضافة الزيادة في الهدى الى الله هو ما يفعله تعالى بهم
من الالطاف التي تقوي دواعيهم الى التمسك بما عرفوه من الحق وتصرفهم عن الجهل والى
خلافه ويكون ذلك تاكيدا لما علموه من الحق وصارفا لهم عن تقليد الرؤساء من غير حجة
ولا دلالة ثم قال واتاهم على زيادة الهدى تقواهم اي خوفا من الله من معاصيه وترك
معرفتها بما فعل بهم من الالطاف في ذلك وقيل معناه آتاهم ثواب تقواهم ولا يجوز ان
يكون المراد خلقه تقواهم لانه يبطل ان يكون فعلهم ثم قال فهل ينظرون الا الساعة اي
ليس ينتظرون الا القيامة ان تاتيهم بغتة اي فجاة فقوله ان تاتيهم بدل من الساعة
وتقديره الا الساعة اتيانها بغتة فان حذف الساعة كان التقدير هل ينظرون الا ان
تاتيهم الساعة بغتة ثم قال تعالى فقد جاء اشراطها اي علاماتها وقيل منها انشقاق
القمر في وقت النبي عليه السلم ومثل مجيء محمد عليه السلم بالآيات لانه آخر الانبياء فالمعنى ظهرت اماراتها
واحدها شرط قال جرير ترى شرط المعزى مهور نسائهم وفي شرط المعزى
لهن مهور واشرط فلان نفسه اذا اعلمها بعلامة وقال اوس بن حجر فاشرط فيها
نفسه وهو معصم والقى باسباب له وتوكلا والفاء في قوله فقد جاء اشراطها عطف
جملة على جملة فيها معنى الجزاء والتقدير ان تاتهم بغتة فقد جاء اشراطها وقد روي شاذ
عن ابي عمرو الا ان تاتهم بفتح الهمزة قال المبرد هذا لا يجوز لانه تعالى اخبر انه لا تاتي الساعة
الا بغتة فكيف يعلق بشرط وقال تعالى فانى لهم اي من اين لهم اذا جاءتهم
الساعة ذكراهم اي ما يذكرهم اعمالهم من خير او شر فانه لا ينفعهم في ذلك الوقت الايمان
والطاعات لزوال التكليف عنهم ثم قال لنبيه عليه السلم والمراد به جميع المكلفين فاعلم بانه
لا معبود يحق له العبادة الا الله وفي ذلك دلالة على ان المعرفة بالله اكتساب لانها لو كانت
ضرورية لما امر بها واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فالخطاب له والمراد به الامة
لانه عليه السلم لا ذنب له يستغفر منها ويجوز ان يكون ذلك على وجه الانقطاع اليه تعالى

ثم قال

محمد

ثم قال والله يعلم متقلبكم ومثواكم اي الموضع الذي تتقلبون فيه وكيف تتقلبون وموضع
١٩٧ استقراركم لا يخفى عليه شيء من اعمالكم طاعة كانت او معصية وقيل يعلم متقلبكم في اسفاركم
ومثواكم في اوطانكم وقيل متقلبكم في اعمالكم ومثواكم في نومكم ثم قال تعالى حكاية
عن المؤمنين انهم كانوا يقولون لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة لانهم كانوا يانسون
بنزول الوحي ويستوحشون لابطائه فقال الله تعالى حاكيا عن حالهم عند نزول السورة
فقال فاذا انزلت سورة محكمة اي ليس فيها متشابه ولا تاويل وذكر فيها القتال اي اوجب عليهم
القتال رايت الذين في قلوبهم مرض اي نفاق وشك ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
لثقل ذلك عليهم وعظمه في نفوسهم فاولى لهم قال قتادة هو وعيد وكانه قال العقاب
اولى بهم وهو ما يقتضيه قبح احوالهم وروي عن ابن عباس انه قال قال الله تعالى
فاولى ثم استانف فقال لهم طاعة وقول معروف يعني المؤمنين فصارت اولى وقيل المعنى
العتاب اولى لهم طاعة وقول معروف من ان يجزعوا عن فرض الجهاد عليهم وقال الجبائي معنى الكلام
ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم اي فما حقوا فلو صدقوا الله فيما امرهم
به لكان خيرا لهم ودخل بين الكلامين طاعة وقول معروف وليس من قصته وانما هو من
صفة المؤمن يامره الله ان يطيعه ويقول قولا معروفا وقرا ابن مسعود سورة محدثة وهو
شاذ قوله تبارك وتعالى طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ
فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا
أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى
قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ
سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ حسن آيات قرا ابو عمرو واملي لهم على ما لم يسم فاعله الباقون
واملى يعني الشيطان املى لهم ويجوز ان يريد ان الله املى لهم كما قال انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وقرا يعقوب مثل ابي عمرو الا انه اسكن الياء بمعنى الاخبار عن الله عن نفسه

وابو عمرو ويعقوب لما الكريم فاعلم وقرا رويس توليتم بضم التاء والواو وكسر اللام البادون بمجيئها قوله
طاعة وقول معروف قيل في معناه قولان احدهما قولوا امرنا طاعة وقول معروف
قاله مجاهد امر الله بذلك المنافقين وقيل هو حكاية عنهم انهم يقولون طاعة وقول معروف
مثل فرض الجهاد لانه يقتضيه قوله فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم الثاني طاعة وقول معروف
امثل اي احق بالحق من اقوال هو لا المنافقين وقيل طاعة وقول معروف خير لهم من جزعهم
عند نزول فرض الجهاد ذكره الحسن والطاعة موافقة الارادة الداعية الى الفعل بطريق الترغيب
فيه والقول المعروف هو القول الحسن وسمي بذلك لانه معروف صحته وكذلك الامر بالمعروف
ان المعروف انه حق والباطل منكر لانه ينكر صحته فعلى هذا المعنى وقع الاعتراف والانكار
وقوله فاذا عزم الامر معناه اذا انعقد الامر على ما يحتاج اليه في تدبيره كما يقولون وقت
عزيمة الامر على كذا والعازم القاطع على الامر بالارادة انه يفعله فاذا عقد على انه يفعله قيل
عزم الامر على طريق البلاغة وقيل معنى عزم الامر جد الامر فلو صدقوا الله يعني فيما امرهم
به من القتال واستثلوا امره لكان خيرا لهم لانهم كانوا يصلون الى نعيم الابد ثم خاطبهم فقال
فهل عسيتم يا معشر المنافقين ان توليتم وقيل في معناه قولان احدهما ان توليتم الاحكام وجعلتم
ولاة ان تفسدوا في الارض باخذ الرشى وقيل المعنى ان اعرضتم عما انتم عليه ولعلكم
ما كنتم تفعلونه والثاني ان توليتم القرآن تقطعون ارحامكم ويقتل بعضكم بعضا بعضا كما كنتم تفعلون على دين اهل الجاهلية ان يقتل بعضكم بعضا كما كنتم
كما قتلت قريش بني هاشم وقتل بعضهم بعضا وقيل المعنى ان اعرضتم عن كتاب الله وما فيه
من وجوب القتال ان تفسدوا في الارض بان تعملوا فيها بالمعاصي وتقطعوا ارحامكم فلا تصلوها
فان الله تعالى يعاقبكم على ذلك بعذاب الابد ويلعنكم ثم قال اولئك الذين لعنهم الله اي ابعدهم
الله عن رحمته فاصمهم واعمى ابصارهم اي سماهم عميا وصما وحكم عليهم بذلك لانهم بمنزلة الصم
والعمي من حيث لم يهتدوا الى الحق ولا ابصروا الرشد ولم يرد الاصمام في الجارحة والاعماء في العين
لانهم كانوا في حال ما وصفهم صحيحي العين صحيحي السمع ثم قال موبخا لهم افلا يتدبرون القرآن ام على

قلوب اقفالها معناه افلا يتدبرون القرآن بان يتفكروا فيه ويعتبروا به ام على قلوبهم قفل يمنعهم
من ذلك تنبيها لهم على ان الامر بخلاف ذلك وليس عليها ما يمنع من التدبر والتفكر والتدبر
في النظر في موجب الامر وعاقبته وعلى هذا دعاهم الى تدبر القرآن وفي ذلك حجة على بطلان
قول من يقول لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن الا بخبر وسمع وفيه تنبيه على بطلان
قول الجهال من اصحاب الحديث انه ينبغي ان يروى الحديث على ما جاء وان كان مختلا في المعنى
لان الله تعالى دعا الى التدبر والتفقه وذلك مناف للتعامي والتجاهل ثم قال ان الذين
ارتدوا على ادبارهم اي رجعوا عن الحق والايمان من بعد ما تبين لهم الهدى اي ظهر لهم الطريق
الواضح المفضي الى الجنة وليس في ذلك ما يدل على ان المؤمن على الحقيقة يجوز ان يكون لانه لا
يمتنع ان يكون المراد من رجع عن اظهار الايمان بعد وضوح الامر فيه وقيام الحجة بصحته
ثم قال الشيطان سول لهم اي زين لهم ذلك وقيل معناه اعطاهم سولهم من
خطاياهم واملى لهم اي امهلهم الشيطان واملى لهم بالاطماع والاغترار وقيل المعنى واملى
الله لهم اي اخرهم فاغتروا بذلك ومن قرا على ما لم يسم فاعله احتمل الامرين ايضا وقيل
الاية نزلت في اليهود لانهم عرفوا صفات النبي عليه السلم في التوراة فلما جاءهم كفروا به وقيل
نزلت في المنافقين حين صدوا عن القتال معه من بعد ما علموا وجوبه في القرآن
قوله تبارك وتعالى ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما انزل الله
سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم
وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم ام حسب
الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم
ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم حتى ايات قرا اهل الكوفة الا ابا
بكر اسرارهم بكسر الهمزة على انه مصدر الباقون بفتحها على انه جمع سر لما اخبر الله تعالى
عن حال المدبرين على اعقابهم والراجعين عن اظهار الحق الى خلافه بين لم فعلوا

المرتدين

ذلك ثم قال ذلك بانهم يعني الشياطين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله من القرآن وما امرهم وشبهوا
به من الامر والنهي والحلال والحرام وشق عليهم ذلك ومالوا الى خلافه وقيل هذا قول
اليهود للمنافقين سنطيعكم في بعض الامر اي نفعل بعض ما تريدون من الميل اليكم والعطف
على ... ثم قال والله يعلم اسرارهم اي بواطنهم من فتح الهمزة ومن كسرها اراد جمع سر و
ثم قال فكيف اذا توفتهم الملائكة والمعنى كيف حالهم اذا توفتهم الملائكة وحذف
تفخيما لشان ما ينزل بهم يضربون وجوههم وادبارهم على وجه العقوبة لهم في القبر ويوم
القيامة ثم بين تعالى لم فعل الملائكة بهم ذلك فقال ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله يعني
المعاصي التي يكرهها الله ويعاقب عليها وكرهوا رضوانه اي كرهوا سبب رضوانه من الايمان
والطاعات والامتناع من القبائح فاحبط اعمالهم اي حكم بانها باطلة محبطة لا يستحق
عليها الثواب ثم قال ام حسب الذين في قلوبهم مرض اي نفاق وشك يظنون ان الله لا يخرج
اضغانهم اي احقادهم مع المؤمنين ولا يظهرها ولا يبدي عورتهم النبي عليه السلام ثم قال
لنبيه عليه السلام ولو نشاء لاريناكهم يعني المنافقين باعيانهم وشخوصهم فتعرفهم حتى تعرفهم
ثم قال فلعرفتهم بسيماهم اي بعلاماتهم التي نصبها الله لكم تعرفهم بها يعني العلامات
الدالة على سوء نياتهم ثم قال ولتعرفنهم في لحن القول اي في فحوى امرهم
ومقصدها ومنه قوله عليه السلام ولعل بعضكم الحن بحجته اي اذهب بها في الجهات لقوته
على تصريف الكلام واللحن الذهاب عن الصواب في الاعراب منها والمعاصي فيجازيكم واللحن ذهاب الكلام الى خلاف جهته ثم قال والله يعلم اعمالكم الطاعات ثم
بحسبها قوله تبارك وتعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين ونبلو اخباركم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول
من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم

الاعلون

199 الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم حتى آبات. قرأ ابو بكر عن عاصم وليبلونكم
حتى يعلم ويبلو اخباركم بالياء فيهن ردا على اسم الله في قوله والله يعلم اعمالكم الباقون
بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه وقرأ حمزة وابو بكر عن عاصم الى السلم بكسر السين
الباقون بفتحها وهما لغتان على ما بيناه فيما تقدم في الاسلام والمصالحة يقول الله تعالى
مقسما انا نبلوكم اي الكفار ومعناه نختبرهم بما نكلفهم من الامور الشاقة فالابتلاء و
الاختبار واحد وقوله حتى نعلم المجاهدين منكم وقيل في معناه قولان احدهما
حتى نعلم جهادكم موجودا لان الغرض ان تفعلوا الجهاد فيثيبكم على ذلك لانكم لا تستحقون
الثواب على ما يعلم الله انه يكون الثاني حتى نعاملكم معاملة من كانه يطلب ان يعلم وقيل
معناه حتى يعلم اولياؤنا المجاهدين منكم واضافه الى نفسه تعظيما لهم وتشريفا كما قال
ان الذين يؤذون الله ورسوله بمعنى يؤذون اولياء الله وقيل معناه حتى نميز المعلوم
في نفسه لانهم انما يتميزون بفعل الايمان وقيل المعنى حتى تعلموا انتم واضافه الى نفسه
تحسنا كما ان الانسان العاقل اذا حوقق في ان النار تحرق الحطب يحسن ان يقول
نجمع بين النار والحطب لنعلم هل تحرق ام لا ولا يجوز ان يكون المراد حتى نعلم بعد ان يكون لم نكن بهم
عالمين لانه تعالى عالم فيما لم يزل بالاشياء كلها ولو تجدد كونه عالما لاحتاج الى علم محدث
بالواجب ... وذلك لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون المراد حتى يظهر المعصية فيقع الجزاء بها
لان المعصية لا يجوز ان تكون غرضا بالتكليف لكن يجوز ان تكون الغرض ظهور حق
الجزاء على المعصية كانه يكون الغرض حق الذم على الاساءة وانما جاز في وصف الله الابتلاء
لان المعنى انه يعامل معاملة المبتلي المختبر مظاهرة في العدل باخراجها والجهاد احتمال
المشقة في قتال المشركين واعداء دين الله وافضل الاعمال علم الدين والجهاد في سبيل
الله لان علم الدين به يصح العمل بالحق والارشاد اليه والجهاد داع الى الحق مع المشقة فيه و
الصابر هو الحابس نفسه عما لا يحل له وهي صفة مدح ومع ذلك ففيها دليل على حاجة المو

بها لانه انما يحبس نفسه ويمنعها مما يشتهيه او ينازع اليه من القبيح والصابر المانع نفسه مما تدعوا
اليه من القبيح ونبلوا اخباركم اى ونختبر اخباركم ونظهر المطيع من العاصى ثم اخبر تعالى
ان الذين كفروا بوحدانيته وجحدوا نبوة نبيه وصدوا اى منعوا غيرهم عن اتباع سبيله
بالقهر تارة وبالاغواء اخرى وشاقوا الرسول اى عادوه وباعدوه من بعد ما تبين
لهم الهدى ووضح لهم سبيله لن يضروا الله بذلك شيئا وانما ضروا انفسهم لانه حبطت اعمالهم
واستحقوا عليها العقاب والهدى الدلالة المؤدية الى الحق والهادى الدال على الحق المطلوب
وفى الاية دلالة على ان هؤلاء الكفار كان قد تبين لهم الهدى فارتدوا واعتبروا او يكون ظهر
لهم الامر البين فلم يقبلوه وقيل معنى تبين لهم الهدى انهم كانوا قد عرفوا الايمان وجحدوا عنه ثم
خاطب المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول
اى افعلوا الطاعات التى امركم الله بها وامركم بها رسوله ولا تبطلوا اعمالكم بان توقعوها
على خلاف الوجه المأمور به فيبطل ثوابكم عليها او تستحقوا العقاب ثم اخبر فقال ان الذين
كفروا اى جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وصدوا واعرضوا عن اتباع سبيل الله بالمنع
والاغواء والدعاء الى غيره ثم ماتوا فى حال كفرهم فان الله لا يغفر لهم معاصيهم بل يعاقبهم
عليها ثم قال فلا تهنوا اى لا تضعفوا وقال مجاهد وابن زيد لا تضعفوا وتدعوا الى السلم
يعنى المصالحة وانتم الاعلون اى وانتم القاهرون الغالبون فى قول مجاهد والله معكم
اى ناصركم والدافع عنكم فلا تميلوا مع ذلك الى الصلح والمسالمة بل جاهدوا واصبروا وليه
وقوله ولن يتركم اعمالكم اى لن ينقصكم اجور اعمالكم يقال وتره يتره وترا اذا
نقصه وهو قول مجاهد وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد والضحاك لن يظلمكم
واصل القطع ومنه الترة القطع بالقتل ومنه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره وقوله
وتدعوا يجوز ان يكون فى موضع نصب على الصرف قوله تبارك وتعالى
إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ

يجوز ان يكون جزما عطفا على تهنوا اى لا تهنوا ولا تدعوا الى السلم

إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم
مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ
قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ثلاث آيات يقول الله تعالى زهدا للخلق
فى الاعراض عن الدنيا وترغيبا لهم فى التوفر على عمل الاخرة فقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو
وانما خسرهم فى الدنيا لكونها فانية ونعيم فى الاخرة لكونها باقية فمن اختار الفانى على الباقى
كان جاهلا او مفوضا ومعنى الحياة الدنيا لعب ولهو اى دار لعب ولهو لان غالب امر الناس
فى الدنيا اللعب واللهو وذلك عبث وغرور ويصرف عن الحق الذى يردهم بالسرور والحبور و
قيل شبهت باللعب واللهو لانقطاعها عن صاحبها بسرعة فالتقدير على هذا انما الحياة الدنيا
كاللعب واللهو فى سرعة الانقضاء والاخرة كالحقيقة فى اللزوم والامتداد فاحداهما كالمجاز والحقيقة
والاخرى كالحقيقة ثم قال وان تؤمنوا بوحدانيته وتصدقوا رسوله اى تتقوا فهو كالذى
وقيل لا يسألكم اموالكم كلها وانما اوجب عليكم الزكاة فى بعض اموالكم وقيل
المعنى لا يسألكم اموالكم بل امواله لانه تعالى مالكها والمنعم بها ثم بين تعالى لم لا يسألهم
اموالهم فقال ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم والاحفاء الالحاح
فى المسألة حتى ينتهى الى مثل الحفاء فى المشى بغير حذاء احفاه بالمسألة يحفيه احفاء وقيل
الاحفاء طلب الجميع تبخلوا اى تمنعوه والبخل فالامر هو منع الواجب وقال الرمانى
البخل منع النفع الذى هو اولى فى العقل قال ومن زعم ان البخل منع الواجب عورض بان البخل
منع ما يستحق بمنعه الذم لان البخيل مذموم بلا خلاف وقد يمنع الواجب الصغير فلا يجوز
وصفه بانه بخيل ويخرج اضغانكم لان فى سؤال الاموال بالاحفاء خروج الاضغان
وهى الاحقاد التى فى القلوب والعداوات الباطنة وقيل الاضغان هى الشاق التى فى القلوب
لذلك الاخراج وقيل ويخرج الله الشحناء التى فى قلبكم بسؤال اموالكم وانما قدم المخاطب
على الغائب فى قوله ان يسألكموها لانه ابتداء بالاقرب مع ان المفعول الاول

شبهت

وتتقوا معاصيه يؤتكم اجوركم على ذلك وثوابكم على طاعتهم ولا يسألكم اموالكم

ويجوز مع الظاهر ان يا لقلتها عنكم لانه غايب مع غايب فالمتصل اولى بان يليه من المنفصل
ثم قال ها انتم هاولاء وانما كرر التنبيه في موضعين للتوكيد فقال ها انتم هاولاء و
قيل ها التقريب ودخل على المضمر لشاكلة المبهم في انه معرفة يصلح صيغته لكل مكني عنه
على جهة جاعة المخاطب كما يصلح هاولاء لكل حاضر مشار اليه ولم يجز مع الظاهر لبعده من
المبهم وقال بعضهم العرب اذا ارادت التقريب جعلت المكني بين ها وبين ذا فيقولون
ها انت ذا قائما لان التقريب جواب الكلام فربما اعادت ها مع ذا وربما اجتزات بالاولى
وحذفت الثانية ولا يقدمون انتم على ها لانها جواب فلا يقرب بها بعد الكلام وقوله
تدعون لتنفقوا في سبيل الله لينيلكم الجزيل من ثوابه وهو غني عنكم وعن جميع خلقه
فمنكم من يبخل فلا ينفق ماله في سبيل الله ثم قال ومن يبخل فانما يبخل على نفسه اي عن
دالي نفسه لانه داعي ربه لان الله قد صرفه عن البخل بالنهي عنه واللوم له ثم قال
والله الغني الذي ليس يحتاج لا اليكم ولا الى احد وانتم الفقراء اليه فان تتولوا اي ان تعرضوا
عن امره ونهيه ولا تقبلوهما ولا تعملون بهما يستبدل قوما غيركم قال قوم يستبدل الله بهم من
في العلوم انهم يخلقون بعد ويجوز ان يكونوا من الملائكة وقيل هم قوم من الجن وهم الاضداد
وقيل مثل سلمان واشباهه من ابناء فارس ولم يجز الزجاج ان يستبدل الملائكة لانه
لا يعبر بالقوم عن الملائكة ثم لا يكونوا امثالكم لانهم يكونون مؤمنين مطيعين وانتم
كما انتم عاصون وقال الطبري لا يكونوا امثالكم في البخل والانفاق في سبيل الله ولما نزلت
هذه الاية فرح النبي عليه السلم وقال هي احب الي من الدنيا

سورة الفتح

مدنية بلا خلاف وهي تسع وعشرون اية بلا خلاف قوله

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك
ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذي انزل السكينة في

قلوب

قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما
حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم
سياتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ٥ خمس ايات يقول الله تعالى لنبيه انا
فتحنا لك فتحا مبينا قال البلخي الفتح يكون في القتال وبالصلح وباقامة الحجج ويكون
المعنى انا فتحنا لك بحجج الله واياته فتحا مبينا يستضيء الله بذلك على من ناواك وقال
قتادة نزلت هذه الاية فرجع النبي عليه السلم من الحديبية فبشر في ذلك الوقت بفتح مكة وتقديره
انا فتحنا لك مكة وقال الشعبي في وقت الحديبية بويع النبي عليه السلم بيعة الرضوان واطعموا — البلخي عن
نخل خيبر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله والحديبية بئر فروى انها غارت
فمج النبي عليه السلم فيها فظهر ماؤها حتى امتلات وقال قتادة معنى فتحنا قضينا لك بالقضاء
وقيل معناه اعلمناك علما ظاهرا فيما انزلناه عليك من القران واخبرناك به من الدين
وسمي العلم فتحا كما قال وعنده مفاتح الغيب اي علم الغيب وقال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح — نستفتح
وقال الزجاج معناه ارشدناك الى الاسلام وفتحنا لك امر الدين بل لانه قوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات
وقال مجاهد فتحنا لك فتحا مبينا يعني نحره بالحديبية وحلقه وقال قتادة معناه
قضينا لك قضاء بينا وفي الحديبية مضمض رسول الله صلى الله عليه واله في البير وقد غارت
فجاشت بالرواء والفتح ايضا من قوله افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين
والفتح الفرج المزيل للهم ومنه فتح المسالة اذا انفرجت عن بيان ما يؤدي الى المطلوب
ومنه فتح على القراءة لانه منغلق بالسهو وينفتح بالذكر والفتح المبين هو الظاهر وكذلك جرى
فتح مكة وقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل جعل عمرة تحض جزا لما من ثوابه
على جهاده في فتح مكة وقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل في معناه
اقوال احدها ما تقدم من معاصيك قبل النبوة وما تاخر عنها الثاني ما تقدم قبل

الفتح وما تأخر بعده الثالث ما تقدم وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور له إذا كان الرابع
ما تقدم من ذنب أبيك آدم وما تأخر عنه وهذه الوجوه كلها لا يجوز عندنا لأن
الأنبياء لا يجوز عليهم فعل شيء من القبيح لا قبل النبوة ولا بعدها لا صغيرها ولا كبيرها فلا يمكن
حمل الآية على شيء مما قالوه ولا صرفها إلى آدم لأن الكلام فيه كالكلام في نبينا محمد صلى الله عليه وآله
ومن حمل الأمر على الصغائر التي تقع محبطة فقوله فاسد لأنا قد بينا أن شيئا من القبائح لا يجوز عليهم
على أن الصغائر تقع مكفرة محبطة لا يثبت عقابها فكيف يمتن الله تعالى على النبي أن غفرها
له وهو تعالى لو واخذه بها لكان ظالما وإنما يصح التمدح بإسقاط المؤاخذة لو العفو فإذا غفر
استحق بذلك الشكر وللآية وجهان من التأويل أحدهما أن المعنى ليغفر لك ما تقدم من ذنب أمتك و
ما تأخر بشفاعتك ولمكانك وأضاف الذنب إلى النبي والمراد به أمته كما قال واسأل القرية
فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وذلك جائز لقيام الدلالة عليه كما قال وجاء ربك
والمراد وجاء أمر ربك الثاني أراد ليغفر ما أذنب قومك إليك من صدهم إياك عن الدخول
إلى مكة في سنة الحديبية فأزال الله ذلك وستر عليك تلك الوصمة بما فتح عليك من مكة ودخلتها
فيما بعد ولذلك جعله جزاء على جهاد في الدخول إلى مكة والذنب مصدر تارة يضاف إلى
الفاعل وتارة إلى المفعول فيكون هاهنا مضافا إلى المفعول والذنب وإن كان غير متعد
إلى المفعول جاز أن يحمل على الصد الذي هو في معناه وهو متعد كما قال الشاعر
جئني بمثل بني بدر لقومهم أو مثل أسرة منظور بن سيار لما كان معنى جئني هات عطف
أو مثل على المعنى فنصب ومثله كثير في العربية وقوله ويتم نعمته عليك فإتمام النعمة فعل
ما يقتضيها من تبقيتها على صاحبها أو الزيادة النعمة منها فأتم الله تعالى ذلك النعم على النبي
عليه السلام بما نصره على أعدائه الرادين لها المكذبين بها حتى علاه بالحجة والقهر لكل
من ناواه وقيل ويتم نعمته عليك بفتح مكة وخيبر والطائف وقيل بخضوع من تكبر
وطاعة من تجبر وقوله ويهديك صراطا مستقيما أي يرشدك إلى الطريق الذي إذا سلكته

اداك

أداك إلى الجنة لا يعدل بك إلى غيرها وينصرك الله نصرا عزيزا فالنصر العزيز هو الذي يمنع من
كل جبار عنيد وعات أثيم وقد فعل الله تعالى ذلك بنبيه محمد عليه السلام فصار دينه أعز الأديان
وسلطانه أعظم السلطان وقوله وهو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين وهو ما يفعل
الله تعالى بهم من اللطف الذي يحصل لهم عنده بصيرة بالحق تسكن إليها نفوسهم ويجدون
الثقة بها بكثرة ما ينصب الله لهم من الأدلة الدالة على الحق فهذه النعمة التامة للمؤمنين خاصة
فأما غيرهم فتضطرب نفوسهم لأول عارض من شبهة ترد عليهم لأنهم لا يجدون برد اليقين
في قلوبهم وقيل السكينة ما يسكن إليه قلوبهم من التعظيم لله ولرسوله والوقار وقوله
ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم أي ليزدادوا معارف أخرى بما أوجب الله عليهم زيادة على المعرفة
الحاصلة فيبين الله تعالى ما ليس عنده للمؤمنين ليزدادوا الثقة بوجوده وقوله ولله
جنود السموات والأرض قيل معناه أنصار دينه ينتقم بهم من أعدائه وقيل معناه أن جميع
الجنود عبيده وكان الله عليما بالأشياء قبل كونها وعالما بها بعد كونها حكيما في أفعاله لأنها
كلها حكمة وصواب وقوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار إنما
لم يدخل واو العطف في ليدخل اعلاما بالتفصيل كأنه قال إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك
الله إنا فتحنا لك ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات أي بساتين تجري من تحت أشجارها
الأنهار خالدين فيها أي مؤبدين لا يزول عنهم نعيمها ويكفر عنهم عقاب معاصيهم التي
فعلوها في دار الدنيا وكان ذلك عند الله فوزا عظيما أي الظفر والصلاح بما طلبوه من الثواب
العظيم **قوله تبارك وتعالى** وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ
وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ

٢٠٣

لما بين انواع العقاب وقوله ولله جنود السماوات والارض وكان الله عزيزا حكيما قد فسرناه وانما اعيد ذكر ولله جنود لانه متصل بذكر المنافقين اي وله الجنود التي يقدر بها على الانتقام منهم بها وذكر اولا لانه متصل بذكر المؤمنين اي له الجنود التي يقدر ان يعينكم بها والعزيز القادر الذي لا يقهر وقيل هو العزيز في انتقامه من اعدائه الحكيم في جميع افعاله انا ارسلناك بالحق ثم خاطب نبيه محمد صلى الله عليه وآله فقال انا ارسلناك يا محمد شاهدا يعني على امتك بالبلاغ والدعاء الى اخلاص عبادته وشاهدا بما عملوه من طاعة ومعصية وشاهدا نصب على حال مقدرة على القول الاول وعلى حال غير مقدرة على القول الثاني ومبشرا بالجنة لمن اطاع ونذيرا اي مخوفا من النار لمن عصى ذكره قتادة ثم بين الغرض بالارسال فقال ارسلناك بهذه الصفة ليؤمنوا من قرا بالياء اي ليؤمنوا هولاء الكفار بالله ومن قرا بالتاء وجه الخطاب الى الخلق اي ارسلته اليكم لتؤمنوا بالله فتوحدوه ورسوله فتصدقوه وتعزروه اي تنصروه فالهاء راجعة الى النبي عليه السلام وقال المبرد معنى تعزروه تعظموه يقال عزرت الرجل اذا كبرته بلسانك وتوقروه اي تعظموه يعني النبي عليه السلام في قول قتادة وقال ابن عباس تعزروه من الاجلال وتوقروه من الاعظام وقوله وتسبحوه يعني الله تعالى اي تنزهوه عما لا يليق به بكرة واصيلا اي بالغداة والعشي وقيل معناه تصلوا له بالغدوات والعشيات وقوله لتؤمنوا بالله ورسوله لا دلالة على بطلان قول المجبرة ان الله تعالى يريد من الكفار الكفر لانه تعالى بين انه اراد من جميع المكلفين الطاعة وان لم يرد ان يعصوا ثم قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فالمراد بالبيعة المذكورة هنا بيعة الحديبية وهي بيعة الرضوان في قول قتادة ومجاهد والمبايعة معاقدة على السمع والطاعة كالمعاقدة في البيع والشرى بما قد مضى فلا يجوز الرجوع فيه وقيل انها معاقدة على بيع انفسهم بالجنة للزومهم في الحرب النصرة وقوله يد الله فوق ايديهم قيل في معناه قولان احدهما عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم لانهم بايعوا الله ببيعة نبيه والاخر قوة الله في نصرة

نصب على الحال الحاصلة والمعنى ومبشرا بهم

ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما حس آيات قرا ابن كثير وابو عمرو دايرة السوء بضم السين الباقون بفتحها وقد شرحناه فيما تقدم فالسوء المصدر والسوء الاسم وقال قوم بالفتح الفساد مثل قوله وظننتم ظن السوء لانهم ظنوا ان النبي لا يعود الى موضع ولادته ابدا وقرا ابن كثير وابو عمرو ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بالياء اربعتهن على وجه الاخبار عن الغائب والتقدير انا ارسلناك بالحق ليؤمن هولاء الباقون بالتاء على وجه الخطاب لهم وقرا سيؤتيه اجرا عظيما بالياء اهل العراق بمعنى سيؤتيهم الله اجرا الباقون بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه لما اخبر الله تعالى انه يدخل المؤمنين والمؤمنات جنات ووصفها اخبر في عقيبه انه يعذب المنافقين والمنافقات وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الشرك فالنفاق اسرار الكفر واظهار الايمان فكل نفاق هو اظهار خلاف الابطان واصله من نافقاء اليربوع وهو ان يجعل لسربه بابين يظهر احدهما ويخفي الاخر فاذا اتى من الظاهر خرج من الاخر فالمنافق يبدي الباطل على الحق بالنطق له والقاء خلافه لتضييع الدليل ويعذب المشركين والمشركات وهم الذين يعبدون مع الله غيره ويدخل في ذلك جميع الكفار ثم وصفهم فقال الظانين بالله يعني الذين يظنون بالله ظن السوء اي يتوهمون ان الله ينصرهم على رسوله وذلك قبيح لا يجوز وصف الله بذلك ثم قال تعالى عليهم دايرة السوء فالدايرة هي الراجعة بخير او شر قال حميد بن ثور ودايرات الدهر ان تدورا ومن قرا دايرة السوء عليهم بضم السين اراد دايرة العذاب ومن قرا بالفتح اراد الفساد عليهم من قتل المؤمنين وغنمهم اموالهم فبدل الحسن وقيل عليهم دايرة السوء اي جزاؤهم السوء من العذاب فمن ضم اراد الشر ويقال رجل سوء بالفتح اي رجل فساد ثم قال وغضب الله عليهم اي لعنه وعذابه ولعنهم واعد اي ابعدهم من رحمته وقوله واعد لهم جهنم يجعلهم فيها ثم قال وساءت مصيرا اي ساءت جهنم مالا ومرجعا

بلغ

ثقة فوق نصرهم وقيل يد الله في هذا بمعنى فوق ايديهم بالطاعة وقوله فمن نكث فانما ينكث
على نفسه والنكث النقض للعقد الذي يلزم الوفاء به فبين تعالى ان من نقض هذه المبايعة فانما
ينكث على نفسه لان ما في ذلك من استحقاق العقاب عائد عليه ومن اوفى يقال اوفى بالعقد
ووفى واوفى لغة الحجاز وهي لغة القرآن بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما اي اذا اوفى
بالبيعة ونصرة نبيه اتاه الله فيما بعد اجرا عظيما وثوابا جزيلا ومن ضم الهاء في عليه الله
فهو حسن فانها الاصل ومن كسرها فللمجاورة قوله تبارك وتعالى
سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون
بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم
نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى
اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن
بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم
لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم
قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا ۝ حمزة و
واهل الكوفة الا عاصما كلم الله على الجمع الباقون كلام الله على التوحيد لانه يدل
على الكثير من حيث هو اسم جنس قال ابو علي كلام الله يقع على ما يفيد والكلم قد
يقع ايضا على ما لا يفيد والكلم جمع كلمة وقرأ حمزة والكسائي ضرا بالفتح والباقون
بضم الضاد فمن قرأ بالفتح اراد المصدر ومن قرأ بالضم اراد الاسم وقيل بالفتح ضد النفع و
بالضم سوء الحال كقوله مسني الضر ويقال ضرني الشيء واضر بي ولا يقال اضرني وضره يضره
وضاره يضيره بمعنى واحد ... الله تعالى نبيه انه سيقول لك يا محمد
المخلفون من الاعراب قال ابن اسحق ومجاهد لما اراد رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج

الى مكة

الى مكة عام الحديبية احرم بعمرة ودعا الاعراب الذين حول المدينة الى الخروج فتثاقلوا كأسلم
وغفار وجهينة ومزينة فاخبر الله تعالى بذلك والمخلف هو المتروك في المكان خلف الخارجين
عن البلد وهو مشتق من الخلف وضده المتقدم يقول خلفته تخليفا كما يقول قدمته تقديما
وانما تخلفوا لتثاقلهم عن الجهاد وان اعتذروا بشغل الاموال والاولاد والاعراب الجماعة من
عرب البادية وعرب الحاضرة ليسوا باعراب ففرقوا بينهما وان كان اللسان واحدا وقوله
شغلتنا اموالنا واهلونا اخبار بما اعتلوا به فالشغل قطع العامل عن عمل لا يمكن الجمع بينهما في
اسبابهما كالكتابة والرمي عن القوس فان الله لا يشغله شأن لانه لا يعمل بآلة وقوله فاستغفر لنا
حكاية ما قالوا للنبي وسألوه ان يستغفر لهم فالاستغفار طلب المغفرة بالدعاء مع التوبة
فلما سألوا الدعاء بالمغفرة وفي قلوبهم خلاف ما اظهروه باظهارهم فضحهم الله وهتك
استارهم وابدى ما نافقوا به في جهادهم فقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
ثم قال للنبي عليه السلام قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا لا يقدر احد على دفعه
او اراد بكم نفعا لا يقدر احد على الشر بل كان الله بما تعملون خبيرا اي عالما باعمالكم
لا يخفى عليه شيء منها ثم قال له قل لهم بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم
ابدا اي ظننتم انهم لا يرجعون ويقتلون ويصطلمون وهو قول قتادة وزين ذلك
في قلوبكم زين الشيطان ذلك وسوله لكم وظننتم ظن السوء في هلاك النبي والمؤمنين
وان الله ينصر عليهم المشركين وكنتم قوما بورا البور الفاسد وهو بمعنى الجمع وترك جمعه في
اللفظ لانه مصدر وصف به قال حسان لا ينفع الطول من نوك القلوب وقد يهدي الاله
سبيل المعشر البور ، البوار الهلاك وبارت السلعة اذا كسدت والبائر من الهالكين مثل
الفاسد وقال قتادة بورا اي فاسدين وقال مجاهد هالكين ثم قال تعالى
مهددا لهم ومن لم يؤمن بالله ورسوله اي لم يصدق بهما فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا اي نارا تستعر وتتوقد ثم قال ولله ملك السموات والارض بان يتصرف فيهما كما يشاء

ذ
لا يعترض

لا يعترض احد عليه فيها يغفر لمن يشاء معاصيه ويعذب من يشاء اذا استحق العقاب بها وبتجانب
القبائح وكان الله غفورا رحيما اى ساترا على عباده معاصيهم اذا تابوا منها متفضلا عليهم بها رحيما باسقاط
عقابهم الذى استحقوها بالتوبة على جهة الاستيلاء ثم قال تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم
الى مغانم لتاخذوها يعنى غنائم خيبر ذرونا نتبعكم اى اتركونا نجئ معكم فقال الله تعالى
يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لهم يا محمد لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل قال مجاهد وقتادة
يعنى ما وعد به اهل الحديبية من غنيمة خيبر لهم خاصة فارادوا تغييره بان يشاركوهم
فيها فمنعهم الله من ذلك وقال ابن زيد ارادوا تبديل قوله لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا
معى عدوا وهذا غلط لان هذه الاية نزلت فى الذين تاخروا عن تبوك بعد خيبر وبعد فتح مكة فقال
الله تعالى لن تخرجوا معى ابدا لان النبى عليه السلم لم يخرج بعد ذلك فى قتال ولا غزو الى ان قبضه الله
تعالى ثم قال كذلكم قال الله من قبل اى قبل ذلك حكم الله وقال ابن عيينة جعل الله غنائم خيبر
خاصة لا يشركهم فيها احد ثم حكى ما قالوه بانهم قالوا عند ذلك ليس الامر كذلك
بل تحسدوننا فقال الله ليس الامر على ما قالوه بل كانوا لا يفقهون الحق وما يدعون اليه الا قليلا
وقيل معناه لا يفقهون الحق الا القليل منهم وهم المعاندون وقال بعضهم لا يفقهون
الا فقها قليلا وهو ما قالوا حسدا وقال ابو الحسن السلمى لما خرجوا الى خيبر واخذوا غنائمها قال
المخلفون ذرونا نتبعكم قالوا نعم على ان لا سهم لكم من الغنيمة فقالوا هذا للحسد وتاطى
فقال تعالى بل كانوا لا يفقهون الا قليلا **قوله تبارك وتعالى**
قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولى باس شديد تقاتلونهم او يسلمون
فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا

قريبا

قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها
فعجل لكم هذه وكف ايدى الناس عنكم ولتكون اية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما
ست ايات ندخله ونعذبه بالنون مدنى شامى على وجه الاخبار عن الله عن نفسه الباقون
بالياء ردا على اسم الله يقول الله تعالى لنبيه قل لهؤلاء المخلفين الذين تخلفوا عنك
فى الخروج الى الحديبية ستدعون فيما بعد الى قوم اولى باس شديد تقاتلونهم او يسلمون
قال ابن عباس اولوا الباس الشديد اهل فارس وقال ابن ابى ليلى والحسن هم الروم و
قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة هم هوازن بحنين وقال الزهرى هم بنو حنيفة مع
مسيلمة الكذاب وكانوا اهل الصفة واستدل جماعة من المخالفين بهذه الاية على امامة ابى
بكر من حيث ان ابا بكر دعاهم الى قتال بنى حنيفة وعمر رضى الله عنهما دعاهم الى قتال فارس
والروم وكانوا قد حرموا القتال مع النبى عليه السلم بدليل قوله لن تخرجوا معى ابدا ولن
تقاتلوا معى عدوا وهذا الذى ذكروه غير صحيح من وجهين احدهما انه غلط فى التاريخ ووقت
نزول الاية والثانى انه غلط فى التاويل ونحن نبين فساد ذلك اجمع ولنا فى الكلام فى تاويل
الاية وجهان احدهما ان ننازع فى اقتضائها داعيا يدعوها لمخلفين غير النبى ونبين
ان الداعى لهم فيما بعد كان النبى عليه السلم على ما حكيناه عن قتادة وسعيد بن جبير فى ان الاية
نزلت فى اهل حنين وكان النبى عليه السلم هو الداعى الى ذلك والاخر ان نسلم ان الداعى
غيره ونبين انه لم يكن ابا بكر ولا عمر رضى الله عنهما بل كان امير المؤمنين فاما الوجه الاول
فظاهر لان قوله سيقول لك المخلفون الى قوله وكنتم قوما بورا قد بينا انه اراد به الذين
تخلفوا عن الحديبية باجماع المفسرين ثم قال سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى اخر الاية
فبين ان هؤلاء المخلفين سالوا ان يخرجوا الى غنيمة خيبر فمنعهم الله من ذلك وامر نبيه
ان يقول لهم قل لن تتبعونا الى هذه الغزاة لان الله تعالى حكم من قبل بان غنيمة خيبر
لمن شهد الحديبية وانه لا حظ فيها لمن لم يشهدها وهذا هو معنى قوله يريدون ان يبدلوا

قرا اهل المدينة وابن عامر ندخله ونعذبه
بالنون على وجه الاخبار

كلام الله وقوله كذلكم قال الله من قبل ثم قال قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي
بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون وانما اراد ان الرسول سيدعوهم فيما بعد الى قتال قوم لهذه الصفة
وقد دعاهم بعد ذلك الى غزوات كثيرة وقتال قوم اهل بأس شديد كمؤتة وحنين وتبوك فمن
اين يجب ان يكون الداعي لهم غير النبي عليه السلم فلنا قولهم ان معنى قوله كذلكم قال الله من
قبل هو انه اراد قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا
ولن تقاتلوا معي عدوا فهو الغلط الفاحش في التاريخ لانا قد بينا ان هذه الآية في التوبة
نزلت بتبوك سنة تسع وآية سورة الفتح نزلت سنة ست فكيف يكون قبلها وينبغي لمن يتكلم
في تأويل القرآن ان يرجع الى التاريخ ويراعي اسباب نزول الآية على ما روي ولا يعولوا على الآراء
والشهوات ويتبين ايضا ان هذا وصف المخالفين غير اولئك وان لم يرجع الى تاريخ ونقول قوله — المخلفين
فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما فلم يقطع على
طاعة ولا على معصية بل ذكر الوعد والوعيد على ما يتعلق بين طاعة او معصية وحكم المذكورين
في سورة التوبة بخلاف هذا لانه تعالى قال بعد قوله انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع
الخالفين الى قوله وهم كافرون فاخبر عن احكامهم بما يدل على اختلافهم وقد حكينا عن سعيد
بن جبير انه قال هذه الآية نزلت في هوازن يوم حنين وقال الضحاك هم ثقيف وقال قتادة
هم هوازن وثقيف واما الوجه الذي يتبع معه ان الداعي غير النبي صلى الله عليه وآله فهو ان
انه نقول الداعي امير المؤمنين عليه السلم لانه قاتل بعده اهل الجمل وصفين واهل النهروان وبشره
النبي صلى الله عليه وآله بقتالهم وكانوا اولي بأس شديد فان قالوا انهم عليه السلم كانوا
مسلمين وفي الآية قال تقاتلونهم او يسلمون كيف يتناولهم الآية قلنا اول ما نقوله انهم
غير مسلمين عندنا وعند جمع من خالفنا من المعتزلة لان عندهم صاحب الكبيرة ليس بمؤمن
ولا مسلم واما مذهبنا في تكفير من قاتل عليا عليه السلم معروف وقد ذكرناه في كتب الامامة
لقوله عليه السلم حربك يا علي حربي وغيره من الاخبار والادلة التي ذكرناها في غير موضع

واستوفينا

واستوفينا ما يتعلق بذلك في كتاب الامامة ويمكن على تسليم ان الداعي ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ان يقال
ليس في الآية ما يدل على مدح الداعي ولا على امامته لانه قد يدعو الى الحق من ليس عليه ويجب
ذلك من حيث كان واجبا لا لاجل دعاء الداعي وابو بكر دعاهم الى الدفاع عن الاسلام وهذا
واجب على كل واحد بلا دعاء داع ويمكن ان يكون المراد بقوله ستدعون دعاء الله لهم بايجاب
القتال عليهم لانه اذا دلهم على وجوب قتال المرتدين ودفعهم عن بيضة الاسلام فقد دعاهم الى
القتال ووجبت عليهم طاعته والكلام في هذه الآية كالكلام فيما قبلها في انا اذا قلنا لا تدل على امامة
الرجلين رضي الله عنهما لا نكون طاعنين عليهما بل لا يمتنع ان يثبت فضلهما وامامتهما بدليل
غير الآية لان المحصلين من العلماء يذهبون الى ان امامتهما من جهة الاختيار لا من جهة — المحصلين
الآية وقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون بالرفع معناه ان احد الامرين لا بد ان يقع لا محالة وتقديره
او هم يسلمون وفي شاذ القراءة بالنصب على والوجه فيه حتى يسلموا ولو نصبه فقال او يسلموا لكان
دالا على ان ترك القتال من اجل الاسلام وقوله ليس على الاعمى حرج الآية فالاعمى هو الذي لا
يبصر بجارحة العين والاعرج الذي برجله آفة تمنعه من المشي مأخوذ من رفعها عند مجاوزة
التي يعبرها ومنه العروج الصعود الى السماء والمريض من به علة تمنعه من الحركة من اضطراب
فالله نفى حق تضعيف الاجر ويحصل فيه الكرم من الله تعالى انه ليس على هؤلاء الذين
بهم هذه الآفات ضيق ولا حرج في ترك الحضور مع المؤمنين في الجهاد قال قتادة
كل ذلك في الجهاد ثم قال ومن يطع الله ورسوله فيما امره به ونهاه عنه يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار ومن يتول يعرض عن اتباعهما وامتثال امرهما ونهيهما يعذبه الله عذابا — نهيهما
اليما من فوات ثواب الله واعداده ومن قرأ بالنون اراد الاخبار من الله عن نفسه وقوله
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة النبي عليه السلم وكانوا مؤمنين في الوقت — اخبار من الله تعالى انه رضي عن الذين بايعوا تحت الشجرة صح
الذي بايعوه فعلم ما في قلوبهم من ايمان ونفاق فرضي عن المؤمنين وسخط على المنافقين
وقيل معناه فعلم ما في قلوبهم من صدق النية في القتال ذكره مقاتل فانزل السكينة عليهم
وكراهتهم للانزال بهم على القتال

يعني على المؤمنين والسكينة الصبر لقوة البصيرة وأثابهم فتحاً قريباً قال قتادة وابن أبي ليلى يعني
فتح خيبر وقال قوم فتح مكة ومغانم كثيرة يأخذونها فالغنيمة ملك أموال أهل الحرب من المشركين
بالقهر والغلبة في حكم الله تعالى وكان القتال من أجلها والمقام خلالها يريد غنائم خيبر وقوله
وعدكم الله مغانم كثيرة يعني سائر الغنائم وقال قوم أراد بها أيضاً غنائم خيبر فعجل لكم هذه يعني
الصلح وسبب بيعة الرضوان لقول الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين وقال ابن عباس
كان سبب بيعة الرضوان بالحديبية أن عثمان رضي الله عنه حين بعثه النبي عليه السلام إلى قريش
وقال ابن عباس فبلغه أنهم قتلوه فبايعهم على قتال قريش وقال ابن عباس كانوا ألفاً وخمس
مائة نفس وقال جابر كانوا ألفاً وأربعمائة نفس وقال ابن أبي أوفى ألفاً وثلثمائة والشجرة التي
بايعوا تحتها هي السمرة واستدل بهذه الآية جماعة على فضل أبي بكر رضي الله عنه فإنه لا خلاف في
أنه كان من المبايعين تحت الشجرة وقد ذكر الله أنه رضي عنهم وأنه أنزل السكينة عليهم وأنه علم ما
في قلوبهم من الإيمان وأثابهم فتحاً قريباً والكلام على ذلك مبني على القول بالعموم ومن أصحابنا
من قال لا صيغة للعموم مستغرقة فسقط الاحتجاج بها قال أبي كثير من المخالفين ومن قال بل إن كان لها
عند مجملة لا يعلم المعنى بها وقد بايع النبي عليه السلام جماعة من المنافقين بلا خلاف فلا بد من تخصيص
الكثير على كل حال على أنه تعالى وصف من بايع تحت الشجرة بأوصاف علمنا أنها لم تحصل في جميع
المبايعين فوجب أن يختص الرضا بمن جمع الصفات لأنه قال فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم
وأثابهم فتحاً قريباً ولا خلاف بين أهل النقل أن الفتح الذي كان بعد بيعة الرضوان بلا فصل
هو فتح خيبر وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر رضي الله عنه ثم عمر فرجع كل واحد
منهما منهزماً فقال النبي عليه السلام عند ذلك لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه فدعا علياً فأعطاه الراية وكان
الفتح على يده فوجب أن يكون هو المخصوص بحكم الآية ومن كان معه في ذلك الفتح لتكامل
الصفات فيهم على أن من بايع بيعة الرضوان طلحة والزبير وقد وقع منهما قتال علي عليه السلام

ما اخرجهما

ما أخرجهما من الإيمان وفسقاً عند جميع المعتزلة ومن جرى مجراهم ولم يمنع الرضا في تلك الحال من
موافقة المعصية فيما بعد فالذي يمنع من مثل ذلك في غيرهما وليس إذا قلنا إن الآية لا تخص
الرجلين كان قطعاً عليهما بل إذا حملناها على العموم دخل كل مبايع من غيرهما فيها وكان ذلك على
وقوله ومغانم كثيرة يأخذونها يعني ما غنموا من خيبر من أنواع الغنائم وكان الله عليماً
بمصالح عباده حكيماً في جميع أفعاله ثم قال وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم
هذه يعني غنائم خيبر والباقي كل ما يغنمه المسلمون من ذلك الحرب وكف أيدي الناس عنكم
يعني أسد وغطفان فإنهم كانوا مع خيبر فصالحهم النبي عليه السلام فكفوا عنه وقيل يعني اليهود
كف أيديهم عنكم بالمدينة من قبل الحديبية وقيل قريش يعني بالحديبية فلم يقاتلوكم ولتكون
آية للمؤمنين يستدلون بها على صدقكم ويهديكم أي ويرشدكم صراطاً مستقيماً يعني بكم إلى
الحق وما يؤدي إلى الثواب والواو في قوله ولتكون معناه أنا وعدناكم الغنائم وكففنا أيدي
الناس عنكم ولتكون ذلك آية للمؤمنين إذا وقع الخبر على ما أخبر به فإنه علم غيب لا يعلمه إلا الله

قوله تبارك وتعالى وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط
الله بها وكان الله على كل شيء قديراً ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار
ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله
تبديلاً وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم
وكان الله بما تعملون بصيراً هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً
أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم
منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا
منهم عذاباً أليماً خمس آيات قرأ أبو عمرو بما يعملون بصيراً بالياء على الخبر الباقون
على الخطاب بالتاء لما ذكر الله تعالى أنه وعد المؤمنين مغانم كثيرة يأخذونها وأنه عجل لهم
منها غنائم خيبر وعدهم بالغنائم الأخر فقال وأخرى أي وغنيمة أخرى لم تقدروا عليها

قال ابن عباس في رواية والضحاك انها خيبر ايضا وفي رواية اخرى عن ابن عباس والحسن انها
فارس والروم وقال قتادة هي مكة قد احاط الله بها اي قدر الله عليها واحاط علمه بها فجعلها
بمنزلة ما قد ادير حولها بما يمنع ان يفلت احد منهم وكان الله على كل شيء قديرا اي ما يصح ان يكون
مقدورا له فهو قادر عليه ثم قال ولو قاتلكم الذين كفروا يعني من قريش يا معشر المؤمنين
لولوا الادبار منهزمين بخذلان الله اياهم ونصره اياكم ومعونته لكم في قول قتادة
ثم لا يجدون وليا في الحال ولا نصيرا يدفع عنهم وقوله سنة الله التي قد خلت من
قبل معناه سنة الله جارية في خذلان اهل الكفر ونصر اهل الايمان فيما مضى من الامم
السالفة ونصره حواريه بالقتال ولن تجد يا محمد لسنة الله تبديلا اي لن تجد لسنة الله ما
يرفعها فالسنة الطريقة المستمرة في معنى ذلك قوله من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل
بها ومن سن سنة سيئة فعليه اثمها واثم من عمل بها والتبديل رفع احد الشيئين وجعل الاخر مكانه
فيما حكمه ان يستمر على ما هو به ولو رفع الله حكما الى خلافه لم يكن تبديلا لحكمه لانه لا يرفع شيئا الا
في الوقت الذي يقتضي الحكمة رفعه وقال ابن عباس كان المشركون بعثوا اربعين رجلا ليصيبوا
من المسلمين فاتي بهم رسول الله فخلى سبيلهم وهو المراد بقوله وهو الذي كف ايديهم عنكم
بالرعب وايديكم عنهم انها نزلت في اهل الحديبية واهل مكة لا في اهل خيبر وقيل كف ايديهم عن
قتالهم لانهم لا يستحقون القتل بكفرهم وصدهم لكن للابقاء على المؤمنين الذين في ايديهم
ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم يعني يوم فتح مكة وكان الله بما تعملون بصيرا يدبركم
بحسب ما تقتضيه مصالحكم وقال هم الذين كفروا اي يجحدون ايات الله وهم كفار قريش و
صدوكم عن المسجد الحرام في الحديبية وصدوكم ان تعتمروا وتطوفوا بالبيت والهدي معكوفا
ان يبلغ محله اي المحل الذي يحل نحره فيه والمعكوف المحبوس اي منعوا الهدي ايضا ان يذبح بمكة
لان هدي العمرة لا يذبح الا بمكة كما لا يذبح هدي الحج الا بمنى ثم قال ولولا رجال مؤمنون
بالله مصدقون بالنبي ونساء مؤمنات مستترون بمكة في قول قتادة لم تعلموهم اي لم تعلموا بايمانهم

فتطؤهم

فتطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي بالاكرام لاجلهم من غير علم منكم بذلك في قول
ابن زيد وقال قوم معناه عنت وقال ابن اسحق هو غرم الدية وكفارة قتل الخطا من عتق
رقبة مؤمنة ومن لم يطق فصيام شهرين وهو كفارة قتل الخطا في الحرب وجواب لولا محذوف
وتقديره ولولا المؤمنون الذين لا تعلموهم لوطئتم رقاب المشركين بنصرنا اياكم والعكوف المنع
من الذهاب في جهة بالاقامة في مكانه ومنه الاعتكاف وهو الاقامة في المسجد للعبادة وعكف
على هذا الامر يعكف عكوفا اذا اقام عليه وقوله ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا اي
لو تميز المؤمنون منهم وقيل لو تفرقوا والمعنى واحد لعذبنا الذين كفروا منهم يعني من اهل مكة
عذابا اليما بالسيف والقتل والالم المؤلم وكان النبي عليه السلام ساق سبعين بدنة في عام
الحديبية ودخل في العام المقبل لعمرة القضاء في الشهر الذي صد فيه ونزل قوله الشهر
الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص قوله تبارك وتعالى

اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء
عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين
رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول
الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون
فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة
ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه
يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
واجرا عظيما . اربع ايات قرا ابن كثير الا ابن فليح شطاه بفتح الطا وقرا ابن
ذكوان الباقون باسكانها وقرا اهل الشام فازره مقصورا الباقون بالمد وهما لغتان

من باب قول الشيء بعد الشيء عن كسب ما اكتسبوا غيرهم ويتبين الميز وبرحمتها ويقال
لو البيت والذين ... قوله اذ جعل متعلق بقوله لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما اذ جعل الذين
كفروا في قلوبهم الحمية يعني الانفة ثم فسر تلك الانفة فقال حمية الجاهلية الحمية يعني عصبيتهم
الجاهلية ... وغيرها وقال الزهري هي انفتهم من الاقرار له بالرسالة والاستفتاح
ببسم الله الرحمن الرحيم على عادتهم في الفاتحة حيث اراد ان يكتب كتاب العهد بينهم ودخولهم مكة الاستفتاح
لحرمة العمرة ثم قال تعالى فانزل الله سكينته على رسوله اي محمد صلى الله عليه وآله من اللطف
والقوة ما سكنت نفسه اليه وصبر على الدخول عند ما اراد ومثله مثل ذلك فعل بالمؤمنين والزمهم
كلمة التقوى قال ابن عباس وقتادة كلمة التقوى قول لا اله الا الله وقال مجاهد هي كلمة الاخلاص
وكانوا احق بها يعني المؤمنين كانوا اهلها واحق بها قال الفراء ورايتها في مصحف الحارث
بن سويد التميمي من اصحاب عبد الله وكانوا اهلها واحق بها وهو تقديم وتأخير وكان مصحفه ر اهلها
دفن ايام الحجاج وقيل ان التقدير كانوا احق بنزول السكينة عليهم واهلها وقيل المعنى
وكانوا احق بمكة ان يدخلوها واهلها وانما قال احق لانه قد يكون حق احق من حق غيره لان
الحق الذي هو طاعة يستحق بها المدح احق من الحق الذي هو مباح لا يستحق به ذلك وكان
الله بكل شيء عليما ثم ذم الكفار تعالى بحمية الجاهلية ومدح المؤمنين بالسكينة ولزوم الكلمة
الصادقة بين علمه ببواطن امورهم وما ينطوي عليه ضمائرهم اذ هو العالم بجميع المعلومات
وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق قسم من الله تعالى ان النبي عليه السلام صادق
في قوله انه راى في المنام انه يدخل هو والمؤمنون المسجد الحرام وانه لا بد من كون ذلك وقوله
ان شاء الله آمنين قال قوم هو تقييد لدخول الجميع او البعض وقال قوم ليس ذلك شرطا لانه
بشارة بالرؤيا التي راها النبي عليه السلام وطالبه اصحابه بتاويلها وحققها قوله لقد صدق
الله ورسوله الرؤيا بالحق ثم استوثق على طريق الشرح والتاكيد لدخول المسجد الحرام فجاء ان شاء
الله على الفاظ الذين كانوا قبل بمشية الله وليس يكره ان يخرج مخرج الشرط ما ليس فيه معنى الشرط

كما يخرج مخرج الامر ما ليس فيه معنى الامر لعزيمة تعجب الكلام وقال البلخي معنى ان شاء الله اي
امركم الله بها لان مشية الله تعالى لافعال عباده هو امره به لان امره به وقال قوم
هو تاديب لنا كما قال ولا تقولن لشيء الاية وقوله آمنين اي بلا خوف عليكم محلقين
رؤسكم ومقصرين اي منكم من حلق راسه ومنكم من قصر لا تخافون احدا في ذلك
وكذلك جرى الامر في عمرة القضاء في السنة الثانية للحديبية وروى ان عمر رضي الله عنه قال
لرسول الله حيث صد اهل مكة يوم الحديبية وهم بالرجوع الى المدينة اليس وعدتنا يا
رسول الله انا ندخل المسجد الحرام محلقين ومقصرين فقال له رسول الله قلت لكم انا ندخلها
العام فقال لا فقال عليه السلام فانكم تدخلونها ان شاء الله فلما كان في القابل في ذي القعدة خرج
النبي عليه السلام لعمرة القضاء ودخل مكة مع اصحابه في ذي القعدة واعتمر واقام بمكة ثلثة ايام
ثم رجع الى المدينة ثم قال فعلم يعني الله ما لم تعلموا انتم من المصلحة في المصالحة و
اجابتهم الى ذلك وقيل المعنى علم النبي صلى الله عليه وآله من دخولهم الى سنة ما لم تعلموا انتم
المؤمنين وقيل فعلم ان بمكة رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فجعل من دون
ذلك فتحا قريبا قال ابن زيد يعني بذلك فتح خيبر وقال الزهري هو فتح الحديبية
ثم قال تعالى هو الذي ارسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وآله بالهدى يعني الدليل
الواضح والحجة البينة ودين الحق يعني الاسلام واخلاص العبادة ليظهره على الدين كله قيل ر البينة
بالحجج والبراهين وقيل لان الاسلام ظاهر على الاديان كلها وقيل انه اذا خرج المهدي صار
الاسلام في جميع البشر وبطل الاديان كلها ثم قال وكفى بالله شهيدا بان ذلك من الكائن
دين الحق على جميع الاديان ثم اخبر تعالى فقال محمد رسول الله ارسله الله الى خلقه والذين
معه من المؤمنين يعني المصدقين بوحدانية الله المعترفين بنبوته الناصرين له اشداء على
الكفار لانهم يقاتلونهم ويجاهدونهم بنية صادقة رحماء بينهم اي يرحم بعضهم بعضا و
يحنن بعضهم على بعض تراهم ركعا سجدا اقبالهم بالصلاة والاتيان بها فانهم بين راكع وساجد

يبتغون فضلاً من الله اى يلتمسون بذلك زيادة نعيمهم من الله ويطلبون مرضاته من طاعة
وترك معصية سيماهم في وجوههم من اثر السجود قال ابن عباس ان صلاتهم تظهر في وجوههم
وقال الحسن هو السمت الحسن وقال قوم هو ما يظهر في وجوههم من السهر بالليل وقال
مجاهد معناه علامتهم في الدنيا من اثر الخشوع وقيل علامة نور يجعلها الله في وجوههم يوم القيامة
في قول الحسن وابن عباس وقتادة وعطية ذلك مثلهم في التوراة اى وصفهم كانه مثلهم في التوراة
ومثلهم في الانجيل اى وصفهم الله في الانجيل كمثل زرع اخرج شطأه فآزره شبههم بالزرع
الذى ينبت في حواليه منه نبات ويلحق به فالشطء فراخ الزرع الذى ينبت في جوانبه ومنه
شاطئ النهر جانبه يقال اشطأ الزرع فهو مشطئ اذا افرخ في جوانبه فآزره اى عاونه فشد
فراخ الزرع لاصول النبت وقواها يقال آزر النبت وآزره بالمد وقال آزر النبت وآزره
مثل رجع ورجعته وقال ابو الحسن هما لغتان وقال ابو عبيدة آزره ساواه فصار مثل الام وفاعل
آزر الشطء اى آزر الشطء الزرع فصار في طوله فاستغلظ اى صار غليظاً باجتماع الفراخ مع
الاصول فاستوى معه اى صار مثل الام على سوقه على عوده وهو جمع ساق وساق
الشجرة حاملة الشجر وهو عوده الذى يقوم عليه وهو قصبته وقيل قوى الجميع بما خرج
منها كما قوى النبي عليه السلم ~~باصحابه~~ وقوله يعجب الزراع يعنى الذين زرعوا ليغيظ بهم
الكفار قيل معناه ليغيظ النبي واصحابه الكفار المشركين وهذا مثل ضربه الله الزرع
الذى اخرج شطأه هو النبي عليه السلام حين ناداهم الى دينه كان ضعيفاً فاجابه الواحد
بعد الواحد حتى كثر جمعه وقوى امره كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفاً فيقوى حالاً بعد حال
حتى يغلظ ساقه وفراخه وكان هذا من اصح مثل واوضح بيان وقال البلخي هو كقولك
كثر غيظ الكفار بانه يريد بالكفار هاهنا الزراع واحدهم كافر لانه يغطى البذر
وكل شيء غطيته فقد كفرته ومنه قولهم تكفر في السلاح وقيل لليل كافر لانه يستر بظلمته كل
شيء قال الشاعر في ليلة كفر النجوم غمامها اى غطاها ثم قال وعد الله الذين

آمنوا

ــــــ

آمنوا يعنى من عرف الله وحده واخلص العبادة له واقر بالنبي وصدقه وعملوا مع ذلك الاعمال
الصالحات منهم قيل من بيان يخصهم بالوعد دون غيرهم وقيل يجوز ان يكون ذلك شرطاً فيمن
اقام على ذلك منهم لان من خرج عن هذه الاوصاف بالمعاصي فلا يتناوله هذا الوعد مغفرة
اى ستراً على ذنوبهم الماضية وثواباً يعطيها يوم القيامة وقرأ ابن كثير شطأه على سوقه بالهمزة
الباقون بلا همزة وهو الاصح قال ابو علي من همز فعلى قولهم احب المؤقدين الي مؤسى
واستعمال السوق في الزرع مجاز سورة الحجرات مدنية الا آية الا آية وا
قوله يا ايها الناس انا خلقناكم الى آخرها وقال قوم كلها مدنية وهي ثماني عشرة آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم
يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم و
الله غفور رحيم خمس آيات بلا خلاف قرأ يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والدال
الباقون بضم التاء وكسر الدال من التقديم وقيل انهما لغتان قدم وتقدم وعجل وتعجل
وقال ابن عباس والحسن معنى الآية لا تقدموا في الحكم بالامر قبل كلامه عليه السلام و
قال الحسن ذبح قوم قبل صلاة العيد يوم النحر فامروا باعادة ذبيحة اخرى وقال الزجاج
المعنى لا تقدموا اعمال الطاعة قبل الوقت الذى امر الله والنبي عليه السلم به حتى قيل لا يجوز
تقديم الزكاة قبل وقتها وقال قوم كانوا اذا سألوا عن شيء قالوا فيه قبل النبي فنهوا عن
ذلك والاولى حمل الآية على عمومها فيقال كل شيء اذا فعل كان خلافاً لله ورسوله

فهو مقدم بين ايديهما فيجب المنع من جميع ذلك هــذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين اللذين اعترفوا
بوحدانيته واخلاص عبادته واقروا بنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وآله نهاهم ان يتقدموا بين يدي النبي عليه السلام
بان يفعلوا خلاف ما امر به او يقولوا في الاحكام قبل ان يقول او يخالفوا اوقات العبادة فان جميع ذلك
تقدم بين يديه وامرهم ان يتقوا الله بان يجتنبوا معاصيه ويفعلوا طاعاته ان الله سميع لما يقولونه
عليم بما يبطنونه ويضمرونه ثم امرهم ثانيا بان لا يرفعوا اصواتهم فوق صوت النبي على وجه الاستخفاف
عليه السلام قال مجاهد وقتادة قد جاء اعراب اجلاف من بني تميم فجعلوا ينادون من وراء الحجرات
يا محمد اخرج الينا ولو ان انسانا رفع صوته على صوت النبي عليه السلام على وجه التعظيم له والاجابة لقوله
لم يكن مأثوما وقد فسر ذلك بقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فان العادة جارية ان من
كلم غيره ورفع صوته فوق صوته ان ذلك على وجه الاستخفاف به فلذلك نهاهم عنه وجهر الصوت اشد من
الهمس ويكون شديدا وضعيفا ووسطا والجهر ظهور الصوت بقوة الاعتماد ومنه الجهارة في النطق ويقال
فلان يجهر جهارا وجاهر بالامر مجاهرة ونقيض الجهر الهمس ثم بين تعالى انهم متى فعلوا ذلك بان يرفعوا
الصوت على صوت النبي على الوجه الذي قلناه ان يحبط اعمالهم والتقدير لئلا تحبط او لان لا تحبط
قال الزجاج ويكون اللام لام العاقبة والمعنى يحبط ثواب ذلك العمل لانهم لو اوقعوه
لا على وجه الاستخفاف لاستحقوا به الثواب فلما فعلوه على ذلك الوجه فذلك احباط اعمالهم فلا يمكن ان
يستدل بذلك على صحة الاحباط في الاية بنفس العمل واكثر من خالفنا يعلقونه بالمستحق على الاعمال على ما يقوله اصحاب الوعيد ولانه تعالى علق الاحباط في الاية بنفس
وذلك خلاف الظاهر ثم مدح تعالى من كان بخلافهم من رفع الصوت بين يدي النبي عليه السلام
فقــال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اعظاما للنبي واجلالا والغض
الحط من منزلة على وجه التصغير لحاله يقال غض فلان من فلان اذا ضعف حاله عن حال
من هو ارفع منه وغض بصره اذا ضعف عن حدة النظر وغض صوته اذا ضعف عن الجهر وقال
جرير فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا ثم قــال اولئك يعني
الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اختبرها للتقوى

فقا لها

٢١١ فيما لهما معاملة الخبير كما تمتحن الذهب لتخليص جيده وقيل امتحن الله قلوبهم للتقوى اخلصها
في قول مجاهد وقتادة وقال قوم معناه اولئك الذين علم الله التقوى في قلوبهم لان الامتحان
يراد به العلم فعبر عن العلم بالامتحان ثم قال لهم مغفرة من الله لذنوبهم وثواب عظيم
على طاعاتهم ثم خاطب النبي عليه السلام على وجه الانكار للذين يرفع صوته من اجلاف الاعراب على
النبي فقال ان الذين ينادونك يا محمد من وراء الحجرات وهي جمع حجرة وكل موضع بنيته في ايجاز اكثر
وانكر لانه ليس بجمع سلامة محضة اذ ما يعقل من المذكر لحق به لانه اشرف العينين هو لحق
بالتفضيل قــال الشاعر اما كان عباد كفيا لدارم بلى ولابيات بها الحجرات
اي بلى ولبني هاشم وقرأ ابو جعفر الحجرات بفتح الجيم قال المبرد ابدل من الضمة الفتحة استثقالا
لتوالي الضمتين ومنهم من اسكن مثل عضد وعضد وقال ابو عبيدة جمع حجر وغرف يقال
حجرات وغرفات ثم قال اكثرهم لا يعقلون لانهم بمنزلة البهائم ولا يعرفون مقدار النبي وما
لا يستحقه من التوقير والتعظيم وقيل ان الذين رفعوا اصواتهم على النبي قوم من بني تميم
وفي قراءة ابن مسعود اكثرهم بنو تميم لا يعقلون ثم قــال ولو انهم صبروا فلم ينادوك حتى
تخرج اليهم من منزلك لكان خيرا لهم من ان ينادوك من وراء الحجرات والله غفور رحيم
اي ساتر لذنوبهم ان تابوا منها لان ذلك كفر لا يغفره الله الا بالتوبة قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا
على ما فعلتم نادمين، واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم
ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي
تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب
المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

خمس آيات قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ خطاب من الله عز وجل للمؤمنين
بانه اذا جاءكم فاسق وهو الخارج من طاعة الله الى معصيته بنبأ اي بخبر عظيم الشأن ان
تبينوا صدقه من كذبه ولا تبادروا الى العمل بمتضمنه لئلا تصيبوا قوما بجهالة لانه ربما كان
كاذبا وخبره كذبا فيعمل به فلا يؤمن من ذلك وقال ابن عباس ومجاهد ويزيد بن رومان
وقتادة وابن ابي ليلى نزلت الآية في الوليد بن عقبة بن ابي معيط لما بعثه رسول الله صلى الله
عليه وآله في صدقات بني المصطلق خرجوا يتلقونه فرحا به واكراما له فظن انهم هموا بقتله فرجع الى
النبي صلى الله عليه وآله فقال انهم منعوا صدقاتهم وكان الامر بخلافه وفي الآية دلالة على ان خبر الواحد
لا يوجب العلم ولا العمل لان المعنى ان جاءكم فاسق بالخبر الذي لا تأمنون ان يكون كذبا فتوقفوا
فيه وهذا التعليل موجود في خبر العدل لان العدل على الظاهر يجوز ان يكون كاذبا في خبره
فالامان غير حاصل في العمل بخبره وفي الناس من استدل به على وجوب العمل بخبر الواحد اذا كان
رواته عدلا من حيث انه اوجب تعالى التوقف في خبر الفاسق فدل على ان خبر العدل لا يجب التوقف
فيه وهذا الذي ذكروه غير صحيح لانه استدلال بدليل الخطاب ليس بدليل عند جمهور
العلماء ولو كان صحيحا فليست الآية بان يستدل بها على وجوب العمل بخبر الواحد اذا كان
عدلا باولى من ان يستدل بتعليلها في رفع الامان من ان نصاب بجهالة اذا عملنا على ان خبر
العدل مثله على انه لا يجب العمل بخبر الواحد وان كان راويه عدلا فان قيل هذا يؤدي
الى انه لا فائدة في ايجاب التوقف في خبر الفاسق اذا كان خبر العدل مثله في الفائدة قلنا
والقول بوجوب العمل بخبر الواحد يوجب انه لا فائدة في تعليل الآية في خبر الفاسق الذي
شاركه العدل فيه فاذا تقابلا سقط الاستدلال بها على كل حال وبقي الاصل في انه لا يجوز
العمل بخبر الواحد الا بدليل ومن قرأ فتبينوا اراد تعرفوا صحة متضمن الخبر الذي يحتاج الى العمل
عليه ولا تقدموا عليه من غير دليل يقال تبين الامر اذا ظهر وتبين من نفسه بمعنى واحد ويقال
ايضا تبينته اذا عرفته ومن قرأ فتثبتوا بالثاء والتاء اراد توقفوا فيه حتى يتبين لكم صحته وقوله

فتصبحوا

فتصبحوا على ما فعلتم نادمين معناه من عمل بخبر الواحد وبان لكم كذب راويه اصبحتم نادمين
على ما فعلتموه ثم خاطب المؤمنين فقال واعلموا معاشر المؤمنين ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في
كثير من الامر لعنتم معناه لو فعل ما تريدونه في كثير من الامور لعنتم اي اصابكم عنت ومكروه
يقال اعنت الرجل اذا ادخلت عليه عنتا اي مكروها يقال اعنته فعنت وسمي موافقته لمريده
طاعة له مجازا لان الطاعة تراعى فيها الرتبة فلا يكون المطيع مطيعا لمن دونه وانما يكون مطيعا لمن
فوقه اذا فعل ما امره به الا ترى انه لا يقال في الله تعالى انه مطيع لنا اذا فعل ما اردناه ويقال
فينا اذا فعلنا ما اراده الله انه مطيع والنبي عليه السلام فوقنا فلا يكون مطيعا لنا فاطلاق ذلك
مجاز وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان بما وعد من استحقاق الثواب عليه وزينه في
قلوبكم بنصب الادلة على صحته وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان بما وصفه من العقاب الادلة
عليه وهو قول الحسن وفي ذلك دلالة على ان اضداد الايمان ثلثة كفر وفسوق وعصيان ثم قال
اولئك يعني الذين وصفهم بالايمان وزين الايمان في قلوبهم وانه كره اليهم الفسوق وغيره هم
الراشدون اي المهتدون الى طريق الحق الذين اصابوا الرشد ثم قال فضلا من الله
ونعمة اي فعل الله ذلك بهم فضلا منه على خلقه ونعمة مجددة وهو نصب على المفعول له في قول
الزجاج والله عليم بالاشياء كلها حكيم في جميع افعاله ثم قال وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا يقتل بعضهم بعضا فاصلحوا بينهما حتى يصطلحا وقرأ يعقوب بين اخوتكم حمله على
الجمع اخ لان الطائفة جمع ومن قرأ على التثنية رده الى لفظ الطائفتين وقرأ زيد بن
ثابت وابن سيرين وعاصم الجحدري بين اخوتكم والمعاني متقاربة وقوله وان طائفتان
من المؤمنين لا يدل الا على انهما اذا اقتتلا بقيا على الايمان ويطلق عليهما هذا الاسم بل لا
يمتنع ان يفسق احد الطائفتين او يفسقا جميعا ويجري ذلك مجرى ان يقول وان طائفة من المؤمنين
ارتدت عن الاسلام فاقتلوها ثم قال فان بغت احدى الطائفتين على الاخرى
بان تطلب ما لا يجوز لها وقاتلت الاخرى ظالمة لها متعدية عليها فقاتلوا التي تبغي حتى

الطائفة المعتدية دون الاخرى حتى تفيء الى امر الله اى حتى ترجع الى امر الله وتترك قتال الطائفة
المؤمنة ثم قال وان فاءت اى رجعت وتابت واقلعت وانابت الى طاعة الله فاصلحوا بينهما يعنى
بينها وبين الطائفة التى كانت على الايمان ولم يخرج عنه بالعدل فلا تميلوا على واحدة منهما
واقسطوا اى اعدلوا ان الله يحب المقسطين يعنى العادلين يقال اقسط اذا عدل وقسط اذا جار
قال الله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقيل ان الآية نزلت فى قبيلتين من الانصار
وقع بينهما حرب وقتال ذكره الطبرى ثم اخبر تعالى بان المؤمنين الذين يوحدون الله ويعملون
بطاعته ويقرون بنبوة نبيه ويعملون بما جاء به اخوة بينهم فقال انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين
اخويكم يعنى اذا رجعا جميعا الى الحق وما امر الله به فاتقوا الله اى اجتنبوا معاصيه وافعلوا
طاعته والتقوه فى عبادته لعلكم ترحمون معناه لكى ترحمون عن المؤمنين لان لعل بمعنى
الشك لا يجوز على الله تعالى قال الزجاج سموا المؤمنين اذا كانوا متفقين فى دينهم اخوة
لاتفاقهم فى الدين ورجوعهم الى اصل النسب لانهم لآدم وحواء قوله تبارك وتعالى
يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان
يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم
اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم
خبير قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم
وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك
هم الصادقون الى آخر الآيات قال اهل التفسير [illegible]

دعا

وهو النقصان يقال الت يالت اذا نقص ولات يليت مثل ذلك وفى المصحف بلا الف قال الشاعر
وليلة ذات ندى سريت ولم يلتنى عن سراها ليت ومعنى الآية لا ينقصكم من اعمالكم شيئا ومنه
قوله وما التناهم من عملهم من شىء اى ما نقصناهم وقرأ ابو عمرو ويعقوب لا يألتكم بالالف الباقون بالتخفيف
والتشديد الاصل وهو مثل سيد وسيد يقول الله مخاطبا المؤمنين الذين وحدوه و
اخلصوا العبادة له وصدقوا نبيه وقبلوا ما دعاهم الله اليه لا يسخر قوم من قوم ومعناه لا يهزأ
به ويتلهى منه وقال مجاهد لا يسخر غنى من فقير لفقره ومعنى لا يهزأ به والسخرية الاستهزاء ولو سخر
المؤمن من الكافر احتقارا له لم يكن به بأس فاما في صفات الله فلا يقال الا مجازا كقوله
فانا نسخر منكم كما تسخرون معناه انا نجازيكم جزاء السخرية ثم قال عسى ان يكونوا خيرا منكم لانه
ربما كان الفقير المهين فى ظاهر الحال خيرا عند الله واجل منزلة واكثر ثوابا من الغنى الحسن
الحال وقال الجبائى يجوز ان يكونوا خيرا منهم فى منافع الدنيا وكثرة الانتفاع بهم وقوله
ولا نساء من نساء اى ولا يسخر نساء من نساء على هذا المعنى عسى ان يكن خيرا منهن ويقال هذا
خير من هذا بمعنى انفع منه فيما يقتضيه العقل وكذلك كان شيب رسول الله خيرا من شيب غيره
ثم قال ولا تلمزوا انفسكم فاللمز هو الرمى بالعيب لمن لا يجوز ان يؤذى بذكره وهو المنهى عنه
فاما ذكر عيبه فليس بلمز وروى انه عليه السلام قال قولوا فى الفاسق ما فيه كى يحذره الناس وقال
الحسن فى صفة الحجاج اخرج الينا بنانا قصيرا قل ما عرفت فيها الاعنة فى سبيل الله ثم جعل
يطبطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد ولو كان من اسمائنا قال غير ذلك وقال ابن عباس
وقتادة معناه لا يطعن بعضكم على بعض كما قال ولا تقتلوا انفسكم لان المؤمنين كنفس واحدة
فكانه بقتله اخاه قاتل نفسه وقوله ولا تنابزوا بالالقاب قال ابو عبيدة الانباز والالقاب واحد
فالنبز القذف باللقب فنهاهم الله ان يلقب بعضهم بعضا وقال الضحاك معناه كل اسم
او صفة يكره الانسان ان يدعى به فلا يدعى به وانما يدعى باحب اسمائه اليه وقوله بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان يدل على ان المؤمن لا يكون فاسقا لان الايمان والفسق لا يجتمعان

لان ذلك يجري مجرى ان يقال بئس الحال الفسوق بعد الشيب والمعنى بئس الاسم الفسوق مع الايمان
كما ان المعنى بئس الحال الفسوق مع الشيب على ان الظاهر يقتضي ان الفسوق الذي يتعقب الايمان
بئس الاسم وذلك لا يكون الا كفرا وهو بئس الاسم ثم قال ومن لم يتب يعني من معاصيه ورجع
الى طاعة الله ومات مصرا فاولئك هم الظالمون الذين ظلموا انفسهم بان فعلوا ما يستحقون
به العقاب ثم خاطبهم ايضا فقال يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا بوحدانيته اجتنبوا كثيرا
من الظن وانما قال كثيرا لان في جملته ما يجب العمل عليه ولا يجوز مخالفته وقوله ان بعض
الظن اثم فالظن الذي يكون اثما هو ما يفعله صاحبه وله طريق الى العلم بدلا منه مما يعمل عليه
فهذا الظن محرم لا يجوز فعله فاما ما لا سبيل له الى دفعه بالعلم بدلا منه فليس باثم فلذلك
كان بعض الظن اثما دون جميعه والظن المحمود قد بينه الله ودل عليه في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقيل يعني المؤمن ان يحسن الظن به ولا يسيء الظن في شيء
يجده له تاويلا جميلا وان كان ظاهره القبيح ومن فعل ذلك كان ظنه قبيحا وقوله ولا تجسسوا
اي لا تتبعوا عثرات المؤمن في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وقال ابو عبيدة التجسس
والتحسس واحد وهو التبحث يقال رجل جاسوس وحاسوس والناموس الباحث عن ساقط
وقيل يجب على المؤمن ان يجتنب ذكر المستور عند الناس بقبيح لانه عليم ان يكون بريئا ويرموه
عليه وان كان فاسدا عند الله لان الله ستره عند الناس وانما دعا الله تعالى المؤمن الى حسن
الظن في بعضهم ببعض الالفة والتناصر على الحق ونهاهم عن سوء الظن لما في ذلك من التقاطع
والتدابر وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا فالغيبة ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة ١
منه وروي في الخبر اذا ذكرت المؤمن بما فيه مما يكرهه الله فقد اغتبته واذا ذكرته بما ليس فيه
فقد بهته وقوله ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه معناه ان من دعي الى اكل لحم اخيه
فعافته نفسه فكرهه من جهة عقله فانه ينبغي ان يكرهه لان داعي العقل احق بان يتبع من داعي
الطبع لان داعي الطبع اعمى وداعي العقل بصير وكلاهما في صفة الناصح وهذا من احسن ما يدل به

المحمود

بهته

طبعه فانه ينبغي اذا دعي الى عيب اخيه فعافته نفسه من جهة عقله صح

بز

على ما ينبغي ان يجتنب وفي الكلام حذف وتقديره ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فيقولون لا بل
عافته نفوسنا فقيل لكم فكرهتموه فحذف لدلالة الكلام عليه وقال الحسن معناه فكما كرهتم
لحمه ميتا فاكرهوا غيبته حيا بهذا هو تقدير الكلام وقوله واتقوا الله معطوف على هذا
الفعل المقدر ومثله الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك والمعنى الم نشرح فقد شرحنا فحمل
الثاني على معناه لانه لا يجوز ان يقول الم وضعنا ثم قال واتقوا الله باجتناب معاصيه
وفعل طاعته ان الله تواب اي قابل توبة من يتوب اليه رحيم بهم ثم قال قالت الاعراب
آمنا قال قتادة نزلت الاية في اعراب مخصوصين انهم قالوا آمنا اي صدقنا بالله واقررنا
بنبوتك يا محمد وكانوا يعتقدون ذلك في بواطنهم فقال الله تعالى لنبيه قل لهم لن تؤمنوا
على الحقيقة في الباطن ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا خوفا من السبي والقتل وهو قول
سعيد بن جبير وابن زيد ثم بين فقال ولما يدخل الايمان في قلوبكم بل انتم كفار في الباطن
ثم قال لهم وان تطيعوا الله ورسوله وترجعوا الى ما يامركم به من طاعة الله والانتهاء
عن معاصيه لا يلتكم من اعمالكم شيئا اي لا ينقصكم من جزاء اعمالكم شيئا ان الله غفور
رحيم لو ستار لذنوبهم اذا تابوا رحيم بهم في قبول توبتهم ثم وصف المؤمن على الحقيقة فقال
انما المؤمنون على الحقيقة الذين آمنوا بالله وصدقوا واخلصوا بتوحيده واقروا بنبوة نبيه
ثم لم يرتابوا اي لم يشكوا في شيء من اقوالهما وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ثم قال
اولئك هم الصادقون في اقوالهم دون من يقول بقوله ما ليس في قلبه وقوله يا ايها الناس
خطاب للخلق كافة من ولد آدم يقول لهم انا خلقناكم بالجمعكم من ذكر وانثى يعني آدم وحواء
عليهما السلام وقال مجاهد خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة بدلالة الاية وجعلناكم
شعوبا وقبائل فالشعوب النسب الابعد والقبائل الاقرب في قول مجاهد وقتادة وقيل
الشعوب الامم والقبائل الخص وقال قوم الشعوب الافخاذ والقبائل اكثر منهم والشعوب جمع
شعب وهو الحي العظيم والقبائل ماخوذ من قبائل الراس وقبائل الجفنة التي يضم بعضها الى بعض

فاما الى العظيم المستغربة فهو شعب قال ابن احمر من شعب همدان او سعد العشيرة
او خولان او مذحج جاء الحلوبا والقبايل جمع قبيلة وقوله لتعارفوا معناه جعلكم كذلك لتعارفوا
فيعرف بعضكم بعضاً ومن قرأ بالتشديد ادغم احدى التائين في الاخرى ومن خفف حذف احدهما
ثم قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم اي اكثركم ثواباً وارفعكم منزلة اتقاكم لمعاصيه في
اعمالكم لطاعته قال البلخي اختلف الناس في فضيلة النسب فانكرها قوم واثبتها
آخرون والقول عندنا في ذلك انه ليس احد افضل من مومن تقي وان الحسب والنسب في
الشرف لا يغنيان في الدين شيئاً الا ان لهما فضلاً كفضل الخز على الكرباس و الكتان على الحلاس
وكفضل الشيخ على الشاب فان الطبايع مبنية والاجماع واقع على ان شيخاً وشاباً لو استويا في الفضل
في الدين لقدم الشيخ على الشاب ووجب في تعظيمه وتجليله وكذلك الاب والابن لو استويا في
الفضل في الدين لقدم الاب وكذلك السيد وعبده وهذا مما لا خلاف فيه بين العقلاء وكذلك
لو ان رجلين استويا في الدين ثم كان احدهما له قرابة برسول الله او بالخيار الصالحين لوجب
التقديم المتصل برسول الله وبالصالح وزاد في تعظيمه وتبجيله وكذلك اذا استويا وكان في
آباء احدهما انبياء ثلاثة او اربعة وكان في آباء الاخر نبي واحد كان مستحقاً للتقديم وكذلك لو
كان لاحدهم اب من آحاد من الانبياء المتقدمين وكان ابو الاخر النبي الذي بعث الينا كان
اعظم حقاً واحق بالتقديم وكذلك لو كان احدهما له آباء موصوفون بالفضل والاخلاق
الجميلة والافعال الشريفة وبالوفاء وبالنجدة والادب والعلم كانت الطبايع مبنية على تعظيمه
على الاخر فان قيل الطبايع مبنية على تقديم ذوي المال فيجب ان يكون الغنى وكثرة المال
شرفاً قلنا كلا لنحن ما ننكر هذا ولا ندفعه فان قيل اذا كان لاحدهما مال لا يبذله
والاخر قليل المال يبذل الموجود مما يملكه من الحقوق ويضعه في مواضعه قلنا الباذل
افضل من الذي لا يبذل وانما تكلمنا في الرجلين اذا استويا في خصالهما وفضل احدهما
لكثرة المال وان كان واضعاً له في موضعه باذلاً في حقوقه وكذلك لو ان رجلاً كان

ذا حسب

ذا حسب وشرف في آبايه الا انه كان فاسقاً او سخيفاً او وضيعاً في نفسه كان الذي
لا حسب له وهو عفيف نبيل افضل منه بالاوصاف التي لا تخفى وكان حسب ذلك العفيف
مما يزيده وبالا ومعنى الحسب انه يحسب لنفسه آباء اشرافاً افضالاً وعمومة واخوة انتهى كلام
البلخي وقوله ان الله عليم يعني بمن يعمل طاعاته ويتقي معاصيه خبير بذلك لا يخفى
عليه شيء من ذلك ثم وصف الذين تقدم ذكرهم فقال اولئك هم الصادقون على الحقيقة
الذين يستحقون ثواب الله قوله تبارك وتعالى قل أتعلمون الله بدينكم
والله يعلم ما في السماوات وما في الارض والله بكل شيء عليم يمنون عليك ان اسلموا
قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين
ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون ثلاث آيات
قرا ابن كثير وحده بما يعملون بالياء على الغيبة الباقون بالتاء على الخطاب يقول
الله تعالى لنبيه عليه السلم قل لهؤلاء الكفار اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في
السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم فالتعليم تعريض من لا يعلم حتى يعلم بايضاح
المعنى او خلق العلم له في قلبه فعلى هذا لا يجوز ان يعلم العالم لنفسه الذي يعلم المعلومات
كلها بنفسه فلا يحتاج الى من يعلمه ولا الى علم يعلم به لانه لكونه عالماً بنفسه استغنى عن
وجود يوجده وانما يحتاج الى التعليم من يجوز ان يعلم والا يعلم ومن يخفى عليه شيء دون شيء
في الآية دلالة على ان العالم بكل وجه لا يجوز ان يعلم والمعنى بالآية هم الذين ذكرهم في الآية
الاولى وبين انهم منافقون يقول الله لهم اتعلمون الله بدينكم انا آمنا بالله وبرسوله
وهو تعالى يعلم منكم خلاف ذلك من الكفر والنفاق فلفظه لفظ الاستفهام والمراد به
الانكار ثم خاطب نبيه عليه السلم فقال يمنون عليك ان اسلموا فالمن القطع بايصال النفع
الموجب للحق ومنه قوله لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع ومنه يقال لهم المنة تكدر
الصنيعة وقيل اذا كفرت النعمة حسنت المنة ومن لا احد الا وهو محتاج الى غيره في منة تكدير

المعرفة لان الحاجة اللازمة لمحتاج ان يستغنى عنه نفيه واكثر المفسرين على ان الاية نزلت
في المنافقين وقال الحسن نزلت في قوم من المسلمين قالوا اسلمنا يا رسول الله قبل ان يسلم بنو
فلان وقاتلنا معك بني فلان وقال الفراء نزلت في اعراب من بني اسد قدموا على النبي
صلى الله عليه وسلم يعيا لاجتهم طعام الصدقة وكانوا يقولون اعطنا فانا اتيناك بالعيال
والاثقال وجاءتك العرب على ظهور رواحلها فانزل الله فيهم الاية ثم قال بل الله يمن عليكم
بانواع نعمه وبان هداكم للايمان وارشدكم اليه بما نصب لكم من الادلة عليه ورغبكم فيه
ان كنتم صادقين في ادعائكم الذي تدعونه ومتى كنتم صادقين يجب ان تعلموا ان المنة لله عليكم
في ايمانكم لا لكم على الله ورسوله وموضع ان اسلموا نصب بيمنون وهو مفعول به وقيل
موضعه الجر على تقديره بان اسلموا ثم قال ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير
بما تعملون من طاعة ومعصية وايمان وكفر في باطن او ظاهر لا يخفى عليه شيء من ذلك

سورة ق

مكية بلا خلاف وهي خمس واربعون آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب
ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا
كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج حتى آيات لم يعد احد ق
آية وكذلك نظايره مثل ن وص لانه من المفرد وكل مفرد فانه لا يعد لبعده عن شبه الجملة
واما المركب فانه يشبه الجملة ووافق رؤوس الآي فانه يعد مثل طه وحم والم وما اشبه ذلك
وقاف قيل هو اسم الجبل المحيط بالارض وقيل هو اسم من اسماء السورة ومفتاحها على
ما بيناه في حروف الهجاء وهو الاقوى وقيل قسم من قضى الامر وحم من حم الامر اي دنا وقوله
والقرآن قسم من الله تعالى بالقرآن وجواب القسم محذوف فقالوا وتقديره بحق المجد الذي

وعلم به انكم لمبعوثون فعجبوا فقالوا ائذا متنا وكنا ترابا وقيل تقديره ورب القرآن واستدل
بذلك على حدثه وهو خلاف الظاهر والمجيد العظيم الكريم ووصف القرآن ونعته بانه مجيد معناه
انه عظيم القدر عالي الذكر ويقال مجد الرجل فيجد مجدا ومجادة اذا عظم كرمه والمجد كرم
فعاله والمجيد في اسم الله تعالى العظيم الكريم ومجده علو شرفه بكرمه ورجل ماجد عظيم
الكرم وتماجد القوم تماجدا وذلك اذا تفاخروا باظهار مجدهم والمجد ماخوذ من قولهم
مجدت الابل مجودا وذلك اذا عظمت بطونها بالكثرة اكلها من كلا الربيع وامجد القوم ابلهم وذلك
في الربيع كانهم اصابوا كلا عظيما كريما قال الشاعر رفعت مجد تميم باهلال لها دفع
الطراف على العلياء بالعمد وقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء
عجيب اخبار منه تعالى عن حال الكافرين الذين بعث الله اليهم النبي عليه السلام من كفار قريش
وغيرهم وخوفهم من معاصيه وترك طاعته باستحقاق العقاب على ذلك وانه تعالى سيبعثهم
ويجازيهم على ذلك بعد الموت فقال الكافرون جوابا لهذا القول هذا شيء عجيب والعجب
تغير النفس بتعظيم الامر الخارج عن العادة الذي يقع بسببه معرفة الانفعال عجب عجبا وتعجب
تعجبا فالذي يتعجب منه عجيب وقيل العجيب هو كل ما لا يعرف علته ولا سببه والحق العجب
العجب مما الذي يعجب على طريق الانكار الحق لانه يجمع فيه سببا القبيح فلو لم يعجبوا من مجيء
المنذرين الله تعالى اليهم فقد تحقق غاية الفحش مع انه فيما يعظم ضرر الجهل به ثم قالوا ايضا
في الجواب عن ذلك ائذا متنا وخرجنا عن كوننا احياء وكنا ترابا بعثنا وحذف لدلالة الكلام
عليه ثم قالوا ذلك رجع بعيد اي يبعد عندنا ان نبعث بعد الموت لان ذلك غير ممكن
فقال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي علمنا الذي تاكل الارض من لحومهم لا يخفى
علينا شيء منه وعندنا كتاب حفيظ اي يبقى الذهاب بالبلى والدروس كل ذلك ثابت
فيه لا يخفى منه شيء وهو اللوح المحفوظ ثم قال بل كذبوا بالحق يعني بالنبي والقرآن
الذي جاءهم دالا على صدقه وبالبعث والنشور الذي انذرهم به فهم في امر مريج اي مختلط

ملتبس واصله ارسال الشيء مع غيره في المرج من قولهم مرج الخيل اذا كثر مع الدواب ومنه مرج البحرين اي ارسلهما في مرج يلتقيان ولا يختلطان ومنه قوله من مارج من نار اي من لهب النار المختلط بالسواد فال الشاعر فجالت فالتبس بحرجها في كامه عضن مريج اي قد التبس بكثرة تشعبه ومرجت عهودهم وامورهم اي خلطوها ولم يفوا بها وقال ابو عبيدة مرج امر الناس اذا اختلط قال ابو ذويب فخر كانه خوط مريج اي سهم غلط الامر باضطرابه ومعنى الكفار حصلوا في امر مختلط ملتبس من امر النبي صلى الله عليه وآله فقالوا تارة هو مجنون واخرى هو كاهن واخرى هو شاعر فلم يثبتوا على شيء واحد فلذلك كانوا في امر مريج قوله تعالى ﴿ افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ﴾ ست آيات لما حكى الله تعالى عن الكفار انهم كذبوا بالحق الذي هو القرآن وجحدوا البعث والنشور والثواب والعقاب وتعجبوا من ذلك نبههم الله على ذلك وبين لهم الطريق الذي اذا نظروا فيه علموا صحته فقال افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها ومعناه افلم يفكروا في بناء هذه السماء وعظمها وحسن تزيينها فيعلموا ان لها بانيا بناها وصانعا صنعها وانه لا بد ان يكون قادرا عليها وانه لا يعجزه شيء لانه لا يقدر على مثل ذلك الا القادر لنفسه الذي لا يجوز عليه العجز ويعلمه لانه عالم بما يرون من احكام الصنعة فيها وانه من لا يخفى عليه خافية وقوله وزيناها معناه احسنا صورتها بما خلقنا فيها من النجوم الثاقبة والشمس والقمر وانه ما لها من فروج اي ليس فيها فتوق يمكن السلوك فيها وانما يسلكها الملائكة بان يفتح لها ابواب السماء اذا عرجت اليها ثم قال والارض مددناها اي بسطناها وتقديره ومددنا الارض مددناها كما قال والقمر قدرناه من نصب ولو رفع كان جائزا والنصب احسن ها هنا لكونه

معطوفا

معطوفا على بنيناها فعطف الفعل على الفعل احسن ثم قال والقينا فيها رواسي اي طرحنا في الارض جبالا تمنعها من الحركة ليمكن استقرار الحيوان عليها وانبتنا فيها من كل زوج بهيج قال ابن دريد البهيج الحسن المنظر والبهجة الحسن الذي له روعة عند الرؤية كالزهرة والاشجار الملتفة والرياض الخضرة في الانواع المتشاكلة والمناظر المصطفة خلالها الانهار الجارية وقوله تبصرة وذكرى اي فعلنا ذلك وخلقناه على ما وصفناه ليتبصر به ويتفكر فيه كل مكلف كامل العقل يريد الرجوع الى الله والانابة اليه ثم قال ونزلنا من السماء ماء مباركا يعني مطرا وغيثا فانبتنا به اي بذلك الماء جنات اي بساتين فيها اشجار فيها وحب الحصيد يعني البر والشعير وكل ما يحصد في قول قتادة لان من شأنه ان يحصد واضاف الحب الى الحصيد وانما اضافه الى نفسه كما قال حق اليقين وكما قالوا مسجد الجامع وغير ذلك وقوله والنخل باسقات اي عالية يقال بسقت النخلة بسوقا قال ابن نوفل لابن هبيرة ٭ يا ابن الذين بفضلهم بسقت على قيس فزارة ٭ وقال ابن عباس باسقات طوال النخل وبه قال مجاهد وقتادة لها طلع نضيد اي لهذه النخل التي وصفنا بالعلو طلع نضيد اي نضد بعضه على بعض في قول مجاهد وقتادة وقوله رزقا للعباد اي خلقنا ما ذكرناه من حب الحصيد والطلع النضيد رزقا للعباد وغذاء لهم وهو نصب على المصدر اي رزقناهم رزقا ويجوز ان يكون مفعولا له اي لرزق العباد والرزق هو ما لهم الانتفاع به على وجه ليس لغيره منعه منه والحرام ليس برزق لان الله تعالى منع منه بالنهي والحظر وكل رزق فهو من الله تعالى اما ان يفعله او يفعل سببه لانه مما يريده وقد يرزق الواحد منا غيره كما يقال رزق السلطان الجند وقوله واحيينا به بلدة ميتا اي احيينا بذلك الماء الذي انزلناه من السماء بلدة ميتا اي جدبا قحطا لا نبت فيها فانبتت وعاشت ثم قال كذلك الخروج يعني مثل ما احيينا هذه الارض الميتة بالماء مثل ذلك نحيي الموتى يوم القيامة فيخرجون من قبورهم لان من قدر على احدهما قدر على الاخر وانما دخلت على القوم شبهة من حيث انهم راوا العادة جارية باحياء الارض الموات بنزول المطر عليها ولم يروا احياء الاموات فظنوا انه يخالف ذلك ولو انعموا النظر لعلموا ان القادر على

عطف على جنات فلذلك نصب باسقات اي عاليات تقال جبل بر

احدهما قادر على الاخر **قوله تبارك وتعالى** كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب
الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق
وعيد افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد اربع آيات يقول الله
لنبيه تسلية له عن تكذيب قومه وتركهم الايمان به وعناد الكفار من قومه انه كما كذبوك يا محمد
وجحدوا نبوتك مثل ذلك كذبت قبلهم من الامم الماضية قوم نوح واهلكهم الله واغرقهم
واصحاب الرس وهم اصحاب البئر الذين قتلوا نبيهم ودسوه فيها في قول عكرمة وقال الضحاك
الرس بئر قتل فيها صاحب ياسين وقيل الرس بئر لم يطو بحجر ولا غيره قال الجوهري
بالمد يحفرون الرس سا وثمود هم قوم صالح حيث كذبوه وعقروا ناقة الله التي اخرجها اية لهم من الجبل
وعاد وهم قوم هود فكذبوه فاهلكهم الله وفرعون واخوان لوط اي كذب فرعون موسى
وقوم لوط لوطا وسماهم اخوته لكونهم من نسبه واصحاب الايكة وهم قوم شعيب والايكة الغيضة
وقوم تبع وهو في الحرث لحقوا اتبعا فانه كان اسلم وانما دمر الله قومه ثم اخبر تعالى عنهم
كلهم فقال كل كذب الرسل المبعوثة اليهم وجحدوا نبوتهم فحق وعيد فاستحقوا ما اوعدهم به
من العقاب فاذا كانت منازل الامم الخالية اذا كذبوا الرسل الهلاك والدمار وانتم معاشر
الكفار قد سلكتم مسلكهم في التكذيب فالحكم كحالهم في استحقاق مثل ذلك ثم قال
الله تعالى على وجه الانكار عليهم بلفظ الاستفهام افعيينا بالخلق الاول **قال** الحسن الخلق
الاول آدم وقد كانوا يقرون به وانهم ولده يقال عيي بالامر اذا لم يعرف وجهه واعييت اذا تعبت
وكل ذلك من التعب في الطلب والمعنى انا كما لم نعي بالخلق الاول لا نعيا بخلقهم على وجه
الاعادة والعجز بانغلاق المعنى على النفس ثم قال بل هم في لبس من خلق فاللبس منع من
ادراك المعنى بما هو كالستر له من خلق جديد وهو القريب الانشاء يقال ثوب جديد وثوب
جديد وخلق جديد واصله القريب العهد بالقطع الذي اخذه من جده يجده جدا اذا قطعه
فهو كقريب العهد بالقطع الذي **قوله تبارك وتعالى** ولقد خلقنا

الانسان

الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن
اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق رقيب
ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد **سبع آيات** يقول الله تعالى
مقسما انه خلق الانسان اي اخترعه وانشاه مقدرا والخلق الفعل الواقع على تقدير وترتيب
والمعنى انه اوجده على ما تقتضيه الحكمة من غير زيادة ولا نقصان واخبر انه يعلم ما توسوس به صدر
الانسان فالوسوسة حديث النفس في خفي الشيء ومنه **قوله** فوسوس اليه الشيطان ومنه
الوسواس كثرة حديث النفس بالشيء من غير تحصيل **قال** رؤبة وسوس يدعو مخلصا رب الفلق
ثم اخبر تعالى انه اقرب الى الانسان من حبل الوريد قال ابن عباس ومجاهد الوريد عرق
في الحلق وهما وريدان في العنق من عن يمين وشمال وكانه العرق الذي يرد اليه ما ينصب من
الراس فسبحان الخالق العليم الذي احسن الخلق والتدبير وحبل الوريد حبل العاتق وهو
ينفصل من الحلق الى العاتق **هذا** العرق الممتد للانسان من ناحيتي حلقه الى عاتقه وهو
الموضع الذي يقع الرداء عليه لانه يطابق الرداء من موضعه **قال** الشاعر
كان وريديه رشا خلب اي ليف وقال الحسن الوريد الوتين وهو عرق معلق به القلب فالله
تعالى اقرب الى الآدمي من قلبه وقيل المعنى ونحن اقرب اليه بمنزلة حبل الوريد في القرب
في انا اعلم به وقيل معناه اقرب اليه مما ندركه من حبل الوريد لو كان مدركا وقيل ونحن املك
به من حبل الوريد في الاستيلاء عليه وذلك ان حبل الوريد في حيز غير حيزه والله تعالى
مدرك له بعقله ومالك له بنفسه وقوله اذ يتلقى المتلقيان فاذا متعلقة بقوله ونحن
اقرب اليه حين يتلقى المتلقيان يعني الملكين الموكلين بالانسان عن يمينه وشماله قعيد
وانما وحد قعيد لاحد الوجهين **احدهما** انه حذف من الاول لدلالة الثاني عليه كما قال
الشاعر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف اي نحن
بما عندنا راضون فتقدير الاية عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد الثاني ان يكون القعيد

٢١٨

على لفظ الواحد ويصلح للاثنين والجمع كالرسول لانه من صفات المبالغة وفيه معنى المصدر
كالنفير والوارد وقال مجاهد العتيد الرصيد وقيل عن اليمين ملك يكتب الحسنات وعن
الشمال ملك يكتب السيئات في قول الحسن ومجاهد وقال الحسن حتى اذا مات طويت صحيفة عمله
وقيل له يوم القيامة اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فقد عدل والله عليك من
جعل حسيب نفسه وقال الحسن الحفظة اربعة ملكان بالنهار وملكان بالليل وقوله
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اي ما يتكلم بشيء من القول الا وعنده حافظ عتيد عليه
فالرقيب الحافظ والعتيد المعد اللازم الامر وقوله وجاءت سكرة الموت بالحق قيل
في معناه قولان احدهما جاءت السكرة بالحق من امر الموت حتى عرفه صاحبه واضطر اليه
والآخر وجاءت سكرة الموت بالحق الذي هو الموت وروي ان ابا بكر وابن مسعود كانا
يقولان وجاءت سكرة الحق بالموت وهي قراءة اهل البيت وسكرة الموت غمرة الموت
الذي تأخذه عند نزع روحه فيصير بمنزلة السكران وقوله ذلك ما كنت منه تحيد
اي يقال له عند ذلك ذلك الذي كنت منه تحيد تهرب وتروغ وقوله ونفخ في الصور
قيل فيه وجهان احدهما انه جمع صورة ينفخ الله في الصور بان يحييها يوم القيامة
الثاني ان الصور قرن ينفخ اسرافيل فيه النفخة الاولى فيموت الخلق والنفخة الثانية
فيحيون يوم القيامة وهو يوم الوعيد الذي يوعد الله ان يعاقب فيه من يكفر ويعصي
امره ويثيب من يؤمن به ويمتثل امره **قوله تبارك وتعالى** وجاءت كل نفس
معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم كل كفار عنيد
مناع للخير معتد مريب الى آخر الآيات يقول الله تعالى ان يوم الوعيد الذي جنه
يجيء كل نفس من المكلفين معها سائق يسوقها وشهيد يشهد عليها وهما ملكان احدهما
يسوقه ويحثه على السير والآخر يشهد عليه بما يعلمه من حاله وشاهده منه وكتبه عليه

فهو يشهد

فهو يشهد بذلك على ما يثبته الله ويدبره وقوله لقد كنت في غفلة من هذا اي يقال له لقد كنت
في غفلة اي في سهو ونسيان عن هذا اليوم فالغفلة ذهاب المعنى عن النفس وضده اليقظة
وقوله فكشفنا عنك غطاءك اي ازلنا الغطاء عنك حتى ظهر لك الامر وانما يظهر الامور
في الآخرة بما يخلق الله فيهم من العلوم الضرورية فيصير بمنزلة كشف الغطاء عما يرى والمراد به
جميع المكلفين برهم وفاجرهم لان معارف الجميع ضرورية وقوله فبصرك اليوم حديد معناه
ان عينك حادة النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهة وقيل المعنى فعلمك بما كنت فيه
من احوال الدنيا نافذ ليس يراد به بصر العين كما يقال فلان بصير بالنحو او بالفقه وقال
الرماني حديد مشتق من الحد ومعناه منيع من الادخال في الشيء ما ليس منه والاخراج عنه ما
هو منه وقال قرينه قال الحسن وقتادة وابن زيد يعني الملك الشهيد عليه وقال بعضهم
قرينه من الشياطين والاول الوجه هذا ما لدي عتيد اي معد محفوظ القيا في جهنم كل
كفار عنيد انما قيل القيا لان المامور بالقاء كل كافر في النار اثنان من الملائكة وقيل
يجوز ان يكون على لفظ الاثنين والمامور واحد لانه بمنزلة القاء اثنين في شدته كما قال
الشاعر فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا والاول اظهر وحكى
الزجاج عن بعض النحويين ان العرب يأمر الواحد بلفظ الاثنين فيقول قوما واقعدا وقال
الحجاج يا حرسي اضربا عنقه وانما قالوا ذلك لان اكثر ما يتكلم به العرب فيما تأمر به بلفظ
الاثنين نحو خليلي مرا بي على ام جندب وقوله قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
وقال المبرد هذا فعل مثنى للتاكيد كانه قال الق الق والعنيد الذاهب عن الحق وسبيل
الرشد مناع للخير الذي امر الله به من بذل المال في وجوهه من الزكوة وغيرها انهما
ذم ثم منع الخير الذي يجب بذله ويدخل فيه الاول على وجه التبع معتد اي متجاوز
الحق في قوله وفعله مريب اي آت من المنكر بما يشكك في امره **قوله تعالى**
الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما اطغيته

ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول
لدي وما انا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد خمس
آيات بلا خلاف قرأ نافع وابو بكر عن عاصم يوم يقول بالياء بمعنى يقول الله لجهنم الباقون
بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه ويوم متعلق بقوله ما يبدل القول لدي وما انا
بظلام للعبيد يوم وقيل انه متعلق بقوله اذكر يا محمد يوم قوله الذي جعل في موضع
الجر لانه من صفة كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله الها اخر اي اتخذ
مع الله معبودا اخر من الاصنام والاوثان ووجه قربانه اليه والجعل تكون الشيء على غير ما كان
يعتقد عليه فمن جعل مع الله الها اخر فقد صير ذلك الشيء على غير ما كان باعتقاده انه اله اخر
مع الله وذلك جهل منه عظيم وذهاب عن الصواب بعيد يقول الله للملكين الموكلين به
يوم القيامة القياه اي اطرحاه في العذاب الشديد والالقاء الرمي بالشيء الى جهة السفل و
قولهم القي عليه مسالة بمعنى طرحها عليه مشبه بذلك واصل الالقاء الملاقاة والالتقاء من هذا
في الالقاء طلب ملاقاة الشيء الارض بالرمي قال قرينه ربنا ما اطغيته قال ابن عباس
قرينها هنا شيطانه وبه قال مجاهد وقتادة والضحاك وسمي قرينه لانه يقرن به في العذاب
وهو غير قرينه الذي معه يشهد عليه والقرين نظير الشيء من جهة مصيره بازائه حكى
الله تعالى عن شيطانه الذي اغواه انه يقول ما اطغيته فالاطغاء الاخراج الى الطغيان
وهو تجاوز الحد في الفساد اطغاه يطغيه اطغاء وطغى يطغى طغيانا فهو طاغ والاول متعد وقال
لكن ما اطغيته باستكراه وهو من دعاه الى الطغيان والمعنى لم اجعله طاغيا ولكن كان
هو بسوء اختياره في ضلال عن الايمان بعيد من اتباعه ومثله قوله وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فيقول الله تعالى لهم لا تختصموا لدي اي لا يخاصم
بعضكم بعضا عندي وقد قدمت اليكم بالوعيد في دار التكليف فلم تنزجروا وخالفتم
امري ما يبدل القول لدي معناه ان الذي قدمته اليكم في الدنيا من اني اعاقب من جحدني

وكذب

وكذب رسلي وخالف امري لا يبدل بغيره ولا يكون خلافه وما انا بظلام للعبيد اي لست بظالم
لاحد في عقابي لمن استحقه بل هو الظالم لنفسه بارتكابه المعاصي التي استحق بها ذلك وانما
قال بظلام على وجه المبالغة ردا لقول من اضاف جميع الظلم اليه تعالى الله عن ذلك وقوله
يوم نقول لجهنم هل امتلأت من كثرة من القي من قرأ بالنون فعلى وجه الاخبار من الله تعالى
عن نفسه ومن قرأ بالياء وهو نافع وابو بكر فعلى تقدير يقول الله لجهنم هل امتلأت
من كثرة من القي فيك من العصاة فتقول جهنم هل من مزيد اي ما من مزيد اي ليس يسعني اكثر
من ذلك وقال قوم هذا خطاب من الله لخزنة جهنم على وجه التقرير لهم هل امتلأت
جهنم فتقول الخزنة هل من مزيد وقال قوم وهو الاظهر ان الكلام خرج مخرج المثل اي انها
من سعتها وعظمها فيما يظهر من حالها بمنزلة الناطقة التي اذا قيل لها هل امتلأت فتقول
هل من مزيد اي لم امتلئ وبقي في سعة كثيرة ومثله قول الشاعر امتلأ الحوض وقال قطني
مهلا رويدا قد ملأت بطني والحوض لم يقل شيئا وانما اخبر عن امتلائه وانه لو كانت
ممن ينطق لقال مهلا قد ملأت بطني وكذلك القول في الاية وقال الحسن وعمرو بن
عبيد وواصل بن عطا معنى هل من مزيد ما من مزيد وانه بمعنى لا مزيد وانكروا ان يكون
طلبا للزيادة لقوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال بعضهم هذا ليس بمنكر
من وجهين احدهما ان يكون ذلك حكاية عن الحال التي قبل دخول جميع اهل النار فيها
وهي تملأ بعد وان امتلأت فيما بعد والثاني ان يكون تطلب الزيادة بشرط ان يزاد في سعتها
وقال قوم هل من مزيد بمعنى لم يبق مزيد كقول النبي عليه السلام يوم فتح مكة وقد قيل له الا تنزل دارك
فقال وهل ترك لنا عقيل من ربع لانه كان قد باع دور بني هاشم لما خرجوا الى المدينة وانما
اراد لم يترك لنا دارا وقال انس بن مالك هل من مزيد طلب الزيادة وقال مجاهد هو بمعنى
الكفاية قوله تبارك وتعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما
توعدون لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام

ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد حتى الآيات لما حكى الله تعالى ما اعدّ
للكافرين والعصاة من جهنم وعظم موصوفها وسعتها اخبر بما اعدّه للمتقين المجتنبين للمعاصي
الفاعلين للطاعة فقال وازلفت الجنة للمتقين والازلاف التقريب الى الخير ومنه الزلفة والزلفى
ويقولون ازدلف اليه اي اقترب والمزدلفة قريب من الموقف وهو المشعر والجمع ومنه قول
الراجز ناج طواه الاين مما وجفا طي الليالي زلفا فزلفا سماوة الهلال حتى احقوقفا
والجنة التي وعد الله المتقين هي البستان الذي يجمع كل نوع من اللذة على ارفع كل نوع في الزينة
من الابنية الفاخرة بالياقوت والزبرجد وفاخر الجوهر ومن الانهار والاشجار وطيب الثمار
ومن الازواج الكرام والحور الحسان وكريم الخدم من الولدان الذين هم زينة لكل ناظر
وسعة لكل مبصر فقد امن اهلها العلل واولع الاذى من فضول الاطعمة والاشربة نسأل
الله حسن الاستعداد لها بالعمل الصالح المقرب منها الموجب لرضوان مالكها وقوله
غير بعيد اي ليس ببعيد مجيء ذلك لان كل ما آت قريب ولذلك قال الحسن كانك بالدنيا لم تكن
وبالاخرة لم تزل ثم قال هذا ما توعدون من قرأ بالياء فعلى الخبر وهو قراءة ابن كثير
ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب اي هذا الذي ذكرناه هو ما وعدتم به من الثواب لكل اواب
اي رجاع الى الله تائب اليه حفيظ لما امر الله به متحفظ من الخروج الى ما لا يجوز من سيئة
تدنسه او خطيئة تحط منه وتشينه وقال ابن زيد الاواب التواب وهو من آب يؤوب
اوبا اذا رجع وقوله من خشي الرحمن بالغيب فالخشية انزعاج القلب عند ذكر السيئة وداعي
الشهوة حتى يكون في اعظم حال من طلب سبع يفترسه او عدو يأتي على نفسه او ... سوء
يلجئ الى الهلاك فهذه خشية الرحمن التي تنفعه والتي دعا اليها ربه ومعنى بالغيب اي في باطنه
ومن سريرته وجاء بقلب منيب اي راجع الى الله من اناب ينيب انابة وموضع من يحتمل وجهين
من الاعراب احدهما الجر على البدل من كل كانه قيل لمن خشي والثاني الرفع على
الاستئناف كانه قال من خشي الرحمن بالغيب يقال لهم ادخلوها بسلام اي بامان من كل مكروه

ويحيّون

ويحيّون بذلك على وجه الاكرام وقوله ذلك يوم الخلود اي وقت الذي يبقون فيه في النعيم
مؤبدين له الى غاية وقوله لهم ما يشاؤون فيها اي ما يريدونه ويشتهونه حاصل لهم فيها
ولدينا مزيد من نعم الله التي تعطيهم زيادة على مقدار استحقاقهم باعمالهم **قوله تعالى**
وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ان
في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود قرأ وادبار
بكسر الالف ابن كثير ونافع واهل الحجاز وحمزة على المصدر من ادبر ادبارا وتقديره وقت
ادبار السجود والباقون بفتحها على ارادة اضافة اسماء الزمان اليها وحده فيها كقولهم
جئتك مقدم الحاج وخفوق النجم ونحو ذلك تريد في ذلك كله وقت كذا وكذا وفي مذهب الباقين
بفتح الالف على الجمع دبر يقول الله تعالى مخبرا وكم اهلكنا ومعناه وكثير اهلكنا
وذلك ان كم تكون استفهاما تارة وفي معنى الخبر للتكثير اخرى وانما خرجت عن الاستفهام الى التكثير
لكون نقيضه رب في التقليل وكانت احق بالاسم مع احتمالها التفصيل فاما رب فهي
حرف يجري مجرى حرف النفي لان التقليل اقرب الى النفي وانما وجب لكم صدر الكلام في الخبر
اعلاما بانها خرجت عن الاستفهام مع انها نقيضة رب التي هي بمنزلة حرف النفي ودخلت
من في مميز كم لانها في الخبر بمنزلة عدد يفسر بالمضاف كقولك عشرة اثواب وعشرون
الاثواب فجاز حذف الاضافة كما جازت الاضافة ولكن كان عشرون درهما وجاز ان
يفسر في الخبر بالواحد وبالجميع والقرن المقدار من الزمان الذي يقترن بالبقاء فيه اهله
على مجرى العادة وقال قوم هو مائة وعشرون سنة وقال آخرون هو سبعون سنة
وقال قوم اربعون سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل عشرون سنة هم اشد منهم بطشا
اي الذين اهلكناهم مثل هؤلاء الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء واكثر عدة كقوم عاد

وعنهم فلم يتعذر علينا ذلك فما الذي يؤمن حالكم من مثل ذلك وقوله فنقبوا في البلاد اي
فتحوا المسالك في البلاد بشدة بطشهم فاستعمل التنقيب بما يصلح للسلوك من نقض الابنية ومنه
النقب الفتح الذي يصلح للسلك وقد منع الله العباد في التزيين بان لا يوسع عليهم في رزقهم
ولا يصلح فيه النقب وكل نقب فتح وليس كل فتح نقبا فالنقب نقض موضع بما يصلح للسلوك
وقال مجاهد نقبوا في البلاد ضربوا في الارض ضرب جاعل المسالك بالنقب قال امرؤ القيس
لقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب وقوله هل من محيص اي هل من
محيد وهو الذهاب في ناحية من الامر للهرب منه حاص يحيص حيصا فهو حايص مثل حاد
يحيد حيدا فهو حايد والمعنى ان اولئك الكفار الذين بلغ وصفهم بشدة البطش لما نزل بهم عذاب
الله لم يكن لهم مهرب ولا محيص منه وقيل هل من محيد من الموت فيجدا من الهلاك قال
الزجاج هل رأوا للكفار طوفوا في البلاد مهربا ولمن اصابهم الموت وقوله ان في ذلك
لذكرى يعني وما اخبرته وقصصته لذكرى اي ما يتفكر فيه ويعتبر به لمن كان له قلب قيل
معنى القلب ههنا العقل من قولهم اين ذهب قلبك وفلان قلبه معه وانما قال لمن كان
له قلب لان من لا يعي الذكر لا يعتد بما له من القلب وقوله او القى السمع وهو شهيد
لما يسمع ويفقهه غير غافل عنه وهو قول مجاهد والضحاك وسفيان فقال القى الي سمعك

وفلان ذاهب القلب

قال ابن عباس معناه استمع و لم يشغل قلبه بغيرها استمع صح

اي استمع وقال قتادة وهو شهيد على صفة النبي صلى الله عليه والسلم في الكتب السالفة وهذا
في اهل الكتاب والاول اظهر ثم اقسم الله تعالى فقال ولقد خلقنا السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام وقد مضى تفسير مثله في غير موضع وما مسنا من لغوب اي نصب وتعب
في قول ابن عباس ومجاهد واللغوب من لغوب الاعياء قال قتادة اكذب الله بذلك
اليهود بانهم قالوا استراح الله يوم السبت فهو عندهم يوم الراحة وقيل انما خلق الله
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام مع قدرته على ان يخلقهما في وقت لان في ذلك لطفا
للملائكة حين شاهدوه يظهر حالا بعد حال وقيل لان في الخبر بذلك لطفا للمكلفين

بما لغوب اذا تصوروا ان ذلك يوجد شيئا بعد شيء مع ادب النفس به في ترك الاستعجال لذكره
في فعل الله لضرب من التدبير ثم قال لنبيه عليه السلم فاصبر يا محمد على ما يقولون من قولهم
هو ساحر وكذاب ومجنون واحتمل ذلك حتى ياتي الله بالفرج وسبح بحمد ربك اي نزهه
عما لا يليق به قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قبل طلوع الشمس صلاة الفجر وقبل الغروب
صلاة العصر في قول قتادة وابن زيد ومن الليل يعني صلاة الليل ويدخل فيه صلاة المغرب
والعتمة وقال ابن زيد هو صلاة العتمة وادبار السجود الركعتان بعد المغرب في قول
الحسن بن علي عليهما السلام ومجاهد والشعبي وابرهيم وقال الحسن وقبل الغروب صلاة الظهر
والعصر وقال الركعتان بعد المغرب تطوعا وقيل التسبيح بعد الصلاة عن ابن عباس
ومجاهد وقيل النوافل عن ابن زيد واصل التسبيح التنزيه لله عن كل ما لا يجوز في صفته
وسميت الصلاة تسبيحا لما فيها من التسبيح فقال سبحان ربي العظيم وروي ايضا ادبار
السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل طلوع الفجر وروي في الشواذ
عن ابي عمرو انه قرا فنقبوا بتخفيف القاف وهي لغة في التشديد ورجل نقاب اي حاذق
فطن عالم كان ابن عباس نقابا والنقبة الجرب ونقب خف البعير اذا نقب وقرئ على
لفظ الامر وهو شاذ قوله تبارك وتعالى واستمع يوم ينادي المنادي
من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت
والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن اعلم بما يقولون
وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ستة آيات قرا ابن كثير يوم
تشقق مشددة الشين على معنى تتشقق ثم ادغم احدى التائين في الشين لتقاربهما
الباقون بتخفيف الشين على معنى تتشقق وحذف احدى التائين والتشقق التفطر يقول
الله تعالى لنبيه عليه السلم والمراد به جميع المكلفين استمع اي اصغ الى النداء وتوقعه يوم ينادي
المنادي فالنداء الدعاء بطريقة يا فلان وكان الناس يدعون فيها فقال لهم يا معشر الناس قوموا

الى الموقف لمجزاء والحساب وقيل ينادى المنادى من الصخرة التى فى بيت المقدس فلذلك قال من مكان
قريب اى يسمع الخلق كلهم على حد واحد ولا يخفى على احد لا قريب ولا بعيد وقوله يوم يسمعون
الصيحة بالحق فالصيحة المرة الواحدة من الصوت الشديد ونقيضها الخفاة تقول صاح يصيح صيحا
وصيحة فهو صائح وصياح وتصايحوا اى الامر تصايحا وصيحة تصيحا وصايحهم مصايحة وهذه
الصيحة هى النفخة الثانية للحشر الى ارض الموقف ذلك يوم الخروج من القبور الى ارض المحشر
والموقف كما قال يوم يدع الداعى وقال ابو عبيدة هو اسم من اسما القيامة يوم الخروج وقوله
انا نحن نحيى ونميت والينا المصير اخبار منه تعالى عن نفسه بانه هو الذى يحيى الخلق بعد ان كانوا
جمادا امواتا ثم يميتهم بعد ان كانوا احيا ثم يحييهم يوم القيامة والى الله يصيرون ويرجعون
ثم تشقق الارض عنهم اى الينا المصير فى اليوم الذى تشقق الارض عن الاموات سراعا اى
بسرعة لا تاخير فيها ثم قال ذلك حشر علينا يسير اى سهل علينا غير شاق والحشر الجمع بالسوق
من كل جهة ثم قال نحن اعلم بما يقولون يعنى هولاء الكفار من تكذيبهم بوعثك
وانكارهم البعث والنشور لا يخفى علينا شى من امرهم وما انت عليهم بجبار قال الحسن ما انت
عليهم برب تجازيهم باعمالهم وانما انا المجازى لهم وقيل وما انت عليهم بحفيظ فى دعائهم الى
توحيد الله واخلاص عبادته والجبار العالى السلطان بانه قادر على اذل جميع العصاة بحسب
الاستحقاق وهذه الصفة لا تصح الا لله تعالى وحده واذا وصف بها الانسان كان ذما
لانه يجعل لنفسه من القدرة ما ليس لها وانشد المفضل عصينا عصية الجبار حتى صبحنا
الخوف افا معلنا وقيل ما انت عليهم بجبار اى لا تجبرهم قال الفراء يجوز ان يكون انفا
لا تجبرهم على الاسلام يقال جبرته على الامر واجبرته بمعنى واحد وقال غيره لم يسمع فعال
من افعلت الا دراك من ادركت ويكون الجبار العالى السلطان على كل سلطان باستحقاق
ويكون العالى السلطان ما ادعاه ثم قال فذكر بالقرآن من يخاف وعيد انما خص بالتذكير الجبار العالى السلطان على كل سلطان باستحقاق ويكون صح
من يخاف وعيد الله لانه الذى ينتفع به وان كان تذكيره متوجها الى جميع المكلفين فلا
الزجاج

الزجاج انما قال الله للنبى ذلك قبل ان يامره بالقتال **سورة الذاريات**
مكية بلا خلاف وهى ستون آية بلا خلاف **قوله تبارك وتعالى**
بسم الله الرحمن الرحيم
والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا انما توعدون
لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفى قول مختلف يوفك عنه
من افك قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون يسالون ايان يوم الدين
يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون
اربع عشرة آية روى عن امير المومنين على بن ابى طالب عليه السلم وابن عباس
رحمة الله عليه ومجاهد ان الذاريات الرياح يقال ذرت الريح التراب تذروه ذروا
وهى ذارية اذا طيرته واذرت تذرى اذراء بمعنى واحد وسال ابن الكوا امير المومنين
عليه السلم وهو يخطب على المنبر ما الحاملات وقرا فقال السحاب فقال ما الجاريات
يسرا قال السفن والمعنى انها تجرى سهلا فقال ما المقسمات امرا قال الملايكة وهو قول
ابن عباس ومجاهد والحسن وهذا قسم من الله تعالى بهذه الاشيا وقال قوم التقدير
القسم برب هذه الاشياء لانه لا يجوز القسم الا بالله وقد روى عن ابى جعفر وابى عبد الله
انه لا يجوز الا بالله والله تعالى يقسم بما يشاء من خلقه وقيل الوجه فى القسم بالذاريات
تعظيم ما فيها من العبرة فى هبوبها تارة وسكونها اخرى وذلك يقتضى مسكنا لها
ومحركا لا تشبه الاجسام وفى مجيها وفى الحاجة لتسييره السحاب وتذرية الغطار
ما يقتضى مصرفا لها قادرا عليها وما فى عصوفها تارة ولينها اخرى ما يقتضى قاهرا
لها ومحلا تى سواها والوجه فى القسم بالحاملات وقرا ما فيه من الايات الدالة على
محل حملها الما وامسكه من غير عماد واغاث عطاش العباد واحيى البلاد وصرفه فى وقت
الحاجة اليه ولو دام عليهم لصاروا الى الهلاك ولو انقطع اصلا لاضر بهم جميعا والوجه

والقسم بالجاريات يسرا لما فيها من الدليل وتسخير البحر الملح والعذب يجري بالفلك وتقدير
الريح لها بما لو زاد لغرق ولو ركد لاهلك وبيان هداية النفوس الى تدبير مصالحها و
ما في عظم النفع بها فيما ينقل من بلد الى بلد بها والوجه في القسم بالملائكة ما فيها
من اللطف وعظم الفائدة وجلالة المنزلة بتقسيم الامور بامر الله من دفع الاذى عن ذا
والسلام ذاك ومن كثرة حال ذا وسابق ذاك ومن قبض روح ذا وتاخير ذاك ومن
الدعاء للمؤمنين ولعن الكافرين ومن استدعائهم الى طريق الهدى وطلب ما هو اولى
صدا لهم عن الشيطان والهوى عدو الانسان وقوله انما توعدون لواقع جواب
القسم ومعناه ان الذي وعدتم به من الثواب والعقاب والجنة والنار وعد صادق
لا بد من كونه وان الدين لواقع معناه ان الجزاء الكائن يوم القيامة وهذا يفيد ان
من استحق عقابا فانه يجازى به ويدخل في ذلك كل مستحق للعقاب كانه قال ان جميع الجزاء
واقع باهله يوم القيامة في الاخرة ثم استانف قسما آخر فقال والسماء ذات الحبك
فالحبك الطرائق التي تجري على الشيء كالطرائق التي ترى في السماء وترى في الماء الصافي اذا
مرت عليه الريح وهو تكسر جار فيه ويقال للشعر الجعد حبك والواحد حبيك وحباك
والحبك حسن اثر الصنعة في الشيء واستوائه حبكه يحبكه ويحبكه حبكا والسماء ذات الحبك
اي ذات حسن الطريق وحبك الماء طرائقه قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه
ريح خريق لضاحي مائه حبك وتحبكت المراة بنطاقها اذا شدته في وسطها وذلك
زينة لها وحبك السيف اذا قطع اللحم دون العظم وقال الحسن وسعيد بن جبير
ذات الحبك ذات الزينة بالنجوم والصنعة والطرائق الحسنة وقيل الحبك النسج الحسن
يقال ثوب محبوك وقوله انكم لفي قول مختلف معناه انكم في الحق لفي قول مختلف
لا يصح الا واحد منه وهو امر النبي عليه السلام وما دعا اليه وهو مكذب فريق به
ومصدق فريق ودليل الحق ظاهر وفائدته ان احد الفريقين في هذا الاختلاف

مبطل

مبطل لان الاختلاف تناقض فاطلبوا الحق منه بالجد والاجتهاد وقوله يؤفك عنه من
افك معناه يصرف عنه من صرف ومنه قوله اجئتنا لتافكنا عن آلهتنا اي لتصرفنا
وانما قيل يؤفك عن الحق من الحق لانه يمكن فيه ذلك من غيره ولا يمكن من نفسه لان
الحق يدعو الى نفسه ولا يصرف عنه الى خلافه وقوله قتل الخراصون معناه لعن
الكذابون ومثله قتل الانسان ما اكفره والخراص الكذاب واصله الخرص وهو القطع
من قولهم خرص فلان كلاما واخترصه اذا افتراه لانه اقتطعه من غير اصل والخرص جريد
يشقق ويتخذ منه الخصر قال الشاعر ترى قصد المران فيهم كانه بذرع خرصان
بايدي شواطب والخرص حلقة القرط المنقطعة من ملاصقة الاذن والخرصان الخليج
من البحر والخرص الحزر من العدد والكيل ومنه خارص النخل وهو حازره وجمعه خراص
وقوله الذين هم في غمرة ساهون صفة الخراصين وموضع الذين رفع وتقديره في غمرة الباطل
حتى غطاهم الحق كقوله طبع الله على قلوبهم والغمرة المرة من غمره الشيء على ما هو غامس فيه
غمره الماء يغمره غمرا وغمرة فهو غامر له والانسان مغمور ويقال غمرة الجهل وغمرة الموت وغمرة
الحياة وغمرة الجهل واصل الغمرة من الغمر وهو السيد الكثير الجري [العطاء] لانه يغمر بعطاياه والغمر
الفرس الكثير الجري لانه يغمر بجريه والغمر الذي لم يجرب الامور والغمر الحقد والغمر رائحة
الزهومة في اليد وغمار الناس جمعهم وغمرة المراة ما تطلى به من الطيب وغيره مما يحسن
اللون والغمر القدح الصغير والغمير النبت الصغار لانه يغمره الكبار والمعنى ان
هؤلاء الكفار بجهلهم بما يجب عليهم معرفته ساهون عما يلزمهم القيام به اي غافلون عن
الحق متغافلون عنه يسالون ايان يوم الدين معنى يسال هؤلاء الكفار الذين وصفهم
بالجهل والغمرة متى يوم الجزاء على وجه الانكار لذلك لا على وجه الاستفادة بمعرفته
فاجيبوا بما يسوؤهم من الحق الذي لا محالة انه نازل بهم فقيل يوم هم على النار يفتنون
اي يحرقون بالنار ويعذبون فيها واصل الفتنة تخليص الذهب باحراق الغش الذي فيه

فما وكثير يفتنون بالحراق كما يفتن الذهب ومنه قوله وفتناك فتونا اي اخلصناك الحق ورجل
مفتون بالمراة اي مخلص بحبها وفي صغر دم وفتناهم اي اختبرناهم بما يطلب به خلاصهم الحق
وقيل يفتنون يحرقون كما يفتن الذهب في النار في قول مجاهد والضحاك وقوله يوم هم
يصلح ان يكون في موضع رفع لانه اضيف الى مبني ويصلح فيه النصب على الظرف وانما هو على
جواب ايان وقوله هذا الذي كنتم به تستعجلون في دار التكليف استعجلوه فقد حصلتم
الآن فيه وعرفتم صحته **قوله تبارك وتعالى** ان المتقين في جنات وعيون
آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم وفي الارض آيات للموقنين
وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه
لحق مثل ما انكم تنطقون، تسع آيات قرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم لحق مثل بالرفع على انه
صفة لحق الباقون بالنصب ويحتمل نصبه وجهين احدهما قول الجرمي ان يكون نصبا على الحال
كانه قيل حق مثبتا لنطقكم في الثبوت الثاني قال المازني انه مبني لانه مبهم اضيف الى مبني
كما قال الشاعر لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال نجعل مثل
مع ما كالاسم الواحد كما قال لا ريب فيه وهو خمسة عشر فيكون على هذا ما زائدة وانما
مثل الى انكم تنطقون فبناه على الفتح حين اضافه الى المبني ولو كان مضافا الى معرب لم يجز البنا
نحو مثل زيد وقيل يجوز ان يكون نصبا على المصدر كانه قال انه لحق حقا كنطقكم لما حكى
حكى الله تعالى حكم الكفار وما اعد لهم من انواع العذاب اخبر بما اعده للمؤمنين المطيعين
الذين يتقون معاصي الله خوفا من عقابه ويفعلون ما اوجبه عليهم فقال ان المتقين في جنات
وعيون اي في بساتين يجنها الاشجار وعيون ماء تجري لهم في جنة الخلد هولاء يتمتعون
واولئك يكونون آخذين ما آتاهم ربهم من كرامته وثوابه معنى آخذين ما اعطاهم الله من
ذلك ونصب آخذين على الحال انهم كانوا قبل ذلك محسنين يفعلون الطاعات ويعفون على غيرهم

معناه انه يقال للكفار الذين يعذبون بها هذا الذي كنتم به تستعجلون م ح

مثل ه
الجهني

بحسب الاحسان ثم وصفهم فقال كانوا ايضا المتقين الذين وعدهم بالجنات قليلا ما يهجعون بالليل
في دار التكليف اي كان هجوعهم قليلا في قول الزهري وابرهيم وقال الحسن لما سلمه وتقديره كانوا
قليلا يهجعون وقال قتادة لا ينامون عن العتمة ينتظرونها كانه قال كان هجوعهم
قليلا في جنب يقظتهم للصلاة والعبادة وقال الضحاك تقديره كانوا قبل ذلك محسنين كانوا
قليلا ثم ابتدا فقال من الليل ما يهجعون ويكون ما بمعنى النفي والمعنى انهم كانوا يحيون الليل
بالقيام في الصلاة وقراءة القران وغير ذلك ولا يجوز ان يكون ما جحدا لانه لا يتقدم عليها معمولها
والهجوع النوم في قول ابن عباس وابرهيم والضحاك وبالاسحار هم يستغفرون اي يطلبون من
الله المغفرة والستر لذنوبهم في قول الحسن وابن زيد وقال مجاهد معناه يصلون في السحر وقوله
وفي اموالهم حق وهو ما يلزمهم لزوم الديون من الزكوات وغير ذلك او ما الزموه من مكارم
الاخلاق فهو الذي رغب الله فيه بقوله وفي اموالهم حق للسائل والمحروم فالسائل هو الذي
يسال الناس والمحروم هو المحارف في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقال قتادة والزهري
المحروم هو المتعفف الذي لا يسال وقال ابرهيم المحروم الذي لا سهم له في الغنيمة وقيل المحروم
الممنوع الرزق بترك السوال او ذهاب مال او سقوط سهم في الغنيمة او خراب ضيعة اذا صار
فقيرا من هذه الجهة وقال الشعبي اعياني ان اعلم المحروم وفرق قوم بين الفقير والمحروم بانه
يحرمه الناس بترك الاعطاء وقد يحرم نفسه بترك السوال فاذا سال لم يكن ممن حرم نفسه بترك
السوال وانما حرمه الغير واذا لم يسال فقد حرم نفسه وحرمه الناس وقوله وفي الارض آيات
اي دلالات واضحات وحجج نيرات للموقنين الذين يحققون توحيد الله وانما اضافها الى
الموقنين لانهم الذين نظروا فيها وحصل لهم العلم بموجبها وآيات الارض جبالها وتلالها
ومعادنها وبحارها ووقوفها بلا عمد مع تغير تصرف الخلق عليها وقوله وفي انفسكم افلا تبصرون
معناه وفي انفسكم افلا تتفكرون بان ترونها مصرفة من حال الى حال ومنتقلة من صفة الى
اخرى فكنتم نطفا فصرتم احياء ثم كنتم اطفالا فصرتم شبابا ثم صرتم كهولا وكنتم ضعفاء فصرتم

الوبال فلا حد اكثر ذلك على ان لها ابا نقا احسنها و مدبرا دبرها اتيرها على مقتضيه الحكمة وبديرها بحسب ما توجبه المصلحة وقيل المعنى افلا تبصرون بنوتكم نظر من كان يرى الحق بعينه وقوله وفي السماء رزقكم يعني الله اكرم بان يرسل عليكم الغيث والمطر فيخرج من الارض انواع ما يقتاتونه ويلبسونه وينتفعون به وما توعدون به من العذاب ينزله الله عليكم اذا استحققتموه وقال الضحاك وفي السماء رزقكم يعني المطر الذي هو سبب كل خير وهو من الرزق الذي قسمه الله وكتبه للعبد في السماء وقال مجاهد وما توعدون يعني من خير وشر وقيل وما توعدون من الجنة لانها في السماء الرابعة ثم قال فورب السماء والارض انه لحق اقسم سبحانه بنفسه فقال انه لحق ومعناه ان ما وعدتكم به من الثواب والعقاب والجنة والنار لحق مثل نطقكم الذي تنطقون به فكما لا تشكون فيما تنطقون فكذلك لا تشكون في حصول ما وعدتكم به وقيل الفرق بين قوله حق مثل انكم تنطقون وبين ما تنطقون مثل الفرق بين احق منطقك وبين احق انك تنطق اي احق انك ممن ينطق ولم يثبت له نطقا والاول قد اثبته له الا انه قال احق هو ام باطل ذكره الفراء ومعنى الاية ان هذا القران وما جاء عليه السلم وما توعد و بين اذا فكر حق كما انكم كقول القائل انه لحق كما انت هاهنا قال الفراء فاجمع بين ما وان مع انه يكتفي باحدهما كما جمع بين اللاتي والذين واحدهما يجزي من الاخر قال الشاعر مثل ما انك
من النفر اللاتي والذين اذا هم يهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا فجمع بين اللاتي والذين ولو اوده بما لكان المنطق في معناه حقا لانه لم يات كذبا ولم يرد ذلك وانما اراد وانه لحق كما حق ان الادمي ناطق الا ترى ان قولك احق منطقك معناه احق هو ام كذب وقولك احق انك تنطق معناه ان للانسان النطق لا لغيره فاذا دخلت ان لم تفرق بين المعنيين قال وهذا اعجب ورا دخلت
الوجهين اليّ قوله تبارك وتعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه

بغلام

بغلام عليم فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم ٦ سبع ايات يقول الله تعالى لنبيه هل اتاك يا محمد حديث ضيف ابرهيم المكرمين قال الحسن يعني المكرمين عند الله وقيل اكرمهم ابرهيم برفع مجالسهم والاكرام الاعظام الذي يبس بالاحسان والاجلال حق الاعظام بالاحسان وكذلك لا يتم اعظام الله واجلاله في جميع صفاته ولا يجوز مثل ذلك في الاكرام لكن الله يكرم انبياءه والمومنين على طاعاتهم وقوله اذ دخلوا عليه يعني حين دخلوا على ابرهيم فقالوا سلاما على وجه التحية اي اسلم سلاما فقال لهم جوابا عن ذلك سلام وقرئ سلم فقالوا بابعليه السلم بهم قال قوم منكرون اي انتم قوم منكرون والانكار نفي صحة الامر ونقيضه الاقرار ومثله الاعتراف وانما قال منكرون لانه لم يكن يعرف مثلهم في اضيافه وسماهم الله اضيافا لانهم جاءوا في صورة الاضياف فعلى وجه حيهم وقرئ سلاما اي اسلم سلاما وقوله قال سلام قال اي سلام لنا وقوله فراغ الى اهله اي ذهب اليهم خفيا فالروغ الذهاب في خفي راغ يروغ روغا وروغانا واراوغه مراوغة ورواغا واراغه على كذا اذا اراده عليه في خفي التماس رده وقوله فجاء بعجل سمين فالعجل واحد البقر الصغير ماخوذ من تعجيل امره لقرب ميلاده ويجمع عجولا وجمعه عجاجيل وقال قتادة كان عامة مال نبي الله ابرهيم عليه السلم البقر والسمين الكثير الشحم على اللحم سمن يسمن سمنا وسمنه تسمينا واسمنه اسمانا وتسمن تسمنا ونقيض السمن الهزال وقوله فقربه اليهم اي ادناه لهم وقدمه بين ايديهم وقال لهم كلوه فلما دام لا يأكلون عرض عليهم فقال الا تاكلون وفي الكلام حذف لان تقديره فقدمه اليهم فامسكوا عن الاكل فقال الا تاكلون فلما امتنعوا من الاكل اوجس منهم خيفة اي خافهم وظن انهم يريدون به سوءا فالايجاس الاحساس بالشي خفيا اوجس يوجس ايجاسا وتوجس توجسا ومنه قوله فاوجس في نفسه خيفة موسى فقالت حينئذ له الملائكة لا تخف يا ابراهيم فانا رسل الله وملائكته ارسلنا الله الى قوم لوط لنهلكهم وقيل انهم دعوا الله فاحيا العجل لم يفعل

فلم ابرهيم عند ذلك انهم الملائكة عليهم السلام وبشروه عند ذلك بغلام عليم اى يكون عالما اذا
كبر وبلغ قال مجاهد المبشر به اسمعيل وقال غيره هو اسحق لانه من سارة وهذه القصة لما
لم تحاجر فلما سمعت البشارة امراته سارة اقبلت فى صرة يعنى فى صيحة فى قول ابن عباس ومجاهد
وسفيان وقال مجاهد وسفيان فى رنة فصكت وجهها قال ابن عباس لطمت وجهها وقال
السدى ضربت وجهها تعجبا وهو قول مجاهد وسفيان فالصك الضرب باعتماد
شديد وقالت عجوز عقيم والتقدير انا عجوز عقيم كيف الد والعقيم الممتنعة من الولادة لكبر
او آفة وقال الحسن العقيم العاقر واصل العقم الشد ما جاء فى الحديث يعقم اصلاب
المشركين اى يشد فلا يستطيعون السجود وداء عقام اذا اعيا اى اشتد حتى ايأس
ان يبرأ ومعاقم الفرس مفاصله يشد بعضها الى بعض والعقم والعقمة ثياب معلمة اى شد
بها الاعلام وعقمت المراة فهى معقومة وعقيم وقالوا عقمت ايضا ورجل عقيم مثل المراة من قوم
عقم والريح العقيم التى لا تنشئ السحاب للمطر والملك عقيم يقطع الولد لان الابن يقتل
اباه على الملك فقالت الملائكة عند ذلك لها كذلك اى مثل ما بشرناك به قال ربك ما بشرنا
به فلا تشكى فيه انه هو الحكيم فى افعاله العليم بخفايا الامور لا يخفى عليه خافية والمعنى
كان اخبارنا وبشارتنا لا تشكى فيه كذلك قال الله ما بشرناك به قوله تعالى
قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة
من طين مسومة عند ربك للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم
سبع آيات لما سمع ابرهيم عليه السلام بشرى الملائكة له بالغلام العليم وعلم انهم ليسوا بشرا
ولا اضيافا قال لهم فما خطبكم ايها المرسلون اى ما شانكم والخطب هو الامر الجليل
فكانه قال قد بعثتم لامر جليل فما هو ومنه الخطبة لانها كلام بليغ لعقد امر جليل
يستفتح بالتحميد والتمجيد والخطاب اجل من الابلاغ وقولنا ايها لا يثنى ولا يجمع لانه مبهم

بنفي

بنفي البيان عنه وتاخيره عن تبيان يلزم فيه ما قبله كما يلزم الذي وهذا كقولك مررت
بالرجلين هذين فتبعه فى تثنيته كما تبعه فى اعرابه فاجابته الملائكة فقالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين عاصين لله كافرين لنعمه استحقوا العقاب والهلاك لنرسل عليهم حجارة
من طين مسومة عند ربك للمسرفين فالمسرف المكثر من المعاصى وهو صفة ذم لانه خروج
عن الحق ونقيض الاسراف الاقتار وهو التقصير عن بلوغ الحق وليس فى الاكثار من
طاعة الله سرف ولا فى نفقة اقتار لانه سائغ على مقتضى الحكمة وارسال الرسول اطلاقه
بالامر الى المصير الى من ارسل اليه فالملائكة امروا بالمصير الى قوم لوط لاهلاكهم وارسال
الحجارة اطلاقها اولئك رسل وكل مرسل رسول والمسومة المعلمة بعلامات ظاهرة للحاسة لان
التسويم بالسيما فى انه يرجع الى العلامة الظاهرة من قولهم عليه سيما الخير ومنه قوله
يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين والجرم القاطع الواجب بالباطل ومنه المجرم لانه
يقطع الايمان بالكفر واصل الصفة القطع وقال ابن عباس التسويم نقطة فى الحجر
الاسود بيضاء او نقطة سوداء فى الحجر الابيض وقيل كان عليها امثال الخواتم وقوله
حجارة من طين اى اصلها الطين لا حجارة البرد التى اصلها الماء والمسومة هى المعلمة
بعلامة يعرفها بها الملائكة انها مما ينبغى ان يرمى بها الكفرة عند امر الله بذلك وقيل
حجارة من طين كانها آجر فى قول ابن عباس وقال الحسن مسومة بانها من حجارة
العذاب وقيل مسومة بان جعل على كل حجر اسم من يهلك به وقوله فاخرجنا من كان
فيها من المؤمنين اى اخرجنا من كان فى قرية لوط من المؤمنين وهو لوط واهله وخلصناهم
من العذاب والاهلاك وقوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين يدل على ان الاسلام
هو الايمان فالايمان هو التصديق بجميع ما اوجب الله التصديق به والاسلام هو الاستسلام
لوجوب عمل الفرض الذى اوجبه الله والزمه والمسلم هو المخلص لعمل الفرض عليها امر الله
به لان صفة مسلم كصفة مومن فى انها مدح والبيت الذى وجدوه فى تلك القرية من

الومنين هم قوم لوط ووجدت الضالة هو ادراكها بعد طلبها ووجدت الموجدة ادراك
ما يوجب الغيب او اللائمة في القلب ووجدت المال جدة ادركت مالا كثيرا ووجدت
بنا الصالح يعني علمته ووجدت الضالة وجدانا والبيت هو ابنيان المهيا للايواء اليه وقوله
البيت غير وقوله وتركنا فيها آية فاترك في الاصل ضد الفعل بما في الاحداث في محل القدرة
عليه فدر على الاحداث المعنى في الاية ابقينا فيها اية ومثله قوله وتركهم في ظلمات يعني
لم يفعها مع انه قادر على نفيها وفلان ترك السوق اى قطعها بان صار لا يجئ اليها ومعنى
وتركنا فيها آية عبرة لمما افعل ضد ما ينافيه الاية وقيل الاية ان اقلاع البلدان لا يعود
عليها الا الله تعالى وقوله للذين يخافون العذاب الاليم انما خص الخائفين من العذاب
الاليم بالاية لانهم الذين يعتبرون بها ويستنفعون بها قوله تبارك وتعالى
وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ
مَجْنُونٌ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا
حَتَّى حِينٍ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ
قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ثمان آيات قرا الكسائي وحده الصعقة الباقون الصاعقة
فالصعقة مصدر صعق يصعق صعقا وصعقة واحدة والصاعقة الاسم يقول صاعقة
وصاعقة مقدما ومؤخرا وصواعق وصواقع وقيل هما لغتان قوله وفي موسى
عطف على قوله وتركنا فيها آية فكانه قال وتركنا في موسى آية حين ارسلناه الى فرعون
بسلطان مبين اى بحجة ظاهرة فتولى بركنه قال ابن عباس وقتادة ومجاهد معناه
بقوته وقيل معناه تولى بما كان يتقوى به من جنده وملكه والركن الجانب الذي يعتمد
عليه والمعنى ان فرعون اعرض عن حجة موسى ولم ينظر فيها بقوته في نفسه وقال ساحر
اى هو ساحر او مجنون فالسحر حيلة توهم المعجزة بحال خفية واصله خفاء الامر فيه الحر

العز

٢٢٨

الوقت الذي يجيء فيه الشخص والسحر الرئة لخفاء سبيلها في الترويح عن القلب بها والسحر وحيلة
السبب في تلوين خيطها والمجنون الذي اصابته جنة فاذهب عقله وقال الزجاج معناها معنى
الواو والتقدير ساحر ومجنون وقال غيره في ذلك دلالة على عظم جهل فرعون لان الساحر هو اللطيف
الحيلة وذلك ينافي صفة المجنون المختلط العقل فكيف يوصف شخص واحد بهما ثم اخبر الله
تعالى مخبرا عن نفسه انا نبذنا فرعون وجنوده في اليم اى طرحناهم في البحر كما يلقى الشيء في البحر
وهو مليم اى بما يلام عليه وقوله وفي عاد عطف ايضا على قوله وتركنا فيها اى وتركنا في
عاد ايضا آية اى دلالة فيها عظة حين ارسلنا اى اطلقنا عليهم الريح العقيم وهي التي عقمت عن ان
تاتي بخير من تنشيه سحاب او تلقيح شجر او تذرية طعام او نفع حيوان فهي كالممنوعة من الولادة في
جمع الريح ارواح ورياح ومنه راح الرجل الى منزله اى رجع كالريح والراحة قطع العمل المتعب
وقال ابن عباس الريح العقيم التي لا تلقح الشجر ولا تنشئ السحاب وروي عن النبي صلى الله عليه واله
انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقوله ما تذر من شيء اتت عليه اى لم تترك
هذه الريح شيئا تمر عليه الا جعلته كالرميم وهو الحشيش الذي انتفى رمه بانتفاء ملايمة بعضه
لبعض واسا رمه يرمه رما فهو دام له والشيء مرموم فهو المصلح بملايمة بعضه لبعض وهو اصل
الرميم الذي يبقى رمته بعضه وقيل الرميم الذي ديس من يابس النبات وقيل الرميم العظم البالي
المنسحق وقوله وفي ثمود اذ قيل لهم ايضا عطف على قوله وتركنا فيها آية وفي ثمود وهم
قوم صالح لما كفروا وجحدوا نبوة صالح وعقروا ناقة الله واستحقوا الاهلاك قيل لهم تمتعوا
حتى حين اى انتفعوا في اسباب اللذات من المناظر الحسنة والروائح الطيبة والاصوات
الحسنة وكل ما فيه منفعة على هذه الصفة حتى حين اى الى حين وقت الله ابقاكم اليه وقيل
الحين آجالكم ان اطعتم الله قوله الحسن فعتوا عن امر ربهم فالعتو الامتناع عن
الحق ترفعا عنه وهو الجفاء عن الحق عنه وهو اجتناب عن الحق ترفعا عن اتباع الداعي اليه
فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون اى ارسل الله عليهم الصاعقة التي اهلكتهم واحرقتهم وهم

من الكفر والجحود والعتو والتجبر والتكبر واحد
والملوم الذي وقع به اللوم والمليم الذي اتى
بما يليم عليه

بنصر وفيها فما استطاعوا من قيام اى لم نهضوا على النهوض به وما كانوا منتصرين اى طالبين
ناصرا يمنعهم من عذاب الله عز وجل وقرا الكسائى الصعقة بلا الف وقد بيناه **قوله تبارك وتعالى** وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها بايد وانا
لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون
ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير
مبين كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به
بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين عشر آيات
قرا ابو عمرو وحمزة والكسائى وقوم نوح جرا عطفا على قوله وفى عاد آية وفى قوم نوح آية
الباقون بالنصب على تقدير واهلكنا قوم نوح ويحتمل ان يكون على تقدير فاخذت صاعقة
العذاب قوم نوح اذ العرب تسمى كل عذاب مهلك صاعقة الثالث على تقدير واذكر قوم
نوح كقوله وابرهيم الذى وفى والقوم الجماعة الذين من شانهم ان يقوموا بالامر واضافهم
اليه لتقضى منهم فى النسب ولم يزد له واحد ثم بين لم اهلكهم فقال انهم كانوا قوما فاسقين
خارجين عن طاعة الله عز وجل الى الكفر بالله فاستحقوا لذلك الاهلاك وقوله والسماء
بنيناها بايد معناه بقوة فى قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد والايد القوة
ووجه اتصال قوله والسماء بنيناها بايد بما قبله وهو ان فى قوم نوح آية وفى السماء
ايضا آية فهو متصل به فى المعنى وقوله وانا لموسعون قيل فى معناه ثلثة اقوال
احدها انا لموسعون فى الرزق بالمطر فى قول الحسن الثانى قال ابن زيد بقوة وانا لموسعون
السماء الثالث انا لقادرون على الايساع بما كان من ايساع السماء والايساع والاكثار من
اذهاب الشئ فى الجهات بما يمكن ان يكون اكثر مما فى غيره يقال اوسع يوسع ايساعا فهو
موسع والله تعالى قد اوسع السماء بما لا شئ اوسع منه وايساع الرحمة هو الاكثار منها بما
يعم وقوله والارض فرشناها عطف على قوله والسماء بنيناها وتقديره وبنينا السماء

بنيناها

بنيناها وفرشنا الارض فرشناها اى بسطناها فنعم الماهدون والماهد الموطئ للشئ المهيئ
لما يصلح الاستقرار عليه مهد يمهد مهدا فهو ماهد ومهد تمهيدا مثل وطاء توطئة وقوله
ومن كل شئ خلقنا زوجين معناه خلقنا من كل شئ اثنين مثل الليل والنهار والشمس والقمر
والسماء والارض والجن والانس فى قول الحسن ومجاهد وقال ابن زيد خلقنا زوجين
الذكر والانثى وفى ذلك تذكير بالعبرة فى تصريف الخلق والنعمة وفى الشقوة والصحة والسقم لعلكم
تذكرون معناه لتتذكروا وتتفكروا وتعتبروا به وقوله ففروا الى الله اى فاهربوا
الى الله من عقابه الى رحمته باخلاص العبادة له وقيل معناه ففروا الى الله بترك جميع ما
يشغلكم عن طاعته ويقطعكم عما امركم به انى لكم نذير مخوف من عقابه مبين عما وجب عليكم
من طاعته ثم قال ولا تجعلوا مع الله الها آخر اى لا تعبدوا معه معبودا آخر من
الاصنام والاوثان انى لكم من الله مخوف من عقابه مظهر ما اوجبه عليكم وامركم به وقيل
الوجه فى تكرار انى لكم منه نذير مبين هو ان الثانى منعقد بغير ما انعقد به الاول اذ تقديره
انى لكم منه نذير فى الامتناع من جعل آلهة آخر معه وتقدير الاول انى لكم منه نذير مبين فى
ترك الفرار اليه بطاعته فهو كقولك انذرك ان تكفر بالله انذرك ان تتعرض لسخط الله
ويجوز ان تقول الله ولا تجعلوا مع الله قد تم ما احل كما قال ولا تجعلوا مع الله الها آخر لان جعلهم
ذلك باعتقادهم الها معه او اظهارهم انه مذهب له ولا يجوز ان تقول لا تكونوا قدماء مع
الله لانه نهى عما لا يمكن وهو محال وكذلك لا يجوز ان تقول لا تصيروا قدماء ولا آلهة لانه محال
والنذير هو المخبر بما يحذر منه ويصرف اليه وهو يقتضى المبالغة والانذار صفة جارية على
الفعل تقول انذر ينذر انذارا فهو منذر ونذير اى علم به واستعداد والمبين الذى يأتى
ببيان الحق من الباطل ثم قال منذرا اى هاوكما كذبك قومك كذلك ما اتى
الذين من قبلهم من الامم رسول الا قالوا هو ساحر او مجنون فالساحر هو الذى يحتال بالحيل
اللطيفة والمجنون الذى به جنون وانما قال الجهال ذلك فى الرسل لان الاقدام عندهم على انكار

عبادة الاوثان لا يتمكن فيه الشبهة دون الجنة فالمجنون المغطى على عقله بالا يتوجه الاعتراض به
فكذلك شبه حال قريش في التكذيب بحال الامم حتى قالوا ساحر او مجنون فاما جاز تمام الاتفاق
على تكذيب الرسل من غير تراض ولا تواطؤ على الشبهة الداعية اليه واحدة وقوله اتواصوا به
فالتواصي هو ايصاء بعض القوم الى بعض بوصية والوصية التقدمة في الامر بالاشياء المهمة مع النهي
عن المخالفة كالوصية بقضاء الدين ورد الوديعة والحج والصدقة ونحو ذلك فان هؤلاء الجهال
قد تواصوا بعبادة الاوثان بما هم عليه من الملازمة وشدة المحافظة وصورة الكلام صورة الاستفهام
والمراد به الانكار والتوبيخ وقوله بل هم قوم طاغون معناه لم يتواصوا بذلك لكن هم
الطاغون طغوا في معصية الله وخرجوا عن الحد ثم قال للنبي عليه السلم فتول عنهم اي اعرض عنهم
بالحجة في قول مجاهد فما انت ملوم في كفرهم وجحودهم بل اللائمة والذم عليهم من حيث
لا يقبلون ما تدعوهم اليه وليس المراد اعرض عن تذكيرهم وانما اراد اعرض عن مخاصمتهم و
مقابلتهم وسبابهم وما انت في ذلك عليهم وذكر بالموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين
الذين يتعظون بمواعظ الله ويستدلون بآياته قال حسين بن ضمضم
اتانا بنو عبس فان هجيتهم من غوارسه دافلت لعودا

قوله تبارك وتعالى

وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان
الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم
فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون حتى ايات بلاغة
هذا اخبار من الله تعالى انه لم يخلق الجن والانس الا لعبادته فاذا عبدوه استحقوا الثواب
واللام لام الغرض ولا يجوز ان تكون لام العاقبة لحصول العلم بان كثيرا من الخلق لا يعبدون
الله وفي الاية دلالة على بطلان مذهب المجبرة القائلين بان الله خلق كثيرا من خلقه
للكفر والضلال عن دينه وخلقهم ليعاقبهم بالنيران لانه لا يجوز ان يكون في كلام الله
تناقض ولا اختلاف وقوله ولقد ذرأنا لجهنم قد بينا فيما مضى ان اللام لام العاقبة

والمعنى

والمعنى انه خلق الخلق كلهم لعبادته وتصير عاقبة كثير منهم الى جهنم بسوء اختيارهم من الكفر بالله و
ارتكاب معاصيه فان قيل اليس قد خلق الله كثيرا من خلقه لطفا لغيرهم فكيف يكون خلقهم
لعبادته قلنا ما خلقه الله تعالى على ضربين مكلف وغير مكلف فما ليس بمكلف خلقه للطف
المكلفين جمادا كان او حيوانا وما هو مكلف خلقه الله لعبادته وان كان في ذلك خلقه ايضا
لطف للغير وكان يكون خلقه للامرين ويكون معنى انما خلقته الا ليعبد مع عبادة غيره اي عبادة
غيره مما هو غرض في خلقه ولولا ذلك لم يكن في خلق النبي تمام لطف الغير فالتقدير ما خلقته
الا لعبادته مع عبادة غيره وهو بمنزلة قول القايل ما ادبت ولدي الا ليصلح جميعهم اي يتأدب
له مع تأدب غيره الذي يدعوه الى صلاحه وليس المعنى ما خلقت كل مكلف الا ليعبد هو فقط وفي
الاية دلالة على انه تعالى لا يريد المباح لانه ليس من العبادة وقوله ما اريد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون معناه نفي الايهام عن خلقهم لعبادته ان يكون ذلك لعائدة نفع تعود عليه
فبين انه لعائدة النفع على الخلق دونه تعالى لانه يستحيل النفع عليه ودفع الضار لانه غني بنفسه
لا يحتاج الى غيره وكل الناس يحتاجون اليه ومن زعم ان التاويل ما اريد ان يرزقوا عبادي
ولا يطعموهم فقد ترك الظاهر من غير ضرورة وقال ابن عباس معنى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون الا ليقروا بالعبودية طوعا وكرها ثم بين تعالى انه جل وعز هو الرزاق لعباده
والخالق لارزاقهم ذو القوة المتين صاحب القدرة المتين ومعناه القوي الذي يستحيل
عليه العجز والضعف لانه ليس بقادر بقدرة بل هو قادر لنفسه ولانه ليس بجسم والجسم هو
الذي يجيء ضعفه ومن خفض المتين وهو يحيى بن وثاب جعله صفة القوة وذكره لانه ذهب
الى الحبل والشيء المفتول يريد القوة قال الشاعر لكل دهر قد لبست اثوبا
من ريطة واليمنة المعصبا فذكر حتى العصب ضربا من الثياب ووصف منها من قرأ المتين
بالتذكير فقد غلط لان التذكير هو المتين بما يصعب معه تفكيكه ووصف القوة بانها شديدة
يؤذن بالمجاز وانه يعني العظم ثم اخبر تعالى بان للذين ظلموا نفوسهم بارتكاب المعاصي ذنوبا

اى نصيبا واصله الدلو الممتلى ماء كما قال الراجز لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب
وقال علقمة وفى كل حى قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب اى نصيب وانما
قيل للدلو ذنوب لانها فى طرف الحبل كانها فى الذنب وقيل معناه لهم سجلا ووبال لهم والذنوب
الدلو العظيمة يونث ويذكر وقوله مثل ذنوب اصحابهم او مثل نصيب اصحابهم من الكفار
الذين تقدموهم فلا يستعجلون قل لهم لا تستعجلون بانزال العذاب عليهم فانهم لا يفوتون
ثم قال فويل للذين كفروا وحدانيتى وجحدوا نبوة رسولى من يومهم الذى يوعدون فيه بانزال
العذاب بالعصاة وهو يوم القيامة والويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع فى مهلكة

سورة والطور

وهى تسع واربعون آية فى الكوفى وثمان فى البصرى وسبع فى المدنيين قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور
ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع ثمان آيات الوجه فى القسم بالطور هو ما قدمناه
فى الذاريات ومبرزات وهو ان الله تعالى يقسم بآياته من خلقه وليس للعباد ان يقسموا
الا به وقيل الطور هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى وقال مجاهد الطور جبل وقال المبرد
يقال لكل جبل طور فاذا دخلت عليه الالف واللام كان معرفة لشئ بعينه ومنه قيل لبعضهم بعضا
موضعهم الطور وقيل انه سريانى وكتاب مسطور اى مكتوب فى قول قتادة والضحاك قال
روبة انى واسطار سطرن سطرا وقيل الكتاب المسطور هو الذى كتبه الله للملائكة
فى السماء يقرؤون فيه ما كان ويكون وقيل هو القرآن مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ
وهو الرق المنشور وقال الفراء الكتاب المسطور صحائف الاعمال فمن آخذ كتابه بيمينه ومن
آخذ كتابه بشماله والسطر ترتيب الحروف والمسطور المرتب الحروف على وجه مخصوص سطرا بعد
سطر سطرا فانا ساطر وذلك مسطور فى رق منشور فالرق جلد رقيق يصلح للكتابة

وقال

وقال ابو عبيدة الرق هو الورق وقيل انما ذكر الرق لانه من احسن ما يكتب عليه واذا كان
هذه العلة فاذا كتبت الحكمة فما هو على هذه الصفة كان ابهى واولى والمنشور المبسوط وانما
قيل منشور لانه ابهى فى العيون وقوله والبيت المعمور قيل هو بيت فى السماء الرابعة
بحيال الكعبة تعمره الملائكة بما يكون فيه من العبادة وروى ذلك عن على عليه السلم وابن عباس
ومجاهد قال على عليه السلم يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون فيه وقال الحسن البيت
المعمور البيت الحرام وقال امير المومنين عليه السلم ومجاهد وقتادة وابن زيد السقف المرفوع
هو السماء وقوله والبحر المسجور فالبحر المجرى الواسع العظيم من مجارى الماء واصله الاتساع
والبحيرة الناقة التى يوسع شق اذنها مخلى فى المرعى وتبحر فلان فى العلم اذا اتسع فيه
والمسجور المملو ومنه سجرت التنور اذا ملاته نارا وعين سجراء ممتلية فيها حمرة كانها
احرقت بما هو فيها كحرارة التنور وقال مجاهد وابن زيد البحر المسجور الموقد وقال
قتادة هو المملو قال لبيد فتوسطا عرض السرى وصدعا مسجورة متجاورا قلامها
وروى فى الحديث ان البحر يسجر فيكون نار جهنم وقوله ان عذاب ربك لواقع جواب
القسم اقسم الله تعالى بالاشياء التى تقدم ذكرها لعظيم عند العباد انه واقع لا محالة لمن
وافى على الصفة التى تستحق بها العقوبة وانه لا يطمع ان يدفعه سوال حميم او قريب منه
قال الشاعر وهو النمر بن تولب العكلى شاهدا فى المسجور اذا شاء طالع مسجورة
ترى حولها النبع والسماسما دائما هى هيغة ماوة تيجرا قوله تبارك وتعالى
يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض
يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون افسحر
هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون
ما كنتم تعملون ثمان آيات قوله يوم تمور السماء مورا يعنى يوم القيامة وهو متعلق بقوله
ان عذاب ربك لواقع يوم تمور السماء مورا والمور تردد الشئ بالذهاب والمجى كما يتردد الدخان

ثم يعجل ما ان يمور مورا اضطرابا وقيل يدور دورا يعني يدور دورا في قول مجاهد وقال الضحاك
معناه يموج موجا قال الاعشى انشده ابو عبيدة ؛ كان مشيتها من بيت جارتها مور السحابة
لا ريث ولا عجل ورواه غيره مر السحابة وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون
اخبار الله عن هول الجبال انكروا ما اخبرهم به الانبياء بان نسبوه الى الكذب الذين هم في خوض
يلعبون فالخوض التحول في الماء بالقدم وشبه به التحول في الامر بالقول فيقال خاض يخوض
خوضا فهو خائض وخوضته في السراب تخويضا ومنه المخوض واللعب طلب الفرح بما لا يحسن
في استعمال العمل على مقتضى العقل لعب لعبا مثل تعب ودخلت الفاء في فويل لان فيه معنى الجزاء
لان تقديره اذا كان كذا وكذا فويل ومعنى الآية اي ساعلم تكذيبهم ومصيرهم الى جهنم العذاب
وقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا معناه يوم يدفعون الى نار جهنم للعذاب فيها دعه
يدعه دعا اذا دفعه ومثله صكه يصكه صكا والداع الدافع وقيل الدع الدفع بانزعاج وارهاق
في قول قتادة والضحاك وقوله هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم على وجه التوبيخ
لهم هذه النار التي كنتم تكذبون بها في دار التكليف حين جحدتم البعث والثواب والعقاب
ويقال لهم على وجه الانكار عليهم افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اي قيل لهم لما عاينوا صدق الخبر
بان دعوا الى النار ودفعوا اليها افسحر هذا ام قد غطي على ابصاركم ثم يقال لهم اصلوها
يعني النار فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم كونكم في العقاب صبرتم او لم تصبروا فانه
لا تخفيف عليكم انما تجزون ما كنتم اي جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي والصلي لزوم
النار للعذاب فاصلى يصلى صليا ومنه الصلاة للزوم الدعاء فيها ومنه مصلى على دينها
اي لزم الدعاء والمصلي الذي يجيء في اثر السابق على لزوم اثره والاصل لزوم الشيء
والصبر حبس النفس على الامر بالعمل بالحق فكانه قال احبسوا انفسكم لتقابلوا بالحق
او لا تحبسوا سواء عليكم في الجزاء لانه واقع بكم ولحق لكم والجزاء مقابلة العمل بما يقتضيه
في العقل من خير او شر والسواء والاستواء والاعتدال بمعنى واحد والاستواء اتساع كل واحد

من المقدار

من المقدار من ان يكون زائدا على الآخر او ناقصا عنه فاصبروا وترك الصبر لا ينفع واحد
منهما في رفع العذاب عن اهل النار قوله تبارك وتعالى انّ المتقين في جنات
ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون
متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ؛ اربع آيات لما اخبر الله تعالى عن
حال الكفار وما اعده لهم من اليم العقاب اخبر ايضا بما اعده للمؤمنين المتقين من انواع الثواب
فقال ان المتقين الذين يتقون معاصي الله خوفا من عقابه في جنات اي بساتين تجنها الاشجار
في نعيم فاكهين بما آتاهم ربهم اي متنعمين بما اعطاهم ربهم من انواع النعيم وقال
الزجاج معنى فاكهين معجبين بما آتاهم ربهم وقال الفراء مثل ذلك ووقاهم ربهم اي منع منهم عذاب
الجحيم الفاكه الكثير الفاكهة كقولهم لابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر والفكه السرور باحواله
كسرور آكل الفاكهة بفاكهته وقوله متكئين على سرر مصفوفة وقيل متكئين على النمارق
وهي الوسائد الا انه حذف ذكره والمعنى عليه لان اصل الاتكاء وتقديره متكئين على النمارق
الموضوعة على السرر وجمع سرير وقوله مصفوفة اي مصطفة وقوله وزوجناهم
بحور عين فالحور البيض النقيات البياض في حسن وكمال والعين الواسعة الاعين في صفاء
وبهاء والمعنى قرناهم وكذا المتقين بالحور العين على وجه التنعيم لهم والتمتع قوله
تبارك وتعالى ، والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم
وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم
مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان كانهم لهم
لؤلؤ مكنون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون خمس آيات قرأ ابن كثير واهل الكوفة
واتبعتهم بالتاء ذريتهم على واحد بهم ذريتهم واحدة ايضا وقرأ نافع واتبعتهم بالتاء ذريتهم
والحقنا ذرياتهم على الجمع وقرأ ابن عامر واتبعتهم بالتاء ذرياتهم جماعة الحقنا بهم ذرياتهم
جماعة ايضا وقرأ ابو عمرو واتبعناهم بالنون ذرياتهم جماعة الحقنا بهم ذرياتهم جماعة ايضا

وقرا ابن كثير وحده وما التناهم بفتح الالف وكسر اللام الباقون بفتح اللام والالف وقرا ابن
كثير وابو عمرو ولا لغو فيها ولا تاثيم نصبا الباقون بالرفع والتنوين قال الزجاج من رفع
فعلى ضربين احدهما على الابتداء وفيها الخبر او يكون لا بمعنى ليس واهمة وانشد سيبويه
من فر عن نيرانها فانا ابن قيس لا براح ومن نصب بني كقولك لا ريب فيه والاختيار عند
النحويين اذا كررت الرفع والنصب جائز حسن قوله تعالى ثم ان الذين آمنوا بالله واقروا
بتوحيده وصدقوا رسله واتبعناهم ذرياتهم اى الحق الله بهم ذرياتهم فحكم لهم بذلك
ومن قرا واتبعتهم نسب الاتباع الى الذرية والمعنى انهم آمنوا كما آمنوا من جهة فلا اختلاف
اجناس الذرية ومن وحد فلانه يقع على القليل والكثير واما قراءة ابي عمرو واتبعناهم
بالنون لقوله بعد ذلك الحقنا وقال الكلبي معنى الآية ان ثواب الذرية اذا عملوا
مثل اعمال الآباء مثل ثواب الآباء لان الثواب على قدر الاعمال وكما قال واتبعناهم ذرياتهم
يعني ان ذلك يفعل بهم من غير ان ينقص من اجورهم بلا يتوهم انه يلحقهم نقص اجور قال
الزجاج معنى الآية ان الابناء اذا كانوا مومنين كانت مراتب اباهم في الجنة اعلى من مراتبهم
الحق الابنا بالاباء ولم ينقص الاباء من اعمالهم وكذلك ان كان اعمال الآباء والاتباع الحق
الثاني بالاول في معنى عليه الاول لانه لو الحق به من غير ان يكون في معنى هو عليه لم يكن
اتباعا وكان الحاقا واذا قيل اتبعه فهو الادراك واذا قيل تبعه فهو تصرف
البصر بتصرفه قوله والحقنا بهم ذرياتهم قال ابن عباس والضحاك وابن زيد
الحقوا الاولاد بالاباء اذا آمنوا من اجل ايمان الاباء وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان
الذين الحقوا بدرجة اباهم وان قصرت اعمالهم تكرمة لابائهم والاول هو الوجه
وانما وجب بالايمان الحاق الذرية بهم مع انه قد يكون ليس ذرية لانه انما يصح ذلك الورود
على ما يصح ويجوز مع انه اذا اتبع الذرية على ما امر الله به استحق الجزاء فيه فان ابطله
الذرية عند البلوغ بنوع عمل فسروره في اي آخر كما ان اهل الجنة من سرورهم ما يزد

من قرا بالنون معناه والحقناهم ذرياتهم

انقص الحق الاباء باعمالهم

التابعين

تبع

بالعلم

باعمالهم في الثاني فلو وقع عليهم لم تقر اسرورهم بالراحة وقوله وما التناهم معناه ما نقصناهم يقال
الته يالته التا والته يليته التة ولاته يليته ثلث لغات ذكرها ابو عبيدة اذا نقصه فبين
عز وجل انه لا يجوز عليه نقصان شي من جزاء عمله لانه لا يجوز عليه الظلم قليله ولا كثيره ولا صغيره
ولا كبيره وقال ابن عباس ومجاهد والربيع وما التناهم ما نقصناهم قال الشاعر
ابلغ بني ثعل عني مغلغلة جهد الرسالة لا التا ولا كذبا وقوله كل امرئ بما كسب رهين
اي كل انسان يعامل بما يستحقه ويجازى بحسب ما عمله ان عمل طاعة اثيب وان عمل معصية عوقب
لا يواخذ احد بذنب غيره والرهين والمرهون والرهن هو المحبس على امر يودى عنه بحسب
ما يجب فيه على الواجب فيه تخلص والا هلك فلهذا قال وامددناهم بفاكهة فالامداد هو الاتيان بالشي
بعد الشي فيقال مد الجرح وامد النهر والفاكهة هو الثمار ولحم مما يشتهون اي وامددناهم
ايضا بلحم من الجنس الذي يشتهونه وقوله يتنازعون فيها كاسا اي يتعاطون كاس الخمر
قال الاخطل نازعتهم طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري
والكاس الاناء المملو بالشراب فان كان فارغا فلا يسمى كاسا ذكره الزجاج وقوله لا لغو
فيها ولا تاثيم معناه لا يجري بينهم باطل ولا ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا عند
شرب الخمر وقوله ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لولو مكنون يعني في صفائه وبياضه
وحسن منظره والمكنون المصون وقيل ليس على الغلمان مشقة في خدمة اهل الجنة بل
لهم في ذلك لذة لانه ليس هناك دار محنة وقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
اي يسال بعضهم بعضا عن حاله وما هو فيه من انواع النعيم فيسروا بذلك ويزيد فرحهم
به وقيل يسال بعضهم بعضا عما فعلوه في دار الدنيا مما استحقوا به المصير الى الثواب
والكون في الجنان بدلالة قوله انا كنا قبل في اهلنا مشفقين قوله تبارك وتعالى
قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا
كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون

فلما كان كل مكلف محتبسا على عمله فان صح له اداه صح

ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون حتى آيات قرا نافع والكسائى ندعوه انه بفتح الهمزة على تقدير بانه او لانه والباقون بكسر الهمزة على الاستئناف لما حكى الله تعالى
ان اهل الجنة يقبل بعضهم على بعض ويسال بعضهم بعضا عن احوالهم ذكر ما يقولونه فانهم
يقولون انا كنا في دار الدنيا في اهلنا مشفقين اى خائفين رقيق القلب فالاشفاق رقة القلب
عما يكون من الخوف على الشئ والشفقة نقيض الغلظة واصله الضعف من قولهم ثوب شفق
اى ضعيف النسج رديه ومنه الشفق وهو الحمرة التى تكون عند غروب الشمس الى العشاء الاخرة
لانها حمرة ضعيفة والاهل هو المختص بغيره من جهة ما هو اولى به وكلما كان اولى به فهو
احق بانه اهله فمن ذلك اهل الجنة واهل النار ومن ذلك اهل المجد والكرم وفلان من
اهل القران ومن اهل العلم ومن اهل الكوفة ومن هذا قيل لزوجة الرجل اهله لانها مختصة
به من جهة هى اولى به من غيره فقوله فى اهلنا اى من يختص به من هو اولى بنا وقوله
فمن الله علينا فالمن القطع من المكاره الى المحاب يقال من على الاسير يمن منا اذا اطلقه
واحسن اليه وامتن عليه بصنيعه اى اقطعه عن شكره بتذكير نعمته والمنة قاطعة
عن الشرف الحق والجر غير ممنون اى غير مقطوع وقوله ووقانا عذاب السموم الوقاء
منع الشئ من المخوف بما يحول بينه وبينه ومثله الوقاية ووقاه يقيه وقاء فهو واق ووقاه
توقية قال الزجاج اذا الموقع مثل ما وقيت عذاب السموم فالسموم الحر الذى
يدخل فى مسام البدن بما يوجد الله ومنه ريح السموم ومسام البدن الخروق الدقاق
ثم قالوا انا كنا من قبل ندعوه يعنى فى دار التكليف ندعوه انه هو البر الرحيم قال
ابن عباس البر هو اللطيف واصل الباب اللطف مع عظم الشان ومنه البرة اللطف مساكها
مع عظم شانها والبر بالكسر الفارة والبر ولد الدب ومن قولهم فلان لا يعرف هرا من
بر قيل فى معناه ثلثة اشيا احدها لا يعرف السنور من الفارة الثانى لا يعرف من
يبره ممن يكرهه الثالث لا يعرف دعا الغنم وهو برها من سوقها وهو هرها ثم قال

ومنه البره للطفها مع عظم النفع بها ومنه البر لانه لطف النفع به مع عظم الشان صح

للنبى عليه السلم فذكر يا محمد اى لعظ هؤلاء المكلفين فما انت بنعمة ربك فمن الله تعالى بنعمته بكاهن
ولا مجنون تعلق بما يرمونك به وقال البلخى معناه ما انت بنعمة الله عليك بكاهن ولا يلزم ان يكون
انه قد انعم على الكاهن لان انعم قد عم جميع خلقه بالنعم وان كان ما انعم به على النبى اكبر وقد
مكن الله الكاهن وسائر الكفار من الايمان به وذلك نعمة عليه والكاهن الذى يذكر انه يخبر
عن الجن على طريق العزائم والكهانة صنعة الكاهن والكاهن الموهم انه يعلم الغيب بطريق خدمة
الجن والمجنون المعروف بما يغطى على عقله حتى لا يدرك به فى حال تغطيته وقد علموا انه ليس بشاعر
كما علموا انه ليس بمجنون لكن قالوا ذلك على جهة التكذيب على اعدايهم ثم قال بل يقولون
شاعر نتربص به ريب المنون قال مجاهد ريب المنون حوادث الدهر وقال ابن عباس
وقتادة الموت والمنون المنية وريبها الحوادث التى تريب عند مجيئها وقال الشاعر
تربص بها ريب المنون لعلها سيهلك عنها بعلها او سيجنح
قوله تبارك وتعالى قل تربصوا فانى معكم من المتربصين ام تامرهم احلامهم
بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فلياتوا بحديث
مثله ان كانوا صادقين ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون ام خلقوا السموات
والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزاين ربك ام هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون
فيه فليات مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسالهم اجرا
فهم من مغرم مثقلون عشر آيات لما حكى الله تعالى عن الكفار انهم قالوا فى النبى
انه كاهن ومجنون وانه شاعر نتربص به ريب المنون اى نتوقع فيه حوادث الدهر والهلاك
قال الله لنبيه قل لهم يا محمد تربصوا فانى معكم من المتربصين فالتربص هو الانتظار
بالشئ انقلاب حال الى خلافها والمعنى انكم ان تربصتم بى حوادث الدهر والهلاك
فانى معكم من المنتظرين لمثل ذلك فتربص الكفار بالنبى والمؤمنين قبيح وتربص النبى
والمؤمنين بالكفار وتوقعهم لهلاكهم حسن وقوله تربصوا وان كان بصيغة الامر فالمراد

على ليستر بحو الى لا يشرح السفهاء الى التكذيب صح

به التهديد وقوله ام تأمرهم احلامهم بهذا على طريق الانكار عليهم ان هذا الذي يقولونه
ويتربصون بك من الهلاك احلامهم اي عقولهم تأمرهم به وتدعوهم اليه والاحلام جمع الحلم وهو
الامهال الذي تدعو اليه العقل والحكمة فالله تعالى حليم كريم لانه يمهل العصاة بما يدعو اليه الحكمة
وقيل هؤلاء احلام قريش اي عقولهم ثم قال تعالى ليس الامر على ذلك بل هم قوم طاغون والطاغي
هو الطالب الارتفاع بالظلم من كان من العباد ومنه قوله انا لما طغى الماء لانه طلب الارتفاع
كطلب الظالم للعباد في الاثر فحمل على جهة الاستعارة وقوله ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون
معناه بل يقولون افتراه واختلقه وافتعله لان التقول لا يكون الا كذبا لانه دخله معنى تكلف
القول من غير حقيقة معنى يرجع اليه وكذلك كل من يتكلف امرا من غير اقتضاء العقل ان له
فعله فهو باطل ثم قال بل هؤلاء الكفار لا يصدقون بنبوتك ولا بان القرآن انزل من عند الله
والاكثر يبقى ان يكون خاصة فيمن علم الله بانه لا يؤمن ثم قال على وجه التحدي لهم فليأتوا بحديث
مثله يعني مثل القرآن وما يقاربه ان كانوا صادقين في انه كاهن وشاعر ومجنون وتقوله لانهم
ان كانوا صادقين لا يتعذر عليهم مثله وقيل المثل الذي وقع التحدي به هو ما كان مثله في اعلى
طبقة البلاغة من الكلام الذي ليس بشعر واعلى الطبقات في البلاغة كلام قد جمع خمسة اوجه
تعديل الحروف في المخارج وتعديل الحروف في التجانس وتشاكل المقاطع بما يقتضيه المعاني
وتهذيب البيان بالايجاز في موضعه والاطناب في موضعه والاستعارة في موضعها والحقيقة
في موضعها واجراء جميع ذلك في الحكم العظيمة بالترغيب فيما ينبغي ان يرغب فيه والترهيب تليق
مما ينبغي ان يرهب منه والحجة التي يميز بها الحق من الباطل والموعظة التي تلين القلب بالحق وقوله
ام خلقوا من غير شيء معناه اخلقوا من غير خالق ام هم الخالقون لنفوسهم فلا يأتمرون لامر الله
ولا ينتهون عما نهاهم عنه وقيل معنى اخلقوا من غير شيء معناه اخلقوا لغير شيء اي
اخلقوا باطلا لا لغرض وقيل معنى اخلقوا من غير اب وام فلا يهلكون كما ان
السموات والارض خلقتا من غير شيء فاذا هم اضعف من السماء الذي خلق لا من شيء فاذا كان

ما خلق

ما خلق لا من شيء يهلك فما كان دونه بذلك اولى وقيل معنى اخلقوا من غير شيء يجري اليه
عليهم فلا يؤمرون ولا ينهون فهم لذلك لا يأتمرون وقوله ام خلقوا السموات والارض
واخترعوها فلذلك لا يقرون بالله وانه خالقهم ثم قال تعالى بل لا يوقنون بان الههم
الاله يستحق العبادة وحده ولا يقرون بانك نبي من جهة الله وقوله ام عندهم خزائن
ربك معناه اعندهم خزائن نعمة ربك وخزائن الله مقدوراته لانه يقدر من كل جنس على
ما لا نهاية له فشبه ذلك بالخزائن التي يجمع انواعا مختلفة والمعنى كانه قال اعندهم خزائن
رحمة ربك فيقسموا انبئي الامور على خلاف ما يحبون ام هم المسيطرون على الناس فليس
عليهم مسيطر ولا لهم سائس ومقوم فالمسيطر الملزم غيره امرا من الامور قهرا وهو مأخوذ من
السطر يقال سيطر يسيطر سيطرة وهو مجاز من السطر ونظيره بيطر بيطرة وقيل فيصل
المسيطر الملك القاهر وقيل هو الجبار المتسلط ومنه قوله لست عليهم بمسيطر يقولون
سيطرت علي اي اتخذتني خولا وقال ابو عبيدة المسيطرون الارباب والمسيطر والمبيقر
والمبيطر والمهيمن والكميت اسماء جاءت مصغرة لا نظير لها وقرأ قتادة بمسيطر بفتح
الطاء يعني لست عليهم بمسلط وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر والكسائي المسيطرون
بالسين الباقون بالصاد الا ان حمزة يشم الصاد زايا وقوله ام لهم سلم يستمعون فيه فالسلم
مرقى الى العلو من سبيل الدرجة يرتقى الى العلو من بناء مضرب ويقال جعلت فلانا سلما
لحاجتي اي سببا قال ابن مقبل لا تحرز المرء احجاء البلاد ولا يبنى له في السماوات
السلاليم فهذا قيل ام يستمعون الوحي من السماء فقد وثقوا بما هم عليه وردوا ما سواه فليأت
مستمعهم بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة على صحة قولهم والاستماع الاصغاء الى الصوت وانما
قيل لهم ذلك لان كل من ادعى ما لا يعلم ببداية العقول فعليه اقامة الحجة وقوله
ام له البنات ولكم البنون معناه الكم البنون ولله البنات فصاحب البنين اعلى كلمة
من صاحب البنات وهذا غاية التجهيل لهم والتضحيك عليهم وقيل لو جاز اتخاذ الاولاد عليه

لم يكن الخيار على البنين البنات فدل بين ذلك على افراط جهلهم فيما وصفوا الله تعالى به من اتخاذ
الملائكة بنات وقوله ام تسألهم اجرا اى ثوابا على اداء الرسالة اليهم بل عاملت اياهم الى الله
فهم من مغرم مثقلون فالمغرم التزام الغرم فى المال على طريق الابدال والمغرم اللازم انفاق
المال من غير ابدال واصله المطالبة بالحاح فمنه الغريم لانه يطالب بالحاح بالدين الذى
لا يمكن دفعه والمثقل المحمول عليه ما يثقل حمله لثقله **قوله تبارك وتعالى**
ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام لهم
اله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب
مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم
ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك
فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم تسع آيات
قرا عاصم وابن عامر يصعقون بضم الياء على ما لم يسم فاعله الباقون بفتح الياء على اضافة
الفعل اليهم وهما لغتان يقال صعق فلان فهو مصعوق وصعق فهو صاعق وروى عن
عاصم ايضا يصعقون بضم الياء وكسر العين يعنى يهلكون فى الصاعقة وقيل الصعق
الهلاك بصيحة تصدع القلب وقيل الصعق عند النفخة الاولى قال قوم ان قوله
ام عندهم الغيب فهم يكتبون جواب لقولهم ان كان امر الاخرة على ما يدعون حقا فلنا الجنة
كقولهم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى ذكره الحسن والغيب الذى لا يعلمه الا الله هو ما
لا يعلم العاقل ضرورة ولا عليه دلالة والله تعالى عالم به لانه يعلمه لنفسه لا يخفى عليه شيء من
وجه من الوجوه وقوله ام يريدون كيدا فالكيد هو المكر وقيل هو فعل ما يوجب الغيظ
فى خفى يقال كاده يكيده كيدا فهو كائد والمفعول مكيد وكايده مكايدة مثل غايظه مغايظة و
الكيد من الله هو التدبير الذى يبيره لاوليائه على اعدائهم ليقهروهم ويستعلوا عليهم بالقتل
والاسر وقال الزجاج معناه ام يريدون بكفرهم وطعنهم عليك كيدا فالله تعالى يكيدهم بالعذاب

والعالم لنفسه

فالدنيا

فى الدنيا والاخرة وقوله ام لهم اله غير الله اى على حقيقة معنى الالهية وهو القادر على ما يحق به العبادة
فلذلك عبدوه فانهم لا يقدرون على دعوى ذلك ثم نزه نفسه فقال سبحان الله عما يشركون
من ادعاء الهة معه من الاصنام والاوثان وقوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا فالكسف
جمع كسفة كقولك سدر وسدرة وهو جواب قولهم او يسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال
الله تعالى لو سقط عليهم ما آمنوا ولقالوا سحاب مركوم والكسف القطع من الغيم بقدر ما يكسف
ضوء الشمس والكسف من السماء القطعة منها والسحاب الغيم سمى بذلك لانسحابه فى السماء والركوم
الموضوع بعضه على بعض وكل الامور المذكورة بعد ام الزامات لهم عبدة الاوثان على مخالفة
القران ثم قال تعالى للنبى عليه السلم فذرهم اى اتركهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون
اى يهلكون فيه بوقوع الصاعقة عليهم وقيل الصعقة هى النفخة الاولى التى يهلك عندها جميع
الخلائق ثم وصف ذلك اليوم بان قال يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا اى لا ينفعهم كيدهم وحيلهم
ولا تدفع عنهم شيئا لان جميعه يبطل وهم لا ينصرون بان يدفع عنهم والفرق بين الغنى بالشىء
والغنى عنه ان ما الغنى عنه يوجب ان وجوده وعدمه سواء فى ان الموصوف غنى وليس كذلك
الغنى به لانه يبطل ان يكون الموصوف غنيا والغنى هو الحى الذى ليس بمحتاج وليس بهذه الصفة
الا الله تعالى ومعنى لا يغنى عنهم اى لا يصرف عنهم شيئا من الضرر الذى يقع الى نفع نصيره بمنزلة
الغنى لهم وقوله وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك قال ابن عباس هو عذاب القبر به قال
البراء وقال مجاهد هو الجوع فى الدنيا وقال ابن زيد هو مصايب الدنيا وقال قوم
هو عموم جميع ذلك ثم قال ولكن اكثرهم لا يعلمون ومعناه ان اكثرها ولا الكفار لا يعلمون
صحة ما امرناك به لجحدهم نبوتك ثم قال تعالى للنبى صلى الله عليه وآله واصبر يا محمد لحكم
ربك الذى حكم به والزمك التسليم له فانك باعيننا اى بمراى منا نرى ذلك ولا يخفى علينا شىء
من امرك نحفظك لئلا يصلوا الى شىء من مكروهك وامره بالتنزيه له عما لا يليق به فقال وسبح
بحمد ربك حين تقوم قال ابو الاحوص معناه حين تقوم من نومك وقال الضحاك معناه اذا

قت الى الصلاة المفروضة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن زيد معناه صلّ بحمد ربك حين
تقوم من نوم القايلة الى صلاة الظهر ثم قال ومن الليل فسبحه وادبار النجوم معناه من الليل
يعني المغرب والعشاء الاخرة وادبار النجوم قال الضحاك وابن زيد هو صلاة الفجر وقال
الحسن هما الركعتان قبل الفجر وهما تطوع والنجوم هي الكواكب واحدها نجم ويقال نجم الثريا
ونجم القرآن والسن (النجوم) الآية اذا اطلق افاد الكواكب وقرأ وادبار النجوم بفتح الهمزة زيد
عن يعقوب على انه جمع الباقون بكسرها على المصدر

سورة والنجم

هي مكية بالاخلاف وهي اثنتان وستون آية في الكوفي وستون في البصري والمدنيين ؏

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّجْمِ اِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْيٌ يُوحَى
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْاُفُقِ الْاَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ
قَوْسَيْنِ اَوْ اَدْنَى فَاَوْحَى اِلَى عَبْدِهِ مَا اَوْحَى ؏ عشر آيات قوله والنجم قسم من الله تعالى
وقد بينا ان الله تعالى له ان يقسم بما يشاء من خلقه وليس للعباد ان يحلفوا الا به وقال
قوم معناه ورب النجم فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وفي معنى النجم هاهنا ثلاثة
اقوال احدها قال مجاهد ان المراد بالقرآن اذا نزل الثاني قال الحسن معناه جماعة النجوم
اذا هوى اذا سقط يوم القيامة كقوله عز وجل واذا الكواكب انتثرت وقيل النجم على
طريق الجنس كما قال الراعي ؏ وباتت تعدّ النجم في مستحيره سريع بايدي الآكلين جمودها
مستحيرة تسحيه سدا بر صافية من اهالة لانها من شحم سمين وقوله اذا هوى قيل معناه
النجم اذا هوى للغيب ودل على ما فيه من العبرة بتصريفه من طلوعه وغروبه ولا يملك
ذلك الا الله تعالى وقيل كان القرآن ينزل نجوما وبين اول نزوله واخره عشرون سنة ذكره
الفراء وغيره والنجم هو الخارج عن الشيء بخروج التي عنه والهوى ميل الطبايع الى ما فيه الاستمتاع

اراد به الثريا اذا سقطت مع الفجر الثاني في رواية اخرى عن مجاهد

اى غروبه

وهو مقصود وجمعه اهواء والهواء الذي هو الجو ممدود وجمعه اهوية وقوله ما ضل صاحبكم
جواب القسم ومعناه ما عدل صاحبكم يعني النبي صلى الله عليه وآله عن الحق وما غوى اى وما خاب
عن اصابة الرشد يقال غوى يغوى غيا اذا خاب وقال الشاعر فمن يلق خيرا
يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ؏ اى من خاب وما ينطق عن الهوى اى ليس
ينطق بالهوى يقال ذهبت بالقوس وعن القوس والمعنى انه لا يتكلم في القرآن بما يؤديه
اليكم عن الهوى الذي هو ميل الطبع ان هو الا وحي يوحى معناه ليس الذي يتلوه عليكم
من القرآن الا وحي يوحى اوحاه الله اليه فالوحي القاء المعنى الى النفس في خفى الا انه صار كالعلم
فيما يلقيه الملك الى النبي من البشر عن الله تعالى ومنه قوله فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة
وعشيا وقوله واوحى ربك الى النحل اى الهمها مراشدها وهو راجع الى ما قلناه من
القاء المعنى الى النفس في خفى وقوله علمه شديد القوى قال ابن عباس وقتادة والربيع
هو جبرئيل عليه السلام شديد القوى في نفسه وخلقه والقوة هي القدرة وقد يستعمل القوة بمعنى
الشدة التي هي صلابة العقد كقوى الحبل وقوله ذو مرة فاستوى صفة لجبرئيل عليه السلام
اى صاحب مرة وهي القوة واصل المرة شدة الفتل وهو ظاهر في الحبل الذي يمر بالفتل
حتى ينتهي الى ما يصعب بالحل ثم يجري المرة على القدرة لانه يمكن بها من الفعل كما يمكن
من الفعل بالآلة فالمرة والقوة والشدة نظاير وقوله فاستوى معناه استولى بعظم القوة
فكانه استوت له الامور بالقوة على التدبير ومنه قوله ثم استوى على العرش اى استولى
عليه بالسلطان والقهر وقال ابن عباس وقتادة معنى ذو مرة ذو صحة خلق حسن وقال
مجاهد وسفيان وابن زيد والربيع ذو قوة هو جبرئيل والمرة واحدة المرر ومنه قوله
عليه السلام لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وقيل فاستوى جبرئيل ومحمد عليهما السلام
بالافق الاعلى اى سماء الدنيا عند المعراج وقيل فهو كناية عن احدهما الا انه جملة وخبره
في موضع الحال وتقديره ذو مرة فاستوى في حال كونه بالافق الاعلى الثاني انه معطوف

على الضمير في استوى وحسن ذلك كي لا يتكرر هو وانشد الفراء: الم تر ان النبع
تصلب عوده ولا يستوى والخروع المتقصف وقال الزجاج لا يجوز عطف هو على
الضمير من غير تاكيد الا في الشعر وقال تعالى ءاذا كنا ترابا واباؤنا فرد الاباء على
المضمر وقال الربيع فاستوى يعني جبريل وهو كناية عنه على هذا وفي الوجه الاول هو
كناية عن النبي صلى الله عليه وآله وقال قتادة الافق الاعلى الذي ياتي منه النهار وقيل
هو مطلع الشمس وشديد القوى في امر الله ذو مرة اي ذو قوة في جسمه وقيل فاستوى
جبريل على صورته التي خلق عليها لان جبريل كان يظهر قبل ذلك للنبي عليه السلام في صورة
رجل وقوله ثم دنا فتدلى وقال الحسن وقتادة والربيع يعني جبريل عليه السلام وقال الحسن
وقتادة والربيع يعني جبريل عليه السلام وفيه تقديم وتاخير وتقديره ثم تدلى فدنا وقال
الزجاج معنى دنا وتدلى واحد لان المعنى انه قرب وتدلى زاد في القرب كما يقال دنا فلان
وقرب والمعنى ثم دنا جبريل الى محمد فتدلى اليه من السماء فكان قاب قوسين معناه كان بينه
وبين جبريل مقدار قوسين من القسي العربية او اقرب اي بل اقرب منه وقيل معنى
او في الاية بمعنى الواو كقوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ومعناه ويزيدون وقيل
انه راى جبريل في صورته له ستمائة جناح في قول ابن مسعود ومعنى قاب قوسين قدر
الوتر من القوس مرتين او ادنى منه واقرب وقوله فاوحى الى عبده ما اوحى قيل اوحى
جبريل الى عبد الله محمد ما اوحى ويحتمل ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر والفعل
فاوحى الى عبده وحيا ويحتمل ان يكون بمعنى الذي وتقديره فاوحى الى عبده الذي اوحى
اليه والمعنى اوحى جبريل الى محمد ما اوحى اليه ربه تعالى وهو قول ابن مسعود وقوله
ما كذب الفؤاد ما راى قال ابن عباس راى ربه بقلبه وهو معنى قوله علمه واعلمه
ذلك بالايات التي راها وقال ابن مسعود وعائشة وقتادة راى محمد جبريل عليه السلام
على صورته وقال الحسن يعني ما راى من مقدورات الله تعالى وملكوته وقال الحسن عرج بروح

وقيل اوحى الله الى عبده محمد ما اوحى

محمد

محمد صلى الله عليه وآله الى السماء وجسده في الارض وقال اكثر المفسرين وهو الظاهر من مذهب
اصحابنا والمشهور في اخبارهم ان الله تعالى صعد بجسمه حيا سليما حتى راى ملكوت السموات
وما ذكره الله بعيني راسه ولم يكن ذلك في المنام بل كان في اليقظة وقد بيناه في سورة بني
اسرائيل قوله تبارك وتعالى ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى
ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى اذ يغشى السدرة ما يغشى
ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من آيات ربه الكبرى افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى عشر آيات قرا اهل الكوفة الا عاصما ويعقوب افتمرونه بمعنى
افتجحدونه وهو قول ابرهيم وقرا الباقون افتمارونه بمعنى افتجادلونه في انه راى ربه
بقلبه او آيات الله ومعجزاته وقرا ابن عامر في رواية هشام وابي جعفر ما كذب مشددة
الذال الباقون بالتخفيف وقرا ابن كثير والاعشى الا ابن غالب ومناءة مهموزة ممدودة والكوفي
ومناة مقصورة وهما لغتان يقول الله تعالى انه لم يكذب فؤاد محمد ما راه بعينه يعني
لم يكذب محمد بذلك بل صدق به والفؤاد القلب وقال ابن عباس يعني ما راى بقلبه
وقال الحسن انه راى ربه بقلبه وهذا يرجع الى معنى العلم ومعنى ما كذب الفؤاد اي ما اوهم
انه يرى شيئا وهو لا يراه من جهة تخيل لما راه كما ان الرائي السراب يتوهمه ماء ويرى الماء من بعيد
فيتوهمه سرابا ومن شدد اراد لم يكذب فؤاد محمد ما رات عيناه من الايات الباهرات
فعداه ومن خفف فلان في العرب من يعدي هذه اللفظة مخففة فيقولون صدقني زيد
وكذبني خفيفا وصدقني وكذبني ثقيلة وانشد: وكذبني وصدقني والمرء ينفعه كذابه
والفرق بين الرؤية في اليقظة وبين رؤيته في المنام ان رؤيته التي في اليقظة ادراك بالبصر
على الحقيقة ورؤيته في المنام تصوره بالقلب على توهم الادراك بحاسة البصر من غير ان
يكون كذلك وقوله افتمارونه من قرا افتمرونه اراد افتجحدونه ومن قرا افتمارونه
اراد افتجادلونه وتخاصمونه ماخوذ من المراء وهو المجادلة على ما يرى يعني على الشيء الذي

افتجحدونه

يراه وقوله ولقد راه نزلة اخرى قال عبد الله بن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع راى
محمد جبريل مرة اخرى وروى انه راه في صورته التي خلقه الله عليها مرتين وقوله عند سدرة
المنتهى قيل هي شجرة النبق وقيل لها سدرة المنتهى لانه ينتهي اليها علم الملائكة عليهم السلام ينتهي اليها
في قول كعب وقيل سدرة المنتهى في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج الى السماء في قول
ابن مسعود والضحاك وقيل لانه ينتهي اليها ارواح الشهداء وقوله عندها جنة المأوى
معناه عند سدرة المنتهى جنة المأوى المقام وهي جنة الخلد وهي في السماء السابعة وقيل
انه يجتمع اليها ارواح الشهداء وقال الحسن جنة المأوى هي التي تصير اليها اهل الجنة وقوله
اذ يغشى السدرة ما يغشى معناه يغشى السدرة من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق
الابصار ما ليس لوصفه منتهى وقال ابن مسعود ومجاهد وروى ذلك عن النبي عليه السلم
انه غشي السدرة فراش الذهب وقال الربيع غشيها النور من الملائكة وقوله ما يغشى
ابلغ لفظ في هذا المعنى والغشيان لباس الشيء ما يغشيه يقال غشيه يغشاه غشيانا وقوله
ما زاغ البصر اي ما ذهب عن الحق المطلوب والزيغ الذهاب عن الحق المطلوب يقال
زاغ بصره وقلبه يزيغ زيغا ومنه قوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ومنه قوله فاما الذين
في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه والزيغ الميل عن الحق وما طغى معناه ما طغى البصر
اي ما ذهب يمينا وشمالا وقيل ما ارتفع كارتفاع الظالم عن الحق لمن يريد الطاغي الذي
يستولي على الحق والطغيان طلب الارتفاع بظلم العباد طغى يطغى طغيانا والطاغي والباغي
نظائر وهم الطغاة والبغاة والمعنى ما زاغ بصر محمد وما طغى اي ما جاوز القصد ولا عدل
في رؤية جبريل وقيل لا الافق وقوله لقد راى من ايات ربه الكبرى قسم من الله تعالى
ان النبي عليه السلم راى من ايات الله عجائب اكبرها وهي الكبرى التي تصغر عندها الايات
في معنى صفتها والاكبر هو الذي يصغر مقدار غيره عنده في معنى صفته وقيل راى رفرفا اخضر
من رفارف الجنة قد سد الافق في قول ابن مسعود وقوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة

الاخرى

الاخرى اسماء اصنام كانت العرب تعبدها والعزى كانت تعبدها غطفان وهي شجرة سمرة عظيمة
واللات صنم كانت ثقيف تعبدها ومناة كانت صخرة عظيمة لهذيل وخزاعة كانوا يعبدونها
فقيل لهم اخبرونا عن هذه الالهة التي تعبدونها وتعبدون معها الملائكة وتزعمون ان
الملائكة بنات الله هل يحتمل الله فقال افرايتم هذه وانتم تعبدون الاوثان والوجه في ذكرها
ان الله تعالى لما ذكر قصة من تقدم وصفه وقصة جبريل وان النبي عليه السلم اتى بذلك
من عند الله عز وجل الحق الذي ليس كمثله شيء قيل لهم افرايتم عن هذه اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى والمعنى اخبرونا عن هذه الالهة التي تدعونها من دون الله هل لها من هذه الايات
والصفات شيء قوله تبارك وتعالى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة
ضيزى ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون القسم
الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة
والاولى اية خمس ايات في الكوفي وقرا اهل مكة ضيزى بهمزة الا ابن فليح بالياء
بلا همز يقول الله تعالى على وجه الانكار على كفار قريش الذين اضافوا الى الله تعالى
الملائكة بانهم بنات الله فقال لهم كيف يكون ذلك وانتم لو خيرتم لاخترتم الذكر على الانثى
فكيف تضيفون اليه تعالى ما لا ترضون لانفسكم فقد اخطأتم في ذلك من وجهين احدهما
انكم اضفتم اليه ما لا يجوز عليه ولا يليق به فهو قسم فاسد والثاني انكم اضفتم
اليه ما لا ترضونه لانفسكم فكيف ترضونه لله تعالى وقيل انما فضل الذكر على الانثى
لان الذكر يصلح لما لا تصلح له الانثى وينتفع به فيما لا ينتفع بها الانثى ولهذا لم يبعث
نبيا من الاناث وقوله تلك اذا قسمة ضيزى اي تلك قسمة ناقصة غير جائرة بان جعلوا
لانفسكم الافضل ولربكم الادون ولو كان ممن يجوز عليه الولد لما اختار الادون على الافضل
كما قال لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء هذا على تقدير الجواز لا على تحقيق
الجواز والضيزى الجائرة الناقصة ووزنها على الاول فعلى كسر اوله لتصح الياء وقيل انه في

في كلام العرب فعلى صفة وفيه فعلى نحو حبلى تحمل على ما لم نظير واما الاسم فانه يجيء على فعلى
كقوله فان الذكرى وتقول العرب ضيزته حقه اضيزه وضازته نقصته اذا انقصته حقه
ومنعته ومنهم من يقول ضزته بضم الضاد اضوزه وانشد ابو عبيدة والاخفش
فان تنأ عنا ننتقصك وان تغب فسهمك مضؤوز وانفك راغم • ومنهم من يقول
ضئزى بفتح الضاد ومنهم من يقول ضازى بالفتح والهمز ومنهم من يقول ضؤزى بضم الضاد
والهمزة وقال ابن عباس وقتادة قسمة ضيزى جائرة وقال سفيان
منقوصة ثم قال تسميتكم لهذه الاصنام بانها آلهة والملائكة بانها بنات الله
ليس الاسماء سميتموها انتم وآباؤكم بذلك ما انزل الله بها من سلطان يعني من حجة ولا
برهان ان يتبعون اي ليس يتبعون في ذلك الا الظن الذي ليس بعلم وما تهوى الانفس
اي وما تميل اليه انفسكم ولقد جاءهم من ربهم الهدى عدل عن خطابهم الى الاخبار عنهم بانهم
قد جاءهم الهدى يعني الدلالة على الحق وقوله ام للانسان ما تمنى قيل معناه بل
لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ما تمنى من النبوة والكرامة وقيل انه الانسان ما تمنى
من غير جزاء له ليس الامر كذلك لان لله الآخرة والاولى يعطي من يشاء ويمنع من
يشاء وقال الجبائي معناه ليس للانسان ما تمنى من نعيم الآخرة ونعيم الدنيا
وانما المالك لذلك الله تعالى المالك للسموات والارض لا يعطي الكفار ما يتمنونه
وانما يعطي الثواب من يستحقه قوله تبارك وتعالى وكم من ملك في
السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ان الذين
لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون
الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد
الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بمن اهتدى • خمس آيات يقول الله تعالى مخبرا بان كثيرا من ملائكة

السموات لا يغني اي لا ينفع شفاعتهم في غيرهم باسقاط العقاب عنهم شيئا الا من بعد ان يأذن
الله لمن يشاء ان يشفعوا فيه ويطلق لهم ذلك ويرضى ذلك وقيل ان الوجه في ذلك الانكار
على عبدة الاوثان وقولهم انها تشفع لان الملك اذا لم يغن شفاعته شيئا فشفاعة من دونه
ابعد من ذلك وفي ذلك التحذير من الاتكال على الشفاعة لانه اذا لم يغن شفاعة الملك كان
شفاعة غيرهم ابعد من ذلك ولا ينافي ما نذهب اليه من ان النبي عليه السلم والائمة والمؤمنين
يشفعون في كثير من اصحاب المعاصي فيسقط عقابهم لمكان شفاعتهم لان هؤلاء عندنا لا يشفعون
الا باذن من الله ورضاه ومع ذلك يجوز ان لا يشفعوا فيه فالزجر واقع موقعه • ثم اخبر الله
تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة اي لا يصدقون بالبعث ولا بالثواب ولا بالعقاب ليسمون
الملائكة تسمية الانثى قال الحسن كانوا يسمون الملائكة بنات الله ثم قال وما لهم به
من علم اي بما يقولونه ويسمونه من علم اي ليس لهم بذلك علم ان يتبعون الا الظن اي ليس
يتبعون في قولهم ذلك الا الظن الذي يجوز ان يخطئ ويصيب وليس معهم شيء من العلم
وقوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا معناه ان الظن لا يغني من العلم لانه لا بد من علم يحسن
الفعل حتى يجوز ان يفعل وان كان الظن في بعض الاشياء علامة لحسن ما لا غنى عن العلم ثم
قال للنبي صلى الله عليه وآله اعرض يا محمد عن من تولى عن ذكرنا يعني عمن اعرض عن ذكرنا
ولم يقر بتوحيدنا وجحد نبوتك ومال الى الدنيا ونعيمها ولم يرد الا الحياة الدنيا والمنفعة
فيها اي لا تقابلهم على افعالهم واحتملهم ولا ينهاهم عن تكبرهم وعظهم ثم قال ذلك
مبلغهم من العلم معناه ان علمهم انتهى الى نفع الدنيا دون نفع الآخرة وهو ضعيف حقير
في نفع الآخرة فطلبوا هذا وتركوا ذاك جهلا به ثم قال ان ربك يا محمد هو اعلم منك
ومن جميع الخلق بمن ضل عن سبيله اي جار وعدل عن طريق الحق الذي هو سبيله وهو
اعلم بمن اهتدى اليها فيجازي كل واحد على حسب ذلك ان عملوا طاعة اثابهم عليها وان
عملوا معصية عاقبهم عليها قوله تبارك وتعالى ولله ما في السماوات

وما في الارض ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم
من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى
افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى القراءة قرا اهل الكوفة
الا عاصما كبير الاثم على لفظ الواحد والباقون بلفظ الجمع كبائر وقد بيناه في سورة حم عسق
المعنى هذا اخبار من الله تعالى بان له ملك ما في السموات وملك ما في الارض من جميع الاجناس
بالحق ليجزي الذين اساؤوا اي يعاقبهم بما عملوا من المعاصي ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
اي يثيبهم على طاعاتهم بنعيم الدنيا الجنة والخلود فيها ثم وصف الذين احسنوا فقال
هم الذين يجتنبون كبائر الاثم اي عظائم الذنوب والفواحش والمعاصي عندنا كلها
كبائر وان كان بعضها اكبر من بعض وقد تكون المعصية كبيرة بالاضافة الى ما هو اصغر
دونها وقد تكون صغيرة بالاضافة الى ما هو اكبر منها والفواحش جمع فاحشة وهي
اقبح الذنوب وافحشها والاساءة مضرة يستحق بها الذم ولا يستحق الذم الا المسيء وذم من
ليس بمسيء قبيح كذم المحسن في القبح والاحسان فعل ما هو نفع في نفسه او هو سبب النفع
يستحق به الحمد ولا يستحق الحمد الا محسن والكبير من الذنوب هو الذي يعظم به الزجر
الى حد لا يكفره الا التوبة عند من لم يجز اسقاط العقاب تفضلا والصغير هو
الذي يخف فيه الزجر الى حد يصح تكفيره من غير توبة عند من قال بالصغائر وقوله
الا اللمم قال قوم هو الهم بالمعصية من حيث مقاربتها وحديث النفس بها من غير
مواقعتها ولا عزم عليها لان العزم على الكبير كبير ولكن يقرب من مخالفة الشهوة لها
غير عازم عليها وقال قوم الا اللمم استثناء منقطع لانه ليس من الكبائر ولا الفواحش
كما قال الشاعر: وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس
واليعفور من الظباء الاحمر والعيس الابل البيض وقيل اللمم مقاربة الشيء من غير دخول فيه

فيه

نجم

يقال الم بالشيء الماما اذا قاربه وقيل اللمم الصغير من الذنوب كما قال ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ذهب اليه ابن عباس وابن مسعود وقيل اللمم اتيان الشيء
من غير اقامة عليه قال الحسن هو اصابة الفاحشة من غير اقامة والمبادرة بالتوبة ٢٤١
ثم اخبر عن نفسه تعالى بانه واسع المغفرة للمذنبين بقوله ان ربك واسع المغفرة هو
اعلم بكم اذ انشاكم من الارض يعني انشا اباكم آدم من اديم الارض وقال البلخي يجوز ان يكون
المراد جميع الخلق من حيث خلقهم الله تعالى من الطبائع الاربع على حسب ما اجرى العادة من خلق
الاشياء عند ضرب من تركيبها وخلق الحيوان عند تناول اغذية مخصوصة خلقها الله من الارض
فكانه تعالى انشاهم منها وقوله واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم اي هو اعلم بكم في هذه الاحوال
كلها لم يخف عليه من احوالكم شيء منها ثم نهاهم تعالى فقال فلا تزكوا انفسكم اي لا تعظموها
وتمدحوها بما ليس لها فاني اعلم بها واعلم بمن اتقى معاصيه وفعل طاعاته والزكي بينه
وبين من خالفه وقال قوم نهاهم ان يزكوا انفسهم بفعل الواجبات وفعل المندوبات
وترك القبائح لانه اقرب الى النسك والخشوع والاجنة جمع جنين وهو الولد في البطن قال
الحارث: ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعة الا جنينا اي الا دفينا في قبر
ثم قال للنبي عليه السلام افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى قال مجاهد نزلت في الوليد
ابن المغيرة وكان اعطى قليلا من ماله لمن يتحمل عنه العذاب الاخرة ثم منع ما ضمن له وقيل
اعطى قليلا واكدى هو المنافق الذي يعطي قليلا في المؤونة على الجهاد ثم يمنع وقال
ابن عباس ومجاهد معنى واكدى قطع العطاء كما يقطع البئر الماء واشتقاق اكدى من
كدية الركية وهي صلابة تمنع الماء اذا بلغ الحافر اليها يئس من الماء فيقولون بلغنا كديتها
اي صلابتها التي تؤيس من الماء فيقال اكدى يكدي اكداء اذا منع الخير وكديت الاظفار
اذا غلظت وكديت اصابعه اذا كلت فلم تعمل شيئا وكدى النبت اذا قل ريعه والاصل
واحد وقيل الكدية حجر يبلغ اليها حافر البئر فلا يمكنه الحفر وقوله اعنده علم الغيب

ومونبخ النار على من ذكره وهو الذي تولى واعطى قليلا من ماله وبخل عند حظه فقال
اعنده علم الغيب فهو يرى انه يعلم صدق الذي وعده بتحمل خطاياه قوله تعالى
ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى
وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان
الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى ، احدى عشرة آية ، لما وبخ الله تعالى الذي
اعطى قليلا واكدى وبين انه ليس عنده علم الغيب فيصدق قول من قال انه يحمل خطاياه
بين ان الذي وعده بذلك لم ينبأ اى لم يخبر بما في صحف الانبياء ولم يعلم ذلك ومعنى
ام بل وتقديره بل لم ينبأ بما في صحف موسى والصحف جمع صحيفة والمراد هاهنا مكتوب
الحكمة او كتب الله وقوله وابرهيم الذي وفى اى ولم ينبأ في صحف ابرهيم الذي وفى اى
وفى بما يجب عليه لله عز وجل واستحق ان يمدح بهذا المدح وقال مجاهد وابرهيم الذي
وفى الا تزر وازرة وزر اخرى وقيل في رسالة ربه هذا اوفق غيره ذكره سعيد بن جبير
وقتادة وابن زيد وهو اليق بالعموم وقيل امتحن بذبح ولده والقائه في النار وتكذيبه
في الدعاء الى الله فوفى ما عليه في جميع ذلك وقوله الا تزر وازرة وزر اخرى اى بين
الله تعالى في صحف ابرهيم وموسى الا تزر وازرة ومعناه انه لا يواخذ احد بذنب غيره
يقال وزر يزر اذا اكتسب وزرا وهو الاثم فهو وازر وقوله وان ليس للانسان الا
ما سعى معناه ليس له من الجزاء الا جزاء ما عمل دون ما عمله غيره ومن دعا الى الايمان
من اجاب اليه فهو يجوز عليه على طريق التبع وكانه من اجل عمله صار له الجزاء عليه على هذا
ولو لم يعمل شيئا ما استحق جزاء ولا ثوابا ولا عقابا وقوله وان سعيه سوف يرى معناه
ان ما يفعله الانسان ويسعى فيه لا بد ان يرى فيما بعد بمعنى انه يجازى عليه اما من
ثواب او عقاب وبين ذلك بقوله ثم يجزاه الجزاء الاوفى اى يجازى على اعماله الطاعات

باوفى ما يستحقه من الثواب الدائم والهاء في جزاه عائدة على السعي وقوله وان الى ربك
المنتهى معناه وان الى ثواب ربك وعقابه اخر الامور والمنتهى هو المصير الى وقت يبطل الحال
الاولى عن حال مثلها فالتكليف منتهى وليس الجزاء في دار الاخرة منتهى والمنتهى قطع العمل
في حال اخرى والمنتهى والاخر واحد وقوله وانه هو اضحك وابكى قيل اضحك بان
فعل سبب ذلك من السرور والحزن كما يقال اضحكني فلان وابكاني اذا كان سبب ذلك
بما يقع عنده ضحكي وبكائي اذ لا كان فعلي هذا الضحك والبكاء من فعل الانسان وقد قال
الله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ولو لم يكن من فعلنا لما حسن ذلك وقال تعالى
افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون وقال فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
فنسب الضحك اليهم وقال الحسن الله تعالى هو الخالق للضحك والبكاء والضحك تفتح
اسرار الوجه عن سرور يجب في القلب فاذا هجم على الانسان منه ما لا يمكنه دفعه فهو من فعل
الله الذي اضحك وابكى والبكاء جريان الدمع على الخد عن غم في القلب وانما يبكي الانسان
عن فرح بما يجد من حزن فانه عن رقة في القلب تغلب عليها الغم وقوله انه امات
واحيا معناه انه تعالى الذي يخلق الموت ويميت به الاحياء لا يقدر على الموت غيره لانه لو
قدر على الموت لقدر على الحياة لان القادر على الشيء قادر على ضده ولا احد يقدر على
الحياة الا الله واحيا اى هو الذي يقدر على الحياة التي يحيى بها الحيوان لا يقدر عليها
غيره من جميع المحدثات ثم بين ايضا انه الذي خلق الزوجين الذكر منهما والانثى من نطفة
اذا تمنى اى خلق الذكر والانثى من النطفة وهي ماء الرجل والمراة التي يخلق منها الولد
اذا يمنى يعني اذا اخرج المني منهما وحصل في الرحم خلق الله منها الولد اما ذكرا واما انثى
ومعنى يمنى يلقى على تقدير في رحم الانثى واصله التقدير يقولون منى يمنى فهو مان
اذا قدر ، قال الشاعر كما يمنى لك المانى اى يقدر ومنه المنى تقدير
المعنى للاستمتاع به قوله تبارك وتعالى وان عليه النشاة الاخرى

وانه هو اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى وانه اهلك عادا الاولى وثمودا فما ابقى
وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى
فباى آلاء ربك تتمارى ﴿ تسع آيات ﴾ قرا اهل البصرة غير سهل عادا لولى مدغمة بلا همز
الباقون بالهمز والاظهار عن نافع خلاف فانه ادغم وترك الهمزة الا قالون فانه همز الباقون
بالهمز والاظهار من ادغم القى حركة الهمزة على اللام فانضمت ثم سكنها وحذف همزة الوصل
وقلبها النون فادغمت فى اللام ونظير ذلك قول العرب قم لان عنا يريدون قم الان عنا
ومن لم ينون اى جعل الاسم الباقون بتنوين قال الفراء ومن لم ينون اجراه [right margin: تركوه على حاله وقرا حمزة وحفص عن عاصم وثمود بلا تنوين الباقون]
اجراه على الحي وفيها الف لما بين الله تعالى انه الذى يخلق الذكر والانثى من النطفة
اذا تمنى ذكر ان عليه النشاة الاخرى وهى البعث يوم القيامة والنشاة الصنعة الخارجة
خلاف للسبب وهما نشاتان الاولى فى الدنيا والثانية فى الاخرة ثم قال وانه هو اغنى واقنى
ومعناه اغنى بالمال واقنى باصول الاموال وقال مجاهد اقنى اى اخدم وقال
الزجاج وقيل معناه اغنى بعد الفقر واقنى بالمال الذى يقتنى وقيل معنى اقنى انه جعل
له اصل مال وهو القنية التى يجعلها الله للعبد فاما اغنى فقد يكون بالفاقة والقوة
والمعرفة قال الاعشى فاقنيت قوما واعمرتهم واخربت من ارض قوم ديارا
اى جعل لهم قنية واصل اقنى الاقتناء وهو جعل الشى للنفس على اللزوم فنه القناة
لانها مما يقتنى ومن ذلك الاقنى الانف لانه كالقناة فى ارتفاع وسطه وهو تقاعس
وسطه ودقة طريقه والقنو العذق قبل ان يبلغ لانه كالذى يقتنى فى النخل
حتى يبلغ والمقاناة المشاكلة فى اللون وقوله وانه هو رب الشعرى معناه وان
الله الذى خلق الشعرى واخترعها والشعرى النجم الذى خلف الجوزاء وهو احد
كوكبى ذراع الاسد وقمر السماء وكانوا يعبدونها فى الجاهلية فى قول مجاهد
وقتادة ثم قال وانه اهلك عادا الاولى قيل هو عاد بن ارم وهم الذين اهلكهم الله

بريح صرصر عاتية وعاد الاخرة اهلكوا ببغى بعضهم على بعض فتقاتلوا الى ان قتلوا ذكره ابن
اسحق وقال الحسن الاولى اى قبلكم وانما فتحت وان فى المواضع كلها لانها عطف على
قوله ام لم ينبا بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى بانه لا تزر وازرة وزر اخرى
وكذا وكذا فلما حذف البا نصبه وقوله وثمودا فما ابقى نصب باهلك الذى قبله
وتقديره واهلك ثمودا فما ابقى ولا يجوز ان يكون منصوبا بقوله فما ابقى لان ما لا تعمل ما
بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت لانها من الحروف التى لها صدر الكلام كالف الاستفهام
وقوله وقوم نوح من قبل معناه واهلكنا قوم نوح من قبل قوم صالح لانهم كانوا اظلم
من اولئك واطغى فالاظلم الاعظم ظلما والاطغى الاعظم طغيانا فالظلم يتعاظم كما
يتعاظم الضرر وعظم الظلم بحسب عظم الزاجر عنه وقيل لبث نوح فى قومه يدعوهم
الى الله دعا فما يزدادون الا تماديا فى الضلال وتواصيا بالتكذيب باهر الله فى قول
قتادة والمؤتفكة يعنى المنقلبة وهى التى صار اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها ائتفكت
بهم تؤتفك ائتفاكا ومنه الافك الكذب لانه قلب المعنى عن وجهه ومعنى اهوى
انزل بها فى الهواء ومنه اهوى بيده ليأخذ كذا وهوى هو اذا نزل فى الهواء فاما اذا نزل
فى سلم او درجة فلا يقال اهوى ولا هوى وقيل هى قرية سدوم قوم لوط رفعها جبرئيل
الى السماء ثم اهوى بها قالبا لها فى قول مجاهد وقتادة وقوله فغشاها ما غشى يعنى ما غشى
من الحجارة المسومة التى رموا بها من السماء فى قول قتادة وابن زيد والمعنى جللها من
العذاب ما عمها حتى اتى عليها ما غشى وفيه تفخيم شان العذاب الذى نالها من جهة
ابهامه فى قوله ما غشى كانه قال قد جل الامر عن ان يحتاج الى تفصيل وصفه وقوله
فباى آلاء ربك تتمارى معناه باى نعم ربك ترتاب يا ابن آدم ذكره قتادة وانما قيل
بعد تعديد النعم فباى آلاء ربك تتمارى لان النعم التى عددت على من ذكر نعم علينا
لما لنا فى ذلك من اللطف فى الانزجار عن القبيح مع انه نالهم ما نالهم بكفرهم النعم فباى

ثم تتك ايها المخاطب تتمارى حتى تكون معارضا لهم في سلوك نعمتي ما الكهم اى فبايت
لك شبهة بعد تلك الاحوال في جحد نعمه **قوله تبارك وتعالى**
هذا نذير من النذر الاولى ازفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة
افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون فاسجدوا لله
واعبدوا ستّ آيات قوله هذا نذير من النذر الاولى اشارة الى رسول الله صلى
الله عليه وآله في قول قتادة وقال ابو مالك هو اشارة الى القرآن من النذر الاولى
في صحف ابرهيم وموسى يقول الله تعالى هذا يعني محمدا نذير اى مبين لما ينبغى ان يحاذر منه
وما ينبغى ان يرغب فيه باحسن البيان وهذه صفة رسل الله عليهم السلم والنذير احسن الناس
انذارا واكرمهم ابلاغا لما امر الله بتبليغه الى امته وقوله من النذر الاولى من جملة الرسل الذين
بعثهم الله وان كان هو آخرهم كما تقول هو من بني آدم وان كان احدثهم وقوله ازفت
الآزفة معناه دنت القيامة وهي الدانية قال النابغة الذبياني ازف الترحل
غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد وقال كعب بن زهير بان الشباب وامسى
الشيب قد ازفا ولا ارى لشباب ذاهب خلفا وانما سميت القيامة آزفة وهي الدانية
لان كل آت قريب فالقيامة قد قربت بالاضافة الى ما مضى من المدة من لدن خلق الله
الدنيا وقوله ليس لها من دون الله كاشفة معناه لا يقدر ان يقيمها الا الله وحده
وليس يجلي عنها ويكشف عنها سواه وقيل كاشفة اى جماعة كاشفة او نفس كاشفة
ويجوز ان يكون مصدرا مثل العاقبة والعافية والواقية فيكون المعنى ليس لها من دون الله
كشف اى ذهاب اى لا يقدر احد غير الله على ردها وقال الحسن هو مثل قوله لا يجليها
لوقتها الا هو وقيل كاشفة بمعنى الانكشاف كقوله ليس لوقعتها كاذبة ومثله
ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم اى خيانة وكلمة السامد اللاهي يقال دع
عنك سمودك اى لهوك وكانه السمر في اللهو قال حمل هند سمودا سامد وقال

الناس

الناس مذ قرقر فانقض اليم ثم دعتك السوداء ويقال للجارية اسمدي لنا اى غني
وقوله فاسجدوا لله واعبدوا امر من الله تعالى بالسجود له والصلاة وان يعبدوه مخلصا
مخلصا لا يشركون به احدا في العبادة تعالى الله عن ذلك وفي الاية دلالة على ان السجود
هاهنا فرض على ما يذهب اليه اصحابنا لان الامر يقتضي الوجوب **سورة القمر**
مكية بلا خلاف وهي خمس وخمسون آية بلا خلاف **قوله تبارك وتعالى**
بسم الله الرحمن الرحيم
اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا
واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة
بالغة فما تغني النذر ستّ آيات قرا ابو جعفر وكل امر مستقر بالجر صفة لامر
الباقون بالرفع على انه خبر كل هذا اخبار من الله تعالى بدنو الساعة وقرب اوانها
فقوله اقتربت اى دنت وقربت وفي اقتربت مبالغة كما ان في اقتدر مبالغة على قدر
لان اصل افتعل طلب اعداد المعنى بالمبالغة نحو اشتوى اذا اتخذ شواء في المبالغة في اتخاذه
وكذلك اقتدر اتخذ والساعة القيامة وقال الطبري تقديره اقتربت الساعة التي
يكون فيها القيامة وجعل الله تعالى من علامات دنوها انشقاق القمر المذكور وما في
الاية تقديم وتأخير وتقديره انشق القمر واقتربت الساعة ومن انكر انشقاق القمر وانه
كان وحمل الاية على كونه فيما بعد كالحسن البصري معه واختاره البلخي فقد ترك الظاهر لان
قوله انشق يفيد الماضي وحمله على الاستقبال مجاز وقد روى انشقاق القمر عبد
الله بن مسعود وانس بن مالك وابن عمر وحذيفة وابن عباس وجبير بن مطعم ومجاهد
وابرهيم وقد اجمع المسلمون عليه ولا يعتد بخلاف من خالف فيه لشذوذه ولان القول
به اشتهر بين الصحابة لم ينكره احد فدل على صحته وانهم اجمعوا عليه فخلاف من خالف
فيما بعد لا يلتفت اليه ومن طعن في انشقاق القمر بانه لو كان لم يخف على اهل الاقطار فقد

البعد لا تستجوز ان يحجبه الله عنهم بغيم ولهذا كان ليلا يجوز ان يكون الناس كانوا نياما
ثم يعلوا بعده لم يسمع الزمان الطويل لجح فاتمام في الحال فالمعجزة تمت بذلك وقوله
وان يروا آية اخبار من الله تعالى عن عناد كفار قريش بانهم متى راوا معجزة باهرة احتمل ان يكون
وحجة واضحة اعرضوا عن تاملها والانقياد لصحتها عنادا وحسدا وقالوا هو سحر مستمر
اي يشبه بعضه بعضا وقيل سحر مستمر من الارض الى السماء وقال مجاهد وقتادة
معناه ذاهب مضمحل وقال قوم معناه شديد من امرار الحبل وهو شدة فتله وقوله
وكذبوا يعني بالآية التي شاهدوها ولم يعترفوا بصحتها ولا تصديق من ظهرت
على يده واتبعوا في ذلك اهواءهم يعني ما يميل طباعهم اليه فالهوى رقة القلب بميل الطباع
كرقة هواء الجو تقول هوي يهوى هوى فهو هو اذا مال طبعه الى الشيء وهو هوى
النفس مقصود فاما هواء الجو فممدود وجمعه اهوية وهوى يهوي اذا انحدر في الهواء
والمصدر الهوي والاسم الهاوي وقوله كل امر مستقر معناه كل امر من خير او شر مستقر
ثابت يجازى به اما في الجنة او النار ذكره قتادة ثم قال ولقد جاءهم يعني هؤلاء
الكفار من الانباء يعني الاخبار العظيمة بكفر من تقدم من الامم وانا اهلكناهم التي
يتعظ بها ما فيها مزدجر يعني متعظ وهو مفتعل من الزجر الا ان التاء ابدلت
دالا لتوافق الزاي بالجهر مع ان الدال لعقبها حروف فيلام ولا يتنافر وقوله
حكمة بالغة معناه نهاية في الصواب وغاية في الزجر لهؤلاء الكفار وقوله فما تغني
النذر يحتمل ما وجهان احدهما الجحد فيكون التقدير لا يغني التخويف والثاني ان
يكون بمعنى اي وتقديره اي شيء يغني الانذار والنذر جمع نذير وقال الجبائي
معناه ان الانبياء الذين بعثوا اليهم لا يغنون عنهم شيئا من عذاب الله الذي يستحقونه
بكفرهم لانهم خالفوهم ولم يقبلوا منهم قوله تبارك وتعالى فَتَوَلَّ عَنْهُمْ
يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ خَاشِعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ

جراد

٢٤٥

جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ
حتى آيات قرأ خشعا على الجمع اهل العراق الا عاصما الباقون خاشعا على وزن
فاعل ونصبوه على الحال ومن قرأ خاشعا بلفظ الواحد فلتقدم الفعل على الفاعل
وقرا ابن كثير وحده نكر بسكون الكاف الباقون بالتثقيل وهما لغتان وقال ابو علي
النحوي النكر احد الحروف التي جاءت على فعل وفعل وهو صفة وعلى ذلك حمله سيبويه
واستشهد بالآية ومثله ناقة احد ومشية سجح ومن خفف جعله مثل رسل ورسل
وكتب وكتب والضمة في تقدير اثبات لما حكى الله تعالى عن الكفار انه ليس ينفع في
وعظهم وزجرهم الحكمة البالغة امر النبي صلى الله عليه وآله بالاعراض عنهم وترك مقابلتهم على ولا تغني النذر
سفههم فقال فتول عنهم اي اعرض عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر قيل في معناه
اقوال احدها قال الحسن فتول عنهم الى يوم يدع الداعي والثاني فتول عنهم واذكر يوم يدع
الداعي الى شيء نكر يعني منكر وامثله فقط فنكر ومنه اسقطنا الثالث ان المعنى فتول
عنهم فانهم يرون ما ينزل بهم من العذاب يوم يدع الداع وهو يوم القيامة وحذف الفاء من
جواب الامر والداعي هو الذي يطلب من غيره فعلا ونقيضه الصارف وهو الطالب
من غيره ان لا يفعل بمنزلة الناطق بان لا يفعل يقول دعا يدعو دعاء فهو داع وذاك
مدعو والنكر هو الذي يأباه النفس من جهة نفور الطبع وهو صفة على وزن فعل
ونظيره رجل جنب وارض جرز وهو من الانكار نقيض الاقرار لان النفس لا تقر بقبوله
وانما وصف بانه نكر لغلظه على النفس وانهم لم يروا امثله شيئا وهولا كانهم ينكرونه
لما فيه في عقولهم وقوله خاشعا ابصارهم فمعنى الخاشع الخاضع خشع يخشع خشوعا فهو
خاشع والمتخشع وتخشع الرجل اذا تنسك وخاشعا حال مقدمه والعامل فيه يخرجون
وقيل خاشعا ابصارهم لتقدم الصفة على الاسم كما قال الشاعر وشباب حسن اوجههم

من ابادين نزار بن معد وقال لحق يرى الحجاج بها الركبان معترضا اعناق بزلها
مثل الجدل والجديل هو الزمام و [illegible] بحبال ولا معترضات يخرجون من الاجداث
يعني من القبور واحدها جدث وجدف ايضا لغة والجدث جانب القبر واصله الميل من الاستواء
كانهم جراد منتشر اي مثل جراد منتشر من كثرتهم وقوله مهطعين الى الداعي قال الفراء
ناظرين قبل الداعي وقال ابو عبيدة مسرعين وقال قتادة معناه عامدين والاهطاع
الاسراع في المشي يقال اهطع يهطع اهطاعا فهو مهطع فهؤلاء الكفار يهطعون الى الداعي
بالاجبار والاكراه والاذلال ووصف الابصار بالخشوع لان ذلة الذليل وعزة العزيز
تبين في نظره يقول الكافرون هذا يوم عسر حكاية ما يقوله الكفار يوم القيامة بانه يوم عسير
شديد عليهم ثم قال مثل ما كذبك يا محمد هؤلاء الكفار وجحدوا نبوتك كذبت قبلهم
قوم نوح وكذبوا عبدنا يعني نوحا عليه السلم وقالوا مجنون اي هو مجنون قد خولط في عقله
قال بانه تعتريه وازدجر قال ابن زيد معناه زجر بالشتم والرمي بالقبح وقال
غيره ازدجر بالوعيد لانهم توعدوه بالقتل في قوله لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين
فدعا عند ذلك ربه فقال يا رب اني مغلوب قد غلبني هؤلاء الكفار بالقهر لي والجبر
فانتصر منهم بالاهلاك والارماد نصرة لدينك ونبيك وقال مجاهد معنى ازدجر استطير
واستفز جنونا قوله تبارك وتعالى ففتحنا ابواب السماء بماء
منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح
ودسر تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف
كان عذابي ونذر ست آيات قرأ ابن عامر ففتحنا بالتشديد اي مرة بعد مرة
وشيئا بعد شيء لانه كثر ودام لما فار التنور وانهمرت الارض والسماء بالماء الباقون
بالتخفيف لانه يأتي على القليل والكثير وفي الكلام حذف وتقديره ان نوحا عليه السلم
لما دعا ربه فقال اني مغلوب فانتصر يا رب واهلكهم فاجاب الله دعاه ففتح ابواب

بالاهطاع سو

ور وانهمرت

السماء بالماء ومعناه اجرى الماء من السماء فجرى كانه انما فتح عنه باب كان مانعا له وذلك من صنع الله
الذي لا يقدر عليه سواه وجاء ذلك على طريق البلاغة والماء المنهمر هو المنصب الكثير
قال امرؤ القيس راح تمريه الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر اي منصب
مثل فتق النهر همرا انهمارا وفلان يهمر في كلامه كانه ينصب فيه مع كثرته وقوله وفجرنا
الارض عيونا فالتفجير تشقيق الارض عن الماء ومنه الفجر العرق والفجر السكر ومنه قوله
وفجرنا خلالهما نهرا وعيون الماء واحدها عين وهو ما يفور من الارض مستديرا كاستدارة
عين الحيوان والعين مشترك بين عين الحيوان وعين الماء وعين الميزان وعين الذهب
وعين السحابة وعين الركبة وقوله فالتقى الماء على امر قد قدر معناه ان المياه كانت
تجري من السماء ومن الارض على ما امر الله به واراده وقدره وانما قال فالتقى الماء والمراد
به ماء السماء وماء الارض ولم يثن لانه اسم جنس يقع على القليل والكثير على امر قد قدر
فيه هلاك القوم في اللوح المحفوظ وقيل معناه انه كان قدر ماء السماء مثل ما قدر ماء الارض
ثم قال وحملناه يعني نوحا على ذات الواح يعني السفينة ذات الواح مركبة بعضها
الى بعض ودسر وهي المسامير التي تشد بها السفينة في قول ابن عباس وقتادة وابن زيد
واحدها دسار ودسير ودسرت السفينة ادسرها دسرا اذا شددتها بالمسامير
[illegible] وقيل الدسر صدر السفينة تدسر به الماء اي تدفع عن الحسن وقال مجاهد الدسر
اضلاع السفينة وقال الضحاك الدسر طرفاها واصلها وقال الزجاج الدسر المسامير
والشرط التي تشد بها الالواح وقوله تجري باعيننا معناه تجري السفينة بمرأى منا ومن
مدركها وقيل باعين الماء التي انبعناها وقيل تجري باعين اوليائنا والموكلين بها من
الملائكة وقوله جزاء لمن كان كفر اي بالله ذكره مجاهد والاخر لمن كان كفر به وهو نوح
اي لكفرهم به كانه قال غرقناهم لاجل كفرهم بنوح وقيل جزاء لنوح واصحابه اي نجيناه و
من آمن لما صنع به وكفر به بالله وقوله ولقد تركناها آية يعني السفينة تركناها دلالة

بالعبرة فهل من مذكر بها ومتعظ بسببها فيعلم ان الذي قدر على ذلك لا يكون من قبيل
الاجسام وانه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شي وقال قتادة ابقى الله تعالى سفينة نوح
حتى ادركها اوايل هذه الامة فكان ذلك اية ومدكر اصله مذتكر فقلبت التاء دالا لمؤاخاة
الدال بالجهر ثم ادغمت الدال فيها وقيل وجه كونها اية انها كانت تجري بين ماء الارض
وماء السماء وكان قد غطاها على ما امره الله تعالى به وقوله فهل من مدكر معناه قد بيناه
وقال قتادة معناه فهل من طالب علم فيعان عليه وقوله فكيف كان عذابي ونذر
تهديد للكفار وتنبيه لهم على عظم ما فعله بامثالهم من الكفار الجاحدين لتوحيده
وانما كرر فكيف كان عذابي ونذر لانه لما ذكر انواع الانذار والعذاب اتفق التذكير
بشي شي منه على التفصيل والنذر جمع نذير في قول الحسن قال وتكذيب بعضهم تكذيب
لجميعهم قال الفراء هو مصدر ومثله عذرا ونذرا مخففة ومثقلة والى شي نكر وقال
الانذار نذرا يعني انذارا مثل انزل انزالا يعني ان الامر قوله تبارك وتعالى
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ
إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ثمن آيات. اقسم الله تعالى بانه يسر القران للذكر والتيسير
التي هو تسهيل واحدة مما ليس فيه كثير مشقة على النفس فمن سهل له طريق العلم فهو
حقيق بالحظ الجزيل منه لان التيسير اكبر داع اليه وتسهيل القران للذكر خفة ذلك
على النفس بحسن البيان وظهور البرهان في الحكم السنية والمعاني الصحيحة الموثوق
بها لمجيئها من قبل الله تعالى وانما صار الذكر من اجل ما يدعى اليه ويحث عليه لانه طريق
العلم لان الساهي عن الشي او عن دليله لا يجوز ان يعلمه في حال سهوه فاذا تذكر الدليل
عليه والطريق المؤدية اليه تعرض لعلمه من الوجه الذي ينبغي له وقوله فهل من مدكر
معناه فهل من متعظ معتبر بذلك ناظر فيه. ثم قال كذبت عاد يعني بالرسول

الذي بعثه اليهم وهو هود عليه السلام فاستحقوا الهلاك فاهلكهم الله فكيف كان عذابي لهم
وانذاري اياهم ثم بين كيفية اهلاكهم فقال انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا وهي الشديدة
الهبوب حتى يسمع في صوتها صرير مضاعف مكرر وصرصر مثل كب وكبكب ونه ونهنه
وقال ابن عباس وقتادة والضحاك كانت ريحا باردة وقال ابن زيد وسفيان
كانت شديدة وقوله في يوم نحس يعني يوم شوم في قول قتادة مستمر اي استمر بهم العذاب
الى نار جهنم في قول قتاد وقوله تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر معناه يقتلع هذه
الريح الناس ثم ترمي بهم على رووسهم فتدق رقابهم فيصيرون كانهم اعجاز نخل لان رووسهم
سقطت عن ابدانهم في قول مجاهد وقيل استمرت بهم الريح سبع ليال وثمانية ايام حتى
اتت عليهم شيئا بعد شي وقيل تنزع الناس من حفر حفروها ليمتنعوا بها من الريح
وقال الحسن فيه اضمار وتقديره تنزع ارواح الناس واعجاز النخل اسافله والنخل
يذكر ويونث والمنقعر المنقلع من اصله لان قعر الشي قراره المستقل منه فلهذا
قيل للمنقلع من اصله منقعر يقال انقعر انقعارا وقعره تقعيرا وتقعر في كلامه
تقعرا اذا تعمق فكيف كان عذابي ونذر تعظيم للعذاب النازل بهم والانذار الذي
تقدم اليهم به وفايدة الاية التحذير من مثل سببه لئلا يقع بالحذر مثل موجبه قوله
تبارك وتعالى وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِالنُّذُرِ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ
عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ إِنَّا مُرْسِلُو
النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ
مُحْتَضَرٌ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ
تسع آيات. قرا ستعلمون بالتاء اهل الشام وحمزة على الخطاب الباقون بالياء
على الغيبة اللام في قوله ولقد جواب القسم فالله تعالى اقسم بانه يسر القران

للذكر وقد بينا معناه وقيل الوجوه التي يسر الله بها القرآن هو ان ابان عن الحكم الذي يعمل عليه
والمواعظ التي يرتدع بها والمعاني التي يحتاج الى التنبيه عليها والحجج التي يميز بها الحق من الباطل
وانما اعيد ذكر التيسير ليبنى عن انه يسر بهذا الوجه من الوجوه كما يسر بالوجه الاول
وقد يسر عن التأليف للحفظ كما يسر بحسن البيان عن المعاني للوعظ وقال الزجاج ان كتب
الانبياء كانوا يقرؤونها نظرا ولم يحفظوها والقرآن سهل الله عليهم حفظه فيحفظه الخلق
الكثير والتيسير التمكين التام لانه قد يمكن العمل بمشقة وبغير مشقة فالذي ينتفي
منه المشقة للتمكين التام هو المسهل وفائدة الآية تبيين ما ينبغي ان يطلب العلم من جهته
وانما كرر لانه حث على ذلك بعد حث وانه ميسر بضروب التيسير وقوله كذبت ثمود بالنذر
اخبار من الله تعالى ان ثمود وهم قوم صالح كذبت بالانذار ومن قال النذر جمع نذير
قال لان تكذيب واحد من الرسل في اخلاص توحيده كتكذيب جميعهم لانهم متفقون
في ذلك وان اختلفت شرايعهم وفائدة الآية التحذير من مثل حالهم ثم حكى ما قالت
ثمود فانهم قالوا ابشرا منا واحدا نتبعه ودخلت عليهم الشبهة فظنوا ان الاتباع ينبغي
ان يكون لجماعة لان الاشياء تدل والنظاير تجري على حكم واحد وتركوا النظر في انه
يجوز ان يصلح واحد من الخلق لتحمل النبوة وان لم يصلح لغيره فصار بمنزلة من يدعي لا دليل
معه على صحة دعواه عندهم وفائدة الآية بيان شبهتهم الخسيسة الضعيفة وانهم حملوا
انفسهم على تكذيب الرسل لاجلها وجوابهم ان يقال لهم انه لا يصلح له سواه من جهة
معرفته بربه وقيامه باداء رسالته وسلامة ظاهره وباطنه وقوله انا اذا لفي
ضلال وسعر معناه انا ان اتبعناه مع انه واحد منا انا لفي ضلال عن الصواب وسعر
اي وعناء في قول قتادة والسعر جمع سعير كانهم في ضلال وعذاب كعذاب السعير وقال
قوم معنى وسعر جنون واصله التهاب الشيء وهو شدة انتشاره يقال ناقة مسعورة
اذا كانت كان بها جنونا وقال الزجاج يجوز ان يكون المراد وعذاب ويجوز

جنون وقوله أألقي الذكر عليه من بيننا استفهام من قوم صالح على وجه الانكار والجحود و
النفي ومعنى أألقي الذكر يعني الوحي من بيننا لما راوا استواء حال الناس في الظاهر
لم يكن بعضهم احق عندهم بانزال الوحي عليه من بعض وقد وضعوا في انفسهم ان حاله مساو
لاحوالهم ومن اين هذا ان يكون احق بالوحي الذي ينزل عليهم واغفلوا ان الله يعلم
مصالح عباده ومن يصلح للقيام برسالته ممن لا يصلح ثم حكى ما قالوه في صالح فانهم
قالوا بل هو كذاب في دعواه انه نبي اوحى الله اليه اشر اي بطر فالاشر البطر الذي
لا يبالي ما قال وقيل هو المرح الطالب للفخر وعظم الشأن يقال اشر ياشر اشرا كقولك
بطر يبطر بطرا واشر واشر مثل حذر وحاذر فعل وفعل وفطن وفطن ونجس
ونجس فقال الله تعالى على وجه التهديد لهم سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقرأ
ابو قلابة الكذاب الاشر وهذا ضعيف لانهم يقولون هذا خير من ذا وشر منه
ولا يقال اشر ولا اخير الا في لغة رديئة ومن قرأ ستعلمون بالتاء على
وجه الخطاب لهم اي قل لهم وهي قراءة ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم ومن قرأ بالياء
فعلى وجه الاخبار عن الغائب وهي قراءة الباقين لان الكذاب الاشر يوم القيامة يعاقبه
الله بعذاب النار فيعلم ح اي الفريقين هو وقربه الله تعالى القيامة كقرب غد من اليوم
والفرق بين قوله سيعلمون غدا من الكذاب وبين قوله لو قال سيعلمون غدا الكذاب
الاشر ان الاول يفيد قد تبين التباس الكذب بكل واحد منهما فيأتي العلم بزوال ذلك
الالتباس وليس كذلك الثاني ثم بين تعالى انه ارسل الناقة ينتجها ولادها وقوله ـ وبعثها بانت نشأها معجزة لصالح لانه اخرجها من الجبل الاصم
فتنة لهم نصب فتنة على انه مفعول له ومعنى ذلك ابتلاء لكم ومحنة لانه تعالى
نهاهم ان ينالوها بسوء مع تضييق الشرب عليهم بان لها شرب يوم ولهم شرب يوم
آخر والشرب بكسر الشين الحظ من الماء وبضم الشين فعل الشارب ثم حكى تعالى
ما قال لصالح فانه تعالى قال له واصطبر اي اصبر على اذاهم ونبئهم اي اخبرهم

بان الماء قسمة بينهم يوم للناقة ويوم لهم كل شرب محتضر اي كل قسم يحضره من هو له
وقيل المعنى بينهم اي يوم لهم واي يوم لها الا انه غلب من تعقل فقال بينهم وقيل
كانوا يحضرون الماء اذا غابت الناقة ويشربون واذا حضرت احضروا اللبن وتركوا
الماء لها ذكره مجاهد وقيل كانت الناقة تحضر شربها وتغيب وقت شربهم
وكل فريق يحضر وقت شربه وقوله فنادوا صاحبهم يعني الذي وافقوه
على عقر الناقة وهو احمر واحمر ثمود والعرب تغلط فيقول احمر عاد ويريدون
بذلك ضرب المثل في الشوم واما هو احمر ثمود ذكره الزجاج وقال قوم اسمه قدار
ابن سالف وقوله فتعاطى فعقر قال ابن عباس تعاطى تناول الناقة بيده
فعقرها معناه تعاطى عقرها فعقرها فاهلكهم الله تعالى عقوبة على ذلك
فكيف كان عذابي ونذر قوله تبارك وتعالى انا ارسلنا عليهم
صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من
مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط
نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ولقد انذرهم
بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا
عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر عشر آيات لما اخبر الله
تعالى عن قوم صالح انهم عقروا الناقة وانه تعالى اهلكهم بين كيف اهلكهم
فقال انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة وهي المرة من الصوت بشدة عظيمة هلكوا
كلهم بها يقال صاح يصيح صياحا وصيحة وصايحه مصايحة وصيح تصييحا وان
صيحة تخلع القلوب وتهدم الابدان لعظمها وقوله فكانوا كهشيم المحتظر
اي صاروا كالهشيم وهو المتقطع بالتكسير والترضيض هشم انفه يهشمه

اذا كسره وهشم العظم ومنه الهاشمة وهي شجة مخصوصة والهشيم هاهنا يبيس الشجر
المتفتت الذي يجمعه صاحب الحظيرة والمحتظر المبتني حظيرة على بنائه او غيره تقول
احتظر احتظارا وهو من الحظر وهو المنع من الفعل بحائط وغيره وقد يكون الحظر
بالنهي وقرئ بالفتح الظاء وهو المكان الذي يحتظر فيه الهشيم ثم اقسم الله تعالى بانه
يسر القرآن للذكر فهل من مدكر قال قتادة فهل من طالب علم يتعلم وقيل
هشيم المحتظر قال الضحاك هو المحظور تتخذ للغنم ييبس فيصير ريما وقيل الهشيم
حشيش يابس متفتت يجمعه المحتظر لمواشيه وقيل الهشيم اليابس من الشجر اجمع الذي
يفت وقوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قد فسرناه وفيها دلالة
على بطلان قول المجبرة لانه ذكر انه يسر القرآن ليتذكر العباد به ولو كان الامر على ما
يقولون لكان ليتذكر القليل منهم دون سائرهم وقوله كذبت قوم لوط بالنذر
اخبار منه تعالى ان قوم لوط كذبوا الرسل وبالانذار على ما فسرناه وفائدة ذكر
التحذير على ما بيناه من فعل مثله لئلا ينزل بهم مثل ما نزل باولئك وفي الكلام حذف
وتقديره فاهلكناهم ثم بين كيف اهلكهم فقال انا ارسلنا عليهم حاصبا والحاصب
الحجارة التي يرمى بها القوم حصبوه بها اذا رموه ومنه الحصبا الارض ذات الحصى
لا تنبت بها وقيل الحاصب سحاب رماهم بالحجارة وحصبهم بها قال
الفرزدق: مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور ثم
استثنى آل لوط وتقديره انا ارسلنا عليهم حاصبا اهلكناهم به الا آل لوط فانا
نجيناهم وخلصناهم من العذاب بسحر اي بليل لسحر بعينه لان سحر اذا اردت به
سحر يومك لم تصرفه واذا اردت به سحرا من الاسحار صرفته وقوله نعمة قال
الزجاج نصبه على انه مفعول له ويجوز ان يكون على المصدر وتقديره انعمنا بها
عليهم ثم قال مثل ما فعلنا بهم نفعل بمن شكر الله على نعمه والشكر هو الاعتراف

بالنعمة مع ضرب من التعظيم للمنعم ونقيضه كفر النعمة ومثله الحمد على النعمة ثم اخبر
تعالى عن لوط بانه انذر قومه بطشة الله وهي الاخذة بالعذاب بشدة فكذلك اخذ
الله عز وجل آل لوط باشد العذاب بالاستئصال ورمي الاحجار من السماء وقوله
فتماروا بالنذر اي شكوا فيه وامضوا على وجه الجدال بالباطل يقال تمارى القوم
تماريا وماراه مماراة ومراء ومراه يمريه مريا اذا استخرج ما عنده من العلم بالمرى وقوله
ولقد راودوه عن ضيفه اخبار منه تعالى بان قوم لوط جاءوا اضيافه وراودوهم على
الفساد فالمراودة المجادلة فكان قوم لوط طالبوه بان يخلي بينهم وبين ضيفه لما يرونه
من الفاحشة والضيف المنضم الى غيره على طلب القرى وكانوا اتوا الوطا على هذه
الصفة الى ان تبين لهم انهم ملائكة الله ارسلهم لاهلاكهم وقوله فطمسنا اعينهم
فالطمس محو الاثر بما يبطل معه ادراكه طمس يطمس طمسا وطمس الكتاب تطميسا وطمست
الريح الآثار اذا دفنتها بما تسفي عليها من التراب قال كعب بن زهير
من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت عرضتها طامس الاعلام مجهول وقال
الحسن وقتادة عميت ابصارهم وقال الضحاك انهم دخلوا البيت على لوط فلما لم يروهم
سالوا اعينهم وانصرفوا وقوله فذوقوا عذابي ونذر معناه اي وما حق فيكم من
عذابي ثم قال تعالى ولقد صبحهم بمعنى قوم لوط بكرة نصبه على الظرف فاذا اردت بكرة
يومك لم تصرفه واذا اردت بكرة من البكرات صرفته ومثله غدوة عذاب مستقر
اي استقر بهم حتى هلكوا جميعا وقوله فذوقوا عذابي ونذر وقيل انه قال
لهم الملائكة ذلك وقال قوم القايل هو الله تعالى قال لهم في تلك الحال بمعنى طمس
اعينهم والاستقال بهم ورميهم بالحجارة ذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر وقد فسرنا وبينا الوجه فيه قوله تبارك وتعالى
ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر

قال لهم الملك ذوقوا عذاب الله ونذره

الكفار

٢٥٠

اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة في الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع
ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر ست آيات القراءة
وذكر سيهزم بالنون على وجه الاخبار من الله تعالى عن نفسه الباقون بالياء على ما لم
يسم فاعله اخبر الله تعالى عن آل فرعون انه جاءهم النذر ويحتمل ان يكون جمع نذير
وهو الرسول المخوف ويحتمل ان يكون المراد به الانذار على ما بيناه ومعناه انه جاءهم التخويف
من معاصي الله والوعيد عليها ثم اخبر عنهم بانهم كذبوا باياتنا يعني بحججنا وبراهيننا
كلها وآل فرعون خاصته الذين كانوا يضافون اليه بالقرابة والموافقة في المذهب
ويقال آل القرآن آل الله لانه بمنزلة الآل في الخاصة والاضافة والانذار الاعلام
بموضع المخافة ليتقى والنذر والانذار مثل النكر والانكار وهو جمع نذير وهم الرسل والذي
الى تكذيب الرسل الشبهة الداخلة على العقلاء والتقليد والعادة السيئة وغير ذلك
ثم اخبر تعالى انه اخذهم بالعذاب والاهلاك اخذ عزيز وهو القادر الذي لا يقهر ولا
ينال مقتدر على جميع ما يريده لكثرة مقدوراته ثم قال اكفاركم يعني كفار قريش واهل
مكة خير من اولئكم الكفار والمعنى انهم ليسوا بخير من كفار قوم نوح وعاد وثمود وقوله
ام لكم براءة في الزبر ومعناه الكم براءة في الكتب المنزلة من عذاب الله وقوله ام يقولون
نحن جميع منتصر قال الزجاج معناه ايقولون ذلك اذ لا لا يقومهم ويحتمل ان يكون المراد
نحن جميع اي يد واحدة على من قاتلنا وخصومتنا منتصر اي ينفع عنا وينتصر بعضنا لبعض
فقال الله تعالى مكذبا لظنونهم سيهزم الجمع معناه ان جمعهم سيهزم ويولون الدبر
على اعقابهم ويهربون هاربين وكان كذلك فكان موافقته لما اخبر به معجزا له لانه اخبار
بالغيب قبل كونه وانهزم المشركون يوم بدر وقتلوا وسبوا على ما هو معروف ثم قال
بل الساعة يعني القيامة موعدهم للجزاء لهم بانواع العقاب والنيران وقوله والساعة
ادهى وامر فالادهى الاعظم في الدهاء والدهاء عظم سبب الضرر مع شدة انزعاج

لنفوسهم

النفس وهون الداهية وجمعه دواه والداهية البلية التي ليس في ازالتها حيلة والمراد
ان ما يجري عليهم من القتل والاسر عاجلا لا يخلصهم من عذاب الاخرة بل عذاب الاخرة
ادهى وامر والامر الاشد في المرارة وهي ضرب من الطعم به يكون الشيء مرا ويحمل الامر
الاشد في الاستمرار البلاء لان الاصل النفود وقيل مرارة لشدة مرورها وطلبها
الخروج بحدة وقيل الامر الاشد مرارة من القتل والاسر قوله تبارك وتعالى
ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر
انا كل شيء خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد اهلكنا اشياعكم
فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين
في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، تسع آيات
ثم اخبار من الله تعالى بان المجرمين الذين ارتكبوا معاصي الله وتركوا طاعاته في ضلال
وسعر ومعناه في ضلال من الحق وعدول عنه وفي سعر يعني في عذاب النار يسعر بهم ومعناه
انهم يصيرون اليه وانما جمع بين الضلال والسعر لانه لازم لهم ومنعقد عليهم وان كان
الضلال بعصيانهم والسعر بالعقاب على الضلال وكانهم قد حصلوا فيه لحصولهم في سببه
الذي يستحق به وقيل معنى في ضلال يعني في ذهاب عن طريق الجنة والاخرة وفي نار
مسعرة وقوله يوم يسحبون اي يوم يجرون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر
اي يقال لهم بعد ذلك ذوقوا مس سقر وهو كقولهم وجد مس الحمى وكيف ذقت
طعم الضرب وقيل ان سقر جهنم وقيل هو باب من ابوابها ولم تصرف للتعريف والتانيث
ولما وصف العقاب قال انا كل شيء خلقناه بقدر اي العقاب على مقدار الاستحقاق
الذي تقتضيه الحكمة وكذلك غيره في كل خصلة وفي نصب كل ثلاثة اوجه احدها
على تقدير انا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر الثاني انه جاء على زيدا ضربته الثالث
على البدل الذي يحمل عليه كانه قال ان كل شيء خلقناه بقدر اي هو مقدر في اللوح

خطف البصر
المحفوظ وقوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر اللمح خطف البصر والعين وما امرنا اذا اردنا
ان يكون شيئا الا مرة واحدة انما نقول له كن فيكون اي هذه منزلته في سرعته وانطباق
ثم قال تعالى مخاطبا الكفار قريش وغيرهم ولقد اهلكنا اشياعكم يعني ابناء جنسكم
في كفرهم بعبادة الاوثان تابعوا اقرنا بعيد وقيل في الاهلاك بعذاب الاستيصال
الشيعة اتباع القائد الى امر وقيل العين ولقد اهلكنا اشياعكم من هو منكم كما اخبر
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتى لكرامته فهل من متعظ وقال الحسن هو على الامم الماضية
فهل من مدكر معناه فهل من متذكر لما توجبه هذا الوعظ من الانزجار عن مثل ما
سلف من اعمال الكفار لئلا يقع به ما وقع بهم من الاهلاك وقوله وكل شيء فعلوه
في الزبر يعني في الكتب التي كتبها الحفظة وقال ابن زيد في الكتاب وقال الضحاك
في الكتب وقوله وكل صغير وكبير مستطر معناه قال ابن عباس ومجاهد
وقتادة والضحاك وابن زيد مكتوب وقيل معناه ان جميع ذلك مكتوب مسطور في
الكتاب المحفوظ لانه من اعظم العبرة في علم ما يكون قبل ان يكون على التفصيل ثم
قال تعالى ان المتقين يعني الذين اتقوا معاصيه وفعلوا واجباته في جنات يعني بساتين
تجنها الاشجار ونهر اي وانهار فوضع نهرا في موضع انهار لانه اسم جنس
يقع على القليل والكثير والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء وهو خلاف الجدول
لانه المجرى الصغير الشديد الجري من مجاري الماء في مقعد صدق ومعناه في مجلس
حق لا لغو فيه ولا تاثيم عند مليك مقتدر اي بالمكان الذي كرمه لاولياء الملك
المقتدر وقيل في مقعد صدق عند المليك المقتدر بما هو عليه من صلاد وام النعمة وقال
قال الفراء معنى في جنات ونهر اي في ضياء وسعة ويقال انهر دمه اذا سال وانهر بطنه
اذا اجاء بطنه مثل جري النهر سورة الرحمن ، قال قوم هي مكية وقال اخرون
هي مدنية وهي ثمان وسبعون آية في الكوفي وست في البصري وسبع في المدنيين

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان ان لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فباي الاء ربكما تكذبان ٤ ثلث عشر اية ٤ الحب ذا العصف بالنصب شامي والريحان حمزة كوفي غير عاصم عد الكوفيون الرحمن اية مع انه ليس علته لانه في نعت بسم الله الرحمن حتى تصح الفاصلة وهو خبر مبتدا محذوف نحو قوله سورة انزلناها اي هذه سورة انزلناها ومعنى الرحمن هو الذي وسعت رحمته كل شي فلذلك لا يجوز ان يوصف به الا الله تعالى فاما الرحيم والراحم فيجوز ان يوصف بهما وقوله علم القرآن فالتعليم تبيين ما به يصير من لم يعلم عالما والاعلام ايجاد ما به يصير عالما وفي قوله الرحمن علم القرآن تذكير بالنعمة فيما علم من الحكم بالقرآن التي يحتاج اليها الناس في دينهم ليؤدوا ما يجب عليهم وينالوا الفضل بطاعة ربهم ويستوجبوا به الثواب وينالوا الرضوان وقوله خلق الانسان معناه انه الذي اخترع الانسان واخرجه من العدم الى الوجود وقيل المراد بالانسان ههنا آدم وقيل محمد صلى الله عليه وآله وقيل جميع الناس فهو اسم الجنس وجميعهم علمه البيان وقوله علمه البيان اي خلق فيه التمييز الذي بان به من سائر الحيوان وقيل معناه علمه الكلام الذي يبين به عن مراده ويتميز به من سائر الحيوان الثاني علمه الادلة الموصلة الى العلم وقيل البيان اظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غيره كتمييز رجل من معنى فرس ومعنى قادر من معنى عاجز ومعنى عام من معنى خاص ومعنى شي من معنى هذا بعينه وفيه تنبيه على انه تعالى خلق الانسان ثم علمه البيان خلافا لقول من يقول من الجهال ان الانسان لم يزل عالما بالاشياء وانما يحتاج غير عالم

فيه الى تذكير فكيف يكون عالما من لم يخلق بعد او لا الفتاوى وقلة التحصيل وقوله والشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحسبان فاضمر يجريان وحذف لدلالة الكلام عليه فكان ارتفاع الشمس بالفعل المقدر وقال قوم ارتفعا بتقدير هما بحسبان اي بحساب والمعنى علمه البيان ان الشمس والقمر بحسبان وقيل المعنى ان امرهما يجري في الادوار على مقدار من الحساب على ما وصفه حكيم عليم بتدبير صحيح قد كان يمكن وضعهما على خلافه غير انه اختار ذلك لاستغناء العباد بها في وجوه المنافع وما في ذلك من الصلاح وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد بحساب ومنازل يجريان فيها لا يعدوانها وقيل ان القمر يقطع بروج السماء في ثمانية وعشرين يوما والشمس تقطع ذلك في ثلثمائة وخمسة وستين يوما وقوله بحسبان خبر الشمس والقمر على قول من رفعهما بالابتداء وحسبان مصدر حسبته احسبه حسبانا نحو الشكران والكفران وقيل هو جمع حساب كشهاب وشهبان وقوله والنجم والشجر يسجدان فالنجم من النبات ما طلع يقال نجم ينجم اذا طلع ونجم القرآن والنبات اذا طلعا وبه سمي نجم السماء وهو الكواكب لطلوعه والنجم ههنا النبت الطالع من الارض وهو النبات الذي ليس له ساق في قول ابن عباس وسعيد وسفيان وقال مجاهد هو نجم السماء وبه قال قتادة والاول اقوى لمصاحبته الشجر والشجر النبات الذي له ساق في قول ابن عباس وقتادة وسعيد وسفيان والشجر عند اهل اللغة النبات الذي له ساق وورق واغصان يبقى ساقه على دور الحول من الزمان واكثر مما له ثمار تجتنى على ما دبرها صانعها من الالوان بها في اوانها وقوله يسجدان اخبار من الله تعالى بانهما يسجدان وسجودهما هو ما فيهما من الاية الدالة على حدوثهما وعلى وجوب الخضوع لله والتذلل لما خلق فيهما من الاقوات المختلفة في النبات للناس وغيرهم من الحيوان والاستمتاع باصناف الثمار والفواكه والرياض اللذيذة فلا شي ادعى الى الخضوع والعبادة لمن انعم بهذه النعمة الجليلة مما فيه مثل الذي ذكرنا في النجم والشجر

وقال مجاهد وسعيد بن جبير سجودهما ظلالهما الذي يلقيانه بكرة وعشيا فهذا جميع
لا ظلال له وهو يقتضي الخضوع بما فيه من دليل الحدث الذي لا بد له من محدث قادر لا يعجزه
شيء وقوله والسماء رفعها اي رفع السماء فوق الارض للاعتبار بها والتفكر فيها
وانه لا يقدر على رفعها غير القادر لنفسه الذي لا يعجزه شيء ولا يماثله موجود وقوله
ووضع الميزان فالميزان آلة التعديل في النقصان والرجحان والوزن تعديل في ذلك ولولا
الميزان لتعذر الوصول الى كثير من الحقوق فلذلك للتنبيه على النعمة بها والهداية اليه وقوله
الا تطغوا في الميزان نهي كانه قال اي لا تطغوا الا ان تكون بمعنى اي ويجوز
ان تكون علة وتقديره ووضع الميزان لان لا تطغوا وانما اعاد ذكر الميزان من غير اضمار
لئلا يكون الثاني مضمنا بالاول وليكون قائما بنفسه في النهي عنه اذا قيل الا تطغوا
في الميزان وقيل لانه نزل في وقتين والاول احسن وقيل المراد بالميزان العدل لكن
لان القادر لا سواه بين الاسباب والطغيان الافراط فيها وزحت العدل وقيل لا تطغوا فيه
لان ما لا بعض في الوزن موضوع عنه وقال الزجاج تقديره فعلت ذلك لئلا
تطغوا ويحتمل ان تكون هنا معترضة ويجوز ان تكون للنفي بمعنى اي مفسرة وقوله واقيموا
الوزن بالقسط امر من الله تعالى ان يقيموا الوزن اذا ارادوا الاخذ او الاعطاء بالقسطاس
بالعدل ولا تخسروا الميزان يعني لا تنقصوه والخسران نقصان اصل المال وهو ذهاب
ما كان من راس المال خسر يخسر خسرانا وخسره تخسيرا فهو خاسر ومخسر قال
الزجاج في لغتهم اخسرت الميزان وخسرت هي لغة خسرت لا تخسروا بفتح التاء وقد قرا به
بعض المتقدمين شاذا لا يؤخذ به وقوله والارض وضعها للانام ليستقروا عليها
وقال ابن عباس الانام كل شيء فيه روح وقال الحسن الانام الانس والجن وقال
قتادة الانام الخلق ويجوز ان تكون الانام من ونم الذباب اذا صوت من نفسه وسمي
كل ما يصوت من نفسه اناما وقلبت الواو همزة كقولهم اناة من وناة ثم بين وجه

النافع

المنافع للخلق بوضع الارض فقال فيها فاكهة وهي انواع الثمار التي توجد من الشجر فيها انواع
الملاذ وفنون الامتاع فسبحان الذي خلقه لعباده واجرى فيه ضروب الطعوم بلطفه وكله
يسقى بماء واحد في الارض ولحام من شجرة يابسة تنقلب الى حال الغضاضة والنضرة ثم تحمل
الثمرة الكريمة وكل ذلك يبين العبد وعلم المؤكر وقوله والنخل ذات الاكمام
اسم جنس يقع على القليل والكثير وواحده نخلة وهو يذكر ويؤنث والاكمام
جمع كم وهو وعاء ثمر النخل تكمم في وعائه اذا اشتمل عليه وقيل الاكمام ليف النخلة
التي تكمم فيه في قول الحسن وقتادة وقال ابن زيد الاكمام الطلع الذي فيه ثمر النخلة
وقال الزجاج كم القميص من هذا لانه يغطي اليد وقوله والحب ذو العصف والريحان
قال ابن عباس وقتادة وابن زيد العصف التبن لان الرياح تعصفه اي تطيره بشدة
هبوبها ومنه الريح العاصف قال علقمة بن عبدة يسقى مذانب قد مالت عصيفتها
حدورها من اتي الماء مطموم وهو دقاق الزرع اذا يبس عصفته الريح وقيل العصف
التبن ويقال له العصيفة والحب حب الحنطة والشعير ونحوهما والريحان الرزق في قول
ابن عباس ومجاهد والضحاك وقال الحسن وابن زيد الريحان هو الذي يشم وفي رواية
اخرى عن ابن عباس والضحاك ان الريحان الحب والعرب تقول خرجنا نطلب ريحان الله
اي رزقه ويقال سبحانك وريحانك اي رزقك قال النمر بن تولب
سلام الاله وريحانه وجنته وسماء درر وقرا اهل الكوفة الا عاصما والريحان جرا على
تقدير وذو الريحان الباقون بالرفع عطفا على الحب وقرا ابن عامر وحده والحب ذا
العصف والريحان بالنصب فيهما كلاهما على تقدير وخلق الحب ذا العصف وخلق الريحان
الباقون بالرفع على تقدير وفيها الحب ذو العصف وفيها الريحان وقوله فباي
الاء ربكما تكذبان قال ابن عباس والحسن وقتادة معناه فباي نعمة يا معشر الجن و
الانس تكذبان وريحان اصله ريحان مخفف والجمهور ريوحان على وزن فيعلان

فلما التقت الواو والياء والاولى ساكنة قلبوا الواو ياء وادغموا ثم خففوا كراهية التشديد
كما قالوا هين لين **قوله تبارك وتعالى** خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق
الجان من مارج من نار فباي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين
فباي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فباي آلاء ربكما
تكذبان ثمان آيات يقول الله تعالى انه خلق الانسان وانشاه ويعني به آدم عليه السلم
من صلصال وهو الطين اليابس الذي تسمع له صلصلة في قول قتادة كالفخار
اي مثل الطين الذي طبخ بالنار حتى صار خزفا وخلق الجان من مارج من نار فالمارج
هو المختلط الاحمر قال الحسن ابليس ابو الجن وهو مخلوق من لهب النار كما ان آدم ابو
البشر مخلوق من طين وصف الله تعالى الانسان الذي هو آدم انه خلقه من صلصال
وقال في موضع آخر من طين لازب وقال في موضع آخر من حمإ مسنون وفي موضع آخر
خلقه من تراب واختلاف هذه الالفاظ لا تناقض فيها لانها ترجع الى اصل واحد
وهو التراب فجعله طينا ثم صار كالحمإ المسنون ثم يبس فصار صلصالا كالفخار وقوله
فباي آلاء ربكما تكذبان معناه فباي نعم ربكما يا معشر الجن والانس تكذبان
وانما كررت هذه الآية لانه تقرير بالنعمة عند ذكرها على التفصيل نعمة نعمة كانه قيل
باي هذه الآلاء تكذبان ثم ذكرت آلاء اخر فاقتضت من التقرير بها ما اقتضت الاولى
ليتامل كل واحد في نفسها وفيما يقتضيه صفتها من حقيقتها التي تنفصل بها من غيرها
وقوله رب المشرقين ورب المغربين تقديره هو رب المشرقين فهو خبر ابتداء ولو
قرئ بالخفض ردا على قوله فباي آلاء ربكما لكان جائزا غير انه لم يقرا به احد والمعنى
انه الخالق لمشرق الشتاء والصيف وهو عند غاية طول النهار في الصيف وغاية قصره
في الشتاء ورب المغربين مثل ذلك وهو قول مجاهد وقتادة والمشرق موضع شروق
الشمس وهو طلوعها تقول شرقت الشمس تشرق شروقا اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت

در المختلط

التذكير وصه

وصف

وصفت والمغرب موضع غروب الشمس والغروب مصيرها في المغيب غربت تغرب غروبا ومنه
الغرابيب وهو الصائر في حد الغائب عن العين واصله الحد ومنه الغروب مجاري الدموع
لانها تجري من حدها الى الخد وقوله فباي آلاء ربكما تكذبان فباي نعمة ربكما معاشر
الجن والانس تكذبان وقد بينا الوجه في تكراره وواحد الآلاء الى على وزن معا
والى على وزن قفا عن ابي عبيدة وقوله مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان
معنى مرج ارسل في قول ابن عباس وقال الحسن وقتادة البحران بحر فارس والروم
وقال ابن عباس بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام وقيل البحران الملح
والعذب وقيل مرج البحرين خالط طرفيهما عند التقائهما من غير ان يختلط جملتهما
لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على الآخر بقلبه الى مثل حاله في الملوحة او العذوبة وفرق
مرج معناه ارسل باذهاب الشيئين فصاعدا في الارض فمرج البحرين ارسلهما بالاجراء
في الارض يلتقيان ولا يختلطان ذلك تقدير العزيز العليم والبرزخ الحاجز بين الدنيا
والآخرة وقال قتادة الحاجز ان يبغي الملح على العذب او العذب على الملح وقال
مجاهد معنى لا يبغيان لا يختلطان وقال قتادة معناه لا يبغيان على الناس والغرق
بتحين الشمس انها تجري دائبة بمنافع الخلق في الدنيا والدين فباي آلاء ربكما معاشر
الجن والانس تكذبان **قوله تبارك وتعالى** يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
فباي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فباي آلاء ربكما
تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فباي آلاء ربكما
تكذبان يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن فباي آلاء ربكما تكذبان
تسع آيات قرأ المنشآت بالكسر حمزة ويحيى وقوله يخرج منهما بفتح الياء اهل
الكوفة وابن كثير وابن عامر اسند الفعل الى اللؤلؤ والمرجان الباقون على ما لم
يسم فاعله واما الجار فاسناد الفعل الى الجوار واللؤلؤ والمرجان كما قالوا نبت نبذ

ومرض عمرو وما اشبه ذلك مما يضاف الفعل اليه اذا وجد منه وان كان في الحقيقة
لغيره وكان المعنى المنشآت السير فحذف المفعول واضاف السير اليها اتكالا لان
سيرها انما يكون بهبوب الريح وقال الزجاج من فتح الشين اراد المرفوعات
الشرع وبالكسر الحاملات الرافعات الشرع لما ذكر الله تعالى النعمة على الخلق
بمرج البحرين اللذين يلتقيان وانهما مع ذلك لا يبغيان بين انهما بعضا فيما من النعمة فقال
يخرج منهما ايضا من البحرين اللؤلؤ والمرجان فاللؤلؤ معروف ويقع على الصغار والكبار
يخرج من البحر وقال ابن عباس اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره وبه قال
الحسن وقتادة والضحاك وسمي المرجان بذلك لانه ضرب من الجوهر كبير مختلط من مرجت
اي خلطت وانما جاز ان يقول يخرج منهما وهو يخرج من الملح دون العذب لان العذب
والملح يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح كما يقال يخرج الولد من الذكر والانثى
وانما تلده الانثى وقال قوم لا يخرج اللؤلؤ الا من الموضع الذي يلتقي فيه العذب يلتقي
والملح وذلك معروف عند الغواصين وقال الزجاج لانه اذا اخرجهن احدهما
فقد اخرج منهما لانه داخل فيهما وقال ابن عباس اذا جاء القطر اللؤلؤ وقال
قوم المعنى من جهتها ولا يجب انه من كل واحد منهما والاول وجه التاويل وقوله
وله الجوار المنشآت الجوار جمع جارية وهي السفينة لانها تجري في الماء بامر الله تعالى
والجارية المراة الشابة لانه يجري فيها ماء الشباب والمنشآت المبتدآت للسير برفع القلاع
وقال مجاهد ما رفع له القلاع فهو منشأ وما لم يرفع قلاعه فليس بمنشأ فجعل الانشاء
برفع القلاع والاعلام الجبال واحدها علم سمي بذلك لارتفاعه كارتفاع الاعلام
المعروفة وقال جرير اذا قطعن علما بدا علم ٥ وقيل كالاعلام في العظم و
قوله كل من عليها فان اخبار من الله تعالى ان جميع من على وجه الارض من العقلاء
يفنون ويخرجون من الوجود الى العدم واذا ثبت ذلك وكانت الجواهر لا تفنى لا بتناء

والمرجان ضرب من الجوهر كالقضبان صح

من السماء تفتحت الاصداف وكان ذلك القطر صح

تعالى

تعالى ها على الوجود فاذا وجد الفناء انتفت الجواهر كلها لانه لا اختصاص له بجوهر دون
جوهر فالاية دالة على عدم جميع الاجسام على ما قلناه لانه اذا ثبت عدم العقلاء بالاية
ثبت عدم غيرهم لان احدا من الامة لا يفرق بين الموضعين وقوله ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام معناه ويبقى ربك الظاهر بادلته كظهور الانسان بوجهه فالوجه
يذكر على وجهين احدهما بعض الشيء كوجه الانسان والثاني بمعنى الشيء المعظم في الذكر
كقولهم هذا وجه الرأي وهذا وجه التدبير اي هو التدبير وهو الرأي والاكرام
والاعظام بالاحسان فالله تعالى يحق الاعظام بالاحسان الذي هو في اعلى مراتب
الاحسان ومعنى ذو الجلال ذو العظمة بالاحسان وقوله يسأله من في السموات
والارض كل يوم هو في شأن معناه يسأل الله تعالى من في السموات والارض من العقلاء
حوائجهم ويتضرعون اليه ثم قال كل يوم هو في شأن فالشأن معنى له عظم ولذلك
قال كل يوم هو في شأن ويقال لا يشغله شأن عن شأن والمعنى ان كل يوم الله تعالى
في شأن من احياء قوم واماتة آخرين وعافية قوم ومرض آخرين واهلاك فرق
وحرمان وغير ذلك من الامور والنعمة في كل من عليها فان التسوية بين الخلق في الفناء
وقوله فباي آلاء ربكما تكذبان قد مر تفسيره قوله تبارك وتعالى
سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ
فَلَا تَنْتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧ آيات قرأ شواظ بكسر
الشين اهل مكة الباقون بضمها وهما لغتان مثل صوار وصوار وقرأ
ونحاس بالجر اهل مكة والبصرة غير يعقوب عطفا على نار الباقون بالرفع عطفا
على شواظ وقرأ اهل الكوفة الا عاصما سيفرغ على تغيير سنفرغ الله الباقون

بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه ومعنى قوله سنفرغ لكم من ابلغ الوعيد
واعظم التهديد وقيل في معناه قولان احدهما سنفرغ لكم من الوعيد وينقضي
ويأتيكم المتوعد به فشبه ذلك بمن فرغ عن شيء واخذ في غيره الثاني انا سنعمل عمل
من يتفرغ للعمل لتجويده من غير تضجيع فيه كما يقول القائل سأتفرغ لك والله تعالى
لا يشغله شيء عن شيء لانه من صفات الاجسام وهو من ابلغ الوعيد لانه يقتضي ان يجازى
بصغير ذنبه وكبيره اذا كان مستحقا لسخط الله والفراغ انتفاء الشاغل عن القادر
عليه والشغل والفراغ من صفات الاجسام التي تحلها الاعراض وتشغلها عن الاضداد
في تلك الحال ولذلك وجب ان يكون في صفة القديم تعالى مجازا وقوله ايها
الثقلان خطاب للجن والانس وانما سميا ثقلين لعظم شأنهما بالاضافة الى ما في الارض
من غيرهما فهما اثقل وزنا لعظم الشأن بالعقل والتمكين والتكليف لاداء الواجب
في الحقوق ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب
الله وعترتي يريد عظيمي المقدار فلذلك وصفهما بانهما ثقلان وقوله ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض قال الضحاك ان استطعتم ان تنفذوا هاربين
من العذاب يقال لهم ذلك اليوم يعني يوم القيامة وقال قوم معناه ان استطعتم
ان تنفذوا هاربين من الموت فاهربوا فانه حيث كنتم ادرككم الموت وقال
ابن عباس معناه ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا انه لا يمكنكم
ذلك وقوله لا تنفذون الا بسلطان معناه الا بحجة وبيان وقيل معناه الا بملك
وقهر وليس لكم ذلك وقال الزجاج المعنى فانفذوا ولن تنفذوا الا بسلطان حيثما كنتم
شاهدتم حجة الله وسلطانه الذي يدل على توحيده وواحد الاقطار قطر وهي
الاطراف في قول سفيان فانفذوا في صورة الامر والمراد به التحدي ثم قال
لا تنفذون الا بسلطان وهو القوة التي يتسلط بها على الامر فبأي آلاء ربكما تكذبان

وقد قررناه وفائدة الاية زجر الثقلين عن الهرب من الجزاء لعجزهم عن النفوذ من الاقطار
وفي ذلك اليأس من رفع الجزاء بوجه من الوجوه فليتخل امرؤ مما يجاد لنفسه مما يجازى
به وقوله يرسل عليكما شواظ من نار الشواظ لهب النار في قول ابن عباس
ومجاهد وقتادة ومنه قول رؤبة ان لهم من وقعنا اقياظا ونار حرب تسعر الشواظا
والنحاس الصفر المذاب للعذاب في قول ابن عباس ومجاهد وسفيان وقتادة وفي رواية
اخرى عن ابن عباس وسعيد النحاس الدخان قال النابغة الجعدي ٥٦
يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا اي دخانا والسليط دهن السمسم
وقال قوم هو دهن السنام وقال الفراء هو دهن الزيت وقوله فلا تنتصران اي
لا تقدران على دفع ذلك عنكما ووجه النعمة في ارسال الشواظ من النار والنحاس
على الثقلين هو ما لهم في ذلك من الزجر في دار التكليف عن مواقعة القبيح وذلك
نعمة جزيلة فلذلك قال فبأي آلاء ربكما معاشر الجن والانس تكذبان ٥٧
قوله تبارك وتعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان فبأي
آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فبأي
آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين
حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان ٩ تسع آيات يقول الله تعالى اذا
انشقت السماء ومعناه انفك بعضها عن بعض فالسماء تنشق يوم القيامة وتصير حمراء
كالوردة ثم تجري كالدهان قال الفراء الوردة الفرس الوردة وقال الزجاج
تتلون كما تتلون الدهان المختلفة اي فكانت كلون فرس ورد وهو الكميت يتلون
في الشتاء بخلاف لونه في الصيف وكذلك في الفصول سبحان خالقها والمصرف لها
كما يشاء والوردة واحدة الورد وانما تصير السماء كالوردة في الاحمرار ثم تجري كالدهان

وهو جمع دهن كقولك قرط وقراط عند انقضاء العمر وتناهي المدة وقال الحسن هي
كالدهان التي يصب بعضه على بعض بألوان مختلفة وقيل معناه كالدهان صافية
وقال قتادة لونها يومئذ الحمرة كالدهان في صفاء الدهن واشراقه وقال قوم ان السماء
تذوب يوم القيامة من حر نار جهنم فتصير حمراء ذائبة كالدهن قال الجبائي وروي ان
السماء الدنيا من حديد وفي الآية دلالة عليه وليس في الآية ما يدل على ما قاله لاحتمال
ذلك ما قاله المفسرون والاقوال التي ذكرناها وقال الفراء الدهان الاديم الاحمر ووجه
النعمة في انشقاق السماء حتى وقع التقرير بها في قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان
هو ما في الاخبار به من الزجر والتخويف بانشقاق السماء فوقع بالسبب ولا يصلح في
السبب ان يكون منفعة ولكن لسبب النفع الذي هو الزجر في دار الدنيا فلذلك وقع
التقرير بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس
ولا جان معناه لا يسأل في ذلك المواطن لما يلحقهم من الدهش والذهول الذي تحار له
العقول وان وقعت المسألة في وقت غيره بدلالة قوله وقفوهم انهم مسؤولون
وقال قتادة يكون المسألة قبل ان يختم على الافواه عند الجحد فينطق الجوارح وقيل
معناه انه يومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان ليعرف المذنب من المؤمن المخلص لان الله
تعالى قد جعل عليهم علامة بسواد الوجوه وقبح الخلق ولم يدخل في ذلك سؤال المحاسبة
للتوبيخ والتقريع لانه تعالى قال وقفوهم انهم مسؤولون وتقدير الآية فيومئذ لا يسأل
انس عن ذنبه ولا جان عن ذنبه وقيل يجوز ان يكون المراد انه لا يسأل احد من انس ولا
جان عن ذنبه غيره وانما يسأل هو سؤال توبيخ عن فعل نفسه وقوله يعرف المجرمون ذنب
بسيماهم معناه ان الله تعالى جعل للكفار والعصاة علامات يعرفهم بها الملائكة فالسيما
العلامة ومنه قوله سيماهم في وجوههم من اثر السجود وهو مشتق من السوم وهو
رفع الثمن عن مقداره ومنه مسومين معلمين بعلامة والعلامة يرفع باظهارها النفع

والمعرفة

والمعرفة هي العلم عند المتكلمين وقال بعض النحويين ان متعلق المعرفة المفرد ومتعلق
العلم الجملة كقولك لم عرفت زيدا وعلمت زيدا قائما ولو جئت بقائم في عرفت لكان حالا
ولم يخرج عن معرفة زيد وقوله فيؤخذ بالنواصي والاقدام قال الحسن يجمع بين
ناصيته وقدمه بالغل ثم يسحب الى النار والناصية شعر مقدم الرأس ومنه ناصية الكرم
سحقته ومنه قوله تعالى لنسفعا بالناصية اي لنغيرن بها ما تحته النار اذ لا تحلها واصل
الاتصال من قول الشاعر في ناصيتها بالوادي اي يتصل بها فالناصية متصلة
بالرأس والاقدام جمع قدم وهو العضو الذي يقدمه صاحبه للوطء به على الارض وقيل
تأخذهم الزبانية بنواصيهم واقدامهم فتسحبهم الى النار اي تأخذ تارة بذا وتارة بذا
وقال الحسن وقتادة يعرفون بانهم سود الوجوه زرق العيون كما قال يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه فبأي آلاء ربكما تكذبان وجه النعمة بذلك ما فيه من الزجر عن المعاصي
والترغيب في الطاعات وذلك نعمة من الله على العباد في الدين وقوله هذه جهنم
التي يكذب بها المجرمون معناه يقال لهم يوم القيامة اذا شاهدوا جهنم هذه جهنم
ويحتمل ان يكون المراد هذه جهنم التي وصفناها هي التي تكذب بها المجرمون الكفار
ثم انه يطوفون بينها وبين حميم آن قيل يطوفون بين اطباقها في عذاب النار وبين
الحميم الآني والحميم الماء الحار والآني الذي بلغ نهايته والمراد هاهنا هو الذي قد بلغ نهاية
حره من انى يأني انا فهو آن ومنه قوله غير ناظرين اناه يعني نضاجه وبلوغه
غايته فبأي آلاء ربكما تكذبان والاخبار بذلك لطف وزجر عن المعاصي فلذلك
كانت نعمة اعتد بها وقررها قوله تبارك وتعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما من كل زم
تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما

تكذبان عشر آيات ٥ ولما وصف الله تعالى ما اعد للكفار من انواع العذاب بين
بعد ذلك ما اعد للمؤمنين والمتقين فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان والمعنى ولمن خاف
المقام الذي يقفه فيه ربه للمسألة عما عمل فيما يجب عليه مما امره به او نهاه عنه فيكفه
ذلك عما يدعوه هواه اليه ويصبر صبرا يوثر الهدى على طريق الردى والمقام الموضع
الذي يصلح للقيام فيه وبضم الميم الموضع الذي يصلح للاقامة فيه والجنتان اللتان
وعد الله من وصفه بما قيل هما جنتان احدهما داخل قصره والاخرى خارج
قصره على ما طبع الله تعالى العباد عليه من شهوة ذلك وجلالته فشوقوا الى ما في
طباعهم شهوة مثله ثم وصف الجنتين فقال ذواتا افنان والافنان جمع فن وهو
الغصن الغض الورق ومنه قيل لهم فنون وقيل افنان اي نوع آخر وفيه
فنون اي ضروب مختلفة ويجوز ان تكون جمع فن وقال ابن عباس معناه ذواتا
الوان وقال عكرمة ظل الاغصان على الحيطان وقال الضحاك ذواتا
الوان في الفواكه وقال مجاهد ذواتا اغصان وقال قتادة ذواتا الوان تفضل بها
على ما سواها فباي آلاء ربكما تكذبان قد بيناه وقوله فيهما عينان تجريان
اخبار منه تعالى ان في الجنتين اللتين وعدهما المؤمنين عينين من الماء تجريان
بين اشجارها فالجاري هو الذاهب ذهاب الماء المطرد فكل ذاهب على هذه
الصفة فهو جار ووصفت بالعين لصفائها وبانها جارية لانه امتع لها فباي آلاء
ربكما تكذبان قد فسرناه وقوله فيهما من كل فاكهة زوجان معناه ان في تلك
الجنتين من كل ثمرة نوعين وضربين متشاكلين كتشاكل الذكر والانثى فلذلك
سماهما زوجين وذلك كالرطب واليابس من العنب والزبيب والتين الرطب واليابس
فكذلك سائر الانواع لا يقصر يابسه عن رطبه في الفضل والطيب الا انه امتع ولكن
بان تكون على هذا المنهاج وقيل فيهما من كل نوع من الفواكه ضربان ضرب معروف

وضرب من شكله غريب وكل ذلك للاطراف والامتاع فباي آلاء ربكما تكذبان
متكئين على فرش بطائنها من استبرق والاتكاء الاستناد للتكرمة والامتاع وهو
ما يطرح للانسان في مجالس الملوك للاكرام والاجلال انما يقال اتكأه فهو متكئ
ومنه وكات السقاء اذا شددته ومنه قوله العين وكاء الجنب والاتكاء شانه القوة
للاكرام والامتاع وهو نصب على الحال على فرش وهو جمع فراش وهو الموطا الممهد
للنوم عليه بطائنها وهو جمع بطانة وهي باطن الظهارة فالبطانة من اسفل والظهارة
من اعلاه وقوله وجنى الجنتين دان فالجنى الثمرة التي قد ادركت في الشجرة وصلحت ان
تجنى عقيبه قال ابن عباس هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه
والاستبرق الغليظ من الديباج في قول عكرمة وابن اسحق وقيل بطائنها لانه لا يرد
بك عنها تعد ولا تنوب في قول قتادة وقيل الظواهر من سندس وهو الديباج
الرقيق والبطائن من استبرق وهو الديباج الغليظ وقيل الاستبرق المتاع الصفي
من الحرير وهو بين الغليظ والرقيق وقال الفراء الاستبرق غليظ الديباج وقوله
فباي آلاء ربكما تكذبان قد تكرر تفسيره قوله تبارك وتعالى فيهن قاصرات
الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت
والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فباي آلاء
ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فباي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فباي
آلاء ربكما تكذبان ٥ عشر آيات قرا الكسائي لم يطمثهن بكسر احداهما
بالكسر فيهما وضم الاخرى والباقون بكسرهما وهما لغتان يقال طمثت المراة تطمث وتطمث
اذا حاضت قال الزجاج وغيره في الآية دلالة على ان الجني ينكح وقال الفراء لم يطمثهن
انس ولا جان لم يدمهن اي لم يفتضهن والطمث الدم والضمير في قوله فيهن
قاصرات عائد على الفرش التي بطائنها من استبرق لانه قد تقدم ذكره وكان

اولى بالعود عليه ولو لم يتقدم هذا الذكر لجاز ان يرجع الى الجان والى الجنتين المذكورين
وغيرهما من الجنان لانه معلوم لكن المذكور اولى لان اقتضاءه له اشد والقاصر
المانع من ذهاب النفس الجهة من الجهات فالحور قاصرات الطرف عن غير ازواجهن
الى ازواجهن والطرف جفن العين لانه طرف لها فيطبق عليها تارة وينفتح تارة وبينه
الاطراف بالاحمر لانه كالطرف الذى يليك تجده متى لاق وقوله لم يطمثهن
زيد وهو قبلهم معناه قول لن احدهما قال مجاهد وابن عكرمة لم يمسهن بجماع من
ماطمثهن قبلهم هذا البعير بجمل قط اى ما مسه جبل الثانى قال ابن عباس لم يدمهن
نكاح من قبلهم امرا فطامث اى حائض كانه قال هن ابكار لم يفتضهن احد قبلهم
والاصل المس كانه مسها دم الحيض وقيل انما نفى الجان لان المؤمنين منهم ازواجا
من الحور وهو حمزة بن حبيب قال البلخى المعنى ان ما يهب الله لمؤمنى الجن
من الحور العين لم يطمثهن جان وكما يهب لمؤمنى الانس لم يطمثهن انس على ان
هذا بالغة وقال حمزة بن حبيب فى الاية دلالة على ان للجن ثوابا فالانسيات
للانس والجنيات للجن فباى الاء ربكما تكذبان وقد مضى تفسيره وقوله كانهن
الياقوت والمرجان قال الحسن هن على صفاء الياقوت فى بياض المرجان وقيل
كالياقوت فى الحسن والصفاء والنور وقال الحسن المرجان اشد اللؤلؤ بياضا
وهو صغاره فباى الاء ربكما تكذبان وقد بيناه وقوله هل جزاء الاحسان الا
الاحسان معناه ليس جزاء من فعل الافعال الحسنة وانعم على غيره الا ان ينعم عليه
بالثواب ويحسن اليه فباى الاء ربكما تكذبان وقد مضى بيانه وقوله ومن دونهما
جنتان معناه ان من دون الجنتين اللتين ذكرنا لمن خاف مقام ربه جنتين
اخريين دون الاوليين وانهما اقرب الى قصره ومجالسه فى قصره ليتضاعف له السرور
بالتنقل من جنة الى جنة على ما هو معروف فى طبع البشر من شهوة مثل ذلك ومعنى

دون

دون مكان قريب من الشىء بالاضافة الى غيره مما ليس له مثل قربه وهو ظرف مكان وانما كان
التنقل من جهة الى جهة انفع لانه ابعد من الملل على ما طبع عليه البشر لان من الاشياء
ما لا يمل لغلبة محبته على النفس بالامر اللازم ومنها ما يمل لتطلع النفس الى غيره ثم الرجوع
اليه وقوله مدهامتان معناه خضراوان تضرب خضرتهما الى السواد من الرى
على اتم ما يكون من الحسن لان يشوق اليها وعد المطيعين فى خوف معاصيه بما فاتهم
حسن صفتهما وما تقتضيه ذكرهما فى موضعهما وقال ابن عباس وابن الزبير
وعطية وابو صالح وقتادة هما خضراوان من الرى وقال قوم الجنان الاربع لمن خاف
مقام ربه ذهب اليه ابن عباس وقال الحسن الاوليان للسابقين والاخريان
للتابعين قوله تبارك وتعالى، فيهما عينان نضاختان فباى الاء ربكما
تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فباى الاء ربكما تكذبان فيهن خيرات
حسان فباى الاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام فباى الاء ربكما تكذبان
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباى الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف
خضر وعبقرى حسان فباى الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال
والاكرام ٥ ثلث عشرة اية ٥ قرا اهل الشام ذو الجلال على الرفع على انه نعت للاسم الباقون
بالخفض على انه نعت لربك، قوله فيهما يعنى الجنتين اللتين وصفهما انهما مدهامتان
عينان نضاختان فوارتان بالماء وقيل نضاختان بكل خير والنضخ بالخاء اكثر من النضح بالحاء لان النضح بالحاء
غير المهملة الرش وبالخاء كالبرك والفوارة التى ترمى بالماء صعدا نضخ ينضخ نضخا فهو ناضخ
وفى نضاختان مبالغة ووجه الحكمة فى العين النضاخة ان النفس اذا رات الماء يفور كان امتع
وذلك على ما جرت به العادة فباى الاء ربكما تكذبان وقوله فيهما فاكهة ونخل ورمان
اخبار منه تعالى ان فى الجنتين المتقدم وصفهما فاكهة وهى الثمار ونخل ورمان ايضا

افرد ذكر النخل والرمان من الفاكهة وان كان من جملتها تنبيها على فضلهما وجلالة النعمة
بهما كما افرد ذكر جبريل وميكائيل في قوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
وميكال فان الله عدو للكافرين وقال قوم ليسا من الفاكهة بدلالة الاية وليس
لهم في ذلك حجة لاحتماله ما قلناه قال يونس النحوي النخل والرمان من افضل الفاكهة
وانما فصلا لفضلهما والنخل ثمره الرطب والتمر والرمان مشتق من رم يرم رما لانه من شانه
ان يرم الفؤاد بجلائه فباي الاء ربكما تكذبان قد مضى بيانه وقوله فيهن خيرات
حسان قال ابو عبيدة امراة خيرة ورجل خير والجمع خيرات والرجال اخيار قال الشاعر
ولقد طعنت بجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات وقال الزجاج اصل خيرات
خيّرات مخفف وفي الخبر المرفوع ان المعنى خيرات الاخلاق حسان الوجوه وانما قيل
المراة في الجنة خيرة لانها ما ينبغي ان يختار لفضلها في اخلاقها وافعالها وهي مع ذلك
حسنة الصورة فقد جمعت الاحوال التي تجل بها النعمة فباي الاء ربكما تكذبان قد بينا
معناه وقوله حور مقصورات في الخيام فالحور البيض الحسان البياض ومنه الدقيق
الحوارى لشدة بياضه والعين الحوراء اذا كانت شديدة البياض وشديدة السواد وبذلك
يتم حسن العين وقال ابن عباس والحسن ومجاهد الحور البيض وقوله مقصورات
اي قصرن على ازواجهن فلا يردن بدلا منهم في قول مجاهد والربيع وقيل معناه محبوسات
في الحجال في قول ابن عباس وابي العالية ومحمد بن كعب والضحاك والحسن وعلى وجه الصيانة
لهن والتكرمة لهن من البذلة وقال ابو عبيدة مقصورات اي مخدرات والخيام
جمع خيمة وهو بيت من الثياب على الاعمدة والاوتاد مما يتخذ للاصحار فاذا اصحرها الحور
كانت لهن الخيام في تلك الحال وغيرها مما ينفي الابتذال وقال الزجاج ههنا
الهوادج الخيام وقال عبد الله در مجوف على [illegible] البيت وقال ابن عباس بيوت
اللؤلؤ وقيل الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة الاف مصراع من ذهب فباي

الاء

الاء ربكما تكذبان قد مضى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان
قد مضى تفسيره قال البلخي في الاية دلالة على قول الحسن البصري ان الحور العين هن
ازواجهم في الدنيا اذا كن مؤمنات مطيعات لان الله قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا
جان وقال من نصر الحسن ان المراد لم يطمثهن بعد النشاة الثانية انس قبلهم
ولا جان وانما كرر قوله لم يطمثهن في الاية للبيان عن ان صفة الحور المقصورات في الخيام
كصفة القاصرات الطرف مع تمكين التشويق بهذه الحال الجليلة التي ترغب فيها لما [illegible]
سليمة وقوله متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان متكئين نصب على الحال وقد
فسرنا معناه والرفارف جمع رفرف وهي المجالس في قول ابن عباس وقتادة والضحاك
وقيل الرفرف هي فضول المجالس في قول ابن عباس للفرش وقال الحسن هي المرافق
وقيل الرفارف الوسائد وقيل الرفرف الروضة واصله من رف النبت يرف اذا صار
غضا نضيرا وقيل لما في الاطراف رفرف لانه كالنبت الغض الذي يرف من غضاضته
والخضر جمع اخضر والعبقري الزرابي في قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهي
الطنافس وقال مجاهد هو الديباج وقال الحسن هو البسط وقيل عبقر اسم بلد
ينسج به ضروب من الوشي الحسن قال زهير بخيل عليها جنة عبقرية جديرون
يوما ان ينالوا ويستعلوا وقيل الوشي من الديباج عبقري تشبيها بذلك ومن
قرا عباقري فقد غلط لانه لا يكون بعد الف الجمع اربعة احرف ولا ثلثة الا ان
يكون الثاني حرف لين نحو قناديل وقوله تبارك اسم ربك معناه تعاظم و
تعالى اسم ربك لانه يستحق ان يوصف بما لا يوصف به احد من كونه قديما والها
وقادرا لنفسه وعالما وحيا لنفسه وغير ذلك وقوله ذي الجلال والاكرام خفض
لانه بدل من قوله ربك ومعنى الجلال العظمة والاكرام الاعظام بالاحسان والانعام
وقال الحسن الاكرام الذي يكرم اهل دينه واوليائه ومن قرا ذو الجلال بالرفع

لاداه ان اسم الله فيه البركة واذا قرئ بالخفض دل على ان اسم الله غير الله لانه لو كان اسمه هو الله لجرى مجرى ذكر وجه الله تعالى انه لما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال رفعه لانه اراد الله تعالى وههنا جلاله

سورة الواقعة

هي مكية بلا اختلاف وهي ست وتسعون آية في الكوفي وسبع في البصري وتسع في المدنيين وروي عن مسروق انه قال من اراد ان يعلم نبأ الاولين ونبأ الاخرين ونبأ اهل الجنة ونبأ اهل النار ونبأ الدنيا ونبأ الاخرة فليقرأ الواقعة قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ست عشرة آية اذا متعلقة بمحذوف وتقديره اذكروا اذا وقعت الواقعة قال المبرد اذا وقعت معناه اذا يقع وانما وقع الماضي ههنا لان اذا للاستقبال ومعناه اذا ظهرت القيامة وحدثت والوقوع ظهور الشيء بالحدوث وقع يقع وقوعا فهو واقع والانثى واقعة والواقعة يقع الجزاء وقوله ليس لوقعتها كاذبة معناه قال الفراء ليس لها مردودة ولا رد وقيل ليس لوقعتها قضية كاذبة فيما اخبار الله تعالى بها ودلت الادلة العقلية عليها وقال قوم ليس لها نفس كاذبة في الخبر بها وقيل الكاذبة ههنا مصدر مثل العافية والعاقبة وقال الضحاك القيامة يقع بصيحة عند النفخة الثانية وقوله خافضة رافعة قيل تخفض قوما بالمعصية وترفع قوما بالطاعة لانها انما وقعت للمجازاة فالله تعالى يرفع اهل الثواب ويخفض اهل العقاب فهو مضاف الى الواقعة على هذا المعنى وقال الحسن تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة والقراء كلهم على رفع خافضة

لوقعتها

بتقدير هي خافضة رافعة وقرأ اليزيدي في اختياره بالنصب على الحال وتقديره اذا وقعت الواقعة تقع خافضة رافعة على الحال وقوله اذا رجت الارض رجا معناه زلزلت الارض زلزالا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والزلزلة الحركة باضطراب واهتزاز ومنه قولهم ارتج السهم عند خروجه من القوس وقيل ترتج الارض بمعنى انه يهدم ما على الارض وقوله وبست الجبال بسا معناه فتت فتا في قول ابن عباس ومجاهد وابي صالح والسدي وهو كما يبس السويق اي يلت والبسيس السويق او الدقيق تلت ويتخذ زادا وقال ليث بن عطفان لا تخبزا خبزا وبسا بسا ملساء بذود الحلسي ملسا وقال الزجاج يجوز ان تكون بمعنى بست سيقت وانشد وانبس حيات الكثيب الاهيل وقوله فكانت هباء منبثا فالهباء غبار كالشعاع في الرقة وكثيرا ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة النافذة فسبحان القادر على ان يجعل الجبال بهذه الصفة والانبثاث افتراق الاجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة فكل اجزاء افترشت بالتفرق في الجهات فهي منبثة وفي تفرق الجبال على هذه الصفة عبرة ومعجزة لا يقدر عليها الا الله تعالى وقوله وكنتم ازواجا ثلثة معناه كنتم اصنافا ثلثة كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة ولذلك قيل هذا على المزاوجة وقد زاوج بين الكلامين اي شاكل بينهما وقوله فاصحاب الميمنة يعني اصحاب اليمن والبركة والثواب من الله تعالى وقوله ما اصحاب الميمنة بصورة الاستفهام والمراد تعظيم شانهم في الخير عن حالهم واصحاب المشأمة معناه الشوم والنكد وعقاب الابد وقوله ما اصحاب المشأمة على تعظيم شانهم في الشر وسوء الحال وقيل اصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب المشأمة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وخبر اصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة كانه قيل اي شيء هم وفيه تعجب عن حالهم وقيل اصحاب اليمين الذين يعطون كتبهم بايمانهم واصحاب الشمال الذين ياخذون كتبهم بشمائلهم وقوله

كل بنات حج

والسابقون السابقون معناه الذين سبقوا الى اتباع الانبياء فصاروا ائمة الهدى وقيل
السابقون الى طاعة الله السابقون الى رحمته والسابقون الى الخير انما كان افضل لانه يقتدى
به في الخير ويسبق الى اعلا المراتب قبل من يجيء بعده فلهذا تميز السابق من التابعين بالاختيار
ولو اجتهد واكمل الاجتهاد والسابق الثاني يصلح ان يكون خبرا عن الاول كانه قال والسابقون
الاولون في الخير ويصلح ان يكون اولئك المقربون وقوله اولئك المقربون معناه الذين
قربوا من جزيل ثواب الله وعظيم كرامته بالامر الاكثر الذي لا يبلغه من دونهم في الفضل
والسابقون الى الطاعات يقربون الى رحمة الله في اعلا المراتب واقربها الى مجلس كرامته
بما يظهر لاهل المعرفة منزلة صاحبه في جلالته ويصل به السرور الى قلبه وانما قال
في جنات النعيم مع انه معلوم من صفة المقربين لئلا يتوهم ان التقريب يخرجهم الى دار اخرى
وانما هم يقربون من كرامة الله في الجنة لانها درجات ومنازل بعضها ارفع من بعض والفرق
بين النعيم والنعمة ان النعمة تقتضي شكر المنعم من انعم عليه نعمة وانعاما والنعيم من
نعم نعيما كقولك انتفع انتفاعا وقوله ثلة من الاولين فالثلة الجماعة واصل الثلة القطعة
من قولهم ثل عرشه اذا قطع ملكه بهدم سريره والثلة القطعة من الناس وقال
الزجاج الثل القطع والثلة كالفرقة والقطعة وهو خبر ابتداء محذوف وتقديره هم ثلة من الاولين
وهم قليل من الاخرين وقوله وقليل من الاخرين انما قال ذلك لان الذين سبقوا
الى اجابة النبي صلى الله عليه واله قليل من كثير ممن سبق الى النبيين وقوله على سرر موضونة
فالموضونة المنسوجة المتداخلة كصفة الدرع المضاعفة قال الاعشى ع
ومن نسج داود موضونة تساق الى الحي عيرا فعيرا ومنه وضين الناقة وهو البطان
من السيور اذا نسج بعضه على بعض مضاعفا وقيل موضونة مشبكة بالذهب في
الجوهر وقال ابن عباس ومجاهد موضونة بالذهب وقال عكرمة مشبكة
بالدر وقال ابن عباس في رواية اخرى موضونة معناه مضفورة والوضين حبل

منسوج من سيور وقوله متكئين عليها متقابلين معناه مستندين متحاذين كل واحد بازاء
الآخر وذلك اعظم في باب السرور والتقابل والتحاذي والتواجه واحد والمعنى ان بعضهم ينظر
الى بعض وينظر الى وجهه بعض لا ينظر في قفاه في حسن عشرة وتهذيب اخلاق قوله
تبارك وتعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من معين
لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور
عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا
تاثيما الا قيلا سلاما سلاما ع عشر آيات قرا ابو جعفر واهل الكوفة الا عاصما
وخلفا وحور عين خفضا الباقون بالرفع فمن رفع حمله على ولهم حور عين واختاروا
الرفع لان الحور العين لا يطاف بهن وانما يطاف بالكاس وعلى هذا يلزم ان يقرا وفاكهة
رفعا وكذلك ولحم طير بالرفع لانها لا يطاف بها فما اعتذروا في ذلك فهو عذر من قرا
بالخفض ومن خفض عطف على الاول لتشاكل الكلام من غير اخلال بالمعنى اذ هو نحو
قال الزجاج ويكون تقديره ينعمون بهذا وحور عين وقال ابو علي تقديره وفي
مجاورة حور عين او معانقة حور عين لان الكلام الاول يدل عليه وقال الشاعر
اذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا ع والمعنى وكحلن العيون
فرده على قوله وزججن وقال متقلدا سيفا ورمحا ع اي وحاملا رمحا وكان يجوز النصب
على تقدير ويعطون حورا عينا كما قال الشاعر جيئني بمثل بني بدر لقومهم او مثل
اسرة منظور بن سيار ع لما كان معنى بمثل هات مثل عطف او مثل على المعنى وقال
الحسن الحور البيض وقال مجاهد يحار فيهن البصر لما ذكر الله تعالى ان السابقين
الى الخيرات والطاعات هم المقربون الى نعيم الجنة وثوابها وانهم على سرر موضونة
متقابلين اخبر انه يطوف عليهم ولدان يعني صبيان مخلدون والطوف الدور بالتنقل
في المكان ومنه الطائف الذي يطوف بالبلد على وجه الحرس والولدان جمع وليد

مخلدون قال مجاهد معناه باقون لهم لا يموتون وقال الحسن معناه انهم على حالة
واحدة لا يهرمون يقال رجل مخلد اى باق زمانا اسود اللحية لا يشيب وقال الفراء
معناه مقرطون والخلدة القرط والاكواب جمع كوب وهى اباريق واسعة الرؤس
بلا خراطيم فى قول قتادة قال الاعشى ، صريفية طيبا طعمها تصفق ما بين
كوب ودن والاباريق التى لها عرى وخراطيم واحدها ابريق وكاس من معين اى
يطوفون عليهم ايضا بكاس من خمر معين ظاهر للعيون جار لا يصدعون عنها اى لا
يلحقهم الصداع من شربها ولا ينزفون اى لا تنزف عقولهم يعنى لا تذهب بالسكر
فى قول مجاهد وقتادة والضحاك ومن قرأ ينزفون وهو حمزة والكسائى وخلف حمله
على انه لا يفنى خمرهم قال الابيرد ، لعمرى لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم
آل ابجرا وقوله وفاكهة اى ويطاف عليهم بفاكهة مما يختارونه ومما يشتهونه
او يتنعمون بفاكهة مما يشتهونه وقوله ولحم طير اى ويطاف عليهم او يتنعمون بلحم طير
مما يشتهون وقوله وحور عين من رفعه حمله على معنى ولهم فيها حور عين
لانهن لا يطاف بهن وانما يطاف بالكاس ومن جر فعلى معنى ويتنعمون بحور عين
او يحصلون فى معانقة حور او مخالطة حور عين والحور جمع حوراء والحور نقاء البياض
من كل شائب يجرى مجرى الوضح وقوله كامثال اللؤلؤ اى مثل هؤلاء الحور فى
البياض والنقاء مثل اللؤلؤ المكنون يعنى الدر المصون عما يلحق به من دنس كانه
ماخوذ من ان الدرة تبقى على حسنها اكثر مما يبقى غيرها للطفها وصيانة الناس
لها قال عمر بن ابى ربيعة ، وهى زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون
وهى زهراء جزاء اى يفعل ذلك بهم جزاء ومكافاة على ما عملوه فى دار الدنيا من الطاعات
واجتناب المعاصى ثم قال لا يسمعون فيها اى لا يسمع الباقون فى الجنة لغوا يعنى
ما لا فائدة فيه من الكلام لان كل ما يتكلمون به فيه فائدة ولا تاثيما ولا يجرى فيها

ما يؤثم فيه ولا يلزم من قبيح القول الا قيلا سلاما سلاما معنى لكن يسمعون قول بعضهم
لبعض على وجه التحية سلاما سلاما ومعناه انهم يتداعون بالسلام على حسن الادب
وكريم الاخلاق الذى يوجب التواد لان طباعهم قد هذبت على اتم الكمال ونصب
سلاما على تقدير سلمك الله سلاما بدوام النعمة وقال الفيطه وجاز ان يعمل فيه
سلم لانه يدل عليه كما يدل على قوله والله انبتكم من الارض نباتا ويصلح ان يكون
سلاما نعتا لقوله قيلا ويصلح ان ينتصب بقيل فالوجوه الثلثة محتملة وقيل الا
قيلا لا سلاما سلاما اى قولا يؤدى الى السلامة قوله تعالى واصحاب اليمين
فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة
ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب
اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين ، اربع عشرة آية قرأ اسمعيل وحمزة وخلف
ويحيى عربا مخففة الباقون مثقلة وهما لغتان وروى عن على عليه السلم انه قرأ وطلع
منضود بالعين والقراء على الحاء وقال على عليه السلم هو كقوله ونخل طلعها هضيم
وقال له النبى وما شان الطلح فقيل له الا تغيره فقال القرآن لا يهاج اليوم ولا
يحول قوله واصحاب اليمين قيل فى معناه ثلثة اقوال اولها الذين ياخذون
كتبهم بايمانهم الثانى الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة الثالث اصحاب اليمن
والبركة وقوله ما اصحاب اليمين معناه ما اصحاب الميمنة وقد فسرناه
وقوله فى سدر مخضود قال السدر شجر النبق والمخضود هو الذى خضد بكثرة
حمله وذهاب شوكه فى قول ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد والضحاك
واصل الخضد عطف العود اللين انه لا شوك له وقوله وطلح منضود قال
ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد الطلح شجر الموز وقال ابو عبيدة الطلح كل
شجر عظيم الشوك وقال الحادى بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والجبالا
كثيرم

فمن هاهنا قيل لا شوك فيه لان الغالب على الرطب اليبس

وقال الزجاج الطلح شجر ام غيلان وقد يكون على احسن حال والمنضود هو الذي نضد
بعضه على بعض من الورق ذكره ابن عباس وهو من نضدت المتاع اذا اثبت بعضه على
بعض قيل فوقه الورق منضود بعضه على بعض وظل ممدود دايم لا ينسخه
الشمس قال لبيد غلب البقاء وكنت غير مغلب دهر طويل دايم ممدود
وروى في الخبر ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة وقوله وماء
مسكوب اى مصبوب على الخمر ليشرب بالمزاج وقال قوم يعنى مصبوب ليشرب على ما يرى
من حسنه وصفايه ولا يحتاجون الى تعب في استقايه وقوله وفاكهة كثيرة اى وثمار
مختلفة كثيرة غير قليلة وقيل الوجه في تكرار ذكر الفاكهة البيان عن اختلاف صفاتها
فذكرت اولا بانها مما يتخيرون وذكرت هاهنا بانها كثيرة وبانها لا مقطوعة ولا ممنوعة
ومعناه لا مقطوعة كما ينقطع فواكه الدنيا في الشتاء في اوقات مخصوصة ولا ممنوعة
ببعد متناول او شوك يوذي كما يكون ذلك في الدنيا وقوله وفرش مرفوعة اي
عالية كما يقال بناء مرفوع اى عال وقيل معناه ونساء مرتفعات القدر في عقولهن
وحسنهن وكمالهن وقال الحسن فرش مرفوعة بعضها فوق بعض والفرش المهاد الممهاد
للاضطجاع فرش يفرش فرشا وهو فارش والشي مفروش ومنه قوله الذي جعل لكم
الارض فراشا لانها تصلح للاستقرار عليها وقوله انا انشاناهن انشاء معناه انا
اخترعنا ازواجهم اختراعا وهذا يقوى قول من حمل الفرش على النساء وقيل
المعنى انا انشاناهن النشاة الابكار فجعلناهن ابكارا والبكر التى لم يفترعها الرجل
ولم يفتض فهى على خلقتها الاولى من حال الانشاء واصله الاول ومنه بكرة اول النهار
والابتكار عمل الشي اوله والباكورة اول ما ياتي من الفاكهة والبكر من الابل الفتي
في اول امره وحداثة سنه وقال الضحاك ابكارا عذارى وفي الخبر المرفوع انهن كن
عجايز رمضا في الدنيا وقوله عربا اترابا فالعرب المتواشق لازواجهن المتحببات

اليهم في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقال لبيد وفي الحدوج عروب غير فاحشة
ريا الروادف يعشى دونها البصر والعروب جمع عروب على وزن رسول ورسل وهي
اللعوب مع زوجها انسا به مراغبة فيه كانس العربي بكلام العرب وكان لها فطنة الود
والقيم بمعهدهم والاتراب جمع ترب وهو اللدة الذي ينشأ مع غيره في حال الصبى
وهو ماخوذ من لعب الصبيان بالتراب اى هم كالصبيان الذين على سن واحد قال
عمر بن ربيعة ابرزوها مثل المهاة تهادى بين عشر كواعب اتراب وقال
ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك الاتراب المستويات على سن واحد وقوله
لاصحاب اليمين اى جميع ما تقدم ذكره لهم جزاء وثوابا على طاعاتهم وقوله ثلة
من الاولين وثلة من الاخرين فالثلة القطعة من الجماعة فكانه قال جماعة من الاولين
وجماعة من الاخرين واذا ذكر وابالتنكير كان على معنى البعض من الجملة كما يقول
رجال من جملة الرجال وفايدة الاية انه ليس هذا لجميع الاولين والاخرين وانما هو
لجماعة منهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انى لارجو ان تكون امتي
شطر اهل الجنة ثم تلا قوله ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وقال الحسن
سابقوا من مضى اكثر من سابقينا فلذلك قيل وقليل من الاخرين وفي التابعين
ثلة من الاخرين قوله تبارك وتعالى وَاَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا اَصْحَابُ الشِّمَالِ
فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ اِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ
وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ وَكَانُوا يَقُولُونَ اَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَامًا اَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ اَوَ آبَاؤُنَا الْاَوَّلُونَ قُلْ اِنَّ الْاَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ
لَمَجْمُوعُونَ اِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ عشر آيات قيل في معنى قوله واصحاب
الشمال ثلثة اقوال احدها انهم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى جهنم
الثاني هم الذين ياخذون كتبهم بشمايلهم الثالث الذين تلزمهم حال الشوم

والشمال وكل حذا من اوصافهم وقوله ما اصحاب الشمال معناه معنى قوله واصحاب
المشامة ما اصحاب المشامة وقد فسرناه وقوله في سموم وحميم فالسموم الريح الحارة
التي تدخل في مسام البدن ومسام البدن خروقه ومنه اخذ السم لانه يسري في المسام
والحميم الحار الشديد الحرارة من الماء ومنه قوله تصب من فوق رؤسهم الحميم واحتم
ذلك اي ادناه كانه حرارة حتى دنا وقيل في سموم جهنم وحميمها وقوله
وظل من يحموم فاليحموم الاسود الشديد السواد باحتراق النار وهو يفعول
من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار واسود حموم اي شديد السواد وظل
من يحموم اي دخان شديد السواد في قول ابن عباس وابي مالك ومجاهد وقتادة
وابن زيد وقوله لا بارد ولا كريم معناه لا بارد كبرد ظلال الشمس لانه دخان
جهنم ولا كريم لان كل ما انتفى عنه الخير فليس بكريم وقال قتادة لا بارد المنزل
ولا كريم المنظر وقوله انهم كانوا قبل ذلك مترفين قال ابن عباس معناه انهم كانوا
في الدنيا متنعمين وقوله وكانوا يصرون على الحنث العظيم قال قتادة ومجاهد
كانوا يقيمون على الشرك العظيم وقيل اصرارهم على الحنث هو ما بينه الله تعالى
في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت والاصرار الاقامة على
الامر من جهة العزم على فعله فالاصرار على الذنب نقيض التوبة منه والحنث نقض
العقد المؤكد بالحلف فهؤلاء ينقضون العقود التي يلزمهم الوفاء بها ويقيمون
على ذلك غير تائبين منه ووصف الذنب بانه عظيم يفيد انه اكبر من غيره مما هو
اصغر منه من الذنوب وقوله وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
او آباؤنا الاولون حكاية من الله تعالى عما كان يقول هؤلاء الكفار من انكارهم
البعث والنشور والثواب والعقاب وانهم كانوا يقولون مستبعدين منكرين ائذا
متنا وخرجنا عن كوننا احياء وصرنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ولم يجمع

(margin: كانوا يقيمون على الذنب العظيم ولا يتوبون منه ولا يقلعون عنه وقال الحسن والضحاك وابن زيد)

ابن عامر بين الاستفهامين اكتفاء بواحد لان احدهما يكفي والذين تقدموا يخبرون
ويردون الى كونهم احياء ان هذا لبعيد والواو في قوله او آباؤنا متحركة لانها واو
العطف دخل عليها واو العطف ودخل عليها الف الاستفهام فقال الله تعالى لنبيه
قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم اي قل لهم يا محمد ان من تقدمكم
من آبائكم ومن يأتي بعدكم والآخرين الذين يتأخرون عن زمانكم يجمعهم الله ويبعثهم ويجازيهم
الى وقت يوم معلوم عند الله وهو يوم القيامة قوله تبارك وتعالى
ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون
منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم
الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون افرأيتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون
نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم
فيما لا تعلمون احدى عشرة آية قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وسهل شرب الهيم بضم
الشين الباقون بالفتح وهما لغتان نحن قدرنا خفيفة مكي الباقون بالتشديد وهما
لغتان تقول قدرت وقدرت وقد فرق بينهما بما ذكره لما امر الله تعالى نبيه عليه السلم
ان يقول لمن انكر البعث والنشور قل لهم ان من تقدمكم ومن تأخر عنكم مبعوثون
محشورون الى يوم القيامة بين ما لهم في ذلك اليوم فقال ثم انكم ايها الضالون
يعني الذين ضلوا عن طريق الحق وجاروا عن اتباع الصحيح المكذبون الذين كذبوا
بتوحيد الله واخلاص العبادة له وجحدوا نبوة نبيه لآكلون يوم القيامة من شجر
من زقوم فالزقوم ما يبتلع بتصعب وقيل هو طعام خشن متكره تعسر
نزوله في الحلق وقوله فمالئون منها البطون اي يملؤن بطونكم من الزقوم
الزقوم والشجر يؤنث ويذكر فلذلك قال منها وكذلك الثمر يذكر ويؤنث فالتذكير
عن الجنس والتأنيث على المبالغة وهو داخل الوعاء وخارجه ظهر وبطن الامر اذا غمض

(margin: فيما مضى ذكره)

(margin: يقال تزقم هذا الطعام تزقما اذا ابتلعه بتصعب)

(margin: والبطون جمع بطن وهو خلاف الظهر)

ومنه الظهارة والبطانة وبطن الانسان وبطن الارض وبطن الكتاب وقوله فشاربون
عليه من الحميم معناه انكم تشربون على هذا الزقوم الذي تلأتم بطونكم منه من الحميم
وهو الماء الحار الشديد الحرارة فشاربون شرب الهيم اي تشربون مثل ما تشرب الهيم
فمن فتح الشين اراد المصدر ومن ضمه اراد الاسم وقيل هما لغتان وروى جعفر بن محمد
ان النبي صلى الله عليه وآله بعث بلالا ان ينادي في ايام منى انها ايام اكل وشرب فتح الشين
والهيم الابل التي لا تروى من الماء لداء يصيبها واحدها اهيم والانثى هيما ومن العرب
من يقول هايم وهايمة وجمعه على هيم كغايط وغيط وقال ابن عباس وعكرمة
والضحاك وقتادة معناه شرب الابل العطاش التي لا تروى وقيل هو داء الهيام وحكى   الرجل
الفراء ان الهيم الرمل الذي لا يروى من الماء ولشربه ما يحصل فيه وقوله هذا نزلهم
يوم الدين فالنزل الامر الذي ينزل عليه صاحبه ومنه النزل وهو الجاري للانسان
من الخير واهل الضلال قد نزلوا على انواع العذاب في النار وكل ما اخبر الله تعالى
من ذلك ففيه اتم الزجر واعظم الردع وقيل معنى الاية هذا طعامهم وشرابهم
يوم الجزاء وقوله نحن خلقناكم اي نحن انشاناكم وابتدانا كم في النشاة الاولى فهلا
تصدقون انكم تبعثون ثم نبههم على وجه الاستدلال على صحة ما ذكرناه فقال
افرايتم ما تمنون ومعناه الذي يخرج منكم من المني عند الجماع ويخلق منه الولد ءانتم تخلقونه
ام نحن الخالقون فهم لا يمكنهم ادعاء اضافة ذلك الى نفوسهم لعجزهم عن ذلك
فلا بد من الاعتراف بان الله هو الخالق لذلك واذا ثبت انه قادر على خلق الولد من
النطفة وجب ان يكون قادرا على اعادته بعد موته لانه مثله وليس باعود منه يقال
امنى يمني ومنى يمني معنى واحد وكذلك امذى ومذى في قول الفراء وقوله نحن قدرنا
بينكم الموت فالتقدير ترتيب الامور على مقدار فالله تعالى اجرى الموت بين العباد
على مقدار ما تقتضيه الحكمة فاما اجراه الحكيم على ذلك المقدار وقوله وما نحن

بمسبوقين اي لسنا مسبوقين في تدبيرنا لان الامور كلها في مقدور الله وسلطانه على
ما يصح ويجوز فيما مكن منه او اعجز عنه وقال مجاهد تقدير الموت بالتعجيل لقوم والتاخير
لغيرهم وقيل عن قدرنا بينكم الموت بان كتبناه على مقدار لا زيادة فيه ولا نقصان
ويقال قدرت الشي مخففا وقدرته مثقلا بمعنى واحد وقوله على ان نبدل امثالكم
فالتبديل جعل الشي موضع غيره فتبديل الحكم بالحكمة صواب وتبديل الحكمة بخلافها
خطا وسفه فعلى هذا ننشئ الله قوما بعد قوم لان المصلحة تقتضي ذلك
والحكمة توجب انشاهم في وقت وامانتهم في وقت آخر وانشاهم بعد ذلك للحساب والثواب
والعقاب وقيل ان معنى على ان نبدل لنبدل وبين على واللام فرق لانه يجوز ان
يقال عمله على قبحه ولا يجوز عمله لقبحه وتعليم الاستدلال بالنشاة الاولى على النشاة
الثانية فيه تعليم القياس وقوله وننشئكم فيما لا تعلمون معناه فيما لا تعلمون
من الهيات والصور المختلفة لان المؤمن يخلق على احسن صورة والكافر على اقبح
صورة وقيل هذا على النشاة الثانية يكونها الله في وقت لا يعلم العباد ولا يعلمون
كيفيته كما علموا الانشاء الاول من جهة التناسل وقيل معناه لو اردنا ان نجعل
منكم القردة والخنازير لم يفتنا ذلك ولا سبقنا اليه سابق ويجوز ان يقال اجناس   امثال مستقر ولا يجوز ان يقال جم
متفقه لان المثل ينفصل بالصورة كما ينفصل رجل بالصورة وما اتصل بالصورة
يجوز جمعه لان الصورة قد سغت ان يجرى على الكثير منه صفة التوحيد فلا يجوز
ان يقال هاولاء الرجال كلهم رجال واحد ويجوز هذا الماء كله ماء واحد وهذا
الذهب كله ذهب واحد ولا يجوز هاولاء الامثال كلهم امثال واحد لانهم
ينفصلون بالصورة فلم يقع عليهم صفة التوحيد للانفصال بالصورة فلم يقع عليهم فجرى
مجرى المختلف في انه لا يقع على صفة التوحيد قوله تبارك وتعالى
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ

ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون
افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه
اجاجا فلولا تشكرون ٭ تسع ايات ٭ قرا ابو بكر ائنا لمغرمون على الاستفهام
الباقون على الخبر ٭ يقول الله تعالى مخاطبا للكفار الذين انكروا النشاة الثانية ونبههم
على قدرته عليها فقال لقد علمتم النشاة الاولى فهلا تذكرون وتفكرون وتعتبرون
بان من قدر عليها قدر على النشاة الثانية والنشاة المرة من الانشاء كالضربة من الضرب
والانشاء ايجاد الشيء من غير سبب يولده ومثله الاختراع والابتداع ثم نبههم على طريق
غيره فقال افرايتم ما تحرثون من الزرع ءانتم تزرعونه اي انتم تنبتونه وتجعلونه
رزقا ام نحن الزارعون فان من قدر على انبات الزرع من الحبة الحقيرة وجعلها حبوبا
كثيرة قدر على اعادة الخلق الى ما كانوا عليه وقوله لو نشاء لجعلناه يعني ذلك
الزرع حطاما اي هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء لفعلنا ٭ وقيل ان معنى ءانتم
تزرعونه اي تجعلونه زرعا وقوله فظلتم تفكهون معناه قال ابن عباس ومجاهد
وقتادة في رواية عنه تعجبون وقال الحسن وقتادة في رواية فظلتم تندمون والمعنى
انكم كنتم تروحون الى التندم كما تروح الفكه الى الحديث بما يزيل الهم واصل
التفكه تناول ضروب الفاكهة للاكل وقوله انا لمغرمون المغرم الذي ذهب
ماله بغير عوض منه واصله ذهاب المال بغير عوض فمنه الغريم لذهاب ماله بالاحتباس
على الذي من غير عوض في الاحتباس والغارم الذي عليه الدين الذي يطالبه الغريم
ومنه قوله ان عذابها كان غراما اي ملحا دائما كالحاح الغريم وقال الحسن هو
من الغرم وقال قتادة معنى لمغرمون لمعذبون قال الاعشى ان يعاقب يكن
غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ٭ اي يكن عقابه عذابا ملحا كالحاح الغريم وقال
الراجز ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما ٭ اي ملحا كالحاح الغريم

اي لو نشاء جعلناه حطاما لظلتم تندمون ٭

وحذف

وحذف يقولون انا لمغرمون لدلالة الحكاية وقال مجاهد معنى المغرمون
محدودون عن الحظ وقال قتادة محارفون وقال مجاهد في رواية اخرى
انا لمولع بنا وفي رواية غيره انا لملقون في الشر ومن قرا ائنا لمغرمون على
الاستفهام حمل على انهم يقولون ويقولون منكرين ائنا لمغرمون ومن قرا
على الخبر حمله على انهم مخبرون بذلك عن انفسهم ثم يستدركون فيقولون
لا بل نحن محرومون مجوز سوء الحظ محارفون بهلاك زرعنا ثم قال منبها
على دلالة اخرى فقال افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن
ام نحن المنزلون والمعنى انه تعالى امتن عليهم بانعم عليهم من انزال الماء العذب
من المزن يعني السحاب ليشربوه وينتفعوا به فقال لهم ءانتم انزلتموه ام
نحن المنزلون عليكم نعمة منا عليكم ورحمة بكم ثم قال لو نشاء جعلناه اجاجا
قال الفراء الاجاج المر الشديد المرارة من الماء وقال غيره الاجاج الذي اشتدت
ملوحته فلولا تشكرون اي فهلا تشكرون على هذه النعمة التي لا يقدر عليها
غير الله وعلمتم بذلك ان من قدر على ذلك قدر على النشاة الاخرى وانها
لا تتعذر عليه كما لا تتعذر عليه هذه النعم قوله تبارك وتعالى
افرايتم النار التي تورون ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون نحن
جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم فلا اقسم بمواقع
النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم في كتاب مكنون
لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين ٥ عشر ايات
قرا اهل الكوفة الا عاصما بموقع على التوحيد الباقون بمواقع على الجمع هذا
تنبيه اخر من الله تعالى على قدرته على النشاة الثانية وعلى وجه الدلالة على ذلك
وعلى اختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره لانه قال افرايتم معاشر العقلاء

النار التي تورون فالنار مأخوذة من النور ومنه قول الحرث بن حلزة
فتنورت نارها من بعيد بخزازى هيهات منك الصلاء، وجمع النور انوار
وجمع النار نيران والنار على ضربين نار محرقة ونار غير محرقة فالتي لا تحرق النار
الكامنة في الاشياء معروفة كنار الشجر ونار الحجر ونار الكبد والتي تحرق هي النار الظاهرة
فالتي تجاورها تامة من شانها الاشتعال وهي معروفة ومعنى تورون تظهرون النار
ولا يجوز الهمزة لانه من اوري يوري ايراء اذا قدح فمعنى تورون تقدحون وورى
الزند يرى ورياً اذا انقدحت منه النار وورت بك زنادي اذا اصابك امر
كما يصح القدح بالزناد ثم قال أأنتم انشأتم شجرتها يعني الشجرة التي تقدح منها
النار انتم اخترعتموها وابتدأتموها ام نحن المنشئون لها فلا يمكن احداً ان يدعي
ان الذي انشأ الشجرة غير الله تعالى والعرب تقدح بالزند والزندة وهو خشب
معروف يحك بعضه ببعض فيخرج منه النار ذكره الزجاج وغيره وفي المثل كل
شجرة فيها نار واستمجد المرخ والعفار فان قيل لم لا يكون نار الشجر بطبع الشجر
لان قادر عليه قيل الطبع غير معقول فلا يجوز ان يسند اليه الافعال ولو جاز
ذلك لزم في جميع افعال الله تعالى وذلك باطل ولو كان معقولاً لكان ذلك
الطبع لا بد ان يكون في الشجر والله تعالى الذي انشأ الشجر وما فيها فقد رجع الى قادر
عليه وان كان بواسطة ولو جاز ان يكون النار من غير قادر عليها لجاز ان تكون
من عاجز لانه اذا امتنع الفعل من ليس بقادر عليه مثلا لانه فعل وكل فعل ممتنع
ممن ليس بقادر عليه وقوله نحن جعلناها يعني تلك النار تذكرة ومتاعاً
للمقوين اي جعلنا النار تذكرة للنار الكبرى وهي نار جهنم فيكون ذلك زجراً عن
المعاصي التي يستحق بها النار في قول مجاهد وقتادة ويجوز ان يكون المراد
تذكرة يتذكر بها ويتفكر فيها ويعتبر بها فيعلم انه تعالى قادر على النشأة الثانية

كما قدر على اخراج النار من الشجر الرطب وقوله ومتاعاً للمقوين يعني ينتفع بها المسافرون
الذين نزلوا في الارض القي وهي القفر قال الراجز قي يناصيها بلاد قي
وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك للمقوين للمسافرين وقيل هو من
اقوت الدار اذا خلت من اهلها قال الشاعر اقوى واقفر من نعم وغيرها
هوج الرياح بهابي الترب موار وقد يكون المقوي الذي فنيت حيلته ونفقته
في هذا الموضع ثم امر الله تعالى نبيه عليه السلام والمراد جميع المكلفين بان سبح بحمد ربك
العظيم اي نزه الله تعالى عما لا يليق به وادعه باسمه العظيم وقوله فلا اقسم
بمواقع النجوم قال سعيد بن جبير لا صلة وتقديره اقسم وقال الفراء هي بمعنى
ليس الامر كما تقولون ثم استونف اقسم وقيل لا يراد قبل القسم كقولك لا والله
لا افعل ولا والله ما كلمت زيداً وقال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري
لا يدعي القوم اني افر يعني وابيك ولا زائدة ومواقع النجوم قال ابن عباس ومجاهد
اي القرآن لانه انزل نجوماً وقال مجاهد في رواية اخرى وقتادة يعني مساقط
نجوم السماء ومطالعها وقال الحسن معناه انكدارها وهو انتثارها يوم القيامة
ومن قرأ على الجمع فلاختلاف اجناسه وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم لو تعلمون
عظمه لانتفعتم بعلمه والقسم جملة من الكلام يوكد بها الخبر بما يجعله في حكم الصواب
دون الخطأ على طريقة بالله انه لكذا وقال ابو علي الجبائي القسم في كل ما ذكر
في القرآن من المخلوقات انما هو قسم بربه وهذا ترك الظاهر من غير دليل لانه قد
يجوز ذلك على جهة التنبيه على ما في الاشياء من العبرة والمنفعة وقد روينا انه لا
ينبغي لاحد ان يقسم الا بالله والله ان يقسم بما شاء من خلقه فعلى هذا كل من اقسم
بغير الله او بشيء من صفاته من جميع المخلوقات او الطلاق او العتاق لا يكون ذلك
يميناً منعقدة بل يكون كلاماً لغواً والعظيم هو الذي يقصر مقدار غيره عنه

ومن قرأ بموقع فلانه يقع على الكثير والقليل

اخبار من الله تعالى بان هذا القسم الذي ذكره بمواقع النجوم لقسم عظيم

عما يكون منه وهو على ضربين احدهما عظيم الشخص والاخر عظيم الشان وقوله
انه القران كريم معناه ان الذى نتلوه عليكم لقران يفرقون به بين الحق والباطل
كريم فالكريم هو الذى من شانه ان يعطى الخير الكثير فلما كان القران من شانه ان يعطى
الخير الكثير بالادلة التى تؤدى الى الحق فى الدين كان كريما على حقيقة معنى الكريم
لا على التشبيه بطريق المجاز والكريم فى صفات الله من الصفات النفسية التى
يجوز فيها لم يزل كريما لان حقيقته تقتضى ذلك من جهة ان الكريم الذى من شانه
ان يعطى الخير الكثير فلما كان القادر على التكرم الذى لا يمنعه مانع من شانه ان
يعطى الخير الكثير صح ان تعالى انه لم يزل كريما وقوله فى كتاب مكنون
قيل هو اللوح المحفوظ اثبت الله فيه القران والمكنون المصون وقوله لا يمسه
الا المطهرون قال ابن عباس ومجاهد والضحاك لا يمس الكتاب الا المطهرون
قال ابن عباس من الذنوب وهم الملائكة فى قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وجابر
بن زيد وابى نهيك ومجاهد وقيل لا يمسه الا المطهرون فى حكم الله وقد استدل
بهذه الاية على انه لا يجوز للجنب والحائض والمحدث ان يمسوا القران وهو المكتوب
فى الكتاب او اللوح وقال قوم انه لا يجوز لهم ان يمسوا الكتاب الذى فيه ولا اطراف
اوراقه وحملوا الضمير على انه راجع الى الكتاب وهو كل كتاب فيه القران وعندنا
ان الضمير راجع الى القران وان قلنا ان الكتاب هو اللوح المحفوظ فلذلك وصفه
بانه مكنون وبين ما قلناه قوله تنزيل من رب العالمين يعنى هذا القران تنزيل
من رب العالمين انزله الله الذى خلق الخلائق ودبرهم على ما اراد قوله تعالى
افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون فلولا اذا
بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فاما ان كان من المقربين

الذى فى السماء

فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من المقربين اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب
اليمين احدى عشرة اية قرا يعقوب فروح وريحان بالضم فى الراء الباقون
بفتحها وهما لغتان وقال الزجاج الروح بفتح الراء معناه فحياة دائمة لا موت معها
يقول الله تعالى مخاطبا للمكذبين على وجه التقريع لهم والتوبيخ بصورة الاستفهام
افبهذا الحديث الذى حدثناكم به واخبرناكم من حوادث الامور انتم مدهنون
قال ابن عباس معنى مدهنون مكذبون وقال مجاهد معناه تريدون ان
تمالئوهم فيه وتركنوا اليهم لانه جريان معهم فى باطلهم وقيل معناه منافقون فى التصديق يمارونهم
بهذا الحديث وسماه الله تعالى حديثا كما قال الله نزل احسن الحديث كتابا ومعناه معنى
الحدوث شيئا بعد شىء ونقيض حديث قديم والمدهن الذى يجرى فى الباطن على خلاف
الظاهر كالدهن الذى يجرى فى سهولة ذلك عليه والاسراع فيه ادهن يدهن ادهانا
وداهنه مداهنة مثل نافقه منافقة وكل مدهن نصواب الحديث مذموم وقوله
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون معناه وتجعلون حظكم من الخير الذى هو
كالرزق لكم انكم تكذبون به ويجوز شكر رزقكم وقال ابن عباس معناه
وتجعلون شكركم وروى انه كان يقرا كذلك وقيل حظكم من القران الذى رزقكم
الله التكذيب به فى قول الحسن وقيل انهم كانوا اذا مطروا واخصبوا قالوا
مطرنا بنوء كذا فانزل الله تعالى تكذيبا لهم وكذلك قرا المفضل عن عاصم تكذبون
بفتح التاء خفيفا وقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم قال الحسن معناه هلا اذا بلغت
هذه النفس التى زعمتم ان الله لا يبعثها الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون اى تنظرون
ما ينزل بكم من الله قال الزجاج وانتم حينئذ خطاب لاهل الميت وتقديره اذا بلغت
الحلقوم وانتم معاشر اهله تنظرون على تلك الصورة ويحتمل ان يكون المراد وانتم حينئذ
تبصرون على ضرب من المجاز وقوله ونحن اقرب اليه منكم معناه ان الله يراه من

غير مسافة بينه وبينه فلا شيء اقرب اليه منه واقرب من كل من يراه بمسافة بينه وبينه
ولكن لا تبصرون معناه ولكن لا تعلمون ذلك لجهلكم بالله وبما يجوز عليه وما لا يجوز
ويحتمل ان يكون المراد ولكن لا تبصرون الله لان الرؤية مستحيلة عليه وقيل معناه
ولكن لا تبصرون الملائكة الذين يتولون قبض روحه وقوله فلولا ان كنتم غير مدينين
معناه هلا كنتم غير مجزيين بثواب الله او عقابه على ما تدعونه من انكار البعث والنشور
ترجعونها اى تردون هذه النفس الى موضعها ان كنتم صادقين في تكذيبكم
وادعائكم وحكى الطبري عن بعض النحويين ان الكلام خرج موبخا لهم في انهم
انكروا البعث وقالوا نحن نقدر على الامتناع من الموت فقيل لهم هلا رددتم
النفس اذا بلغت الحلقوم ان كنتم صادقين فيما تدعونه وقال الفراء جواب فلولا
ترجعونها وهو جواب فلو لا ان كنتم غير مدينين اجيبا بجواب واحد قال ومثله لا
تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب يعني ان الجواب والخبر في هذا على قياس واحد وانما اجاز ذلك لان
معنيان بجواب واحد لان كل واحد منهما يوجب ذلك المعنى والمعنى فلولا اذا بلغت
الحلقوم على ادعائكم انه لا يصح ان يكون القادر على اخراجها قادرا على ردها
يلزم ان يكون القادر على ردها غيره وكذلك يلزم من قولهم انه لا يصح ان يقدر
على ردها للجزاء ان يكون القادر غيره منهم ومن اشباههم والرجع جعل الشيء على الصفة
التي كان عليها قبل وهو انقلابه على الحال الاولى ولو انقلب الى غيرها لم يكن رجعا
ووجه الزامهم على انكار الجزاء رجوع النفس الى الدنيا ان انكار ان يكون القادر
على النشأة الاولى قادرا على النشأة الثانية كادعاء ان القادر على الثانية انما هو
من لم يقدر على الاولى لان انكار الاولى يقتضي ايجاب الثاني كانكار ان يكون
مدبر الموات حركة نفسه في اقتضاء ان غيره حركه ومعنى غير مدينين غير مجزيين

وقيل معناه غير مملوكين والدين الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان اى كما تجزي تجزى
والدين العمل الذي يستحق به الجزاء من قولهم ان الدين عند الله الاسلام ومنه دين
اليهود غير دين النصارى وفلان يدين اى يعمل ما يطلب به الجزاء من الله تعالى
والعبد مدين لانه تحت جزاء مولاه وانما يجوز الانقلاب من صفة الى صفة على ان يكون
على احدهما بجعل جاعل ومن احق صفة النفس لا بمعنى ولا بالفاعل لا يجوز ان ينقلب
منها الى غيرها وقوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم اخبار
من الله تعالى بما يستحقه المكلفون لمن كان منهم سابقا الى الخيرات والى افعال
الطاعات فله روح وريحان وهو الهوى الذي يلذ النفس ويزيل عنها الهم وقيل
الروح الراحة والريحان الرزق في قول مجاهد وسعيد بن جبير وقال
الحسن وقتادة هو الريحان المشموم وكل نبات طيب الريح فهو ريحان وقيل الروح
الفرح وقيل الروح النسيم الذي يستريح اليه النفس واصل ريحان روحان لانه
من الواو الا انه خفف واهمل التثقيل للزيادة التي لحقته من الالف والنون
ذكره الزجاج وقوله وجنة نعيم اى ولهذا المقرب مع الروح والريحان جنة نعيم
اى بستان ينعم فيها ويلتذ بانواع الثمار والفواكه فيها وقوله واما ان كان من
اصحاب اليمين وقد فسرنا معناه فسلام لك من اصحاب اليمين دخلت كاف الخطاب
كما تقول في ناهيك به شرفا وحسبك به كرما اى لا تطلب زيادة على حاله جلالة
وكذلك سلام لك منهم اى لا تطلب زيادة على سلامهم جلالة وعظم منزلة وقال
قتادة معناه فسلام لك يا ايها الانسان الذي من اصحاب اليمين من عذاب الله وسلمت
عليك ملائكة الله وقال الفراء فسلام لك انك من اصحاب اليمين وحذفت
انك وقيل معناه سلمت مما تكره لانك من اصحاب اليمين وقال الزجاج معناه
وسلام لك اى انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وذكر اصحاب اليمين في اول السورة

بانهم فى سدر مخضود وذكرهم فى اخرها بانهم يبشرون بالسلام من كل ما يكرهون
وقيل انما كان التبرك باليمين لان العمل يبتدى بها واما الشمال ففيها العمل بها من
نحو الكتابة والتجارة والاعمال الدقيقة **قوله تبارك وتعالى** واما ان كان من المكذبين
الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك
العظيم **تم** اربع ايات **لما اخبر** الله تعالى بما للسابقين من انواع الثواب والنعيم
وبين ما لاصحاب اليمين من الخيرات والثواب الجزيل اخبر بما للكفار المكذبين
يوم الدين المنكرين للبعث والنشور والجزاء بالثواب والعقاب فقال اما ان كان
هذا الانسان المكلف من المكذبين بتوحيد الله الجاحدين لنبوة نبيه الدافعين
للبعث والنشور الضالين عن طريق الهدى العادلين عنه فنزل من حميم اى نزلهم الذى
اعد لهم من الطعام والشراب ما من حميم وتصلية جحيم اى احراق بنار جهنم **تعالى**
اصلاه الله يصليه اذا الزمه الاحراق بها وتقديره فله نزل من حميم **وقوله** ان هذا
لهو حق اليقين اى هذا الذى اخبرتك به هو الحق الذى لا شك فيه بل هو اليقين
الذى لا شبهة فيه وحق اليقين انما جاز اضافته الى نفسه لانها اضافة لفظية
جعلت بدلا من الصفة لان المعنى ان هذا لهو الحق اليقين كما **قيل** هذا نفس الحائط
بمعنى النفس الحائط وجاز ذلك للايجاز مع مناسبة الاضافة الصفة واما قولهم
رجل سوء فكقولك رجل سوء وفساد وقيل معنى حق اليقين حق الامر اليقين
وقوله فسبح باسم ربك العظيم امر من الله تعالى لنبيه ان ينزه الله تعالى عما لا
يليق به ويذكره باسمه العظيم **وقيل** لما نزلت هذه الاية قال النبى عليه السلام اجعلوها
فى ركوعكم **وقوله** سبحان ربى العظيم والعظيم فى صفة الله معناه ان كل شىء سواه مقصر
عن صفته بانه قادر عالم غنى اذ هو قادر لا يعجزه شىء ولا يساويه شىء فى مقدوراته وعالم
لا يخفى عليه شىء على كل وجه التفصيل وغنى بنفسه عن كل شىء سواه لا يجوز عليه الحاجة

بوجه من الوجوه ولا على حال من الاحوال **سورة الحديد**
مدنية بلا خلاف وهى تسع وعشرون آية فى الكوفى والبصرى وثمان وعشرون
فى المدنيين **قوله تبارك وتعالى** بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما فى السماوات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السماوات
والارض يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير هو الاول والآخر والظاهر
والباطن وهو بكل شىء عليم هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام
ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من
السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك
السموات والارض والى الله ترجع الامور **ست ايات** **يقول** الله تعالى مخبرا
ان جميع ما فى السماوات والارض يسبح له وقد **بينا** فى غير موضع معنى التسبيح وانه
التنزيه له عن الصفات التى لا تليق به فمن كان من العقلاء عارفا به فانه يسبح لفظا
ومعنى وما ليس بعاقل من سائر الحيوان والجمادات فتسبيحها ما فيها من الادلة الدالة
على وحدانيته وعلى الصفات التى باين بها جميع خلقه وما فيها من الحجج على انه لا يشبه
خلقه وان خلقه لا يشبهه فعبر عن ذلك بالتسبيح **وانما** كرر ذكر التسبيح فى غير
موضع من القرآن لاختلاف ما فيه لمعان مختلفة لا ينوب بعضها مناب بعض فمن ذلك
قوله وان من شىء الا يسبح بحمده فهذا تسبيح بحمد الله وانما يسبح لله ما فى السموات
والارض فهو تسبيح بالله العزيز الحكيم فكل موضع ذكر فيه فلعقده بمعنى لا ينوب
عنه غيره منابه وان كان مخرج الكلام على الاطلاق والعزيز الحكيم معناه المنيع
بانه قادر لا يعجزه شىء العليم بوجوه الصواب فى التدبير ولا تطلق صفة العزيز
الحكيم الا فيه تعالى لانه على هذا المعنى **وقوله** له ملك السموات والارض
اخبار بان له التصرف فى جميع ما فى السموات والارض من الموجودات بما شاء من

التصرف ولبس لاحد منعه ولانّ احد املّكه ذلك وذلك هو الملك الاعظم
ولان كل من عداه مما يملكه فانّ الله هو الذي ملّكه اياه ولو منعه منه وقوله
يحيي ويميت معناه يحيي الموات لانه يجعل النطفة وهي جماد حيوانا ويحييها بعد موتها
يوم القيامة ويميت الاحياء اذا بلغوا آجالهم التي قدرها لهم وهو على كل شيء قدير
اي كلّ ما يصح ان يكون مقدورا له فهو قادر عليه وقوله هو الاول قيل
في معناه قولان احدهما قال البلخي انه كقول القايل فلان اول هذا الامر وآخره
وظاهره وباطنه اي عليه يدور الامر وبه يتم الثاني فالقديم هو اول الموجودات
لانه قديم سابق لجميع الموجودات وما عداه محدث والقديم يسبق المحدث بما لا يتناهى
من تقدير الاوقات والاخر بعد فناء كل شيء لانه تعدم يفنى الاجسام كلها وما فيها من
الاعراض ويبقى وحده ففي الاية دلالة على فناء الاجسام وقوله الظاهر والباطن
قيل في معناه قولان احدهما انه العالم بما ظهر وما بطن الثاني انه القاهر
لما ظهر وما بطن من قوله تعالى فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومنه
قوله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقيل المعنى انه الظاهر بادلته الباطن من احساس
خلقه وهو بكل شيء عليم بما يصح ان يكون معلوما لانه عالم لنفسه ثم اخبر عن نفسه
فقال هو الذي خلق السماوات والارض اي اخترعهما وانشاهما في ستة ايام لما في
ذلك من اعتبار الملائكة بظهور شيء بعد شيء من جهته ولما في الاخبار به من المصلحة
للمكلفين ولولا ذلك لكان خلقها في لحظة واحدة لانه قادر على ذلك من حيث
هو قادر لنفسه وقوله ثم استوى على العرش اي استولى عليه بالتدبير قال
البعيث ثم استوى بشر على العراق ، من غير سيف ودم مهراق ، وهو بشر بن
مروان لما ولاه اخوه عبد الملك بن مروان وقيل معناه ثم عمد وقصد الى خلق العرش
وقد بينا ذلك وما تقدم ثم قال يعلم ما يلج في الارض اي ما يدخل في الارض

ويستتر فيها فالله عالم به لا يخفى عليه منه شيء وما يخرج منها اي ويعلم ما يخرج من الارض
من سائر النبات والحيوان والجماد لا يخفى عليه شيء وما ينزل من السماء اي ويعلم ما ينزل
من السماء من مطر وغير ذلك من انواع ما ينزل منها لا يخفى عليه شيء منها وما يعرج فيها
اي ويعلم ما يعرج في السماء من الملائكة وما يرفع اليها من اعمال الخلق وهو معكم
يعني بالعلم لا يخفى عليه حالكم وما تعملونه والله بما تعملون بصير من خير وشر اي
عالم به ثم قال له ملك السموات والارض اي له التصرف فيهما على وجه ليس لاحد
منعه منه والى الله ترجع الامور يوم القيامة والمعنى ان جميع من ملّكه شيئا في دار الدنيا
يزول ملكه ولا يبقى مالك احد وينفرد تعالى بالملك فذلك معنى قوله
واليه ترجع الامور كما كان كذلك قبل ان خلق الخلق قوله تبارك وتعالى
يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ آمِنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا
لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ
وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ، وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ
الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا
وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٥ حتى ايات ، قرا ابو عمرو وحده
وقد اخذ ميثاقكم بضم الالف على ما لم يسم فاعله الباقون بالفتح بمعنى اخذ الله
ميثاقكم ، وقرا ابن عامر وحده وكل وعد الله الحسنى بالرفع وهي في مصاحفهم
بلا الف جعله مبتدأ وخبرا وعدّى الفعل الى ضميره وتقديره وكل وعده الله
الحسنى كما قال الراجز ، قد اصبحت ام الخيار تدعي ، على ذنبا كله لم اصنع ،

اى لما صنعه فحذف الهاء الباقون بالنصب على انه مفعول وعد الله وتقديره وعد
الله كلا الحسنى ويكون الحسنى فى موضع نصب بانه مفعول ثان وهو الاقوى معنى قوله
يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل اى ما ينقص من الليل يزيده فى النهار وما
ينقص من النهار يزيده فى الليل حسب ما قدره على ما علم من مصالح عباده وقيل ان معناه
ان كل واحد منهما يعقب صاحبه وهو عليم بذات الصدور معناه هو عالم باسرار خلقه
المخفية فى قلوبهم من الضمائر والاعتقادات لا يخفى عليه شى منها ثم امر المكلفين فقال
فقال امنوا بالله معاشر العقلاء وصدقوا نبيه واقروا بوحدانيته واخلاص العبادة له وانه
لا وصف فوا رسوله واعترفوا بنبوته وانفقوا فى طاعة الله والوجوه التى امركم بالانفاق
فيها مما جعلكم مستخلفين فيه قال الحسن معناه ما استخلفكم فيه بوراثتكم اياه عمن
كان قبلكم ثم بين ما يكافيهم عليه اذا فعلوا ذلك فقال فالذين امنوا بالله ومنهم بالايمان
به وانفقوا مما دعوتهم الى الانفاق فيه لهم مغفرة من الله لذنوبهم واجر كبير اى ثواب
عظيم ثم قال الله تعالى على وجه التوبيخ لهم وما لكم معاشر المكلفين لا تؤمنون
بالله وتقرون بوحدانيته واخلاص العبادة له والرسول يدعوكم الى ذلك لتؤمنوا
بربكم اى لتعرفوا به وتقروا بوحدانيته وقد اخذ ميثاقكم معناه انه لما ذكر تعالى
دعاء الرسول الى الايمان بين انه قد اخذ ميثاقكم ايضا ومعنى اخذ ميثاقكم انه نصب
لكم الادلة الموصلة الى الايمان بالله ورسوله ورغبكم فيه وحثكم عليه وزهدكم
فى خلافه ومعنى ان كنتم مؤمنين اى ان كنتم مؤمنين بحق فالآن فانه قد ظهرت اعلامه
ووضحت براهينه ثم قال هو الذى ينزل على عبده يعنى ان الله تعالى هو الذى
ينزل على محمد عبده صلى الله عليه وسلم وعلى آله ايات اى حججا وادلة واضحة وبراهين
نيرة ليخرجكم من الظلمات الى النور ومعناه فعل ذلك به ليخرجكم من الضلال الى الهدى
فى قول مجاهد وغيره وفى ذلك دلالة على بطلان قول المجبرة ان الله تعالى خلق كثيرا

من خلقه ليكفروا به ويضلوا عن دينه وانما اخرجهم من الضلال الى الهدى بما نصب
لهم من الادلة التى اذا نظروا فيها افضى بهم الى الهدى والحق وكانه اخرجهم من الضلال
وان كان الخروج من الضلال الى الهدى من فعلهم وسمى الدلالة نورا لانه يتضح بها الحق
من الباطل وكذلك العلم لانه يدرك به الامور كما تدرك بالنور والقرآن بيان للاحكام
على تفصيلها ومراتبها وقوله وان الله بكم لرؤف رحيم اخبار منه تعالى انه بخلقه
رؤف رحيم والرأفة والرحمة من النظاير وقوله وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله
استطاعتكم فى الانفاق فى سبيل الله الذى رغبتم بالانفاق فيها وقوله ولله ميراث
السموات والارض قد بينا ان جميع ما تملكونه فى الدنيا يرجع الى الله ويزول ملككم
عنه فان انفقتموه كان ثواب ذلك باقيا لكم وقوله لا يستوى منكم من انفق من
قبل الفتح وقاتل بين الله تعالى ان الانفاق قبل الفتح فى سبيل الله اذا انضم اليه الجهاد
فى سبيله اكثر ثوابا عند الله والمراد بالفتح فتح مكة وفى الكلام حذف لان تقديره
لا يستوى هذا ولا مع الذين انفقوا بعد الفتح والكلام يدل عليه وانما امتنع مساواة
من انفق بعده لمن انفق قبل لعظم العناية الذى لا يقوم غيره مقامه فى الصلاح فى
الدين وعظم الانتفاع به كما لا يقوم دعا غير النبى صلى الله عليه وآله الى الحق مقام دعائه
ولا يبلغه ابدا وليس فى الاية دلالة على فضل انسان بعينه ممن يدعى له الفضل لانه يحتاج
ان يثبت ان له الانفاق قبل الفتح وذلك غير ثابت ويثبت ان له القتال بعده ولما يثبت
ذلك ايضا فكيف يستدل به على فضله فاما الفتح فقال الشعبى اراد قبل فتح الحديبية
وقال زيد بن اسلم وقتادة اراد به فتح مكة ثم سوى تعالى بين الكل فى الوعد
بالخير والجنة والثواب فيها وان تفاضلوا فى مقاديره فقال وكلا وعد الله الحسنى يعنى
الجنة والثواب فيها والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه شى من ذلك من انفاقكم وقتالكم
وغير ذلك فيجازيكم بحسب ذلك قوله تبارك وتعالى من ذا الذى يقرض

الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى
نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين
آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب
بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم
الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم
الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم
فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ٭ حتى آيات
قرا ابن كثير فيضعفه بالتشديد وضم الفاء وبه قرا ابن عامر الا انه فتح الفاء وقد
مضى تفسيره في البقرة وقرا حمزة وحده للذين امنوا انظرونا بقطع الهمزة الباقون
بوصلها وضم الظاء قرا فاليوم لا تؤخذ بالتاء ابو جعفر وابن عامر ويعقوب وسهل لتانيث
الفدية الباقون بالياء لان التانيث ليس حقيقي وقد فصل بين الفعل والفاعل عنكم
قال الحسن معنى قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وهو التطوع من جميع الدين
وقال غيره معناه من ذا الذي ينفق في سبيل الله انفاقا كالقرض والقرض اخذ
شي من المال باذن صاحبه بشرط ضمان رده واصله القطع فهو قطعه عن مالكه باذنه
لاتفاقهما على رد مثله والعرب تقول لي عندك قرض صدق وقرض سوء اذا فعل به
خيرا او شرا قال الشاعر وتجزى سلامان بن مفرج قرضها بما قدمت ايديهم
وازلت وقوله فيضاعفه فالمضاعفة الزيادة على المقدار مثله او امثاله
وقد وعد الله بالحسنة عشر امثالها والانفاق في سبيل الله حسنة فهو داخل في هذا
الوعد ومن شدد العين فلان الله وعد بالحسنة عشرة امثالها ومن ضم الفاء جعله
عطفا على من ذا الذي يقرض فيضاعفه او على تقدير فهو يضاعفه ومن نصب فلانه

يجز

جواب الاستفهام وقوله وله اجر كريم معناه ان له مع مضاعفة ما انفقه اجرا زايدا
كريما والكريم الذي من شانه ان يعطي الخير العظيم فلما كان الاجر يعطي النفع العظيم
كان الاجر كريما لانه يوجب شرف النفع بالحقيقة ما ليس باجر وقوله يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم فبايمانهم فيوم يتعلق بقوله لهم اجر كريم يوم
يرون بين ايديهم وبايمانهم وقال الضحاك نورهم هداهم قال وبايمانهم كتبهم
وقيل وبايمانهم معناه وعن ايمانهم وقيل في ايمانهم وقوله بشراكم اليوم جنات
تجري من تحتها الانهار اي يقال لهم الذي يبشرون به اليوم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها اي مؤبدين لا يفنون ثم قال ذلك هو الفوز العظيم فعظم
الفوز والفلاح بتضمن اجلال النعمة والاكرام مع الحمد بالاحسان على طريق الدوام
فكل ما فعل من اجل الثواب فالنعمة به اجل والاحسان به اعظم وقوله من اجل
يوم يقول المنافقون يجوز ان يتعلق يوم بقوله ذلك هو الفوز العظيم يوم اي في يوم
ويجوز ان يكون على تقدير واذكر يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا
ظاهرا او باطنا انظرونا من قطع الهمزة اراد اخرونا ولا تعجلوا علينا واستاخروا
نقتبس من نوركم ومن وصلها اراد انتظرونا وقيل انظرني انما يعني انظرني قال
عمرو بن كلثوم ابا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا وقال
انظرني يعني اخرني وقوله نقتبس من نوركم الضياء وهو ضد الظلمة والنور
يتضاف البصر وفي الامور في البصر نوره وكذلك في النار ومعنى نقتبس اي
ناخذ قبسا من نوركم وهو جذوة منه فقال لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا اي
ارجعوا الى خلفكم فاطلبوا النور فانه لا نور لكم عندنا فاذا تاخروا ضرب الله
بينهم بسور ومن وصلها اراد انتظرونا ثم اخبر تعالى فقال فضرب بينهم يعني
بين المؤمنين وبين المنافقين بسور والباء زايدة وهو المضروب بين الجنة والنار

يرى قال قتادة معناه انه يضيء نورهم اي الضياء الذي
صح

تحتها

فالنور

له باب باطنه فيه الرحمة لان فيه الجنة وظاهره من قبله العذاب يعني من قبل المنافقين العذاب لكون جهنم هناك ثم حكى الله تعالى فقال ينادونهم يعني المنافقون فيقولون لهم الم نكن معكم في دار الدنيا ومخالطين لكم ومعاشرين فيجيبهم المؤمنون فيقولون بلى كنتم معنا ولكنكم فتنتم انفسكم اي تعرضتم للفتنة وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وغرتكم الاماني ما كنتم تمنون حتى طمعتم في غير مطمع حتى جاء امر الله في نصرة نبيه والمؤمنين معه وغلبته اياكم وغركم بالله الغرور يعني الشيطان وسمي بذلك لكثرة ما يغر الناس وهي غرة بعد غرة مرة واحدة فهو غار وقرئ بالضم وهو كل ما غر من متاع الدنيا ذكره الزجاج والغرور بضم الغين المصدر ثم تقول لهم الملائكة او المؤمنون فاليوم لا يؤخذ منكم فدية اي ما تفتدون به انفسكم لا تقبل منكم ولا يؤخذ من الذين كفروا الفداء ماواكم اي مثواكم وموضعكم الذي تاوون اليه النار هي مولاكم اي هي اولى بكم وبئس المصير اي بئس المأوى والموضع والمرجع اليه قال لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها اي يحسب ان كليهما اولى بالمخافة قوله تبارك وتعالى

المر يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار

الاماني اي شغلتكم الدنيا اخبركم به رسولنا وغركم صح

٢٧٥

نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور خمس آيات قراءة وما نزل من الحق بتخفيف الزاي نافع وحفص عن عاصم لانه يقع على القليل والكثير ويكون النزول مضافا الى الحق الباقون بالتشديد بمعنى ان الله هو الذي نزل من الحق شيئا بعد شيء وقرا ابن كثير وابو بكر عن عاصم وزيد المصدقين والمصدقات بتخفيف الصاد يذهبون الى التصديق الذي هو خلاف التكذيب ومعناه ان المؤمنين والمؤمنات الباقون بتشديد الصاد يذهبون الى ان الاصل المتصدقين فادغمت التاء في الصاد لتقارب مخرجهما وشدد يعني قوله الم يان الم يحن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم اي تخضع لسماع ذكر الله وتخافون عقابه وينبغي ان يكون هذا متوجها الى طائفة مخصوصة لم يكن فيهم الخشوع التام حثوا على الرقة والرحمة واما من كان ممن وصفه الله بالخشوع والرحمة والرقة فطبقته فوق هؤلاء المؤمنين ويقال اني ياني اذا حان ومنه قوله غير ناظرين اناه اي منتهاه والخشوع لين القلب للحق والانقياد له ومثله الخضوع وضده قسوة القلب والحق ما دعا اليه العقل وهو الذي من عمل به نجا ومن عمل بخلافه هلك والحق مطلوب كل عاقل في نظره وان اخطا طريقه والقسوة غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق فاقلبه بقسوا قسوة فهو قاس وما نزل من الحق من خفف اضاف النزول الى الحق ومن شدد اراد ما نزله الله من الحق ولا يكونوا اي ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى من قبلهم فيكون موضعه نصبا ويحتمل ان يكون مجزوما على النهي فطال عليهم الامد يعني المدة والوقت فان اهل الكتاب لما طال عليهم مدة الجزاء على الطاعات قست قلوبهم حتى عدلوا عن الواجب وعملوا

بالباطل وقيل معناه طال عليهم الامد ما بين زمانهم وزمن موسى وقيل طال عليهم
امد الآخرة فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن طاعة الله الى معصيته
فلا تكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم ثم قال اعلموا ان الله يحيي
الارض بعد موتها بالجدب والقحط فكذلك يحيي الكافر بالهدى الى الايمان
بعد موته بالضلال بان يلطف له ما يؤمن عنده ثم قال قد بينا لكم الآيات
يعني الحجج الواضحات والدلائل البينات لكي تعقلوا وترجعوا الى طاعته وتعملوا
بما امركم به وقوله ان المصدقين والمصدقات من شدد اراد المتصدقين
الا انه ادغم التاء في الصاد ومن خفف اراد الذين صدقوا بالحق واقرضوا الله قرضا
حسنا اي انفقوا اموالهم في طاعة الله وسبيل مرضاته ثم بين ما اعد لهم من الجزاء
فقال يضاعف لهم اي يجازون بامثال ذلك ومن شدد العين اراد التكثير
لان الله يعطي بالواحد عشرا الى سبعين الى سبعمائة ثم قال ولهم اجر كريم
اي لهم ثواب مع اكرام الله واجلاله ثم قال والذين آمنوا بالله ورسله يعني الذين
صدقوا بتوحيد الله واخلاص العبادة له واقروا بنبوة رسله اولئك هم الصديقون
الذين صدقوا بالحق ثم قال مستانفا والشهداء عند ربهم وقال ابن عباس ومسروق
وابو الضحى والضحاك هو منفصل مما قبله مستانف والمراد بالشهداء الانبياء عليهم السلام
ويجوز ان يكون معطوفا على ما تقدم وتقديره اولئك هم الصديقون واولئك هم
الشهداء ويكون لهم اجرهم ونورهم لجمعهم من الصديقين والشهداء فبهاته قال
كل مؤمن شهيد على ما رواه البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله وعن عبد الله بن
مسعود ومجاهد فيكون التقدير اولئك هم الصديقون عند ربهم والشهداء
عند ربهم ثم قال لهم اجرهم ونورهم اي لهم ثواب طاعاتهم ونور ايمانهم الذي
يهتدون به الى طريق الجنة ثم قال والذين كفروا بالله وجحدوا توحيده وكذبوا

رسله وكذبوا بآيات الله يعني حججه وبيناته اولئك اصحاب الجحيم يعني انهم يلزمهم الله
الجحيم فيبقون فيها ابدا ثم زهد المؤمنين في الدنيا والسكون الى لذاتها فقال
اعلموا معاشر العقلاء والمكلفين انما الحياة الدنيا يعني في هذه الدنيا لعب ولهو لانه
لا بقاء لذلك ولا دوام وانه يزول عن وشك كما يزول اللعب واللهو وزينة يتزينون
بها في الدنيا وتفاخر بينكم يفتخر بعضكم على بعض وتكاثر في الاموال والاولاد اي كل
واحد يقول مالي اكثر واولادي اكثر ثم شبه ذلك بان قال مثل في ذلك كمثل
غيث يعني مطر اعجب الكفار نباته اي اعجب الزراع ما ينبت بذلك الغيث فالكفار هم
الزراع قال الزجاج ويحتمل ان يكون المراد الكفار بالله لانهم اشد اعجابا بالدنيا
من غيرهم ثم يهيج اي ينشر فيسمع له لما يتخلله من الريح صوت الهائج فتراه مصفرا
وهو اذا قارب اليبس ثم يكون حطاما اي هشيما بان يحطمه الله مثل اعمال الكافر
بذلك فانها وان كانت على ظاهر الحسن فان عاقبتها الى هلاك ودمار مثل الزرع
الذي ذكره ثم قال وله مع ذلك في الآخرة عذاب شديد من عذاب النار للعصاة
والكفار ومغفرة من الله ورضوان للمؤمنين المطيعين ثم قال وما الحياة الدنيا
الا متاع الغرور معناه العمل للحياة الدنيا متاع الغرور وانها كهذه الاشياء التي مثل
بها في الزوال والفناء والغرور جمع الغبن ما يغتر من متاع الدنيا وزينتها قوله
تبارك وتعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض
اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو
الفضل العظيم ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب
من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس
بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لقد ارسلنا رسلنا بالبينات

وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد
ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز
حتى آيات قرأ ابو عمرو بما اتاكم مقصورا يعني بما جاءكم الباقون بالمد يعني بالعطاكم
وقرأ اهل المدينة واهل الشام فان الله الغني الحميد بلا فصل هو لانهم وجدوا في
مصاحفهم كذلك والباقون باثبات هو وكذلك هو في مصاحفهم فمن اسقط هو
جعل الغني خبر ان والحميد نعته ومن اثبته احتمل شيئين احدهما ان يجعل هو عمادا
واما صلة زائدة والثاني ان يجعله ابتداء والغني خبره والجملة في موضع خبر ان مثل
قوله ان شانئك هو الابتر يقول الله تعالى امرا للعقلاء المكلفين وحاثا لهم
على الطاعات سابقوا الى مغفرة من ربكم والمسابقة طلب العامل التقدم في عمله
قبل عمل غيره بالاجتهاد فيه فعلى كل مكلف الاجتهاد في تقديم طاعة الله على كل
عمل كما يجتهد المسابق لغيره والمسابقة الى المغفرة بان يتركوا المعاصي ويفعلوا الطاعات
وقوله وجنة معناه وسابقوا الى استحقاق ثواب جنة عرضها كعرض السماء والارض
في السعة وقال الحسن ان الله تعالى يفني الجنة ويعيدها على ما وصفه في طولها
وعرضها فبذلك صح وصفها بان عرضها كعرض السماء والارض وقال غيره ان الله
تعالى قال عرضها كعرض السماء الدنيا والارض والجنة المخلوقة في السماء السابعة
فلا تنافي بين ذلك واذا كان العرض هذه السعة فالطول اكثر منه او مثله وقوله
اعدت اشتقاقه من العدد والاعداد وضع الشيء لما يكون في المستقبل على ما يقتضيه
من عدد الامر الذي له والمعنى ان هذه الجنة وصفت وادخرت للذين امنوا
بالله ورسله فيوحدوا الله ويصدقوا رسله ثم قال ذلك فضل الله اي هذا
الذي ذكره بانه معد للمؤمن فضل من الله يؤتيه اي يعطيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم فالفضل والافضال والتفضل واحد وهو النفع الذي كان للقادر ان يفعله

جعيرة

بغيره وله الا يفعله ثم قال تعالى ما اصاب من مصيبة اي لن يصيب احدا مصيبة في
الارض في ماله ولا في نفسه الا وهو مثبت مذكور في كتاب يعني اللوح المحفوظ من قبل
ان نبراها فالضمير راجع الى النفس كانه قال من قبل ان نبراها فالضمير راجع الى النفس
كانه قال من قبل ان نبرا النفس ويحتمل ان يكون راجعا الى المصائب من الامراض والفقر
والجدب والغم بالثكل ثم قال ان ذلك يعني اثبات ذلك على ما ذكره على الله يسير اي بالشكر
سهل غير عسير ثم بين تعالى لم فعل ذلك فقال فعلت ذلك لكيلا تاسوا اي لا تحزنوا
على ما فاتكم من لذات الدنيا وزينتها ولا تفرحوا بما اتاكم منها على وجه البطر والاشر
فمن قصر اراد بما جاءكم ومن مد اراد بما اعطاكم ثم قال والله لا يحب كل مختال
اي متبختر متجبر فخور على غيره على وجه التكبر عليه فان من هذه صفته لا يحبه الله و
فرح البطر مذموم وفرح الاغتباط بنعم الله محمود كما قال تعالى فرحين بما اتاهم
الله من فضله والتاسي تخفيف الحزن بالمذاكرة في حاله ثم بين صفة المختال الفخور فقال
الذين يبخلون بما اوجب الله عليهم من الحقوق في اموالهم ويامرون الناس بالبخل ايضا
وقيل نزلت في اليهود الذين بخلوا بذكر صفة النبي صلى الله عليه وآله على ما وجدوه
في كتبهم وامروا غيرهم بذلك والبخل والبخل لغتان وقرى بهما وهو منع الواجب
ثم قال ومن يتول فان الله يعني ومن يعرض عما ذكره الله وخالف فان الله هو
الغني الحميد ومعناه انه تعالى الغني عن جميع خلقه محمود في جميع افعاله فمنع هؤلاء الحقوق
الله لا يضره وانما ضرر ذلك عليهم ثم اقسم تعالى فقال لقد ارسلنا رسلنا بالبينات
يعني بالدلائل والحجج الواضحة وانزلنا معهم الكتاب اي مكتوبا فيه ما يحتاج الخلق
اليه كالتوراة والانجيل والقرآن والميزان اي وانزلنا الميزان وهو ذو الكفتين
وقيل المراد به العدل ليقوم الناس بالعدل في الامور وانزلنا الحديد فيه باس
شديد اخبار من الله تعالى انه الذي انزل الحديد وروى ان الله تعالى انزل

مع آدم العلاة يعني السندان والمطرقة والكلبتين من السماء وهذا صحيح لا يدفعه
لان الواحد منا لا يمكنه ان يعمل الحديد من حديد وغيرها الا بآلة قبلها وينتهي
الى آلة يتولى الله صنعها وقوله فيه بأس شديد اي يمتنع به ويحارب به ومنافع
للناس اي وفيه منافع للناس كادوات والاثم في جميع ما يتخذ من الحديد من الآلات
ينتفع بها كالسكين وغيرها وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب اي فعلت ذلك
لما لهم فيه من النفع به وليعلم الله نصيره من نصرة موجودة ومن يجاهد مع نبيه جهادا
موجودا بالغيب اي ينصر الله ورسله ظاهرا وباطنا ان الله قوي عزيز اي قادر
على ما يصح ان يكون مقدورا له لا يقدر احد على ضره ولا على منعه وقيل في جواب
قوله الذين يخلون قولان احدهما انه محذوف كما حذف في قوله ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال وتقديره الذين يبخلون فهم يستحقون العذاب والعقوبة وقيل ايضا
جوابه جواب قوله ومن يتول فعطف بجزاء اين على جزاء واحد وجعل جوابهما واحد
كما يقول ان تقم وان تجئ آتك لانه احذف الجواب قوله تبارك وتعالى
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا
مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ
بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ
عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ اربع آيات يقول الله تعالى مقسما انه ارسل نوحا نبيا الى قومه

وابرهيم

وابرهيم ايضا ارسله الى قومه وذكر انه تعالى جعل في ذريتهما يعني ذرية نوح وابرهيم
النبوة والكتاب ثم اخبر عن حال ذريتهما فقال منهم مهتد الى طريق الحق و
اتباعه وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن طاعة الله الى معصيته ثم اخبر
تعالى انه قفى على آثار من ذكره برسل اخر الى قوم آخرين والتقفية جعل الشيء
في اثر الشيء على الاستمرار فيه ولهذا قيل لمقاطع الشعر قوافي اذا كانت تتبع البيت
على اثره مستمرة في غيره على منهاجه فكانه قال واتبعنا بعدهم بالرسل رسولا
بعد رسول وقفينا بعيسى بن مريم بعدهم وآتيناه اي اعطينا عيسى بن مريم الانجيل
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة وقيل في معناه قولان احدهما
انه جعل في قلوبهم الرافة والرحمة بالامر به والترغيب فيه ثم اخبر انه رزقوا الرحمة
قال ابو زيد يقال رؤفت بالرجل ورأفت به رافة ورأفة بفتح الهمزة وسكونها
الثاني انه خلق في قلوبهم الرافة والرحمة وانما مدحهم على ذلك لانهم تعرضوا لها
وقوله ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعوا الرهبانية ابتدعوها وهي الخصلة
من العبادة يظهر فيها معنى الرهبة اما في كنيسة او انفرد عن الجماعة او غير ذلك من
الامور التي يظهر فيها نسك صاحبه ومعنى الآية ابتدعوا رهبانية لم نكتب عليهم
ثم قال ما كتبناها عليهم الرهبانية الا ابتغاء رضوان الله فالثانية غير الاولى
الا انه لما اتفق الاسمان فيهما كنى عنها بما تقدم وقام اعادة لفظها مقامها كما قال
حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء فالتقدير ومن يمدحه
والابتداع ابتداء امر لم يتقدمه على مثال والبدعة احداث على خلاف السنة وقال
قتادة الرهبانية التي ابتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع وقال قتادة و
ابن زيد تقديره ورهبانية ما كتبناها عليهم الا انهم ابتدعوها ابتغاء رضوان
الله فما رعوها حق رعايتها وقال قوم الرهبانية التي ابتدعوها لحاقهم

بالبرارى والجبال فى خبر مرفوع عن النبى عليه السلم فما رعاها الذين بعدهم حق
رعايتها وذلك لتكذيبهم محمد صلى الله عليه وعلى آله وقيل الرهبانية الانقطاع
عن الناس للانفراد بالعبادة وقوله ما كتبناها عليهم معناه ما فرضناها عليهم
وقال الزجاج معناه ما كتبناها عليهم البته ما كتبناها عليهم الا ابتغاء
رضوان الله اى الا لابتغاء رضوان الله فيكون بدلا من ها الذى يتقدم عليه
المعنى ذكره الزجاج وقيل كان عليهم تتميمها كما على المبتدى بصوم التطوع ان
يتمه وقال الحسن فرضها الله عليهم بعد ما ابتدعوها وقوله فما رعوها
حق رعايتها معناه فما حفظوها حق حفظها ثم قال فاتينا الذين آمنوا
معناه فاعطينا من آمن بالله ورسوله من جملة المذكورين اجرهم اى ثوابهم على
ايمانهم ثم قال وكثير منهم فاسقون اى خارجون عن طاعة الله الى معصيته
والكفر به وقوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله معناه يا ايها
الذين اعترفوا بجنوتها اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وآله ذكره
ابن عباس يؤتكم كفلين من رحمته قال ابن عباس معناه يعطكم اجرين اجرا لايمانكم
بمحمد صلعم واجرا لايمانكم بمن تقدم من الرسل واصل الكفل الحظ فى قول
الفراء ومنه الكفل الذى يكتفل به الراكب وهو كساء او نحوه يحويها على الابل
اذا اراد ان يرقد فيحفظه من السقوط ففيه حظ من التحرز من الوقوع ويجعل لكم
نورا تمشون به قال مجاهد يجعل لكم هدى تهتدون به وقال ابن عباس
النور القرآن وفيه الادلة على كل حق وبيان لكل خير وبه يستحق الضيا الذى
يمشى به يوم القيامة ويغفر لكم اى يستر عليكم ذنوبكم والله غفور رحيم اى ساتر
عليكم ذنوبكم رحيم بكم منعم عليكم وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون
على شى من فضل الله معناه ليعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بالمؤمنين منهم

بتوحيد الله وصدقوا بموسى وعيسى واعترفوا بهم

ان لا يقدرون اى انهم لا يقدرون على شى من فضل الله فى قول ابن عباس
وان هى المخففة من المثقلة وقيل معناه ليعلم اهل الكتاب الذين حسدوا
المؤمنين بما وعدوا انهم لا يقدرون على شى من فضل الله وقيل معناه لان لا يعلم
اهل الكتاب ان لا يقدرون على شى من فضل الله فيصرفوا النبوة عن محمد صلعم
الى من يحبونه ولا فى ليلا صلة وتوكيد وقيل انما تكون لا صلة فى كل كلام دخل
فى اواخره جحد وان لم يكن مصرحا به نحو ما منعك الا تسجد وما يشعركم انها
اذا جاءت لا يؤمنون وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون وقوله
وان الفضل بيد الله معناه وليعلموا ان الفضل بيد الله وفى قدرته يؤتيه من
يشاء اى يعطيه من يحب من عباده ممن يعلم انه يصلح له ثم قال والله ذو الفضل
العظيم معناه ذو الفضل على خلقه واحسان على عباده عظيم لا يحصى كثرة
ولا يقدر

سورة المجادلة

هى مدنية بلا خلاف
وهى اثنتان وعشرون آية فى الكوفى والبصرى والمدنى الاول واحدى وعشرون
فى المدنى الاخير

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم
قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع
تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن
امهاتهم ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول
وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله
بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا
فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله

وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ان الذين يحادون الله ورسوله
كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب
مهين ، حتى آيات قرأ المفضل عن عاصم ما هن امهاتهم على الرفع على لغة
بنى تميم والباقون بنصب امهاتهم على لغة اهل الحجاز وهى لغة القرآن كقوله
ما هذا بشرا وقرأ عاصم يظاهرون بضم الياء بالف وقرأ ابن كثير ونافع و
ابو عمرو يظهرون بغير الف مشددة الظاء والهاء ، وقرأ ابن عامر وحمزة و
الكسائى يظاهرون بتشديد الظاء والف وفتح الياء وقال ابو على
النحوى ظاهر من امرأته وظهر مثل ضاعف وضعف ويدخل التاء على كل واحد
منهما فيصير تظاهر وتظهر ويدخل حرف المضارعة فيصير يتظاهر ويتظهر
ثم تدغم التاء فى الظاء لمقاربتها فيصير يظاهر ويظهر ويفتح الياء التى
هى للمضارعة لانها للمضارعة كما تفتحها فى يتدحرج الذى هو مضارع دحرجه
فتدحرج واختار عاصم من المظاهرة لان المفاعلة لا يكون الا من نفسين
والظهار يكون بين الرجل وامرأته ومن قرأ يظاهرون فاصله يتظاهرون
وادغم التاء فى الظاء والظهار قول الرجل لامرأته انت علىّ كظهر امى وكان
اهل الجاهلية اذا قال الرجل منهم لامرأته هذا بانت منه وطلقت وفى الشرع
لا تبين المرأة الا انه لا يجوز له وطؤها الا بعد ان يكفر وعندنا ان
شروط الظهار هى شروط الطلاق سواء من كون المرأة طاهرا طهرا لم يقربها
فيه بجماع ويحضر شاهدين ويقصد التحريم فان اختل شىء من ذلك لم يقع به
ظهار ويقال فيه ظاهر فلان من امرأته ظهارا او مظاهرة واظاهر اظهارا
والاصل تظاهر تظاهرا الا انه ادغم واظهر اظهارا واصله تظهر تظهرا
الا انه ادغمت التاء فى الظاء وقيل ان هذه الآية نزلت فى خولة بنت ثعلبة

وزوجها

وزوجها اوس بن الصامت فى قول قتادة وكان يجادلها اياه مراجعتها فى امر زوجها
وقد كان ظاهر منها وهى تقول كبرت سنى ودق عظمى وان لى صبية صغارا وانا
شابة فلما علت سنى يريد ان يطلقنى ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لها بنت منه
على ما رواه ابو العالية وفى رواية غيره انه قال لها ليس عندى فى هذا شىء فنزلت
الآية وقال ابن عباس نزلت الآية فى اوس بن الصامت وكانت تحته بنت
عم له فقال لها انت علىّ كظهر امى وهو اول من ظاهر فى الاسلام وقيل كان
يقال للمرأة خولة بنت خويلد وكان الرجل فى الجاهلية اذا قال لامرأته انت علىّ كظهر
امى حرمت عليه فى الاسلام فانزل الله تعالى فى قصة الظهار الآيات والخلاف ان
الحكم عام فى جميع من يظاهر وان نزلت الآية على سبب خاص فقال الله تعالى لنبيه قد سمع
الله قول التى تجادلك فى زوجها فالجدال والمجادلة هى المخاصمة وقد يقال للمراجعة
والمقابلة المعنى بما يخالفه مجادلة واصل الجدال الفتل ومن قال المعنى بخلاف ما طلبا
للفائدة فليس بمجادل فمجادلة المرأة لرسول الله كان مراجعتها اياه فى امر زوجها وذكرها
انه كبرت سنى ودق عظمى وانى يقول بنت منه على ما رواه ابو العالية لانه لم يكن
نزل عليه فى ذلك وحى ولا حكم وقوله وتشتكى الى الله اى تظهر ما بها من المكروه
وتقول اللهم انك تعلم حالى فارحمنى فالاشتكاء اظهار ما بالانسان من المكروه
والشكاية اظهار ما يصنعه به غيره من المكروه وقوله والله يسمع تحاوركما
اى مراجعة بعضكما لبعض والتحاور التراجع وهو المحاورة تقول حاوره محاورة
وحاوره محاورة اى راجعه الكلام قال عنترة لو كان يدرى ما المحاورة
اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى ، ان الله سميع بصير اى على صفة يجب ان
يسمع المسموعات اذا وجدت ويبصر المبصرات اذا وجدت ثم قال الذين يظاهرون
منكم من نسائهم اى الذين يقولون لنسائهم انت علىّ كظهر امى ومعناه ان ظهرك علىّ حرام

كظهر امي فقال الله تعالى ما هن امهاتهم اي ليست ازواجهم امهاتهم على الحقيقة
وليست امهاتهم في الحقيقة الا اللائي ولدنهم من الام وحده ثم اخبر بان القايل
لهذا يقول قولا منكرا قبيحا وزورا اي كذبا لانه اذا جعل ظهرها كظهر امه وليست
كذلك كان كاذبا في قوله وان الله يعفو لهم ذلك اذا تابوا رحيم بهم منعم عليهم (وانا بوا عفو وا[...])
وفي ذلك دلالة على ان الله رحمها وغيرها من النساء لرغبتها في زوجها بالتوسعة
من جهة الكفارة التي تحل بها ثم بين تعالى ما يلزمه من الحكم فقال والذين يظاهرون
من نسائهم يعني الذين يقولون هذا القول الذي حكيناه ثم يعودون لما قالوا و
اختلفوا في معنى العود فقال قتادة هو العزم على وطيها وقال قوم العود
الامساك عزم او لم يعزم وقال الشافعي هو ان يمسكها بالعقد ولا يتبع الظهار
بطلاق وحكى الطبري عن قوم انهم قالوا فيه تقديم وتاخير وتقديره والذين
يظهرون من نسائهم فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا فان لم يجد فصيام شهرين
فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ثم يعودون لما قالوا وقال قوم معناه ثم
يعودون لنقض ما قالوا او رفع حكمه وقال قوم لا يجب عليه الكفارة حتى يعود
القول ثانية وهو خلاف اكثر اهل العلم والذي هو مذهبنا ان العود المراد به ارادة الوطي
او نقض القول الذي قاله فانه لا يجوز له الوطي الا بعد الكفارة ولا يبطل حكم
القول الاول الا بعد ان يكفر وقال الفراء يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون
الى ما قالوا وفيما قالوا او في نقض ما قالوا اي يرجعون عما قالوا ويجوز في العربية
ان يقول ان عاد لما فعل يريد ان فعله مرة اخرى ويجوز ان عاد لما فعل اي نقض
ما فعل كما يقول حلف ان يضربك بمعنى حلف لا يضربك وحلف ليضربنك وقوله
فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا بيان لكيفية الكفارة فان اول ما يلزمه من الكفارة
عتق رقبة فالتحرير هو ان يجعل الرقبة المملوكة حرة بالعتق بان يقول المالك انه حر

لعفو غفور اي ثم

والرقبة ينبغي ان تكون مومنة سواء كانت ذكرا او انثى صغيرة او كبيرة اذا كانت
صحيحة الاعضاء فان الاجماع واقع على انه يقع الاجزاء بها وقال الحسن وكثير من الفقها
ان كانت كافرة اجزات وفيه خلاف وتفاصيل ذكرناه في كتب الفقه وتحرير الرقبة
واجب قبل المجامعة لظاهر قوله من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يجامعها فيمسها وهو
قول ابن عباس فكان الحسن لا يرى باسا ان يغشى المظاهر دون الفرج وفي رواية
اخرى عنه انه يكره للظاهر ان يقبل والذي يقتضيه الظاهر الا يقربها بجماع على
حال ولا يماسه شهوة وقوله ذلكم توعظون به ان تظاهروا ثم قال والله بما تعملون
خبير اي عالم بما يفعلونه من خير وشر فيجازيكم بحسبه ثم قال فمن لم يجد يعني الرقبة
وعجز عنها فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا والتتابع عند اكثر العلماء ان يوالي
بين ايام الشهرين الهلاليين او يصوم ستين يوما وعند قوم ان يزيد من نصف شهر
لا يفطر فيما بينهما فان افطر لا لعذر استانف وان افطر لعذر من مرض اختلفوا فمنهم
من قال يستانف من عذر وغير عذر وبه قال ابرهيم النخعي ورواه جابر عن ابي جعفر و
قال قوم يبني وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وعطاء والشعبي واجمعوا على
ان المراة اذا افطرت للحيض في الشهرين المتتابعين في كفارة قتل الخطاء انها تبني
فقاسوا عليه الظاهر وروى اصحابنا انه اذا صام شهرا ومن الثاني بعضه ولو يوما
ثم افطر لغير عذر فقد اخطا الا انه يبني وان افطر قبل ذلك استانف ومتى بدا
بالصوم وصام بعضه ثم وجد العتق لا يلزمه العتق وان رجع كان افضل وقال
قوم يلزمه الرجوع الى العتق ومتى جامع في ليالي الصوم وجب عليه الاستيناف
وبطل حكم التتابع لانه خلاف الظاهر ومن جامع قبل الكفارة لزمته كفارة ثانية عند
اصحابنا وكلما وطي لزمته كفارة بعدد الوطي وقوله فمن لم يستطع يعني من لم يقدر
على الصوم فاطعام ستين مسكينا يعطي عندنا لكل مسكين نصف صاع فان

وعندنا انه اذا صام شهرا ومن الاخر
ولو يوما فقد تابع فان فرق فيما بعد
جاز وعند قوم ان يصوم شهرا ثم

لم يجد لما عطاه شيئا وروي عن النبي صلعم انه اعطى المظاهر نصف وسق ثلثين صاعا
وقال اطعم ستين مسكينا وراجعها وذلك انه كان فقيرا عاجزا من جميع الكفارات
وقال الحسن اعانه رسول الله صلعم بخمسة عشر صاعا والعدد مراعى فان لم يجد العدد
كرر على الموجود تمام الستين وان جامعها قبل ان يتم الاطعام فظاهر المذهب يقتضي
انه تلزمه وقال اخرون يستأنف الكفارة وقال قوله ذلك لتومنوا بالله و
رسوله معناه انا شرعنا لكم ما ذكرناه في حكم الظهار لما علمناه من مصالحكم لتومنوا
بالله ورسوله فتصدقوهما وتقروا بتوحيد الله وبنوة نبيه ثم قال وتلك
حدود الله يعني ما ذكرناه من حكم الظهار ثم قال وللكافرين اي الجاحدين
لصحة ما قلناه عذاب اليم ومتى يوتي بلفظ الظهار الطلاق لم يقع به طلاق وفيه
خلاف بين الفقهاء والاطعام لا يجوز الا للمسلمين دون اهل الذمة وفيه خلاف
ومسايل الظهار وفروعها ذكرناها في كتب الفقه ثم قال ان الذين يحادون
الله ورسوله والمحادة المخالفة في الحدود اي من خالف الله ورسوله فيما ذكراه من
الحدود كبتوا اي اخذوا في قول قتادة وقال غيره اذلوا وقال الفراء معناه غيظوا
واحزنوا يوم الخندق كما كبت الذين من قبلهم يعني من قاتل من الانبياء من قبلهم ثم قال
تعالى وقد انزلنا آيات بينات اي حججا واضحات من القرآن وما فيه من الادلة ثم قال
وللكافرين اي الجاحدين لما انزلناه من القرآن والايات عذاب مهين اي يهينهم و
يخزيهم قوله تبارك وتعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما
عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد الم تر ان الله يعلم ما في
السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو
سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم
بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى

كفارة اخرى لانه وطئ
قبل الكفارة وقال قوم
لا تلزمه صح

ثم يعودون

ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير يا ايها الذين آمنوا اذا
تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر و
التقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ليحزن
الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون
ثمن آيات قرأ حمزة وخلف ورويس ويعقوب وينتجون بغير الف الباقون يتناجون بالف
وقرأ ابو جعفر ما تكون بالتاء الباقون بالياء لان تأنيث نجوى ليس بحقيقي لما قال
تعالى ان للكافرين بحدود الله الجاحدين لهم عذابا مهينا بين متى يكون ذلك
فقال يوم يبعثهم الله جميعا اي يحشرهم الى ارض المحشر ويعيدهم احياء فينبئهم
اي يخبرهم ويعلمهم بما عملوه في دار الدنيا من المعاصي وارتكاب القبايح ثم قال
احصاه الله عليهم واثبته في كتاب اعمالهم ونسوهم والله على كل شيء شهيد
ومعناه انه يعلم الاشياء كلها من جميع وجوهها لا يخفى عليه شيء من ذلك وان كان
كثيرا من الاشياء لا يصح مشاهدتها ولا ادراكها ومنه قوله شهد الله
انه لا اله الا هو اي علم ذلك ثم بين فقال الم تر ومعناه الم تعلم والخطاب
للنبي والمراد به جميع المكلفين ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض من الموجودات
لا يخفى عليه شيء منها لانه عالم لنفسه يجب ان يكون عالما بما يصح ان يكون معلوما
وقيل التقدير الم تر ان الله يعلم ما في السماوات وما في الارض مما ترى من
تدبيرهما في مسير الشمس والقمر في الحر والبرد والزرع والثمار وساير صنوف
الانجاد على ما يقتضي عالما دبر ذلك وجعل كل شيء منه في وقته لما يصلح له وذلك
يقتضي انه عالم بكل نجوى لانه عالم لنفسه لا يحدث علم واذا ثبت انه عالم

لنفسه وجب ان يكون عالماً بكل معلوم وقوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا
والمعنى انه عالم باحوالهم وجميع متصرفاتهم فرادى وعند الاجتماع لا يخفى عليه
شئ منها فكانه معهم مشاهد لهم وعلى هذا يقال ان الله مع الانسان حيث ما كان
لانه كان عالماً لا يخفى عليه شئ من امره حتى انه ظاهر له اتم الظهور لكن شاهد من هو
معه في المكان حسن هذه المافية من البيان فاما ان يكون معهم على طريق المجاورة
فمحال لان ذلك من صفات الاجسام والله تعالى ليس بجسم ويقولون فلان رابع
اربعة اذا كان احد اربعة ورابع ثلثة اذا جعل ثلثة اربعة بكونه معهم ويجوز على
هذا ان يقال رابع ثلثة ولا يجوز رابع اربعة لانه ليس فيه معنى الفعل ويجوز في ثلثة
الجر باضافة النجوى اليها ويجوز بانها صفة النجوى ويجوز النصب بالحال ويكون
وقوله ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة معناه يعلمهم بما عملوه من المعاصي والاعمال
ويخبرهم بها لان الله بكل شئ عليم لا يخفى عليه خافية ثم قال لنبيه والمراد به جميع
الامة الم ترعيني الم تعلم الى الذين نهوا عن النجوى قال مجاهد كان النبي
صلعم نهى اليهود عن النجوى بينهم لانهم كانوا لا يتناجون الا بما يسؤ المؤمنين
وقال الفراء نزلت في المنافقين واليهود ونهوا ان يتناجوا اذا اجتمعوا مع
المسلمين في موضع واحد والنجوى هي السرار والنجوة الارتفاع من الارض وهو
الاصل ومنه النجاء الارتفاع في السير والنجاة الارتفاع من الهلاك وقوله
ثم يعودون لما نهوا عنه معناه يعودون فيتناجون ويخالفون نهي النبي صلى الله عليه وآله
ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول التناجي والمناجاة يكون بين
اثنين فصاعداً ويقال انتجوا بمعنى ذلك كما قال اختصموا وتخاصموا وكذلك
انتجوا وتناجوا بمعنى ومنه قوله النبي صلعم في علي عليه السلم ما انا انتجيته ولكن

الله انتجاه ومنه النجاء قوله اذا تناجيتم وكلاهما حسنان قال قتادة كان المنافقون
يتناجون بينهم فيغيظ ذلك المؤمنين وقال ابن زيد كانوا يوهمون انه قد حدثت
بلية على المسلمين من حرب او نحوه فاخبر الله عنهم انهم كانوا يتناجون بالاثم يعني
بالمعاصي والعدوان التعدي الى غير الواجب ومعصية الرسول اي ما يعصون
به الرسول صلعم وقوله واذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله قال
قتادة ومجاهد وهو المروي عن عايشة رض انه كانت تحيتهم السام عليك يا ابا القسم
وقال ابن عباس كان المنافقون يقولون ذلك وقيل كان النبي يرد على من
قال ذلك فيقول وعليك وقال ابن زيد السام الموت وقال الحسن كانت اليهود
تقول السام عليكم اي انكم ستسامون دينكم هذا اي تملونه فتدعونه
فهذا من سئمت الامر اسأمه سأماً وسآمة ومن قال السام الموت فهو سام الحياة
بذهابها وقوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول قال كانوا يقولون لو
ان كان نبياً صادقاً فهلا يعذبنا الله بما نقول من النجوى وغيره فقال الله
تعالى لهم حسبهم جهنم اي كافيهم جهنم يصلونها يوم القيامة ويحترقون فيها
وبئس المصير اي بئس المرجع والمآل لما فيها من انواع العقاب ثم امر المؤمنين
فقال يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم انتم فيما بينكم اي تساررتم فلا تتناجوا بالاثم
يعني بالمعاصي ولا بالعدوان ولا بمعصية الرسول ومخالفته وتناجوا بالبر والتقوى
اي بافعال الخير والخوف من عذاب الله ثم قال واتقوا الله باجتناب معاصيه
الذي اليه تحشرون يعني يوم القيامة ثم قال انما النجوى من الشيطان يعني نجوى
المنافقين والكفار بما يسؤ المؤمنين ويغمهم من الشيطان اي بدعاء الشيطان
واغوائه يفعل ذلك ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً الا باذن الله معناه
الا بعلم الله وتمكينه اياهم لان تكليفهم اياهم بذلك وقيل معناه الا بفعل

الله الغم والحزن في قلوبهم لان الشيطان لا يقدر على فعل ذلك ثم قال وعلى الله
فليتوكل المؤمنون اي يجب على المؤمنين ان يتوكلوا في جميع امورهم عليه تعالى دون غيره

قوله تبارك وتعالى

يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم واذا
قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
والله بما تعملون خبير يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي
نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم
أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم
فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون
ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على
الكذب وهم يعلمون اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون
خمس آيات قرأ عاصم وحده تفسحوا في المجالس على الجمع لاختلافها الباقون في المجلس
على التوحيد لانهم ذهبوا مذهب المجلس لانه مصدر يدل على القليل والكثير وقيل
لانهم ارادوا مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعلى هذا الوجه الافراد ومن جمع اراد
كل جالس مجلسا اي موضع جلوس وقرا انشزوا بضم الشين نافع وابن عامر وعاصم
الا حمادا ويحيى عن ابي بكر الباقون بكسر الشين وهما لغتان مثل يعرشون
ويعرشون ويعكفون ويعكفون يقول الله تعالى مخاطبا للمؤمنين وآمرا لهم
بانه اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس بمعنى اتسعوا فيها يقال تفسح تفسحا وله في هذا
الامر فسحة اي متسع والتفسح الاتساع في المكان وفسح له في المجلس يفسح فسحا ومكان
فسيح والتفسح والتوسع واحد قال قتادة كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله
عليه وآله فقيل لهم تفسحوا وقال ابن عباس اراد به مجلس القتال فافسحوا اي وسعوا

يفسح الله لكم اي يوسع عليكم منازلكم في الجنة واذا قيل انشزوا فانشزوا
اي اذا قيل لكم ارتفعوا في المجلس فارتفعوا والنشوز الارتفاع عن الشيء بالذهاب
عنه وهو نشوز المراة عن زوجها يقال نشز ينشز نشوزا ونشزا قال قتادة ومجاهد
والضحاك معناه اذا قيل قوموا الى صلاة او عمل خير او امر بمعروف او تفرق عن رسول الله فقوموا وقوله يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
معناه متى فعلتم ما امرتم به رفع الله الذين آمنوا منكم ورفع الذين اوتوا العلم درجات
لانهم احق بالرفعة وفي ذلك دلالة على ان هذا العالم اكثر ثوابا من فعل من ليس بعالم
والله بما تعملون من التفسح والنشوز وغير ذلك خبير اي عالم ثم خاطبهم ايضا
فقال يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول اي ساررتموه فقدموا بين
يدي نجواكم صدقة قال الزجاج كان سبب نزول الاية ان الاغنياء كانوا يستخلون
النبي عليه السلم فيسارونه بما يريدون والفقراء لا يتمكنون من النبي فكرهم ففرض
الله تعالى عليهم الصدقة قبل النجوى ليمتنعوا من ذلك وتعبدهم بان لا يناجي احد
رسول الله الا بعد ان يتصدق بشيء ما قل او كثر فلم يفعل احد ذلك على ما روي
فاستقرض امير المؤمنين عليه السلم دينارا وتصدق به ثم ناجى النبي صلى الله عليه وآله
فنسخ الله تعالى ذلك الحكم بالاية التي بعدها وقوله ذلك خير لكم واطهر اي
ذلك التصدق بين يدي النبي صلعم خير لكم واطهر ومعناه ان فعل ذلك ادعى
الى مجانبة المعاصي من تركه ثم قال قل لهم فان لم تجدوا يعني ما تتصدقون به فان الله
غفور رحيم يستر عليكم ترك ذلك ويرحمكم وينعم عليكم ثم قال ناسخا لهذا الحكم
أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات وظاهر هذا الكلام توبيخ على
ترك الصدقة وانهم تركوا ذلك اشفاقا وخوفا على نقصان المال فقال
فاذ لم تفعلوا ذلك وتاب الله عليكم لتقصيركم في فعل الصدقة فاقيموا

الصلاة التي اوجبها الله عليكم وادعوا افعالها وادوا شروطها وآتوا الزكاة التي
افترضها عليكم واطيعوا الله ورسوله فيما امركم به ونهاكم عنه والله خبير بما
تعملون اي عالم بما تعملونه من طاعة او معصية وهو مجازيكم بحسبه ثم قال
للنبي عليه السلم الم تر يا محمد الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم والمراد به قوم من المنافقين
كانوا يوالون اليهود ويفشون اليهم اسرارهم ويجتمعون معهم على ذكر مساءة النبي صلعم
والمومنين وهو قول قتادة وابن زيد ثم قال ما هم منكم اي ليسوا مومنين
ولا هم يهود فيكونوا منهم بل هم قوم منافقون ثم قال ويحلفون يعني هاولاء
المنافقين على الكذب يعني يقولون انا معكم ونحن نتوب وليسوا كذلك وهم يعلمون
انه كذلك ثم بين ما لهم من العقاب فقال اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء
ما كانوا يعملون لانهم كانوا يعملون المعاصي والقبائح قوله تبارك وتعالى
اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم
هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان
الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك
في الاذلين ٢ خمس آيات لما ذكر الله تعالى المنافقين بانهم تولوا قوما من اليهود
الذين غضب الله عليهم وذكر ما اعد لهم من العقاب وذكر انهم يحلفون على
الكذب مع علمهم بانهم كاذبون ثم اتخذوا ايمانهم التي يحلفون بها جنة اي سترة
وترسا يدفعون بها عن نفوسهم التهمة والظنة اذا ظهرت منهم الريبة والجنة
التي عدة كالمجن يقال اتخذ سلاحا واتخذ كراعا ورجالا واتخذ دارا لنفسه اذا اعدها
لنفسه فهاولاء جعلوا الايمان عدة ليدفعوا بها عن نفوسهم الظنة والجنة

السترة واصله الستر ومنه الجنة لاستتارهم عن العيون والجنة لاستتارها بالشجر والمجن
الترس لستره صاحبه عن ان يناله السلاح وقوله فصدوا عن سبيل الله اي صدوا
نفوسهم وغيرهم عن سبيل الله التي هي الحق والهدى وقيل فصدوا عن سبيل الله من
قبلهم بمكرهم ثم بين تعالى ما لهم على ذلك فقال فلهم عذاب مهين يهينهم ويذلهم
والاهانة الاحتقار يقال اهانه يهينه اهانة ومثله اذله يذله اذلالا واخزاه يخزيه
اخزاء ونقيضه الاكرام ثم قال لن تغني عنهم اموالهم التي جمعوها ولا اولادهم
الذين خلفوهم من الله شيئا فيدفع عقابه عنهم يقال اغنى يغني غنى اذا دفع عنه دفعا
يستغني عنه ثم قال اولئك مع هذا كله اصحاب النار اي الملازمون لها هم فيها
خالدون مؤبدون لا يخرجون عنها يوم يبعثهم الله جميعا يوم يتعلق بلن يغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا يوم يبعثهم الله جميعا يعني يوم القيامة
فيحلفون له اي يقسمون لله كما يحلفون لكم في الدنيا بانهم كانوا مومنين في الدنيا
في اعتقادهم وظنهم لانهم كانوا يعتقدون ان ما هم عليه هو الحق ويحسبون انهم
على شيء معناه يظنون انهم على شيء في هذه الايمان فقال الله تعالى الا انهم هم
الكاذبون فيما يذكرونه من الايمان والمعنى انهم لم يكونوا مومنين على الحقيقة
وانما كان اعتقادهم اعتقاد جهل وقيل معناه انهم هم الكاذبون في الدنيا
وقيل معناه الا انهم هم الخائبون يقال كذب ظنه اذا خاب امله وقال قوم
ويحسبون انهم على شيء يعني في دار الدنيا ولا يحسبون ذلك في الآخرة لانهم يعلمون
الحق باضطرار وهم ملجؤون الى الافعال الحسنة وترك القبيح قال الرماني وهذا
غلط لانه ينافي لظاهر القرآن بغير دليل قال والصواب ما قال الحسن في ان الآخرة
مواطن فيكونون في بعضها من فعل القبيح ولا يكونون في بعض ويكون كذبهم
ككذب الصبي للدهش الذي يلحقهم وقال قوم ان قوله الا انهم هم الكاذبون

اخبار عن حالهم في الدنيا بانهم كاذبون في الدنيا في قولهم انا مؤمنون وهم منافقون
لان الكذب لا يجوز ان يقع منهم في الاخرة على وجه ثم قال تعالى ان الذين
يحادون الله ورسوله اي يخالفون في حدوده وقال مجاهد معناه يشاقون
الله ورسوله بان يجعلوا في حد آخر عادلين عن حدود الله وقوله اولئك في الاذلين
اخبار منه تعالى ان الذين يحادونه ويحادون رسوله في الاخرين المهينين عند
الله وقال الزجاج معناه في المغلوبين وقوله استحوذ عليهم الشيطان معناه
استولى عليهم فالاستحواذ الاستيلاء على الشيء بالاقتطاع واصله من حاذه يحوذه حوذا
مثل حازه يحوزه حوزا فانساهم ذكر الله حتى لا يذكرون الله ولا يخافونه ثم قال
اولئك يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان جنود الشيطان وحزبه ثم قال الا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم يخسرون الجنة ويحصل لهم بدلها النار وذلك
هو الخسران المبين قوله تبارك وتعالى كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ
أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ
اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ آيتان قرأ عشيراتهم على الجمع الاعشى
عن ابن غالب قوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي معناه انه كتب في اللوح المحفوظ
وما كتبه فلا بد من ان يكون وقال الحسن ما امر الله نبيا قط بحرب الا غلب اما
في الحال او فيما بعد ويحتمل ان يكون المراد كتب الله لاغلبن انا ورسلي بالحجج و
البراهين وان جاز ان يغلب في الحرب في بعض الاوقات والغلبة قهر المنازع حتى
يصير في حكم الذليل للغالب وقد يشترك ما ليس بمنازع كقولهم قهر الغلام حتى فزع منه

والله

والله تعالى غالب بمعنى انه قاهر لمن نازع اولياءه وقوله ان الله قوي عزيز اخبار
منه تعالى انه قادر لا يمكن احدا منعه ولا غلبته لان مقدوراته لا نهاية لها ومن كان كذلك
لا يمكن قهره والعزيز المنيع بكثرة مقدوراته وقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله و
اليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله معناه ان المؤمن لا يكون مؤمنا كامل
الايمان والثواب يواد من خالف حدود الله وشاقه وشاق رسوله بمعنى يواده من
يواليه وان كان ذلك الذي يواده اباه او ابنه او اخاه او عشيرته فمن خالف
ذلك ووالى من ذكرناه كان فاسقا ولا يكون كافرا وكل كافر فهو محاد لله ورسوله
والموادة الموالاة بالنصرة والمحبة فهذا لا يجوز الا للمؤمن بالله دون الكافر والفاسق
المرتكب للكبائر لانه يجب البراءة منهما وهي منافية للموالاة والاية نزلت في حاطب ابن ابي
بلتعة حين كتب لاهل مكة يخبرهم بان النبي صلى الله عليه وآله عزم على ان يأتي مكة بغتة
يفتحها وكان النبي صلى الله عليه وآله عزم على اخفاء ذلك فلما عوتب على ذلك قال
اهلي بمكة احببت ان احوطهم بيد تكون لي عندهم فانزل الله تعالى فيه الاية ثم
قال تعالى اولئك يعني الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر كتب في قلوبهم الايمان
ومعناه انه جعله بحكمه فكانه مكتوب فيه وقيل معناه انه جعل في قلوبهم سمة تدل
من علمها انهم من اهل الايمان وقال الحسن معناه انه ثبت الايمان في قلوبهم
بما فعل بهم من الالطاف وايدهم بروح القدس منه اي قواهم بنور البرهان والحجج
حتى اهتدوا الحق وعملوا به وقيل ايدهم بجبرئيل من امر الله في كثير من المواطن
ينصرهم ويدفع عنهم ويدخلهم جنات اي بساتين تجري من تحتها الانهار اي من
تحت اشجارها الانهار وقيل لان انهارها اخاديد في الارض فلذلك قال
من تحتها والانهار جمع نهر خالدين فيها اي مؤبدين لا يفنون ولا يخرجون منها و
هو نصب على الحال رضي الله عنهم باخلاصهم الطاعة منهم ورضوا عنه بثواب الجنة

ثم قال اولئك حزب الله يعني جنده واولياؤه ثم قال الا وهي كلمة تنبيه ان حزب الله
يعني جنوده واولياءهم المفلحون والمفلح المنجح بادراك ما طلب وقال الزجاج حزب
الله هم الذين اصطفاهم الله وقرا المفضل عن عاصم كتب في قلوبهم الايمان على ما لم
يسم فاعله الباقون بفتح الكاف يعني ان الله كتب ذلك عليهم

سورة الحشر

مدنية بلا خلاف وهي اربع وعشرون آية بلا خلاف قوله تبارك وتعالى
بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما في السماوات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي
اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان
يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم
يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين
فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في
الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن
يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة
على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين احدى آيات قرا ابو عمرو وحده
يخربون بالتشديد قال الفراء وهي قراءة ابي عبد الرحمن السلمي والحسن الباقون
بالتخفيف قال قوم معناهما واحد مثل اكرمته وكرمته وقال بعضهم معنى
التخفيف انهم ينتقلون عنها فيعطلونها وبالتشديد يهدمونها قوله تعالى
سبح لله ما في السماوات وما في الارض وهو العزيز الحكيم فلا معنى لاعادته وقوله
هو الذي اخرج الذين كفروا من ديارهم معناه ان الله الذي وصفه بانه عزيز حكيم
هو الذي اخرج الكفار من اليهود من ديارهم لاول الحشر قال قتادة ومجاهد

بنو النضير لما نزل النبي المدينة عاقده بنو النضير على ان لا يكونوا لا عليه ولا له
ثم نقضوا العهد وارادوا ان يطرحوا عليه حجرا حين مضى النبي صلعم اليهم يستعين
بهم في تحمل بعض الديتين اللتين لزمتا صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين انفلت
من بير معونة فقتل نفسين كان النبي آجرهما ومالؤا المشركين على النبي صلعم فاجلاهم اخرجها
الله عن ديارهم على ان لهم ما اقلت الابل الا الحلقة والباقي لرسول الله فاجلاهم
النبي عليه السلم على هذا عن ديارهم ومنازلهم فمنهم من خرج الى خيبر ومنهم من خرج
الى الشام وقوله لاول الحشر قال قوم اول الحشر هو حشر اليهود من بني النضير
الى ارض الشام وثاني الحشر حشر الناس يوم القيامة الى ارض الشام ايضا وقال
البلخي يريد اول الجلاء لان بني النضير اول من اجلي من ارض العرب والحشر جمع الناس
من كل ناحية ومنه الحاشر الذي يجمع الناس الى ديوان الخراج والجمع حشار ما ظننتم
ان يخرجوا اي لم تظنوا خروجهم منها فظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله
اي حسبوا ان الحصون التي هم فيها تمنعهم من عذاب الله وانزاله بهم على يد نبيه
فجعل تعالى امتناعهم من رسوله امتناعا منه وقوله فاتاهم الله من حيث لم
يحتسبوا اي اتاهم امر الله من حيث لم يحتسبوا اتيانه منه وقذف اي القى في
قلوبهم الخوف وهو الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين معناه انهم
كانوا يهدمون بيوتهم بايديهم من داخل ليهربوا ويخرب المؤمنون من خارج على
ما ذكره الحسن ثم قال فاعتبروا يا اولي الابصار ومعناه اتعظوا وفكروا
ولا تفعلوا كما فعل هؤلاء فيحل بكم ما حل بهم والحصون جمع حصن وهو البناء العالي
المنيع يقال تحصن فلان اذا امتنع بدخول الحصن ومن استدل بهذه الآية على صحة
القياس في الشريعة فقد ابعد لان الاعتبار ليس من القياس في شي وانما معناه الاتعاظ
على ما بيناه ولا يليق بهذا الموضع قياس الشرع لانه لو قال بعد قوله يخربون بيوتهم

بايديهم وايدي المؤمنين فخربوا الدور على الخشية لما كان كلاهما صحيحا ولم نر ذلك شيئا يليق
وانما يليق بالتقدم الاعتقاد والانزجار من مثل افعال القوم من الكفر بالله
وقوله ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء معناه لولا ان الله كتب في اللوح المحفوظ
بما سبق في علمه انهم يجلون عن ديارهم يعني اليهود لعذبهم في الدنيا بعذاب الاستيصال
والجلاء الانتقال عن الديار والاوطان للبلاء وقيل هو الفرار عن الاوطان يقال
جلا القوم جلاء واجليتهم اجلاء ثم قال ولهم في الآخرة مع الجلاء من الاوطان عذاب عن منازلهم
النار يعذبون بها ثم بين لم فعل بهم ذلك فقال ذلك اي فعلنا بهم ذلك بانهم
شاقوا الله ورسوله وخالفوهما وعصوهما ثم توعد من يسلك مسلكهم في المشاقة
لله ورسوله فقال ومن يشاق الله ورسوله فان الله شديد العقاب يعاقبهم على
مشاقتهم باشد العقاب وقوله ما قطعتم من لينة فاللينة كل نخلة لينة سوى العجوة في
قول ابن عباس وقتادة وهي لغة اهل المدينة وقال بعضهم الا البرني والعجوة
وقال مجاهد وعمرو بن ميمون كل نخلة لينة ولم يستثنوا وقال سفيان اللينة
كرام النخل واصل اللينة اللونة فقلبت الواو ياء لكسرة وجمع ليانا قال ذو الرمة
طراف الحوافي واقع فوق لينة ندى ليلة في ريشه يترقرق وكانه قال لون من
النخل اي ضرب منه وقيل يجوز ان يكون من اللين فاللين ثم قال او تركتموها قائمة
على اصولها فباذن الله اي قطعتموها او تركتموها بحالها كل ذلك سائغ لكم
وهو بعلم الله واذنه في ذلك وامره به وقوله وليخزي الفاسقين اي فعل ذلك
ليذل بالكفار الفاسقين من اليهود يعني بذلك انهم يفعلونه على وجه الفساد في
الارض لان فيما فعلوه اذلالا لاهل الشرك وعزا لاهل الاسلام قوله
تبارك وتعالى وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا
ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ما افاء الله

على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب للفقراء
المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان
من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف
رحيم، عشر آيات، قرأ ابو جعفر كيلا تكون بالتاء دولة بالرفع اضاف
الفعل الى الدولة، الباقون دولة نصب اراد والفيء او المال قوله وما افاء
الله على رسوله منهم يعني من اليهود الذين اجلاهم من بني النضير وان كان
الحكم ساريا في جميع الكفار اذا كان حكمهم حكمهم فالفيء رد ما كان
للمشركين على المسلمين بتمليك الله اياهم ذلك على ما شرط فيه يقال فاء يفيء
فيئا اذا رجع وافاءه انا عليه اذا رددته عليه وقال عمر بن الخطاب فهو مال
الفيء مال الجزية والخراج والفيء كل ما رجع من اموال الكافرين الى المؤمنين فمنه
غنيمة وغير غنيمة فالغنيمة ما اخذ بالسيف فاربعة اخماسه للمقاتلة وخمسه للذين
ذكرهم الله في قوله واعلموا انما غنمتم الآية، وقال كثير من العلماء ان
الفيء المذكور في هذه الآية هو الغنيمة وقال قوم مال الفيء خلاف مال الصدقات
لان مال الفيء اوسع فانه يجوز ان يصرف في مصالح المسلمين ومال الصدقات انما هو
في الاصناف الثمانية وقال قوم مال الفيء للفقراء من قرابة رسول الله

باجماع الصحابة في زمن عمر بن الخطاب رضه ولم يجعل فيه احدٌ الا الشافعي فانه قال
تأخذ منه الفقراء والاغنياء وانما ذكرها في الاية لانهم منعوا الصدقة فبين انهم
في مال الفيء حقًا وقال عمر بن الخطاب رضه مال بني النضير كان فيا لرسول الله
خاصة ولذي القربى قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله من بني هاشم وبني المطلب وقيل
جعل ابو بكر وعمر رضه سهمين سهم رسوله وسهم قرابته من الاعتياد في سبيل الله وصدقة
عن رسول الله ذكره قتادة والباقي في اهل الحاجة من اطفال المسلمين الذين لا آباء لهم
وابن السبيل المنقطع به من المسافرين في غير معصية الله وقال يزيد بن رومان الغنيمة
ما اخذ من دار الحرب بالقتال عنوة وقيل كانت الغنائم في صدر الاسلام لهاؤلاء
الاصناف ثم نسخ بما ذكر في سورة الانفال بالخمس والباقي للغانمين ذكره قتادة والاكثر
يذهب اليه ان مال الفيء غير مال الغنيمة فالغنيمة كل ما اخذ من دار الحرب بالسيف
عنوة مما يمكن نقله الى دار الاسلام وما لا يمكن نقله الى دار الاسلام فهو لجميع المسلمين
والفيء كل ما اخذ من الكفار بغير قتال او انجلاء اهلها وكان ذلك للنبي عليه السلم
خاصة يضعه في المذكورين في هذه الاية وهو لمن قام مقامه من الائمة الراشدين
وقد بين الله تعالى ذلك ومال بني النضير كان للنبي خاصة وقد بينه الله وما
افاء الله يعني ما ردّه الله ورده على رسوله منهم يعني من بني النضير ثم بين فقال
فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب اي لم توجفوا على ذلك بخيل ولا ركاب والايجاف
الاسراع وهو تسيير الخيل او الركاب وهو من وجف يجف وجيفا وهو تحرك باضطراب
والايجاف الازعاج للسير والركاب الابل ولكن الله يسلط رسله على من يشاء
من عباده حتى يقهروهم ويأخذوا اموالهم والله على كل شيء قدير وقادر
ثم قال مبينا من المستحق ذلك فقال ما افاء الله على رسوله من اهل القرى يعني
قرى بني النضير فلله وللرسول ولذي القربى يعني اهل بيت رسول الله صلى الله علي

[illegible] يصرفه الامام [illegible] في مصالح المسلمين

والمساكين

والمساكين وابن السبيل من اهل بيت رسول الله لان تقديره ولذي قرباه ويتامى اهل
بيته وابن سبيلهم لان الالف واللام تعاقب الضمير وظاهره يقتضي انها لهم سواء
كانوا اغنياء او فقراء ثم بين لم فعل ذلك فقال كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم
فالدولة بضم الدال نقلة النعمة من قوم الى قوم وبفتح الدال المرة من الاستيلاء والغلبة
ثم قال وما آتاكم الرسول فخذوه اي ما اعطاكم رسوله من الفيء فخذوه وارضوا به
وما امركم به فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا عنه فانه لا يأمر ولا ينهى الا عن امر
الله ثم قال واتقوا الله في ترك معاصيه وفعل واجباته ان الله شديد العقاب
لمن عصاه وترك اوامره ثم قال للفقراء يعني الذين لا مال لهم المهاجرين الذين هاجروا
من ديارهم واموالهم التي كان لهم بمكة فاخرجوا منها يبتغون فضلا اي طالبين
بذلك فضلا من الله ورضوانا فالجملة في موضع الحال وينصرون الله ورسوله يعني
ناصرين لدين الله ورسوله اولئك هم الصادقون عند الله في الحقيقة كي لا تكون دولة
بين الاغنياء منكم بل للفقراء المهاجرين ثم وصف الانصار فقال والذين تبوّأوا
الدار والايمان من قبلهم اي جعلوا ديارهم موضع مقامهم وآمنوا بالله من قبلهم نزلت
في الانصار فانهم نزلوا المدينة قبل المهاجرين وقيل ان كل من نزل بالمدينة قبل
الهجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو من الانصار وقوله والايمان من قبلهم يعني ان
الانصار آمنوا قبل هجرة المهاجرين وان كان في المهاجرين من آمن قبل ايمان الانصار
يحبون من هاجر اليهم من اهل مكة ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا قال
الحسن يعني حسدا قال الزجاج معناه لا يجد الانصار في نفوسهم حاجة مما يعطون
المهاجرين وقال البلخي لا يجدون حاجة في نفوسهم مما يؤتون المهاجرين من
الفضل في الدين وقال الطبري معناه لا يجدون في نفوسهم حاجة مما اعطى المهاجرين
من مال بني النضير فان النبي عليه السلم خصّ به المهاجرين الا رجلين من الانصار ابا دجانة

من مكة الى المدينة او هاجروا من دار الحرب الى دار الاسلام الذين خرجوا صح

العظيمو المنزلة لديه وصل تقدير الاية كي لا صح

سماك بن خرشة وسهل بن حنيف اعطاهما لفقرهما وانما فعل النبي عليه السلم ذلك لان مال بني النضير كان له خاصة والمهاجرين بهم حاجة حضهم بذلك والانصار كانوا في غنى فرضوا بذلك ومدحهم الله على ذلك ذكره ابن زيد وقوله ويؤثرون على انفسهم اى يختارون على انفسهم من يؤثره من مالهم من المهاجرين ولو كان بهم خصاصة بمعنى حاجة والخصاصة الحاجة التي تختل بها الحال والخصاص الفرج تتخللها البصر والواحد خصاص قال الراجز والناظرات من خصاص لمحا واصله الاختصاص بالانفراد بالامر والخصاص الانفراد عما يحتاج اليه والخصوص الانفراد بمعنى ما وضع له الاسم والخص انفراد كل قصبة عن اختها في الانسراج والخاصة انفراد المعنى بما يقول دون غيره وقوله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اى من منع شح نفسه والشح والبخل واحد وفي اسماء الدين هو منع الواجب فاولئك هم المفلحون بمعنى المنجحين الفائزون بثواب الله ونعيم جنته ثم قال والذين جاؤوا من بعدهم يعني بعد المهاجرين والانصار وهم جميع التابعين لهم الى يوم القيامة في قول الحسن وهو كل من اسلم بعد انقضاء العصر الاول وقال الاصم يعني من جاء من المهاجرين اى بعد انقطاع الهجرة وبعد ايمان الانصار يقولون ربنا الجملة في موضع الحال وتقديره قائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا اى حقدا وغشا يقولون ربنا انك رؤف رحيم اى متعطف على عباده منعم عليهم وقسمة الغنيمة عندنا للفارس سهمان وللراجل سهم وقال قوم للفارس ثلثة اسهم وللراجل سهم الا ما كان من الارض والاشجار فانه للامام ان يقسمها ان شاء وله ان يجعلها ارض الخراج ويردها الى من كانت في ايديهم قبل على هذا الوصف بحسب ما يرى كما فعل عمر بارض السواد وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة عنوة ولم يقسم ارضها بين المقاتلة وقال قوم فتحها صلحا وقوم

قوم كثير ابن عباس حين في المؤلفة قلوبهم دون المقاتلة حتى وقع من نفر من الانصار في ذلك ما وقع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضون ان يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله فرضوا وسلموا لله ولرسوله في قصة مشهورة قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدار بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم حن آيات قرا ابن كثير وابو عمرو من وراء جدار على التوحيد الباقون جدر على الجمع لما وصف الله تعالى المهاجرين الذين هاجروا من مكة وما لهم من الفضل وذكر الانصار وما لهم من جزيل الثواب وذكر التابعين باحسان وما يستحقونه وما هم عليه من الاوصاف قال الم تر يا محمد الى الذين نافقوا فاظهروا الايمان وابطنوا الكفر يقولون لاخوانهم في الكفر وهم الذين كفروا من اهل الكتاب يعني يهود بني النضير لئن اخرجتم من بلادكم لنخرجن معكم مساعدين لكم ولا نطيع فيكم يعني في قتالكم ومخاصمتكم احدا ابدا ولئن قوتلتم معاشر بني النضير لننصرنكم ولندفعن عنكم فقال الله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون فيما يقولون في مساعدتهم والخروج معهم والدفاع عنهم وظاهره يدل على انهم لم يخبروا عن ظنهم لانهم لو اخبروا عن ظنهم وعن نيتهم لما كانوا كاذبين ويجوز ان يكونوا كاذبين في العزم ايضا بان يقولوا انهم عازمون ولم يكونوا كذلك

من النعيم في الجنان ذكر للتابعين وما يستحقونه صح

ثم قال تعالى لئن اخرجوا يعني بني النضير لا يخرجون يعني المنافقين الذين قالوا لهم
انا نخرج معكم منهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار اي
ينهزمون ويخلونهم ثم لا ينصرون الجميع قال الزجاج فيه وجهان احدهما
انهم لو تعاطوا نصرهم والثاني ولئن نصروهم من بقي منهم لولوا الادبار فعلى هذا
لا يناقض قوله لا ينصرونهم وقوله ولئن نصروهم ثم خاطب المؤمنين فقال لانتم اشد
رهبة في صدورهم من الله اي انتم اشد خوفا في قلوب هاولاء المنافقين يخافونكم
ما لا يخافون الله لانهم قوم لا يفقهون الحق ولا يعرفونه ولا يعرفون معاني
صفات الله والفقه العلم بمفهوم الكلام في ظاهره ومتضمنه عند ادراكه ويتفاضل
احوال الناس فيه وقيل ان المنافقين الذين نزلت فيهم هذه الاية عبد الله ابن
ابي سلول وجماعة معه بعثوا الى بني النضير بهذه الرسالة ذكره ابن عباس ومجاهد
ثم عاد تعالى الى ذكر الخبر عن احوال بني النضير فقال لا يقاتلونكم معاشر
المؤمنين الا في قرى محصنة يعني ممتنعة جعل عليها حصون او من وراء جدار اي
من وراء الحيطان فالجدار الحائط من قرا على التوحيد فلانه اسم جنس يقع على
القليل والكثير ومن قرا على الجمع فلاختلاف الجدران ثم قال باسهم بينهم
شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى معناه عداوة بعض هاولاء اليهود لبعض شديد ظاهرهم
وقلوبهم شتى فيعادي بعضهم لبعض اي تظنهم على كلمة واحدة وهم متفرقون في ذلك
ذلك بانهم قوم لا يعقلون يعني ما فيه الرشد مما فيه الغي وقال مجاهد وقلوبهم
شتى يعني المنافقين واهل الكتاب وانما كان قلوب من يعمل بخلاف العقل شتى
لاختلاف دواعيهم واهوائهم وداعي الحق واحد وهو العقل الذي يدعو الى طاعة
الله والاحسان في الفعل وقوله كمثل الذين من قبلهم قريبا معناه مثل هاولاء
الذين من قبلهم يعني بني قينقاع في قول ابن عباس وقال مجاهد هم مشركو قريش

بيدر ذاقوا وبال امرهم من الشرك والكفر بالله وكان عاقبة امرهم كان القتل او الجلاء
وفي الاية دلالة على النبوة من جهة علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى وقوله
ولئن نصروهم ليولن الادبار جاء على تقدير المستقبل كما يجيء في الماضي بالواو لتبيين
جودهم وضعف قلوبهم واللام في قوله لئن اخرجوا ولئن قوتلوا وفي قوله ولئن
نصروهم كلها لام القسم واللام في قوله ليولن الادبار جواب القسم قوله
تبارك وتعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء
منك اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها
وذلك جزاء الظالمين يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت
لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فا
نساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
اصحاب الجنة هم الفائزون خمس ايات معنى قوله كمثل الشيطان اي مثل هاولاء
المنافقين فيما قالوا لليهود مثل قول الشيطان حين قال للانسان اكفر واغواه بدعا
دعاه اليه فلما كفر يعني الانسان قال الشيطان اني بريء منك اني اخاف الله رب
العالمين يعني اخاف عقابه وانما يقول الشيطان للانسان اكفر بان يدعوه
اليه ويغويه به ويقول له التوحيد ليس له حقيقة والشرك هو الحق وياتيه بجحد النبوة
ويقول لا اصل لها وانما هي بخرقة والبراءة قطع العلقة الى ما يقتضي العداوة
هذه البراءة من الدين وقد يكون البراءة قطع العلقة بما يدفع المطالبة لبراءة الدين
وبراءة الطلاق وبراءة الزني اذا اخذت منه الجزية والاصل قطع العلقة التي يقع
بها المطالبة في نقيض الحكمة فالتقدير في الاية ان مثل المنافقين في وعدهم
لبني النضير مثل الشيطان في وعده للانسان بالغرور فلما احتاج اليه الانسان
اسلمه الى الهلاك وقيل ان ذلك في انسان بعينه كان من الرهبان فاغواه

الشيطان بانه يخيفه من بلية وقع فيها عند السلطان فقال له ايجد لى سجدة واحدة فلما احتاج اليه اسلمه حتى قتل . روى ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وقال مجاهد هو عام فى جميع الكفار فقال الله تعالى فكان عاقبتهما يعنى عاقبة الفريقين الداعى والمدعو من الشيطان ومن اغواه من المنافقين واليهود انهما فى النار معذبان فيها والعاقبة نهاية العمل فى البادية فعاقبة الطاعة لله تعالى الجنة وعاقبة معصيته النار خالدين فيها اى مقيمين فيها معذبين ثم قال وذلك جزاء الظالمين لانفسهم بارتكاب المعاصى ثم خاطب المؤمنين فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله باجتناب معاصيه وفعل طاعاته ولتنظر نفس ما قدمت لغد اى لتنظر وتتفكر ما الذى تقدمه من الاعمال ليوم القيامة من طاعة او معصية واتقوا الله باجتناب معاصيه وفعل طاعاته ان الله خبير بما تعملون اى عالم باعمالكم لا يخفى عليه شئ منها فيجازيكم بحسبها على الطاعات بالثواب وعلى المعاصى بالعقاب وقيل معناه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما تقدم نفس لغد واتقوا الله فيما يعلمه منكم وفى تكرار ثم قال ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اى كالذين تركوا اداء حق الله فانهم نسوه فانساهم انفسهم بان حرمهم حظوظهم من الخير والثواب وقال سفيان نسوا حق الله فانساهم حظ انفسهم وقيل نسوا الله بترك ذكره والشكر والتعظيم فانساهم انفسهم بالعذاب الذى نسى بعضهم بعضا كما قال تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اى ليسلم بعضكم على بعض ثم اخبر عنهم فقال اولئك هم الفاسقون الذين خرجوا من طاعته الى معصيته فى قوله لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة اى لا يتساويان لان هؤلاء مستحقون للنار واولئك مستحقون لثواب الجنة ثم قال اصحاب الجنة هم الفائزون بثواب الله ولا يدل على ان من معه ايمان وفسق لا يدخل الجنة لانه تعالى اقسم اصحاب الجنة واصحاب النار الذين يستحقون ثوابا بلا عقاب او عقابا بلا ثواب لا مما يتقدر بان

ولم يذكر من يستحق الامرين وعندنا ان الفاسق المسلم يستحق الامرين فليس هو داخل فيهم

قوله تبارك وتعالى ، لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السماوات والارض وهو العزيز الحكيم ، اربع ايات يقول الله تعالى معظما لشان القران الذى انزله عليه مكبرا لحاله فى جلالة موقعه بانه لو انزل القران على جبل لراى الجبل خاشعا والمراد به المثل وتقديره لو كان الجبل مما ينزل عليه القران ولو شعر به مع غلظه وجفاء طبعه وكبر جسمه لخشع لمنزله تعظيما لشانه ولتصدع من خشيته فالانسان احق بهذا لو عقل الحكم التى فيه والصدع التفرق بعد التلاوم ومثله التفطر يقال صدعه يصدعه صدعا فهو صادع وذلك متصدع ومنه الصداع فى الراس وهو معروف وتصدع تصدعا وانصدع انصداعا وبين انه على وجه المثل بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ومعناه ليتفكروا لان هذا معنى الشك والشك لا يجوز على الله وقوله هو الله الذى لا اله الا هو معناه هو المستحق للعبادة التى لا يستحق العبادة الا له عالم الغيب والشهادة معناه عالم بما شاهده العباد وعالم بما غيب عنهم علمه وقيل معناه عالم الغيب ما لا يقع عليه حس من المعدوم او الموجود الذى لا يدرك مما هو غائب عن الحواس كافعال القلوب وغيرها والشهادة اى وعالم بما يصح عليه الادراك بالحواس وقال الحسن الغيب ما اخفاه العباد والشهادة ما اعلنوه فى الوصف بهاتين كونه عالما بجميع المعلومات لانها لا تعدوا

هذين الغنمين وقوله هو الرحمن يعنى المنعم على جميع خلقه الرحيم بالمؤمنين و لا يوصف بالرحمن
سوى الله تعالى واما الرحيم فانه يوصف به وغيره تعالى ثم اعاد قوله هو الله الذي
لا اله الا هو الملك يعنى السيد المالك لجميع الاشياء الذى له التصرف فيها على وجه
ليس لاحد منعه منه القدوس ومعناه المعظم فيطهر صفاته عن ان يدخل فيها صفة
نقص السلام وهو الذى يسلم عباده من ظلمه المؤمن الذى آمن العباد من ظلمه لهم اذ قال
لا نظلم مثقال ذرة المهيمن قال ابن عباس معناه الامين وقال قوم معناه
المؤمن الا انه اشد مبالغة فى الصفة لانه جاء على الاصل فى المؤمن فقلبت الهمزة هاء
وفخم اللفظ به لتفخيم المعنى وقال قتادة معناه الشهيد كانه شهيد على ايمان
من آمن به او الشهيد على الامن فى شهادته العزيز يعنى القادر الذى لا يمنع عليه القهر
الجبار العظيم الشأن فى الملك والسلطان ولا يحق ان يوصف به على هذا الاطلاق
الا الله تعالى فان وصف بها العبد فانما هو على وضع لفظه فى غير موضعها فهو ذم على
هذا المعنى المتكبر يعنى فى كل شيء وقيل معناه المستحق لصفات التعظيم وقوله
سبحان الله عما يشركون تنزيه لله تعالى عن الشرك به كما يشرك به المشركون من
الاصنام وغيرها ثم قال هو الله الخالق يعنى للاجسام والاعراض المخصوصة البارى
المحدث المنشئ لجميع ذلك المصور الذى صور الاجسام على اختلاف اجناس الحيوان
والجماد له الاسماء الحسنى نحو الرحمن الرحيم القادر العالم الحى وما اشبه ذلك ثم قال
يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم قد مضى تفسيره

سورة الممتحنة

مدنية بلا خلاف وسميت هذه السورة بالممتحنة باسم المرأة التى جاءت تشكو الى
رسول الله امرها وهى ثلث عشر آية بلا خلاف قوله تبارك وتعالى
بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا
بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم
جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم
وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل آية بلا خلاف
هذه الاية نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة حين عزم النبى صلى الله عليه وآله على ان يدخل
مكة بغتة قال الله ان يعمى اخبارهم على قريش ومنع احدا ان يخرج من المدينة
الى مكة فكتب حاطب بن ابى بلتعة الى اهل مكة يعلمهم بذلك فاوحى الله تعالى
الى النبى صلى الله عليه وآله بذلك فدعا عليا والزبير وقال لهما اخرجا حتى تلحقا جارية
سوداء متوجهة الى مكة معها كتاب فخذاه منها فخرجا حتى لحقاها فسالاها عن الكتاب
فانكرت ففتشاها فلم يجدا معها شيئا فقال الزبير ارجع بنا فليس معها شيء فقال
على ثم يقول رسول الله صلعم خذا الكتاب منها وتقول ليس معي ثم اقبل عليها
وسل سيفه وقال والله لئن لم تخرجي الكتاب لاضربن عنقك فقالت له اعرض بوجهك
عنى فلما اعرض عنها اخرجت الكتاب من بين ضفيرة شعرها وسلمته اليه فلما
عاد سلمه الى النبى عليه السلام فامر النبى عليه السلام بان ينادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس
فصعد النبى المنبر وخطب ثم قال انا انى كنت سالت الله ان يعمى اخبارنا عن
قريش حتى ندخل مكة بغتة وان رجلا منكم كتب اليهم ينذرهم خبرنا وهذا كتابه
فليقم صاحبه فلم يقم احد فاعادها ثانيا فلم يقم احد فاعادها ثالثا ثم قال فليقم والا فضحه
الوحى فقام حاطب وهو يرعد وقال يا رسول الله والله ما نافقت منذ اسلمت
فقال ما حملك على ذلك فقال ان لى بمكة اهلا وليس لى بها عشيرة فاردت ان اتخذ
بذلك عندهم يدا ان كانت الدائرة لهم فقام عمر بن الخطاب لعنه وقال يا رسول الله
مرنى بان اضرب عنقه فانه نافق فقال رسول الله انه من اهل بدر ولعل الله تعالى
اطلع على اهل بدر فغفر لهم فانزل الله تعالى هذه الاية يخاطب فيها المؤمنين

ونهاهم ان يتخذوا عدو الله من الكفار وعدو المؤمنين اولياء تولونهم وتلقون اليهم
بالمودة والباء زائدة وتقديره وتلقون اليهم المودة وهي المحبة كما قال الشاعر
ولما رجت بالشرب هز لها العصا شحيح له عند الاداء نهيم اي رجت
الشرب ويجوز ان يكون المراد تلقون اليهم ما تريدون بالمودة وقد كفروا اي الكفار
الذين تلقون اليهم المودة بما جاءكم به النبي صلعم من الحق يعني من التوحيد والاخلاص
لله في العبادة والقران وشريعة الاسلام يخرجون الرسول واياكم يعني اخرجوهم
من مكة ان تؤمنوا بالله ربكم معناه كراهة ان تؤمنوا بالله وقال بعضهم اخرجوكم
لايمانكم بالله ربكم الذي خلقكم ان كنتم اي ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي
وابتغاء مرضاتي اي وطلبا لرضائي فلا تلقوا اليهم بالمودة ان كنتم خرجتم مجاهدين
في سبيل الله وطالبين مرضاته قال الزجاج وهو شرط جوابه متقدم وتقديره ان
كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء
وجهادا وابتغاء منصوبان على المفعول له تسرون اليهم بالمودة فتكاتبونهم باخبار
النبي صلعم وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي سركم وعلانيتكم وظاهركم وباطنكم
لا يخفى علي من ذلك شيء فكيف تسرون بمودتكم اياهم مني وانا المطلع ومن يفعله منكم يعني
يسرون الخ
من اسر اليهم المودة والقى اليهم اخبار النبي عليه السلام منكم جماعة المؤمنين بعد هذا البيان
فقد ضل سواء السبيل اي قد عدل عن الحق وجار عن طريق الرشد وفي الاية دليل
على ان مرتكب الكبيرة لا يخرج من الايمان لان حاطب بن ابي بلتعة رجل من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله قد فعل ذلك ولا يقول احد انه اخرج من الايمان
قوله تبارك وتعالى ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم
ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير اختلفوا في
قرا ابن كثير وابو عمرو ونافع يُفصَل بضم الياء وفتح الصاد وسكون الفاء خفيفة

وقرا ابن عامر بضم الياء وفتح الفاء وتشديد الصاد وفتحها على ما لم يسم فاعله وقرا
حمزة والكسائي بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة وقرا عاصم ويعقوب وسهل
بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد خفيفة اربع قراءات يقال فصلت بين الشيء افصله
فصلا اذا ميزته وفصّلته تفصيلا بمعنى واحد فمن قرا بفتح الياء اراد ان الله يفصل بينهم
ويميز بعضهم عن بعض ومن ضم الياء جعله لما لم يسم فاعله ومعلوم ان الله هو المفصل
بينهم وقوله ان يثقفوكم معناه ان يصادفوكم ويظفروا بكم اولئك الكفار الذين تسرون
اليهم بالمودة يقال ثقفته اثقفه ثقفا فانا ثاقف ومنه سمي ثقيف ومنه المثاقفة
المصادمة وهي طلب مصادفة الغرة في المسابقة وما يجري مجراها من المضاربة بالسيف ونحوه
يكونوا لكم اعداء اي يعادونكم ولا ينفعكم ما تلقون اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم
بما يقدرون عليه من الاذى والقتل ويبسطوا السنتهم ايضا بالسوء فيذكرونكم
بكل ما تكرهونه وجميع ما يقدرون عليه من السوء ويتمنون مع هذا الكفر وودوا
مع هذا كله لو تكفرون بالله كما كفروا وتجحدون كما جحدوا ثم قال لن
تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين حملتموهم على ذلك في القاء المودة اليهم
ويميز والافشاء اليهم سر النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة والله يفصل بينكم ذلك اليوم
ويميز بعضكم من بعض اذا كانوا كفارا وكنتم مؤمنين والله على كل شيء قدير لا يتعذر
عليه تمييز بعضكم من بعض فامر بالمؤمنين الى الجنة وبالكفار الى النار قوله
تبارك وتعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا
لقومهم انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم

آيات بالاخلاص قرأ عاصم اسوة بضم الهمزة في جميع القرآن الباقون بكسرها وهما لغتان
يقول الله تعالى مخاطبا المؤمنين وحاثا لهم على ترك موالاة الكفار ومبينا لهم ان ذلك
غير جائز بان قال قد كان لكم في ترك موالاة الكفار وترك الركون الى جنبتهم اسوة
حسنة اي اقتداء حسن في ابرهيم خليل الرحمن عليه السلم والذين معه قال ابن زيد يعني
الانبياء وقال غيره يعني الذين آمنوا معه اذ قالوا اي حين قالوا لقومهم من الكفار
الذين كانوا يعبدون الاصنام انا برآء منكم على وزن فعلاء ومثله ظريف وظرفاء وكريم
وكرماء وفقيه وفقهاء الهمزة الاولى لام الفعل والثانية المنقلبة عن الف التانيث
والالف التي قبل الهمزة زائدة مع علامة التانيث وهو جمع بريء براء منكم ومما تعبدون
من دون الله اي وبريئون من الاصنام التي يعبدونها ويجوز ان تكون ما مصدرية
ويكون المعنى وبريئون من عبادتكم للاصنام كفرنا بكم اي تقولون لهم جحدنا ما تعبدونه
من دون الله وكفرنا به وبدا بيننا اي ظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا الى
تكونوا بيننا موالاة في الدين حتى تؤمنوا بالله وحده اي حتى تصدقوا بوحدانيته واخلاص
العبادة له وقوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء لقول ابرهيم لاستغفرن
اي فلا تقتدوا به فيه فان ابرهيم عليه السلم انما استغفر لابيه لموعدة وعدها اياه لان اباه
كان وعده بالايمان فوعد ابرهيم بالاستغفار فلما اظهر له الايمان استغفر له ابرهيم
في الظاهر فلما تبين له انه عدو لله وعرف ذلك من جهته تبرأ منه قال الحسن
انما تبين ذلك عند موت ابيه ولو لم يستثن ذلك لظن انه يجوز الاستغفار للكفار
مطلقا من غير موعدة بالايمان منهم وقد قيل ان الاستثناء داخل في قوله وبدا بيننا
وبينكم العداوة والبغضاء ابدا لانه لما كان استغفار ابرهيم لابيه مخالفا لما تضمنته هذه
الجملة وجب استثناؤه والا توهم بظاهر الكلام انه عامل اباه من العداوة والبراءة
ما عامل به غيره وقال البلخي هذا استثناء منقطع ومعناه لكن قول ابرهيم

بج

لابيه لاستغفرن لك كان لاجل موعدة اياه بالايمان ثم قال ابرهيم لابيه وما املك لك
من الله من شيء اذا اراد عقابك فلا يمكنني دفع ذلك عنك وقوله ربنا اي يقولون
ربنا عليك توكلنا فالتوكل على الله تفويض الامور اليه ثقة بحسن تدبيره في كل ما يؤمر
به واليك انبنا اي رجعنا ومنا اليك اي رجعنا الى طاعتك واليك المصير معناه واليك
مرجع كل شيء يوم القيامة وقال ايضا وكانوا يقولون ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا ومعناه لا ترهقنا ما يمتحنون بجهلهم بنا وقال مجاهد معناه لا تعذبنا
بايديهم ولا ببلاء من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما اصابهم هذا واغفر لنا
ذنوبنا انك انت العزيز الذي لا يقدر على مغالبتك احد الحكيم في جميع افعالك وفي
ذلك تعليم انه ينبغي ان يدعوا الانسان بهذا الدعاء وقال الحسن كان استغفار ابرهيم
لابيه صغيرة وقال عمرو واصل دعاء ابرهيم لابيه بشرط الايمان بانه اذا آمن يستغفر له
ابن عبيد ١٢
قوله تبارك وتعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان
يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله ان يجعل
بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم آيتان
اقسم الله تعالى بان قال لقد كان لكم معاشر المؤمنين فيهم يعني في ابرهيم والمؤمنين
الذين معه اسوة حسنة اي قدوة حسنة لمن كان يرجو الله اي يرجو ثواب الله
وقيل معناه لمن كان يخاف الله ويخاف حساب يوم الآخرة ويأمن من العقاب
ويرجوا ثوابه ومن يتول معناه ومن يعرض عن هذا الاقتداء بالنبي والانبياء والمؤمنين
الذين معه فقد خط نفسه ويذهب عما عاد اليه نفعه وحذف لدلالة الكلام
عليه فان الله هو الغني الحميد اي غني عن ذلك محمود في جميع افعاله وانما اعيد ذكر
الاسوة في الآيتين لان الثاني منعقد بغير ما انعقد به الاول فان الثاني فيه
بيان ان كان اسوة في ابرهيم والذين معه هو لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب

في اليوم الحق والاول فيه بيان ان الاسوة في المعاداة للكفار بالله حسنة واذا انعقد
الثاني يعتبر بما انعقد به الاول صارت الفايدة في الثاني خلاف الفايدة في الاول ووجه
الجواب في قوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد اومن يذهب عما يحتاج اليه دون الذي
له لان الدافع لغنى حيث يجاد على الايجاز والحميد هو المستحق الحمد على احسانه والمحمود
الذي قد حمد فان الله تعالى حميد محمود وقوله عسى الله ان يجعل بينكم فعسى من الله
واجبة ويجوز ان يكون بمعنى لعل والمراد به تشكيكهم بانه يجوز ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم بالكفر مودة بالاسلام وقال ابن زيد وكان ذلك حين اسلم كثير منهم وقيل
معنى عسى الله ان يجعل ليجعل بينكم مودة وقيل معناه كونوا على رجاء من ذلك وطمع
فيه وهو الوجه لان الاصل في هذه اللفظة ثم قال والله قادر على كل ما يصح ان يكون
مقدورا له والله غفور لذنوب عباده ساتر لمعاصيهم رحيم بهم اي منعم عليهم ه ك
قوله تبارك وتعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين
انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا
على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ايتان بلا خلاف
قال الحسن ان المسلمين استاذنوا النبي صلعم في ان يبروا قراباتهم من المشركين وكان
ذلك قبل ان يؤمروا بالقتال جميع المشركين فنزلت هذه الاية وقال قتادة هي منسوخة
بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبه قال ابن عباس يقول الله تعالى تعليما
للمؤمنين ليس ينهاكم الله من الطائفة الذين لم يقاتلوكم في الدين من الكفار ولم
يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتحسنوا اليهم وتقسطوا اليهم معناه تعدلوا اليهم
ان الله يحب المقسطين يعني الذين يعدلون في الخلق وقيل معناه ان الله يحب الذين
يقسطون قسطا من اموالهم على وجه البر وقوله ان تبروهم في موضع خفض وتقديره

لا ينهاكم الله عن ان تبروهم وهو بدل من الذين بدل الاشتمال وقال مجاهد يعني الذين
لم يقاتلوكم من آمن من اهل مكة ولم يهاجر وقال ابن الزبير هي عامة في كل
من كان هذه الصفة والذي عليه الاجماع والمفسرون بان بر الرجل من شاء من اهل
دار الحرب قرابة كان او غير قرابة ليس بمحرم وانما الخلاف في اعطايهم الزكاة والفطرة والكفارة
فقال قوم يجوز وفيه خلاف وقال الفراء الاية نزلت في جماعة كانوا عاقدوا النبي
صلى الله عليه وآله الا يقاتلوه ولا يخرجوه فامر رسول الله ببرهم والوفاء لهم الى مدة اجلهم
ثم بين تعالى من يتوجه النهي ببره واحسانه فقال انما ينهاكم الله عن تولية الذين
قاتلوكم في الدين من اهل مكة وغيرهم واخرجوكم من دياركم يعني منازلكم واملاككم
وظاهروا على اخراجكم اي تعاونوا على ذلك وتعاضدوا والمظاهرة هي المعاونة
ليظهر بها على العدو بالغلبة ان تولوهم اي ينهاكم عن ان تنصروهم وتوادوهم
وتحبوهم ثم قال ومن يتولهم اي ومن ينصرهم ويواليهم فاولئك هم الظالمون
لانفسهم لانهم يستحقون بذلك العقاب والكون في النار قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم
بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم
ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن
اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا
ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ، اية بلا خلاف ، قرا ابو عمرو واهل
البصرة ولا تمسكوا بالتشديد الباقون تمسكوا خفيفة وهما لغتان يقولون امسكت
به وتمسكت به قيل كان سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وآله كان صالح
قريشا يوم الحديبية على ان يرد عليهم من جاء بغير اذن وليه فلما هاجرت النساء وقيل
هاجرت كلثم بنت ابي معيط فجاء اخواها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وآله ان يردها
فسالاار

حرم الله تعالى ان يردون الى المشركين ونسخ ذلك الحكم ذكره عروة ابن الزبير فقال
تعالى يا ايها الذين آمنوا بالله ورسوله اذا جاءكم المؤمنات بالله ورسوله مهاجرات
من دار الحرب الى دار الاسلام فامتحنوهن وقيل في كيفية الامتحان اربعة اقوال
قال ابن عباس كانت محنة رسول الله صلعم اياهن ان يحلفن بالله وما خرجت من
من بغض زوج وبالله ما خرجت رغبة من ارض وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله
ما خرجت الا حبا لله ورسوله وفي رواية اخرى عن ابن عباس قال كان امتحانه
ان تشهدن ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وروي عن عايشة انه كان
امتحانهن بالآية التي بعدها يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن
بالله شيئا ولا يسرقن الآية وقال قتادة كان امتحانهن ما خرجن الا للدين ورغبة
في الاسلام وحب الله ورسوله كقول ابن عباس الاول ثم قال الله اعلم بايمانهن
لانه يعلم باطنهن وظاهرهن وانتم لا تعلمون باطنهن ثم قال فان علمتموهن مؤمنات
يعني في الظاهر فلا ترجعوهن الى الكفار اي لا تردوهن اليهم لا هن حل لهم ولا هم
يحلون لهن قال ابن زيد وفرق بينهما النبي صلى الله عليه واله وان لم يطلق المشرك
وقيل ان النبي صلى الله عليه واله كان شرط لهم رد الرجال دون النساء فعلى هذا
لا نسخ في الآية ومن قال كان شرط رد النساء والرجال قال نسخ الله حكم رد النساء وقوله
وآتوهم ما انفقوا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد اعطوا رجالهم ما انفقوا
من الصداق وقال الزهري لولا الهدنة لم يرد الى المشركين صداقا كما كان
يفعل قبل وقيل نسخ رد المهور على الازواج من المشركين ثم قال ولا جناح عليكم
معاشر المؤمنين ان تنكحوهن يعني المهاجرات لانهن بالاسلام قد بن من ازواجهن
اذا آتيتموهن اجورهن يعني مهورهن التي تستحل بها فروجهن وقوله ولا
تمسكوا بعصم الكوافر فالكوافر جمع كافرة والعصمة سبب يمتنع به

من الكره

من الكره وجمعه عصم وفي ذلك دلالة على انه لا يجوز العقد على الكافرة سواء كانت
ذمية او حربية او عابدة وثن على كل حال لانه عام في جميع ذلك وليس لاحد ان يخص
الآية بعابدة الوثن لنزولها بسببهن لان العبرة بعموم اللفظ لا بالسبب وقوله و
اسألوا ما انفقتم يعني اذا صارت المرأة المسلمة الى دار الحرب عن دار الاسلام فاسألوهم
ان يردوا عليكم مهورهن كما يسألونكم مهور نسائهم اذا هاجرن اليكم فهو قوله وليسألوا
ما انفقوا ثم قال ذلكم يعني ما تقدم ذكره وشرحه حكم الله يحكم بينكم والله عليم
بجميع الاشياء حكيم فيما يفعله ويأمركم به قال الحسن كان في صدر الاسلام تكون المسلمة
تحت الكافر والكافرة تحت المسلم فنسخت هذه الآية ذلك والمفسرون على ان حكم هذه
هذه الآية منسوخ وعندنا ان الآية غير منسوخة وفيها دلالة على المنع من تزوج
المسلم اليهودية والنصرانية لانهما كافرتان والآية على عمومها في المنع من التمسك بعصم
الكوافر ولا يخصها الا بدليل قوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم
الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله
الذي انتم به مؤمنون يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن
بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان
يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر
لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم
قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ثلاث آيات
معنى قوله وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار اي اعجزكم ومضى شيء من ازواجكم
الى الكفار اهل مكة ومعنى شيء احد منهن فان قال فان فاتكم احد منكم فعاقبتم
بصير ازواج الكفار اليكم اما من جهة سبي او بمجيئهن مؤمنات فآتوا الذين ذهبت
ازواجهم الى الكفار مثل ما انفقوا من المهور كما عليهم ان يردوا عليكم مثل ما انفقتم

لمن ذهب من ازواجكم قال الزجاج قرئ فعقبتم بلا الف مشددا ومخففا وجاء
في التفسير فغنمتم ومعناه في اللغة فكانت العقبى لكم اوكانت لكم الغلبة حتى غنمتم وقال
وعقبتم مشددة اجودها في اللغة ومخففة جيدة ايضا اي صارت لكم عقبى والتشديد
ابلغ ومعنى فعاقبتم اصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم اي ان مضت امراة منكم الى
من لا عهد بينكم وبينه فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا يعني في مهورهن
وكذلك ان مضت الى من بينكم وبينه عهد فنكث في اعطاء المهر فالذي ذهبت
زوجته يعطى المهر من الغنيمة ولا ينقص شيئا من حقه بل يعطى حقه كاملا بعد اخراج مهور
النساء وقال الزهري فاتوا الذين ذهبت ازواجهم من المومنين مثل ما انفقوا
من مال الفئ وقال ابن عباس من مال الغنيمة وفي رواية عن الزهري عليهم ان يعطوهم من
صداق من لحق بهم وقال قوم يعطونهم من جميع هذه الاموال وقال قتادة معنى
الاية وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار الذين ليس بينهم وبين اصحاب رسول
الله عهد فعاقبتم يعني الغنيمة يقول فاذا غنمتم فاعطوا زوجها صداقها الذي كان
ساق اليها من الغنيمة ثم نسخ هذا الحكم في براءة فنبذ الى كل ذي عهد عهده ثم قال
واتقوا الله الذي انتم به مومنون اي عهده حقا اجتنبوا معاصي الله الذي انتم مصدقون
بثوابه وعقابه ومعترفون بنبوة نبيه وقوله يا ايها النبي خطاب للنبي عليه السلم
يقول الله له اذا جاءك المومنات يبايعنك ووجه بيعة النساء مع انهن لسن من اهل
النصرة بالمحاربة هو اخذ العهد عليهن بما يصلح شانهن في الدين للانفس والازواج
فكان ذلك في صدر الاسلام لئلا ينفتق بهن فتق لما صنع من الاحكام فبايعهن
النبي صلى الله عليه واله حسما لذلك وقيل انه كان يبايعهن من وراء الثوب وروي
انه استدعى ماء فوضع يده فيه ثم امر النساء فوضعن ايديهن فيه فكان ذلك جاريا
مجرى الصفقة باخذ العهد على ان لا يشركن بالله شيئا من الاصنام والاوثان

ولايحرفن

ولا يسرقن لا من ازواجهم ولا من غيرهم ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن على وجه من
الوجوه لا بالواد ولا بالاسقاط ولا ياتين ببهتان يعني بكذب يفترينه بين
ايديهن وارجلهن لا ياتين بكذب يكذبنه في مولود يوجد بين ايديهن وارجلهن
٢٩٨ وقال ابن عباس لا يلحقن بازواجهن غير اولادهم وقال الفراء كانت المراة
تلتقط فتقول لزوجها هذا ولدي منك فذلك البهتان المفترى وقال قوم
البهتان الذي نهاهن فيه قذف المحصنات والكذب على الناس واضافة
الاولاد الى الازواج على البطلان في الحاضر والمستقبل من الزمان ولا يعصينك
في معروف فالمعروف نقيض المنكر وهو ما دل العقل والسمع على وجوبه او ندبه وسمى
معروفا لان العقل يعترف به من جهة عظم حسنه ووجوبه وقال زيد بن اسلم فيما
شرط الا يعصينه فيه الا يخلون ولا يشققن جيبا ولا يدعون بالويل والثبور
كفعل اهل الجاهلية وقال ابن عباس فيما شرط الا يعصينه فيه النوح وقوله
فبايعهن والمعنى اذا شرطت عليهن هذه الشروط ودخلن تحتها فبايعهن على ذلك
واستغفر لهن الله اي اطلب من الله ان يغفر لهن ذنوبهن ويستر عليهن ان الله
غفور رحيم اي صفوح عنهم منعم عليهم وقال الحسن اذا جاءت المراة اليوم من
غير اهل العهد لم ترد الى زوجها ولم تعطى وهذه الاية منسوخة ثم قال يا ايها
الذين امنوا يخاطب المومنين بالله ورسوله لا تتولوا قوما غضب الله عليهم اي لا
تولوا اليهود ولا من يجري مجراهم من الكفار الذين غضب الله عليهم بان يريد عقابهم
ولعنهم الله ثم وصف الكفار فقال قد يئسوا من الاخرة جملة في موضع الحال اي ايسهم
من الاخرة فان اليهود يائسون من ثواب الجنة على ما يقوله المسلمون من الاكل والشرب
وغير ذلك من انواع اللذات كما يئس من لم يومن بالبعث والنشور اصلا كما يئس الكفار
من اصحاب القبور قال الحسن الذين يئسوا من الاخرة اليهود اي مع الاقامة على ما

يغضب الله كما يئس كفار العرب ان يحيى اهل القبور ابدا وقيل هم اعداء المؤمنين
من قريش قد يئسوا من خير الاخرة كما يئس سائر الكفار من العرب من النشأة
الثانية وقيل كما يئس الكفار من اصحاب القبور من حظ الاخرة وقيل قد يئسوا
من ثواب الاخرة كما يئس الكفار من النشأة الثانية ذكره ابن عباس وقال
مجاهد قد يئسوا من ثواب الاخرة كما يئس منه اصحاب القبور لانهم قد ايقنوا بعذاب الله

سورة الصف

مدنية بلا خلاف وهي اربع عشرة اية بلا خلاف قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ وَإِذْ قَالَ
مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا
زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ خمس آيات
وقد مضى تفسير سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم في اول الحشر
وقد مضى تفسيره في اول الحديد وانما اعيد هاهنا لانه استفتاح السورة بتعظيم الله
من جهة ما سبح له بالاية التي فيه كما يستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم واذا اجل المعنى
في تعظيم الله حسن الاستفتاح به لان القصد به حسب دلالته والغاية في تعظيم
ما ينبغي ان يستفتح به على جهة التعظيم لله والتيمن بذكره وقوله يا ايها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال الحسن نزل في المنافقين يقول الله
لهم لم تقولون بالسنتكم ما لا تفعلون من الايمان على الظاهر وقيل
نزلت في قوم كانوا يقولون اذا لقينا العدو لم نفر ولم نرجع عنهم ثم لم يفوا

بما قالوا

بما قالوا وقال قتادة نزلت في قوم قالوا جاهدنا وابلينا ولم يفعلوا وقال ابن عباس ومجاهد
نزلت في قوم قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لسارعنا اليها فلما نزل فرض الجهاد تثاقلوا
عنه وقال قوم هو جار مجرى قوله يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود فان القول الذي
يجب الوفاء به هو القول الذي يعقد بفعل البر على طريق الوعد من غير طلب ومن لم يكن مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون انما اطلق ذلك مع انه ليس كل قول يجب الوفاء به لانه
معلوم انه لا يجب بترك الوفاء فيما ليس بواجب الوفاء به وان الذم انما يستحق بترك ما هو
واجب او ما اوجبه الانسان على نفسه بالنذر والعهد والمقت البغض وهو ضد الحب
وهو على ضربين احدهما يصرف عنه الطبع الا انه جرى على صيغة واحدة البيان ان
صارف العقل في التاكيد كصارف الطبع كما ان الحب على داعي العقل او داعي الطبع وحذفه
الالف من لم يقولون لشدة الاتصال و ضعف الاعتلال احق الكلام لانه حرف يغير
في موضع تغيير وقوله مقتا نصب على التمييز وتقديره كبر هذا القول اي عظم مقتا
عند الله وهو ان يقولوا ما لا يفعلون ويحتمل ان يكون تقديره كبر ان يقولوا ما لا يفعلون
مقتا عند الله وقوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا معناه انه تعالى
يحب من يقاتل في سبيله ويجاهد اعداء دينه وينصر اوليائه ومناهجهم وقوله صفا اي
يقاتلونهم مصطفين وهو مصدر في موضع الحال وقوله كانهم بنيان مرصوص قيل
في معناه قولان احدهما كانه بني بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله الثاني كانه حائط
ممدود على رص البناء اي احكامه واتصاله واستقامته والمرصوص المتلائم الذي لا
خلل فيه مثل مرصوص شديد اللصوق في الاتصال والثبوت ثم قال النبي عليه السلم
واذكر اذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم لان مع العلم
بنبوته لا يجوز اذاه وكانوا يؤذونه فيقولون هذا ساحر كذاب ويرمونه بالبرص وغير
ذلك وقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم فالزيغ الذهاب عن الحق بالميل فيه والظهور

عند العقل والاخر صرف عنه بهم

فيه الذهاب عن الحق والعدول انهم لما ذهبوا عن طريق الحق ومالوا الى طريق الباطل ازاغ
الله قلوبهم يعنى انه حكم عليها بالزيغ والميل عن الحق ولذلك قال والله لا يهدى القوم
الفاسقين ومعناه لا يحكم لهم بالهداية وقيل معناه فلما زاغوا عن الايمان ازاغ الله قلوبهم
عن الثواب ولا يجوز ان يكون المراد ازاغ الله قلوبهم عن الايمان لان الله لا يزيغ احدا
ولا يصده عن الايمان وايضا فانه لا فايدة فى الكلام على ما قالوه لانهم اذا زاغوا عن الايمان
فقد حصلوا كفارا فلا معنى لقوله ازاغ الله **قوله تبارك وتعالى**
واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى
من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا
هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله
لا يهدى القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره
ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون اربع آيات قرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم و
خلف متم نوره مضافا وقرأ الباقون متم نوره منصوبا والقراءتان متقاربتان لان
اسم الفاعل اذا كان لماضى لا يعمل ولا يجوز الا الاضافة واذا كان للحال والاستقبال
جاز فيه التنوين والاضافة يقول الله تعالى لنبيه اذكر يا محمد اذ قال عيسى بن مريم
لقومه الذين بعث اليهم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا نصب على الحال
لما بين يدى من التوراة انما سماه لما بين يديه وهو قد تقدمه وعن خلفه بعضهما لانهما
متقدمة وهو متوجه اليها بالاخذ بها فلها جهتان جهة المضى وجهة التقدم ومبشرا
برسول عطف على قوله مصدقا وهو ايضا نصب على الحال يأتى من بعدى اسمه احمد
يعنى نبينا محمدا صلى الله عليه وآله وقوله اسمه احمد فاحمد عبارة عن الشخص والاسم
قول فالقول لا يكون الشخص وخبر المبتدأ ينبغى ان يكون هو المبتدأ والوجه فيه ان يكون

قوله تعالى اسمه قول احمد كما قالوا الليلة الهلال وانت تريد الليلة طلوع الهلال فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقوله فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين
قيل فيه قولان احدهما ان محمدا لما جاء كفار قومه بالبينات اى المعجزات قالوا
هذا سحر واضح بين وقال قوم معناه فلما جاء عيسى قومه بالبينات والمعجزات
قالوا هذا القول ومن نسب الحق الى السحر وجرى فى ذلك مجرى الجهل لنعم الله فى العظم
لكن فان كان دون ذلك كان جاهلا وفسق بذلك ولكن والسحر حيلة يوهم امرا ليس له
حقيقة كايهام انقلاب الحبل حية وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب
وهو يدعى الى الاسلام فى صورة الاستفهام والمراد به التبكيت ومعناه لا احد اظلم لنفسه
ممن افترى على الله الكذب وحرص عليه وهو يدعى الى الاسلام يعنى الاستسلام
لامره والانقياد لطاعته وهو متوجه الى كفار قريش وسائر فى جميع الكفار ثم قال
والله لا يهدى القوم الظالمين ومعناه لا يحكم بهداية القوم الظالمين الذين هم الكفار
وقيل معناه لا يهدى الكفار الى الثواب لانهم كفار ظالمون لانفسهم بفعل الكفر
والمعاصى التى يستحق بها العقاب فكل كافر ظالم لانه اضر بنفسه بفعل معصية استحق
بها العقاب من الله تعالى فكفره ضرر قبيح ثم وصف الكافرين الذين عناهم بالآية
فقال يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ومعناه انهم يريدون اذهاب نور الاسلام
والايمان بفاسد الكلام الذى يجرى مجرى تراكم الظلام وقيل معناه هم كمن اراد اطفاء
نور الشمس بفيه وقوله والله متم نوره ولو كره الكافرون معناه ان الله يتم نور
الاسلام ويبلغ غايته وان كره ذلك الكفار الجاحدون لنعم الله ثم قال هو الذى يعنى
الله الذى اخبر عنه بانه يتم نوره ارسل رسوله يعنى محمدا صلعم بالهدى ودين الحق
من التوحيد واخلاص العبادة لله ودين الاسلام وما يتعبد به الخلق ليظهره على الدين
كله بالحجج القاهرة والدلائل الباهرة ولو كره المشركون ذلك وفى الآية دلالة على صحة

البنوة لانه تعالى قد اظهر دينه على الاديان كلها بالاستعلاء والقهر كما وعد في حال القلة
والضعف قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى
تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا ايها الذين آمنوا كونوا
انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون
نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين
آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين حتى آيات قرا ابن عامر تنجيكم من عذاب
اليم مشددة الجيم الباقون بالتخفيف وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابو جعفر انصارا
لله منونا الباقون بالاضافة لقولهم في الجواب نحن انصار الله وقرا نافع وحده
انصاري الى الله بفتح الياء واسكنها الباقون وهما جميعا جيدان يقول الله تعالى
مخاطبا للمؤمنين يا ايها الذين آمنوا بالله واعترفوا بتوحيده واخلاص عبادته وصدقوا
رسوله هل ادلكم على تجارة صورتها صورة العرض والمراد بالتجارة طلب الربح
في شراء المتاع وقيل لطلب الثواب بعمل الطاعة تجارة تشبيها بذلك لما بينهما من
المقاربة تنجيكم اي تخلصكم من عذاب اليم اي مؤلم وهو عذاب النار ثم فسر تلك
التجارة فقال تؤمنون بالله ورسوله اي يعترفون بتوحيد الله ويخلصون العبادة
له وتصدقون رسوله فيما يؤديه اليكم عن الله وانما قال تؤمنون مع انه قال يا ايها
الذين امنوا لان ذلك جار مجرى قوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد بيناه فيما مضى وتجاهدون
في سبيل الله يعني قتال اعداء الكفار باموالكم فتنفقونها في ذلك وانفسكم
فتحاربونهم بنفوسكم ثم قال ذلكم خير لكم اي ما ذكرته لكم ووصفته انفع لكم

وخير عاقبة ان علمتم ذلك واعترفتم بصحته وانما قال ذلكم خير لكم مع ان تركه قبيح
ومعصية لله لان المعنى ذلكم خير لكم من دفعه عنكم لان ما ادى الى الثواب خير من
دفعه الى تنعيمهن بثواب الله تعالى والتكليف خير من دفعه الى الابتداء بالنعم لحال
من عمل يوجبه وقيل ايمانكم بالله خير لكم من تضييعه بالمشتهى من افعالكم ان
كنتم تعلمون مضار الاشياء ومنافعها وانما جاز تؤمنون بالله مع انه محمول على
التجارة وخبر عنها ولا يصلح ان يقال التجارة تؤمنون وانما يقال التجارة ان تؤمنوا
بالله لانه على طريق ما يدل على خبر التجارة لا على نفس الخبر اذ الفعل يدل على
مصدره وانعقاده بالتجارة في المعنى لا في اللفظ وفي ذلك توطئة لما بنى على المعنى
من الايجاز والعرب تقول هل لك في خير تقدم الى فلان فتعوده وان تقدم اليه
وقوله يغفر لكم ذنوبكم اي متى فعلتم ذلك ستر عليكم ذنوبكم وجزمه لانه
جواب تؤمنون لانه في معنى آمنوا يغفر لكم وقال الفراء هو جواب هل وانما جاز
جزم يغفر لكم لانه جواب الاستفهام والمعنى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم
يعملكم بها فانكم ان عملتم بها يغفر لكم ذنوبكم وكان ابو عمرو يدغم الراء في اللام في
قوله يغفر لكم ولا يجوز ذلك عند الخليل وسيبويه لان في الراء تكرارا ولذلك
غلب المستعلي في طارد ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار عطف على قوله
يغفر لكم فلذلك جزمه ومساكن طيبة اي ويدخلكم في الجنة مساكن طيبة مستلذة في جنات
عدن اي في بساتين اقامة مؤبدة ثم قال ذلك الفوز العظيم يعني الذي وصفت من النعيم هو
الفلاح العظيم لا يوازيه نعمة وقيل الفوز النجاة من الهلاك الى النعيم وقوله واخرى
تحبونها معناه ولكم خصلة اخرى مع ثواب الآخرة نصر من الله في الدنيا عليهم وفتح
قريب لبلادهم ثم قال وبشر المؤمنين بذلك اي بما ذكرته من النعيم والنصر في الدنيا
والفتح القريب ثم خاطب المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله ومعناه

كونوا انصار دين نبي الله او كونوا انصار دين الله الذي هو الاسلام بان تدفعوا
اعداءه عنه وعن دينه الذي جاء به كما قال عيسى بن مريم للحواريين اي مثلكم مثل قول
عيسى للحواريين وهم خاصته وسمي خاصة الانبياء حواريين لانهم اخلصوا من كل عيب
في قول اهل الزجاج وقيل سموا حواريين لبياض ثيابهم وقال ابن عباس كانوا صيادين
السمك وقال الضحاك كانوا غسالين من انصاري الى الله يعني من انصاري مع الله والى
بمعنى مع ومثله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم يعني مع اموالكم وقيل
سمي النصارى نصارى لقولهم نحن انصار الله وقيل لانهم كانوا من الناصرة وهي
قرية في بلاد الروم فاجابه الحواريون بان قالوا نحن انصار الله وانما قيل لهم كونوا انصا
ر الله مع ان المراد به دين الله تعظيما للدين وتشريفا له كما يقال الكعبة بيت الله وحمزة اسد
الله ونحو ذلك فآمنت طائفة من بني اسرائيل يعني صدقت بعيسى عليه السلم طائفة
من بني اسرائيل وكفرت به آخرون فايدنا الذين آمنوا على عدوهم اي قوينا المؤمنين
على عدوهم ونصرناهم عليهم فاصبحوا ظاهرين اي غالبين لهم وقال ابرهيم معناه ايد
الذين آمنوا بعيسى بمحمد فاصبحوا ظاهرين عليهم وقال مجاهد بل ايدوا في زمانهم
على من كفر بعيسى عليه السلم قال بعضهم لم يكن من دين المسيح قتال والتاويل انهم اصبحوا
ظاهرين على مخالفيهم بالحجة وقال قوم كانت الحرب بعد المسيح لما اختلف اصحابه اقتتلوا
فظفر اهل الحق وهذا ضعيف لانه لم يكن من دينهم بعده القتال وقال ابن عباس
قاتلوا ليلا فاصبحوا ظاهرين

سورة الجمعة

مدنية وهي احدى عشرة آية بلا خلاف وقال ابن عباس والضحاك هي مدنية

قوله تبارك وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السماوات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو
الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب

والحكمة

والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز
الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا
التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا
بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين، حجة آيات ولا خلاف بين القراء في
هذه السورة الا ما روي عن الاعمش انه قرأ جمعة بسكون الميم والباقون بضمها قد
بينا معنى قوله يسبح لله ما في السماوات وما في الارض فيما مضى والتكرار فيه والاعادة
هاهنا على لفظ المضارعة وقوله الملك يعني المالك للاشياء كلها ليس لاحد منعه
منها القدوس المستحق للتعظيم بتطهير صفاته من كل صفة نقص العزيز معناه القادر
الذي لا يقهر ولا يغلب الحكيم في جميع افعاله وقوله هو الذي بعث يعني الله الذي
وصفه بالصفات المذكور هو الذي ارسل في الاميين قال قتادة ومجاهد الاميون العرب
وقال قوم هم اهل مكة لانها تسمى ام القرى والامي منسوب الى انه على ما ولد لا يحسن
الكتابة ووجه النعمة في جعل النبوة في امي موافقة ما تقدمت البشارة به في كتب الانبياء
السالفة ولبعده من ان يتوهم الاستعانة على ما اتى به من الحكمة رسولا يعني
ارسل منهم يعني من جملتهم ومن جنسهم يتلو عليهم اي يقرأ عليهم آياته اي حججه
وبيناته من القرآن وغيرها ويزكيهم اي ويطهرهم من دنس الشرك بهدايتهم الى
الايمان فيجعلهم ازكياء وانما جعلهم كذلك بان يدعوهم الى طاعة الله التي يصيروا بها
ازكياء لانهم لو دعاهم ولم يجيبوا لما قيل انه زكاهم ويعلمهم الكتاب والحكمة قال
قتادة يعلمهم القرآن والسنة والحكمة تعم الكتاب والسنة وكل ما اراده الله فان الحكمة هي
العلم الذي يعمل عليه فيما يجتبى او يجتنب من امور الدين والدنيا وان كانوا من قبل يعني
من قبل ان يبعث فيهم ويتلو عليهم القرآن لفي ضلال مبين اي في عدول عن الحق جائرين
عن الصراط المستقيم مبين اي ظاهر وقوله وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال ابن زيد

وتجاهدهم كل من بعد الصحابة الى يوم القيامة فان الله بعث النبي فيهم وشريعته تلزمهم
وان لم يلحقوا بزمان الصحابة والحرف نصب على تقدير وبعث آخرين منهم لما يلحقوا بهم
ويجوز ان يكون جرا وتقديره هو الذي بعث في الاميين وفي آخرين وهو العزيز الذي
لا يغالب الحكيم في جميع افعاله وما يأمر به وقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك
اشارة الى بعث الرسول يعني الله تعالى ان ارسال الرسول فضل من الله ونعمة يؤتيه
اي يعطيه من يشاء بحسب ما يعلم من صلاحيته للبعثة وتحمل اعباء الرسالة والله ذو الفضل
العظيم على عباده بما يفعل بهم من التفضل والاحسان ساعة بعد ساعة وقوله مثل الذين
حملوا التوراة ثم لم يحملوها معناه مثل الذين حملوا التوراة يعني العمل بما فيها فحفظوها او
دونوها في كتبهم ثم لم يعملوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا قال ابن عباس الاسفار
الكتب واحدها سفر لانها تكشف عن المعنى باظهارها يقال سفر الرجل عن عمامته
اذا كشف وسفرت المرأة عن وجهها وهي سافرة وانما شبههم بالحمار لان الحمار الذي يحمل
كتب الحكمة على ظهره لا يدري بما فيها ولا يحس بها كمثل من يحفظ الكتاب ولم يعمل به
مثل من لا يعلم ما فيه جملة وعلى هذا من تلا القرآن ولم يفهم معناه واعرض عن ذلك اعراض
من لا يحتاج اليه كان هذا المثل لاحقا به وان حفظه وهو طالب لمعناه وقد تقدم حفظه
فليس من اهل هذا المثل وقوله بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله معناه بئس
القوم قوم هذا مثلهم وهم الذين كذبوا بحجج الله وبيناته ثم قال والله لا يهدي القوم
الظالمين يعني الذين يظلمون نفوسهم بارتكاب المعاصي لا يحكم بهدايتهم ولا يرشدهم
الى طريق الجنة **قوله تبارك وتعالى** قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم
اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة

من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا
لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند
الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ست آيات هذا امر من الله
تعالى للنبي عليه السلام ان يخاطب اليهود فيقول لهم ان زعمتم انكم اولياء لله فالزعم قول
عن ظن او علم ولهذا صارت من اخوات ما في الظن والعلم وعملت ذلك العمل من الالغاء
قال الشاعر فان تزعميني كنت اجهل فيكم فاني شريت الحلم بعدك بالجهل والاولياء
جمع ولي وهو الحقيق بالنصرة التي يوليها عند الحاجة فالله ولي وهو الحقيق بالنصرة التي
يوليها عند الحاجة فالمؤمنين لانه يوليهم النصرة عند حاجتهم والمؤمن ولي الله لهذه العلة
ويجوز ان يكون لانه يولي المطيع له نصرته عند حاجته فقال الله لهؤلاء اليهود ان كنتم
تظنون على زعمكم انكم انصار الله وانه ينصركم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين في ادعائكم
انكم اولياؤه دون الناس فالتمني هو قول القائل لما كان ليت لم يكن ولما لم يكن ليت
كان وهو من صفات الكلام وقال بعضهم هو معنى في النفس ثم اخبر تعالى عن حالهم
وكذبهم واضطرابهم في دعواهم وانهم غير واثقين بما يدعونه ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم
ومعناه لا يتمنون الموت ابدا فيما بعد لما قدمت ايديهم مما لا يرجون فيه الا من التكذيب
بالنبي صلى الله عليه وآله والتحريف لصفته في التوراة والله عليم بالظالمين اي عالم باحوالهم واعمالهم
لا يخفى عليه شيء منها وفي الآية دلالة على النبوة لانه اخبر بانهم لا يتمنونه ابدا وما تمنوه فكان
ذلك اخبارا بالصدق قبل كونه وذلك لا يعلمه الا الله تعالى وفيها بطلان ما ادعوا
من انهم اولياء الله ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله قل لهم ان الموت الذي تفرون منه اي تهربون
منه فانه ملاقيكم وانما قال فانه بالفاء وسواء فررتم منه او لم تفروا منه فانه ملاقيكم بالفاء
في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه لانه اذا كان الفرار منه السبب في ملاقاته فلا معنى

واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون
كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون واذا قيل لهم
تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم
مستكبرون خمس آيات قرأ خشب خفيفة ابن كثير وابو عمرو والكسائي وقرأ الباقون
خشب مثقلة وقرأ نافع وروح وزيد لووا مخففة والباقون لووا مشددة
يقول الله تعالى لنبيه يا محمد اذا جاءك يا ايها المنافقون وهم الذين يظهرون الايمان
ويبطنون الكفر قالوا انك لرسوله اي اخبروا بانهم يعتقدون انك لرسول الله فقال
الله تعالى لنبيه والله يعلم انك لرسوله على الحقيقة والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
في قولهم انهم يعتقدون انك رسول الله وكانوا كاذبين في اعتقادهم وانهم يشهدون
ذلك بقلوبهم ولم يكونوا فيما يرجع الى السنتهم لانهم شهدوا وانهم صادقون في ذلك
وفي ذلك دلالة على بطلان قول من يقول ان المعرفة ضرورة وكسرت ان لدخول اللام
التي هي لام الابتداء التي في الخبر لان لها صدر الكلام وانما زحلقت عن موضعها الى
موضع الخبر لئلا تجمع بين حرفي تأكيد وكانت احق بالتاخير لانها غير عاملة وانما كان
لها صدر الكلام لانها نقلت الجملة الى معنى التأكيد وكل حرف نقل الجملة من معنى
الى معنى كان له صدر الكلام لئلا يختلط الكلام ثم اخبر تعالى عن حال المنافقين فقال
اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة يستترون بها من الكفر لئلا يقتلوا ولا يسبوا ولا تؤخذ
اموالهم والجنة السترة المتخذة لدفع الاذية كالسلاح المتخذ لدفع الجراح فالجنة السترة
والجنة البستان الذي يجنه الشجر والجنة الجنون الذي يغطي على العقل واصل ذلك
كله الستر فصدوا عن سبيل الحق سبيل الله اي منعوا غيرهم عن اتباع سبيل الحق وقال
الضحاك ايمانهم حلفهم انهم لمنكم وقرئ ايمانهم بكسر الهمزة يعني انهم اتخذوا
تصديقهم ظاهرا جنة فقال تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون ومعناه بئس الذي يعملونه
من اظهار الايمان مع ابطان الكفر والصد عن السبيل وقال زيد بن ارقم نزلت الآية في

في عبد الله بن ابي سلول لما قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فلما وقف على ذلك جحده وحلف انه ما قاله
حتى نزلت السورة وقوله ذلك بانهم آمنوا بالسنتهم عند الاقرار بلا اله الا الله محمد رسول الله
ثم كفروا بقلوبهم لما كذبوا بهذا وهو قول قتادة فطبع على قلوبهم اي ختم عليها بسمة
تميز الملائكة بينهم وبين المؤمنين على الحقيقة فهم لا يفقهون ذلك لجحدهم توحيد الله
لنفاقهم وانكارهم نبوة رسوله الذي دعاهم الى الحق ثم قال واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم
بحسن منظرهم وجميل بزتهم وان يقولوا يعني هؤلاء المنافقون تسمع لقولهم اي
تصغي اليهم وتسمع ما يقولون لحسن بيانهم وبلاغة لسانهم فقال تعالى كأنهم خشب
مسندة فشبههم الله بالخشب المسندة قيل انهم شبهوا بالخشب نخرة متآكلة لا خير
فيها والخشب جمع خشبة مثل بدن وبدنة ومن سكن وحد قال مثل ثمرة وثمر
ثم وصفهم بالجبن والهلع فقال يحسبون كل صيحة عليهم اي يظنون انها مهلكتهم
وانهم المقصودون بها جبنا وخورا ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله هم العدو لك وللمؤمنين
فاحذرهم وتوقهم قاتلهم الله وقيل معناه اخزاهم الله وقيل معناه احل بهم الله
عذاب من يقاتله عدو قاهر له وهذا اشد ما يكون من الذم والبلاء الذي ينزل
بهم وابلغ ما يكون في البيان من مكروههم انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن الحق
وانما قال فاحذرهم لانهم كانوا ينقلون الاسرار الى الكفار ويخبرون من قدروا
عليه من اهل الكفار ثم اخبر تعالى فقال واذا قيل لهم يعني هؤلاء المنافقين تعالوا
اي هلموا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ومعناه اكثروا تحريكها بالهزء
استهزاء بدعائهم الى ذلك فمن شدد اراد تكثير الفعل ومن خفف فلانه يدل على القليل
والكثير ثم قال ورأيتهم يا محمد يصدون عن سبيل الحق وهم مستكبرون اي يطلبون
الكبر ويتجبرون عن اتباع الحق **قوله تبارك وتعالى** سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين هم

الا انها مسندة يحسب من يراها انها صحيحة سليمة م

المعترض له لاحذاله باعد منه قال زهير ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام ان يرقى
السماء بسلم وهن ينلنه هابها او لم يهبها ولكنه اذا كانت هيبته عبارة البيت المبينة كان
لا معنى الهيبة وقال قوم تقديره قل ان الموت هو الذى تفرون منه فجعلوا الذى
فى موضع الخبر لا صلة ويكون فانه مستانف وقوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة معناه
ثم ترجعون الى الله تعالى يوم القيامة الذى يعلم سركم وعلانيتكم وظاهركم وباطنكم
لا يخفى عليه شئ من احوالكم فينبئكم اى يخبركم بما كنتم تعملونه فى دار الدنيا ويجازيكم عليها
على الطاعة بالثواب وعلى المعاصى بالعقاب ثم خاطب المؤمنين فقال يا ايها الذين آمنوا اذا
نودى للصلاة من يوم الجمعة فامضوا الى الصلاة سعوا الى ذكر الله معناه اذا سمعتم اذان
يوم الجمعة فامضوا الى الصلاة قال قتادة معناه امضوا الى الصلاة مسرعين غير متثاقلين
وبه قال ابن زيد والضحاك وقال الزجاج المعنى فامضوا الى السعى الذى هو الاسراع قال
وقرا ابن مسعود فامضوا الى ذكر الله ثم قال لو علمت الاسراع لاسرعت حتى يقع ردائى من
كتفى قال وكذلك كان يقرا وهو انبئ للاتيان الاتياسى وان سعيه سوف يرى يريد
معنى فيه دون الاسراع ومثله قوله ان سعيكم لشتى وفرض الجمعة يلزم جميع المكلفين الا اصحاب
العذر من سفر او مرض او عمى او عرج او آفة وغير ذلك وعند اجتماع شروط يكون
سلطان عادل او من نصبه السلطان للصلاة وتكامل العدد عندنا سبعة وعند قوم
اربعون وعند آخرين اربعة وثلثة وقد بينا الخلاف فى ذلك فى الخلاف القوى وظاهر
الاية متوجه الى المؤمنين وانما يدخل فيه الفاسق على التغليب كما يغلب المذكر على المؤنث
هذا على قول من يقول ان الفاسق ليس بمؤمن فاما من قال انه مؤمن مع كونه فاسقا فالاية
متوجهة اليهم كلهم وقال مجاهد وسعيد بن المسيب المراد بالذكر موعظة الامام فى خطبته
وقال غيرهما يعنى الصلاة التى فيها ذكر الله وقوله وذروا البيع معناه اذا دخل وقت
الصلاة اتركوا البيع والشراء قال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء وقال
الحسن كل بيع تفوت فيه الصلاة يوم الجمعة فانه بيع حرام لا يجوز وهو الذى يقتضيه

ظاهر

ظاهر مذهبنا لان النهى يدل على فساد المنهى عنه ثم قال ذلكم يعنى ما ذكره من السعى الى الصلاة
خير لكم فى دينكم وانفع لكم عاقبة ان كنتم تعلمون صحة ما قلناه اى اعلموه وقوله فاذا قضيت
الصلاة فانتشروا فى الارض اى اذا صليتم الجمعة فانتشروا فى الارض طلبا لرزق الله وصورة
صورة الامر وهو اباحة واذن ورخصة فى قول الحسن والضحاك وابن زيد وغيرهم وابتغوا
من فضل الله اى اطلبوا من فضل الله بعمل الطاعة والدعاء لله واذكروا الله كثيرا
بالحمد على احسانه والشكر على نعمه والتعظيم لصفاته لعلكم تفلحون ومعناه لتفلحوا وتفوزوا
تفوزوا بثواب النعيم ثم اخبر تعالى عن حال جماعة كانوا مع النبى صلعم وهو يخطب
وهم معه يصلى بهم فقال واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها قال جابر بن عبد الله
والحسن قدم عير لدحية الكلبى فيها طعام المدينة فيما اصابتهم مجاعة فاستقبلوه بالاهو
والمزامير والطبول فى قول جابر بن عبد الله ومجاهد وكانوا مع النبى صلعم فى الصلاة
فلما سمعوا صوت الطبول والمزامير انفضوا اى تفرقوا الى العير يبصرونه وتركوا النبى
عليه السلم وحده قائما فقال الله لنبيه قل لهم يا محمد ما عند الله من الثواب على سماع الخطبة
وحضور الموعظة خير من اللهو ومن التجارة وانفع واحمد عاقبة والله خير الرازقين
اى ليس يفوتهم بترك البيع شئ من رزق الله والتقدير واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها اى اليه وانما قيل اليها لانها كانت اهم اليهم ذكره الفراء وقيل تقديره واذا راوا لهوا
او تجارة انفضوا اليها فرد الضمير الى اقرب المذكورين لانه كان اهم اليهم وكذلك قرا ابن
مسعود فى مصحفه

سورة المنافقين

مدنية بلا خلاف وهو قول
ابن عباس وعطا والضحاك وهى احدى عشرة آية بلا خلاف **قوله تعالى**

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم
ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون

الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزاين السماوات
والارض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لين رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون
يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك
فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول
رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يوخر
الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون ٭ست آيات٭ قرا ابو عمرو وحده
واكون بالواو والباقون واكن وفي الصاحف بلا واو فقيل لابي عمرو لم اسقطت من
من المصحف فقال كما كتبوا الكلمة ٭وقرا يحيى عن ابي بكر يعملون بالياء والباقون بالتاء
ومن قرا بالتاء فعلى الخطاب ٭لما اخبر الله تعالى عن حال المنافقين وانه اذا قيل
لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله حركوا رؤسهم استهزاء بهذا القول فقال الله
لنبيه عليه السلم سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم اي يتساوى الاستغفار لهم
وعدم الاستغفار فان الله لا يغفر لهم لانهم يبطنون الكفر وان اظهروا الايمان و
بين انه تعالى لا يهدي القوم الفاسقين الى طريق الجنة فلهذا يجب ان ييأسوا من العفو
بالاستغفار وقال الحسن اخبر الله تعالى انهم يموتون على النفاق فلم يستغفر لهم
بعد وقيل المعنى لا يحكم الله بهدايتهم وقد كان النبي عليه السلم يستغفر لهم على ظاهر الحال
بشرط حصول التوبة وان يكون باطنه مثل ظاهره فبين بهذا ان ذلك لا ينفع مع
ابطانهم الكفر والنفاق ثم حكى تعالى عنهم فقال هم الذين يقولون بعضهم لبعض
لا تنفقوا على من عند رسول الله من المؤمنين المحتاجين حتى ينفضوا عنه ومعناه حتى
يتفرقوا عنه لفقرهم وحاجتهم والانفضاض التفرق وفض الكتاب اذا فرقه وكسره
وسميت الفضة فضة لتفرقها في اثمان الاشياء المشتراة فقال الله تعالى ولله خزاين
السماوات والارض معنى له مقدورات في السماوات والارض لان فيها كل ما يشاء لخ

اكن صح

بالياء فعلى الخبر ومن قرا
صح

ولله خزاين السماوات والارض يخرج منها ما يشاء وهي داخلة في مقدوراته والخزانة مكسر
الخاء موضع يخبأ فيه الامتعة واذا كان لله خزاين السموات والارض فلا يضرك
يا محمد تركهم انفاقهم بل لا يضرون الا انفسهم دون اولياء الله والمؤمنين الذين يسبب
الله قوتهم ولو شاء الله لاغنى المؤمنين ولكن فعل ما هو اصلح لهم وتعبدهم بالصبر
على ذلك لينالوا منزلة الثواب ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك على الحقيقة لجهلهم
بعقاب الله تعالى ثم اخبر عنهم فقال يقولون لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
يعنون نفوسهم منها الاذل يعنون رسول الله والمؤمنين وقيل ان القايل لذلك
في غزوة المريسيع كان عبد الله بن ابي سلول فقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله و
للمؤمنين دون المنافقين والكفار ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك فيظنون ان العزة
لهم وذلك لجهلهم بصفات الله وما يستحقه اولياؤه المؤمنون وما يفعل بهم والعز القدر
على غيره ونقيضه الاذل وهو العاجز عن منع غيره واصل الصفة المنع فلذلك لم يكن احدا
اعز من الله ولا اذل من المنافق ثم خاطب المؤمنين فقال يا ايها الذين امنوا لا تلهكم
اموالكم اي لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم من ذكر الله قال قوم الذكر المامور به
هو ذكر الله بالحمد والشكر والتعظيم لصفاته العلى واسمائه الحسنى ونيال الهيبة من
الاثر اذا صرفته عنه بما يعنيه قال امرؤ القيس ٭فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا
فالهيتها عن ذي تمايم محول وقال قوم ذكر الله جميع فرايضه ثم قال ومن يفعل ذلك
اي من شغله ماله وولده عن ذكر الله فاولئك هم الخاسرون الذين خسروا ثواب
الله وحصل لهم عقابه ثم امرهم بان ينفقوا مما رزقهم الله فيما يجب عليه النفقة فيه من
الزكاة والجهاد والحج والكفارات وغير ذلك من الواجبات وفي ذلك دليل على ان الحرام
ليس برزق من الله لان الله لا يامر بالمعصية ولانه نهى عن التصرف فيه بلا خلاف من
قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول لولا اخرتني الى اجل قريب اي هلا وقيل معناه
انه يتمنى ان يرد الى دار الدنيا وانما جاز التمني بلولا لان اصلها التقدير والتمني

بالانفاق صح

تقدير الخبر للاستفتاح فاصّدّق ومعناه فاتصدّق وانفق في سبيل الله وأكن
من الصالحين اي من الذين يعملون الاعمال الحسنة وفي ذلك دليل على ان القدرة
قبل الفعل لانهم تمنّوا ان يؤخّروا ليعملوا لما كانوا قادرين عليه ممكّنين منه وقوله
فاصّدّق انتصب بانه جواب التمني بالفاء وكل جواب بالفاء نصب الاجواب الجزاء
فانه رفع على الاستئناف لان الفاء في الجزاء وصلة الى الجواب بالجملة من الابتداء و
الخبر وانما نصب الجواب بالفاء للايذان بان الثاني يجب بالاول بدلالة الفاء في
الجواب ولم يحتج الى ذلك في الجزاء من قبل ان حرف الجزاء يكفي في الدلالة له
ومن قرأ واكن جزم عطف على موضع الفاء لانها في موضع جزم ومن قرأ واكون
عطف على لفظ فاصّدّق واكون ثم قال تعالى ولن يؤخّر الله نفسا اذا جاء اجلها
يعني الاجل المطلق الذي حكم بان الحي يموت عنده والاجل المقيد هو الوقت
المحكوم بان العبد يموت عنده ان لم يقتطع عنه او لم يزد عليه او ينقص منه على ما
يعلمه الله من المصلحة ثم قال والله خبير اي عالم بما تعملون فمن قرأ بالياء اراد
عالم بعملهم على لفظ الغيبة ومن قرأ بالتاء اراد بعملكم على الخطاب اي قل لهم

ودليل على ان الله تع لا يخلق الكفر والنفاق فيهم لا نه لو فعل ذلك كان لا معنى لتمني التأخير والرد بل الواجب ان يطلبوا منه ان يمكن منهم الكفر ويخلق فيهم الايمان ويقدر بدل الكفر وقدر ترجمة

تم الجزء الحادي عشر من كتاب التبيان تفسير
ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي رضي الله عنه
على يد العبد الاقل علي بن شمس الدين القزويني
ويتلوه ان شاء في ما بعده سورة التغابن
والحمد لله رب العالمين وصلواته
على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه اجمعين
والحمد لله رب
العالمين

٣٠٧

ای بما سلّط الله عليهم بان اهلكهم الله عاجلا واستأصلهم ولهم عذاب النار يوم
يوم القيامة قوله تبارك وتعالى ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات
فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولّوا واستغنى الله غني حميد زعم الذين
كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثنّ ثم لتنبؤنّ بما عملتم وذلك على
الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير
يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر
عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك
الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها
وبئس المصير حتى آيات قرأ رويس عن يعقوب نجمعكم بالنون على الاخبار

والله

من الله عن نفسه الباقون بالياء على تقدير يوم يجمعكم الله أبشر لفظه لفظ الواحد
والمراد به الجمع ولا ينفى لما قرّر الله تعالى خلقه بانهم جاءهم اخبار من مضى من الكفار
وان الله تعالى اهلكهم بكفرهم بيّن لم اهلكهم فقال تعالى ذلك بانهم كانت
تأتيهم رسلهم اي تجيئهم رسلهم من الله بالحجج الواضحات فقالوا لهم أبشر يهدوننا وقد
بيّنا ان لفظ بشر واحد والمراد به الجمع ومعناه اخلق مثلنا يهدوننا الى الرشد
من ذلك مستعجبين به وكفروا بالله وجحدوا رسله وتولوا اي اعرضوا عن القبول
منه واستغنى الله ومعناه ان الله لم يدعهم الى عبادته لحاجته اليهم لان الله تعالى
غني عنهم وعن غيرهم وانما دعاهم لما يعود عليهم بالنفع حسب ما يقتضيه حكمته
في تدبيرهم والله غني من جميع خلقه حميد على جميع افعاله لانها كلها احسان وقيل
حميد يدل على انه يجب على عباده ان يحمدوه ثم حكى ما تقول الكفار فقال زعم
الذين كفروا بالله وجحدوا رسله فقال المؤرخ زعم معناه كذب الذين جحدوا لغة
حمير وقال شريح زعم كنية الكذب والحدة كنية الجهل انه لن يبعثوا اي

بدلا لقوله يهدوننا لانه على طريق الجنس الذي لا يجمع

٣٠٩

اي لا يحشرهم الله في المستقبل للحساب والجزاء فقل لهم يا محمد بلى وربي اي وحق ربي على
وجه القسم لتبعثن اي لتحشرون ثم لتنبؤن اي لتخبرن بما عملتم من طاعة ومعصية وذلك
على الله يسير سهل لا يتعذر عليه ذلك وان كثر واعظم فهو كالقليل الذي لا يشق
على من يأخذه لخفته ومثله قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة واصله
من تيسير الشيء بمروره على سهولة ثم قال فآمنوا بالله معاشر العقلاء ورسوله
اي آمنوا برسوله والنور الذي انزلنا يعني القرآن سماه نورا لما فيه من الادلة والحجج
الموصلة الى الحق فشبهه بالنور الذي يهتدى به على الطريق والله بما تعملون
خبير اي عالم باعمالكم لا يخفى عليه خافية منها وقوله يوم يجمعكم تقديره واذكر
يوم يجمعكم ليوم الجمع وقال الزجاج هو متعلق بقوله ثم لتنبؤن بما عملتم يوم
يجمعكم ليوم الجمع وهو يوم القيامة وقوله ذلك يوم التغابن والتغابن هو التفاوت
في اخذ الشيء بدون القيمة والذين اخذوا الدنيا بالآخرة بدلا فصفقتهم اخذ والشيء
بدون القيمة فقد غبنوا انفسهم باخذ النعيم المنقطع بالدائم وغبنهم الذين اشتروا
الآخرة بترك الدنيا المنقطع الفاني هاؤلاء الذين آثروا عليها وقال مجاهد
وقتادة يوم التغابن غبن اهل الجنة اهل النار ثم قال ومن يؤمن بالله ويعمل
صالحا اي من يصدق بالله ويعترف بوحدانيته واخلاص العبادة له ويقر بنبوة
نبيه ويضيف الى ذلك افعال الطاعات ما يكفر عنه سيئاته اي يكفر الله عنه سيئاته
التي هي دونها ويتفضل عليه باسقاط عقاب ما دونها من المعاصي ويدخله جنات تجري
من تحتها الانهار يعني بساتين يجري من تحت اشجارها الانهار خالدين فيها اي مؤبدين
لا يفنى ما هم فيه من النعيم ابدا ذلك الفوز العظيم اي النجاح الذي ليس وراءه شيء
من عظمه ثم قال والذين كفروا بالله وجحدوا وحدانيته وانكروا نبوة نبيه
وكذبوا بمعجزاته التي هي آيات الله اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اي بئس

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

سورة التغابن

مدنية بلا خلاف في قول ابن عباس وعطاء والضحاك وهي ثمان عشرة آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ خمس آيات قد فسرنا معنى قوله يسبح لله ما في السموات وما في الارض وان المراد بها ما في خلق السموات والارض وما فيهما من الادلة الدالة على توحيده وصفاته التي باين بها خلقه وانه لا يشبهه شيئا ولا يشبهه شيء وانه منزه عن القبائح وصفات النقص فعبر عن ذلك بالتسبيح من حيث كان معنى التسبيح التنزيه لله عما لا يليق به وقوله له الملك معناه انه المالك لجميع ذلك والمتصرف فيه بما شاء ولا احد يمنعه منه وله الحمد على جميع ذلك لان خلق ذلك اجمع للاحسان الى خلقه به والنفع لهم فاستحق بذلك الحمد والشكر وهو على كل شيء قدير يعني مما يصح ان يكون مقدورا له فلا يدخل في ذلك مقدور العباد لانه يستحيل ان يكون مقدورا لله وقوله هو الذي خلقكم معناه هو الذي اخترعكم وانشاكم بان اخرجكم من العدم الى الوجود فمنكم كافر ومنكم مؤمن معناه فمنكم من يختار الكفر بسوء اختياره ومنكم مؤمن بحسن اختياره للايمان وقال الحسن فيه محذوف وتقديره فمنكم كافر ومنكم مؤمن ومنكم فاسق وقال غيره ليس فيه حذف لان الغرض ذكر الطرفين لا المنزلة بين المنزلتين كما ان قوله خلقكم خطاب يتوجه الى جميع الخلق وان كان منهم الاطفال والمجانين الذين لا حكم لهم بالايمان ولا بالكفر وقال الزجاج معناه فمنكم كافر بالله بان الله خلقه ومنكم مؤمن بذلك وقوله والله بما تعملون بصير معناه ههنا انه خلق الكافر وهو عالم بما يكون منه من الكفر وكذلك خلق المؤمن وعلم بما يكون من الايمان وكل ذلك على وجه الاحسان في الفعل الذي يستحق به الحمد والشكر ثم قال خلق السموات والارض بالحق يعني اخترعهما وانشاهما بالحق اي للحق وهو انه خلق العقلاء تعريضا لهم للثواب العظيم وما عداهم خلق نفعا لهم لما فيه من اللطف وصوركم متوجه الى البشر كلهم فاحسن صوركم معناه من الحسن الذي يقتضيه العقل لا في قبول الطبع لان فيهم من ليس بهذه الصفة وقال قوم لا بل هو من تقبل الطبع لانه اذا قيل حسن الصورة لم يفهم منه الا تقبل الطبع وسبيله كسبيل قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وان كان فيهم المشوه الخلق لان هذا عارض لا يعتد به في هذا الوصف والله تعالى خلق الانسان على احسن صورة الحيوان كله والصورة عبارة عن بنية مخصوصة كصورة الانسان والفرس والطير وما اشبه ذلك ثم قال وإليه المصير يعني اليه المرجع يوم القيامة واليه المآل ثم قال يعلم يعني الله تعالى يعلم ما في السموات والارض من الموجودات ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تظهرونه وما تخفونه وقيل ما يسر بعضكم الى بعض وما يخفيه في صدره عن غيره والفرق بين الاسرار والاخفاء ان الاخفاء اعم لانه قد يخفي شخصه ويخفي المعنى في نفسه والاسرار المعنى دون الشخص والله عليم بذات الصدور معناه وهو عالم باسرار الصدور وبواطنها ثم خاطب نبيه عليه السلم والمؤمنين فقال الم يأتكم نبأ الذين اي خبر الذين كفروا من قبل يعني من قبل هؤلاء الكفار فذاقوا وبال امرهم

[وهذا الغرض لا يتاتى الا على مذهب العدل اما على مذهب الجبر فلا صح]

المال والرجع وقرأ نكفر وندخله بالنون اهل المدينة واهل الشام على وجه التجارين
الله تعالى عن نفسه الباقون بالياء على تقدير يكفر الله عنهم ويدخلهم قوله
تبارك وتعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد
قلبه والله بكل شيء عليم واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ
المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا ايها الذين آمنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا
وتغفروا فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر
عظيم التفسير يقول الله تعالى مخاطبا لخلقه انه ليس تصيبكم مصيبة الا باذن
الله والمصيبة المضرة التي تلحق صاحبها كالرمية في اصابة البغية وقيل اعلم قوله
ما اصاب من مصيبة الا باذن الله وفي المصايب ما هو ظلم والله لا ياذن في الظلم
لانه لا يحسن في الحكمة الجواب انه ليس منها الا ما اذن الله في وقوعه او التمكن منه و
ذلك اذن الملك الموكل به كانه قيل الا باذن بوقوع هذه المصيبة وقد يكون ذلك
بفعل التمكين من الله كانه ياذن له ان يكون وقال البلخي معناه الا بتخلية الله بينكم وبين
من يريد فعلها وقال قوم هو خاص فيما يفعله الله تعالى او يامر به ويجوز ايضا ان
يكون المراد بالاذن هاهنا العلم فكانه قال لا يصيبكم مصيبة الا والله تعالى عالم
بها ثم قال ومن يؤمن بالله اي من يصدق بالله ويعترف بوحدانيته يهد قلبه
اي يحكم بهدايته ويجوز ان يكون المراد يشرح صدره للايمان وقيل معناه يهد قلبه
ان المصيبة باذن الله ذكره ابن عباس وعلقمة قال علقمة هو الرجل تصيبه المصيبة
فيعلم ويرضى ويعلم انها من عند الله وقال الفراء هو ان يقول انا لله وانا اليه راجعون
وقال غيره معناه اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقرأ ابو بكر بن
الحجاج يهد قلبه بفتح الدال يعني يسكن قلبه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء من

واطيعوا الله

كالرمية التي تصيب منه العضو باسم اصابة الحق ثم

ذلك ثم امرهم فقال واطيعوا الله فيما امركم به واطيعوا الرسول فيما امركم به ونهاكم
عنه فان توليتم اي فان اعرضتم عن القبول منه وتوليتم عن الحق فليس على رسولنا الا
الرد الى الحق وانما على الرسول البلاغ الظاهر وحذف ايجازا ثم قال الله
الذي يحق له العبادة لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون فالتوكل هو تفويض
الامر الى الله بانه يتولاه على الحق فيه وقد امر الله بالتوكل عليه فينبغي للمؤمن ان يستعمل
ذلك في سائر احواله وقال قوم التوكل تفويض الامر الى مالكه ليدبره بالحق
فيه والوكيل المالك للتدبير من فوض الامر اليه فيه ثم خاطب المؤمنين تعالى فقال
يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال ابن عباس
نزلت الآية في قوم اسلموا بمكة وارادوا الهجرة فمنعوهم من ذلك وقال عطاء بن يسار نزلت
في قوم ارادوا الغزو فمنعهم هاولاء وقال مجاهد هي في قوم اذا ارادوا طاعة الله
منعهم ازواجهم واولادهم فبين الله تعالى ان في هاولاء من هو عدو لكم في
الدين فاحذروهم فيه ومن دخلت للتبعيض لانه ليس حكم جميع الازواج و
الاولاد هذا الحكم والعداوة المباعدة من الخير بالبغضة ونقيضها الولاية وهي
المقاربة من الخير بالمحبة والاذن الاطلاق في الفعل تقول سمع بالاذن هذا
اصله ثم قد يتسع فيه بما يقارب هذا المعنى ثم قال وان تعفوا يعني تتركوا عقابهم
وتصفحوا او تعرضوا عما كان منهم وتغفروا اي تستروا ذنوبهم اذا تابوا واقلعوا
عنه فان الله غفور اي ستار على خلقه رحيم بهم ثم قال انما اموالكم واولادكم
فتنة اي محنة وابتلاء وقال قتادة يعني بلاء والفتنة المحنة التي فيها مشقة تمنع النفس
عما تدعو اليه الشهوة والله عنده اجر عظيم اي ثواب جزيل على الصبر والصوم
غير هاولاء الطلقاء قوله تبارك وتعالى فاتقوا الله ما استطعتم و
اسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم

المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ٥ تلك آيات هذا امر من الله تعالى للمكلفين يامرهم بان يتقوه بان يتركوا معاصيه ويفعلوا طاعاته فالاتقاء الامتناع من الردى باجتناب ما يدعوا اليه الهوى وقد اتقاء بالترس اذا امتنع منه بان جعله حاجزا بينه وبينه وقوله ما استطعتم معناه اتقوه بحسب طاقتكم فان الله تعالى لا يكلف نفسا الا ما تطيقه وانما يكلفها ما تسعه ولا ينافي هذا قوله فاتقوا الله حق تقاته لان كل واحد من الامرين انما هو الزام ترك جميع معاصيه فمن ترك جميع المعاصي فقد اتقى عقاب الله لان من لم يفعل قبيحا ولا اخل بواجب فلا عقاب عليه الا ان في احد الكلامين تبيين ان التكليف لا يلزم العبد الا فيما يطيق وهذا يقتضي ان اتقاء ما وقع من القبيح ليس بان لا يكون وقع وانما هو بالندم عليه مع العزم على ترك معاودته وكل امر يامر الله فلا بد من ان يكون مشروطا بالاستطاعة فان كانت الاستطاعة غير باقية على مذهب من يقول بذلك فالامر بما يفعل في الثالث وما بعده مشروط بان يفعل له استطاعة قبل الفعل بوقت ولا يكون مامورا بالفعل وان كانت باقية فالامر على صفة الاستطاعة لانه لا يصح الشرط بالموجود لان الشرط يحدث وليس يخلو من ان يكون على شريطة وقوع القدرة او على صفة وجود القدرة وقال قتادة قوله فاتقوا الله ما استطعتم ناسخ لقوله اتقوا الله حق تقاته كانه يذهب الى ان فيه رخصة كحال التقية وما جرى مجراها مما يعظم فيه المشقة وان كانت معه القدرة على الحقيقة وقال غيره ليس بناسخ وانما هو مبين لامكان العمل بهما جميعا وهو الصحيح لان تقديره اتقوا الله حق تقاته ما استطعتم وقوله واسمعوا اي اصغوا الى ما يامركم الله به واطيعوا فيما امركم به انفقوا فيما امركم بالانفاق فيه من الزكاة والانفاق في سبيل الله وغير ذلك خيرا لانفسكم

يحدث

انتصب خيرا بفعل محذوف يدل عليه انفقوا تقديره وانفقوا في الانفاق خيرا لانفسكم ومثله انتهوا خيرا لكم وهو كقولهم وراءك اوسع لك لانك اذا امرته بشي فهو حض بان ياتي خيرا له وقوله ومن يوق شح نفسه اي من منع ووقي شح نفسه والشح منع الواجب في الشرع وقيل الشح منع النفع على مخالفة العقل لشدة البذل ومثله البخل يقال شح يشح شحا فهو شحيح وشحاح وقال ابن مسعود من الشح ان تعمد الى مال غيرك فتاكله وقوله فاولئك هم المفلحون معناه ان من وقي شح نفسه وفعل ما اوجبه الله عليه فهو من جملة المنجحين الفائزين بثواب الله وقوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا والقرض اخذ قطعة من المال بتمليك الآخذ له على رد مثله واصله القطع من قرض الشي يقرضه قرضا اذا اقتطع منه قطعة وذكر القرض في صفة الله تلطفا في الاستدعاء الى الانفاق في سبيل الله وهو كالقرض في مثله مع اضعافه ولا يجوز ان يملك الله عز وجل لانه المالك للاشياء من غير تمليك ولان المالك لا يملك ما هو مالكه وقوله يضاعفه لكم اي يضاعف ثوابه لكم بامثاله ومن قرا يضعفه بالتشديد فلان الله تعالى يبدل بالواحد عشرة الى سبعين وسبع مائة ويغفر لكم اي ويستر عليكم ذنوبكم ولا يفضحكم بها والله شكور حليم اي يجازي على الشكر حليم لا يعاجل العباد بما يستحقونه وقوله عالم الغيب والشهادة اي يعلم السر والعلانية وهو العزيز الذي لا يغالب الحكيم في جميع افعاله والشكور في صفة الله مجاز معناه انه يعامل المطيع في حسن الجزاء معاملة الشاكر والحلم ترك المعاجلة بالعقوبة لداعي الحكمة والغيب كون الشي بحيث لا يشاهده العبد والغالب نقيض الشاهد وهو الحكيم في جميع افعاله وقرا يضعفه بالتشديد ابن كثير وابن عامر الباقون يضاعفه وقد مضى تفسيره

يصعف

سورة الطلاق

مدنية في قول ابن عباس وعطاء والضحاك وغيرهم وهي اثنتا عشرة آية في الكوفي والمدنيين وعشر في البصري

الطلاق وان كان بدعة ثم قال واحصوا العدة فالعدة قعود المراة عن الزوج حتى تنقضي المدة المرتبة في الشريعة وعدة المراة على ضروب احدها عدة التي لم تبلغ المحيض ومثلها لا تحيض وهي التي لم تبلغ تسع سنين فهذه لا عدة عليها عند اكثر اصحابنا ومنهم من قال عدتها بالشهور وبه قال باقي الفقهاء وعدة التي تحيض مثلها ثلاثة اشهر بلا خلاف وعدة التي تحيض ثلاثة اقراء وهي الاطهار عندنا وعند كثير من الفقهاء وقال قوم انها الحيض وعدة التي ارتفع حيضها ومثلها تحيض ثلاثة اشهر بلا خلاف وقد حد ذلك اصحابنا بان يكون سنها اقل من خمسين سنة وعدة الآيسة من الحيض ومثلها لا تحيض فلا عدة عليها عند اكثر اصحابنا وقال قوم عدتها بالاشهر وهو مذهب بعض اصحابنا وحد ذلك اصحابنا بان يزيد سنها على خمسين سنة والقرشية حد وهاشمية ستين سنة فصاعدا وعدة الحامل وضع ما في بطنها اذا كانت عدة الطلاق فان كانت عدة الوفاة فابعد الاجلين من وضع الحمل او مضي اربعة اشهر وعشرة ايام وهو مذهب علي عليه السلام وابن عباس وقال الفقهاء عدة المتوفى عنها زوجها وضع ما في بطنها وقوله واحصوا العدة يعني من زمان العدة ثم قال واتقوا الله ربكم بان تكلفوا المعاصي لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن حتى يعني زمان العدة لانه لا يجوز اخراجها من بيتها وعندنا وعند جميع الفقهاء يجب عليه السكنى والنفقة والكسوة اذا كانت المطلقة رجعية وان كانت باينة فلا نفقة لها ولا سكنى وقال الشافعي لا نفقة لها ولها السكنى اذا كانت باينا وقال اهل العراق لها السكنى والنفقة اذا كانت باينا وقال اهل العراق لها السكنى والنفقة وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة من فتح الياء اراد فاحشة اظهرت ومن خفض الياء اراد بفاحشة ظاهرة وقال عطاء والضحاك وقتادة لا يجوز ان يخرجن من بيتها حتى تنقضي عدتها الا من الفاحشة وقال الحسن وعامر والشعبي ومجاهد وابن زيد الفاحشة

جميع الفقهاء

هاهنا الزنا يخرج لاقامة الحد وقال ابن عباس الفاحشة البذاء على اهلها وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وقال قتادة الفاحشة هو النشوز وقال ابن عمر هو خروجها قبل انقضاء العدة وفي رواية عن ابن عباس ان كل معصية لله فهي فاحشة وقوله وتلك حدود الله يعني ما تقدم ذكره من كيفية الطلاق والعدة وترك اخراجها عن بيتها الا عند فاحشة حدود الله فالحدود نهايات تمنع ان يدخل في الشي ما ليس منه او يخرج عنه ما هو منه فقد بين بالامر والنهي الحدود في الطاعات والمعصية بما ليس لاحد ان يدخل في شي من ذلك ما ليس منه او يخرج عنه ما هو منه وقوله ومن يتعد حدود الله معناه من تجاوز حدود الله بان يخرج عن طاعته الى معصيته فقد تعدى حدا من حدود الله وكذلك من دخل في معصيته فيخرج من الطاعة وليس كل من دخل في طاعة فقد خرج اليها عن معصية لانها قد تكون نافلة ثم بين تعالى فقال ومن يتجاوز حدود الله فقد ظلم نفسه بان فعل ما يستحق معه العقاب وحرم الثواب وقوله لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قال قوم معناه لا تدري لعل الله يغير راي الزوج في محبة الطلاق فيكون بتطليقه على ما امر الله به ويملك الرجعة فيما بين الواحدة والثانية وما بين الثانية والثالثة وقال الضحاك والسدي وابن زيد لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الرجعة في العدة وقيل معناه لعل الله يحدث بعد ذلك شهوة المراجعة وقوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف معناه فاذا قاربن اجلهن الذي هو الخروج عن عدتهن لانه لا يجوز ان يكون المراد فاذا انقضى اجلهن لانه عند انقضاء اجلهن لا يملك رجعتها وقد ملكت نفسها وقد بانت منه ثم تتزوج من شاءت هو او غيره وانما المعنى اذا قاربن الخروج من عدتهن فامسكوهن بان تراجعوهن بمعروف بما يجب لها من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصحبة

ظاهرهم

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله
ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك
حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث
بعد ذلك امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف
واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان
يؤمن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا
يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل
شيء قدرا واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر
واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل
له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته
ويعظم له اجرا خمس آيات قرا حفص عن عاصم ونافع بالغ امره على الاضافة
الباقون بالغ منون امره منصوب وقد بينا نظاير ذلك فيما مضى وقيل اذا
نون معناه انه تعالى بالغ مراده واذا اضيف فمعناه ان امره تعالى يبلغ فيكون
اضافة الى الفاعل يقول الله تعالى مخاطبا لنبيه والمراد به امته يا ايها
النبي اذا طلقتم النساء ومعناه اذا اردتم طلاق النساء كما قال اذا قمتم الى الصلاة
وروي عن ابن عباس انه قال نزل القران بايّاك اعني واسمعي يا جاره فيكون الخطاب
للنبي والمراد به الامة من ذلك وقال قوم تقديره يا ايها النبي قل لامتك اذا طلقتم
النساء فعلى قول هذا النبي يكون خارجا من الحكم وقال آخرون هو على خطاب
الرئيس الذي يدخل فيه الاتباع فعلى هذا حكم النبي حكم امته في هذا الحكم ولجميع

الامة على ان حكم النبي حكم الامة في الطلاق والطلاق في الشرع عبارة عن تخلية المراة
بحل عقدة من عقد النكاح بان يقول انت طالق يخاطبها او يقول هذه طالق ويشير
اليها او فلانة طالق بنت فلان وعندنا لا يقع الطلاق الا بهذا اللفظ المخصوص
ولا يقع بشيء من الكنايات طلاق اراد بها الطلاق او لم يرد وفيه خلاف ذكرناه في
الخلاف واما الفراق فقد يحصل بغير الطلاق كالارتداد واللعان والخلع عند كثير
من اصحابنا وان لم يسم ذلك طلاقا واما فسخ النكاح بالرد بالعيب فقد يحصل بالفسخ
لا يسمى طلاقا ومن شرط وقوع الطلاق عندنا ان تكون المراة طاهرا طهرا لم يقربها
فيه بجماع بمحضر من شاهدين ويقصد به ايقاع الطلاق ويتلفظ بما قدمناه ثم تقع تطليقة
واحدة وهو املك برجعتها ما لم يخرج من العدة فان خرجت قبل ان يراجعها كان
كواحد من الخطاب ومتى تلفظ بثلاث تطليقات فان كانت المراة طاهرا مع باقي
الشروط وقعت واحدة وخالف جميع الفقهاء في ذلك وقالوا تقع الثلاث ثم اختلفوا
فقال الشافعي ومن وافقه ويكون ذلك مسنونا وقال اهل العراق المسنون
ان يطلقها واحدة بلفظ واحد ومتى اوقع ثنتين او ثلثا وقع وان كان غير المدخول
بها فعند جميعهم يقع الثلاث ولا عدة عليها وعندنا لا يقع الا واحدة وفي اصحابنا
من يقول من تلفظ بالثلاث لا يقع شيء والاعتماد على ما قلناه اولا ومتى طلقها اثنتا
او واحدة وهي حائض وكان قد دخل بها ولا يكون غايبا عنها شهرا فصاعدا لا يقع
عندنا شيء اصلا وقال جميع الفقهاء هو بدعة وتبين المراة بذلك وقوله
فطلقوهن لعدتهن معناه ان يطلقها وهي طاهر من غير جماع ويستوفي باقي الشروط
وقال ابن عباس هو ان يطلقها طاهرا من غير جماع وبه قال مجاهد والحسن
وابن سيرين وقتادة والضحاك والسدي فعلى هذا متى طلقها في الحيض فلا يقع طلاقها
لانه خلاف المامور به وهو منهي عنه والنهي يدل على فساد المنهي عنه وعند الفقهاء انه يقع

او فارقوهن بمعروف بان يتركوهن حتى يخرجن من العدة وقوله واشهدوا ذوي
عدل منكم فعند اصحابنا ان الاشهاد شرط في وقوع الطلاق لان ظاهر الامر يقتضي ذلك
يقتضيه والامر عندنا على الوجوب وقال قوم ان ذلك راجع الى الرجعة وتقديره
واشهدوا على الامساك ان امسكتم ذوي عدل منكم وهو الرجعة في قول ابن عباس
وقال الشافعي الاشهاد على الرجعة اولى ويجوز عند اكثرهم بغير اشهاد وانما ذكر
الله الاشهاد كما ذكر في قوله واشهدوا اذا تبايعتم وهو الندب وهذا ترك الظاهر
ومن حمل الاشهاد على الفراق وهو الطلاق حملناه على ظاهره من الوجوب وجعلناه
شرطا في وقوع الطلاق ثم قال واقيموا الشهادة لله اذا طولبتم باقامتها
ذلكم معاشر المكلفين يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فالوعظ معنى يدعوا
الى الحق بالترغيب والترهيب وانما اضاف الوعظ الى من يؤمن بالله واليوم الآخر دون
غيره لانه الذي ينتفع به دون الكافر الجاحد لذلك فالطاعة الواجبة فيها وعظ بالترغيب
والترهيب وانما اضاف الوعظ معنى يدعوا الى من يؤمن بالله واليوم الآخر دون غيره
لانه الذي ينتفع به دون الكافر الجاحد لذلك فالطاعة الواجبة فيها وعظ بالترغيب
فيها باستحقاق الثواب وفي تركها بالعقاب والندب فيها وعظ باستحقاق المدح والثواب
على فعلها والمعاصي فيها وعظ بالزجر عنها والتخويف من فعلها باستحقاق العقاب
والذم على فعلها والترغيب في تركها بما يستحق على الاخلال بها من الثواب ثم قال
ومن يتق الله يعني باجتناب معاصيه يجعل له مخرجا من عقابه ويرزقه من حيث لا يحتسب
اي من حيث لا يتوقعه ولا يظنه ومن يتوكل على الله اي من اسند امره الى الله ووثق
امورهم
بحكمه وسكن الى رحمته فهو حسبه اي كافيه جميع ذلك ان الله بالغ امره اي يبلغ ما يريده
ويبلغه من امره وتدبيره قد جعل الله لكل شيء قدرا اي قدر الله لكل شيء مقدارا و
اجلا لا زيادة ولا نقصان ثم بين كيفية العدد باختلاف احوال النساء فقال

واللائي

واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر يعني ان الايسة من الحيض
اذا كانت في سن من تحيض ولا تدري ارتفع حيضها لكبر او لعارض فعدتها ثلثة اشهر
وهي التي قلنا ان مثلها تحيض لو كانت في سن من لا تحيض لم يكن لريبتها معنى وقال
الزهري وعكرمة وقتادة ان ارتبتم فلم تدروا الكبر او لدم الاستحاضة فالعدة ثلثة
اشهر وقال قوم ان ارتبتم فلم تدروا الحكم في ذلك فعدتهن ثلثة اشهر وقوله واللائي
لم يحضن وتقديره واللائي لم يحضن ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فحذف لدلالة
الكلام الاول عليه والكلام فيها كالكلام في الايسة وقال قتادة اللائي يئسن الكبار
واللائي لم يحضن الصغار ثم قال واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
يعني ان عدة الحامل من الطلاق وضع الحمل الذي معها فان وضعت عقيب الطلاق
فقد ملكت نفسها ويجوز لها ان تعقد لغيره على نفسها غير انه لا يجوز له وطؤها الا بعد
نفاسها كالحيض سواء فاذا طهرت من نفاسها حل له ذلك فان كانت حاملا باثنين
ووضعت واحدا لم تحل للازواج حتى تضع جميع الحمل لقوله ان يضعن حملهن فاما
انقطاع الرجعة فقد روى اصحابنا انها اذا وضعت واحدا انقطعت عصمتها من
الاول ولا يجوز لها العقد لغيره حتى تضع الآخر فاما اذا توفي عنها زوجها فعدتها
عندنا ابعد الاجلين ان وضعت قبل الاربعة اشهر وعشرا ولم تضع استوفت وضع
وعشرة
استوفت اربعة اشهر وعشرة ايام وان مضت بها اربعة اشهر صح
الحمل وقال ابن عباس الاية في المطلقة خاصة كما قلناه وقال ابن مسعود وابي
بن كعب وقتادة والسدي واكثر الفقهاء ان حكم المطلقة والمتوفى عنها زوجها واحد
في انها متى وضعت حلت للازواج والذي اخترناه هو مذهب علي عليه السلام ثم قال
ومن يتق الله باجتناب معاصيه يجعل له من امره يسرا يعني سهولة في اموره ولا يعسر
عليه امر وقوله ذلك امر الله انزله اليكم يعني حكم الطلاق والرجعة والعدة فيما
انزل الله وحكم به وامركم بالعمل به ثم قال ومن يتق الله باجتناب معاصيه ويفعل

طاقاته يكفر عنه سيئاته التي هي دونها ويتفضل عليه باسقاط عقابها ويعظم له اجرا على ذلك يعني ثوابه ويعوضه في الجنة قوله تبارك وتعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا خمس آيات في الكوفي والبصري والمدني الاخير وست آيات في المدني الاول عدوا يا اولي الالباب راس آية قرا من وجدكم بكسر الواو روح الباقون بضمها وهما لغتان وحكى الفراء فتح الواو لغة ولم يحك الكسر وحكى الزجاج الكسرة ولم يحك الفتحة وقرا ابن كثير وكأين خفيفة على وزن كاعن الباقون كأين مشددة الياء والاصل اي الحاء حذف التضعيف كما حذف من رب وقدم الياء واخرت الهمزة نحو شاك وشائك ثم قلبت الياء الفا لانها في موضع حركة وقبلها فتحة نحو ذى وانما احتمل هذا التغيير للعدول به عن معنى الاستفهام الى معنى كم في التكثير على وجه الابهام وقال قوم في كاين لغتان كاين مشددة الياء وكاين على وزن قاتل وقد قرئ بهما وحكى ان اهل الحجاز يقولون بكاين تبيع هذا الثوب اي بكم تبيعه يقول الله تعالى مخاطبا لمن طلق زوجته يامره ان يسكنها حيث يسكنه وقد بينا ان السكنى والنفقة يجب للرجعية بلا خلاف فاما المبتوتة فلا سكنى لها ولا نفقة عندنا وهذا مذهب الحسن وقد روت فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال

لا نفقة للمبتوتة وقال الشافعي مثل ما قلنا لها السكنى بلا نفقة وقال اهل العراق لها السكنى والنفقة معا وبه قال ابن مسعود وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقوله من وجدكم قال السدي معناه من ملككم وقال ابن زيد هو اذا قال صاحب السكن لا اترك هذا في بيتي فليس من وجده ويجوز له ان ينقلها الى غيره والوجد ملك ما يجده المالك وذلك انه قد يملك المالك ما يغيب عنه وقد يملك ما هو حاضر له فذلك وجده يقال وجدت في المال وجدا وجدة ووجدت الضالة وجدانا ووجدت الرجل صالحا وجودا وقوله ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن معناه لا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير في النفقة والسكنى والكسوة وحسن العشرة لتضيقوا عليهن في السكنى والنفقة وامر بالسعة والمضارة المعاملة بما يطلب به ايقاع الضرر بصاحبه وقد يكون المضارة من واحد كما يقال طارقت النعل وعافاه الله ويمكن ان يكون من كل واحد منهما لصاحبه والتضييق تقليل ما يحتاج الى التصرف فيه من مقدار الكفاية وقد يكون التضييق في الرزق وفي المكان وفي الامر وقوله وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن امر من الله تعالى بالانفاق على الحامل المطلقة سواء كانت رجعية او مبتوتة ولا خلاف في ذلك وانما يجب ان ينفق عليها بسبب ما في بطنها وانما يسقط نفقتها بالوضع والحمل بفتح الحاء يكون على الظهر وفي البطن ويقال الحمل بكسر الحاء وقوله فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن امر من الله تعالى بان الام المطلقة متى ولدت ورغبت في رضاع ولدها كان على الاب اجرة الرضاع اجرة المثل فان رضيت الاجنبية بشيء معلوم لاجرة الرضاع ورضيت بمثله الام كانت الام اولى وان لم ترض الام بذلك القدر كان للاب تسليمها الى الاجنبية وان كان الولد لا يقبل الا لبن الام اجبرت عليه لان لا يؤدي الى هلاك الولد والرضاع سقي المراة من لبنها الولد ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب يعني ان المرضعة

رسوله ذكرا الثاني ان يكون الذكر بمعنى الشرف فيكون الذكر هو الرسول كما قال وانه لذكر لك ولقومك وفيه وجه ثالث وهو انه لما قال انزل ذكرا دل على انه جعل رسوله وكانه قيل وبعث رسولا كما قال الشاعر يادت وغير آيهن مع البلى الا رواكد جمرهن هباء ومشجج اما سواء قذاله فبدا وغير ساره المعزاء لانه لما قال الا رواكد دل على ان بها رواكد فحمل ومشجج على المعنى وقال الزجاج يحتمل ان يكون نصبا بذكر كانه قال ذكر رسولا بمعنى ان ذكرا رسولا يكون ذكر مصدر والذي انزل جبرئيل لقوله نزل به الروح الامين وقوله يتلو عليكم اي يقرا عليكم آيات الله يعني دلائله وحججه مبينات اي واضحات في من يفتح الياء ومن كسرها اراد انها تبين الآيات والتلاوة من قولهم جاء فلان ثم تلاه فلان اي جاء بعده ومنه قوله ويتلوه شاهد منه اي يأتي بعده بالتلاوة وحمل كلمة بعد كلمة على ما وضعت عليه من المرتبة في اللغة والقراءة جمع كلمة الى كلمة بما يسمع من الحروف المفصلة وهو من قولهم قرات النجوم اذا اجتمعت فظهرت ويقولون ما قرات الناقة سلا قط اي ما جمعت رحمها على ولد والبيان هو الدلالة وقيل هو اسما ابان المعنى للنفس بما ينفصل من غيره وهو من قولهم ابان العضو من غيره اذا قطعه منه وقوله ليخرج الناس من الظلمات يعني ظلمات الكفر الى نور الايمان وذلك يبطل قول المجبرة ان الله تعالى بعث الانبياء ليكفر بها قوم ويؤمن بها اخرون وانما خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاخراج لانهم الذين خرجوا باختيارهم من الكفر الى الايمان والنور هاهنا نور الحق الذي يهدي الى الرشد والخير كما يهدي نور الشمس الى المواضع المقصودة والظلمة هاهنا الباطل الذي يقود الى الغي كما يقود الظلام من مر فيه من غير دليل الى الهلاك ثم قال ومن يؤمن بالله اي من يصدق بوحدانيته واخلاص العبادة له ويعمل مع ذلك الاعمال الصالحات يدخله جنات تجري من تحتها الانهار جزاء على ذلك ونوابا عليه خالدين فيها نصب على الحال

وبيناتٍ
صح

ابدا اي مؤبدين لا آخر لنعيمهم قد احسن الله لهم رزقا اي اجزل لهم ما ينتفعون به ولا يمنعون منه فالرزق النفع الجاري في الحكم فلما كان النفع المؤمن في الجنة جاريا في الحكم الله كان رزقا لهم منه وقوله الله الذي خلق سبع سموات اخبار من الله تعالى انه الذي انشأ سبع سموات ومن الارض مثلهن اي وخلق من الارض مثلهن في العدد لا في الكيفية لان كيفية السماء مخالفة لكيفية الارض والمثل ما سد مسد غيره فيما يرجع الى ذاته وقوله يتنزل الامر بينهن معناه يتنزل الامر بالتدبير من الله بين السموات وبين الارضين بحياة بعض وموت بعض وغنى انسان وفقر غيره وسلامة حي وهلاك آخر وتصريف الامور على الحكمة لا يكون الا من قادر عالم وهو معنى قوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير فالقادر هو من كان له مقدور ويصح منه ايقاعه على بعض الوجوه كما ان السامع هو من له مسموع موجود والقدير عبارة عمن يجب ان يكون قادرا على ما يصح ان يكون مقدورا لكسميع يفيد انه على صفة يجب ان يسمع لاجلها ما يصح ان يكون مسموعا وقوله وان الله قد احاط بكل شيء علما معناه ان معلوماته متميزة له بمنزلة ما قد احاط به فلم يفته منه شيء ومثله لا يحيطون به علما اي انه ليس بمنزلة ما حصره العلم بمكانه فيكون كانه قد احاط به وقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء معناه ولا يحيطون بشيء من معلومه الا بما شاء ان يضطرهم اليه او يدلهم عليه حتى يدركوا بالمعرفة اي لا ينالون هذه المنزلة الا بمشيته ولولا ذلك لا يعلمون شيئا من معلوماته الا بما شاء لكن لما دل الكلام بالمعرفة حسن على هذه الجهة وليس في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع غير هذه الآية ذكره الجبائي وقوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير دليل على بطلان مذهب المجبرة في ان الله اراد من قوم ان يجهلوا كونه على هذه الصفة لانه تعالى بين انه ذكر ما تقدم وصفه ليعلم المكلفون اجمعون ان الله على كل شيء قدير وانه تعالى قادر قد احاط بكل شيء علما وعلى مذهب المجبرة ان الله تعالى اراد من جماعة الكفار

تصير بمنزلة الام وامها بمنزلة الجدة واختها خالته وبنتها اختا وابنها اخا وهكذا سائر المحارم
وقوله واتمروا بينكم بمعروف فالايتمار امر كل واحد لصاحبه بفعل من الافعال
كالايتمار بالمعروف الذي يصطلحان عليه وان تعاسرتم خطاب للرجل ولزوجته
المطلقة اي ان اختلفتا في رضاع الصبي واجرته ارضعته امراة اخرى فالمتعاسر المتمانع
بما يتعذر من الامر كالتمانع بما يتعسر به رضاع الام فمتى كان كذلك فالحكم فيه ان
ترضعه امراة اخرى ثم امر تعالى فقال لينفق ذو سعة من سعته ومعناه
ان كل انسان تجب عليه النفقة بحسب حاله فالغني ينبغي ان يوسع في النفقة والفقير
بحسب حاله وقوله ومن قدر عليه رزقه معناه من ضيق عليه لانه اتى على مقدار
البلغة التي تضيق عن غيره فمن هذه صورته فلينفق مما اتاه الله على حسب امكانه وطاقته
لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها يعني الا بقدر ما اعطاها من الطاقة وفي ذلك دلالة
على انه تعالى لا يكلف احدا ما لا يقدر عليه ولا يطيقه ثم قال سيجعل الله بعد
عسر يسرا اي سيفعل الله بعد شدة سهولة فاليسر اتيان الامر من غير مشقة وهو سهولة
الامر وضده العسر وهو صعوبة الامر وقوله وكاين من قرية معناه وكم من قرية على
التكثير لانه يخبر به عن الكثرة والعتو الخروج الى فاحش الفساد والمعنى كم من اهل
قرية كفروا بالله وتجبروا عن طاعته وخرجوا بذلك الى الفحش الفساد ورسله معناه عتو
عن امر الله وامر رسله فحاسبناها حسابا شديدا فالحساب الاعمال مقابلة بما يستحق
على الطاعة وبما يستحق على المعصية والحساب الشديد مقابلة ذلك من غير تجاوز عن صغيرة
ولا عفو عن ذنب وذلك ان الكافر يعاقب على صغيرة وكبيرة من حيث انه لا طاعة
معه بكفر معاصيه وقوله وعذبناها عذابا نكرا معناه عذبنا اهل تلك القرية
العاتية عذابا نكرا وهو الذي ينكره الطبع وتاباه النفوس لصعوبته وشدته والامر
النكر الذي تنكره العقل وقوله فذاقت وبال امرها فالوبال عاقبة السوء لسنة

الفعل

الفعل الى القرية فلذلك انث قوله فذاقت ولو قال عتوا عن امر ربهم وعذبناهم فذاقوا
على المعنى كان جائزا والوبال ثقل العايد من الضرر وقيل ان معنى نكرا شديدا وذوق الشيء
تناول ما عرفوه في الدنيا من العقوبة وكان عاقبة امرها خسرا اي وكان آخر امر تلك القرية
العاتية خسرانا اي هلاك انفسهم واصله هلاك راس المال ثم بين ما لهم في الاخرة فقال
اعد الله لهم عذابا شديدا من عذاب النار يعاقبهم به على طريق التابيد موجعا شديد الالم
فاتقوا الله معاشر العقلاء الذين هم اولوا الالباب الذين آمنوا يعني المومنين
منهم وخصهم بالذكر والخطاب لانهم المنتفعون بذلك دون الكفار وقوله قد انزل
الله اليكم ذكرا قال قوم هم اراد بالذكر القران لانه سماه ذكرا في قوله انا نحن نزلنا الذكر
ذهب اليه السدي وابن زيد فعلى هذا تقديره انزل الله اليكم ذكرا وارسل اليكم
رسولا وسماه ذكرا لانه يذكر به ما يجب العمل به والانتهاء عنه وقيل ان معنى
الذكر الشرف كانه قال انزل اليكم شرفا وقيل المراد بالذكر الرسول لقوله
فاسئلوا اهل الذكر ذهب اليه الحسن فعلى هذا يكون رسولا بدلا منه وتقديره
انزل الله اليكم ذكرا هو رسول قال الزجاج تقديره انزل الله اليكم ذكرا هو رسولا
هو جبرئيل ع قوله تبارك وتعالى رسولا يتلوا عليكم آيات الله
مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يومن
بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قد احسن الله له رزقا الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل
الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء
علما آيتان ندخله بالنون مدني شامي على وجه الاخبار من الله تعالى عن نفسه
الباقون بالياء بمعنى يدخل الله والياء اشبه بما قبله قيل في انتصاب قوله رسولا وجهان
احدهما ان يكون بدلا عن ذكر وهو بدل الاشتمال ويكون الذكر القران كانه قال

خلاف ذلك واراد منهم ان يجهلوه ويجهلوا صفاته وذلك خلاف الظاهر وقوله علا اضيف
على التشديد ودل عليه قوله احاط بكل شيء علما كانه قال علم كل شيء علما

سورة التحريم

مدنية في قول ابن عباس والضحاك وغيرهما وهي اثنتا عشرة آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَإِذْ أَسَرَّ
النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ
أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِنْ تَتُوبَا
إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا
مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا خمس آيات
تظاهرا خفيف كوفي الباقون بالتشديد بمعنى تتظاهرا فادغم ومن خفف حذف
احداهما قرأ الكسائي وحده عرف بعضه خفيفا وهي قراءة الحسن وابي عبد الرحمن
وكان ابو عبد الرحمن اذا قرأ انسان بالتشديد يحصبه وقرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم
وكسر الراء من غير همزة وقرأ بكسر الجيم والراء من غير همزة وقرأ بكسر الجيم والراء من غير
همز نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم وقرأ بفتح الجيم والراء وكسر الهمزة مقصور
على وزن جبرعل ابو بكر عن عاصم وقرأ بفتح الجيم والراء مهموزة بين الراء والياء على
وزن جبرعيل حمزة والكسائي وقد بينا الوجه في ذلك في سورة البقرة قال ابو علي
جبريل بكسر الجيم بلا همزة على وزن قنديل وبفتح الجيم والراء والهمزة مع المد على وزن عندليب

وبفتح

٣١٨

وبفتح الجيم والراء وكسر الهمزة على وزن جحمرش وليس في العربية على وزن قنديل بفتح القاف
غير انه جاء خارجا على اوزان العربية هذا خطاب من الله تعالى للنبي عليه السلام وعتاب
له على تحريم ما اباحه الله له واحله له ولا يدل ذلك على انه وقعت منه معصية لان
العتاب قد يكون على امر يكون الاولى خلافه كما يكون على ترك الواجب وقيل في سبب
نزول قوله يا ايها النبي قولان احدهما قال زيد بن اسلم ومسروق وقتادة
والشعبي وابن زيد والضحاك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرم على نفسه مارية القبطية
بيمين انه لا يقربها طلبا لمرضاة حفصة زوجته لانها غارت عليه من اجلها وقال
الحسن حرم رسول الله ام ولده ابراهيم وهي مارية القبطية على نفسه فاسر بذلك الى
زوجته حفصة فافضت الى عائشة به وكانت حفصة بنت عمر وهي المتظاهرة وقد زارت
عائشة ودخلتا فخلا بيتها فوجه رسول الله الى مارية القبطية وكانت معه وجاءت
حفصة فاسر اليها التحريم والقول الثاني ما رواه عبد الله بن شداد بن الهاد
ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان شرب عند زينب شراب عسل كانت تصلحه له فكان
يطول مكثه عندها فكره ذلك عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير
وهي بقلة متغيرة الرائحة في قول المفسرين وقال الزجاج هي بقلة منتنة فحرم النبي
عليه السلام شراب العسل الذي كان يشربه عند زوجته زينب بنت جحش وقيل ذكرت
ذلك له حفصة فحرمه النبي عليه السلام على نفسه ومن قال انها نزلت بسبب مارية قال
انه قال هي علي حرام فجعل الله فيه كفارة يمين ذكره ابن عباس والحسن ومن قال ان التحريم
كان في شراب كان يعجبه قال انه حلف على انه لا يشربه فعاتبه الله على تحريم ما احله
له والتحريم بتبيين ان الشيء حرام لا يجوز ونقيضه الحلال والحرام هو القبيح الممنوع بالنهي
عنه والحلال الحسن المطلق بالاذن فيه وعندنا انه لا يلزم بقوله انت علي حرام شيء ووجوده
كعدمه وهو مذهب مسروق وفيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف وانما اوجب الله

الكفارة لانه عليه السلم كان حلف الا يقرب جاريته او لا يشرب الشراب المذكور فعاتبه
الله على ذلك واوجب عليه ان يكفر عن يمينه ويعود الى استباحة ما كان يفعله وبين
ان التحريم لا يحصل الا بامر الله ونهيه ولا يصير الشيء حراما بتحريم محرم ولا باليمين
على تركه فلذلك قال لم تحرم ما احل الله لك وقوله تبتغي مرضات ازواجك
معناه انك تطلب رضا ازواجك في تحريم ما احله الله لك والابتغاء الطلب ومنه البغي
طلب الاستعلاء بغير حق والبغية معناه الطلب البغي الفاجرة لطلبها الفاحشة و
قوله والله غفور رحيم معناه ارجع الى الاولى والاليق فان الله يرجع التائب الى
الاولى لانه غفور رحيم وقوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي قد قدر الله ما
ما تحلون به يمينكم اذا فعلتموه وذلك يدل على انه عليه السلم كان حلف دون ان يكون
قال هي علي حرام لان ذلك ليس بيمين عند اكثر الفقهاء وقال الحسن فرض الله
تحلة اليمين في الكفارة للمؤمنين فاما النبي عليه السلم فلا كفارة عليه لان الله تعالى
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وتحلة اليمين هو فعل ما يسقط تبعته في اليمين اما
بكفارة او بتناول شيء من المحلوف عليه فمن حلف الا ياكل من هذا الطعام فمتى اكل
حنث ولزمته كفارة وتحل اليمين بها ومن حلف انه ياكل من هذا الطعام واكل منه
شيئا قليلا فقد انحلت يمينه فلذلك هي تحلة اليمين وقوله والله مولاكم
معناه الله ناصركم وهو اولى بكم منكم بانفسكم ومن كل احد وهو العليم بجميع الاشياء
الحكيم في جميع افعاله وقوله واذ اسر النبي معناه واذكروا حين اسر النبي الى
بعض ازواجه حديثا فالاسرار القاء المعنى الى نفس المحدث على وجه الاخفاء عن غيره
يقال اسر اليه كذا وكذا اسرارا والاسرار نقيض الاعلان وقيل انه كان اسر
الى حفصة الا تخبر عايشة رضي الله عنهما بكونه مع مارية في يوم عايشة وقال انه
حرمها على نفسه فاطلعت عليه عايشة ونم وقيل انه كان يوم حفصة فاطلعت عليه عايشة

فاستكتمها النبي فاخبرت حفصة بذلك فانتشر الخبر فعاتبهم الله على ذلك وقال الزجاج
والفرا اسر اليها بانه سيلي الامر بعده ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فتباشروا بذلك
فانتشر الخبر وروى اصحابنا انه اسر الى عايشة بما يكون بعده من قيام من يقوم بالامر
ودفع علي عليه السلم عن مقامه فبشرت بذلك اباها فعاتبهم الله على ذلك وقوله فلما
نبات به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض معناه لما اخبرت التي اسر اليها
بما اخبر صاحبها الى غيرها واعلم الله تعالى نبيه ذلك واظهره له عرف بعضه واعرض عن
بعض فمن قرا بالتخفيف قال الفرا معناه انه عاتب على بعض ذلك وصفح عن الباقي وروي
انه طلق حفصة تطليقة جزاء على ذلك ثم راجعها بامر الله وقيل معنى قراءة من خفف
معنى قراءة من شدد ومن شدد معناه اراد انه عليه السلم اعلمها جميع ذلك وعرفها اياه فلما
نباها به يعني اخبر النبي عليه السلام زوجته بذلك وعرفها افشت سره قالت له في جواب
من انباك هذا اي من اخبرك بهذا فقال النبي عليه السلام نباني العليم اخبرني بذلك
والعليم العليم بجميع المعلومات الخبير بسرائر الصدور الذي لا يخفى عليه شيء من امور
عباده ظاهرا وباطنا ثم خاطبهما يعني عايشة وحفصة وقال قل لهما ان تتوبا الى
الله وترجعا الى طاعته فقد صغت قلوبكما قال ابن عباس ومجاهد معناه زاغت
قلوبكما الى الاثم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه واهل التاويل انه يعني عايشة
وحفصة وقال بعضهم مالت قلوبكما مما اكرهه الله من تحريم ما حرمه
وقوله فقد صغت قلوبكما من صلة ان تتوبا الى الله والجواب محذوف وتقدير
ان تتوبا الى الله قبلت توبتكما وقال قوم فقد صغت قلوبكما جواب
لقول القائل ان تابع الجوى الي فلقد جفوتني وقطعتني دهرا اي يحق لك ان تفعل
ذلك فقد صحبت فيما قبل وانما قال قلوبكما مع انهما قلبان لان كلما تثبت الاضافة فيه
في معنى التثنية فلفظ الجمع احق به لانه امكن واخف باعراب الواحد وقلة الزايد وذلك

عن الروحانية لكن وجه عن صورة الملائكة شداد في القوى لا يعصون الله ما امرهم به
وفي ذلك دلالة على ان الملائكة الموكلين بالنار وبعقاب العصاة معصومون عن فعل
القبيح لا يخالفون الله في امره ويمتثلون كل ما يامرهم به وعمومه يقتضي انهم لا يعصون
في صغيرة ولا كبيرة وقال الرماني لا يجوز ان يعص الملك في صغيرة ولا كبيرة
لانه بما يدعوا اليه العقل دون الطبع وكل من تمسك بما يدعوا اليه العقل دون
الطبع فانه لا يقع منه قبيح وقد اختارهم الله على ما في المعلوم منهم وقيل انهم
غلاظ شداد يعذبون اهل النار فقد رموهم بانواع العذاب وقال الجبائي قوله
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون في دار الدنيا لان الاخرة ليست دار
تكليف وانما هي دار جزاء وانما امرهم الله بتعذيب اهل النار على وجه الثواب
لهم بان جعل سرورهم ولذاتهم في تعذيب اهل النار كما جعل سرور المؤمنين ولذاتهم
في الجنة ثم حكى ما يقال للكفار يوم القيامة فان الله تعالى يخاطبهم فيقول
يا ايها الذين كفروا نعمتي وجحدوا ربوبيتي واشركوا في عبادتي من لا يستحقها وكذبوا
انبيائي ورسلي لا تعتذروا اليوم فان اليوم دار جزاء لا دار توبة ولا اعتذار انما تجزون
ما كنتم اي تجزون على ما كنتم تعملون في الدنيا على الطاعات بالثواب ولا طاعة معكم
وعلى المعاصي بالعقاب ودخول النار وانتم مستحقون لذلك ثم عاد الى خطاب المؤمنين
في دار التكليف فقال يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله من معاصيه وارجعوا الى طاعته
توبة نصوحا اي توبة خالصة لوجه الله فمن قرا بضم النون وهو ابو بكر عن عاصم اراد
المصدر ومن فتح النون جعله صفة للتوبة ونعتا لها والتوبة النصوح هي التي يناصح
فيها الانسان نفسه باخلاص الندم مع العزم على الا يعود الى مثله في القبح وقوله
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم معناه متى تبتم توبة نصوحا كفر الله عنكم سيئاتكم
ويغفر لكم فان عسى من الله واجبة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار

مضافا الى تكفير السيئات والعفو عنها يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه اي
يدخلكم جنات في يوم لا يخزي الله النبي ولا يخزي المؤمنين معه اي لا يذلهم ولا يهينهم
بل لا يعذبهم بادخال الجنة ثم وصف النبي والمؤمنين معه فقال يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم قال ابن عباس معناه يسعى نور كتابهم الذي فيه البشرى
يقولون ربنا في موضع الحال وتقديره قايلين ربنا اتمم لنا نورنا قال يقول
ذلك المؤمنون حين يطفى نور المنافقين ويبقون في الظلمة ويسالون المؤمنون
حينئذ اتمام نورهم واغفر لنا اي استر علينا معاصينا ولا تهلكنا بها انك على
كل شيء قدير لا يعجزك شيء ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال يا ايها النبي جاهد
الكفار والمنافقين قيل معناه جاهد الكفار بالقتال والحرب والمنافقين
بالقول الذي يردع عن القبيح لا بالحرب الا ان فيه بذل المجهود فلذلك سماه جهادا
وفي قراءة اهل البيت جاهد الكفار بالمنافقين لانه عليه السلم يجاهد الكفار وفي عسكره
جماعة من المنافقين يقاتلون معه وقوله واغلظ عليهم اي اشدد عليهم قال
الحسن اكثر من كان يصيب الحدود في ذلك الزمان المنافقون فامر الله ان يغلظ
عليهم في اقامة الحدود ثم قال وماواهم يعني مال الكفار والمنافقين ومستقرهم
جهنم وبئس المصير لما فيها من انواع العقاب وقوله ضرب الله مثلا للذين
كفروا امرات لوط وامرات نوح كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين قال ابن عباس
كانت امراة نوح وامراة لوط منافقتين فخانتاهما قال ابن عباس كانت امراة
نوح كافرة تقول للناس انه مجنون وكانت امراة لوط تدل على اضيافه وكان ذلك
خيانتهما لهما وما زنت امراة نبي قط لما في ذلك من التنفير عن الرسول ولحاق الوصمة
به فمن نسب احدا من زوجات النبي الى الزنا فقد اخطا خطا عظيما وليس ذلك
قوله محصلا ثم قال فلم يغنيا عنهما اي لم يغن نوح ولوط عن المراتين من الله

في كل شيئين من شيئين وعبر بالتثنية لانها الاصل كما قال الراجز ظهراهما مثل ظهور الترسين
فجمع المذهبين وقوله وان تظاهرا عليه معناه وان تعاونا على خلافه فان الله هو مولاه يعني
الله الذي يتولى حفظه وحياطته ونصرته وجبريل ايضا معين له وناصره وصالح المؤمنين
قال الضحاك يعني خيار المؤمنين واحد في موضع الجمع وقال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني
هو صالحو المؤمنين على الجمع غير انه حذفت الواو للاضافة وهذا غلط لان النون سقطت
للاضافة فكان يجب ان يثبت الواو في الخط وفي المصاحف بلا واو وورد في الخاصة والعامة
ان المراد بصالح المؤمنين علي عليه السلم وذلك يدل على انه افضلهم لان القائل اذا قال
فلان فارس قومه او شجاع قبيلته او صالحهم فانه يفهم من جميع ذلك انه افرسهم واشجعهم
واصلحهم وقوله والملائكة بعد ذلك ظهير معناه ان الملائكة بعد ذكره معينون
له فالظهير المعين الذي هو كالظهر له في القوة وقوله عسى ربه ان طلقكن
معاشر نساء النبي ان يبدله ازواجا خيرا منكن فمن خفف الدال فلانه يدل على القليل
والكثير ومن شدد اراد ان الله يبدله اكثر منهن ومعنى خيرا منكن اي افضل منكن
واصلح له ثم وصفهن تعالى فقال مسلمات وهن اللواتي يظهرن الاسلام والنهاية في
مستسلمات لامر الله مؤمنات اي مصدقات بتوحيد الله واخلاص العبادة له مقرات
بنبوة نبيه عليه السلام وقيل معناه مصدقات في قولهن وفعلهن قانتات اي خاضعات
متذللات لله تعالى وقيل معنى قانتات راجعات الى الله بفعل ما يجب له من وصل
عابدات لله بما يعبد هن به من العبادات متذللات له سائحات معناه ماضيات في طاعة
الله وقال ابن عباس وقتادة والضحاك معنى سائحات صائمات وقال زيد بن
اسلم معنى سائحات مهاجرات وهو اختيار الجبائي وقيل للصائم سائح لانه يستمر في الامساك
عن الطعام كما يستمر السائح في الارض ثيبات وهي الراجعات من عند الازواج بعد الافتضاض
مشتق من ثاب يثوب اذا رجع وابكارا جمع بكر وهي التي على اول حالها قبل الافتضاض

وقال قتاده يعني انبياء المؤمنين
وقال الزجاج صالح المؤمنين
صح

هذا

٣٢٠

قوله تبارك وتعالى يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا
وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون
ما كنتم تعملون يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر
عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله
النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم
لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار و
المنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين
كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين
خمس آيات نصوحا بضم النون حماد ويحيى والباقون بفتحها وهما لغتان وقال
قوم من فتح النون جعله نعتا للتوبة وحمله على الكثرة ومن ضمه جعله مصدرا
هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين الذين صدقوا بتوحيد الله واخلاص العبادة
له واقروا بنبوة نبيه بامرهم بان يقوا انفسهم اي يمنعوها ويمنعوا اهليهم نارا
وانما يمنعون نفوسهم بان يعملوا الطاعات ويمنعوا اهلهم بان يدعوهم اليها
ويحثوهم على فعلها وذلك يقتضي ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينبغي ان
يكون للاقرب فالاقرب وقال مجاهد وقتادة معنى قوا انفسكم واهليكم
نارا مروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصيته ثم وصف تعالى النار التي حذرهم
منها فقال وقودها الناس والحجارة قيل حطب تلك النار الناس والحجارة
الكبريت وهو اشد ما يكون من العذاب عليها ملائكة غلاظ شداد اي ومعنى غلاظ
في الاخلاق وان كانوا رقاق الاجسام لان الظاهر من حال الملك انه روحاني فخروجه

شيئا اي لم يدفعا عنهما من عقاب الله وعذابه وقيل لهما يوم القيامة ادخلا النار مع الداخلين
من الكفار قال الفراء هذا مثل ضربه الله تعالى لعائشة وحفصة وبين انه لا يغنيهما
ولا ينفعهما مكانهما من رسول الله ان لم تطيعا الله ورسوله وتمتثلا امرهما كما لم ينفع
امراة نوح وامراة لوط كونهما تحت نبيين وفي ذلك زجرهما عن المعاصي وامرهما ان يكونا
كآسية امراة فرعون ومريم بنت عمران في طاعتهما لله تعالى وامتثال امره ونهيه
قوله تبارك وتعالى وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ اِذْ قَالَتْ
رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي اَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ
رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ۵ آيتان ۵ قرا اهل البصرة وحفص
عن عاصم ونافع في رواية خارجة وكتبه على الجمع الباقون وكتابه على واحد لانه اسم جنس
يقع على القليل والكثير الفائدة في هذه الآية وفي الآية التي قبلها ان احدا لا ينفعه
احد ولا يؤخذ بجرم غيره ولا يثاب على طاعة غيره ولا يعاقب ان كان صاحبه صالحا
له وبين ان امراة نوح وامراة لوط لم ينفعهما قربهما من نبيين واختصاصهما والصاقهما
بهما لما كانتا كافرتين عاصيتين لله تعالى بل عاقبهما الله بالنار بكفرهما وسوء
افعالهما وبين في هذه الآية ان كفر فرعون لم يتعد الى زوجته لما كانت مؤمنة طائعة
لله تعالى خائفة من عقابه بل نجاها الله من عقابه وادخلها الجنة على ايمانها وطاعتها
فضرب المثل الاول للكفار لما كانت المراتان كافرتين وضرب المثل الثاني للمؤمن
لما كانت امراة فرعون مؤمنة فقال وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراة فرعون
واسمها آسية والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالاول فهذه الآية فيها قوله
فيه تشبيه حال المؤمنة التي زوجها كافر بحال امراة فرعون في انه لا يضرها كفره مع
وبهائه كما ان امراة نوح ولوط لم ينفعهما نبوتهما وابيهما حين كانتا كافرتين وقوله

اذ قالت

٣٢٢

اذ قالت اي حين قالت امراة فرعون واسمها آسية رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني اي وخلصني
من فرعون وعمله يعني من شر فعله وسوء عمله ونجني اي وخلصني من القوم الظالمين يعني
الذين ظلموا انفسهم بالكفر بالله فاستحقوا لذلك العقاب وانما دعت بالخلاص من جملة
الكفار بان سالت الله تعالى ان تلطف لها في الثبات بالايمان وانه تعتبر في تمكين الله
لفرعون وكفار قومه بطول سلامته وسوابغ نعمه عليهم والاملاء لهم بطول ظاهر الظلم وتجبر
فربما افتتنت من هذه الوجوه فدعت بهذا ليلطف الله لها في ذلك ويبقى على الثبات
بالايمان وقوله ومريم ابنة عمران يحتمل ان يكون عطفا على قوله امراة فرعون فلذلك
نصبه والعامل وضرب فكانه قال وضرب مريم بنت عمران مثلا ويحتمل ان يكون نصبا
على تقدير واذكر مريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فاحصان الفرج منعه من دنس
المعصية يقال احصن يحصن احصانا ومنه الحصن الحصين لانه يمتنع والفرس
الحصان الذي يمنع من ذكوره الا معقدا على تلك الحال وامراة حصان بفتح الحاء لانها تمنع
من لمس الحرام وقوله فنفخنا فيه من روحنا قال قتادة معناه فنفخنا في جيبها من
روحنا وقال الفراء كل شيء هو فرج فاحصنت فرجها معناه جيب درعها من جبريل
عليه السلام والظاهر انه اراد الفرج الذي يكنى عنه وقوله فيه يعني في الفرج فلذلك ذكر
في الانبياء فيها لانه رد الى التي احصنت فرجها وقيل ان جبريل نفخ في فرجها فخلق
الله عز وجل فيه المسيح وصدقت بكلمات ربها يعني بما تكلم الله به واوحاه الى انبيائه
وملائكته وكتبه اي وصدقت بكتبه التي انزلها على انبيائه فمن قرا وكتبه جمع لانها كتب
مختلفة ومن وحد ذهب الى الجنس وهو يدل على القليل والكثير وكانت من القانتين
وانما لم يقل من القانتات لتغليب المذكر على المؤنث فكانه قال من القوم القانتين
فالقانت المقيم على طاعة الله وقيل معناه الداعي لله في كل حال وقال الحسن رفع الله
آسية امراة فرعون الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم فيها الى يوم القيامة فنجاها الله

اكرم الجلة وروى عن النبي عليه السلام قال حسبك من نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وآسية
امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليها السلام وروى ان فرعون امر ان
تسمر آسية باربع مسامير ويرفع فوقها حجر الرخام فان رجعت عن دينها والا ارسل عليها
الحجر فاراها الله منزلها من الجنة فاختارت الجنة فنزع الله روحها فلما ارسل الحجر وقع على
جيفتها

سورة الملك كلها مكية

في قول ابن عباس والضحاك وعطا وغيرهم وهي ثلثون آية في الكوفي والبصري والمدني الاول
واحد وثلثون في المدني الاخير وقال الفراء سورة الملك تسمى المنجية لانها تنجي قاريها
من عذاب القبر وروى ان في التورية مثل سورة الملك **قوله تبارك وتعالى**

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ
الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ
الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ
وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ حتى آيات قرأ حمزة والكسائي تفوت بتشديد الواو
بلا الف الباقون تفاوت على وزن تفاعل ومعناهما واحد وهو مثل تصغر وتصاغر وتعهد
وتعاهد والتفاوت اختلاف التناقض وهو بلاغة تباين الشيئين في الصحة والتباين ان يلح
كل واحد من العيبين ان يصح الآخر يقول الله تعالى مخبرا عن عظمته وعلو شانه تبارك
الذي بيده الملك فمعنى تبارك تعالى بانه الثابت الذي لم يزل ولا يزال واصل الصفة من
الثبوت من البرك وهو ثبوت الطاير على الماء ومنه البركة ثبوت الخير بنمائه وقيل معناه
تعاظم بالحق من لم يزل ولا يزال وهو راجع الى معنى الثابت الدايم وقيل المعنى تعالى عن ثبوت
الاشياء به اذ لولاه لبطل لانه لم يصح شيء سواه الا مقدوره او مقدور مقدوره الذي هو القدر

لان الله

لان الله تعالى هو الخالق لها وقيل ان معناه تعالى من جميع البركات منه الا ان هذا
المعنى مضمن في الصفة غير مصرح وانما المصرح به تعالى باختصاص التعظيم وقوله
الذي بيده الملك معناه الذي يجب كونه قادرا وانه السلطان العظيم الذي كل ملك
ليس به داخل فيه لان الله تعالى ملك الملوك ومكنهم منها والملك هو اتساع المقدور
لمن له السياسة والتدبير وقوله وهو على كل شيء قدير معناه ان الذي بيده
الملك والسلطان القادر على كل شيء يصح ان يكون مقدورا له وهو اخص من قولنا
هو بكل شيء عليم لانه تعالى يعلم كل ما يصح ان يكون معلوما في نفسه ولا يوصف بكونه
قادرا الا على ما يصح ان يكون مقدورا له لان مقدور القدرة لا يصح ان يكون مقدورا له وكل
ما انقضى وقته مما لا يبقى لا يصح ان يكون مقدورا في نفسه ثم وصف نفسه فقال
الذي خلق الموت والحياة اي خلق الموت للتعبد بالصبر عليه والحياة للتعبد بالشكر عليها
وقيل وجه خلق الموت والحياة للابتلاء وهو مما يدعو العباد المؤدي الى تجنب الاتكال
على الاصل لوجوب التحذير في كل حال من مجيء الموت الذي ينقطع به استدراك ما فات
ومع التسوية بين الغني والفقير والملك والسوقة في الموت بما يقتضي قاهرا للجميع وقد عمهم
عن التدبير فقد اذل الله ابن آدم بالموت ليكون ابعد من الطغيان وحال التمكين
من العصيان وقوله ليبلوكم معناه ليعاملكم معاملة المختبر بالامر والنهي فيجازي
كل عامل على قدر عمله والابتلاء الاختبار وقال الفراء والزجاج في الكلام اضمار
وتقديره ليبلوكم ليعلم ايكم لان حروف الاستفهام الا تشغل لا يعمل ما يتعلق بالجملة حتى
تقضي المعنى كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وتقديره قد علمت ان احدهما في الدار
معروف ونظرت ميزانه علمت في هذا انهما توافقهما في حرف انه في الدار ونظرت نعلق
انه في الدار فلم سلطهم ايهم بذلك زعيم اي سوال من يطلب ان يعلم ايهم بذلك زعيم ولو قلت
اضرب ايهم ذهب لم يكن الا نصبا لانه بمعنى الذي والقديم تعالى وان كان عالما بالاشياء قبل

وفي كون الموت نعمة خلاف بين الشيخين ابي علي وابي هاشم

فانما يبلي الخلق ويختبرهم اختبار من يطلب العلم حتى يجازي على الفعل بحسبه فلما كان
لا يحسن الثواب والعقاب الا بعد وجود الطاعة والمعصية لم يكن بد من التكليف والامر والنهي
فاجرى عليه الاختبار مجازا وقوله وهو العزيز الغفور معناه هو العزيز في انتقامه
من اعدائه والكافرين نعمه لا يقدر احد على مغالبته ومع ذلك هو غفور لمن تاب اليه ولمن
يريد التفضل باسقاط عقابه ولا يصح التكليف الا مع الترغيب والترهيب لان التمكين
من الحسن والقبيح يقتضي ذلك والتكليف يحيل المشقة في الامر والنهي ثم عاد الى صفات نفسه
فقال الذي خلق سبع سموات طباقا اي انشأ واخترع سبع سموات واحدة فوق الاخرى
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت يعني من اختلاف وتناقض وذلك يدل على ان ما فيه تفاوت
من الكفر والمعاصي ليس من خلق الله لانه نفى نفيا عاما ان يكون فيما خلقه تفاوت والتفاوت
والتفوت مثل التعاهد والتعهد ثم نبه تعالى العاقل على صحة ما قال من انه ليس في خلق الله
تفاوت فقال فارجع البصر اي فرد البصر وادره في خلق الله من السموات هل ترى
من فطور اي من شقوق وصدوع يقال فطره يفطره فطورا فهو فاطر اذا شقه ومنه
قوله تكاد السموات يتفطرن منه اي يتصدعن وقال ابن عباس معناه هل ترى
من وهي وقال قتادة من خلل وقال سفيان من شقوق ثم اكد ذلك بقوله
ثم ارجع البصر كرتين اي دفعة ثانية لان من نظر في الشيء كرة بعد اخرى بان له ما لم يكن ثانيا
لم تبين انه اذا فعل ذلك وردد بصره في خلق الله انقلب اليه بصره يرجع اليه خاسئا يعني
ذليلا صاغرا في قول ابن عباس وذلك كذل من طلب شيئا لم يجده وابعد عنه وهو حسير
قال قتادة معناه كالّ معيي فالحسير الكليل كالحسير البعير ثم اقسم الله تعالى بقوله
ولقد زينا السماء الدنيا اي حسنّاها وجملناها اي السماء الدنيا بمصابيح يعني الكواكب وسميت
النجوم مصابيح لاضاءتها وكذلك الصبح والمصباح السراج وواحد المصابيح مصباح وقال
قتادة خلق الله تعالى النجوم لثلث خصال احدها زينة السماء وثانيها رجوما للشياطين

لان لام لقد هي التي يتلقى بها القسم بانه زينا السماء

وثالث

٣٢٤

وثالثها علامات يهتدى بها فمن قال هذا تكون تعذيره وجعلناها رجوما وقوله واعتدنا
لهم عذاب السعير معناه انا مع جعلنا الكواكب رجوما للشياطين اعتدنا لهم وادخرنا لاجلهم
عذاب السعير يعني النار المستعرة والسعير النار المسعرة المشتعلة وقيل ينفصل من الكواكب
شهاب بان يكون رجوما للشياطين فاما الكواكب انفسها فليس يزول الى ان يريد الله فناها
ففي هذه الآيات بيان ما يجب من تعظيم الله تعالى الذي لم يزل ولا يزال وانه الملك
الكبير وانه على كل شيء قدير وفيها بيان ما يجب اعتقاده من ان جميع ما خلقه الله فلان
ما يصح معه التكليف العمل الذي يوجب الثواب جزاء على الاحسان مع رحمة من تاب من العصيان
وشدة الانتقام من اقام على معصيته وفيها بيان ما يجب اعتقاده من ان جميع ما خلقه الله
محكم لا تفاوت فيه لانه على ما تقتضيه الحكمة في المنفعة والعبرة وما يصح به الزجر من السيئة وفي
وفيها بيان ما يجب اعتقاده مما اقتضت الحكمة من التلاؤم من غير فطور ولا عدول عن الصواب
من امر السماوات والافلاك والنجوم وما خلق فيها من المصابيح زينة لها ورجوما للشياطين
مع ان عاقبتهم الى عذاب السعير **قوله تبارك وتعالى** وللذين كفروا
بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد
تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قد
جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقالوا
لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب
السعير ست آيات قرأ ابو جعفر والكسائي فسحقا بضم الحاء ثقل الباقون
بالتخفيف وهما لغتان لما ذكر الله تعالى ما اعده للشياطين من عذاب السعير ذكر عقيبه
وعيد الكفار وما اعد لهم لاتصال ذلك بوعيد النار فقال وللذين كفروا يعني
بتوحيد الله واخلاص عبادته وجحدوا نبوة رسله وما جاؤا به عذاب جهنم ثم قال وبئس
المصير اي بئس المآل والمرجع هذا وصفه بئس وهو من صفات الذم والعقاب حسن لانه

لا تخفى عليه وقيل معنى يخشون ربهم بالغيب يخافونه وهم لا يرونه وقيل بالغيب اي في سرهم
وباطنهم ومن علم ضمائر الصدور وحكم اسرار القائل الى غيره وقال الحسن معناه يخشون
ربهم بالغيب يعني بالآخرة لانها غيب يؤمنون به وكل من خشي ربه بالغيب خشيه بالشهادة و
ليس كل من خشيه بالشهادة خشيه بالغيب ثم قال تعالى مهددا للعصاة واسروا قولكم او اجهروا
به ومعناه ان شئتم اظهروه وان شئتم ابطنوه فانه عالم بذلك لانه عليم بذات الصدور ومن
علم ضمائر الصدور وعلم اسرار القول وقوله الا يعلم من خلق معناه من خلق الصدور يعلم
ما في الصدور ويجوز ان يكون المراد الا يعلم من خلق الاشياء ما في الصدور وقيل تقديره
الا يعلم سر العبد من خلقه يعني من خلق العبد ويجوز ان يكون المراد الا يعلم سر من خلق
وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ولا يجوز ان يكون المراد الا يعلم من خلق افعال
القلوب لانه لو اراد ذلك لقال الا يعلم ما خلق لانه لا يعبر عما لا يعقل بمن ولا يدل ذلك
على ان الواحد منا لا يخلق افعاله لان من خلق الصدور واي خلق الاشياء والواحد منا لا يخلق
ذلك فلا يجب ان يكون تعالى عالما بالضمائر وقوله وهو اللطيف الخبير معناه هو اللطيف بعباده
من حيث يبرهم بالطف التدبير فاللطيف الله هو الذي يدبر تدبيرا نافذا لا
يخفى عنه شيء تدبره بغير الخبير معناه العالم بهم وباعمالهم ثم قال تعالى ممتنا على
خلقه ومعددا الانواع نعمه عليهم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا يعني سهلا سهلها لكم
تعملون فيها ما تشتهون فامشوا في مناكبها قال مجاهد مناكبها طرقها وفجاجها وقال
ابن عباس وقتادة مناكبها جبالها وكلوا من رزقه واليه النشور صورة الامر والمراد به
الاباحة والامتنان اذن الله تعالى ان تأكلوا مما خلقه لهم وجعله لهم رزقا على الوجه الذي
اباحه واليه المصير النشور اي الى الله المرجع يوم القيامة واليه المآل والمصير فيجازي
كل واحد بحسب عمله وفي ذلك تهديد **قوله تبارك وتعالى**
أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم

من حيث انه لا يعلم الضمائر فانا بينا ان المراد الا يعلم سر

حاصبا

٣٢٦

حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير او لم
يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير
امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون
الا في غرور امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور
ست آيات قرأ ابن كثير والبزي النشور وامنتم بواو في الوصل قلبا الهمزة الاستفهام
واوا لضمة ما قبلها وقرأ اهل الكوفة واهل الشام بهمزتين على اصولهم الباقون
بتحقيق الاولى وتخفيف الثانية يقول الله تعالى متهددا للكافرين وزاجرا
لهم عن ارتكاب معاصيه والجحد لربوبيته على لفظ الاستفهام والمراد به تفخيم الامر في
تعظيم التبكيت ا امنتم من في السماء فالامن هو اطمئنان النفس الى السلامة من الخوف
والامن علم بسلامة النفس من الضرر يقال امن يأمن امنا وآمنه يؤمنه ايمانا
وامانا والمعنى اامنتم من في السماء سلطانه وامره ونهيه كما قال وهو الله في السماوات
وفي الارض يعلم سركم وجهركم اي وهو الله في السموات وفي الارض معلومة لا يخفى عليه
شيء منه وقيل ايضا يجوز ان يكون المراد اامنتم من في السماء يعني الملك الكائن
في السماء ان يخسف بكم الارض بامر الله فاذا هي تمور فالمور هو التردد في الذهاب
والمجيء يقال مار يمور مورا فهو مائر ومثله ماج يموج موجا وقوله ام امنتم من في
السماء ان يرسل عليكم حاصبا فالحاصب الحجارة التي يرمى بها كالحصى حصبه بالحصبة
يحصبه حصبا اذا رماه بها يقال للذي يرمى بالحاصب اي ذو حصب كان الحجر هو الحجر
الذي يحصب وقيل تقديره قبل ان يرسل عليكم حاصبا كما ارسل على قوم لوط
حجارة من السماء وقوله فستعلمون كيف نذير فيه تهديد اي ستعلمون كيف
تخويفي وتهديدي ان عصيتموني اذا صرتم الى عذاب النار ثم قال تعالى مقسما ولقد كذب
الذين من قبلهم اي جحد من قبل هؤلاء الكفار من الامم وحدانيتي واشركوا

ذلك من الضرر الذي يجب على كل عاقل ان يتقيه بنهاية الجهد واستفراغ الوسع صيحهزا
لمن يجب المراد في ذلك على احد ولا يجوز فيما سلف على ذلك اي لو يوصف به الفاعل لجاز ان يوصف
به الفاعل المحل وجبرا للنم لانه لا يقال بئس الرجل المحل كان مستحقا للذم من حيث
ان القادر قادر على الضدين ووجه الحكمة في فعل العقاب ما فيه من الزجر المتقدم للمكلف
ولا يمكن ان يكون مزجورا الجنة ولولم يكن ان تعري بالجزء ثم قال تعالى اذا القوا فيها
ومعناه اذا طرح الكفار في النار سمعوا للكافرين للنار شهيقا وصوتا فظيعا ابتعس كالنزع
فاذا استلهب النار سمع لها ذلك الصوت كانها تطلب الوقود قال دويد
خرج في الجوف سحيلا او شهيق حتى يقال ناهق وما نهق وقال ابو العالية
الشهيق في الصدر والزفير في الحلق وقوله وهي تفور اي ترتفع فالفور ارتفاع الشيء
بالغليان يقال فارت القدر تفور فورا ومنه الفوارة لارتفاعها بالماء وارتفاع الغليان وفار
الدم فورانا وفار الشوق والنار تفور فارا وقوله تكاد تميز من الغيظ اي تكاد النار تفور بهم
تتفرق وتنقطع من شدتها فتتميز شدتها والنها بها غيظا فان المغتاظ هو المتغيظ بما يجب
من الامر الباعث على الايقاع لعيره في الجحيم كحال المغتاظ فالمعنى التفرق والتميز التفريق
وقال ابن عباس تميز اي تفرق وهو قول الضحاك وابن زيد قوله كلما القي
فيها يعني كلما طرح في النار فوج من الكفار سالهم خزنتها الم ياتكم نذير يعني تقول
لهم الملائكة الموكلون بالنار على وجه التبكيت لهم في صيغة الاستفهام المجيكم مخوف من
جهة الله يخوفكم عذاب هذه النار فيقولون في جوابهم بلى قد جاءنا نذير اي مخوف معلم
فكذبنا ولم نصدقه ولم نقبل منه وقلنا ما انزل الله من شيء مما تدعونا اليه وتحذرنا
منه فيقول لهم الملائكة ان انتم الا في ضلال كبير اي لستم اليوم الا في عذاب عظيم ثم قالوا
ايضا يعني الكفار لو كنا نسمع من النذر ما جاؤونا به او نعقل ما دعونا اليه ودلنا به
ما كنا من اصحاب السعير فقال الله تعالى فاعترفوا بذنبهم يعني اقروا على انفسهم في ال

في ذلك الوقت الذي لا ينفعهم الاعتراف والاقرار فالاعتراف هو الاقرار بالشيء عن معرفة وذلك
ان الاقرار مشتق من قر الشيء يقر قرا اذا ثبت فالمقر في المعنى مثبت له والاعتراف ماخوذ من المعرفة
فقال الله تعالى فسحقا لاصحاب السعير اي بعدا لهم عن الخير وعن ثواب الله ونعمه فكانه
قال اسحقهم الله سحقا او الزمهم الله سحقا عن الخير فجاء المصدر على غير لفظه كما قال
الله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا وتقديره فاسحقهم الله او لهم لانه ماخوذ منه
فانا سحقته سحقا فعناه باعدته بالتفريق عن حال اجتماعه بما صار اليه كالغبار وليس لاحد
ان يقول ما وجه اعترافهم بالذنب مع ما عليهم من الفضيحة به وذلك انهم قد علموا انهم قد حصلوا
على الفضيحة اعترفوا او لم يعترفوا وانهم سواء عليهم اجزعوا ام صبروا وليس لهم ما يدعوهم
الى ما هو الامر الاسهل ما يدعوهم الى الاحزن فيه لا فرج فيه فلا يصلح ان يقال لم جزعوا الا
ما يصلح ان يقال لم صبروا وكذلك لم اعترفوا لانه لو لم يعترفوا على ما بيناه والذنب
مصدر لا يثنى ولا يجمع ومتى جمع فلاختلاف جنسه كما يقال خطايا الناس واغلطتهم
قوله تبارك وتعالى الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة و
اجر كبير واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها
وكلوا من رزقه واليه النشور لما وصف الله تعالى الكفار وما اعد لهم من اليم العقاب
ذكر المؤمنين وما اعد لهم من جزيل الثواب فقال ان الذين يخشون ربهم اي يخافون
عذاب ربهم باتقاء معاصيه وفعل طاعاته بالغيب اي على وجه الاستسرار بذلك
لان الخشية متى كانت بالغيب على ما قلناه كانت بعيدة من النفاق وخالصة لوجه الله وخشية
الله بالغيب تنفع بان يستحق عليها الثواب والخشية في الظاهر وترك المعاصي لا يستحق بها
الثواب وانما لا يستحق العقاب وانما الخشية في الغيب افضل لا محالة وقوله لهم مغفرة
واجر كبير اي لمن خشي الله واتقاه بالغيب ستر من الله على معاصيه وثواب كبير

في مجرى العبادة وكذبوا رسلي فاهلكتهم وانا اهلكتهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم
بعض وبين الفيئات والمثلات ثم قال منبهاً لهم على توحيده فقال اولم يروا الى الطير يقبض
فوقهم صافات اي مصطفات فوق رؤوسهم في الجو باسطات اجنحتهم ويقبضن اي يضربن
بها جنوبهن وقوله ويقبضن اي من الطير ما يضرب بجناحيه فيدف ومنه الصفيف
والدفيف ما يمسكهن الا الرحمن اي ليس يمنعهن من السقوط الى الارض الا الرحمن
فيها الذي خلق لهم الآلات التي يمتنعون بها او يقويهم وما خلق فيها من القدرة فعل ذلك
ولولا ذلك لسقطت الى الارض وقيل معنى ما يمسكهن الا الرحمن بتوطئة الهواء لهن ولولا
ذلك لسقطن وفي ذلك اكبر دلالة واوضح حجة بان من سخر الهواء هذا التسخير هو على كل
شيء قدير والصف وضع الاشياء المتوالية على خط مستقيم والقبض جمع الشيء عن حال البسط
والامساك اللزوم المانع من السقوط وقوله انه بكل شيء بصير اخبار منه تعالى انه عالم
بجميع الاشياء لا يخفى عليه شيء منها بصير بالخلق من النفع والضر ثم قال
امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن اي من لكم معاشر الكفار
يدفع عنكم عذاب الله اذا حل بكم ان الكافرون الا في غرور ومعناه ليس الكافرون
بالله العابدون للاوثان الا في غرور اي يتوهمون ان ذلك انفع لهم والامر على
خلاف ذلك من المكروه ثم قال امن هذا الذي يرزقكم ان امسك الله رزقه
بان يحبسه ويمنعه منكم فبين لهم رزقهم بل لجوا في عتو ونفور فاللجاج تقحم
الامر مع كثرة الصارف عنه يقال لج في الامر يلج لجاجاً وقد لاجه ملاجة
ولج فلان في الحرب فهو لجوج لججاً ولما كان لهؤلاء المشركين صوارف كثيرة عن عبادة
الاوثان وهم يتقحمون على ذلك العصيان كانوا قد لجوا في عتوهم والعتو الطغيان
وهو الخروج الى فاحش الفساد يقال عتا يعتو عتواً فهو عات وجمعه عتاة والنفور الخروج عن الشيء هرباً من الشعور بضرره و
وقال الجبائي قوله امن هذا الذي الى قوله ان امسك رزقه تعريف بحجة عرفها نقيض النفور م

الله عباده فعرفوا واقروا بها ولم يردوا لها جواباً فقال الله بل لجوا في عتو ونفور
قوله تبارك وتعالى افمن يمشي مكباً على وجهه اهدى امن
يمشي سوياً على صراط مستقيم قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلاً ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما
انا نذير مبين خمس آيات قوله افمن يمشي مثل ضربه الله قال ابن عباس
هو مثل ضربه الله عز وجل للكافرين وشبهه بمن يمشي مكباً على وجهه والمؤمن
وشبهه بمن يمشي سوياً على صراط مستقيم وقال قتادة الكافر يحشر يوم
القيامة يمشي على وجهه مكباً والمؤمن يمشي على صراط مستقيم وفي الآية دلالة على
وجوب النظر في الدين لانه تعالى ضرب المثل بالناظر فيما يسلكه حتى خلص
الى الطريق المستقيم فمدح هذا وذم التارك للنظر مكباً على وجهه لا يثق بسلامة
طريقه يقال اكب يكب اكباباً فهو مكب فيما لا يتعدى قال الاعشى
مكباً على روقيه يحفر عرقه على ظهر عريان الطريقة اهيما فاذا تعدى قيل
كببت فلاناً على وجهه وكبه الله لوجهه ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام قل
لهؤلاء الكفار ان الله تعالى هو الذي انشاكم بان اخرجكم من العدم الى الوجود
واخترعكم وجعل لكم السمع والابصار تسمعون بالسمع المسموعات وتبصرون بالبصر
المبصرات والافئدة يعني القلوب تعقلون فيها اي بما فيها من العلوم تعملون بها وعن
بها هذه نعم الله تعالى يجب عليكم ان تشكروها وتحمدوا الله عليها فانتم
قليلاً ما تشكرون اي قليلاً شكركم ويجوز ان يكون المعنى انكم تشكرون قليلاً ثم قال
قل لهم يا محمد هو الله تعالى الذي ذرأكم اي خلقكم اولاً واوجدكم واليه تحشرون
اي تبعثون اليه يوم القيامة فيجازيكم على اعمالكم على الطاعة بالثواب وعلى المعصية

بالعذاب ثم حكى تعالى ما كان يقوله الكفار فانهم كانوا يقولون مستهزئين مكذبين
بانه من عند الله متى هذا الوعد الذي تعدوننا به من العذاب والهلاك ان كنتم صادقين
معاشر المؤمنين والمسلمين فقال الله تعالى قل لهم يا محمد انما العلم عند الله يعني
علم وقت قيام الساعة على اليقين عند الله لم يطلع الله عليه احدا من البشر كما قال
ان الله عنده علم الساعة وانما انا نذير لكم مخبر مخوف من عذاب الله تعالى مبين لكم
ما لكم فيه من الصلاح والنجاة من العذاب والنذير هو الدال على موضع المخافة محذرا
من دعا الى حق اما رغبة او رهبة من نذير الا انه صار علما في صفات الانبياء عليهم السلام
قوله تبارك وتعالى فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا
الذي كنتم به تدعون قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين رحمنا
من عذاب اليم قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال
مبين قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين • اربع ايات
قرا يعقوب تدعون خفيفة الباقون بالتشديد وقرا الكسائي فسيعلمون من هو بالياء
على الغيبة الباقون بالتاء على الخطاب اي قل لهم لما حكى الله تعالى عن الكفار انهم
استبطؤا عذاب الله وهلاكه مستهزئين بذلك فقالوا متى هذا الوعد قال الله تعالى
حاكيا عنهم اذا راوا ما يوعدون به فلما راوه زلفة قال الحسن معناه معاينة وقال
مجاهد يعني قريبا لان الزلفة المنزلة القريبة والاصل فيه القرب يقال ازدلف اليه ازدلافا
اذا تقرب اليه ومنه مزدلفة لانها منزل القربة من مكة وجمع الزلفة زلف قال العجاج
ناج طواه الاين مما وجفا • طي الليالي زلفا فزلفا • سماوة الهلال حتى احقوقفا
وقوله سيئت وجوه الذين كفروا اي ظهر فيها ما يغمهم من الكآبة والحزن يقول
ساءه يسوؤه سوءا ومنه السوء ومنه اساء يسيء اساءة وسوء اذا فعل فعلا يؤدي الى الغم
وقيل هذا الذي كنتم به تدعون اي يقال لهم اي للكفار اذا شاهدوا العذاب هذا الذي

كنتم

كنتم به تدعون اي تطلبون بخلاف ما وعدتم به على طريق التكذيب بالوعد كانه قيل
هذا الذي كنتم به تكذبون في ادعائكم انه باطل والادعاء الاخبار بما يوعد اليه القائل
دون المعنى فاذا ظهر دليل خرج من الادعاء لانه حينئذ يدعوا اليه المعنى وكذلك الاخبار
بما يدعوا الى نفسه في العقد ليس بدعوى قال الزجاج تدعون يجوز ان يكون بمعنى تفتعلون
من الدعاء ويجوز ان يكون من الدعوى وقال الفراء التشديد والتخفيف واحد
مثل تذكرون وتذكرون وتخبرون وتختبرون ثم قال للنبي عليه السلام قل لهم
يا محمد ان اهلكني الله ومن معي بان يميتنا او رحمنا بان يؤخر آجالنا فما الذي ينفعكم
من ذلك في دفع العذاب الذي استحققتموه من الله فلا تعللوا في ذلك بما لا ينفعكم
شيئا وقيل ان الكفار كانوا يتمنون موت النبي وموت اصحابه فقيل لهم ارايتم ان اهلكني
الله باماتتي واماتة اصحابي فما الذي ينفعكم ذلك في النجاة من عذاب اليم وقيل لهم
ومن الذي يجير الكافرين من عذاب اليم حتى لا تعتدوا او لا تعاقبوا فلا يمكنهم الا حالة
على من يجيرهم من الله ويخلصهم من عذابه ثم قال قل لهم على وجه الانكار عليهم والتوبيخ
لهم على فعلهم هو الرحمن يعني الله تعالى هو الذي عمت نعمه جميع الخلائق واستحق
الوصف بالرحمن امنا به اي صدقنا بوحدانيته وعليه توكلنا اي اعتمدنا عليه وفوضنا
امورنا اليه فالتوكل الاعتماد على تفضل الله وحسن تدبيره وقل لهم فستعلمون معاشر
الكفار من الذي هو في ضلال مبين اي بين ومن قرا بالياء معناه فسيعلم الكفار ذلك
ثم قال قل لهم يا محمد ارايتم معاشر الكفار ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا
وصف الغائر بالغور الذي هو المصدر مبالغة يقال غار يغور غورا وغيارا فهو غائر كما يقال ومآن غورهم
هذا ولد زور وفلان ضيف لانه مصدر في قول الفراء وغيره فمن ياتيكم بماء معين معناه
من الذي يجيئكم بماء معين اذا غارت مياهكم قال قوم الماء المعين الذي تراه العيون
وقال قتادة والضحاك هو الجاري فالاول مفعول من العين كمبيع من البيع والثاني

على الحق وسعة البذل وتدبير الامور على مقتضى العقل وفي ذلك الرفق والاناة والحلم والاذلال
ومن وصفه الله بانه على خلق عظيم فليس وراء مدحه مدح وقيل ونك لعلى خلق عظيم يحكم
القرآن وكل ذلك عطف على جواب القسم وقوله فستبصر ويبصرون معناه فستعلم
يا محمد يوم القيامة ويعلمون هؤلاء الكفار الذين يرمونك بالجنون تارة وبالكهانة
اخرى بايكم المفتون وقيل في معناه قولان احدهما اي فريقكم المفتون
بما يجري مجرى الجنون والثاني ان يكون معنى بايكم المفتون كما يقال ليس له معقول
اي عقل فتقديره ستعلم ويعلمون من منكم الجنون وقيل معنى الباء في وكانه قال في ايكم
الجنون وقال قتادة معناه ايكم اولى بالشيطان وجعل الباء زائدة والمفتون المبتلى بتخبيل
الراي كالمجنون وذلك كما يبتلى بشدة الهوى المجنون فيقال فتن فلان بفلانة وعلى هذا
المعنى وقال ابن عباس بايكم الجنون وقال قتادة معناه ايكم اولى بالشيطان فجعل الباء
الزائدة كما قال الراجز • نحن بنو جعدة اصحاب الفلج • نضرب بالسيف ونرجو بالفرج
ومعناه ونرجو الفرج وقال مجاهد معناه ايكم المفتون كانه قال في ايكم المفتون ثم قال
ان ربك يا محمد هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذي هو سبيل الحق وعدل عنها وجار عن السلوك
فيها وهو اعلم بمن اهتدى اليها وعمل بموجبها ثم نهى النبي صلى الله عليه وآله فقال
له فلا تطع المكذبين بتوحيد الله والجاحدين لنبوتك ولا توافقهم فيما يريدونه وقوله
ودوا لو تدهن فيدهنون قال ابن عباس معناه ودوا لو تكفر فيكفرون
وهو قول الضحاك وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان معناه ودوا او لو الكفار لو تلين بتليين هم
في دينك فيلينون في دينهم فشبه التليين في الدين بالدهن وقيل معناه ودوا لو تركن
الى عبادة الاوثان فيما لونك والادهان الجريان في ظاهر الحال على المقاربة مع اضمار العداوة
وهو مثل النفاق ورفع فيدهنون بالعطف على قوله لو تدهن ولم يجعله جواب التمني
ثم قال له عليه السلام ولا تطع يا محمد كل حلاف اي من يقسم كثيرا بالكذب مهين يعني

مكثر

مكثار في الشر في قول الحسن وقتادة والمهين الوضيع بالكثار من القبيح ومن عرف
بانه حلاف على الكذب فهو مهين وقال البلخي المهين الفاجر في هذا الموضع وقوله المهين هم
هماز مشاء بنميم اي وقاع في الناس بما ليس له ان يعيبهم به والاصل فيه الدفع بشدة اعتماد ومنه
الهمزة حرف من حروف المعجم وهي همزة تخرج من الصدر بشدة اعتماد وقال ابن عباس الهماز
المغتاب وقوله مشاء بنميم فالنميم التضريب بين الناس بنقل الكلام الذي يغيظ بقلوب
بعضهم على بعض ومنه النمام المنموم لانه عجة زكية لخبرخها نفسه والنم والنميم مصدران
وهو نقل الاحاديث بالتضريب ثم نم نما ونميمة مناع للخير اي يمنع خيره ونفعه فلا
ينتفع احد به معتد قال قتادة معناه متجاوز للحد في المعاملة اثيم اي آثم فعيل
بمعنى فاعل وهو الذي فعل ما يأثم به عتل بعد ذلك فالعتل الجافي الغليظ ومنه قوله
خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم اي اذهبوا به بعنف وغلظة يقال عتله يعتله ويعتله عتلا
اذا زعزعه بغلظ وجفاء • وقال ذو الاصبع • والدهر يغدو معتلا جذعا •
وقيل العتل الفاحش اللئيم • وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك والزنيم الدعي وهو
الملصق بالقوم وليس منهم واصله الزنمة وهي الهنة التي تحرك تحت حلق الجدي وقال
حسان • وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد •
وبعده ها هنا معناه مع • وقال آخر • زنيم ليس يعرف من ابوه بغي الام ذو حسب لئيم
ويقال للتيس زنيم له زنمتان وقيل الزنيم الدعي عن ابن عباس وقيل هو الذي يعرف بالشر
كما تعرف الشاة بزنمتها وقوله ان كان ذا مال وبنين من قرا على الاستفهام وهو حمزة
وابو بكر عن عاصم اراد الان كان ذا مال وبنين على وجه التوبيخ له اذا تتلى عليه آياتنا قال
اساطير الاولين ويحتمل ان يكون المراد لان كان ذا مال وبنين يطاع ومن قرا بلا استفهام
معناه لان كان ذا مال وبنين يطاع او قال ولا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال
وبنين وقيل كان له الف دينار وعشرة بنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين

من الاتقان في الجري ووزنه فعيل عاشه قال بعض في الجري والظهور وقال الحسن اصله من العيون قال العتابي فقوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا تقريب حجة الله لعباده عرفوها واقروا بها ولم يردوا لها جوابا

سورة نون

مكية في قول ابن عباس والضحاك رضي الله عنهما وهي اثنان وخمسون اية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليهم اياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على الخرطوم ستة عشر اية قرا الكسائي وابو بكر عن عاصم ن والقلم بالاخفاء والباقون بالاظهار والاظهار اقوى لان النية بها الوقف اذ هي حروف هجاء ويجوز ادغام النون الثانية في الواو المقارنة على قياس من واقف ولم يقرا به احد وقرا ان كان ذا مال وبنين حمزة واحد عن ودة يعقوب وابو جعفر وابن عامر وبين بين حمزة وابو بكر الباقون على الخبر واصل واختلفوا في معنى النون في هذا الموضع فقال قوم هو اسم من اسماء السورة مثل حم والر وصاد وقاف وما اشبه ذلك وهو الذي قلنا انه اقوى الاقوال وقال ابن عباس في رواية عنه ان النون الحوت الذي عليه الارضون وفي رواية اخرى عنه ان النون الدواة وهو قول الحسن وقتادة وروي في خبر عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال نون لوح من نور وقال قوم تقديره ورب نون والقلم والقلم الة مبرية للكتابة والمقلمة وعاء القلم وجمعه اقلام ومنه قلامة الظفر لانه يوخذ منه كالاخذ بالقلم

واجر القلم بالقسم وقوله وما يسطرون ما في موضع جر بالعطف على والقلم وكان القسم بالقلم وما يسطر به بالقلم ويجوز ان تكون ما مصدرية وتقديره ن والقلم وسطركم فيكون القسم بالكتابة وعلى الاول بالمكتوب والسطر الكتابة وهو وضع الحروف على خط مستقيم سطر يسطر سطرا اذا كتب واسطر اذا كتب وجمع السطر سطور واسطار قال الشاعر

روبة اني واسطار سطرن سطرا والمسطرة الة التسطير وقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون هو المحلوف عليه وهو جواب القسم ومعناه لست يا محمد بمجنون بنعمة ربك كما تقول ما انت بنعمة ربك بجاهل وجاز تقديم معمولها الباء لانها زائدة موكدة في ما انت بنعمة ربك بمجنون وتقديره انتفى عنك الجنون بنعمة ربك وانما قال ما انت بنعمة ربك بمجنون مع ان الجنة قد تكون نعمة لان الجنة لا تكون نعمة من حيث هي جنة وانما تكون نعمة من حيث تؤدي الى المصلحة في الدين والعاقبة تكون نعمة من حيث هي عافية فلهذا حسن ما انت بنعمة ربك بمجنون والجنون غمور العقل بستره عن الادراك به بما يخرج عن حكم الصحيح واصله الستر ومنه قوله جن عليه الليل اذا ستره وقيل ان قوله ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب لقول المشركين حين قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فقال الله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون وقوله وان لك خطاب للنبي عليه السلام يقول له وان لك يا محمد اجرا اي ثوابا من الله على قيامك بالنبوة وتحملك اعباءها غير ممنون اي غير مقطوع من قولهم منه السير يمنه منا اذا قطعه ويقال ضعفت منتي عن السير ورجل منين اي ضعيف ويجوز ان يكون المراد به انه غير مكدر بالمن الذي يقطع من لزوم الشكر من قولهم المن يكدر الصنيعة وقال الحسن معناه لا يمن عليك باجرك ثم وصف النبي عليه السلام فقال وانك يا محمد لعلى خلق عظيم قال الحسن على دين عظيم وهو الاسلام وقيل ادب القران وقال المورخ معناه على دين عظيم بلغة قريش وقالت عايشة كان خلق النبي عليه السلام ما تضمنه العشر الاول من سورة المومنين والخلق المرود في الفعل على عادة والخلق الكريم الصبر

اى احاديث الاولين التى سطرت وكتبت لا اصل لها وواحد الاساطير اسطورة فى قول
الزجاج وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم ان كان ذا مال وبنين بهمزتين وقرا ابن عامر بهمزة
ممدودة والباقون بهمزة واحدة وقد قرناه فقال الله تعالى مهددا له ومتوعدا
سنسمه على الخرطوم اى سنعلم على انفه علامة يعرف بها الملائكة انه من اهل النار
فالسمة العلامة المعروفة بالرعية بين الاشياء المختلطة كسمة الخيل اذا ارسلت فى المروج وسمه
يسمه وسما وسمه فهو موسوم والخرطوم الانف وهو النابى فى الوجه الذى يقع بالشم وسمى
خرطوم الفيل وخرطه اذا قطع انفه وجمعه خراطيم وقال ابن عباس معنى سنسمه
على الخرطوم نخطمه بالسيف فى القتال كما فعل بهم يوم بدر وقال قتادة معناه سنلحق
به شينا على الابد وقال بعضهم معناه سنسود وجهه فعبر عن الوجه بالخرطوم
لانه فيه وقيل نزلت هذه الايات فى الوليد ابن المغيرة المخزومى وقيل نزلت فى الاخنس
بن شريق الثقفى كانت به زنمة يعرف بها ذكره ابن عباس قوله تعالى
إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ
فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ
أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا
الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ٥ تسع ايات يقول الله تعالى
انا بلوناهم اى هؤلاء الكفار اى اختبرناهم كما بلونا اصحاب الجنة يعنى البستان اذ اقسموا
اى حين اقسموا فيما بينهم ليصرمنها مصبحين ووجه الكلام انا بلونا اهل مكة بالجدب
والقحط كما بلونا اصحاب الجنة بهلاك الثمار التى كانت فيها حين دعا النبى عليه السلم عليهم
فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فالبلوى
المحنة بشدة التعبد على ما يقتضيه الحال فى صحة التكليف والصرم قطع ثمر النخل صرم النخلة
يصرمها صرما فهو صارم ومنه الصريمة القطيعة عن حال المودة وهم عشرة ابوهم كان رجل

ارن

٢٣١
من بنى اسرائيل وكان ياخذ من بستانه كفاية سنته ويتصدق بالباقى فقال اولاده نحن
يكفينا وحلفوا انهم يصرمون بستانهم ليلا وابى عليهم ابوهم فاقسموا انهم ليصرمون
ثمر نخل البستان اذا اصبحوا ولم يستثنوا ومعناه لم يقولوا ان شاء الله فقول
القائل لافعلن كذا الا ان يشاء الله استثناء ومعناه ان شاء الله منعى او تمكين ما ينفى
فقال الله تعالى فطاف عليها يعنى على تلك الجنة طائف من ربك اى حرقها
طارق من امر الله فالطائف الطارق ليلا فاذا قيل اطاف به صلح فى الليل
والنهار وانشد الفراء ٥ اطفت بها نهارا غير ليل والهى ربها طلب الرخال
الرخال اولاد الضان واحدها رخل وفى الانثى رخلة وهم نائمون اى فى
حال نومهم فاصبحت يعنى الجنة كالصريم اى كالليل الاسود فى قول ابن عباس
وانشد ابو عمرو بن العلاء ٥ الا بكرت وعادلتى تلوم تجهلنى وما انكشف الصريم
وقال تطاول ليلك الجون البهيم فما ينجاب عن صبح صريم ٥ اذا ما قلت اقشع
او تناهى جرت من كل ناحية غيوم وقال قوم الصريم هو المصروم وقال
سعيد بن جبير الصريم ارض معروفة باليمن لا تنبت شيئا تدعى صروان وانما قيل
لليل صريم لانه ينقطع ظلمته عن الضوء فى الاصول وقيل انما فعل الله بهم ذلك
لانهم منعوا الحقوق اللازمة من ثمار هذه الجنة والصرم قطع الثمر والصريم المصروم
جميع ثماره وقوله فتنادوا مصبحين اخبار عن حالهم انهم لما اصبحوا نادى بعضهم بعضا
يا فلان يا فلان والتنادى دعاء بعض الناس بعضا بطريقة يا فلان واصله من الندى
بالفتح لان النداء الدعاء بندى الصوت الذى يمتد على طريقة يا فلان لان الصوت
انما يمتد للانسان بندى حلقه والنادى مجلس القوم وهو الندى ان اغدوا على حرثكم
اى نادى بعضهم بعضا بان اغدوا او قالوا اغدوا على حرثكم والحرث الزرع الذى قد حرثت
له الارض حرث يحرث حرثا والحارث الذى يحرث الارض ومنه الحارث ومنه الحرث

كناية عن الولع ويقال احترث لاهله اذا اكتسب تطلب الرزق كما يطلب الحارث ان كنتم صارمين
اى قاطعين لثماركم فالصارم قاطع ثمر النخل على الاستيصال واكثر ما يستعمل ذلك في النخل
ويجوز في الشجر واصله القطع ومنه تصرم النهار اذا مضى فقطعه قطعة حتى انقضى وقيل
معناه ان كنتم حاصدين زرعكم ثم قال فانطلقوا اى ذهبوا وهم يتخافتون فالتخافت
التقابل في اخفاء الحركة واصله الخفاء ومنه خفت فلان ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين
في قول قتادة وقوله وغدوا على حرد قادرين القصد حرد يحرد حردا مثل قصد
قال الشاعر اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اى يقصد قال
الحسن معناه على جهة من الفاقة وقال مجاهد معناه على حد من امرهم وهو قول
قتادة وابن زيد وقال سفيان معناه على حنق وذلك من قول الاشهب بن رميلة
اسود شرى لاقت اسود خفية تساقوا على حرد دماء الاساود اى على غضب وقيل
معناه على منع من قولهم حاردت السنة اذا منعت قطرها وحاردت الناقة اذا منعت لبنها
والاصل القصد وقوله قادرين معناه مقدرين انهم يصرمون ثمارهم ويجوز ان يكون
المراد وغدوا على حرد قادرين عند انفسهم على صرام جنتهم **قوله تبارك وتعالى**
فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون
قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا
طاغين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب
الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ٦ ثمان آيات يقول الله تعالى مخبرا ان اولئك الكفار
لما نادى بعضهم بعضا وانطلقوا الى صرم ثمارهم وتساروا الا يدخل عليهم مسكين
طلبا لهم انهم حين جاؤوه وجدوا البستان كالليل الاسود قد اهلكه الله وطرقه
طارق من امر الله فاهلكه فلما راوا الجنة على تلك الصورة قالوا انا لضالون اى اخطانا الطريق
وعدلوا عن طريق الحق وجازوا عن سبيل الواجب وذهبوا عن طريق الرشاد ثم استدركوا

يتخافتون اى اخفى ... معناه يتشاورون بينهم صح

جفنة

فقالوا

فقالوا بل نحن محرومون ما كان لنا في جنتنا ونقديره انا لضالون عن الحق في امرنا فلذلك ۳۳۲
عوقبنا بذهاب ثمرنا والضلال الذهاب عن طريق الرشاد الى طريق الهلاك بالفساد والحرمان
منع الخير الذي كان ينال لولا ما حدث من سببه الانقطاع يقال حرمه يحرمه حرما فهو
محروم في خلاف المرزوق وقال قتادة معنى قوله انا لضالون اى اخطانا الطريق ما هذه
جنتنا فقال بعضهم لبعض بل نحن محرومون وقوله قال اوسطهم معناه قال
اعدلهم قولا في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك والاوسط الكائن
بين الاكبر والاصغر والمراد ها هنا بين الاكبر والاصغر في الخروج عن القصد المراد
لكم على وجه التوبيخ لهم الم اقل لكم لولا تسبحون هلا تعظمون الله تعالى بعبادته
واتباع امره وقال مجاهد معنى لولا تسبحون هلا تستثنون والتسبيح التنزيه لله
عما لا يجوز عليه في صفته وهو التنزيه عن كل صفة ذم ونقص فلذلك جاز ان يسمى
الاستثناء بان شاء الله تسبيحا وقيل معناه لولا تصلون ثم حكى انهم قالوا
سبحان ربنا انا كنا ظالمين ومعناه انهم اعترفوا ان الله لم يظلمهم وانهم ظلموا انفسهم
في عزمهم على حرمان المساكين من حصتهم عند الصرام من غير استثناء فحرمنا قطعها
والانتفاع بها ثم حكى ان بعضهم اقبل على بعض يلوم بعضهم بعضا ويلوم بعضهم
بعضا ثم قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين فالويل غلظ المكروه الشاق على النفس
والويس دونه والويح وسط بينهما وانما نودي الويل يا ويلنا عن حال الشدة كانه يقول
يا ويل تعال فانه من احيانك انا كنا طاغين اى علونا في الظلم وتجاوزنا الحد فيه فالطغيان
العلو في الظلم والداعي اليه طلب الارتفاع بغير استحقاق بالقهر والاغتصاب
وقيل الطاغي المتجاوز للحد في الفساد وقال عمرو بن عبيد يجوز ان يكون ذلك
منهم توبة وايمانا ويجوز ان يكون ذلك على حد ما يقول الكافر اذا وقع في الشدة
ثم قالوا عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها اى لما تابوا ورجعوا الى الله قالوا لعل

فقال ان ذلك كالحق لهم على دعوى شركائهم صاحبها ان يقيم البينة عليها فلزمه
ان يقيمها بغيره والشريك مشاركة في معنى ... ولغيره من غير انفراد به
من غير انفراد به لتفرق بين ما هو له ولغيره وهو لا ينفك كالعنوان هو لهذا الكاتب
ولكاتب اخر ولهذا الكاتب مطلقا فليس فيه شريك وكذلك الحق العظيم هو ملك لله
... الملوك على الاطلاق فليس في هذا شركة وانما الشركاء في الدعوى
... لو افرد بعضهم ... الاخر ...
... ان يكون المعنى في الامام لهم شركاء يدعون مثل ما يدعيه هؤلاء الكفار فليأتوا
ان كانوا صادقين اى شركائهم الذين تقوم بهم الحجة ولا سبيل لهم الى ذلك فهو لازم
لهم وقوله يوم يكشف عن ساق قال الزجاج هو متعلق بقوله فليأتوا بشركائهم
يوم يكشف عن ساق وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة
والضحاك معناه ... الساق ساق الانسان وساق الشجرة لما تقوم عليه من بدنها وكل نبت
له ساق من شجره قال الشاعر للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه
فالمعنى يوم تشتد الامر كاشتداد ما يحتاج فيه الى ان يقوم على ساق وقد كثر في كلام
العرب حتى صار كالمثل فيقولون قامت الحرب على ساق وكشفت على ساق قال
قيس وخرجت لهم عن ساقها ... ولا ايام وقال جد ابي طرفة
كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح وقال اخر قد شمرت عن ساقها
فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا والقوس فيها وتر عرد وقوله ويدعون
الى السجود قيل معناه انه يقال لهم على وجه التوبيخ اسجدوا وانتم لا تستطيعون وقيل
معناه ان شدة الامر وصعوبة الحال تدعوهم الى السجود وان كانوا لا ينتفعون به ثم قال
خاشعة ابصارهم اى ذليلة ابصارهم لا يرفعون نظرهم من الارض ذلة ومهانة ترهقهم
ذلة معناه تغشاهم ذلة يقال رهقه يرهقه رهقا مثل لحق اذا غشيه ورهقه الفارس

يوم يبدو ... عن الامر الشديد الفظيع من هول يوم القيامة صح

اذا ادركه

اذا ادركه وراهق الغلام اذا ادرك وقوله وقد كانوا يدعون الى السجود وهم
سالمون يعني دعاهم الله تعالى الى السجود والخضوع له في دار الدنيا وزمان التكليف ۳۳۴
فلم يفعلوا فلا ينفعهم السجود في ذلك الوقت وقوله فذرني ومن يكذب
بهذا الحديث تهديد ومعناه ذرني والمكذبين اى كل امرهم الي كما يقول
القائل دعني واياه وقوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون معناه سناخذهم
الى العقاب حالا بعد حال والملي الطول والمهل اجالهم واوخرها ان كيدي متين
اى قوي فقال سنستدرج اعمالهم الى عقابهم وان اطلنا اعمارهم استخرج ما عندهم
قليلا قليلا واصله من الدرجة لان الراقي ينزل منها مرقاة مرقاة فاشبه هذا
ووجه الحكمة في ذلك انهم لو عرفوا الوقت الذي يوخذون فيه لكانوا امنين الى ذلك
الوقت وصاروا مغرين بالقبيح والله تعالى لا يفعل ذلك **قوله تبارك**
ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم
ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه
لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون
وما هو الا ذكر للعالمين ٦ ست آيات قرأ نافع وحده ليزلقونك بفتح
الياء من زلقت الباقون بضمها من ازلقت وهما لغتان زلقت وازلقت قال
الفراء يقولون زلقت شعره وازلقته اذا حلقته والمعنى ليرمون بك وليقونك
يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله على وجه التوبيخ للكفار ام تسالهم
اى هل تسالهم اجرا يعني ثوابا وجزاء على دعائك اياهم الى الله وتخويفك اياهم
من المعاصي وامرك اياهم بطاعة الله فهم من مغرم اى هم من لزوم ذلك مثقلون
اى محملون فالاجر القسط من الخير الذي استحقه واصله اللزوم بالالحاح ومنه قوله

يستحق العلو والمعز ما لم ... من الدين ...

الله تعالى علينا ويؤتينا خيرا من الجنة التي هلكت انا الى ربنا راغبون اى نرغب اليه
ونسأله ونتوب اليه مما فعلناه فالتبديل تبييت شي مكان شي غيره مما يأتيه بدلا له تبديلا
فهو مبدل ومثله التغيير الا ان التبديل لا يكون الا في شيئين والتغيير قد يكون للشي
الواحد وقرئ بالتشديد والتخفيف فالتخفيف من الابدال والتشديد من التبديل ومعناهما
واحد وقوله كذلك العذاب معناه مثل ما ضربناها وهذا العذاب عاجلا في
دار الدنيا ثم قال ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ان هناك عقابا وعذابا
وخيرا من كذا اى اعظم نفعا منه واحسن في العقل ومثله الاصلح والاولى والاجل والاكبر
هو الذي يصغر مقدار غيره عنه بالاضافة اليه وقد يكون اكبر شانا واكثر شخصا ٥
قوله تبارك وتعالى إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ
كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ
لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ
أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ٥ سبع آيات لما اخبر الله تعالى ما حل بالكفار وما هو معد
لهم في الآخرة اخبر بما للمؤمنين من اهل الطاعات فقال ان المتقين يعني للذين اتقوا عقاب
الله باتقاء معاصيه وفعل طاعاته جنات النعيم اى بساتين يتنعمون فيها ويتلذذون
بها ثم قال على وجه الانكار على الكفار وانه لا يسوى بينهم وبين المؤمنين
فقال افنجعل المسلمين الذين اسلموا لله وانقادوا لطاعته وامتثلوا ما امرهم به كالمجرمين
اى مثل المجرمين اى مثل من عصاه وخرج عن طاعته وارتكب ما نهاه عنه هذا لا يكون ابدا
وقوله ما لكم كيف تحكمون تهجين لهم وتوبيخ ومعناه اعلى حال الصواب ام على حال
الخطأ وعلى حال الرشاد ام الغي فعلى اى حال تحكمون في الاحوال التي تدعوا الى الفساد
الى حال الباطل ام حال الحق وقوله ام لكم كتاب فيه تدرسون معناه الكم كتاب
تدرسون فيه خلاف ما قد قامت عليكم الحجة به فانتم متمسكون به ولا تلتفتون

بالشيخ

الى خلافه وهي الامر على ذلك فاذا قد عدمتم الثقة بما انتم عليه وفي هذا عليكم اكبر الحجة واوكد
الموعظة لان الكتاب الذي يقوم به الحجة حق لا يجوز خلافه الى ان يقوم الساعة هو الذي
يشهد له المعجزة من غير اجازة نسخ له في حال ثانية وهو القرآن الذي فيه معنى الاعجاز
من غير نسخ له فيما بعد في باقي الزمان وقوله ان لكم فيه لما تخيرون يحتمل امرين
احدهما ان يكون تقديره ام لكم كتاب فيه تدرسون بان لكم ما تخيرون الا انه
حذفت الباء وكسرت ان لدخول اللام في الخبر الثاني ان يكون ذلك خرج مخرج التوبيخ
والتقريع ان لكم لما تخيرون وعنده الحكم والامر بخلافه فكم لانه لا يجوز ان يكون
ذلك خبرا مطلقا وقوله ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون
وكسرت ان لدخول اللام في الخبر والحكم خبر بمعنى يفصل الامر على جهة القهر والمنع
واصله المنع من قول الشاعر ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم
ان اغضبا اى امنعوهم ومنه الحكمة لانها معرفة تمنع الفساد بصير بها [illegible]
والحكمة في الفعل المنعة من الفساد منه ومنه حكمة الدابة لمنعها اياها من الفساد وقوله
سلهم ايهم بذلك زعيم قال ابن عباس وقتادة زعيم اى كفيل والزعيم والكفيل والضمين
والقبيل نظائر والمعنى سلهم ايهم زعيم ضامن يدعي علينا ان لهم علينا ايمانا بالغة
فلا يمكنهم ادعاء ذلك قوله تبارك وتعالى أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا
بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ فَذَرْنِي
وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ
إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ٥ خمس آيات ٥ قوله ام لهم شركاء توبيخ لهم وتقريع
وانكار عليهم اتخاذ الالهة مع الله وتوجيه عبادتهم اليها فقال الهم شركاء في العبادة
مع الله فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين اى شركائهم الذين تقوم بهم الحجة فلا سبيل

ان عذابها كان غراما لازما ملحّا قال الشاعر، يوم النسار ويوم الجفار كانا
عذابا وكانا غراما وقولهم دفع مغرم اى دفع للاقتضاء بالالحاح والغرم ما يلزم بالا قضاء
على وجه الالحاح فقط والثقل الحمل الثقيل وهو ما فيه مشقة على النفس كالثقل بالحمل
الثقيل على الظهر يقال هو مثقل بالدين ومثقل بالعيال ومثقل بما عليه من الحقوق
اللازمة والامور الواجبة ام عندهم الغيب فهم يكتبون معناه ام هل عندهم علم اختصوا
به لا يعلمه غيرهم فهم يكتبونه ويتوارثونه حجة فيما يدعونه فينبغي ان يبرزوه
ثم قال للنبي عليه السلم فاصبر لحكم ربك الذي حكم عليك بالصبر وامهلهم الى
وقت اجالهم ولا تكن كصاحب الحوت يعني ولا تكن في استعجال عقابهم مثل يونس
حين طلب من الله تعجيل عقاب قومه واهلاكهم ولا تخرج من بين ظهرانى قومك كما خرج
قبل ان ياذن الله لك في ذلك كما فعل يونس اذ نادى وهو مكظوم قال
ابن عباس ومجاهد معناه مغموم كان الغم قد حبسه عن الانبساط في امره والمكظوم
المحبوس عن التصرف في الامور منه كظمت راس القربة اذا شددت راسها وكظم
غيظه اذا حبسه بقطعه عما يدعو اليه وقال قتادة لا تكن مثله في العجلة
والمغاضبة حتى نادى يونس وهو مملوء مقطع عن شفاء غيظه والذي نادى
به لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فجعله الله من الصالحين باجتبائه
لعباده من صلاحه وبجوزيا لطف له حتى صلح في كل ما امره الله به وفي الكلام
حذف وتقديره ولا تكن كصاحب الحوت في استعجاله الخروج من بين قومه انتظارا
لنزول العذاب بهم فلما دفع الله عنهم العذاب مضى على وجهه فعاقبه على ذلك وحبسه
في بطن الحوت فلجا الى الله تعالى وقوله اذ نادى متعلق بمقدر اذكر يا محمد
حاله اذ نادى ولا يجوز ان يكون متعلقا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت حين
نادى لان الله لا ينهى نبيه ان يقول مثل ما قال يونس من الدعاء وقوله

لولا ان

لولا ان تداركه نعمة من ربه معناه لولا ان الله رحم يونس ولحقته نعمة من جهته لنبذ بالعراء
اى لطرح بالصحراء الواسعة وهو مذموم قالوا العراء هي الارض الخالية من النبات والابنية
وكل حال ساترة وقال الفراء العراء الارض الفضاء العارى قال الشاعر وفهو
يحوله ورفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي وقوله
وهو مذموم قال ابن عباس هو مليم اى اتى ما يلام عليه ولكن الله تعالى تداركه
برحمة منه فطرح بالعراء وهو غير مذموم وقوله فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
معناه اختاره الله بنبوته فجعله من جملة الصالحين المطيعين لله التاركين لمعاصيه وقوله
وان يكاد الذين كفروا قال النحويون ان هذه المخففة من الثقيلة لانها لو كانت
للشرط لجزم بكاد وتقديره وانه يكاد الذين كفروا اى قارب الذين كفروا ان يزلقونك
بابصارهم اى يرمونك حين نظرهم غيظا عليك قال الشاعر، يتلاحظون
اذا التقوا في محفل نظرا يزيل مواقع الاقدام ويكاد يصرعهم بحدة نظره وقيل كانت
الرجل اذا اراد ان يصيب صاحبه بالعين يجوع ثلثة ايام ثم نظره فيصرعه بذلك
والمفسرون كلهم على ان المراد بازلاقهم له بابصارهم من الاصابة بالعين وقال
الجبائي منكرا لذلك ان هذا ليس بصحيح لان هذا من نظر العداوة وذلك عندهم
من نظر المحبة على ان اصابة العين ليس بصحيح قال الرماني وهذا الذي ذكره ليس
بصحيح لانه لا يمتنع ان يكون الله تعالى اجرى العادة بصحة ذلك لضرب من المصلحة
فلا وجه للامتناع من ذلك وعليه اجماع المفسرين وهو المعروف بين العقلاء من المسلمين
وغيرهم فينبغي ان يكون مجوزا وروى ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان
بني جعفر يصيبهم العين فاسترقى لهم قال نعم فلو كان شيء سابق القدر سبقته
العين وقيل انهم كانوا يقولون ما اظهر حجته وما افصح كلامه وما ابلغ خطابه يريدون
بذلك ان يعينوه به قال البلخي المعنى انهم كانوا ينظرون اليه نظر عداوة وبغض

ونظر من بحضرته كما قال القايل يكاد يصرعني بشدة نظره قال الشاعر
يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزيل مواضع الاقدام اى ينظر بعضهم
الى بعض نظرا شديدا بالبغضاء والعداوة ونظرا يزيل الاقدام عن مواضعها اى يكاد
يزيل وقوله لما سمعوا الذكر يعني القران ويقولون مع ذلك انه لمجنون فيغلب
على عقله فالوا ذلك فيه مع علمهم بوفارة عقله تكذيبا عليه ومعاندة له فقال
الله تعالى ردا عليهم وما هو الا اى ليس هذا القران الا ذكر اى شرف للعالمين
الى ان تقوم الساعة **سورة الحاقة** مكية في قول
ابن عباس والضحاك وغيرهما وهي اثنتان وخمسون آية في الكوفي والمدنيين واحدى
وخمسون في البصري **قوله تبارك وتعالى**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما
ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية
سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى
كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون ومن قبله
والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية
عشر آيات وقرا اهل البصرة والكسائي ومن قبله بكسر القاف الباقون
بفتحها قال ابن عباس وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم ان الحاقة
اسم من اسماء القيامة وسميت بذلك لانها الساعة التي يحق فيها الجزاء على
الاعمال الضلال والهدى وقال الفراء تقول العرب الحقة مني هرب والحقة
والحاقة كل ذلك بمعنى واحد والعامل في الحاقة احد شيئين احدهما الابتداء
والخبر ما الحاقة كانه قال الحاقة اى شيء هي الثاني ان يكون خبر ابتداء محذوف

كانه قيل هذه الحاقة ثم قيل اى شيء الحاقة تفخيما لشانها وتعظيما لها هذه سورة
الحاقة وقوله وما ادراك ما الحاقة قال سفيان يقال للمعلوم ما ادراك
ولما ليس بمعلوم وما يدريك في جميع القران وانما قال له يعلمها ما ادراك
لانه انما يعلمها بالصفة فعلى ذلك قال تفخيما لشانها اى كانك لست تعلمها اذ لم
تعاينها وترى ما فيها من الاهوال وقوله ثمود وعاد بالقارعة اخبار من الله
تعالى ان ثمود وهم قوم صالح وعاد وهم قوم هود كذبوا بيوم القيامة فانكروا
البعث والنشور والثواب والعقاب قال ابن عباس وقتادة القارعة اسم
من اسماء القيامة وسميت القارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة الى ان يصير
المومنون الى الامن وانما حسن ان يوضع القارعة موضع الكناية لتذكر بهذه الصفة
الهايلة بعد ذكرها باسمها الحاقة والا كان يكفي ان يقول كذبت ثمود وعاد بها وقوله
الحاقة والطامة والصاخة اسماء يوم القيامة والوقف على الحاقة حسن واتم منه ما الحاقة
وما ادراك ما كل ما في القران بلفظ الماضي فقد ادراه صلى الله عليه وآله وما كان بلفظ يدريك
فلم يعلمه بعد يقال دريت الشيء دراية اى علمته ودريت الصيد اى ختلته وداريته
داهنته ثم اخبر تعالى عن كيفية اهلاكهم فقال فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية
فالطاغية مصدر مثل العاقبة والمعنى فاهلكوا بطغيانهم في قول ابي عبيدة وقيل
معناه اهلكوا بالخصلة المتجاوزة لحال غيرها في الشدة اهلك الله بها اهل الفساد
وقد مضى فيما تقدم ان الله اهلك ثمود بالصيحة العظيمة التي اصبحوا بها جاثمين اى
ميتين هالكين قال الزجاج تقديره فاهلكوا بالرجفة الطاغية ثم اخبر
تعالى عن كيفية هلاك عاد فقال واما عاد فاهلكوا بريح صرصر فالريح عبارة
عن الهواء اذا كانت فيها حركة باعتماد ظاهر فاذا سكن لا يسمى ريحا واشتقاقه من راح
يروح روحا اذا رجع الى منزله والصرصر الريح الشديدة الصوت بما يسمع لها من الصرير

ان نجاة من فيها وتغريق من سواهم يقتضي انه مدبر مختار وفي امره يجري بخلاف العادة فليس
انه من فعل الطبيعة ثم بين تعالى الغرض بما فعله فقال لنجعلها يعني السفينة لكم تذكرة
تتذكرون بها ما فعله وقال لنجعلها يعني السفينة لكم تذكرة تتذكرون بها نعم
الله وتشكرونه عليها وتتفكرون فيها وتعيها اذن واعية اى تحفظها اذن حافظة
يقال وعيت العلم واوعيت المتاع في الوعاء وقال مني قلبه العلم يعيه وعيا وقال
الشاعر اذا لم تكن واعيا حافظا فجمعك للكتب لا ينفع فمعنى واعية ممسكة لما
ما تحصل فيها وقال ابن عباس حافظة وقيل قابلة سامعة وقيل انه لما نزلت
هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وآله اللهم اجعلها اذن علي رواه الطبري باسناده عن مكحول
ثم قال علي فما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا فنسيته وروى ابو الوالي
عن ابن كثير وتعيها بسكون العين جعله مثل فخذ وكبد الباقون بكسرها لانه مضارع
وعى يعي واصله يوعي فحذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ومعنى الاية حفظها لكل
اذن لتكون عظة لمن ياتي بعدهم روى الطبري باسناده عن عكرمة عن بريدة انه
قال عليه السلام اللهم اجعلها اذن علي ثم قال قال علي فما سمعت من رسول
الله شيئا فنسيته وروى باسناده عن بريدة قال سمعت رسول الله يقول
لعلي يا علي ان الله امرني ان ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك فاذا نفخ في الصور نفخة
واحدة فهي النفخة الاولى التي تصعق لها من في السماوات ومن في الارض وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة قال ابن زيد ضرب بعضها على بعض حتى صارتا
غبارا وقيل معناه بسطتا بسطة واحدة ومنه الدكان ويقال اندك سنام
البعير اذا افترش في ظهره وقيل المعنى حملت الارض والجبال فدك بعضها على
بعض حتى تندك وانما قيل فدكتا لانه جعل الجبال جملة والارض جملة ومثلها
السماوات والارض كانتا رتقا لان السماوات جملة واحدة ثم قال فيومئذ اى يوم ذلك

وان تعى وحق على الله ان تعى
قال نزلت الاية وقوله تعالى
صح

السماوات والارض وتبع النفخة الواحدة تقع الواقعة يعني القيامة وسميت واقعة لشدة وقعتها
بما لم يعهد مثل تلك الشدة ثم قال وانشقت السماء اى انفرج بعضها من بعض
يقال انشق الشيء ينشق انشقاقا وتشقق تشققا اذا تفطر واشتق منه كذا اشتقاقا
ومنه اشتقاق الصفة من المصدر لان معناه وحروفه فيها دون صورته فهي مأخوذة
منه على هذا الوجه فهي يومئذ واهية اى شديدة الضعف بانتقاض بنيتها والمنظر
اهول من رؤية السماء في هذه الحالة يقال وهى الشيء يهي وهيا فهو واه اى لا يتماسك
لضعفه ينقض بنيته وقيل هو تغير السماء بعد صلابتها بمنزلة الصوف في الوهي
والضعف وقيل السماء مكان الملائكة فاذا وهت صارت في نواحيها وقوله والملك
على ارجائها فالارجاء النواحي واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان بالواو والرجا
جانب البئر قال الشاعر فلا يرمى بي الرجوان اني اقل القوم من يغني
مكاني وهو من رجوت لان جانب يرجى فيه السلامة مع خوف السقوط والملائكة ذلك
اليوم على جوانب السماء تنتظر ما تؤمر به في اهل النار من السوق اليها وفي اهل الجنة من
التحية والتكرمة فيها وقوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يعني
فوق الخلائق يومئذ يعني يوم القيامة ثمانية من الملائكة وقيل على ارجائها الا
الناس اذا راوهم ينزلون من وراءهم تقدم الملائكة في قول الضحاك وقال
الحسن وقتادة وسفيان على ارجائها يعني نواحيها وقال ابن عباس يحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله وروي في خبر مرفوع
عن النبي صلى الله عليه وآله انه يحمل العرش ثمانية املاك وهو قول ابن زيد والمعنى في حمل
العرش بثمانية املاك الاخبار بانه عظيم يحتاج ان يحمله من كل زاوية ملكان لا يفي به
لعظمه اقل من ذلك وبهذا يتصور عظمه في نفسه وقوله يومئذ تعرضون يعني
يوم القيامة تعرضون نسقا شر المكلفين لا يخفى منكم خافية وروي في خبر مرفوع

في شدة تحركها فقال صر وصرصر كانه مضاعف منه فالصرصر الشديد الصوت المجاوزة
حدها المعروف وقال قتادة صرصر باردة فكأنه يحطم الانسان بما يسمع من صوتها الشديد
بردها وقال صرصر وصلصل اذا تكرر الصوت وهو مضاعف صر وصل في قول
الزجاج وقوله عاتية قيل عتت تلك الرياح على خزانها في شدة الهبوب والعاتي
الخارج الى غلظ الامر الذي دعوا اليه قساوة القلب فقال عتا يعتو عتوا فهي عاتية والريح
عاتية تشبيها بحال العاتي في الشدة وقوله سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام اخبار
منه تعالى انه اهلكهم بهذه الريح في مدة سبع ليال وثمانية ايام لما في ذلك من الانزجار
والتخويف وما يتعلق به من المصلحة لغيرهم في التكليف وقوله حسوما اي قاطعة
قطع عذاب الاستيصال واصله القطع حسم يحسم اذا قطعه حسم يحسم حسما اذا
قطع والحسم الشر اذا انقطع قال عبد الله بن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة معنى
حسوما تباعا متوالية متتابعة كأنه من حسم الداء بمتابعة الكي عليه فكأنه تتابع الشر عليهم
حتى استأصلهم وقيل حسوما قطوعا لم يبق احدا ونصب حسوما على المصدر اي يحسمهم حسما
ثم قال فترى القوم فيها اي تشاهد القوم الهلكى في تلك الايام والليالي صرعى
مطرحين كأنهم اعجاز نخل خاوية اي كأنهم اصول نخل نخرة في قول قتادة قال السدي
الخاوي الفارغ وقوله فهل ترى لهم من باقية اي من نفس باقية وقيل معناه فهل
ترى لهم من بقاء فالباقية بمعنى المصدر مثل العافية والطاغية ومعناه فهل ترى لهم
من بقية وقوله وجاء فرعون ومن قبله اي جاء فرعون ومن معه من قومه على قراءة من
قرأ قبله بكسر القاف وفتح الباء ومن قرأ بفتح القاف وسكون الباء اراد والذين قبله
من الكفار والمؤتفكات يعني وجاء اهل القرى المؤتفكات اي المنقلبات باهلها
في قول قتادة وهي قرى قوم لوط بالخاطئة اي بالافعال الخاطئة او النفس الخاطئة
وقيل بالخاطئة اي الخطآت الحق الى الباطل والفساد فاخذهم الله على كفرهم وعصيانهم

اخذة

اخذة رابية اي نامية في الشدة من ربا يربو اذا زاد وقرأ ابو عمرو والكسائي وابو بكر عن
عاصم ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء الباقون بفتح القاف وسكون الباء وحجة ابي
عمرو ان في قراءة ابي جاء فرعون ومن معه وقرأ ابو موسى ومن تلقاءه واراد الباقون انه
جاء فرعون ومن قبل فرعون من الكفار قوله تبارك وتعالى
انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية
فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة
فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية
ثمان آيات لا يخفى بالياء كوفي لان تأنيث خافية ليس بحقيقي وقد فصل بينها
وبين الفعل فاصل الباقون بالتاء على لفظ التأنيث والمعنى لا يخفى عليه منكم
خافية يقول الله تعالى مخبرا عما فعل بقوم نوح وفرعون وقومه على وجه الامتنان
على خلقه بما فعل بقوم نوح وفرعون وموسى عليه السلام بهم من الهلاك الذي فيه زجر لغيرهم
عن الكفر وارتكاب المعاصي انا لما طغى الماء ومعناه لما تجاوز الماء الحد المعروف
في العظم حتى غرقت الارض بمن عليها الا من شاء الله نجاته وذلك في زمن نوح عليه السلام
وغرق فرعون بانطباق البحر عليهم وقال ابن عباس ومجاهد معنى طغى الماء
كثر ومنه غرق الله عز وجل قوم نوح وقال قتادة ارتفع على كل شيء خمسة عشر
ذراعا وقوله حملناكم في الجارية اي حملنا اباكم نوحا ومن كان معه من ولده
المؤمنين في السفينة فالجارية السفينة التي من شأنها ان تجري على الماء ومنه قوله
وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام والجارية المرأة الشابة سميت بذلك لانها يجري
فيها ماء الشباب والحمل اسنان الشيء بالوضع على غيره تقول حمله حملا والحمل بفتح
الحاء ما كان في البطن او النخل وبكسر الحاء ما كان على الظهر ووجه التذكرة من الله

ذكره ابن مسعود وقتادة ان الخلق يعرضون ثلث عرضات ثنتان فيهما معاذير وجدال
والثالث تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وليس يعرض الله الخلق ليعلم
من حالهم ما لم يعلم بل هو عالم بجميع ما كان منهم لانه عالم الغيب لكن ليظهر ذلك لخلقه
قوله تبارك وتعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم
اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في
جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية
ست آيات ؛ قال المفسرون نزلت هذه الآية في ابي سلمة بن عبد الاسد وكان مؤمنا
وكان اخوه الاسود بن عبد الاسد كافرا نزلت فيه الآية التي بعدها فبين الله تعالى
حال المكلفين يوم القيامة فقال اما من اوتي اي اعطي كتابه الذي فيه
اعماله بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا قال ابن زيد يقول المؤمن تعالوا اقرؤا
وهو الذي اوتي كتابه بيمينه يقول للناس من بعد فرحه سرورا بما اوتيه تعالوا
اقرؤا كتابيه لعلمه انه ليس فيه الا الطاعات فلا يستحيون ان ينظر فيها غيرهم
واهل الحجاز يقولون ها يا رجل وللاثنين هاؤما وللجميع هاؤموا وللمراة هاء بكسر
وليس بعدها ياء وللمراتين هاؤما وللجماعة هاؤن يا نسوة وتميم وقيس يقولون
ها يا رجل مثل قول اهل الحجاز وللاثنين هاءا وللثلثة هاؤا وللمراة هائي و
ربما قالوا هاء يا هذه وللثلث هاءن وبعض العرب يجعل مكان الهمزة كافا فيقول
هاك بغير همزة وتوحد بها ولا يثنى وها بمنزلة خذ وتناول ووقف الكسائي
على هاؤم وابتداء اقرؤا كتابيه ويقول ايضا اني ظننت اني ملاق حسابيه
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة معناه اني علمت وانما حسن هنا بما لم يزل العلم
به لكثرة امره بالظن كما يلزم بالعلم مع مقاربة الظن للعلم بالقوة في الغني الآن
العلم معه قوة تشبه الى الثقة الثابتة بسكون النفس والمعنى اني كنت متيقنا

في دار الدنيا

في دار الدنيا باني القى حسابي يوم القيامة واعلم اني اجازى على الطاعة بالثواب
وعلى المعاصي بالعقاب واعمل بما يجب علي من الطاعات واجتناب المعاصي ؛ ثم اخبر
تعالى عن حال من اعطي كتابه بيمينه فقال فهو في عيشة راضية اي في عيشة
مرضية تقول عاش يعيش عيشا وعيشة وهي الحالة التي تستمر بها الحياة وسبيل العيشة
التي يطلب المضرة لها لفايت النفع مليه والراضية معناه مرضية فاعلة بمعنى
المفعولة لانه في معنى ذات رضا كما قيل لابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر قال
النابغة ؛ كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء الكواكب ؛
اي ذو نصب فكانت العيشة اعطيت حتى رضيت لانها بمنزلة الطالبة كما ان الشهوة
بمنزلة الطالبة للشيء وقيل هو كقولهم ليل نايم وسر كاتم وماء دافق على وجه
المبالغة في الصفة من غير التباس في المعنى فصلح هنا انها عيشة راضية ولا يجوز
على هذا القياس زيد ضارب بمعنى مضروب لانه يلتبس به وقوله في جنة عالية
اي بستان اجنة الشجر مرتفعة فالعلو الجهة المقابلة لجهة السفل والعلو والسفل
يتضمن الاضافة فيكون العلو سفلا اذا اضيف الى ما هو فوقه ويكون السفل علوا اذا
الى ما تحته وقوله قطوفها دانية اي اخذ ثمرها قريب فالقطف اخذ الثمرة بسرعة
من موضعها من الشجر وهو قطوف فيها كما انه قال دانية المتناول قطف يقطف قطفا
فهو قاطف وقطف تقطيفا والدنو القرب دنا يدنو دنوا فهو دان وتدانيا تدانيا
واحدهما ادنى البنيان الآخر وقال قتادة معناه قطوفها دانية لا يرد ايديهم
عن ثمرها بعد ولا شوك ؛ ثم حكى تعالى ما يقال لهم فانه يقال لهم كلوا واشربوا
هنيئا بما اسلفتم وصورته صورة الامر والمراد به الاباحة كما قال واذا حللتم فاصطادوا
وقال قوم انه امر على الحقيقة لان الله يريد من اهل الجنة الاكل والشرب
لما لهم في ذلك من زيادة السرور اذا علموا ذلك وانما لا يريد في الدنيا لانه عبث

لا تأثيم فيه وقوله هنيئاً معناه مريئاً ليس فيه ما يؤذي فليس يحتاج فيه الى اخراج
فضل بغائط ولا بول وقوله بما اسلفتم اي جزاء على ما عملتموه من الطاعة في الايام
الماضية في دار التكليف قوله تبارك وتعالى وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا
كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ
صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ
إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ثلث عشرة آية لما حكى الله تعالى
قصة اهل الجنة وشرح احوالهم حكى هاهنا قصة اهل النار وشرح احوالهم
فقال واما من اوتي كتابه يعني من اعطي كتابه الذي فيه اعماله مثبتة بشماله
وانما يعطي الله هؤلاء كتابهم بشمالهم لانه جعل ذلك امارة للملائكة والخلايق
على ان صاحبه من اهل النار ومن اعطي كتابه في شماله يقول عند ذلك متمنيا متحسرا
على ما فرط يا ليتني لم اوت كتابيه اي ليتني لم اعط هذا الكتاب والتمني هو قول
القائل لما كان ليت لم يكن ولما لم يكن ليت كان وهو من صفات الكلام وقال
قوم هو معنى في النفس فهؤلاء الذين يعطون كتابهم بشمالهم يتمنون انهم لم يعطوا
كتابهم اصلا ولم يعلموا حالهم وما عليهم لان اعمالهم كلها معاصي وهم يستحقون
العقاب لا غير فلذلك يتمنون انهم لم يعرفوا حسابهم والحساب اخراج الكثير
مما تضمن معنى العدة وهو عقد الزيادة والنقصان ذم اهل الكفر معناه التحسر
والتندم وان خرج مخرج التمني ثم حكى تعالى انهم لعظم ما شاهدوا من العقاب
والاهوال يتمنون ويتحسرون ويتمنون ان لو كانت القاضية بالذي ما هم فيه قال
الفراء معناه ليت الموتة الاولى التي متنا لم نحي بعدها والقاضية الفاصلة بالاماتة

يقال قضي فلان اذا مات واصله فصل الامر ومنه قضية الحاكم وجمعها قضايا
ومنه قضاء الله وهو الاخبار بانه يكون على القطع والهاء في يا ليتها كناية عن الحالة
التي هم فيها وقيل كناية عن الموتة قال قتادة يعني الموت ولم يكن عنده في الدنيا
شيء اكره منه ثم حكى انه يقول ما اغنى عني ماليه ومعناه ما كان في صرفي
الكثر ووعي ولا صرف عني شيئا من عقاب الله تعالى يقال اغنى يغني غنى واغناه
قال ابن زيد معناه ما نفعني ملكي الذي كان لي في الدنيا وقوله هلك
عني سلطانيه قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هلك عني حجتي قال الحسن
فجعل الله لكل انسان سلطانا على نفسه ودينه وعيشه وقال قوم هلك
عني تسلطي وامري ونهيي في دار الدنيا على ما كنت مسلطا عليه لا امر لي ولا نهي والهلاك
ذهاب الشيء بحيث لا يقع عليه احساس هلك يهلك هلاكا فهو هالك قال الزجاج
والوجه ان يوقف على هذه الهاءات ولا يوصل لانها ادخلت للوقف وقد حذفها
قوم وفي ذلك خلاف المصحف فلا احب حذفها قال ولا احب ان اصل لان
الهاءات هذه رؤوس الآي فالوجه الوقف عندها وكذلك قوله وما ادراك
ما هيه وقد وصل بالهاءات الكسائي الباقون باظهار في الحالين ثم حكى
ما يقول الله تعالى للملائكة ويامرهم به فانه يقول لهم خذوه يعني الكافر الذي
اعطي كتابه بشماله فغلوه اي اوثقوه بالغل وهو ان يشد احدى يديه او رجليه الى
عنقه بجامعة ثم الجحيم صلوه فالجحيم هي النار العظيمة لان النار قد تكون صغيرة
كنار السراج ونار القدح وقد تكون قوية كنار الحريق فلا يقال لنار السراج جحيم وهو
اسم علم على نار جهنم التي اعدها الله للكفار والعصاة والتصلية الزام النار ومنه
الاصطلاء وهو القعود عند النار للدفاء واصله اللزوم الامر فمنه المصلي الذي
يلزم في اثر السابق ومنه قول الشاعر وصلى على دنها وارتسم اي لزم الدعاء

كلامهم وانما كان حكاية كلام الله قيل هو كلام الله على الحقيقة في العرف وقوله انه
لقول رسول كريم جواب القسم وقال الحسن فالرسول الكريم جبرئيل صلى الله عليه
وآله الذي اتى بهذا القرآن وقال غيره هو جبرئيل عليه السلام والاول اظهر والكريم الخليق
بالخير الواسع من قبله يقال كرم يكرم كرما فهو كريم وضده لؤم يلؤم لوما فهو لئيم
ولما اقسم تعالى ان هذا القرآن هو قول رسول كريم نفى بعده ان يكون قول
شاعر فالشاعر هو المبدي بانشاء المعنى الشعري ولا يكون حاكي الشعر شاعرا كما لا يكون حاكي
الكلام متكلما لمن حكى شعرا انشاه غيره وانما نزه الله تعالى نبيه عن الشعر ومنعه منه
لان الغالب من حال الشعراء يدعوا اليه الهوى والرسول ياتي بالحكم التي يدعوا اليها
العقل للحاجة الى العمل عليها والاهتداء بها مع انه بين ان القرآن صنف من الكلام
خارج من الانواع المعتادة وذلك ادل على اعجازه لبعده عما جرت به العادة في تاليف
الكلام قال قتادة طهر الله نبيه من الشعر والكهانة وعصمه منهما وقوله قليلا
ما تؤمنون معناه قليلا ما تذكرون وقال قوم ما صلة وتقديره قليلا تؤمنون
بما ذكرناه اي لستم تؤمنون به وقوله ولا بقول كاهن فالكاهن هو الذي
يجيء في كلامه على ضرب من التكلف لتشاكل المقاطع وهو ضد ما يجيء به الحكمة في الكلام
لانها ينبغي ان يتبع اللفظ المعنى لانه انما يحتاج الى الكلام للبيان به عن المعنى وانما الغلو
في الفواصل التي يتبع اللفظ فيها المعنى فتشاكل المقاطع على ثلاثة اضرب في اصل بلاغة
وسجع وكهانة وقوافي تتبع الزنة والكاهن الذي يزعم ان له خدمة من الجن تاتيه بضرب
من الوحي وقوله قليلا ما تذكرون اي تتفكرون قليلا فيما ذكرناه فلذلك لا تعرفون
صحة ما قلناه ولو انعمتم النظر لعلمتم صحته ثم قال تنزيل اي هو تنزيل نزله الله رب
العالمين على رسوله وقوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل اخبار من الله تعالى على
وجه القسم ان هذا الرسول الذي حكى بان القرآن نزل عليه من عند الله هو محمد عليه السلام

معهود زنر قليلا ما ذكرناه اياكم ولو وكذلك قوله م

لو تقول علينا بعض كلامه ومعناه لو كذب علينا في بعض ما لم يوح به فالتقول
تكلف القول من غير تحقيق الى حق فالتقول والاختلاق بمعنى واحد وقوله
لاخذنا منه باليمين جواب القسم ومعناه لاخذناه بيمينه لاخذناه بالقوة اي هي اليمين على انه
وجه الحكاية قال الحسن معناه لقطعنا يده اليمنى وقال الثاني يعني لاخذنا منه بالقوة كما قال
الشاعر اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين وقوله ثم لقطعنا منه الوتين
قال ابن عباس وسعيد بن جبير الوتين نياط القلب وقال مجاهد وقتادة والضحاك
هو عرق في القلب متصل بالنفس اذا انقطع مات الانسان قال الشماخ بن ضرار التغلبي
اذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين وقوله فما منكم من احد عنه
حاجزين معناه ليس احد يقدر يمنع غيره من عقاب الله بان يكون حائلا بينه وبينه فالحاجز
هو الحائل بين الشيئين وانما قال حاجزين بلفظ الجمع لان احدا يراد به الجمع وان كان
بصيغة الواحد ثم قال وانه لتذكرة للمتقين اقسم الله تعالى ان هذا القرآن
تذكرة وعظة للمتقين وهو قول قتادة وانما اضافه الى المتقين لانهم المنتفعون
به فالتذكرة العلامة التي يذكر بها المعنى ذكره يذكره تذكرة فهو مذكر كقولك جربه تجربة
وجزاه تجزية فالمتقي يتذكر بالقرآن بان يعمل عليه في امر دينه في اعتقاد او عمل به
فيبين الجائز مما لا يجوز والواجب مما ليس بواجب والصحيح مما لا يصح وقوله
وانا لنعلم ان منكم مكذبين عطف على جواب القسم ومعناه الوعيد من التكذيب
بالحق وانه ينبغي ان يتذكر ان الله تعالى يعلمه ويجازي عليه وقوله وانه لحسرة على الكافرين
يوم القيامة حيث لم يعملوا به في الدنيا فالحسرة الغم من اجل ما انحسر وقته كيف
فات العمل الذي كان ينبغي فيه ان يعمل فحسر السرور عن النفس الى الغم باعتباره وقد
قيل ان التكذيب يحسر على الكافرين ثم اقسم تعالى بان القرآن الذي انزله
والاخبار بما فيه وذكر لحق اليقين معناه اليقين حق اليقين وانما اضافه الى

وجه الاول كما يقول السلطان خذ يا غلام بيده على ...

معناه ان هذا القرآن حسرة على الكافرين م

لها وقوله عز وجل في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فيها فالسلسلة حلق منتظمة كل واحدة منها في الاخرى ومنه يقال سلسل كلامه اذا جعله اذا عقد شيا بعد شي وتسلسل اذا استمر شيا قبل شي على الولاء والانتظام والذرع اخذ قدر الذراع مرة بعد اخرى اكثر ذرع الرجل الثوب يذرعه ذرعا فهو ذارع والثوب مذروع ماخوذ من الذراع وهو العضو الذي يكون في طرف الكف من الانسان وقيل اسلكوه في السلسلة لا يدخل عنقه فيها ثم يجر بها وقال الضحاك انها تدخل في فيه وتخرج من دبره وقيل المعنى ثم اسلك السلسلة فيه فقلب كما يقال ادخلت القلنسوة في راسي وانما ادخل راسه فيها وكما قال الاعشى ❊ اذا ما السراب ارتدى بالاكم ❊ وانما يريد الاكم بالسراب ولكنه قلب فهو يجري مجرى التقديم والتاخير اتساعا في اللغة من غير اخلال بالمعنى ويقولون ايضا ادخلت الخاتم في يدي والخف في رجلي وانما تدخل اليد والرجل في الخاتم والخف يقلب ثم بين تعالى لم فعل به ذلك وعلى اي شي استحقه فقال انه كان لا يومن بالله اي لم يكن يوحد الله في دار التكليف ولم يصدق به العظيم في صفاته التي لا يشاركه فيها غيره ولا يحض على طعام المسكين اي لا يحث على ذلك مما يجب عليه من الزكوة والكفارات والنذور ثم قال تعالى فليس له اليوم ها هنا حميم وهو القريب الذي يحمى لغضب صاحبه ولا له طعام الا من غسلين يعني من صديد اهل النار وما يجري منهم فالطعام هو ما هيى للاكل ولذلك لا يسمى التراب طعاما لاكثر الحيوان فلما هيى الصديد لاكل اهل النار كان ذلك طعاما لهم والغسلين هو الصديد الذي ينغسل وقال ابن عباس هو صديد اهل النار وقيل اهل النار طبقات منهم من طعامه الغسلين ومنهم في موضع آخر ليس لهم طعام الا من ضريع وقال قطرب يجوز ان يكون الضريع هو الغسلين فعبر عنه بعبارتين وقال قوم يجوز ان يكون المراد ليس لهم طعام

للانسان والحشر طعام الاكر وليس من طعام صح

يسيل عنهم من ابدان اهل النار وزنه فعلين من الغسل صح

الا من ضريع ولا شراب الا من غسلين فسماه طعاما كما قال الشاعر ❊ علفتها تبنا وماء باردا ❊ ثم قال تعالى الا بالخطاء اي لا ياكل هذا الغسلين الا الخاطئون وهم الجائرون عن طريق الحق عامدين والفرق بين الخاطي والمخطي ان المخطي قد يكون من غير تعمد لما وقع به من ترك اصابة المطلوب وخطي يخطي خطأ فهو خاطي قال امرؤ القيس يالهف هند اذ خطين كاهلا ❊ القاتلين الملك الحلاحلا فهو لا الكفار قد جاروا عن طريق الحق وضلوا عن الصراط المستقيم وبعدوا الضلال في الدين قوله تبارك وتعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم ❊ اثنا عشرة آية ❊ قليلا ما يومنون ويذكرون بالياء فيهما مكي شامي ويعقوب وسهل على الخبر الباقون بالتاء على الخطاب لهما اي قل لهم قيل في قوله فلا اقسم ثلثة اقوال احدها قال الفراء انه رد لكلام قايل فكانه قال ليس الامر على ما يقال اقسم انه لقول رسول كريم وقال قوم لا صلة موكدة وتقديره فاقسم الثالث قال قوم انها نفي للقسم ومعناه لا يحتاج الى القسم لوضوح الحق في انه لقول رسول كريم وفي هذا الوجه يقع جوابه كجواب غيره من القسم وقيل هو كقول القايل لا والله لا افعل ذلك ولا والله لافعلن ذلك وقال قتادة اقسم تعالى بالاشياء كلها ما يرى وما لا يرى وقال الجبائي انما اراد انه لا يقسم بالاشياء المخلوقات ما يرى وما لا يرى وانما يقسم بربها لان القسم قال الجبائي هو قول الله على الحقيقة وانما الملك وجبريل والرسول يحكونه ذلك وانما اسنده اليهم من حيث ان ما يسمع منهم

لا يجوز الا بالله وقوله انه لقول رسول كريم جواب للقسم صح

نفسه والحق هو اليقين كما قيل مسجد الجامع ودار الآخرة وبارحة الأولى ويوم الخميس
وما أشبه ذلك فيضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه كما اختلف الحق واليقين
والحق هو الشيء المعتقد على ما اعتقده واليقين هو الذي لا شبهة فيه ثم قال
لنبيه فسبح أي فصل والمراد به جميع المكلفين ومعناه نزه الله تعالى باسم ربك العظيم
ومعناه نزهه عما لا يجوز عليه من صفات خلقه والعظيم هو الجليل الذي يصغر شأن
غيره في شأنه بالإضافة من أوصافه وروي أنه لما نزلت هذه الآية قال النبي
صلى الله عليه وآله اجعلوها في ركوعكم

سورة سأل سائل

مكية في قول ابن عباس والضحاك وغيرهما وهي أربع وأربعون آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم
سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة
والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا
إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال
كالعهن ولا يسأل حميم حميما، عشر آيات قرأ أهل المدينة وأهل الشام سال
بغير همز وهو يحتمل أمرين أحدهما أن يكون من السيل تقول سال يسيل سيلا فهو سائل
وسائل واد في جهنم كما قال أعوذ برب الفلق والفلق جب في جهنم فاجمعوا على
همز سائل لأنه وإن كان من سال بغير همز فالياء تبدل لها همزة إذا وقعت بعد الألف
مثل البائع والسائر من باع وسار والثاني بمعنى سأل بالهمزة إلا أنها لغة يقولون
سلت أسال وهما يتساولان، قال الشاعر: سالت هذيل رسول الله فاحشة
ضلت هذيل بما سالت ولم تصب، هي لغة أخرى وليست مخففة من الهمزة الباقون
بالهمز من السؤال الذي هو الطلب وقرأ الكسائي وحده يعرج بالياء لأن تأنيث الملائكة

ليس بحقيقي الباقون بالتاء لأن لفظه لفظ التأنيث وقرأ البزي عن ابن كثير ولا يسأل
حميم على ما لم يسم فاعله والمعنى لا يسأل حميم عن حميمه ثم حذف الجار ونصب حميما
الباقون بفتح الياء أسند السؤال إلى الحميم، حكى الله تعالى أن سائلا سأل بعذاب
واقع قال الفراء الذي سأل بالعذاب هو النضر بن كلدة أسر يوم بدر وقتل صبرا
هو وعقبة بن أبي معيط وقال تقديره سأل سائل بعذاب للكافرين واقع قال
ابن خالويه قال النحويون أن الباء بمعنى عن وتقديره سأل سائل عن عذاب واقع
وأنشد: دع المغمر لا تسأل بمصرعه واسأل بمصقلة البكري ما فعلا أي لا تسأل
عن مصرعه وهذا الذي سأل العذاب الواقع إنما تجاسر عليه لما كذب بالحق توهم أنه ليس
فيه ضرر ولم يعلم أنه لازم له من الله وقال مجاهد سؤاله في قوله اللهم إن كان هذا
هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وقال الحسن سأل المشركون فقالوا
لمن هذا العذاب الذي تذكر يا محمد فجاء جوابه بأنه للكافرين ليس له دافع وقيل نجار جوابهم
معناه دعا داع بعذاب الكافرين وذلك الداعي هو النبي صلى الله عليه وعلى آله واللام
في قوله للكافرين قيل في معناه قولان أحدهما أنها بمعنى على وتقديره سأل سائل
بعذاب واقع على الكافرين ذهب إليه الضحاك والثاني أنها بمعنى عن أي ليس له دافع عن
الكافرين وإنما ذكر وعيد الكافرين هاهنا مع ذكره في غير هذا الموضع لأن فيه معنى
الجواب لمن سأل العذاب الواقع فقيل له ليس لعذاب الكافرين دافع فاحمل على هذا
وتقدم نظيره وتأخر والدافع هو الصارف للشيء عن غيره باعتماد يزيله عنه دفعه عنه
كذا يدفعه دفعا فهو دافع وذاك منه دفع وقوله من الله ذي المعارج يعني مصاعد
الملائكة وقيل معناه ذي الفواضل العالية فيكون وصفا لله تعالى وتقديره من الله
ذي المعالي التي هي الدرجات التي يعطيها أولياءه من الأنبياء والمؤمنين في الجنة لأنه
يعطيهم درجات رفيعة ومنازل شريفة والمعارج مواضع العروج واحدها معرج عرج

الصعود

يعرج عروجا والعروج الصعود مرتبة بعد مرتبة ومنه الاعرج لارتفاع احدى رجليه
عن الاخرى وقال قتادة معنى ذى المعارج ذى الفواضل والنعم لانه تعالى رب
وقال مجاهد هى معارج السماء وقيل هى معالى الدرجات التى يعطيها الله تعالى اولياءه
فى الجنة وقال الحسن معناه ذى المراقى الى السماء والذى اقتضى ذكر المعارج البيان
عن العقاب الذى يجب ان يجازى على خلاف هذا الجاهل الذى سال العذاب الواقع على
من كفر نعمته وقوله تعرج الملائكة معناه تصعد الملائكة والروح اى يصعد الروح
ايضا معهم اليه والمعنى تعرج الملائكة والروح الذى هو جبرئيل الى الموضع الذى يعظم الله
فيه الثواب فى الاخرة فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة لعلو درجاتهم وانما قال اليه
لانه هناك يعظم الثواب كما قال فى قصة ابرهيم انى ذاهب الى ربى اى الى الموضع الذى
امرنى ربى وكذلك الموضع الذى وعدهم الله بالثواب فيه وقيل تعرج الملائكة
والروح اليه فى يوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين الف سنة وذلك من اسفل
الارضين السبع الى فوق السموات السبع ذكره مجاهد وقوله يدبر الامر من السماء الى
الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون هو لما بين السماء الدنيا والارض
فى الصعود والنزول الف سنة خمسمائة صعودا وخمسمائة نزولا ذكره مجاهد
ايضا وقيل المعنى ان يوم القيامة يفعل فيه من الامور ما لو فعل فى الدنيا كان مقداره
خمسين الف سنة وقال قوم ان المعنى انه من شدته وهوله وعظم العذاب فيه على الكافر
كانه خمسون الف سنة كما يقول القايل ما يوما الا شهرا اى فى شدته وعلى هذا
قول امرى القيس الا ايها الليل الطويل الا انجلى بصبح وما الاصباح فيك بامثل
ويؤكد هذا ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه لما نزلت هذه الآية قيل له ما اطول
هذا اليوم فقال رسول الله والذى بعثنى بالحق نبيا انه ليخفف على المؤمن حتى يكون
اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقال الضحاك وقتادة هو يوم القيامة

وقال

وقال الحسن الروح جبرئيل وقال فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وهو القيامة
وقال الزجاج يجوز ان يكون يوما مر من صلة واقع فيكون المعنى سال سائل بعذاب
واقع فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وذلك العذاب يقع يوم القيامة وقال
الحسن تعرج الملائكة باعمال بنى آدم فى الغمام كما قال ويوم تشقق السماء بالغمام
وقال الزجاج سماه يوما لان الملائكة تعرج فى مقدار يوم واحد ثم امر نبيه
عليه السلم بان يصبر صبرا جميلا اى لا تشكو فيه على ما تقاسيه من اذى قومه
فى تكذيبهم اياه فيما اخبر به من امر الاخرة بعيدا وتحله قريبا قال الزجاج ذلك
قبل ان يؤمر بالقتال وقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا اخبار من الله تعالى انه
يعلم مجى يوم القيامة وحلول العقاب بالكفار قريبا ويراه اى يظنه الكفار بعيدا
لانهم لا يعتقدون صحته وكل ما هو آت قريب وهذا اولى وجها الانكار عليهم استبعادهم
يوم الجزاء وتوهمهم انه بعيد وبين انه تعالى يراه قريبا بما يعلمه من حصوله وانما جاز
ان يقال فى توهمهم يرونه لانهم يتوهمونه وهم عند انفسهم يرونه فجاء على مزاوجة الكلام
الذى ينبى عن المعنى من غير اخلال وقيل معنى انهم يرون العذاب الذى سالوا عنه
بعيدا لانهم لا يوقنون به ونراه قريبا لان كل ما هو آت قريب ثم وصف الله تعالى يوم القيامة
فقال يوم تكون السماء كالمهل قال الزجاج المهل دردى الزيت وقال مجاهد
هو عكر الزيت وقال قوم هو الصفر المذاب وقال قوم المهل هو الجارى بغلظة وعكرة
على رفق من امهله امهالا ومهل تمهيلا وتكون الجبال كالعهن فالعهن الصوف
المنفوش وذلك ان الجبال تقطع حتى تصير بهذه الصفة كما ان السماء تشقق بالغمام وتكون
كالمهل وقوله ولا يسال حميم حميما فالحميم القريب النسب الى صاحبه الذى يحمى
لغضبه واصله القرب قال الشاعر احم الله ذلك من لقاء احاد احاد فى الشهر
الحلال وقال مجاهد لا يسال حميم حميما لشغل كل انسان بنفسه عن غيره

وقال الحسن لا يسأله ان يحمل عنه من اوزاره ليأسه من ذلك في الآخرة وقوله ولا يسأل
حميم حميما لانه يعرفه الجموع بيمام ومن ضم الياء اراد لا يطالب قريب بان يحضر قريبه
كما يفعل اهل الدنيا بان يؤخذ الحميم بحميمه والجار بجاره لانه لا جور هنالك ويجوز ان يكون
المراد ولا يسأل حميم عن حميمه ليعرف شانه من جهته كما يتعرف خبر الصديق من جهة صديقه
والقريب من قريبه ثم يحذف الجار ويوصل الفعل الى المفعول به ويقوى ذلك قوله
يبصرونهم اي يبصر الحميم الحميم والفعل في قبل تضعيف العين بصرت به كما قال
بصرت بما لم يبصروا به قوله تبارك وتعالى يبصرونهم يود المجرم — حكاية عن هارون م
لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه
ومن في الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا من ادبر و
تولى وجمع فاوعى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في اموالهم
حق معلوم للسائل والمحروم حتى عشرة آية قرا نزاعة بالنصب حفص عن
عاصم على الحال والباقون بالرفع فمن رفعه من اوجه انها لظى ولظى اسم جهنم معرفة ونزاعة
نكرة فلان انتصب على الحال حفص ومن حملها على ان لظى في تقديره كلا انها لظى
كلا انها نزاعة للشوى وضعف ابو علي نصبه على الحال قال لانه ليس في الكلام
ما يعمل في الحال ولظى اسم معرفة لا يمكن ان يكون معنى التلظي يعمل فيه الا على وجه
ضعيف بان يقال مع انها معرفة فمعناها معنى التلظي قال والاجود ان ينصب
بفعل آخر وتقديره اعني نزاعة لما وصف الله تعالى النار واهوالها واخبر
ان الحميم لا يسأل حميما لشغله بنفسه قال يبصرونهم قال ابن عباس وقتادة
يعرف الكفار بعضهم بعضا ثم يفر بعضهم من بعض وقال مجاهد يعرفهم المؤمنون
وقال غيرهم يعرف اتباع الضلالة رؤساهم وقال ابن عباس الله لانه عقيب ذكر

الكفار

الكفار قال كانه ينبغي ان يرجع اليهم وقوله يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه
اي يتمنى العاصي فالمودة مشتركة بين التمني وبين المحبة يقول وددت اني اذا فعلته
ووددته اذا احببته اودّ فيهما جميعا وصفة ودود من المحبة وقوله لو يفتدي
كالافتداء افتداء الضرر عن النفس ببدل منه قال الكلبي يتمنوا اسلامهم من العذاب النازل
بهم باسلام كل كريم عليهم والفرق بين يود لو يفتدي ويود ان يفتدي ان لو تدل
على التمني من جهة انها للتقدير المعنى وليس كذلك ان لانها لاستقبال الفعل ولو
للماضي فلما كان الاعتماد على تصور المعنى صار في حكم الواقع فلو قال قائل حيث
ان تقوم زيد لدل على التمني فبان الفرق بينهما وقوله ببنيه يعني باولاده الذكور وصاحبته — لما دل على التمني ولو قال حسبت لو تقوم زيد صح
يعني زوجته واخيه يعني ابن ابيه وامه وفصيلته التي تؤويه فالفصيلة هي المقطعة
من جملة القبيلة برجوعها الى ابوة خاصة ومن في الارض جميعا ثم ينجيه اي يتمنى هذا — الى ابوة خاصة وهي الجماعة التي ترجع الى ابوة خاصة من ابوة عامة صح
المفتدي بان يخلص من عذاب الله بان يفتدي بهؤلاء كلهم فقال الله تعالى
كلا اي لن ينجيه من عذاب الله شيء وقال الزجاج كلا ردع وتنبيه اي لا يرجع
احد من هؤلاء فارتدعوا وقوله انها لظى فلظى اسم من اسماء جهنم ماخوذ من التلظي
ومنه قوله فانذرتكم نارا تلظى وموضع لظى رفع لانها خبر ان ونزاعة للشوى خبر
آخر ومن رفع ومن نصب جعله حالا ويجوز ان يكون الهاء في انها عمادا ولظى ابتداء
وخبرها نزاعة اذا رفع قال الزجاج ويجوز ان يكون كقولهم هذا حلو حامض ونحو
النار لظى وهي نزاعة ايضا ومعنى نزاعة كثيرة النزع وهو اقتلاع من شدة ضم ولا
اخذ بشدة اعتمادا والشوى جلدة الراس والشوى الكوارع والاطراف والشوى ما ليس
المقاتل من كل حيوان يقال رميته فاشويته اذا اصبت غير المقتل ورمى فاصمى اذا اصاب
المقتل ومنه الشوى لان النار تاخذ الجلد بالتغيير والاطراف والشوى الخسيس
من المال وقيل انها تنزع جلدة الراس واطراف البدن والشوى جمع شواة قال

الحشى قالت قبله ماله قد حلت شيئا شواته، وقال ابن عباس نزاعة الشوى للجلد وام الراس وقال ابو صالح لحم الساق وقال قتادة الهام والاطراف وقال
الفراء كل ما كان غير مقتل فهو شوى وقال ابو عمرو الدوري كان الكسائي لا يقف
على كلا في شيء من القران الا على حرف في هذه السورة وقال ابن خالويه اعلم ان في
القران ثلثا وثلثين موضعا كلا فليس في النصف الاول منه شيء منها ووقف على جملة
رد الكلام ومن لم يقف جعله بمعنى حقا، قال الشاعر، فمن لقد بكيت فقلت
كلا وهل يبكي من الطرب الجليل، فالطرب خفة تصيب الانسان لشدة الحزن فال
الشاعر، واراني طربا في اثرهم طرب الواله او كالمختبل، وقال في السرور
اطربا وانت قنسري، والدهر بالانسان دواري، يقول اطربا وانت شيخ وقوله
تدعوا من ادبر وتولى قيل في معناه قولان احدهما انه لا يفوت هذه
النار كافر فكانها تدعوه فيجيبها كرها، والثاني ان يخرج لسان من النار فتناوله
كانها داعية باخذها وهو كقوله تكاد تميز من الغيظ وقال الفراء وغيره ان
النار تدعو الكافر والفاسق فتقول الي الي وهذا يجوز اذا فعل الله تعالى
فيها الكلام وصار ايقاعها انذارا وقال قتادة تدعوا من ادبر وتولى عن
طاعة الله وقال مجاهد من تولى عن الحق وقيل معناه يدعو بانيهما من ادبر
وتولى عن طاعة الله وقوله وجمع فاوعى معناه جمع المال في الدنيا وادبر
عن الحق وتولى فالنار تدعوه بما يظهر فيها من انه اولى بها وقال مجاهد
جمع المال فاوعى ولم يخرج حق الله منه فكانه جعله في وعاء على منع الحقوق منه
وقوله ان الانسان خلق هلوعا اخبار منه تعالى بان الانسان خلق هلوعا والهلوع
هو الشديد الحرص الشديد الجزع من الفقر في قول ابن عباس وعكرمة وقيل
معناه خلق ضعيفا عن الصبر على الجزع والهلع لانه لم يكن في ابتداء خلقه يهلع ويجزع

ولا يشعر بذلك في حال الطفولية وانما جاز ان يخلق الانسان على هذه الصفة المذمومة
لانها تجري مجرى خلق شهوة القبيح ليجتنب المشتهى لان المحنة في التكليف لا تتم الا بنازعة
النفس الى القبيح ليجتنب على وجه الطاعة لله تعالى كما لا تتم الا بتعريف الحسن من
القبيح في العقل ليجتنب احدهما ويفعل الاخر اذا مسه الشر جزوعا معناه اذا ناله
شدة وضر جزع وضجر على تقدير خلق هلوعا جزوعا اذا مسه الشر ولو كان منقطعا
عن الاول لكان مرفوعا والجزع ظهور الفزع بحال ينافي الصبر واذا مسه الخير منوعا
معناه اذا نال الانسان الخير والسعة في الدنيا منع حق الله فيه من الزكاة وغيرها
مما فرض الله عليه فالمس الملاقاة من غير فصل ومماسة يقال مسه يمسه مسا وغلبنا
اذا التقيا من غير فصل ومماسة مماسة والمنع هو القطع عن الفعل ما لا يمكن
وقوعه معه وهو على وجهين احدهما منع القادر ان يفعل والاخر منع صاحب
الحق ان يعطى حقه والبخل منع للحق صاحبه ولما وصف الله تعالى الانسان بالصفات
المذمومة استثنى من جملتهم من لا يستحق الذم لان الانسان يعم الناس فهو لعموم
الجنس كما قال ان الانسان لفي خسر الا الذين وكذلك قال ههنا الا المصلين
الذين هم على صلاتهم دائمون ومعناه الذين يستمرون على اداء الصلاة التي اوجبها
الله عليهم لا يخلون بها ولا يتركونها وروي عن ابي جعفر ان ذلك في النوافل
يداومون عليها وقوله والذين هم على صلاتهم يحافظون في الفرائض والواجبات
والذين في اموالهم حق معلوم فالحق وضع الشيء في موضعه على ما يقتضيه العقل
والشرع من قولهم حق الشيء حقا وحقه كقولك عقه والمال عبارة في الشرع عن
مقدار في العين والورق يتعلق به وجوب الزكاة واكثر ما يستعمل في اللغة في
المواشي من الابل والبقر والغنم وقال ابن عباس الحق معلوم هو البر الذي يخرج
في صلة او صلة رحم وقال قتادة هو الزكاة المفروضة والسائل هو الذي

بالا وتبطل والمحروم قال ابن عباس هو المحارف وقال الحسن هو الذي حرم ان يعطى
الصدقة بتركه السؤال وقيل هو الذي قد حرم الرزق وهو لا يسأل الناس وقوله من عذاب
يومئذ قرئ بالفتح والكسر يومئذ فمن كسر الميم فعلى اصل الاضافة لان الذي اضيف
اليه الاول مخفوض ايضا بالاضافة فهذا مضاف الى مضاف ومن قرا بالفتح فلانه مضاف
الى غير متمكن مضاف الى اذ واذ مبهمة ومعناه يوم اذ يكون كذا ويكون كذا فلما كانت
مبهمة واضيف اليها بني المضاف اليها على الفتح وانشد لم يمنع الشرب منها غير ان
نطقت حمامة في غصون ذات اوقال لما اضاف غير الى ان بناها على الفتح وهي موضع
رفع وروي غير ان نطقت بالرفع قوله تبارك وتعالى والذين
يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب
ربهم غير مامون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين
هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون عشر آيات
قرا بشهاداتهم على الجمع حفص ويعقوب وعباس وسهل لاختلاف الشهادات الباقون
بشهادتهم على التوحيد لانه لفظ جنس يقع على القليل والكثير وقرا ابن كثير وحده
لامانتهم على التوحيد لانه اسم جنس الباقون بالجمع لاختلاف الامانات عطف الله
تعالى على صفات المومنين وزاد في مدحهم فقال والذين يصدقون بيوم الدين
اي يومنون بان يوم الجزاء والحساب يوم القيامة ولا يشكون في ذلك فالتصديق
الاقرار بان الخبر صادق فلما كان المومنون قد اقروا ان كل من اخبر بمجيء يوم
الدين هو صادق فانما المصدق بيوم الدين تقليدا من الناس من قال هو ناج كانوا مصدقين بربهم
ومنهم من قال لا يطلق عليه مصدق بيوم الدين لانها صفة مدح وذلك انه خلص

هذا المعنى على جهة الطاعة لله تعالى به استحق المدح والثواب والمقلد عاص بتقليده
لانه لم يرجع فيه الى حجة وقوله والذين هم من عذاب ربهم مشفقون فالاشفاق
رقة القلب من تحمل ما يخاف من الامر فاذا قسا قلب الانسان بطل الاشفاق وكذلك
اذا انتهى كحال اهل الجنة اذ قد صاروا الى غاية الصفة بحصول المعارف الضرورية
وقيل من اشفق من عذاب الله لم يتعد له حدا ولم يضيع له فرضا وقوله ان عذاب
ربهم غير مامون اخبار منه تعالى بان عذاب الله لا يوثق بانه لا يكون بل معلوم انه
كائن لا محالة والمعنى ان عذاب الله غير مامون على العصاة يقال فلان مامون
على النفس والسر والمال وكل ما يخاف انه لا يكون ونقيضه غير مامون وقوله
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم معناه انهم يحفظون
فروجهم على كل وجه الا بسبب الاهل الازواج وملك الايمان فكانه قال لا يبذلون
الفروج الا على الازواج او ملك الايمان فلذلك جاز ان يقول حافظون الا على
ازواجهم وهم حافظون لها على الازواج فانما دخلت الا المعنى الذي قلناه وقال الزجاج تقديره الا من ازواجهم فعلى بمعنى من او لحلهم
على المعنى وتقديره فانهم غير ملومين على ازواجهم ويلامون على غير ازواجهم
فانهم غير ملومين وقال الفراء لا يجوز ان يقول ضربت القوم الا زيدا
وانت تريد الا انك لم اضرب زيدا والوجه في الاية ان تحملها على المعنى
وتقديره والذين هم لفروجهم حافظون فلا يلامون الا على غير ازواجهم ومثله ان
يقول القائل اصنع ما شئت الا على قتل النفس فانك معذب في قتل النفس فمعناه
الا انك معذب في قتل النفس وقوله فانهم غير ملومين اي لا يلامون هاهنا
اذا لم يحفظوا فروجهم عن الازواج وما ملكت ايمانهم من الاماء على ما اباحه الله
لهم ثم قال فمن ابتغى وراء ذلك ومعناه من طلب وراء ما اباحه الله له من الفروج
اما بعقد الزوجية او ملك اليمين فاولئك هم العادون الذين تعدوا حدود الله

وخرجوا عما اباحه الله لهم فالابتغاء الطلب ومعنى وراء ذلك ما خرج عن حده من اى
جهة كان وقد يكون وراء بمعنى خلف نقيض امامه الا انه هاهنا الخارج عن حده
كخروج ما كان خلفه والعادى الخارج عن الحق يقال عدا فلان فهو عاد اذا
اعتدى وعدا فى مشيه يعدو عدوا اذا اسرع فيه وهو الاصل والعادى الظالم
بالاسراع الى الظلم وقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون فالامانة العقد
بالطمانية على حفظ ما تدعوا اليه الحكمة وقيل الامانة معاقدة بالثقة على ما تدعو
اليه الحكمة وقد عظم الله امر الامانة بقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ومن وحد لفظ الامانة
فلانها الجنس يقع على القليل والكثير ومن جمع اراد اختلاف ضروبه وقال
فهم المراد بالامانة الايمان وما اخذه الله على عباده من التصديق بما اوجب
عليهم والعمل به ويدخل فى ذلك الايمان وغيره وقوله راعون معناه حافظون
وقوله والذين هم بشهاداتهم قائمون مدح المؤمنين بانهم يقيمون الشهادة التى
تلزمهم اقامتها ومن وحد لفظ الشهادة فلانها من الامانة سواء والشهادة الاخبار
بالشئ على انه على ما شاهده وذلك انه يكون عن مشاهدة المخبر وقد يكون عن
مشاهدة ما يدعوا اليه وقوله والذين هم على صلاتهم يحافظون وصفهم بانهم
يحافظون على صلاتهم فلا يضيعونها وقيل انهم يحافظون على مواقيتها فلا
يتركونها حتى تفوت ثم قال اولئك يعنى المؤمنين الذين وصفهم بالصفات
المتقدمة فى جنات اى بساتين تجنها الشجر مكرمون اى معظمون يجلون بما يفعل
بهم من الثواب والاكرام هو الاعظام على الاحسان والاكرام يكون بالاحسان وقد يكون
بتكبير الشان فى صفة العالم القادر الغنى الذى لا يجوز عليه صفات النقص فالاعظام
بالاحسان تكبير الشان فى اعلى المراتب لله تعالى لا يستحقه سواه قوله تعالى

فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ايطمع كل امرئ
منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق
والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم
يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الاجداث
سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك
اليوم الذى كانوا يوعدون تسع آيات قرأ نصب بضمتين اهل الشام و
حفص عن عاصم وسهل على الجمع نصب مثل رهن ورهن فى قول ابى عبيدة
وقال غيرهما لغتان مثل ضعف وضعف الباقون بفتح النون خفيفة والنصب
الصنم الذى كانوا يعبدونه ومنه سمى بذلك وقيل النصب نصب الصنم الذى كانوا
يعبدونه وقيل معناه الى علم يستبقون اليه قد نصب لهم [illegible]
الباقون بفتحها اضاف الخروج اليهم بقوله الله تعالى على وجه الانكار على الكفار
فما للذين كفروا ومعناه اى شئ للذين كفروا بتوحيد الله وجحدوا نبوتك قبلك
مهطعين اى نحوك مسرعين فى قول ابى عبيدة وقال الحسن معناه منطلقين وقال
قتادة عامدين وقال ابن زيد معناه لا يطرفون اى ناظرين وفى جميع ذلك
معنى الاسراع الى الشئ مرة بشوقه اليه ومرة بقصده له ومرة بتخوفه وقال
الزجاج المهطع المقبل ببصره على الشئ لا يزايله وذلك من نظر العدو وانما انكر
عليهم الاسراع اليه لانهم اسرعوا اليه ليأخذوا الحديث عنه ثم يتفرقون عنه بالكذب
عليه ذكره الجبائى وقيل اسرعوا اليه ليخوضوا [illegible] منه وقيل اسرعوا اليه لطلب
عيب له وقيل معناه فما للذين كفروا مسرعين فى [illegible] على الكفر والاشراك
بالله فى العبادة وقوله عن اليمين وعن الشمال عزين قال ابن عباس عن اليمين والشمال
معرضين يستهزئون ومعنى عزين جماعات فى تفرقة الكراديس واحدهم عزة

١٧٦

وجمع بالواو والنون لانه عوض مما حذف في مثل سنة وسنون واصل عزة عزوة من
عزاه يعزوه اذا اضافه الى غيره وكل واحد من هذه الجماعات مضافة الى الاخرى
وقال الراعي اخليفة الرحمن ان عشيرتي امسى سوامهم عزين فلولا وقوله
ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم من ضم الياء وهم الكثر لانه جعل الفعل للامر
بم فاعله وفتح الحسن الياء لانهم اذا ادخلوا فقد دخلوا ومعنى الاية الانكار عليهم فانهم
ان دخل اصحاب محمد الجنة فانا ندخلها قبلهم فقال الله تعالى فقيل واي شي لكم عند الله
يوجب هذا ولم يجتمعون هذا وكذا وقد خلقناهم جميعا مما يعلمون اي من تراب
وقوله كلا انا خلقناهم مما يعلمون قال الحسن خلقناهم من النطفة وقال
قتادة انما خلقت من قذر يا ابن آدم فاتق الله وقال الزجاج اي من تراب ثم من
نطفة فاي شي لهم يدخلون به الجنة وهم اي على العداوة وهذا احتجاج لانه خلقهم من ماء
مهين ينقضي انهم خلقوا للعبادة فجعل في خلقهم من هذا عبرة ولولا ذلك لابتداهم
في نعيم الجنة ولم يكن لتنقلهم في الصور والاحوال معنى في الحكمة وقال بعضهم
المعنى خلقناهم من الذي يعلمون او من الخلق الذي او الجنس الذي يعلمون ويفهمون ويلزمهم
الحجة ولم نخلقهم من الجنس الذي لا يفقه كالبهائم والطير وانما قال مما يعلمون بجمع لانه
قال قبل ذلك خلقناهم فجمع يعلمون ووجه اخر وهو انه خلقهم من اجل ما يعلمون
من الثواب والعقاب والتكليف والطاعات تعريضا للثواب كما يقال القايل
غضبت عليك مما تعلم اي من اجل ما تعلم قال الاعشى ا ازمعت من آل
ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى ان تزارا اي من اجل آل ليلى ودل قوله
وشطت على ذي هوى ان تزارا على انه لم يزمع من عندهم وانما ازمع من اجلهم
المصير اليهم وقوله فلا اقسم برب المشارق والمغارب وقد بينا القول في ذلك قسم من الله تعالى برب المطالع والمغارب ولا مخبر الا
وقال ابن عباس الشمس لها ثلثمائة وستون مطلعا كل يوم مطلع لا تعود اليه الى قابل

دون

٣٤٩

وقوله انا لقادرون جواب القسم وفيه اخبار من الله تعالى بانه قادر على ان يبدل
بالكفار خيرا منهم فالتبديل تصيير الشي موضع غيره بدلا له تبديلا وابدله ابدالا لا
والبدل الكاين في موضع غيره وقوله وما نحن بمسبوقين عطف على جواب
القسم ومعناه انا ولان الكفار لا يفوتون بان يتقدموا على وجه يمنع من لحاق
العقاب بهم فلم يكونوا سابقين ولا العقاب مسبوقا منهم فالسبق تقدم الشي في وقت
قبل وقت غيره والتقدير وما نحن مسبوقين يفوت عقابنا اياهم وكانه لو فاتهم عقابنا
قد سبقنا لم يبو فين وقيل معناه وما اهل سلطاننا بمسبوقين وقيل وما نحن وما نحن م
مغلوبين بالفوت ثم قال على وجه التهديد لهم بلفظ الامر للنبي عليه السلام فذرهم
اي اتركهم يخوضوا ويلعبوا فان وبال ذلك عايد عليهم والعقاب المستحق على كفرهم
حال بهم واللعب عمل للتروح عن النفس بما هو حقير في العقل كلعب الصبيان ومن
جرى مجراهم من ناقصي العقل ولا يجوز من الحكيم ان يفعل اللعب لعينه لانه عمل وضع
في الحكمة حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ومعناه حتى يردوا اليوم الذي يوعدون فيه
بالعقاب على المعاصي والثواب على الطاعات ثم بين صفة ذلك اليوم فقال
يوم يخرجون من الاجداث يعني من القبور واحدها جدث وجدف ونصب سراعا
على الحال ومعناه مسرعين كانهم الى نصب يوفضون شبههم في اسراعهم من قبورهم
الى ارض المحشر بمن نصب له علم او صنم يستبقون اليه والايفاض الاسراع اوفض يوفض
ايفاضا اذا اسرع قال رؤبة يمشي بنا الجد على اوفاض اي على عجلة والنصب
نصب الصنم الذي كانوا يعبدونه وقيل اسم الصنم نصب وجمعه نصب مثل رهن
ورهن في قول ابي عبيدة وانشد الفراء في الايفاض لاعبثن نعامة ميفاضا
خرجاء ظلت تطلب الاضاضا خرجا ذات لونين وقال للقميص المرقع بحمرة
اخرج لانه خرج من لونه والاضاض طلب الملجا يلجا اليه وقال بشر بن ابي حازم

اهاجيك نصب ام بعينك منصب • وقال الاعشى • وذا النصب المنصوب لا تنسكنه لعبة
والله ربك فاعبدا وقوله خاشعة ابصارهم اى ذليلة خاضعة ترهقهم ذلة اى
يغشاهم ويركبهم ذل وصغار وخزى لما يرون نفوسهم مستحقة للعقاب واللعن من الله
ثم قال تعالى ذلك يعنى اليوم الذى وصفه هو اليوم الذى كانوا يوعدون
به فى دار التكليف فلا يصدقون به ويجحدونه وقد شاهدوه فى تلك الحال وقوله
انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم لا يدل على ان الله تعالى قادر على ان يبدل بالكفار
خيرا منهم ولم يفعلهم فيكون فيه اخلال بالاصلح لانه اخبر عن انه قادر على خير منهم وقد خلق
قوما امنوا بالنبى صلى الله عليه وآله وبذلوا نفوسهم واموالهم **سورة نوح عليه السلام**
مكية فى قول ابن عباس والضحاك وغيرهما وهى ثمان وعشرون آية فى الكوفى
وتسع فى البصرى وثلاثون فى المدنيين **قوله تبارك وتعالى**

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ
يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ
مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا
ست آيات قرأ ان اعبدوا بكسر النون عاصم وحمزة وابو عمرو وعلى اصل التقاء الساكنين
الباقون بالضم اتباعا للضمة على الباء فى اعبدوا الله وقرأ القراء دعائى بفتح الياء الا
عن ابن كثير فانه قصر وفتح الياء مثل عصاى قال ابو على فتح الياء واسكانها حسنان
فاما قصر الكلمة فلا اسمعها ويجوز ان يكون لغة يقول الله تعالى مخبرا عن نفسه انا
ارسلنا نوحا اى بعثنا نوحا نبيا الى قومه ان انذر قومك اى بان انذر وموضع ان
نصب بسقوط الباء وقال قوم موضعه الجر لقوة حذفها مع ان وقال الفراء

يجوز ان يكون بمعنى اى المفسرة فلا يكون لها موضع من الاعراب وقرأ ابن مسعود ارسلنا
نوحا الى قومه انذر بلا ان لان معنى الارسال معنى القول فكأنه قال قلنا له انذر
قومك والانذار التخويف بالاعلام بموضع المخافة ليتقى وقوله نوح عليه السلام قد انذر قومه
بموضع المخافة وهى عبادة غير الله واتيان محارمه واعلمهم وجوب طاعته واخلاص عبادته
وقوله من قبل ان يأتيهم عذاب اليم معناه اعلمهم وجوب عبادة الله وخوفهم خلافه من
قبل ان ينزل عليهم العذاب المؤلم فانه اذا نزل بهم العذاب لم ينتفعوا بالانذار ولا تنفعهم
عبادة الله حينئذ لانهم يكونون ملجئين الى ذلك وقال الحسن امره بان ينذرهم عذاب
الدنيا قبل عذاب الآخرة ثم حكى ان نوحا عليه السلام امتثل ما امره الله به وقال لقومه انى
لكم نذير اى مخوفكم عبادة غير الله واحذركم معصية الله مظهر ذلك لكم فاتقوا معاصيه واطيعون
فيما امركم به لان طاعتى لطف لكم فى التمسك بعبادة الله واتقاء معاصيه فلذلك وجب عليكم
ما ادعوكم اليه على وجه الطاعة وطاعة الله واجبة عليكم لمكان نعمه السابقة عليكم لا يوازيها
نعمة منعم ثم بين لهم ما يستحقون على طاعة الله وطاعة رسوله فقال يغفر لكم ذلك يغفر
لكم ذنوبكم ودخلت من زائدة وقيل معناها عن والتقدير يصفح لكم عن ذنوبكم ويكون
عامة وقيل انها دخلت للتبعيض ومعناها يغفر لكم ذنوبكم السالفة وهى بعض الذنوب
التى تضاف اليهم فلما كانت ذنوبهم التى يستانفونها لا يجوز الوعد بغفرانها مطلقا لما فى ذلك
من الاغراء بالقبيح قيدت بهذا التقييد وقيل معناها يغفر لكم من ذنوبكم بحسب ما يكون
التوبة متعلقة بها فهذا على التبعيض اذا لم يقلعوا الا من البعض وهذا على مذهب
من يقول تصح التوبة من قبيح مع المقام على قبيح آخر يعلم قبحه وقال الزجاج دخلت
من لتخص الذنوب من سائر الاشياء لا لتبعيض الذنوب واكثر النحويين واكثر القراء
على اظهار الراء عند اللام فى يغفر لكم واختار ابو عمرو الادغام لان اذهاب التكرير
لا يخل لان الثانى مثل الاول واما يخل اذهاب ما لا حس فى السمع كالذى لحروف الصفير

مقرون بطاعة الله
وتمسككم بطاعتى

ويجوز الذي والليّن وقوله ويؤخركم الى اجل مسمّى عطف على الجزاء فلذلك جزم والمعنى
ان اطعتم الله ورسوله غفر لكم ذنوبكم واخركم الى الاجل المسمى عنده وفي الآية
دليل على الاجلين لان الوعد بالاجل المسمى مشروط بالعبادة والتقوى فلما لم يقع اقتطعوا
بعذاب الاستيصال قبل الاجل الاقصى باجل ادنى وكل ذلك معلوم هذا الكلام وقيل
تقديره ان الاجل الاقصى لهم ان آمنوا وليس لهم الكلام ان لم يؤمنوا كما ان الجنة لهم ان آمنوا
والنار لهم ان لم يؤمنوا ثم احسب ان اجل الله الاقصى اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون
صحة ذلك وتؤمنون به ويجوز ذلك ان يكون اخبارا من الله عن نفسه ويجوز ان يكون حكاية
عن نوح انه قال ذلك لقومه ثم حكى تعالى ما قال نوح لله تعالى فانه قال يا رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا الى عبادتك وخلع الانداد من دونك والى الاقرار بنبوتي فلم يزدهم
دعائي الا فرارا اي لم يزدادوا بدعائي الا فرارا من قبوله وبعدا من استماعه واما سمّي
كفرهم عند دعائه زيادة في الكفر لانهم كانوا على كفر بالله وضلال عن حقه ثم دعاهم
نوح الى الاقرار به وحثهم على الاقلاع عن الشرك فلم يقبلوا وكفروا بدين الله فكان
ذلك زيادة في الكفر لان الزيادة اضافة شيء الى مقدار بعد حصوله موجودا ولو حصلا
ابتداء في وقت واحد لم يكن احدهما زيادة على الآخر ولكن قد يكون زيادة على العطية
قبل وانما جاز ان يكون الدعاء الى الحق يزيد الناس فرارا منه لجهل الغالب على النفس فتارة
يدعوا الى الرشاد مما تأباه وتارة يدعوا الى الفساد الذي يلائمه ويشاكله فمن هاهنا امتنع
وقوع مثل هذا والفرار التباعد عن الشيء رغبة عنه او خوفا منه فكانوا يتباعدون
عن سماع دعائه رغبة عنه كانوا قوامنه قوله تبارك وتعالى
وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ
وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ
وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ

مدرارا

مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ
لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ثمان آيات
حكى الله تعالى عن نوح انه قال يا رب اني دعوت قومي الى طاعتك ليلا ونهارا فلم يزدادوا
عند دعائي الا بعدا من القبول واني كلما دعوتهم الى اخلاص عبادتك لتغفر لهم معاصيهم
جزاء على ذلك جعلوا اصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا كلامي ودعائي واستغشوا ثيابهم
اي طلبوا ما يستترون به من الثياب ويغطون به لئلا يروه وقال ابن جاح معناه
انهم كانوا يضعون في آذانهم ويغطون وجوههم لئلا يسمعوا كلامه فالاستغشاء طلب
الغشي فلما طلبوا التغشي بثيابهم فرارا من الداعي لهم كانوا قد استغشوا واصروا
اي اقاموا على كفرهم ومعاصيهم عازمين على فعل مثله فالاصرار الاقامة على الامر
بالعزيمة عليه فلما كانوا مقيمين على الكفر بالعزم عليه كانوا مصرين وقيل ان الرجل
منهم كان يذهب بابنه الى نوح فيقول لابنه احذر هذا لا يغوينك فان ابي قد ذهب
بي اليه وانا مثلك فحذرني كما حذرتك ذكره قتادة وقوله واستكبروا استكبارا
اي طلبوا باستكبارهم من القبول مني واخلاص عبادتك عتوا في الارض وعلوا فيها ثم
حكى انه قال ثم اني دعوتهم جهارا اي اعلانا ثم اني اعلنت لهم اي اظهرت الدعاء لهم
الى عبادتك تارة واسررت لهم اي واخفيت لهم الدعاء الى مثل ذلك كرة اخرى وقلت
استغفروا ربكم اي اطلبوا المغفرة على كفركم ومعاصيكم من الله تعالى انه كان غفارا
لكل من طلب منه المغفرة ويغفر فيما بعد لمن يطلب منه ذلك ومتى فعلتم ذلك واطعتموه
ورجعتم من كفركم ومعاصيكم ارسل الله تعالى السماء عليكم مدرارا اي كثيرة الدرور
بالغيث والمطر وقيل انهم كانوا قد قحطوا واجدبوا وهلكت اولادهم ومواشيهم فلذلك
رغبهم في ذلك بالرجوع الى الله والدرور وغلب الشيء حالا بعد حال على الاتصال
يقال در يدر درا ودرورا فهو دار والمطر الكثير الدرور مدرار وقيل

انه لو هو الشطط لما اخرج ليستوفي لم يزد على الاستغفار وتلاحقه الاية وقوله ويمددكم
باموال وبنين عطف على الجزاء وتقديره ان كنتم اطعتموه وعبدتموه مخلصين ارسل عليكم
المطر مدرارا وامددكم باموال وبنين فالامداد الثاني الاول على التطلع حالا
بعد حال يقال امده بكذا يمده امدادا او مد النهر وامده نهر اخر والاموال جمع المال
وهو عند العرب النعم والبنون جمع ابن وهو الذكر من الولد ويجعل لكم جنات اي بساتين
تحتها الانهار ويجعل لكم انهارا وهو جمع نهر وهو المجرى الواسع الا دون سعة البحر
وفوق الجدول ولاق الاتساع لان الجدول النهر الصغير يرى شدة جريه لضيقه ويخف
في النهر ضربا من الخفاء لسعته ثم قال لهم على وجه التبكيت ما لكم معاشر الكفار
لا ترجون لله وقارا اي عظمة في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك والمراد ههنا
سعة مقدوراته تعالى واصل الوقار ثبوت ثابت يكون الشيء عظيما من الحلم والعلم الذي
يمتنع معه الخرق ومنه وقر في السمع ووعاه القلب اذا ثبت في السمع وحفظ القلب وقيل
معنى ترجون تخافون قال ابو ذويب اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها
في بيت نوب عوامل اي لم يخف وكانه قال ما لكم لا ترجون لله عاقبة عظيمة من الثواب
بالخلود في النعيم او تخافون عاقبة عصيانه بالدخول حالا بعد حال وقيل معناه
صبيا بعد شابا ثم شيخا ثم غير عاقل ثم عاقلا وضعيفا ثم قويا وقال ابن عباس
وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد نطفة ثم علقة ثم مضغة وقيل معناه على الوان مختلفة
بيضا وسودا وشقرا وصفرا قوله تبارك وتعالى الم تروا كيف خلق
الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله
انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض
بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا ست آيات يقول الله تعالى منبها لخلقه
ومنبها لهم على توحيده واخلاص عبادته الم تروا ومعناه الم تعلموا كيف خلق الله سبع سماوات

في عذاب النار وقد خلقكم اطوارا
فالاطوار انتقال الاحوال

الم تروا

اي اخترع سبع سماوات طباقا اي واحدة فوق الاخرى فالطباق مصدر طابقت مطابقة
وطباقا والطباق منزلة فوق منزلة ونصب طباقا على احد وجهين احدهما على الفعل
والتقدير خلقهن طباقا والاخر جعله نعتا للسبع وجعل القمر فيهن نورا روي ان الشمس
تضيء ظهرها لما يليها من السماوات ووجهها لاهل الارض وكذلك القمر فالمعنى وجعل
الشمس والقمر نورا في السماوات والارض وقال قوم معنى فيهن معهن وحروف الصفات
بعضها يقوم مقام بعض وقال قوم معناه في حيزهن وان كان في واحدة منها كما يقول
القائل ان في هذه الدور لبيرا وان كان في واحدة منها وكذلك يقولون هذا المخيخ في
سبع قبايل وان كان في احدها والجعل حصول الشيء على الصفة بفعل وقد يكون
ذلك بحدوث نفسه وقد يكون بحدوث غيره والجعل على اربعة اوجه اولها احداث
النفس كجعل البناء والساجة وغير ذلك والثاني تقلبه كجعل الطين خزفا الثالث
بالحكم كجعله كافرا ومؤمنا الرابع بالدعاء الى الفعل كجعله صادقا او داعيا والنور
جسم شعاعي فيه ضياء كنور الشمس ونور القمر ونور النار ونور النجوم وشبه بذلك
نور الهدى الى الحق فان الله تعالى جعل القمر ضياء في السماوات السبع في قول عبد الله
بن عمر وقيل جعله نورا في ناحيتهن وجعل الشمس سراجا فالسراج جسم يركبه
النور للاستصباح به فلما كانت الشمس قد جعل فيها النور للاستضاءة بها كانت سراجا
وهي سراج العالم كما ان المصباح سراج هذا الانسان وقوله والله انبتكم من الارض
نباتا فالانبات اخراج النبات من الارض بالنماء حالا بعد حال والنبات هو الخارج
بالنماء حالا بعد حال والتقدير في انبتكم نباتا اي فنبتم نباتا لان انبت يدل
على نبت من جهة انه مضمن به وقوله ثم يعيدكم فيها فالاعادة النشأة الثانية
فالقادر على النشأة الاولى قادر على الثانية لانه باق قادر على اختراعه من غير
سبب يولده والمعنى ان الله يردكم في الارض بان يميتكم فتصيرون ترابا كما كنتم

اول مرة ويخرجكم اخراجا منها يوم القيامة كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة اخرى ثم قال والله جعل لكم الارض بساطا اى مبسوطة يمكنكم
التقلب عليها والاستقرار فيها وبين انه جعلها كذلك لتسلكوا منها سبلا فجاجا الفجاج
جمع فج وهى الطريق المتسعة المتفرقة وقيل هو المختلفة ذكره ابن عباس والفج المسلك
بين جبلين ومنه الفج الذى لم يحكم امره كالطريق بين جبلين وانما عدد تعالى
هذه الضروب من النعم امتنانا على خلقه وتنبيها لهم على استحقاقه العبادة الخالصة
من كل شرك ودلالة لهم على انه عالم بمصالح خلقه ومدبر لهم على ما يقتضيه الحكمة
يجب ان يشكر ومعلوم هذه النعم ولا يقابلونها بالكفر والجحود قوله
تبارك وتعالى قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده
الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين
الا ضلالا مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله
انصارا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم
يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن
دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا تسع
آيات ه قرا ماله وولده بالفتح نافع وعاصم وابن عامر الباقون بضم الواو
وسكون اللام وهما لغتان مثل حزن وحزن وبخل وبخل وعدم وعدم وقال
قوم الولد بالضم جمع ولد مثل رهن ورهن وعرب وعرب وعجم وعجم وقرا نافع
ودا بضم الواو الباقون بفتحها وهما لغتان وهو اسم الصنم وقال قوم بالضم
المحبة وبالفتح الصنم والسواع هاهنا صنم وفى غير هذا الساعة من الليل مثل
السعواء وقرا ابو عمرو خطايام على جمع التكسير الباقون خطيئاتهم على جمع السلامة

حكى الله تعالى عن نوح انه قال داعيا الله يا رب انهم يعنى قومه عصونى فيما امرتهم به
وانهيتهم عنه فالمعصية مخالفة المراد الى المكروه المزجور عنه وهى بالاول مختص مما الاولى
فعله وبالثانى عاص وقوله واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا تمام الحكاية
عن نوح انه وصف قومه بانهم عصوه وانقادوا لمن لم يزده ماله وولده
الا خسارا يعنى هلاكا فالخسار الهلاك بذهاب راس المال ففيه معنى الهلاك
وليس فى ذلك الخسران لانه يستعمل للقليل الذى لا يجحفه ذهابه والكثير الذى
يجحف واما الخسار ففيه معنى ذهاب الكثير وهذا ابلغ فى صفة الهلاك وقوله
ومكروا مكرا كبارا فالمكر الفتل بالحيلة الخفية الى خلاف الجهة الموافقة بالمنفعة
من المضرة مكر يمكر مكرا فهو ماكر والتى مكر به قال ذو الرمة
عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب ه اى ملتفة مفتولة
والكبار الكبير فى قول مجاهد وابن زيد يقولون عجب وعجاب وعجاب بالتخفيف
والتشديد ومثله جميل وجمال وجمال وحسن وحسان وحسان وقالوا يعنى الكفار
بعضهم لبعض لا تذرن آلهتكم اى لا تتركوا عبادة اصنامكم ولا تذرن ودا ولا سواعا
وهى اصنام لهم كانوا يعبدونها فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق
لكنانة ونسر لحمير فى قول قتادة وقوله وقد اضلوا كثيرا معناه ضل بهم خلق كثير
وقيل ان عبادتهم اضل خلقا عن الثواب لما استحق العقاب واضلهم بالله والتحير
عن حال اهل الفلاح وانما جمع الاصنام بالواو لما اسند اليها ما يسند الى العالم
من استحقاق العبادة ولم يصرف يغوث ويعوق لانه على لفظ المضارع من الافعال
وهى معرفة وقد نونهما الاعمش واخرجهما مخرج النكرات اى صنما من الاصنام ثم قال
يعنى نوحا ولا تزد الظالمين الا ضلالا ومعناه الا عذابا ادنى العذاب ضلالا كقوله
ان المجرمين فى ضلال وسعر وقيل كانت هذه الاصنام المذكورة يعبدها قوم نوح ثم عبد

وتحا الغرض ما اراده الحكيم يكون على وجهين احدهما على ما ذون فيه من غير ان يريده والاخر

العرب فيما بعد في قول ابن عباس وقتادة والضحاك وابن زيد ولا يجوز في صفة
الحكيم ان يضل عن الايمان وقوله مما خطاياهم ما صلة وتقديره من خطاياهم يعني
من اجل ما ارتكبوا من الخطايا والكفر اغرقوا على وجه العقوبة وادخلوا بعد
ذلك النار ليعاقبوا فيها فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي من يدفع عنهم ما نزل
بهم من العقاب المستحق على كفرهم ثم حكى ما قال نوح ايضا فانه قال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا قال قتادة ما دعا عليهم الا بعد ان انزل عليه انه لن يؤمن
من قومك الا من قد آمن فلذلك قال انك يا رب ان تذرهم يعني تتركهم وتبقيهم
يضلوا عبادك عن الدين بالاغواء عنه والدعاء الى خلافه ولا يلدوا الا فاجرا كفارا
ولا يعلم نوح الغيب وانما قال بعد ان اعلمه الله ذلك وانما جاز ان يقول ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا فسماهم بالكفر والفجور قبل ان يفعلوه لانه على وجه الحكاية والاخبار
بما يكون منهم لو وجدوا الا على وجه الذم لهم باقتضاء العقل على انه لا يذم على الكفر
من لم يكن منه كفر فكانه قال ولا يلدوا الا من اذا بلغ كفر والديار فيعال من الدوران
لا تذر على الارض منهم احدا يدور في الارض بالذهاب والمجيء قال الشاعر
وما نبالي اذا ما كنت جارتنا الا يجاورنا الاك ديار اي الا اياك فجعل المتصل
موضع المنفصل ضرورة وقال الزجاج يقول ما في الدار احد ولا ديار واصله
ديوار فقلبت الواو ياء وادغمت احداهما في الاخرى والفاجر من فعل الفجور الذي هو
الكفر الذي يستحق بها الذم والكفار من اكثر من فعل الكفر لانه لفظ مبالغة وكافر
يقع على القليل والكثير ثم حكى ان نوحا سال الله تعالى فقال رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات قيل المراد بالبيت مسجده وقيل اراد سفينته
وذلك على وجه الانقطاع اليه تعالى لانه لا يفعل معصية يستحق بها العقاب فاما والداه
والمؤمنون والمؤمنات الذين استغفر لهم يجوز ان يكون منهم معاص يحتاج ان يستغفر لها

لهم يجوز ان يكون منهم معاص فيحتاج ان يستغفر لها لهم وقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا
فالتبار الهلاك والعقاب وكل من اهلك فقد تبر ومنه التبر لانه يكسر وتبر ويجوز
ان يكون معناه لا تزدهم الا ضلالا لاني عقابا على كفرهم قال البلخي لا تزدهم الا منعا
من الطاعات عقوبة لهم على كفرهم فانهم اذا اضلوا استحقوا منع الالطاف التي تفعل
بالمؤمنين فيطيعون عندها ويمتثلون امر الله ولا يجوز ان يفعل بهم الضلال
عن الحق لانه سفه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

سورة الجن

مكية في قول قتادة وابن عباس والضحاك وغيرهم وهي ثمان وعشرون آية ليس فيها
اختلاف قال الحسن نزلت هذه السورة فقراها رسول الله على نفر من الجن فاسلموا فاتوا
قومهم فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وكان يقول بعث الله نبيا الى الجن والانس وقال
غيره من المفسرين لما رجمت الشياطين بالشهب ومنعوا من صعود السماء قال لهم ابليس هذا
لحادث حدث فبث شياطينه في الارض فبعث قوما من جن اليمن فلقوا النبي صلى الله عليه وآله
يصلي باصحابه ويقرأ القرآن فاعجبهم ذلك فآمنوا به واخبروا قومهم فقال ابليس هذا رجمتم

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى
الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة
ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا ان لن تقول
الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن فزادوهم رهقا وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وانا
لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر اريد

بين في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا عن ابايث قال الفراء قرأ حوبة قل
اوحي الي اصله وحي الي مثل وعد فقلب الواو همزة كما قلبها في قوله واذا الرسل اقتت
واصله وقتت والعرب تقول وحيت اليه واوحيت اليه بمعنى واحد ومنه اليه قال
الراجز وحى لها القرار فاستقرت قرأ ابن كثير وابو عمرو قل اوحي الي
انه وان لو استقاموا وان المساجد لله وانه لما قام عبد الله اربعة احرف بفتح
الالف والباقي من اول السورة الى هاهنا بكسر الالف وقرأ نافع وعاصم في رواية
ابي بكر كذلك الا قوله وانه لما قام عبد الله فانه قرأه بالكسر والباقون بفتح جميع
ذلك الحجة قال ابو علي قال من يكسر ومن فتح جميع ذلك جعله عطفا
على اوحي الي انه وانه ومن كسر عطف على قوله انا وانا قال قوم ومن نصب
فعلى تقدير آمنا به وكذا اعطف عليه قال الزجاج ان عطف على الهاء كان ضعيفا
لان عطف المظهر على المضمر ضعيف ومن جعله مفعول آمنا فنصبه به فكانه قال
آمنا بكذا وكذا واسقط الباء فنصب على المعنى لان معنى آمن صدق فكانه قال
صدقنا بكذا وكذا وحذف الباء ومن كسر من هاهنا بعد القول او فاء الجزاء فلانه
لا يقع بعد القول والفاء الا ما هو ابتداء وما هو في حكم الابتداء ومن كسر جميع ذلك
جعله مستأنفا ولم يوقع آمنا عليه وما نصب من ذلك جعله مفعولا بايقاع فعل عليه
فاما قوله اوحي الي انه استمع فمفعول اوحي لا خلاف وقرأ ابو جعفر الا من
تقول الانس على معنى التكذيب الباقون بتخفيف الواو من القول يقول الله تعالى
آمرا لمحمد نبيه صلى الله عليه وآله قل يا محمد لقومك ومن بعثت اليه اوحي الي فالايحاء
القاء المعنى الى النفس خفيا كالالهام وانزال الملائكة بخفاء عن الناس التحقيق
اليه الذي انزل اليه كالايماء الذي يتم به المعنى والمراد هاهنا انزال الملك بعلمه
ثم بين ما اوحي اليه فقال انه استمع نفر من الجن والاستماع طلب سماع الصوت

بالاصغاء

بالاصغاء اليه وهو تطلب لفهم المعنى وتطلب ليستدل به على صاحبه وقيل
ان الجن لما منعوا من استراق السمع طافوا في الارض فاستمعوا القرآن فآمنوا به فانزل
بذلك الوحي على النبي صلعم ذكره ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم والقرجاحة
والجن جيل رقاق الاجسام خفية على صور مخصوصة بخلاف صورة الملائكة والناس
وقيل العقلاء من الحيوان ثلثة اصناف الملائكة والناس والجن والملك مخلوق
من النور والانس من الطين والجن من النار ثم ذكر ما قالت الجن لبعضها انا
سمعنا قرآنا عجبا والعجب هو كل شيء لا يعرف سببه وقيل هو ما يدعو الى التعجب منه
لخفاء سببه وخروجه عن العادة في مثله فلما كان القرآن قد خرج كان عجبا لا محالة
وقوله يهدي الى الرشد حكاية ما قالت الجن ووصفت به القرآن فانهم قالوا هذا
يهدي الى ما فيه الرشاد والحق فآمنا به اي صدقنا بانه من عند الله ولن نشرك
فيما بعد بربنا احدا فنوجه العبادة اليه بل نخلص العبادة له تعالى وانه تعالى جد
ربنا من كسر الهمزة عطفه على قوله انا سمعنا وحكى انهم قالوا انا ويجوز ان يكون
استأنف الاخبار عنهم ومن فتح فعلى تقدير وآمنا بانه تعالى جد ربنا ومعناه تعالى
عظمة ربنا لانقطاع كل شيء عظمة عنها لعلوها عليه ومنه الجد ابو الاب لانقطاعه
بعلو ابويه وكل من فوقه لهذا الولد اجداد والجد الحظ لانقطاعه بعلو شانه والجد
ضد الهزل لانقطاعه عن السخف ومنه الجديد لانه حديث عهد بالقطع في غالب
الامر وقال الحسن في رواية ومجاهد وقتادة معناه تعالى جلال ربنا وعظمته وفي
رواية اخرى عن الحسن تعالى غنى ربنا وكل ذلك يرجع الى معنى وصفه بانه عظيم غني
ويقال جد فلان في قومه اذا عظم فيهم وروي عن احدهما انه قال ليس
لله جد وانما قالت الجن بجهالتها فحكاه كما قالت وقال الحسن ان الله تعالى
بعث محمدا صلعم الى الانس والجن وانه لم يرسل رسولا قط من الجن ولا من اهل البادية ولا من

سمعنا

بنا لبعده عن العادة في الكلام وخفي سببه عن الانام

النار لقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى وقوله
ما اتخذ صاحبة ولا ولدا حكاية عن الجن اعترافهم انه ليس لله صاحبة ولا ولد على
ما قال قوم من الكفار وقوله وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا من كسر
استانف ومن نصب عطف على قوله وانه تعالى جد ربنا ونصب ذلك بقوله آمنا وقدر
الباقي فعلا يليق به ويمكن ان يعمل فيه كما قال الشاعر اذا ما الغانيات برزن
يوما وزججن الحواجب والعيونا على تقدير وكحلن العيونا قال مجاهد وقتادة
ارادوا بسفيههم ابليس والشطط السرف في ظلم النفس والخروج عن الحق فاعترفوا
بان ابليس كان يخرج عن الحد بما يغري به الخلق ويدعوهم الى الضلال وقوله
وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اخبار عن اعترافهم بانهم ظنوا ان
لا يقول احد من الجن والانس كذبا على الله في اتخاذ الشريك معه والصاحبة والولد
وان ما يقولونه من ذلك صدق حتى سمعنا القرآن وبينا الحق به وقوله انه كان
رجال من الانس يعوذون برجال من الجن قال الكلبي فالمعنى انه كان رجال
من الانس يعوذون برجال من الانس من اجل الجن لان الرجال لا يكون الا في الناس
دون الجن ومن قال بالاول قال في الجن رجال مثل ما في الناس وقال الحسن وقتادة و
مجاهد كان الرجل من العرب اذا نزل الوادي في سفره قال اعوذ بعزيز هذا الوادي
من شر سفهاء قومه ومعنى يعوذون يستجيرون وهذا اخبار من الله تعالى عن نفسه
دون الحكاية عن الجن والعياذ الاعتصام وهو الامتناع بالشيء من لحاق الشر والرجال
جمع رجل وهو الذكر البالغ من الذكران والانسان يقع على الذكر والمرأة والصغير والكبير
ثم يفصل كل واحد بصفة يخصه ويميزه من غيره وقوله فزادوهم رهقا اي اثما الى
اثمهم الذي كانوا عليه من الكفر والمعاصي في قول ابن عباس وقتادة وقال
مجاهد يعني طغيانا وقال الربيع وابن زيد يعني فرقا وقيل سفها قال الزجاج

يجوز ان يكون الجن زادوا الانس ويجوز ان يكون الانس زادوا الجن رهقا والرهق
لحاق الاثم واصله اللحوق ومنه راهق الغلام اذا لحق حال الرجال قال الاعشى
لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقا اي لم يغش اثما
ثم حكى تعالى انهم ظنوا كما ظننتم معاشر الانس ان لن يبعث الله احدا اي لا يحييه
يوم القيامة ولا يجازيه وقال الحسن هم المشركون من الجن كما ظن المشركون من
الانس ان لن يبعث الله احدا فجحدوا بالبعث والنشور واستبعدوه وذلك مع اقرارهم
بالنشأة الاولى لانهم راوا الامارة مستمرة في النشأة الاولى ولم يروها في النشأة الثانية
ولم ينعموا النظر فيعلموا ان من قدر على النشأة الاولى يقدر على النشأة الاخرى
وقال قتادة ظنوا ان لن يبعث الله احدا رسولا ثم حكى ان الجن قالت انا لمسنا السماء
اي مسسناها بايدينا وقال الجبائي معناه انا طلبنا الصعود الى السماء فعبر عن ذلك
باللمس مجازا وانما جاز من الجن طلب الصعود مع علمهم بانهم يرمون بالشهب لتجويزهم
ان يصادفوا موضعا يصعدون منه ليس فيه ملك يرميهم بالشهب او اعتقدوا ان ذلك
غير صحيح ولم يصدقوا من اخبرهم بانهم رموا حين ارادوا الصعود فوجدناها ملئت
حرسا شديدا وشهبا نصب حرسا على التمييز وشديدا نعته وشهبا عطف على حرسا فهو نصب
ايضا على التمييز وتقديره ملئت من الحرس ومن الشهب والشهب جمع شهاب وهو نور يمتد
من السماء من النجم كالنار قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين والحرس جمع حارس وقيل ان السماء لم تحرس قط الا لنبوة او عقوبة عاجلة
عامة ثم حكى انهم قالوا ايضا انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا
رصدا اي لم يكن فيما مضى يمنع من الصعود في المواضع التي يسمع منها صوت الملائكة وكلامهم
وسمع ذلك فالان من يستمع منا ذلك يجد له شهابا يرمى به ويرصد وشهابا نصب على انه
مفعول به ورصدا نعته ثم حكى انهم قالوا انا لا ندري بظهور هذه الآية العجيبة اشر اريد

بمن في الارض من الخلق اي هلاكا لهم بكفرهم وعقوبة على معاصيهم ام اراد بهم ربهم رشدا
وهداية الى الحق بان بعث نبيا فان ذلك خاف عنا وقال قوم ان الشهب لم تكن قبل
النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانما هو احداث عند بعثة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقال
اخرون الشهب معلوم انها كانت فيما مضى من الزمان ولكن كثرت في زمن النبي عليه السلام وقيل
لا انها لم تكن اصلا قال البلخي الشهب كانت لا محالة غير انها لم تكن تمنع بها الجن عن
صعود السماء فلما بعث النبي عليه السلام منع الجن من الصعود قوله تبارك وتعالى
وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ
فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ
بَخْسًا وَلَا رَهَقًا وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا
رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم
مَّاءً غَدَقًا لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا وَأَنَّ
الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ
عَلَيْهِ لِبَدًا قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا عشر آيات قرأ اهل الكوفة
ويعقوب وسهل يسلكه بالياء بمعنى يسلكه الله الباقون بالنون على وجه الاخبار منه
تعالى عن نفسه بنون العظمة وقرأ ابو جعفر وعاصم وحمزة قل انما ادعو ربي على لفظ الامر
الباقون قال على الخبر عن ماض وقرأ هشام بن عمار عن ابن عامر لبدا بضم اللام الباقون
بكسر اللام واللبدة واللبدة بمعنى واحد وجمع اللبدة لبد مثل ظلمة وظلم وجمع اللبدة
لبد ويقال لابد ولبد مثل راكع وركع يقول الله تعالى في تمام الحكاية عما
قالت الجن الذين استمعوا سماع القرآن فانهم قالوا وانا منا الصالحون وهم الذين عملوا الطاعات
وهي صالحة لانه عمل ما يصلح به حاله في دينه واما المصلح فهو فاعل الصلاح الذي يقوم به
امر من الامور ولهذا يوصف تعالى بانه مصلح ولا يجري وصفه بانه صالح والصلاح استقامة الحال

المدح

المدح عليه والثواب كما يختلف استحقاق الشكر بالنعم ففي النعم ما يستحق به العبادة ومنها
ما لا يستحق به ذلك وان استحق به الشكر فلذلك قال ومنا دون ذلك والمعنى ان منا
الصالحين في رتب عالية ومنا دون ذلك في الرتبة وقوله كنا طرائق قددا قال
ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني على مذاهب مختلفة مسلم وكافر وصالح ودون الصالح
والطرائق جمع طريقة وهي الجهة المستمرة مرتبة بعد مرتبة والمعنى هاهنا انا كنا في
طرق مختلفة والقدد جمع قدة وهي المستمرة بالقد في جهة واحدة والقدد متضمن بجعل
جاعل وهو القد وليس كذلك الطريقة في تضمين الصفة وانما هي كالمذهب الذي
يمكن فيه على استمرار الى حيث انتهى اليه والمعنى انا كنا على طرائق متباينة كل فرقة
تباين صاحبتها كما يباين المقدود بعضه من بعض وقوله انا ظننا ان لن نعجز الله
في الارض فالظن هاهنا بمعنى العلم والمعنى انا ايقنا بان علمنا انه لا يفوت الله شيء
بذهب في الارض ولا اذا هرب منه بسائر ضروب الهرب واعترفوا ايضا فقالوا وانا
لما سمعنا الهدى يعنون القرآن الذي فيه هدى كل حي آمنا به اي صدقناه ثم قالوا فمن
يؤمن بربه اي من يصدق بتوحيد الله ويعرفه على صفاته فلا يخاف بخسا اي نقصانا
فيما يستحقه من الثواب ولا رهقا اي ولا يخاف ظلما فالرهق لحاق السرف في الامر
وكانه قال لا يخاف نقصا قليلا ولا كثيرا وذلك ان الاجر والثواب موفر على اتم ما يكون
فيه وقال ابن عباس معناه لا يخاف نقصا من حسناته ولا زيادة في سيئاته وهو قول
الحسن وقتادة وابن زيد والمعنى فمن يؤمن بربه فانه لا يخاف ثم قالوا ايضا وانا
منا المسلمون يعني الذين استسلموا لما امرهم الله به وانقادوا له ومنا القاسطون يعني
الجائرون عن طريق الحق والقاسط الجائر والمقسط العادل ونظيره الترب الفقير والمترب
الغني واصله التراب فالاول ذهب ماله حتى قعد على التراب والثاني كثر ماله حتى صار كالتراب
والقاسط العادل عن الحق والمقسط العادل الى الحق ثم قال فمن اسلم لما امر الله به وانقاد له

فاولئك تحروا رشدا اى قصد واطريق الصواب فالتحرى تحرى اصابة الحق قال امرؤ القيس
ديمة هطلاء فيها وطف طبق الارض تجرى وتدر ثم قال تعالى واما القاسطون
يعنى العادلون عن طريق الحق فكانوا لجهنم حطبا اى استحقوا بذلك ان يكونوا وقود
النار يوم القيامة يحرقون فيها وقوله وان لو استقاموا على الطريقة اخبار من الله
تعالى عن نفسه وقيل ان ان يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة فيكون محمولا على الوحى
فكانه قال اوحى الى ان لو استقاموا وفصل لو بينها وبين الفعل كما فصل السين ولا فى
قوله علم ان سيكون منكم مرضى وقوله ان لا يرجع اليهم ويحتمل ان تكون لو بمنزلة
اللام فى قوله لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة
لنغرينك بهم فيقطع مرة ويلحق اخرى لان لو بمنزلة فعل الشرط فكما لحقت اللام زائدة
قبل ان الداخلة على الشرط قبل فعل الشرط كذلك لحقت ان قبل لو ومعنى
وان لو استقاموا احد امرين احدهما لو استقاموا على طريقة الهدى بدلالة
قوله ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم وقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من
السماء والارض ولكن كذبوا الثانى لو استقاموا على طريقة الكفر بدلالة قوله
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة وقيل
انه دخلت ان فى وان لو استقاموا لانه جواب القسم ويجوز ان يحذف كما قال الشاعر
فاقسم لو شىء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا وقال آخر
والله ان لو كنت حرا وما بالحر انت ولا العتيق والاستقامة الاستمرار فى جهة العلو
والمستقيم من الكلام المستمر على طريقة الصواب وهو نقيض المحال والاستقامة على
طريق الحق التى يدعوا اليها العقل طاعة الله والعقى على هذا فى قول اكثر المفسرين
انه لو استقام العقلاء على طريقة الهدى واستمروا عليها وعملوا بموجبها لجازاهم على ذلك

بان اسقاهم ماء غدقا اى كثيرا والغدق بفتح الدال المصدر وبكسرها اسم الفاعل وفى
ذلك ترغيب فى الهدى قال الفراء معناه وان لو استقاموا على طريقة الكفر لفعلنا بهم
ما ذكرناه تغليظا للمحنة فى التكليف ولذلك قال لنفتنهم فيه اى نختبرهم بذلك
ونبلوهم به وغدق المكان يغدق غدقا اذا كثر فيه الماء والندى وهو غدق فى قول
العجاج وقوله لنفتنهم فيه معناه لنختبرهم معاملة المختبر فى شدة التعبد بتكليف
الانصراف عما يدعوا شهواتهم اليه على ما يقتضيه الحكمة وفى ذلك الفتنة والمحنة الشديدة
والمثوبة على قدر المشقة فى الصبر عما تدعوا اليه الشهوة ثم قال تعالى مهددا لهم
ومتوعدا ومن يعرض عن ذكر ربه والمعنى من يعدل عن الفكر فيما يؤديه الى معرفة
الله فى توحيده واخلاص عبادته فالذكر حضور المعنى الدال على المذكور للنفس وضده
السهو ومثله حضور المعنى بالقلب والفكر فى وجوه السؤال عن المعنى طلب الذكر له
والفكر فى البرهان طلب العلم بصحة المعنى المذكور وانه حق عليه عذابا صعدا اى
مصعدا فى العظم وقيل متصعدا قد علاه واطبق عليه ومعناه عذابا اشد العذاب
من قوله سارهقه صعودا فاما قول العرب تنفس الصعدا على وزن فعلاء اكثر
كلامهم ومنه قيل تنفس صعدا مثل وزن غرب والصعود العقبة الشاقة وقال
الفراء الصعود صخرة ملساء فى النار يكلف الصعود عليها فكلما بلغ راسها احدر الى
اسفلها وقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا عطف عند جميع
المفسرين على قوله اوحى كانه قال اوحى الى ان المساجد لله وقال الخليل التقدير
ولان المساجد لله فلا تدعوا مع الله مثل قوله وان هذه امتكم وتقديره ولان هذه
امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون والمعنى الاخبار منه تعالى بان لا تذكروا مع الله
فى المساجد وهى المواضع التى وضعت للصلاة احدا على وجه الاشراك فى عبادته كما يدعوا
النصارى فى بيعهم والمشركون فى الكعبة وقال الحسن من السنة اذا دخل المسجد ان يقول

ونقيضه الجهل وقوله يسلكه

لا اله الا الله لا ادعو مع الله احداً وقيل معناه انه يجب ان يخص بالوحدانية و
قال الفراء والزجاج المساجد مواضع السجود من الانسان الجبهة واليدان والرجلان
وبه قال اصحابنا يعني الى الركبتين والمعنى ان الله ينبغي ان لا يسجد بهذه الاعضاء لاحد سوى
الله تعالى وقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا معناه انه
لما قام محمد صلى الله عليه وآله يدعو الله فيقول لا اله الا الله كادوا يكونون عليه
جماعات متكاثفات بعضها فوق بعض ليزيلوه بذلك عن دعوته باخلاص الالهية
وقال ابن عباس والضحاك معناه ان الجن كادوا يركبونه حرصاً على سماع القرآن
منه وقال الحسن وقتادة معناه تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى
الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه كما قال يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم
والله متم نوره ولو كره المشركون وقال ابن عباس هذا من قول الجن لما رجعوا الى
قومهم اخبروهم بما راوا من طاعة اصحاب رسول الله وائتمامهم به في الركوع والسجود
وهو قول سعيد بن جبير واللبد القطع المتكاثفة على الشيء واحدها لبدة ومنه
اللبد لتكاثف صوفه بعضه على بعض ولبد راسه اذا الصق بعض شعره ببعض
قال عبد مناف بن ربع صابوا بستة ابيات واربعة حتى كانه عليهم جابيا لبدا
فالجابي الجراد الذي يجبي كل شيء باكله ثم حكى ان النبي صلى الله عليه وآله قال
انما ادعو ربي ومن قرا قل فمعناه ان الله امره بان يقول انما ادعو ربي وحده
ولا اشرك به احداً من الاصنام والاوثان والمعبودات منفيا بان لا ان الله تعالى اذا
امره بان يقول فانه يقول لا محالة فقد حصل الامران قوله تبارك وتعالى
قُل اِنّي لا اَملِكُ لَكُم ضَرّاً ولا رَشَداً قُل اِنّي لَن يُجيرَني مِنَ اللهِ اَحَدٌ
وَلَن اَجِدَ مِن دونِهِ مُلتَحَداً اِلّا بَلاغاً مِنَ اللهِ وَرِسالاتِهِ وَمَن يَعصِ اللهَ وَ
رَسولَهُ فَاِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدينَ فيها اَبَداً حَتّى اِذا رَاَوا ما يوعَدونَ

فسيعلمون

فَسَيَعلَمونَ مَن اَضعَفُ ناصِراً وَاَقَلُّ عَدَداً قُل اِن اَدري اَقَريبٌ ما توعَدونَ اَم يَجعَلُ
لَهُ رَبّي اَمَداً عالِمُ الغَيبِ فَلا يُظهِرُ عَلى غَيبِهِ اَحَداً اِلّا مَنِ ارتَضى مِن رَسولٍ
فَاِنَّهُ يَسلُكُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِ رَصَداً لِيَعلَمَ اَن قَد اَبلَغوا رِسالاتِ
رَبِّهِم وَاَحاطَ بِما لَدَيهِم وَاَحصى كُلَّ شَيءٍ عَدَداً ثمان آيات قرا يعقوب ليعلم بضم الياء
الباقون بفتح الياء امر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وعلى آله ان يقول
للمكلفين اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ومعناه اني لا اقدر على دفع الضرر
عنكم ولا ايصال الخير اليكم وانما يقدر على ذلك الله تعالى وانما اقدر على ان ادعوكم
الى الخير واهديكم الى طريق الرشاد فان قبلتم نلتم الثواب والنفع وان رددتموه نالكم
العقاب واليم العذاب ثم قال ايضا قل يا محمد اني لن يجيرني من الله احد اي لا
يقدر ان يجير على الله حتى يدفع عنه ما يريده بي من العقاب فلن اجد ايضا اناس
دونه ملتحدا يعني ملجأ الجأ اليه اطلب به السلامة مما يريد الله تعالى فعله من
العذاب والالم واضافه الى نفسه والمراد به امته لانه لا يفعل قبيحا يستحق العقاب
والمعنى لن من دون الله ملتحدا اي ملجأ يحصن السلامة به مع ارادة الله عقابه وقال
قتادة ملتحدا ملجأ وقوله الا بلاغا من الله ورسالاته معناه لكن املك البلاغ
من الله الذي هو بلاغ الحق ضل من ذهب عنه واعرض عن اتباعه بان ارشد الى
الادلة التي نصبها الله له وامر بالدعاء اليها سائر عباده كما امر انبياءه بتبليغ رسالاته المكلفين
فيكون المعنى لا املك الا بلاغا من الله ورسالاته وقيل يجوز ان يكون المراد
لن يجيرني من الله احد ان لم ابلغ رسالاته فيكون نصب البلاغ على اضمار فعل
من الجزاء كقولك ان لا قياما فقعودا وان لا عطاء فردا جميلا فتكون لا منفصلة
من ان وتقديره ان لا ابلغ بلاغا من الله ورسالاته ثم قال ومن يعص الله
ورسوله بان يخالف ما امره به وارتكب ما نهاه عنه فان له نار جهنم جزاء على ذلك

خالدين فيها اى مقيمين فيها على وجه التابيد والقراء على كسر فان على الابتداء وروى
من طلحة بن مصرف انه فتح على تقدير فجزاوه ان له وقال ابن خالويه سألت ابن
مجاهد عن ذلك فقال لحن وقال بعض اهل النظر زعم ابو عبيد ان ما كان
من قول الجن فهو مكسور نسقا على قوله انا سمعنا ومن فتح فعلى قوله قل اوحى الى وهو
اختيار ابن خالويه وقوله حتى اذا راوا ما يوعدون يعنى ما يوعدون به من العقاب
على المعاصى فسيعلمون عند ذلك من اضعف ناصرا يمنع عنه عقاب الله ومن اقل عددا
ينتصر بهم الكفار ام المؤمنون وقيل معناه احزب الله ام الذين حزبه المشركون
وانما قال من اضعف ناصرا ولا ناصر لهم فى الاخرة لانه جاء على جواب من توهم
انه ان كانت لهم الكرة فناصرهم اقوى وعددهم اكثر ثم قال لنبيه قل ان ادرى اى
قل لهم لست اعلم اقريب ما توعدون به من العقاب ام يجعل له ربى امدا اى غاية ينتهى
اليها بعينها ام يؤخره الله تعالى الى مدة لا يعلمها بعينها الا الله تعالى الذى هو عالم
الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه ربما اطلعه على ما غاب
عن غيره من الخلائق بان يوحى اليه بانباء من الغيب ذكره قتادة فانه يسلك من بين يديه
ومن خلفه رصدا ومعناه ان الله اذا انزل الملك بالوحى ارسل معه رصدا يحفظون
الملك من ان ياتى احد من الجن ويسمع الوحى ونصب رصدا على المفعول كانه قال يجعل رصدا
يسلك من بين يديه ومن خلفه ليعلم ان قد ابلغوا ومعناه ليظهر المعلوم من التبليغ
قال قتادة معناه ليعلم محمد ان الرسل قبله قد ابلغوا رسالات ربهم وقال سعيد
بن جبير ليعلم الرسل ان قد ابلغوا رسالات ربهم وقال مجاهد معناه ليعلم من
كذب بالرسل ان قد ابلغوا رسالات ربهم وقال سعيد بن جبير ليعلم الرسل ان قد
ابلغوا رسالات ربهم على ما احاط بهم محصنين لما ابلغوه من رسالاته وقال الزجاج
ليعلم الله ان قد ابلغوا وقوله واحاط بما لديهم معناه انه يعلم ما عندهم فيحيط بالديهم

٣٦٠

فيصير فى معلومه عين له ما احيط به واحصى كل شىء عددا معناه انه يعلم الاشياء مفصلة
مبين له من جميعها ليعلم ما كان ذلك وقال الزجاج نصب عددا بعمل شيئين احدهما واحصى
كل شىء فى حال العدد فيكون العدد بمعنى المعدود كما يقال المنقوص نقص فلا يخفى
عليه شىء من الاشياء من سقوط ورقة ولا حبة فى ظلمات الارض والثانى ان يكون
بمعنى المصدر وتقديره واحصى كل شىء احصاء وقال الجبائى معنى ليعلم ان قد ابلغوا
اى ليبلغوا رسالات ربهم فيعبر عن المعلوم بالعلم كما يقال ما علم الله ذلك اى ما وجد
لانه لو وجد لعلم الله ذلك واحصى كل شىء عددا معناه انه لا شىء يعلمه الا وهو ذاكر
ذاكر الا وهو تعالى عالم به ومحصى له والاحصاء فعل وليس هو بمنزلة العلم فلا يجوز
ان يقال احصى ما لا يتناهى كما يجوز ان يقال علم ما لا يتناهى لان الاحصاء مثل الحصى
لا يكون الا فعلا متناهيا فاذا لم يجز ان يفعل من الاحصاء ما لا يتناهى لم يجز ان يقال
انه قد احصى ما لا يتناهى كما يقال يجوز ان يفعل ما لا يتناهى فالفرق بينهما واضح

سورة المزمل

مكية فى قول ابن عباس والضحاك وهى عشرون آية فى الكوفى والمدنى الاول
وتسع عشرة فى البصرى وثمانى عشرة فى المدنى الاخير قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ورتل
القرآن ترتيلا انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هى اشد وطأ
واقوم قيلا ان لك فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه
تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على
ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا عشر آيات قرأ ابن عامر وابو عمرو وطاء
بكسر الواو والمد جعلاه مصدرا لوطا يواطى مواطاة ووطاء ومعناه ان ناشئة

الليل اى عمل ناشئة الليل يواطئ السمع القلب اكثر مما يواطئ ساعات النهار لان البال
افرغ للانقطاع عن كثير مما يشتغل بالنهار الباقون بفتح الواو مقصورة وروى عن الزهري
بكسر الواو مقصورة ومنه قوله عليه السلم اللهم اشدد وطأتك على مضر رب المشرق
بالجر كوفى غير حفص ويعقوب بدلا عن ربك الباقون بالرفع على الاستيناف فيكون
رفعا بالابتداء وخبره لا اله الا هو ويجوز ان يكون خبر الابتداء بتقدير هو رب
المشرق هذا خطاب من الله تعالى للنبى عليه السلم وقيل ان المؤمنين داخلون فيه
على وجه التبع قوله الله يا ايها المزمل ومعناه الملتف فى ثيابه يقال تزمل فى
ثيابه فهو متزمل اذا التف والاصل متزمل فادغم التاء فى الزاى لان الزاى قريبة
المخرج من التاء وهو ابلغ فى المسموع من التاء وقال قتادة معناه المتزمل بثيابه
وقال عكرمة المتزمل بعب النبوة وكل شئ لف فقد زمل قال امرؤ القيس
كان ثبيرا فى عرانين وبله كبير اناس فى بجاد مزمل ، يعنى كبير اناس مزمل فى
بجاد وهو الكساء وجره على المجاورة للبجاد وقوله قم الليل الا قليلا امر
الله تعالى النبى بقيام الليل الا القليل منه وقال الحسن ان الله فرض على النبى والمؤمنين
ان يقوموا ثلث الليل فما زاد فقاموه حتى تورمت اقدامهم ثم نسخ تخفيفا عنهم
وقال غيره هو نفل لم ينسخ لانه لو كان فرضا لما كان مخيرا فى مقاديره ذكره
الجبائى واما بين تخفيف النفل وقال قوم الرغبت فيه قيام ثلث الليل او نصف
الليل كله الا القليل واما ان ترغب بالاية فى قيام جميعه لانه تعالى قال الا قليلا اوالليل
نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه يعنى على النصف وقال الزجاج نصفه
بدل من الليل كقولك ضربت زيدا راسه والمعنى قم نصف الليل الا قليلا او انقص
منه قليلا والمعنى قم نصف الليل او انقص من نصف الليل او زد على نصف الليل
وذلك قبل ان تتعبد بالخمس صلوات وقال ابن عباس والحسن وقتادة كان بين

اول

اول السورة وآخرها الذي نزل فيه التخفيف سنة وقال سعيد بن جبير عشر سنين
وقال الحسن وعكرمة نسخت الاية الاولى والاولى ان يكون الكلام على ظاهره
ويكون جميع ذلك على ظاهره مرغبا فى جميع ذلك الا انه ليس بفرض وان كانت سنة
موكدة والنصف احد قسمى الشئ المساوى للآخر فى المقدار والقليل من الشئ الناقص
عن قسمه الآخر وكلما كان انقص كان احق باطلاق الصفة وما لا يعتد به من النقصان
لا يطلق عليه قليل وقوله ورتل القرآن ترتيلا امر من الله تعالى بان يرتل
القراءة والترتيل ترتيب الحروف على حقها فى تلاوتها وتثبت فيها والحدر هو الاسراع
فيها وكلاهما حسنان الا ان الترتيل هاهنا هو المرغب فيه وقال مجاهد معناه
ترسل فيه ترسلا وقال الزجاج معناه بينه تبيينا اى بين جميع الحروف وذلك
لا يتم بان يعجل فى القراءة وقوله انا سنلقى عليك قولا ثقيلا اخبار من الله تعالى
لنبيه انه سيطرح عليه قولا ثقيلا وقال الحسن وقتادة معناه انه يثقل العمل به للمشقة
فيه وقال ابن زيد معناه العمل به ثقيل فى الميزان والاجر ليس بخفاف وقيل
معناه قول لا عظيم الشان كما تقول هذا الكلام رصين وهذا قول له وزن
اذا كان واقعا موقعه وقوله ان ناشئة الليل هى اشد وطأ قال مجاهد
ناشئة الليل ساعات التهجد من الليل وقال الحسن وقتادة هو ما كان بعد
العشاء الآخرة وعن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم انهما قالا هو القيام اخر
الليل الى صلاة الليل وقال قوم ناشئة الليل ابتداء عمل الليل شيئا بعد شئ الا انه
والناشئة الظاهرة حدوث شئ بعد شئ واضافته الى الليل توجب انه من عمل الليل
الذى يصلح ان ينشأ فيه وقوله هى اشد وطأ من قرأ بالفتح مقصورا قال
معناه لقوة الفكر فيه اسكن موقعا وقيل هو اشد من عمل النهار وقال
مجاهد معناه واطأ اللسان القلب مواطأة ووطاء والوطاء المهاد الذلل للتقلب

عليه فكذلك عمل الليل الذي هو اصلح له فيه تمهيد التصرف في الحيل وضروب
الحكم ووجوه المعاني وقوله واقوم قيلا اي اشد استقامة وصوابا بالفراغ البال
وانقطاع ما يشغل القلب والحق ان عمل الليل اشد ثباتا من عمل النهار واثبت في القلب
من عمل النهار والاقوم الاخلص استقامة لانه يتمثل الحق على ما فيه استقامة و
فيه اضطراب وقد يقل ذلك ويكثر وهو في الاول ظاهر كما هو في الخط فيه
الحرف المقوم وفيه الحرف المضطرب وقال ابن زيد معناه اقوم قراءة لفراغه من شغل
الدنيا وقال الكسائي معناه اصوب وقال مجاهد معناه اثبت وقوله ان لك في النهار
سبحا طويلا قال قتادة معناه ان لك يا محمد في النهار متصرفا ومتقلبا اي ما تقضي
فيه حوائجك وقرا يحيى بن يعمر بالخاء وكذلك الضحاك ومعناه التوسعة يقال
سبخت القطن اذا وسعته للندف ويقال لما تطاير من القطن وتفرق عند الندف
سبائخ والسبح المر السهل في الشيء كالمر في الماء والسبح في عمل النهار هو المر في العمل
الذي يحتاج فيه الى الضياء واما عمل الليل فلا يحتاج فيه الى ضياء لمكان ذلك العمل
كالفكر في وجوه البرهان وتلاوة القرآن وقال الجبائي في نوادره لك في النهار
سبحا اي نوما وقال الزجاج معناه ان فاتك شيء بالليل فلك في النهار فراغ
تقضيه ثم قال لنبيه عليه السلام واذكر اسم ربك بعض اسماء الله الحسنى
التي تعبدك الله بالدعاء بها وتبتل اليه تبتيلا اي انقطع اليه انقطاعا فالتبتل الانقطاع
الى عبادة الله ومنه مريم البتول وفاطمة البتول لانقطاع مريم الى عبادة الله وانقطاع
فاطمة عن القرين ومنه قول الشاعر وان تكلمك تبتل اي تقطع
كلامها دونا دونا وقيل الانقطاع الى الله تامل الخير من جهته دون غيره
وجاء المصدر على غير الفعل كما قال انبتكم من الارض نباتا وقيل تقديره وتبتل
نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موقع مقاربه وقوله رب المشرق والمغرب من

رفع

رفع فعلى انه خبر ابتداء محذوف وتقديره هو رب المشرق ومن جر جعله بدلا من
قوله ربك وتقديره اذكر اسم رب المشرق والمغرب وهو مطلع الشمس وموضع طلوعها
ورب المغرب يعني موضع غروبها هو المتصرف فيها والمدبر لما بينهما لا اله الا هو اي لا احد تحق
له العبادة سواه فاتخذه وكيلا اي حفيظا للقيام بامرك فالوكيل الحفيظ بامر
غيره وقيل معناه اتخذه كافيا لما وعدك به ثم قال واصبر يا محمد على ما يقولون
هاولاء الكفار من اذاك وما يثقل قلبك واهجرهم هجرا جميلا فالهجر الجميل اظهار
الجفوة من غير ترك الدعاء الى الحق على وجه المناصحة قوله تبارك وتعالى
وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ
كَثِيبًا مَهِيلًا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ
رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا فَكَيْفَ تَتَّقُونَ
إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا إِنَّ
هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا تسع آيات لما امر الله تعالى النبي
عليه السلام بالصبر على اذى قومه وان يهجرهم هجرا جميلا قال على وجه التهديد
للكفار وذرني يا محمد والمكذبين الذين يكذبونك فيما تدعوهم اليه من التوحيد
واخلاص العبادة والاعتراف بالبعث والنشور والثواب والجزاء كما يقول القائل
دعني واياه اذا اراد ان يهدده يقال منه دعه يدعه وذره يذره ولا يستعمل ماضيه
ولا ماضي يدع ولا يقال وذر ولا ودع استغني بقولهم ترك عن ذلك لان
الابتداء بالواو عندهم مكروه ولذلك ابدلوا منها الهمزة في قولهم اقتت والاصل
وقتت وقالوا اخمة والاصل وخمة وكذلك كل ما يصرف منه مما في اوله واو
الا في قولهم ودع من الدعة فلم يستغنوا عنه بتارك وقوله اولي النعمة معناه

ذوي النعمة اى اصحاب النعمة والنعمة بفتح النون اللين والملمس وضدها الخشونة ومعنا
وذرني والمكذبين ارضى لعقاب المكذبين لست تحتاج الى اكثر من ذلك
كما يقال دعني واياه فانه يكفيه ما يريد من غير تقصير مما يقع به وهذا تهديد شديد
وقوله ومهلهم قليلا اى اخرهم فى المدة قليلا فالمهيل التاخير فى المدة وقد
يكون التاخير فى المكان فلا يسمى تمهيلا فاذا كان فى المدة فهو تمهيل كما اذا اخر
فى الاجل تاجيل اخر وقوله ان لدينا انكالا اى قيودا فى قول مجاهد وقتادة
واحدها نكل وجحيما اى نارا عظيمة وجحيم اسم من اسماء جهنم وطعاما ذا غصة
قال ابن عباس معناه ذا غصة بشوك ياخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج وقيل
معناه ياخذ بالحلقوم لخشونته وشدة تكرهه وعذابا اليما اى عقابا موجعا مؤلما
ثم بين متى يكون ذلك فقال يوم ترجف الارض اى اعتدنا هذه الانواع من العذاب
فى يوم ترجف الارض اى تتحرك باضطراب شديد والجبال اى وترجف الجبال
معها ايضا وكانت الجبال كثيبا مهيلا قال ابن عباس تصير الجبال رملا سائلا
متناثرا فالكثيب الرمل المجتمع الكثير ومهيل مفعول من هلت الرمل اهيله
وذلك اذا حركت اسفله فسال اعلاه ويقال مهيول كما يقال مكيل ومكيول
والهيال الرمل انهيالا والغصة تردد اللقمة فى الفم لا يسيغها الذى يروم اكلها
قال الشاعر لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى
يقال غص بريقه يغص غصصا وفى قلبه غصة من كذا وهى كاللذعة لا تسيغ
معها الطعام ولا الشراب وقوله انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم اخبار من
الله تعالى وخطاب للمكلفين فى عصر النبى صلى الله عليه وعلى آله ومن بعده بانه ارسل
اليهم رسولا يدعوهم الى عبادته والاخلاص فى توحيده شاهدا عليكم يشهد عليهم ان قبلوا
وعليهم ان لم يقبلوا كما ارسلنا اى ارسلناه اليكم مثل ما ارسلنا الى فرعون رسولا

فعصاه
يعني موسى بن عمران عليه السلام ثم اخبر عن فرعون فعصى فرعون الرسول يعني
موسى فلم يقبل منه ما امره به ودعاه اليه فاخذناه اخذا وبيلا اى اخذا وبيلا
شديدا عقوبة له على عصيانه موسى رسول الله وكل ثقيل وبيل ومنه كلا
مستوبل اى متوخم لا يستمرا لثقله ومنه الوبل والوابل وهو المطر العظيم القطر
ومنه الوبال وهو ما يغلظ على النفس واصله الغلظ قال طرفة
فمرت كهاة ذات خيف جلالة عقيلة شيخ كالوبيل يلندد الوبيل هاهنا الغليظ
من العصى وكهاة ناقة مسنة الخيف جلد الضرع ويلندد شديد الخصومة وقوله
فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا معناه كيف تتقون ان كفرتم يوما
عقاب يوم يجعل الولدان شيبا ان كفرتم بالله وجحدتم نعمه وكذبتم رسوله عليه السلام
وانما يجعل الولدان وهم الاولاد الصغار شيبا لشدته وعظم اهواله كما يقال
قد حدث امر يشيب منه النواصي وقيل يوما يجعل الولدان شيبا على وجه المثل
والشيب جمع اشيب يقال شاب الانسان يشيب شيبا اذا ابيض شعره ثم زاد فى صفة
شدة ذلك اليوم ايضا فقال السماء منفطر به اى منصدع لشدة ذلك اليوم
وانما لم يقل منفطرة لانه جرى على طريق النسبة اى ذات انفطار ولم يجر على طريق فاعله
كما قالوا امراة مطفل اى ذات طفل وقال الزجاج تقديره السماء منفطر
بالله منفطر به وقال الحسن معناه السماء منفطر به وقال غيره السماء منفطر
بذلك اليوم من شدته وقال هو معناه متشقق بالامر الذى يجعل الولدان
شيبا والسماء تؤنث وتذكر فمن ذكر اراد السقف وقوله كان وعده مفعولا
معناه ان ما وعد الله به فلا بد من كونه فلذلك عبر عنه بلفظ الماضى فكانه قد وجد
ثم قال ان هذه تذكرة اى هذه القصة التى ذكرناها وبيناها تذكرة اى عظة
لمن انصف من نفسه وفكر فيها فان التذكرة التبصرة وهى الموعظة التى يذكر بها ما يعمل

عليه وقوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا معناه ان من شاء من المكلفين اتخذ الى ثواب
ربه سبيلا لانه قادر على الطاعة التي لو فعلها وصل الى الثواب والله تعالى قد دعاه الى
ما يوصله اليه ورغبه فيه وبعث رسوله يدعوه ايضا اليه وان لم يفعل فبسوء اختياره
انصرف عنه **قوله تبارك وتعالى** ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطايفة من الذين معك والله يقدر الليل
والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القران علم ان
سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون فضلا من فضل
الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلاة وآتوا
الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند
الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ، آية واحدة
قرا نافع وابو عمرو وابن عامر بكسر الفاء والثاء يعني ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل ومن نصفه ومن ثلثه اي وادنى من نصفه وادنى من ثلثه الباقون
بالنصب يعني انك تقوم ادنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه وثلث يخفف ويثقل
لغتان ومثله ربع وعشر قال ابو عبيدة الاختيار الخفض في ثلثه ونصفه لانه قال
علم ان لن تحصوه فكيف يقدرون ان يقوموا نصفه او ثلثه وهم لا يحصونه وقال
غيره ليس المعنى على ما قال وانما المعنى علم ان لن يطيقوه يعني قيام الليل فخفف الله ذلك
قال والاختيار النصب لانه اوضح في النظر لانه قال لنبيه قم الليل الا قليلا نصفه
من الليل كله الا شيئا يسيرا ينام فيه وهو الثلث والثلث يسير عند الثلثين ثم قال
نصفه اي قم نصفه او انقص منه قليلا اي قم نصفه واكتفى بالفعل الاول من الثاني
لانه دليل عليه او انقص من النصف قليلا الى الثلث او زد هكذا الى الثلثين جعل موسعا
عليه في الناس من قال هذه الآية ناسخة لما ذكر في اول السورة من الامر بقيام

الليل

٣٦٤

الليل الا قليلا او نصفه او انقص منه وقال آخرون انما نسخ ما كان فرضا الى ان صار
نفلا وقيل قلنا ان الامر في اول السورة على وجه الندب فكذلك هاهنا فلا يحتاج
الى ناسخ حتى ينسخ بعضها ببعض يقول الله تعالى لنبيه ان ربك يا محمد يعلم انك
تقوم اقل من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه وتقوم طايفة من الذين معك على الايمان
والله يقدر الليل والنهار لتعملوا فيه بالصواب على ما يامركم به علم ان لن تحصوه قال
الحسن معناه علم ان لن تطيقوه فتاب عليكم اي لم يلزمكم اثما كما لا يلزم التايب اي رفع
التبعة فيه كرفع التبعة عن التايب وقيل معناه علم ان لن تحصوه عليكم ما تعنتم
فيه وذلك يقتضي التخفيف عنكم فاقرؤا ما تيسر من القران علم ان سيكون منكم
مرضى وذلك يقتضي التخفيف عنكم وقوله وآخرون يضربون في الارض اي ومنكم قوم
آخرون يضربون يسافرون في الارض طالبين فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله
اي ومنكم قوم آخرون يقاتلون في سبيل الله وكل ذلك يقتضي التخفيف عنكم فاقرؤا
ما تيسر منه واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ومعناه اقيموا الصلاة بحدودها التي
اوجبها الله عليكم واستمروا عليها واعطوا ما وجب عليكم من الزكوة المفروضة واقرضوا
الله قرضا حسنا اي وانفقوا في سبيل الله والجهات التي امركم بها وندبكم الى النفقة
فيها وسمى ذلك قرضا تلطفا في القول لان الله تعالى من حيث انه يجازيهم على ذلك
بالثواب صار مستقرضا منهم ما يدعوهم اليه وانما قال حسنا اي على وجه لا يكون فيه
وجه من وجوه القبح ثم قال وما تقدموا لانفسكم من خير اي ما فعلتم من الطاعات
تجدوا ثوابه وجزاءه عند الله وقوله هو خيرا واعظم اجرا اي تجدوه خيرا لكم
وهو افضل واعظم ثوابا وهو عطف على خير ثم قال واستغفروا الله من معاصيكم
معاشر المكلفين ان الله غفور اي ستار لذنوبكم صفوح لاجرامكم اذا تبتم واقلعتم و
رجعتم اليه رحيم بكم منعم عليكم وقال ابن زيد الفرض في الاية النوافل سوى الزكاة

واقل من نصفه ومن ثلثه يعني
جزء ذلك ومن نصب فمعناه
انك تقوم اقل من ثلثي الليل

سورة المدثر

مكية في قول ابن عباس وقال الضحاك هي مدنية وهي خمسون وست آيات في الكوفي والبصري والمدني الاول وخمس في المدني الاخير وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن اول ما نزل من القرآن يا ايها المدثر وحكى ذلك ابو سلمة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله جاورت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا فنظرت عن شمالي فلم ار شيئا فنظرت امامي فلم ار شيئا فنظرت خلفي فلم ار شيئا فرفعت راسي فرايت شيئا فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا قال فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر وقال الزهري اول ما نزل قوله اقرا باسم ربك الذي خلق

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ

عشر آيات ﴿ هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله يقول يا ايها المدثر واصله المتدثر فادغمت التاء في الدال لانها من مخرجها مع ان الدال اقوى بالجهر فيها يقال تدثر تدثرا ودثره تدثيرا ودثر الرسم يدثر دثورا اذا امحى اثره فكانه قال يا ايها الطالب صرف الاذى بالدثار اطلبه بالانذار وقوله قم فانذر امر من الله تعالى له ان يقوم وينذر قومه والانذار الاعلام بموضع المخافة ليتقى فلما كان لا مخافة اشد من الخوف من عقاب الله كان الانذار منها اجل الانذار وتقديره قم الى الكفار فانذرهم من النار وقوله وربك فكبر منصوب بكبر والتكبير وصف الاكبر على اعتقاد معناه كتكبير المكبر في الصلاة بقوله الله اكبر والتكبير نقيض التصغير ومثله التعظيم والكبير الثاني هو المختص باتساع المقدور والمعلوم من غير تابع من الوجود

فالله

فالله تعالى قادر لا يعجزه شيء وعالم لا يخفى عليه شيء لا يمنعه من الجود على عباده شيء فهو اكبر من كل كبير بانه لا يساويه شيء واختصاصه بالمقدور والمعلوم بانه ما صح من مقدور او معلوم فهو قادر عليه عالم به فهو لنفسه كبير واكبر من كل كبير سواه وقوله وثيابك فطهر اي فطهر ثيابك فهو منصوب به والطهارة النظافة بانتفاء النجاسة لان النظافة قد تكون بانتفاء الوسخ من غير نجاسة وقد تكون بانتفاء النجاسة فالطهارة في الاية هو القسم الاخير وقال ابن عباس وثيابك فطهر معناه من لبسها على معصية كما قال سلامة بن غيلان الثقفي انشده ابن عباس ﴿ واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع ﴾ وقال الزجاج معناه لا تكن غادرا فانه يقال للغادر دنس الثياب اي لا تعص قط وقيل معناه شمر ثيابك وفي رواية عن ابن عباس وابرهيم وقتادة ان معناه وثيابك فطهر من الذنوب وقال ابن سيرين وابن زيد اغسلها بالماء وقيل معناه وثيابك فطهر للصلاة فيها وقوله والرجز فاهجر منصوب بقوله فاهجر وقال الحسن كل معصية رجز وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهري معناه فاهجر الاصنام وقال ابرهيم والضحاك الرجز الاثم وقال الكسائي الرجز بكسر الراء العذاب وبضمها الصنم والوثن وقالوا المعنى اهجر ما يؤدي الى العذاب ولا يعرف احد بينهما الا فرق ﴿ وقرا حفص ويعقوب وسهل الباقون بالكسر لانهما لغتان مثل الذكر والذكر او يا قاله الكسائي وقال قوم الرجز بالضم الصنم وقال كان الرجز صنمين اساف ونائلة نهى الله تعالى عن تعظيمهما وقوله ولا تمنن تستكثر قال ابن عباس وابرهيم والضحاك وقتادة ومجاهد معناه لا تعط عطية لتعطى اكثر منها وقال الحسن والربيع بن انس معناه لا تمنن حسناتك على الله مستكثرا لها فينقص ذلك عند الله وقال ابن زيد معناه لا تمنن ما اعطاك الله من النبوة والقرآن مستكثرا به الاجر من الناس وقال مجاهد معناه لا تضعف في عملك

تستكثر الطاعات وقال قوم معناه لا تمنن على الناس بما تنعم به عليهم على
سبيل الاستكثار ينهى لذلك وقال جماعة النحويين ان تستكثر في موضع
الحال ولذلك رفع واجاز الفراء الجزم على ان يكون جوابا للنهي والرفع هو الوجه
والمن ذكر النعمة بما يكدرها ويقطع حق الشكر بها يقال من بعطائه يمن منا اذا
فعل ذلك فاما من على الاسير اذا اطلقه فهو قطع اسباب الاعتقال عنه ويقال
لمن انعم على وجه المن لانه يهدم المنزلة واصل القطع من قوله لهم اجر غير
ممنون اي غير مقطوع والاستكثار طلب الكثرة استكثر فلان من المال والعلم
والمراد هاهنا هو طلب ذكر الاستكثار بالعطية وقوله ولربك فاصبر قال ابرهيم
من اجل ربك فاصبر على عطيتك وقال مجاهد لاجل الله فاصبر على اذى المشركين
وقيل معناه ولربك فاصبر على ما امرك به من اداء الرسالة وتعليم الدين وما ينالك
من الاذى والتكذيب فاحمله لتنال الفوز من الله بالنعيم والصبر الذي هو طاعة
الله هو الصبر على الضرر الذي يدعوا اليه العقل لان ما يدعوا اليه العقل فالله
العقل يريده لانه يدلنا دعانا الامر الى العقل والسبب الذي يقوى به على الصبر هو
التمسك بداعي العقل دون داعي الطبع لان العقل يدعوا بالترغيب فيما ينبغي ان
يرغب فيه والطبع داعي الهوى يدعوا الى خلاف ما في العقل وقوله فاذا نقر في الناقور
معناه اذا نفخ في الصور وهو كهيئة البوق في قول مجاهد وقيل ان ذلك في اول
النفخة الثانية والناقور على وزن فاعول من النقر كقولهم حاسوم من الحسم النفختين وهو اوله
وحاطوم من الحطم وهو الذي من شانه ان ينقر فيه للتصويت به وقوله فذلك
يومئذ يعني اليوم الذي ينقر في الناقور يوم عسير اي يوم شديد عسير على الكافرين
لعنهم الله الجاحدين لانه غير يسير فاليسير القليل الكلفة ومنه اليسار وهو كثرة
المال لقلة الكلفة به في الانفاق ومنه تيسير الامر تسهيله وقلة الكلفة فيه وقال

الزجاج قوله يوم عسير ينتصب بقوله فذلك المعنى فذلك يوم عسير يوم النفخ في الصور ويجوز
ان يكون نصبا على معنى فذلك يوم عسير في يوم ينفخ في الصور ويجوز الرفع وانما بني
على الفتح لاضافته الى اذ لان اذ غير متمكنة قوله تبارك وتعالى
ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا
ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سارهقه صعودا انه فكر وقدر
فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر
فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر خمس عشرة آية يقول
الله تعالى لنبيه على وجه التهديد للكافر الذي وصفه ذرني ومن خلقت وحيدا ومعناه
دعني واياه فاني كافيك في عقابه كما تقول العرب دعني واياه لا ان الله تعالى يجوز عليه
المنع حتى يقول دعني واياه ولكن المعنى ما قلناه وقوله وحيدا قال الزجاج يحتمل
ان يكون من صفة الخالق ويحتمل ان يكون من صفة المخلوق فاذا حملناه على صفة الخالق
كان معناه دعني ومن خلقته متوحدا بخلقه لا شريك لي في خلقه وحملته على الاوصاف
التي ذكرناها واذا حمل على صفة المخلوق كان معناه ومن خلقته في بطن امه وحيدا لا شيء
له ثم جعلته كذا وكذا ذكره مجاهد وقتادة وقوله وجعلت له مالا ممدودا
اي مالا كثيرا له مدد اي شيئا بعد شيء فوصفه بانه ممدود يقتضي هذا المعنى وقال
مجاهد وسعيد بن جبير نزلت الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي وقالا كان ماله الف
دينار وقال سفيان كان ماله اربعة آلاف دينار وقال النعمن بن سالم كان ارض
وقال عطاء عن عمر كان غلة شهر بشهر وقال مجاهد كان بنوه عشرة وبنين
شهودا اي واولادا ذكورا حضورا معه يتمتع بمشاهدتهم وينتفع بحضورهم وقيل
كان بنوه لا يغيبون عنه لغناهم عن ركوب السفر في التجارة بخلاف من هو غائب عنهم
وقوله ومهدت له تمهيدا اي سهلت له التصرف في الامور تسهيلا وقد يكون

التسهيل من التمهيد لنفي الحزن بها وقد يكون لما يتصرف فيه من المبالغة وقوله ثم يطمع
ان ازيد اى لم يشكرني على هذه النعم وهو مع ذلك يطمع ان ازيد في انعامه والتمهيد
والتوطئة والتذليل والتسهيل نظاير ثم قال تعالى على وجه الردع والزجر عن ارادته
كلا كانه قال ارتدع عن هذا او انزجر كما ان صه بمنزلة اسكت ومه بمنزلة اكفف
وانما هي اصوات سمي الفعل بها فكانه قال انزجر فليس الامر على ما يتوهم ثم بين
لم كان كذلك فقال انه كان لاياتنا اى انا لم افعل به ذلك لانه كان لحججنا وادلتنا
عنيدا اى معاندا فالعنيد الذاهب عن الشيء على طريق العداوة لم يقال عند العرق
يعند عنودا هو عاند اذا نفر وهو من هذا والمعاندة منافرة المضادة وكذلك
العناد وهذا الكافر يذهب عن آيات الله ذهاب نافر عنها وقيل يعني عنيد جحود
اى جحود بتكذيب المعاند في قول ابن عباس وقتادة وقيل معناه معاندا وبعير
عنود اى نافر قال الشاعر اذا نزلت فاجعلوني وسطا اني كبير لا اطيق
العندا اى نفرا وقوله سارهقه صعودا فالارهاق الاعجال بالعنف ارهقه
يرهقه ارهاقا وارهقه يرهقه رهقا اذا لحقه باعجال العنف والصعود العقبة التي
يصعب صعودها وهي الكوود والكدود في ارتقائها ونقيض الصعود الهبوط
وقيل صعود جبل من نار في جهنم يؤخذون بارتقائه فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها
وكذلك مر — عادت دجلاء في خبر مرفوع وقيل صعود جبل في جهنم من نار يضرب بالمقامع
حتى يصعد عليه ثم يضرب حتى ينزل ذلك دابه ابدا ثم قال انه فكر اى فكر
فكرا يحتال به للباطل لانه لو فكر على وجه طلب الرشاد لم يكن مذموما بل كان
ممدوحا ولذلك مدح الله قوما فقال ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون اى على
وجه طلب الحق وقوله وقدر اى قدر فقال ان قلنا شاعر كذبتنا العرب
باعتبار ما اتى به وان قلنا كاهن لم تصدقونا لان كلامه لا يشبه كلام الكهان

فقول

الله تعالى فقتل اى لعن كيف قدر
هذا ثم كرر تعالى فقال

فيقول ساحر ياثر ما اتى به عن غيره من السحرة فقال ثم قتل كيف قدر معناه اى عوقب
بعقاب بعد عقاب آخر كيف قدر من ابطال الحق تقديرا آخر وقيل لعن بما يجري مجرى
القتل وقيل قتل الخراصون وقال الحسن هو شتم من الله لهذا الكافر وقوله
ثم نظر نظر من يبكي الحق ويدفعه ولو نظر طلبا للحق كان ممدوحا وكان نظره صحيحا
وقوله ثم عبس اى قبض وجهه تكرها للحق يقال عبس يعبس عبوسا فهو
عابس وعباس فالعبوس والتكلح والتقطيب نظاير في اللغة وضده الطلاقة
والبشاشة وقوله وبسر فالبسور بدو التكره الذي يظهر في الوجه واصله
من قولهم بسر بالامر اذا عجل به قبل حينه ومنه البسر لتعجيل حاله قبل الارطاب
قال توبة وقد رابني منها صدود رايته واعراضها عن حاجتي وبسورها
فكانه قيل قبض وجهه وبدا التكره فيه وقوله ثم ادبر فالادبار الاخذ في
جهة الدبر خلاف جهة الاقبال وتعبر قبلك ادبار وهذا اقبال يقال دبر يدبر
دبورا وادبر ادبارا وتدبر نظر في عاقبة الامر ودبره اى عمله على احكام
العاقبة وكل ماخوذ من جهة الخلف وقوله واستكبر اى طلب كبرا ليس
له ولو طلب كبرا هو له لم يكن مذموما وفي صفات الله تعالى الجبار المتكبر
لان له الكبرياء وهو كبر الشان في اعلى المراتب لاختصاصه باتساع مقدوراته
والمعلوم في اعلى المراتب وقيل ان الوليد قال في القران والله ليعلو وما يعلى
وما هو بشعر ولا كهانة ولكنه سحر يؤثر من قول البشر والسحر حيلة يخفى
سببها يوهم الشيء على خلاف ما هو به وذلك منفي عن كل ما يشاهد ويعلم انه قد
خرج عن العادة مما لا يمكن عليه معارضة ولو كان القران من قول البشر لامكنهم
ان ياتوا بمثله كما لو كان قلب العصا حية من فعل ساحر لامكن ان ياتوا بمثله
ثم قال يعني الوليد ان هذا الا قول البشر اى ليس هذا الا قول البشر وليس

من كلام الله عنادًا منه وبهتانًا قوله تبارك وتعالى سأصليه سقر
وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما
جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا
ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب
الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون
ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء
وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر كلا والقمر و
الليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر إنها لإحدى الكبر ح عشر آيات
قرأ نافع وحمزة وحفص عن عاصم إذ أدبر بإسكان الذال وقطع الهمزة من أدبر الباقون
إذا بفتح الذال والألف معها ودبر بغير ألف وهما لغتان قيل هو مثل قبل
وأقبل فالاختيار عندهم دبر لقوله إذا أسفر ولم يقل إذا أسفر لأن ابن عباس
قال لعكرمة حين دبر الليل لأن العرب تقول دبر فهو دابر وحجة نافع هاهنا
وأدبر النهار من هاهنا فقد أفطر الصائم قال أبو عبيدة أدبر ولى
ودبر جاء خلفي لما حكى الله تعالى صفات الكافر الذي ذكره وهو الوليد
بن المغيرة وأنه فكر وقدر إلى أن قال إن هذا إلا سحر يؤثر وهو قول
البشر قال الله تعالى مهددًا له ومتوعدًا سأصليه سقر أي ألزمه جهنم والصلاء
الزام موضع الزام موضع النار أصلاه يصليه إصلاء واصطلى فهو مصطل اصطلاء
وصلاه يصليه وأصله اللزوم وسقر اسم من أسماء جهنم ولم ينصرف للتعريف
والتأنيث وأصله من سقرته الشمس تسقره سقرا إذا آلمت دماغه وقد سميت
النار سقر لشدة إيلامها ومنه الصقر بالسين والصاد لأن شدة في فيه كشدة
الألم أي صيحة وقوله وما أدراك ما سقر تعظيما للنار وتهويلا لها أي

ابن مسعود بزيادة الف
ومن قال دبر وادبر فهما سو

وحجة قول النبي صلى الله عليه وآله
إذا أقبل الليل ...

ولم يملك الله سقر على كيفها وصفتها ثم وصف بعض صفاتها فقال لا تبقي ولا تذر
وقال مجاهد معناه لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا وقال غيره لا تبقي
أحدا من أهلها إلا تناولته ولا تذره من العذاب والابتلاء ترك شيء ما أخذ يقال
أبقى شيئا يبقيه إبقاء وأبقاه الله أي أطال مدته والباقي هو الشيء الموجود وقوله
لواحة للبشر أي مغيرة لجلد الإنسان الذي هو البشرة في قول مجاهد وقال
المورج لواحة يعني حراقة وبه قال الفراء وقال غيرهما معناه تلوح لجميع الخلق
حتى يروها كما قال وبرزت الجحيم لمن يرى لأنه لا يجوز أن يصفها بأنها تسود
البشرة مع قوله إنها لا تبقي ولا تذر والتلويح تغيير اللون إلى الاحتراق فالنار
تغير بشرة أهلها إلى الاحتراق يقال لوحته الشمس تلوحه تلويحا فهي لواحة على
المبالغة في كثرة التلويح والبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد ومنه سمي الإنسان بشرا
لأنه ظاهر الجلد يتعرى من الوبر والريش والشعر الذي يكون في غيره من الحيوان
في غالب أمره وقوله عليها تسعة عشر أي على سقر تسعة عشر من الملائكة والفائدة في
هذه العدة لتوافق صحة الخبر لما جاء به الأنبياء قبله صلى الله عليهم ويكون في ذلك
مصلحة للمكلفين وقد بين ذلك بقوله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما
جعلنا أي لم نجعل من يتولى تدبير النار إلا من الملائكة ولم نجعلهم على هذه
العدة إلا فتنة أي محنة وتشديدا في التكليف للذين كفروا نعم الله وجحدوا
ربوبيته ليلزمهم النظر في ذلك فلما كانت هذه العدة التي حملت عليها الملائكة
يظهر مثلها بما كان في نفس الكافر مما يقتضيه كفره كان فتنة له لأن الفتنة
هي المحنة التي تخرج ما في النفس من خير أو شر بإظهارها حاله كإظهار الحكاية للمحكي
والملك عبارة عمن كان على خلاف صورة الجن والإنس من المكلفين وقال
قوم لا يكون ملكا إلا رسولا لأنه من الرسالة كما قال الحطيئة

الكفر اليها وخبر الرسول اعلم بنواحي الخبر • واصل ملائك بالهمز كما قال الشاعر
فلست لانسي ولكن بملاك تنزل من جو السماء يصوب • والملك عظيم الخلق شديد
البطش كريم النفس والاصل نفسه منشرحة بالطاعة انشراح الكريم بالجود في اصله
من الوجود ووجه دلالة هذه العدة من الملائكة على نبوة النبي صلى الله عليه وعلى آله
هو انه اذا كان الله عز وجل قد اخبر به في الكتب المتقدمة ولم يكن محمد عليه السلم
ممن قراها ولا تعلمها من احد من الناس دل على ان الله اعلمه وانه لم عليه واخبر به
ابانه به من جميع الخلق ليدل على صدقه ثم مع انه احق الاشياء التي اخبر بها على
هذه الصفة وقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب معناه جعلنا عدتهم
على هذه الصفة فالذي يعلم اهل الكتاب يقينا ان محمدا صادق من حيث اخبر
بما هو في كتبهم من غير قراءة لكتبهم ولا تعلم منهم ويزداد بذلك ايضا المؤمنون
الذين عرفوا الله ايمانا مضافا الى ايمانهم ووجه الحجة على الكفار بتكليفهم
ان يستدلوا حتى يعرفوا ان الله تعالى قادر على ان تقوى هذه العدة من الملائكة
بما هي بتعذيب اهل النار على تمام عليه من الكثرة ولا يرتاب اي لا يشك الذين
اوتوا الكتاب في خبره ولا يرتاب ايضا المؤمنون في خبره وقوله ليقول
الذين في قلوبهم مرض ومعناه لئلا يقول الذين في قلوبهم شك ونفاق ماذا اراد الله
بهذا مثلا اي اي شيء اراد الله بهذا مثلا وقيل اللام في قوله وليقول الذين
في قلوبهم مرض لام العاقبة كما قال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
فقال الله تعالى كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اي مثل ما فضح
الله هؤلاء الكفار وذمهم مثل ذلك يضل من يشاء من الكفار والاضلال
هاهنا اظهار فضيحة الكفار بما يوجب الذم ومعناه الحكم عليهم بالضلال عن الحق
والاخبار بانهم يستحقون اللعن لتكذيبهم النبي وما انزل عليه وتقبيحه الهداية

٣٦٩ اي يحكم بهداية المؤمنين الى الحق وتصييرهم الى الطاعة وتصديقهم بالحق عند ما دعاهم
وقبولهم له وقال ابن عباس وقتادة والضحاك عدة الملائكة الموكلين بالنار
في التوراة والانجيل تسعة عشر ثم اخبر تعالى انه لا يعلم جنود الله الا الله ثم قال
وما هي الا ذكرى للبشر قيل معناه ان النار في الدنيا تذكر بالنار في الاخرة وقال
قتادة ومجاهد النار الموصوفة بهذه الصفة ذكرى للبشر وعظة لهم وقال
البلخي الا ذكرى للبشر اي الجنود ذكرى اي عظة للبشر لان الله تعالى لا يحتاج
الى ناصر ولا معين ثم قال كلا والقمر اي حقا ثم اقسم بالقمر والليل اذ ادبر
قال معناه اذا ولى يقال دبر وادبر وقد قرئ بهما وقيل اذا دبر النهار
بان جاء بعد النهار وآخره وتقول العرب قبح الله ما قبل منك وما دبر والصبح
اذا اسفر اي اضاء وانار في قول قتادة وهو قسم آخر وقال قوم التقدير ورب
هذه الاشياء لان اليمين لا يكون الا بالله وقال قوم معنى قوله والصبح اذا اسفر
اي كشف عن الظلام وانار الاشياء وقوله انها لاحدى الكبر جواب
القسم وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك معناه ان النار لاحدى الكبر
وقال قوم ان هذه الاية لاحدى الكبر والكبر جمع الكبرى وهي العظمى
وروي عن ابن كثير انه قرا انها لحدى الكبر لا همزة ولا يكسر يسقط الهمزة
تخفيفا كقولهم في ويل الاحمر ويلحمر وفي اصحاب الايكة اصحاب ليكة والاختيار
قطع الالف لان العرب اذا حذفت مثل هذا نقلت حركة الهمزة الى ما قبلها واللام
قبل هذه الهمزة متحركة واللام في الاحكام التعريف ساكنة قوله تعالى
نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر كل نفس بما كسبت رهينة الا
اصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم
نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب

بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة
معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن
شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة
احدى وعشرون آية قرأ نافع وابن عامر وابو جعفر مستنفرة بفتح الفاء الباقون
بكسرها ومعناهما متقارب لان من فتح الفاء اراد انه ينفرها غيرها ومن كسر الفاء
اراد انها نافرة وانشد الفراء امسك حمارك انه مستنفر في اثر احمرة عمدن لغرب المغرّب
والنفور الذهاب عن الخوف بانزعاج تقول نفر الشيء ينفر نفورا فهو نافر والنافر
خلاف الآلف واستنفر طلب النفور فهي مستنفرة طالبة النفور وقرأ نافع و
يعقوب وما تذكرون بالتاء على الخطاب الباقون بالياء على الخبر لما اخبر الله تعالى
ان الآية التي ذكرها لاحدى الكبر بين انه بعث النبي نذيرا للبشر اي منذرا مخوفا
معلما مواضع المخافة والنذير الحكيم بالتحذير مما ينبغي ان يحذر منه فكل نبي نذير
لانه حكيم بتحذيره عقاب الله تعالى على معاصيه ونذيرا نصب على الحال وقال
الحسن انه وصف النار وقال ابن زيد هو وصف النبي وقال ابو رزين هو من صفة
الله تعالى فمن قال هو النبي قال كانه قيل قم نذيرا وقوله لمن شاء منكم ان
يتقدم او يتأخر معناه ان هذا الانذار متوجه الى من يمكنه ان يتقي عذاب النار
بان يجتنب معاصيه ويفعل طاعاته فيقدر على التقدم والتأخر في امره بخلاف
ما تقوله المجبرة الذين يقولون بتكليف ما لا يطاق لمنع القدرة وقال قتادة
معناه لمن شاء منكم ان يتقدم الى طاعة الله او يتأخر عنها بمعصيته والمشية هي الارادة
وقوله كل نفس بما كسبت رهينة ومعناه ان كل نفس مكلفة مطالبة بما عملته
وكسبته من طاعة او معصية فالرهن اخذ الشيء بأمر على ان لا يرد الا بالخروج منه

رهنه يرهنه رهنا قال زهير وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فامسى
الرهن قد غلقا وكذلك الشحنا وكل الضلال قد احاط والرهن لا فكاك له قال
الجبائي في ذلك دلالة على القائلين باستحقاق الذم لا لامر الا ان كان بالكسب
في هذا الموضع وهم يزعمون انه يرتهن بان لم يفعل ما وجب عليه من غير كسب
شيء كان منه فكانت الآية حجة على فساد مذهبه وهذا الذي ذكره ليس بصحيح لان
الذي في الظاهر ان الانسان رهن بما كسب بلاء ولم يقل ولا يرهن الا بما هو كسب
له الا من جهة دليل الخطاب الذي هو فاسد عند اكثر الاصوليين على ان الكسب هو
ما يجتلب به نفع او يندفع به ضرر ويدخل في ذلك الفعل والا يفعل فلا تعلق
في الآية ولما ذكر تعالى ان كل نفس بما كسبت رهينة استثنى من جملة النفوس
اصحاب اليمين والاستثناء منقطع لان اصحاب اليمين ليسوا من الضلال الذين
هم رهن بما كسبوه وتقديره لكن اصحاب اليمين في جنات اي بساتين اجتها
الشجر واصحاب اليمين هم كل من لم يكن من الضالين وقال الحسن هم اصحاب
الجنة وقال قوم هم الذين ليس لهم شيء من الذنوب وقال قوم هم اطفال المؤمنين
وقوله يتساءلون اي يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين العصاة في طاعة الله
فيقولون لهم ما سلككم في سقر اي ما ادخلكم في جهنم فالمجرم هو القاطع
بالخروج من امر الله ونهيه الى ارتكاب الكبائر من القبيح والجارم القاطع
والسلوك الدخول وسقر اسم من اسماء جهنم ثم حكى ما يجيبهم به اصحاب النار فانهم
يقولون لهم ادخلنا في النار لانا لم نك من المصلين اي لم نك نصلي ما اوجب
علينا من الصلاة المفروضة على ما قررها الشرع وفي ذلك دلالة على ان الاخلال
بالواجب يستحق به الذم والعقاب لانهم لم يقولوا انا فعلنا تركنا الصلاة بل علقوا
استحقاقهم العقاب بالاخلال بالصلاة وفيها دلالة على ان الكفار مخاطبون بالعبادات

لان ذلك حكاية عن الكفار بدلالة قوله في آخر الآية وكنا نكذب بيوم الدين
وقوله ولم نك نطعم المسكين اي لم نكن نخرج الزكوة التي وجبت علينا والصدقات
التي يلزمنا دفعها الى المساكين وهم الفقراء فالمسكين الذي سكنه الحاجة الى ما في
ايدي الناس عن حال النشيط وحال الفقير اشد من حال المسكين قال الله تعالى
اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فسماهم الله مساكين مع ان لهم مركبا
في البحر قال الشاعر اما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد
وكنا نخوض مع الخائضين قال قتادة معناه كلما غوى غاو بالدخول في الباطل
غوينا معه اي كنا نلوث انفسنا بالمرور في الباطل كتلويث الرجل بالخوض فلما
كان هولاء يجرون مع من يكذب بالحق مشيعين لهم في القول كانوا خائضين
معهم وكنا مع ذلك نكذب بيوم الدين اي كنا نجحد يوم الجزاء وهو يوم القيامة
فالتكذيب نسبة الخبر الى الكذب باعتقاد ذلك فيه والحكم به وانما اعتقدوا
ان الخبر بكون يوم الدين كذب والدين الجزاء وهو الايصال الى كل من له شيء او عليه
شيء ما يستحقه فذلك يوم الدين وهو يوم الجزاء وهو يوم اخذ المستحق بالعدل وقوله
حتى اتانا اليقين معناه حتى جاءنا العلم واليقين العلم الذي يوجد برد الثقة به في
الصدر ولذلك يقال وجد فلان برد اليقين وثلج في صدره ولذلك لا يوصف
الله تعالى بانه متيقن فقال الله تعالى لهم فما تنفعهم شفاعة الشافعين
الذين يشفعون لهم من عذاب الكفر لان يسقط الله بالشفاعة بالاجماع ثم قال
فما لهم عن التذكرة اي اي شيء بهم ولم اعرضوا وتولوا عن النبوة والرشد ولم يعطوا
به الى ان صاروا الى جهة الضلال على وجه العناد عليهم ثم شبههم فقال
مثلهم مثل الحمر المستنفرة اي مثلهم في النفور عما ندعوهم اليه من الحق واعراضهم مثل
الحمر اذا نفرت ومرت على وجهها اذا فرت من قسورة وهو السبع يعني الاسد يقال

نفر واستنفر بمعنى مثل علا منه واستعلاه وسمع اعرابي رجلا يقرأ كانهم حمر مستنفرة
فقال طلبها قسورة فقيل له ويحك ان في القرآن فرت من قسورة قال مستنفرة
اذا فالفرار الذهاب عن الشيء خوفا منه فر يفر فرا وفرارا ومنه قال اذا هرب والفار
الهارب والهرب نقيض الطلب واصل الفرار الانكشاف عن الشيء ومنه فر الفرس يفر
فرا اذا كشف عن سنه والقسورة الاسد وقيل هو الرامي الصيد واصله الاخذ بالشدة
من قسره يقسره قسرا اي قهره قال ابن عباس القسورة الرماة وقال سعيد بن
جبير هم القناص وفي رواية اخرى عن ابن عباس جماعة الرجال وقال ابو هريرة
هو الاسد وهو قول زيد بن اسلم وفي رواية عن ابن عباس وابن زيد والقسورة
بعيرها ثابت وقوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة لما اخبر
الله تعالى بانهم ليسوا كالحمر المستنفرة الفارة من القسورة بل لان كل رجل منهم يريد
ان يعطى صحفا منشرة قال الحسن وقتادة ومجاهد انهم يريدون صحفا منشرة اي
كتبا تنزل من السماء كتابا الى فلان وكتابا الى فلان ان آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله
وقيل انهم قالوا كانت بنوا اسرائيل اذا اذنب منهم مذنب انزل الله كتابا ان فلانا
اذنب فما بالنا لا ينزل علينا مثل ذلك ان كنت صادقا به والصحف جمع صحيفة وهي الورقة
التي من شانها ان تقلب من جهة الى جهة لما فيها من الكتابة ويجمع الصحيفة صحفا و
صحائف ومنه المصحف ومصاحف والنشر بسط ما كان مطويا او ملففا من غير الضاير
وقيل معناه انهم يريدون صحفا من الله تعالى بالبراءة من العقوبة واسباغ النعمة
حتى يؤمنوا والا قاموا على امرهم وقيل تفسيره ما ذكره الله في قوله ولن نؤمن
لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه فقال الله تعالى كلا اي حقا ليس الامر على ما قالوا
بل لا يخافون الآخرة لجحدهم صحتها ثم قال كلا انه تذكرة يعني القرآن
وتبصرة لمن يعمل به وانتفع بادلته وهو قول قتادة ثم قال فمن شاء ذكره اي من
وموعظة

شاء ان يتعظ بما فيه وهو يذكر به فعل لانه قادر عليه ثم قال وما يذكرون الا ان يشاء
الله من قرا بالتاء فعلى الخطاب ومن قرا بالياء فعلى الاخبار عنهم ومعناه ليس يذكرون
ولا يتعظون بالعذاب الا ان يشاء الله ومعناه الا ان يشاء الله لانه طاعة والله يريد الطاعات
من خلقه وقوله هو اهل التقوى واهل المغفرة معناه هو اهل ان يتقى عقابه واهل
ان يعمل بما يؤدي الى مغفرته وقيل معناه هو اهل ان يغفر للعاصي اذا تاب من معاصيه

سورة القيامة

مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي اربعون آية في الكوفي وتسع وثلثون في البصري والمدنيين

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا اُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيٰمَةِ وَلَا اُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ اَيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ
بَلٰى قٰادِرِينَ عَلٰى اَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ بَلْ يُرِيدُ الْاِنْسَانُ لِيَفْجُرَ اَمَامَهُ يَسْئَلُ اَيَّانَ
يَوْمُ الْقِيٰمَةِ فَاِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ
الْاِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ اَيْنَ الْمَفَرُّ عشر آيات قرا برق بفتح الراء اهل المدينة
وابان عن عاصم الباقون بكسر الراء وقرا القواس عن ابن كثير لاقسم باثبات
القسم وجعل اللام لام تاكيد واقسم والاختيار لمن قصد هذا لاقسمن وقد روي
ذلك عن الحسن قال لان الله تعالى اقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة وقال
مقاتل لم يقسم الله تعالى بالقيامة الا في هذه السورة فقط الباقون لا اقسم بنفي اليمين
في اللفظ واختلف في ذلك النحويون فقال ابو عبيدة والكسائي لا صلة والتقدير
اقسم وقال قوم لم يزل العرب لا ابتداء لكن لانها ها هنا رد لقوم انكروا البعث
وكفروا بالتنزيل فقال الله لا اي ليس كما تقولون ثم قال اقسم بيوم القيامة
قال ابن خالويه لا تنقسم اربعين قسما ذكرته في كل معرفة قوله لا اقسم معناه اقسم

ولا صلة في قول سعيد بن جبير وقال ابن عباس لا تاكيد كقولك لا والله وبلى
والله ما كان كذا او كذا فانه قال لا اقسم بيوم القيامة ما الامر على ما توهموه والقسم
تاكيد الخبر بالجعل في حيز المحقق والمعنى اقسم بيوم القيامة ويوم القيامة هو
النشأة الاخيرة التي تقوم فيها الناس من قبورهم للجزاء او وقت الى حين القيامة
ويومها يوم عظيم على خطر عظيم جسيم وقوله ولا اقسم بالنفس اللوامة فهم ثابت
ومعناه معنى الاول وقال الحسن اقسم تعالى بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة بل
نفى ان يقسم بها قال الرماني وهذا ضعيف لانه يخرج عن تشاكل الكلام
وقيل ان جواب القسم محذوف وتقديره ما الامر على ما توهموه وقال قوم
جواب القسم قوله بلى قادرين واللوامة الكثيرة اللوم لعلمها بالامر ونقيض
ما يرضى مما لا يرضى وما يلام عليه مما لا يلام عليه امر كثير من علمه بالاحوال وقال
ابن عباس اللوامة من اللوم وقال مجاهد تلوم على ما فات وقال قتادة
اللوامة الفاجرة بمانه قال لانه اللوم الكثير وقال سعيد بن جبير هي التي تلوم على الخير
والشر وقيل معناها انها لا تصبر على الحق عن الدنيا وشدايدها فهي كثيرة اللوم فيها
وقال الحسن اللوامة هي التي تلوم نفسها على ما ضيعت من حق الله يوم القيامة وهي
نفس الكافر وقيل معناها انها تلوم نفسها في الاخرة على الشر لم عملته وعلى الخير هلا
استكثرت منه وقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه صورته صورة الاستفهام
ومعناه الانكار على من انكر البعث والنشور فقال الله ايظن الانسان الكافر
ان لن نجمع عظامه ويعيده الى ما كانت اولا ثم قال ليس الامر على ما ظنه بل نجمعها
بلى قادرين على ان نسوي بنانه قال ابن عباس نجعل يده كخف البعير او حافر الحمار فيتناول
المأكول بفيه ولكننا فضلناه وقال قتادة كخف البعير او حافر الدابة ونصب
قادرين على احد وجهين احدهما على تقدير بلى نجمعها قادرين والاخفش

بلى نقدر قادرين الآية لا يظهر تقدير له لانه قادرين عليه فاستغنى به وقيل معناه بلى
قادرين على ان نسوي بنانه حتى نعيده على ما كان عليه خلقا سويا وقوله بل
يريد الانسان ليفجر امامه اختلف فيه فقال ان الانسان يفجر امامه ومعناه يمضي
امامه راكبا راسه في هواه في قول مجاهد اي فهذا الذي يجاهر على الاعراض
عن مقصود ما دونه فلذلك لا يقر بالبعث والتوحيد وقال الزجاج انه يسوف بالتوبة
ويقدم الاعمال السيئة قال ويجوز ان يكون المراد ليكفر بما قدامه من البعث وقوله
يسأل ايان يوم القيامة معناه ان الذي يفجر امامه يسأل متى يكون يوم القيامة ومعنى ايان
متى الا ان السؤال بمتى اكثر من السؤال بايان فلذلك حسن ان يفسر بها لما دخلها
من الابهام الذي يحتاج فيه الى بيان ما يتصل بمعاني الكلام والسؤال على ضربين
سؤال تعجيز وسؤال طلب التبيين وقوله فاذا برق البصر فالبرق اللمعان يقال
بالشعاع الذي لا يلبث لانه ماخوذ من البرق يقال برق يبرق برقا واما قيل برق
البصر لان ذلك يلحقه عند شدة الامر والبارقة الذي تلمع سيوفهم اذا جردوها كالبرق
وانشد ابو عبيدة للكلابي لما اتاني ابن عمير راغبا اعطيته عيساء منها فبرق
بكسر الراء وانشد الفراء تعالى جنانا طوبا له يقيت بينا من البيرق
فنفسك فانع ولا تنعني وداو الكلوم ولا تبرق بالفتح اي لا تفزع من هول
الجراح وجناية اسم رجل وطوبا له بعينه وقال ابن خالويه من كسر قال لانه يبرق
بالفتح لا يكون الا في الضوء يقال برق البرق اذا لمع وبرق الحنظل فاما برق بالكسر
فمعناه تحير والذي قاله اهل اللغة انهما لغتان وتقول العرب لكل داخل برق اي
دهش وقال الزجاج برق اذا فزع وبرق اذا جاد وقوله وخسف القمر اي ذهب
نوره بغيبة النور عن البصر وخسف وكسف بمعنى كانه يذهب نوره في خسف من الارض
فلا يرى وقوله وجمع الشمس والقمر اي جمعا في ذهاب نورهما بإزاء الانسان والجمع جعل

بدلالة قوله يسأل ايان يوم القيمة فهو يفجر امامه بان يكذب بما قدامه من البعث صح

احد الشيئين مع الآخر والجمع على ثلثة اقسام جمع في المكان وجمع في الزمان وجمع الاعراض
في المحل وجمع الشيئين في حكم او صفة مجاز وقوله يقول الانسان يومئذ اين المفر اخبار
من الله تعالى بان الانسان يقول في ذلك الوقت اين المهرب والفرار على فتح الفاء وروي
عن ابن عباس اين المفر بكسر الفاء قال الزجاج المفر بالفتح الفرار مصدر وبالكسر
مكان الفرار وهذا سؤال تعجيز من وجود مفر يهرب اليه من عذاب الله في ذلك اليوم
وقيل فيه معنى جواب السائل كانه قيل يوم القيامة اذا برق البصر وخسف القمر
وجمع الشمس والقمر والمفر مصدر ويجوز فيه الكسر ومثله مدب ومدب وقال
البصريون الكسر لمكان الفرار وقال الفراء الفتح والكسر لغتان

قوله تبارك وتعالى كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر
ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى
معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع
قرآنه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة خمس
عشرة آية قرأ كلا بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة بالياء فيهما ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر على وجه الاخبار عنهم الباقون بالتاء على وجه الخطاب لهم
لما حكى الله تعالى عن الكافر انه يقول يوم القيامة اين المفر والمهرب حكى
ما يقال له فانه يقال له كلا لا وزر اي لا ملجأ والوزر الملجأ من جبل يتحصن به او غيره
من الحصون المنيعة ومنه الوزير المعين الذي يلجأ اليه في الامور يقال وزرت
الحائط اذا قويته بساتر يعتمد عليه وقال ابن عباس ومجاهد لا وزر معناه
لا ملجأ وقال الحسن لا جبل لان العرب اذا دهمتهم الخيل بغتة قالوا الوزر
يعنون الجبل قال ابن الدمينة لعمرك ما للفتى من وزر من الموت يجنيه والكبر

وقال الضحاك معناه لا حصن وقيل معناه لا منجا يلجؤن اليه وهو مثل الملجأ ثم قال
تعالى الى ربك يومئذ المستقر اى المرجع الذي يستقر فيه ومثله المأوى والمثوب
وخلافه المرتحل والمستقر على وجهين مستقر الى امد ومستقر على الابد وقوله
ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر اى يخبر بجميع ما عمله وما تركه من الطاعات والمعاصي
فالتنبيه بما يعظم شانه وحسن في هذا الموضع لان ما يجري مجرى اللغو والمباح
لا يعتد به في هذا الباب وانما الذي يعظم شانه من عمل الطاعة والمعصية وهو ما يستحق
عليه الجزاء فاما ما وجوده كعدمه فلا اعتداد به والتقديم ترتيب الشئ قبل غيره وضده
التاخير وهو ترتيب الشئ بعد غيره ويكون التقديم والتاخير في الزمان وفي المكان
وفي الرتبة كتقديم المحمد عنه في الرتبة وهو موخر في الذكر كقولك في الدار زيد وكذلك
الضمير في غلامه ضرب زيد وهو مقدم في اللفظ وموخر في الرتبة وقال ابن عباس
معناه بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وقال مجاهد يعني باول عمله واخره
وقال ابن زيد ما اخذ وترك وفي رواية عن ابن عباس وهو قول ابن مسعود
بما قدم قبل موته وما اخر من سنة يعمل بها بعد موته وقيل ما قدم واخر جميع اعماله
التي يستحق بها الجزاء وقوله بل الانسان على نفسه بصيرة اى شاهد على نفسه يلزمه
بالحجة ذكره ابن عباس كما يقال فلان حجة على نفسه وقد قال تعالى اقرأ كتابك
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال الزجاج معناه بل الانسان تشهد عليه جوارحه
كما قال يوم تشهد عليهم والهاء تصلح مثل الهاء في علامة للمبالغة وقيل شهادة
نفسه عليه اولى من اعتذاره وقيل تقديره بل الانسان على نفسه من نفسه بصيرة
جوارحه شاهدة عليه يوم القيامة ولو اعتذر وكان عليه من يكذب عذره وقوله
ولو القى معاذيره معناه ولو اقام الاعذار عند الناس في دار التكليف ولستر
المعاصي بارخاء الستر وقال ابن عباس معناه ولو اعتذر وقال السدي ولو ارخى

الستور

الستور واغلق الابواب وقال الزجاج معناه ولو اتى بكل حجة عنده والمعاذير
النصل من الذنب بذكر العذر واحدها معذرة من قوله لا تنفع الظالمين معذرتهم
وقيل المعاذير ذكر موانع تقطع عن الفعل المطلوب والعذر منع يقطع عن الفعل
بالامر الذي يشق والاعتذار الاجتهاد في تثبيت العذر وقوله لا تحرك به لسانك
لتعجل به قال ابن عباس وسعيد ابن جبير والضحاك كان النبي عليه السلام اذا نزل
عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لحبه اياه فنهاه الله عن ذلك والتحريك تغيير الشئ
من مكان الى مكان او من جهة الى جهة بفعل الحركة فيه والحركة ما به يتحرك المتحرك
والمتحرك هو المتنقل من جهة الى غيرها واللسان آلة الكلام والعجلة طلب عمل الشئ
قبل وقته الذي هو له وضده الاناة وقوله ان علينا جمعه وقرآنه قال ابن عباس والضحاك
معناه ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه عليك حتى يمكنك تلاوته وقال قتادة معناه
ان علينا جمعه في صدرك وتاليفه على ما نزل عليك وقال ابن عباس في رواية اخرى ان
معناه ان علينا قرآنه من حلاله وحرامه تذكرة للخلق وقال قتادة معناه تذكر احكامه
وبيانه لك معناه اذا حفظته وقال البلخي الذي اختاره انه لم يرد القرآن وانما
اراد قراءة العباد لكتبهم يوم القيامة لان ما قبله وبعده يدل على ذلك وليس فيه
شئ يدل على انه القرآن ولا على شئ من الاحكام الدنيا وفي ذلك تقريع للعبد وتوبيخ
له حين لا تنفعه العجلة والقرآن من الضم والتاليف قال عمرو بن كلثوم
ذراعي عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا اى لم يضم رحما على ولد وقوله
فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال ابن عباس معناه اذا قرأناه اى تلوناه فاتبع قراءته بقراءتك
وقال قتادة والضحاك معناه ان يعمل بما فيه من الاحكام والحلال والحرام وقيل معناه
فاذا قرأه جبرئيل عليك فاتبع قراءته والاتباع مراجعة الثاني للاول فيما يقتضيه ومثله
الاقتداء والاحتذاء والائتمام ونقيضه الخلاف والبيان اظهار المعنى للنفس بما يتميز به

ينبغي ان يعمل فيه ونقيضه الابطاء والسرعة عمل الشئ في اوله وقال الذي

من غير ان الشي يبين اذا ظهر و ابانه غيره اى اظهره بيانا و ابانة و نقيض البيان الاخفاء والاغماض وقال قتادة ثم ان علينا بيانه معناه انا نبين لك معناه اذا حفظته وقوله كلا بل تحبون العاجلة معناه الاخبار من الله تعالى ان الكفار يحبون المنافع العاجلة و يركنون اليها و يريدونها و يذرون الاخرة اى و يتركون عمل الاخرة الذى يحظى به الثواب و يفعلون ما يحق به العقاب من المعاصى والمحارم ثم قسم تعالى اهل الاخرة فقال وجوه يومئذ ناضرة اى مشرقة مضيئة فالنضرة الصورة الحسنة التى تملا القلب سرورا عند الروية نضر وجهه ينضر نضرة و نضارة ومن نظائر النضرة مثل البهجة و الطلاقة وضد العبوس والبسور فوجوه المومنين المستحقين للثواب بهذه الصفة بما جعل عليها من النور علامة للخلق والملائكة على انهم مستحقون الثواب وقوله الى ربها ناظرة معناه منتظرة نعمة ربها و ثوابها ان يصل اليهم و ليس فى ذلك تنغيص لان الانتظار انما يكون فيه تنغيص اذا كان لا يوثق بوصوله الى المنتظر وهو محتاج اليه فى الحال والمومنون بخلاف ذلك لانهم فى الحال مستغنون منعمون وهم ايضا واثقون انهم يصلون الى الثواب المنتظر والنظر هو تقلب الحدقة الصحيحة نحو المرئى طلبا لرؤيته و يكون النظر بمعنى الانتظار كما قال تعالى وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة اى منتظرة وقال الشاعر

وجوه يوم بدر ناظرات الى الرحمن يأتى بالفلاح

اى منتظرة للنعمة التى تنزل عليهم وقد يقول القايل انما عينى ممدودة الى الله والى فلان وانظر اليه اى انظر خيره و نفعه و اومل ذلك من جهته وقوله و لا ينظر اليهم يوم القيامة معناه لا ينيلهم رحمته و يكون النظر بمعنى المقابلة ومنه المناظرة فى الجدل ومنه نظر الرحمة اى قابله بالرحمة و يقال دور بنى فلان تتناظر اى تتقابل وهو ينظر الى فلان اى يومله و ينتظر خيره و ليس النظر بمعنى الروية اصلا بدلالة انهم يقولون نظرت الى الهلال

فلم اره فلو كان بمعنى الروية لكان متناقضا ولانهم يجعلون الروية غاية النظر يقولون ما زلت انظر اليه حتى رأيته و لا يجعل الشى غاية لنفسه لا يقال ما زلت اراه حتى رأيته ويعلم الناظر ناظرا ضرورة و لا يعلم كونه رائيا بل يسأل بعد ذلك هل رأيت ام لا و دخول الى فى الاية لا يدل على ان المراد بالنظر الروية و لا تعليقه بالوجوه يدل على ذلك لما انشد نا البيت وفيه تعليق النظر بالوجه و تعديته بحرف الى والمراد به الانتظار وقال جميل بن معمر

و اذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك جدتنى نعما

والمراد بالانتظار التأميل وايضا فانه فى مقابلة قوله فى صفة اهل النار تظن ان يفعل بها فاقرة والمومنون يومنون بحلول الكرامة و ينتظرون الثواب والكفار يظنون العقاب و كله راجع الى فعل القلب ولو سلمنا ان النظر يفيد الروية لجاز ان يكون المراد انها رائية ثواب ربها لان الثواب الذى هو انواع اللذات من الماكول والمشروب والمنكوح تصح رويته ويجوز ايضا ان يكون الى واحد الالاء وفى احدها لغات الا مثل قفا والى مثل معى والى مثل جدى والى مثل حسى فاذا اضيف الى غيره سقط التنوين و لا يكون الى حرفا فى الاية و كل ذلك يبطل قول من اجاز الروية على الله تعالى و ليس لاحد ان يقول ان الوجه الاخير خالف الاجماع اعنى اجماع المفسرين وذلك انا لا نسلم ذلك بل قد قال مجاهد و ابو صالح والحسن و سعيد بن جبير والضحاك ان المراد نظر الثواب وروى مثله عن على عليه السلام وقد فرق اهل اللغة بين نظر الغضبان ونظر الراضى يقولون نظر غضبان ونظر راض و نظر عداوة و نظر مودة قال الشاعر

تخبرنى العينان ما الصدر كاتم ولا جن بالبغضاء والنظر الشزر

والروية ليست كذلك فانهم لا يضيفونها فدل على ان النظر غير الروية والمرئى هو المدرك والروية هى الادراك بالبصرة والرائى هو المدرك و لا تتعلق الروية الا بالالوان او الجواهر و الالوان ومن شرط المرئى

الا على الاجسام

ان يكون هو او محله مقابلا او فى حكم المقابل و ذلك يستحيل عليه تعالى فكيف يجيز الروية عليه

تعالى ثم ذكر القسم الاخر فقال ووجوه يومئذ باسرة يعني وجوه اهل الكفر والعبوس ظهور
الحال الغم في الوجه معجلا له قبل المجازاة عنه وقيل العبوس الا انه ليس فيه معنى التعجيل والفاقرة
الكاسرة لفقار الظهر شدة وقيل الفاقرة الداهية والابدة وقال الحسن ناضرة اي حسنة
وقال مجاهد مسرورة وقال ابن زيد ناعمة وقال مجاهد وقتادة معنى باسرة كاشرة
كالحة وقال مجاهد الفاقرة الداهية وقال ابن زيد الاية يحول النار وقيل ناضرة اي
مشرقة حسنة الى ثواب ربها ناظرة قوله تبارك وتعالى
كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك
يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى اولى
لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني
يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى خمس عشرة اية قرا ابن عامر وحفص ورويس من مني
يمنى بالياء على التذكير ردا الى المني الباقون بالتاء حملا على النطفة يقول الله
تعالى كلا اذا بلغت يعني النفس او الروح ولم يذكر لدلالة الكلام عليه كما قال ما ترك
على ظهرها يعني على ظهر الارض وانما لم يذكر لعلم المخاطب به التراقي جمع ترقوة وهي مقدم الحلق
من اعلى الصدر يترقى اليها النفس عند الموت واليها يترقى البخار من الجوف وهناك يقع الحشرجة
وقوله وقيل من راق فالراقي طالب الشفاء يقال رقاه يرقيه رقيا اذا طلب له شفاء
باسماء الله الجليلة وايات كتابه العظيمة ولما العوذة في دفع البلية بكلمات الله تعالى
وقال ابن قلابة والضحاك وابن زيد وقتادة معنى راق طبيب شاف اي اهله يطلبون له من
يطبه ويشفيه ويداويه فلا يجد ونحوه قال ابن عباس وابو الجوزاء معناه قالت الملائكة من
يرقى بروحه املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وقال الضحاك اهل الدنيا يجهزون البدن
واهل الاخرة يجهزون الروح وهو قوله وظن انه الفراق معناه وعلم عند ذلك انه فراق الدنيا

والعز

والاهل والمال والولد والفراق بعاد الالاف وضيق الوصال يقال فارقه فراقا وتفرقوا افتراقا
وقد صار علما على تفرق الاحباب وشتت الالاف قوم وقوله والتفت الساق بالساق
قال ابن عباس ومجاهد معناه التفت شدة امر الاخرة بامر الدنيا وقال الحسن التفت
حال الموت بحال الحياة وقال الشعبي وابو مالك التفت ساقا الانسان عند الموت
وفي رواية اخرى عن الحسن انه التفاف الساقين في الكفن وقيل ساق الدنيا بساق الاخرة
وهو شدة كرب الموت بشدة هول المطلع وقال الحسن معناه التفت شدة امر الدنيا بشدة
امر الاخرة وقيل معناه اشتداد الامر عند نزع النفس حتى التفت ساق على ساق
عند تلك الحال يقولون قامت الحرب على ساق عند شدة الامر قال الشاعر
فاذا شمرت لك عن ساقها فويها ربيع ولا تسام وقوله الى ربك يومئذ
المساق معناه ان الخلائق يساقون الى المحشر الذي لا يملك فيه الامر والنهي غير الله و
المساق مصدر مثل السوق وقوله فلا صدق ولا صلى قال الحسن معناه لم يصدق
ولم يصل ولكن كذب بالله وتولى عن طاعته وقال قوم فلا صدق بربه ولا صلى
لله ولكن كذب به وتولى عن طاعته وقال قوم معناه فلا صدق بتوحيد الله بل
جحدها ولا تبعه بل كذب به والصدقة العطية للفقراء والزكاة الصدقة الواجبة عن
المال المتعلق بنصاب مخصوص والصلاة عبادة اولها التكبير واخرها التسليم
وفيها قراءة واركان مخصوصة والتولي هو الاعراض عن الشيء فلما كان هذا الجاهل
معرضا عن الحق تاركا الى خلافه من الباطل لزمه الذم بهذا الوصف وقوله
ثم ذهب الى اهله يتمطى فالتمطي تمدد البدن من الكسل كما يكسل مريض او كسل
تثاقل عن الحق والذم بكسل التثاقل عن الداعي الى الحق وقال مجاهد وقتادة
معنى يتمطى يتبختر وقيل الاصل في تمطى يلوي مطاه والمطا الظهر ويجوز ان
يكون من المطيطا وذلك ان يلقي الرجل بيديه ويتكفأ في مشيته وقيل نزلت
النبي در

ولا صلى لربه قال قتادة معناه فلا صدق بكتاب الله

الاية في ابي جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي وقوله اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى قال قتادة هو وعيد على وعيد وقيل معنى اولى لك وليك الشر يا ابا جهل وقيل معناه الذم اولى لك من تركه الا انه حذف وكثر في الكلام حتى صار بمنزلة الويل لك وصار من المتروك المحذوف الذي لا يجوز اظهاره وقيل اولى لك فاولى لك على الاول والذم لك على الثاني والثالث والاولى في العقل هو الحق بالقرب من داعي العقل كانه احق بوليه ثم قال على وجه الوعيد والتهديد للكفار ايحسب الانسان ومعناه ايظن الانسان الكافر بالبعث والنشور الجاحد لنعم الله ان يترك سدى ومعناه ان يترك مهملا عن الامر والنهي فالسدى المهمل من غير امر ولا نهي ولا يكون فيه تقويم له واصلاح لما هو لعوده عليه في عاقبة امره او اجمل به في دنياه وآخرته وقال ابن عباس ومجاهد معنى ان يترك سدى اي مهملا لا يؤمر ولا ينهى وقيل المعنى ايحسب الانسان ان يترك مهملا فلا يؤمر ولا ينهى مع كمال عقله وقدرته ثم قال على وجه التنبيه على ان الله خلقه للتكليف والعبادة وعلى انه قادر على اعادته واحيائه بعد موته الم يك نطفة من مني يمنى فالمني نطفة الذكر التي يجيء منها الولد ثم قال علقة اي قطعة من الدم المنعقد جامدة لا تجري فخلق الله منها هذا الانسان الذي هو في احسن تقويم فسبحان من قدر على ذلك وقوله فخلق فسوى اي خلق من العلقة خلقا سويا شق له السمع والبصر وقال الفراء معنى فسوى فسواه وجعل من ذلك الذي الزوجين الذكر والانثى بعد ان كانوا احياء بلى فالله قادر على ذلك لمن جعل النطفة علقة وخلق العلقة مضغة وخلق المضغة عظاما وكسا العظم لحما ثم انشاه خلقا آخر حيا سليما مركبا فيه الحواس الخمس كل واحدة منها يصلح لما لا يصلح له الآخر وخلق منه الذكر والانثى اللذين يصح منهما التناسل على ما قدره الله لعجب وابدع من اعادة الميت الى ما كان من كونه حيا فمن قدر على

الذكر والانثى فمن قدر على ذلك لا يقدر على ان يحيي

الاول اولى بان يكون قادرا على الثاني فالاحياء ايجاد الحياة والاماتة ايجاد الموت عند من قال ان الموت معنى ومن قال ليس بمعنى قال هو نقض بنية الحي على وجه الاختراع وقوله فجعل منه قيل يعني من الانسان الذكر والانثى وقيل من المني وقال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله اذا ختم السورة قال سبحانك اللهم بلى وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وفي الاية دلالة على صحة القياس العقلي وهو ان من قدر على احياء الانسان قادر على احيائه بعد الاماتة وقال الفراء يجوز في العربية يحيي الموتى بالادغام بان ينقل الحركة الى الحاء وتدغم احدى اليائين في الاخرى وانشد وكانها بين النساء سبيكة تمشي بسدة بيتها فتعيي يريد فتعيي

سورة الانسان

وتسمى سورة الابرار وهي مكية في قول ابن عباس والضحاك وغيرهما وقال قوم هي مدنية وهي احدى وثلثون آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا عشر آيات

قرا سلاسلا منونا نافع والكسائي وابو بكر عن عاصم اتباعا للمصحف ولان كل ما جاء من راس الآية بالواو نصب بغير تنوين لان مثل هذا الجمع لا ينصرف في معرفة ولا في نكرة

لاتيه على فعايل نعته الله حرفان يقول الله تعالى هل اتى على الانسان قال
الزجاج معناه الم يات على الانسان حين من الدهر وقد كان شيئا الا انه لم يكن
مذكورا لانه كان ترابا وطينا الى ان نفخ فيه الروح وقال غيره هل يحتمل معنيين
احدهما ان يكون بمعنى قد اتى والثاني ان يكون معناها الا اتى على الانسان والجواب
حليها الاستفهام والاصل فيها بمعنى قد ليجري على نظايرها بامضى بمعنى الالف واصله
من ذلك قول الشاعر ام هل كبير بكى لم يقض عبرته اثر الاحبة يوم البين
مشكوم والمعنى بالانسان هاهنا آدم في قول الحسن والمعنى قد اتى على آدم حين
من الدهر وبه قال قتادة وسفيان وقيل ان آدم لما خلق الله جثته بقي اربعين
سنة لم ينفخ فيه الروح كان شيئا ولم يكن مذكورا فلما نفخ فيه الروح وبلغ الى ساقه كاد
ينهض للقيام فلما بلغ عينيه ورأى ثمار الجنة بادر اليها ليأخذها فلذلك قال
الله تعالى خلق الانسان من عجل وقال غيره هو واقع على كل انسان والانسان
في اللغة حيوان على صورة الانسانية وقد يكون الصورة الانسانية ولا انسان وقد يكون
حيوان ولا انسان فاذا حصل المعنيان صح انسان لا محالة والحيوان حيوان منتصب
القامة على صورة منفصل من كل بهيمة والحين مقدار من الزمان وقد يقع على القليل
والكثير قال الله سبحانه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون اي وقت
تمسون ووقت تصبحون وقال تؤتي اكلها كل حين يعني كل ستة اشهر وقال
قوم كل سنة وقال هاهنا هل اتى على الانسان حين اي مدة طويلة والدهر مرور
الليل والنهار وجمعه ادهر ودهور والفرق بين الدهر والوقت ان الدهر الوقت
معنى يجعل حاصل لان الله جعل لكل صلاة موقتة وقتا وجعل للصيام وقتا
معينا وقد يجعل الانسان لنفسه وقتا يدرس فيه ما يحتاج الى درسه ووقتا لحضور
الغداء وقوله لم يكن شيئا مذكورا اي لم يكن ممن ذكره ذاكر لانه كان معدوما غير

موجود

موجود وفي الآية دلالة على ان المعدوم لا يسمى شيئا وانما يسمى زلزلة الساعة شيئا
مجازا والمعنى انها اذا وجدت كانت شيئا عظيما وقوله انا خلقنا الانسان من نطفة
اخبار من الله تعالى انه خلق الانسان سوى آدم وحوا من نطفة وهي ماء الرجل والمرأة
الذي يخلق منهما الولد فالنطفة الماء القليل في اناء كان او غير اناء قال الشاعر
وما النفس الا نطفة بقرارة اذا لم يكدر صار صفوا غديرها وقوله امشاج قال
ابن عباس اخلاط من ماء الرجل وماء المرأة وقال الحسن والربيع بن انس ومجاهد مثل ذلك
وقال قتادة معنى امشاج اطوار طورا علقة وطورا مضغة وطورا عظاما الى ان صار
انسانا لتنقله في هذه الصفات وقال مجاهد معناه الوان النطفة وقال عبد الله
عروق النطفة وواحد الامشاج مشيج وهو الخلط وسمى النطفة بذلك لانه جعل فيها
اخلاطا من الطبايع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة
ثم عدلها ثم بناه البنية الحيوانية المعدلة الاخلاط ثم جعل فيها الحياة ثم شق
له السمع والبصر فتبارك الله رب العالمين وذلك قوله فجعلناه سميعا بصيرا وقوله
نبتليه اي نختبره بما نكلفه من الافعال الشاقة لنظهر اما طاعته واما عصيانه
فيجازيه بحسب ذلك ويقال مشجت هذا بهذا اذا خلطته به وهو ممشوج به ومشيج اي
مخلوط به قال رؤبة يطرحن كل معجل نشاج لم يكس جلدا في دم امشاج
وقال ابو ذويب كأن الريش والفوقين منه خلاف النصل سيط به مشيج
وقوله انا هديناه السبيل معناه انا ارشدناه الى سبيل الحق وبيناه له ودللناه عليه
فقال الفراء معناه هديناه الى السبيل او للسبيل والمعنى واحد وقوله اما
شاكرا واما كفورا قال الفراء معناه ان شكر وان كفر على الجزاء ويجوز ان يكون
مثل قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والمعنى اما يختار بحسن اختياره الشكر لله
تعالى والاعتراف بنعمه فيصيب الحق واما ان يكفر نعمه ويجحد احسانه فيكون [illegible]

الصواب وليس المعنى انه مخير في ذلك وانما خرج ذلك مخرج التهديد كما قال فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر بدلالة قوله انا اعتدنا للظالمين نارا وانما المراد البيان عن انه قادر
عليهما فايهما اختار جوزي بحسبه وفي الاية دلالة على انه تعالى قد هدى جميع خلقه المكلفين
لان قوله انا هديناه السبيل عام في جميعهم وذلك يبطل قول المجبرة ان الله لم يهد
الكافر بنصب الدلالة له على طريق الحق واجتناب الباطل وليس كل من ترك الشكر كان كافرا
لانه قد يترك في بعض الاحوال على سبيل التطوع لان الشكر قد يكون تطوعا كما يكون
واجبا وانما لم يذكر الله الفاسق لانه اقتصر على اعظم الخائنين والحق الادون على التبع ويجوز
ان يدخل في الجملة ولا يفرد فليس للخوارج ان يتعلقوا بذلك في انه ليس بين الكفر والايمان واسطة
ثم بين تعالى انما ذكر معلى وجه التهديد بقوله انا اعتدنا للكافرين اي ادخرنا
لهم جزاء على كفرهم ومعاصيهم وعقوبة لهم سلاسل واغلالا وسعيرا نعذبهم بها ونعاقبهم
بها والسلاسل جمع سلسلة والاغلال جمع غل والسعير هي النار المستعرة الملتهبة ولما
اخبر بما للكافرين من العقوبات على كفرهم ذكر ايضا ما للمؤمنين على ايمانهم فقال
ان الابرار وهو جمع البر وهو المطيع لله المحسن في افعاله يشربون من كاس والكاس
اناء الشراب اذا كان فيه ولا يسمى كاسا اذا لم يكن فيه شراب ذكره الزجاج قال الشاعر
صددت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا وقوله كان مزاجها كافورا
قيل ما يمزج به يجعلها من جهة طعمها وقوله عينا يشرب بها عباد الله وقوله
عينا نصب على البدل من كافورا ويجوز ان يكون على تقدير يشربون عينا ويجوز ان
يكون نصبا على الحال من مزاجها وقال الزجاج معناه من عين وقال الفراء شربها
وشرب منها سواء في المعنى كما يقولون تكلمت بكلام حسن وكلاما حسنا وقيل يمزج بالكافور
ويختم بالمسك وقيل تقديره يشربونها والشاهد قول الفراء شربن بماء البحر ثم ترفعت
متى لجج خضر لهن نئيج متى لجج وعين الكافور حفيرة في الارض ينبع منها موضع العين للكافور
اي من لجج

في ارض الجنة في كل بقعة فوارة بالماء متفجرة لحاجاتهم يفجرونها تفجيرا فتجري لهم الى حيث شاؤوا منها
قال مجاهد معناه انهم يقودونها حيث شاؤوا فالتفجير تشقيق الارض بجري الماء ومنه
انفجار الصبح وهو انشقاقه عن الضوء ومنه الفجور وهو الخروج الى شق الاثام للفساد
وعباد الله المراد به المؤمنون المستحقون للثواب ثم وصف هؤلاء المؤمنين فقال
يوفون بالنذر ويخافون ويجوز ان يكون ذلك في موضع الحال فكانه قال يشرب بها عباد الله
الموفون بالنذر الخائفون يوما كان شره مستطيرا المستطير الطائر انما نطعمكم القائلين
انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ويجوز ان يكون على الاستيناف وتقديره الذين
يوفون بالنذر ويخافون فيما بعد فالوفاء بالنذر هو ان يفعل ما نذر عليه فالوفاء امضاء
العقد على الامر الذي يدعوا اليه العقل ومنه قوله يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود
اي الصحيحة لانه لا يلزم احدا ان يفي بعقد فاسد وكل عقد صحيح يجب الوفاء به يقال اوفى بالعهد
ووفى به فاوفى لغة اهل الحجاز وهي لغة القرآن ووفى لغة اهل تميم واهل نجد وقد بينا
فيما مضى شواهده والنذر عقد على فعل على وجه البر بوقوع امر يخاف الا يقع نذرت ونذرا
فهو ناذر قال عنترة الشاتمي عرضي ولم اشتمهما والناذرين اذا لم القهما دمي
اي يقولان لئن لقينا عنترة لنقتلنه ومنه الانذار وهو الاعلام بموضع المخافة ليتقى على
التوقي منها وروي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله انه قال لا نذر في معصية وعند الفقهاء
ان كفارة النذر مثل كفارة الظهار اليمين والذي رواه اصحابنا ان كفارة النذر مثل كفارة
الظهار فان لم يقدر عليه كفارة اليمين والمعنى اذا فات الوقت الذي نذر فيه صار بمنزلة — كان عليه
الحنث وقوله ويخافون يوما من صفة المؤمنين كان شره مستطيرا اي منتشرا فاشيا
ذاهبا في الجهات بلغ اقصى المبالغ قال الاعشى فبانت وقد اسارت في الفواد صدعا
على نأيها مستطيرا والمراد بالشر هاهنا اهوال القيامة وشدائدها وقوله ويطعمون — نأيها
الطعام على حبه قال مجاهد معناه على شهوتهم له ويحتمل ان يكون المراد على حبهم لله

مسكينا اي يطعمونه فقيرا ويتيما وهو الذي لا والد له من الاطفال والاسير هو المأخوذ
من اهل دار الحرب في قول قتادة وقال مجاهد هو المحبوس وقوله انما نطعمكم لوجه
الله اخبار عما يقوله المؤمنون بانا انما نطعمكم معاشر الفقراء واليتامى والاسرى لوجه الله و
معناه لله وذكر الوجه لذكره باشرف الذكر تعظيما لله ومنه قوله فاينما تولوا فثم وجه الله و
قيل معناه فثم جهة الله تعالى وتحكم الالهام وقوله ويبقى وجه ربك اي ويبقى الله وقال
مجاهد وسعيد بن جبير علم الله ما في قلوبهم فاثنى عليهم من غير ان يتكلموا به لا نريد منكم
جزاء اي لا نطلب بهذا الاطعام مكافاة عاجلة ولا شكورا اي ولا نطلب ان تشكرونا عليه
عند الخلائق بل فعلناه لله انا نخاف من ربنا اي من عقابه يوما عبوسا اي مكفهرا قمطريرا
اي شديدا والقمطرير الشديد في الشر وقد اقمطر اليوم اقمطرارا وذلك اشد الايام واطوله
في البلاء والشر ويوم قمطرير وقماطر كانه قد التف شره بعضه على بعض قال الشاعر
بني عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم اذا ما كان يوم قماطر وقد روت الخاصة والعامة
ان هذه الآيات نزلت في علي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فانهم آثروا المسكين
واليتيم والاسير ثلاث ليال على افطارهم وطووا عليهم السلام ولم يفطروا على شيء من
الطعام فاثنى الله عليهم هذا الثناء الحسن وانزل فيهم هذه السورة وكفاك بذلك فضيلة
جزيلة تتلى الى يوم القيامة وهذا يدل على ان السورة مدنية قوله تعالى
فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة
وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم
ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت
قواريرا قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا
عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم
لؤلؤا منثورا واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا عشر آيات

قرأ الشعبي وعبيد بن عمير قدروها بضم القاف الباقون بفتحها من فتح القاف قال
معناه قدروها في انفسهم فجاءت كما قدروا ومن ضم اراد ان ذلك قدر لهم اي قدره الله لهم
كذلك وقرأ نافع والكسائي وابو بكر عن عاصم قواريرا قواريرا بالتنوين فيهما وقرأ
بغير تنوين ولا الف في الوقف حمزة وابن عامر وقرأ الاولى بالتنوين والثاني بغير تنوين
ابن كثير وقرأ ابو عمرو فيهما بغير تنوين الا انه يقف عليه بالالف من الاولى
اتبع المصحف ولانه راس آية ثم كرهوا ان يخالفوا بينهما فنونوا الثاني وكذلك قرأ
الكسائي الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود صرفهما لئلا يخالف بينهما مع قربهما
ومن لم يصرف فيهما فعلى موجب العربية لانه جمع على فواعيل بعد الفه حرفان ومن صرف
الاولى فلانها راس آية ولم يصرف الثاني على اصل العربية لما اخبر الله تعالى عن
المؤمنين الذين وصفهم في الآيات الاولى وما اوجبوا على انفسهم من النذر في الطعام لوجه الله
ما اطعموه وايثارهم على نفوسهم المسكين واليتيم والاسير وانهم فعلوا ذلك لوجه
الله خالصا وخوفا من عذاب يوم القيامة اخبر بما اعد لهم من الجزاء على ذلك فقال
فوقاهم الله شر ذلك اليوم اي كفاهم الله ومنعهم من اهوال يوم القيامة وشدائده
فالوقاء المنع من الاذى يقال وقاه يقيه وقاء فهو واق ووقاه توقية قال رؤبة
ان الموقى مثل ما وقيت ومنه اتقاه اتقاء وتوقاه توقيا والشر ظهور الضرر واصله
الظهور من قولهم اشرت بالكتب الصاحف اي اظهرت ومنه شررت الثوب اذا
اظهرته للشمس او الريح ومنه شرار النار لظهوره بتطايره وانتشاره وقيل الشر
الضرر القبيح ويستعار في غيره وليس ما يوجب هذا والمراد هاهنا اهوال يوم القيامة
وشدائده وانواع عقابه وقوله ولقاهم نضرة وسرورا معنى لقاهم استقبلهم
به والنضرة حسن الالوان ومنه نبت نضر وناضر ونضير والنضار الذهب
وقيل ناضرة ناعمة وقيل حسنة الصورة والسرور اعتقاد وصول المنافع اليه في

في المستقبل وقال قوم هو لذة في القلب تجب متعلقه بما فيه النفع سره يسره سرورا
وكل سرور فلا بد له من متعلق كالسرور بالمال والولد والسرور بالاكرام والاجلال
والسرور بالشكر والحمد والسرور بالثواب وقوله وجزاهم بما صبروا اي كافاهم
وانما يعمهم على صبرهم على محن الدنيا وشدائدها وتحمل مشاق التكليف جنة اي
بستانا اجنه الشجر وحريرا يلبسونه وقوله متكئين نصب على الحال فيها اي في الجنة
على الارائك وهي الحجال فيها الاسرة في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة واحدها
اريكة وهي الحجلة سرير عليه شبه القبة وقال الزجاج الاريكة كل ما
يتكأ عليه من مسورة او غيرها وقد شوق الله الى تلك الحال وهي غاية الرفاهية
والامتاع لا يرون فيها في الجنة شمسا يتأذون بحرها ولا زمهريرا يتأذون ببرده
فان الزمهرير اشد ما يكون من البرد وقال مجاهد الزمهرير البرد الشديد وقوله
ودانية عليهم ظلالها يعني افياء اشجار تلك الجنة قريبة منهم ونصب
دانية بالعطف على متكئين ويجوز ان تكون عطفا على موضع لا يرون فيها شمسا
فان موضعها النصب على الحال ويجوز على المدح كقولهم عند فلان جارية جميلة
وشابة بعد طرية وقوله وذللت قطوفها تذليلا معناه انه ان قام ارتفعت بقدرة الله
وان قعد نزلت حتى ينالها وان اضطجع نزلت حتى ينالها ذكره مجاهد وقيل معناه لا
يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك وقوله ويطاف عليهم يعني على هؤلاء المؤمنين (لا يرد)
الذين وصفهم بآنية من فضة واكواب وهو جمع كوب وهو اناء الشراب من غير عروة
وقال مجاهد الاكواب الاقداح وقال ابن عباس ومجاهد هي صغار القوارير
وهي فضة فلذلك قال كانت قواريرا وقيل الاكواب الاباريق التي ليس لها خراطيم وقيل
الاكواب من فضة في صفاء القوارير لا تمنع الرؤية وقوله قوارير من فضة اي هي من فضة
وقوله قدروها تقديرا معناه انها على قدر ما يشتهون من غير زيادة ولا نقصان

حتى يستوي الكمال ويجوز ان يكونوا قدروها قبل مجيئها على صفة فجاءت على ما قدروا
واحبته الشهية وقال الحسن على قدر ريهم والتقدير وضع المعنى على المقدار الذي
يجب فيه المساواة للاعتبار بالمعاني المختلفة العقلية بعد معرفة التقدير على طريقه لو كان
كذا لكان كذا واذا كان كذا كان كذا وهذا ايضا القياس يقتضيه ما يلزم على
الاصل مما لا يلزم والطوف الدور بالتنقل من واحد الى واحد فقد يكون الدور بالجمع
من غير تنقل من واحد الى آخر فلا يكون طوافا طاف يطوف طوفا واطاف به اطافة
وتطوف تطوفا وتطوف اطوافا اذا كان شراب كان مزاجها زنجبيلا فالزنجبيل ضرب
من القرفة طيب الطعام يحذو اللسان ويربى بالعسل يستدفع به المضار واذا مزج
به الشراب فاق في الالذاذ والعرب تستطيب الزنجبيل جدا قال الشاعر
كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا وقيل ان هذا الشراب في برد
الكافور وذكاء المسك ولذع الزنجبيل كما قال في صفة القوارير انها في صفاء الفضة وبجوهرها
يرى ما وراءها كالقوارير وقيل الكافور والزنجبيل من اسماء العين التي يسقون منها
وقوله عينا نصب على انه بدل من الزنجبيل فيها تسمى سلسبيلا فالسلسبيل الشراب
السهل اللذيذ وقيل سلسبيل معناه منقادا ماؤها حيث شاؤوا عن قتادة وقيل
شديد الجرية وقيل يتسلسل وقيل سمي سلسبيلا من لزوم الطيب والالذاذ لها
وانشد يونس، صفراء من نبع يسمى سهمها من طول ما صرع الصيود الصيب
ورفع الصيب على صفة السهم وقيل اسم العين معرفة الا انه اجري لانه رأس آية تجري
قال ويطوف عليهم ولدان مخلدون قال قتادة لا يموتون وقال الحسن
خلدوا على هيئة الوصفاء فلا يشيبون ابدا وقيل مخلدون مسورون بلغة حمير
قال بعض شعرائهم، ومخلدات باللجين كانما اعجازهن اقاوز الكثبان
وكانه يرجع الى نقل الحسن اذا رايتهم تعني اذا رايت اولئك الولدان حسبتهم لؤلؤا منثورا

وقوله ويسقون فيها يعني في الجنة كاسا وهي الاناء صح

أي من كثرتهم وحسنهم كأنهم اللؤلؤ المنثور ذكره قتادة وقوله وإذا رأيت
ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا تقديره وإذا رأيت الأشياء ثم رأيت نعيما لأهل الجنة عظيما
وملكا كبيرا قال سفيان بن عيينة من الملك الكبير استئذان الملائكة عليهم واستقبالهم
لهم بالتحية قوله وإذا رأيت ثم رأيت فثم ظرف يراد به الجنة والعامل فيه معنى رأيت
وتقديره وإذا رميت ببصرك ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا وقال الفراء وإذا رأيت
ما ثم رأيت نعيما وأنكره الزجاج وقال ما موصولة بثم على تفسيره ولا يجوز إسقاط
الموصول مع بقاء الصلة ولكن رأيت متعد في المعنى إلى ثم قوله تعالى
عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم
شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا إنا نحن نزلنا
عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا واذكر
اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا إن هؤلاء
يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا
شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما
تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء
في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما ۵ إحدى عشرة آية ۵ قرأ عاليهم بإسكان
الياء أهل المدينة وحمزة وعاصم في رواية حفص وأبان والمفضل جعلوه اسما لا ظرفا
كما تقول فوقك رأسك ومثله باب البرد أن تجعل الباب هو المبتدأ وكذلك يجعل
الثياب هي العالي الباقون بالنصب على الظرف لأنه ظرف مكان وهو الأحسن لأن الثاني
غير الأول وإنما يجوز في مثل ما كان آخر الكلام هو الأول كقولهم إنما أنت حدثك
وفوقك رأسك فإن قلت فوقك السقف وأمامك الأسد فالنصب لا غير وقرأ نافع و حفص
عن عاصم خضر وإستبرق بالرفع فيهما وقرأ حمزة والكسائي بالجر فيهما وقرأ ابن كثير

فعلم

وعاصم في رواية أبي بكر خضر جرا وإستبرق رفعا وقرأ ابن عامر وأبو عمرو خضر رفعا
وإستبرق جرا من رفعها جعل خضرا نعتا للثياب وعطف عليها وإستبرق ومن جرها جعل
خضرا من نعت سندس وعطف عليه إستبرق وتقديره وعاليهم ثياب إستبرق ومن رفع الأول
جعله من نعت الثياب ومن جر الثاني حمله على أنه عطف على سندس كأنه عليهم ثياب سندس ومن
جعل خضرا نعتا لسندس فلأنه اسم جنس يقع على الجميع فلذلك قال خضر ومن جعله
نعتا للثياب فعلى اللفظ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وما يشاؤون بالياء على الخبر عن الغائب
الباقون بالتاء على الخطاب لما قال تعالى على وجه التعظيم لشأن المؤمنين الذين وصفهم وعظم
ما أعطوا من أنواع النعيم والولدان وأنواع الشراب وغير ذلك مما وصف ووصف ذلك
بأنه ملك كبير قال عاليهم وقيل معناه عالي حجالهم السندس كقولك فوقهم وحكى
أن العرب تقول فوقك داخل الدار وأنكر الزجاج ذلك وقال نصبه لا يجوز إلا على
الحال من الضمير في عاليهم أو من ضمير الولدان في رأيتهم وإنما أنكر ذلك لأنه ليس باسم مكان
كقولك هو خارج الدار وداخل الدار وهذا لا يجيء على الظرف عند سيبويه وما حكاه
الفراء شاذ لا يعول عليه ومن أسكن الياء أراد رفعه على الابتداء وخبره ثياب سندس و
السندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن وهو فعلل مثل برثن وقوله خضر من
جره جعله صفة لسندس خضر ووصف سندس بخضر وهو لفظ جمع لأن سندسا اسم جنس
يقع على الكثير والقليل ومن رفعه جعله نعتا للثياب كأنه قال ثياب خضر من سندس
فكأنه قال عاليهم ثياب سندس وعاليهم إستبرق ومن جره عطفه على سندس فكأنه
قال عليهم (عاليهم) ثياب سندس وثياب إستبرق والإستبرق الديباج الغليظ الذي
له بريق فهم يتصرفون في فاخر اللباس كما يتصرفون في لذيذ الطعام والشراب
وقيل الإستبرق لا غلظا الصفاقة لا غلظ السلك كغلظ الدبيقي وإن كان دقيق
السلك وقوله وحلوا أساور من فضة فالحلية الزينة بما كان من الذهب والفضة

وفي نصب عاليهم قولان قال الفراء هو نصب على الظرف صح

وقوله تعالى وإستبرق من رفعه عطفه على ثياب سندس صح

والحلية تكون للانسان وغير الانسان كحلية السيف وحلية المركب والفضة الشفافة هي
التي يرى ما وراءها كما يرى البلورة وهي افضل من الدر والياقوت وهما افضل من الذهب
فتلك الفضة افضل من الذهب والفضة والذهب في الدنيا هما اثمان الاشياء وان كان
قد يغني بغيرهما ثانيا اذ قيل يحلون الذهب تارة وتارة الفضة ليجمعوا محاسن الحلية
كما قال تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب والفضة وان كانت دنية الثمن في الدنيا
فهي في غاية الحسن خاصة اذا كانت بالصفة التي ذكرها والغرض في الاخرة ما يكثر الالتذاذ
والسرور به لا ما يكثر الثمن لانه ليس هناك اثمان وفي التابعين من ترك صرف اساور
وهو غلط لان الاعجمي اذا عرب في حال تنكيره انصرف وقد لبسها الاساورة وحكي
عن ابن محيصن وقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا قيل معناه يسقون شرابا
طهورا وليس كالذي يخالطه الانجاس من انهار الدنيا وان قل ذلك وكان معمورا
وقيل انه ليس كشراب الدنيا الذي قد يتبعه الفساد الذي هو السكر الداعي الى القبائح
فقد طهره الله في الجنة من ذلك لتخلص به اللذة كما قال من خمر لذة للشاربين
وقيل شرابا طهورا لا ينقلب الى البول بل يفيض من اعراضهم كرشح المسك ذكره
ابراهيم التيمي وقوله ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اخبار
من الله تعالى انه يقال للمؤمنين اذا فعل بهم ما تقدم من انواع اللذات وفنون الثواب
ان هذا كان لكم جزاء على طاعاتكم واجتناب معاصيكم في دار التكليف وسعيكم في
مرضاة الله وفعلكم بما امركم الله به كان مشكورا اي جوزيتم عليه مكافاة شكر لكم
فعلكم ثم اخبر تعالى عن نفسه فقال انا نحن نزلنا عليك يا محمد القرآن تنزيلا فيه
شرف وتعظيم لك ثم امره بالصبر على ما امره به من تحمل اعباء الرسالة فقال فاصبر يا محمد
لحكم ربك ولا تطع منهم يعني من قومه الذين بعث اليهم آثما او كفورا هو نهي عن الجمع
والتفريق اي لا تطع آثما ولا كفورا كما يقول القائل لا تفعل معصية صغيرة او كبيرة

اي لا تطعهما ولا واحدا منهما ثم امره بان يذكر الله بما يستحقه من الصفات والاسماء
الحسنى فقال واذكر اسم ربك بكرة واصيلا فالبكرة الغداة والاصيل العشي
وهو اصل الليل وجمعه اصال وقوله ومن الليل فاسجد له دخلت من للتبعيض
يعني فاسجد له في بعض الليل لانه لم يامره بقيام جميع الليل كما قال ان ربك يعلم انك
تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه والسجود وضع الجبهة على الارض على
وجه الخضوع واصله الانخفاض كما قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر
والسجود من العبادة التي لا تكون الا لله لانه لا يستحقها الا هو انها من صلاح العباد ثم قال وسبحه
اي نزهه عما لا يليق به في الليل الطويل ثم قال ان هؤلاء يعني الكفار الذين
يجحدون نبوتك يحبون العاجلة اي يؤثرون اللذات والمنافع العاجلة في دار
الدنيا من ارتكاب شهواتهم فالعاجلة المقدمة قبل الكرة الثانية ويذرون اي
ويتركون وراءهم اي خلفهم يوما ثقيلا اي هو ثقيل على اهل النار امره وان
خف على اهل الجنة البشارة التي لهم فيه والثقيل ما فيه اعتمادات لازمة الى جهة
السفل وقد يشق حمله وقد يكون ثقيلا على انسان خفيفا على غيره حسب قدره
فيوم القيامة مشبه به وقيل معنى وراءهم ان خلف ظهورهم العمل للاخرة وقيل
وراءهم امامهم الاخرة وكلاهما محتمل والاول اظهر ثم قال تعالى نحن خلقناهم
اي نحن الذين اخترعناهم واوجدناهم وشددنا اسرهم قال ابن عباس
الاسر الخلق وهو من قولهم ما اسر هذا الرجل فاحسن اسره اي خلقه فاحسن خلقه
اي شد بعضه الى بعض احسن الشد وقال ابو هريرة الاسر المفاصل وقال
ابن زيد الاسر القوة ومنه قولهم خذه باسره اي بشدته قبل ان يحل ثم كثر حتى صار يعني
جميعه قال الاخطل من كل مجتنب شديد اسره سلس القياد تخاله مختالا
واصل الاسر الشد ومنه قتب ماسور اي مشدود ومنه الاسير لانهم كانوا يشدونه

بالفتح وجاء في التفسير وشددنا مفاصلهم ثم قال وإذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا
معناه اذا شئنا اهلكناهم وانشانا قوما آخرين بدلا لهم والتذكرة الدلالة
تحض على الطاف الحكمية وكل موعظة تدعو الى مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال
وقوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا معناه من شاء اتخذ الى رضا ربه طريقا بان
يعمل بطاعته ويجتنب عن معصيته وذلك يدل على انه قادر على ذلك قبل ان يفعله
خلافا لما يقوله المجبرة وقوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله اي وليس تشاؤون
شيئا من العمل بطاعته وبما يرضاه ويوصلكم الى ثوابه الا والله يشاؤه ويريده لانه
يريد من عباده ان يطيعوه وليس المراد انه يشاء كل ما يشاؤه العبد من المعاصي والمباحات
لان الحكيم لا يجوز ان يريد القبائح ولا المباح لان ذلك صفة نقص ويتعالى الله عن
ذلك وقد قال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر والمعصية اكبر
من العظم العسر فكيف يكون الله تعالى شائيا له وهل ذلك الا تناقض ظاهر ق
قوله ان الله كان عليما حكيما اخبار منه بانه جل وعز كان عالما بجميع المعلومات
وبما يفعله عباده من الطاعة والمعصية حكيما في جميع ما يفعله ويامر به ثم قال
يدخل من يشاء في رحمته من الجنة وثوابها اذا اطاعوه في عمل ما دعاهم اليه والظالمين
اعد لهم نصب الظالمين على تقدير ويعاقب الظالمين باعداد العذاب الاليم
اي اعد للظالمين اعد لهم وحذف الاول لدلالة الثاني عليه ولا يظهر ذلك لان
تفسيره يغني عن اظهاره

سورة والمرسلات

مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي خمسون آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات

ذكرا عذرا او نذرا انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت
واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت لاي يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك
ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين خمس عشرة آية عذرا مثقل
ابو جعفر والبرجمي او نذرا خفيف كوفي غير ابي بكر وابو عمرو ومن ثقل الاول
فلان الثاني مثقل ومن خفف الثاني فلان الاول مخفف والعذر بالتخفيف والنذر
بمعنى الاعذار والانذار ومن ثقل نذرا اراد جمع نذير والعذر والعذر والنذر
والنذير بمعنى قال ابو علي الفارسي النذر بالتثقيل والنذير مثل النكر
والنكير جميعا مصدران ويجوز في النذر امران احدهما ان يكون بمعناه المنذر
والثاني ان يكون مصدرا وقرأ ابو عمرو وحده وقتت بالواو على الاصل وافقه
ابو جعفر في ذلك الا انه خفف الواو الباقون اقتت بالهمزة ابدلوها من الواو كراهة
الضمة على الواو كما قالوا في وجوه اجوه وقال الشاعر يحل احيده ويقال
نعل ومثل تمول منه افتقاد هذا قسم من الله تعالى بالمرسلات كما اقسم بصاد
وقاف ويس وغير ذلك وقال قوم تقديره ورب المرسلات لانه لا يجوز القسم
الا بالله وقال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وابو صالح المرسلات مهنا م
الرياح وفي رواية اخرى عن ابن مسعود وابي صالح انها الملائكة وقال قوم
المرسلات عرفا الانبياء جاءت بالمعروف والارسال نقيض الامساك ومثله الاطلاق
ونقيضه التقييد والارسال ايضا انفاذ الرسول وقوله عرفا اي متتابعة كعرف
الفرس وقيل بالمعروف وقيل ارسالها ارسال الرياح اجراء بعضها في اثر بعض
فالعاصفات عصفا يعني الرياح الهابة بشدة والعصوف مرور الريح بشدة عصفت
الريح تعصف عصفا وعصوفا اذا اشتد هبوبها فعصوف الرياح شدة هبوبها
وقوله والناشرات نشرا قال ابن مسعود ومجاهد وقتادة وابو صالح هي الرياح تنشر

تلقحه المطر

السحاب الغيث كما تلقحه المطر قال ابو صالح في رواية هي الملائكة تنشر الكتب عن الله و
في رواية اخرى عن ابي صالح انها الامطار لانها تنشر النبات وقيل الرياح تنشر السحاب
في الهواء وقوله فالفارقات فرقا قال ابن عباس وابو صالح هي التي تفرق بين الحق
والباطل وهي الملائكة وقال قتادة هي آيات القرآن وقال الحسن هي آي القرآن
تفرق بين الهدى والضلال فالملقيات ذكرا قال ابن عباس وقتادة هم الملائكة
والالقاء طرح الشيء على غيره والالقاء ايقاع الشيء على غيره فالذكر يلقى بالبيان والاعجاز
وهو من صفة الملائكة فيما تلقيه الى الانبياء ومن صفة الانبياء فيما تلقيه الى الامم ومن
صفة العلماء فيما تلقيه الى المتعلمين وقيل للجميع الاوصاف الرياح لاختلاف فوائدها
وقال بعضهم المرسلات عرفا الانبياء جاءت بالمعروف فالعاصفات عصفا الرياح
والناشرات نشرا الامطار تنشر النبات فالفارقات فرقا اي القرآن فالملقيات
ذكرا الملائكة تلقي كتاب الله الى الانبياء وقوله عذرا او نذرا يحتمل نصبه وجهين
احدهما على انه مفعول له اي للاعذار والانذار والثاني مفعول به اي ذكرت العذر
والنذر واختار ابو علي ان يكون بدلا من قوله ذكرا وقيل معناه اعذارا من الله
وانذارا الى خلقه ما القته الملائكة من الذكر الى انبيائه والعذر اسم في ظهور ورفع
اللوم بانه لم يكن يمكن تحمل تلك الحال مع وقوع خلاف المراد فالعقاب على القبيح مع
الانذار يوجب العذر في وقوعه وان كان بخلاف مراد العبد الذي اصله وقال
الحسن عذرا معناه نعتذر به الى عباده في العقاب انه لم يكن الا على وجه الحكمة والنذر الانذار
وهو الاعلام بموضع المخافة ليتقى ومن خفف عذرا كره توالي الضمتين وقوله
انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي وعدكم الله به من البعث والنشور و
الثواب والعقاب كائن لا محالة وقيل الفرق بين الواقع والكائن ان الواقع لا يكون
الا حادثا تشبيها بالحائط الواقع لانه من ابنية الانشاء في الحدوث والكائن اعم منه

لانه بمنزلة الوجود الثابت يكون حادثا وغير حادث وقوله فاذا النجوم طمست معناه محيت
آثارها وذهب نورها والطمس محو الاثر الدال على الشيء فالطمس على النجوم كالطمس على
على الكتاب لانه يذهب نورها والعلامات التي كانت تعرف بها واذا السماء فرجت اي
شقت وصدعت واذا الجبال نسفت نسف الجبال اذهابها حتى لا يبقى لها في الارض
اثر والنسف تحريك الشيء بما يخرج ترابه وما اختلط به مما يلتبس به ومنه يسمى المنسف
الحبوب كانها تجري على هذا الوجه وقوله نسفت من قولهم انتسفت الشيء اذا اخذته
بسرعة وقوله واذا الرسل وقتت اي اجلت وقت الثواب ووقت العقاب فالتوقيت
تقدير الوقت لوقوع الفعل ولما كانت الرسل عليهم السلام قد قدر ارسالها لاوقات تعلق
حسب صلاح العباد فيها كانت قد وقتت لتلك الاوقات معنى اجلت وقت الثواب
ووقت العقاب وقال مجاهد وابراهيم وابن زيد اقتت بالاجتماع لوقتها يوم القيامة
كما قال تعالى يوم يجمع الله الرسل والمواقيت الاجال وسئل عن الاهلة
قل هي مواقيت للناس والحج وقيل معنى اقتت اجلت لوقت ثوابها وهو يوم الفصل
وقيل معناه اجلت فيما بينها وبين اممها ليوم الفصل ثم بين تعالى فقال لاي يوم اجلت
اي اخرت الى اجل فالتاجيل التاخير الى اجل فالرسل قد اجلت بموعدها الى يوم الفصل
وهو يوم القيامة وسمي يوم الفصل لانه يفصل فيه بين حال المهتدي والضال بما يعلم الله
لاحدهما من حال الثواب بالاجلال والاكرام وللاخر من حال العقاب بالاستحقاق والهوان
بما لا يخفى على انسان وقيل الوجه في تاجيل الموعود ليوم الفصل تشديد الامر في الجزاء على
جميع العباد فيه بوقوع الياس من الرد الى دار التكليف لان في تصويره لما يتاكد به
الدعاء الى الطاعة والانزجار عن المعصية وقوله ويل يومئذ للمكذبين تهديد
ووعيد لمن جحد يوم القيامة وكذب بالثواب والعقاب وانما خص الوعيد في الآية بالمكذ
لان التكذيب قد يكون في القول والفعل المخالف للحق ومنه قولهم حمل فما كذب حتى الحق

بالحق يتصور كل شيء لا يخفى للمعاصي ابجرلا
وان لم يذكر معه ان المكذب م

الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين
الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون
ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي
شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين، ثلث عشرة آية
قرا اهل المدينة والكسائي فقدرنا مشددة الدال والباقون بالتخفيف وهما لغتان ومن
اختار التخفيف فلقوله فنعم القادرون، يقول الله تعالى على وجه التهديد للكفار
الم نهلك الاولين يعني قوم نوح وعاد وثمود والآخرون قوم لوط وابرهيم الى فرعون
ومن معه من الجنود اهلكهم الله تعالى بانواع الهلاك جزاء على كفرهم نعم الله وجحدهم
توحيده واخلاص عبادته وقوله ثم نتبعهم انما رفعه عطفا على موضع الم نهلك قال
الا انا نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين وقال المبرد تقديره ثم نحن نتبعهم لا يجوز غيره
لان قوله الم نهلك ماض وقوله ثم نتبعهم مستقبل فلا يكون عطفا على الاول
ولا على موضعه والاهلاك ابطال الشيء بتصييره الى حيث لا يدرى اين هو اما باعدامه
او باخفاء مكانه وقد يكون الاهلاك بالاماتة ويكون بالنقل الى حال الجمادية والاول
هو الكائن قبل غيره و[illegible] الثاني هو الكائن بعد غيره والاول قبل كل شيء هو الله تعالى
الذي لم يزل والاولين في الآية هم الذين تقدموا على اهل العصر الثاني والآخر الكائن
بعد الاول من غير بقية منه ولهذا ينفصل من الثاني لان الثاني قد يكون بعده بقية
من الشيء ثالثا ورابعا وخامسا الى حيث انتهى فاذا صار الى الآخر فليس بعده شيء
كالكتاب الذي هو اجزاء كثيرة وقوله كذلك نفعل بالمجرمين اي مثل ما فعلنا
باولئك نفعل مثله بالعصاة ثم قال ويل يومئذ يعني يوم الجزاء والثواب والعقاب
للمكذبين فانهم يجازون باليم العقاب والاتباع الحاق الثاني بالاول [illegible] اليه
والتبع لحاق الثاني بالاول باقتفائه له تبع تبعا فهو تابع واتبع اتباعا وقوله

الم نخلقكم من ماء مهين فالمهين القليل الغناء ومثله الحقير الذليل وفي خلق الانسان
على هذا الكمال من الحواس الصحيحة والعقل والتمييز من ماء مهين اعظم الاعتبار وابين
الحجة على ان له مدبرا وصانعا وخالقا خلقه وصنعه فمن جحده كان كالمكابر
للحواس ودليل العقول ثم قال الله تعالى مبينا انه جعل ذلك الماء المهين
الحقير في قرار مكين فالقرار المكان الذي يمكن ان يطول فيه مكث الشيء ومنه قولهم
قر في المكان اذا ثبت على طول المكث فيه يقر قرارا والاقرار [illegible] فهذا المكان اي
[illegible] وقوله الى قدر معلوم فالقدر المقدار المعلوم الذي لا زيادة فيه ولا نقصان
وكانه قال الى مقدار من الوقت المعلوم والقدر مصدر من قولهم قدر يقدر قدرا
وقدرا بالتخفيف والتشديد الا ان التشديد للتكثير وقوله فقدرنا فنعم القادرون
معناه في قول من خفف فقدرنا من القدرة فنعم القادرون على تدبيره ومن شدد
اراد فقدرنا فنعم المقدرون الاحوال النطفة ونقلها من حال الى حال حتى صارت
الى حال الانسان والعرب تقول قدر عليه الموت وقدر بالتخفيف والتشديد ومن شدد
وقرا القادرون جمع بين اللغتين كما قال الاعشى، وانكرتني وما كان الذي
نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا، وقوله الم نجعل الارض كفاتا نصب
كفاتا على الحال وتقديره الم نجعل الارض لكم ولهم كفاتا فالكفات الضمام
فقد جعل الله الارض للعباد تكفتهم احياء وامواتا اي تضمهم في الحالين كفت
الشيء يكفته كفتا وكفاتا اذا ضمه وقيل كفاتا وعاء هذا اكفته اي وعاؤه ويقال
كفته ايضا وقال الشعبي ومجاهد فظهرها للاحياء وبطنها للاموات
وهو قول قتادة ونصب احياء وامواتا على الحال ويجوز على المفعول به وقال
ابو عبيدة وغيره كفاتا اي اوعية يقال هذا النحي كفت هذا او كفيته وقوله
احياء وامواتا اي منه ما ينبت ومنه ما لا ينبت وقوله وجعلنا فيها رواسي

شامخات اي وجعلنا في الارض جبالا ثابتة عالية والشامخات العاليات شمخ يشمخ
شمخا فهو شامخ ومنه شمخ بانفه اذا رفعه كبرا ويقال شامخ وشاهق وباذخ كله
بمعنى واحد والرواسي الثوابت وقوله واسقيناكم ماء فراتا اي وجعلنا لكم
شرابا من الماء الفرات وهو العذب وهو صفة يقال ماء فرات وماء زلال وماء عذب
وماء غير كله من العذوبة والطيب وبه سمي النهر العظيم المعروف بالفرات
قال الشاعر اذا غاب عنا غاب عنا فراتنا وان شهد اجدى فيله وفواضله
وقال ابن عباس اصول الانهار العذبة اربعة جيحان وسند دجلة وسيحان
نهر بلخ وفرات الكوفة ونيل مصر وقوله ويل يومئذ للمكذبين قد مر

قوله تبارك وتعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى
ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر
كانه جمالت صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين
فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين اثنتا عشرة آية
قرأ رويس انطلقوا الى ظل على فتح اللام بلفظ الماضي وقرأ اهل الكوفة الا
ابا بكر جمالة وضم الجيم يعقوب الباقون جمالات من قرأ جمالة على لفظ واحد
قال معناه الجمع لقوله صفر ومن قرأ جمالات بكسر الجيم قال جمالة وجمالات
جميعا جمعا كانه جمع الجمع مثل رجال ورجالات وبيوت وبيوتات والهاء في
قوله كانه كناية عن الشرر هذا حكاية ما يقول الله تعالى للكفار المكذبين
بيوم الدين يوم القيامة فانه يقول لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
من العذاب على الكفر ودخول النار جزاء على المعاصي فكنتم تجحدون ذلك
وتكذبون به ولا تعترفون بصحته فامضوا اليوم اليه فالانطلاق الانتقال من

مكان

مكان الى مكان من غير مكث فالانتقال وهو من الاطلاق خلاف التقييد والانتقال
من حال الى حال ومن اعتقاد الى اعتقاد لا يسمى انطلاقا ثم ذكر الموضع الذي امرهم
بالانطلاق اليه فقال انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب قيل معناه يتشعب
من النار ثلاث شعب شعبة فوقه وشعبة عن يمينه وشعبة عن شماله فيحيط بالكافر
وقال مجاهد وقتادة ظل دخان من جهنم ينقسم ثلاث شعب كما قال تعالى
احاط بهم سرادقها اي من الدخان الاحمر بالانفاس لا ظليل معناه ليس بمانع من
الاذى بستره عنه فالظليل المانع من الاذى بستره عنه ومثله الكنين فالظليل المانع
من الظلة وهي السترة والكنين من الكن فظل هذا الدخان لا يغني الكفار
من حر النار شيئا وبين ذلك بقوله ولا يغني من اللهب فالاغناء ايجاب الكفاية
بما يكون وجوده عينه وعدمه سواء يقال اغنى عنه اي كفى في الدفع عنه واللهب
ارتفاع الشرر وهو اضطرام النار التهب يلتهب التهابا والهبتها الهابا ولهبا
وقوله انها يعني النار ترمي بشرر وهي قطع تطاير من النار في الجهات واصل الشرر
من شررت الثوب اذا اظهرته للشمس والشرر يظهر متبددا من النار وقوله
كالقصر اي ذلك الشرر كالقصر اي مثله في عظمه وتخويفه يتطاير على الكافرين
من كل جهة نعوذ بالله منها والقصر واحد القصور من البنيان في قول ابن عباس
ومجاهد وفي رواية اخرى عن ابن عباس
وقتادة والضحاك القصر اصول الشجر واحدته قصرة مثل جمرة وجمر والعرب تشبه الابل
بالقصور قال الاخطل كانه برج رومي يشيده لز بجص وآجر واحجار
والقصر بمعنى الجمع الا انه على طريق الجنس ثم شبه القصر بالجمال فقال كانه جمالات
صفر قال الحسن وقتادة كانها اينق سود لما يعتري سوادها من الصفرة وقال
ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير قلوس السفن وفي رواية اخرى عن ابن عباس
هي قطع النحاس قال الزجاج جمالات بالضم جمع جمالة وهو القلس من قلوس السفن

الجمر وهو كالقلس من قلوس الجسر ويجوز ان يكون جمع جمل وجمال وجمالات كما قيل
رخال جمع رخل ومن كسر فعلى انه جمع جمالة وجمالة جمع جمل مثل حجر وحجارة وذكر وذكارة
وقرئ في الشواذ كالقصر بفتح الصاد جمع قصرة اي كاعناق الابل وجمالات
جمع جمل كرجل ورجالات وبيت وبيوتات ويجوز ان يكون جمع جمالة وقرأ حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم جمالة بغير الف على التوحيد لانه لفظ جنس يقع على القليل والكثير
الباقون جمالات بالف مكسورة الجيم وقوله ويل يومئذ للمكذبين قد فسرناه ثم قال
تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون اخبار من الله تعالى ان ذلك
اليوم لا ينطق الكفار وقيل في معناه قولان احدهما ان ذلك اليوم مواطن فوطن
لا ينطقون لانهم يلبثون على هول ما يرونه وموطن يطلق فيه عن السنتهم فينطقون فلذلك
حكى عنهم قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى
خروج من سبيل وقد قال هذا يوم لا ينطقون اذا لم ينطقوا في بعضه كما يقال
كان كذا يوم قدم فلان وان كان قدم في بعضه لان المعنى مفهوم والثاني انهم ينطقون
بنطق لا ينتفعون به فكانهم لم ينطقوا واضاف الزمان الى الافعال لقولك اتيتك
يوم قدم زيد وآتيك يوم يخرج عمرو واجاز النحويون هذا يوم لا ينطقون بالنصب على
انه يشير الى الجزاء ولا يشير الى اليوم وقوله ولا يؤذن لهم فالاذن الاطلاق
في الفعل بقول يسمع بالاذن فهذا اصله وقد كثر استعماله حتى صار كل دليل ظهر
ان القادر ان يفعل كذا فهو اذن له وكل ما اطلق الله فيه باي دليل كان فقد اذن
فيه وقوله فيعتذرون فالاعتذار الانتفاء من خلاف المراد بالمانع من المراد
وليس لاحد عذر في معصية الله لانه تعالى لا يكلف نفسا ما لا يطاق وقد يكون له
عذر في معصية غيره لانه قد يكلف خلاف الصواب وقد يكلف ما لا يمكن لعارض
من الاسباب وقوله فيعتذرون رفع عطفا على قوله لا يؤذن قال الفراء [illegible]

لا ينطقون ولا يعتذرون وقد يجوز في مثله الطلب على جواب النفي ومعنى الآية لا يؤذن
لهم في الاعتذار فكيف يعتذرون وقوله هذا يوم الفصل يعني يفصل بين الخلائق
بالحكم بحق احديا له وعليه والفصل قطع علق الامور بتوفية الحقوق وهذا الفصل
الذي هو فصل القضاء يكون ذلك في الآخرة على ظاهر الامر وباطنه واما في الدنيا
هو على ظاهر الامر لان الحاكم لا يعرف البواطن وقوله جمعناكم والاولين
معناه ان الله يجمع فيه الخلائق في يوم واحد في صعيد واحد والجمع جعل الشيء
مع غيره اما في مكان واحد او محل واحد او في يوم واحد او وقت واحد او جعل
مع غيره في حكم واحد او معنى يجمع الجماد والحيوان في معنى الحدوث وقوله فان واحدٍ
كان لكم كيد فكيدون معناه توبيخ من الله تعالى وتقريع للكفار واظهار
عجزهم عن الدفع عن نفسهم فضلا ان يكيدوا غيرهم وانما هو على انكم كنتم
في دار الدنيا تعملون ما يغضبني فالآن عجزتم عن ذلك وحصلتم على وبال ما عملتم
وقيل المعنى ان كان لكم حيلة تتخلصون بها في الخلاص من عقابي فاحتالوا والكيد
الحيلة وقيل ويل يومئذ للمكذبين قد مضى تفسيره قوله تبارك وتعالى
ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما
كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين
كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل
لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون
عشر آيات لما ذكر الله تعالى الكفار وما اعد لهم من ضروب العقاب وانواع
العقاب ترهيبا وتحذيرا في مثله ذكر المؤمنين المتقين المعاصي وبين ما اعد لهم
من انواع النعيم وضروب اللذات فقال ان المتقين ومعناه الذين اتقوا عقاب
الله باجتناب معاصيه وطلبوا ثوابه بفعل طاعاته في ظلال وهو جمع ظل وهو

الحجاب الثاني المانع من كل اذى فلاهل الجنة حجاب من كل اذى لان هواء الجنة مناف
لكل اذى فهم في طيبه على خلاصه وقيل فظلال من قصور الجنة واشجارها وعيون
وهي ينابيع اللذة التي تجري في خلل الاشجار وقيل ان تلك العيون جارية في غير اخدود
لان ذلك امتع بما يرى من حسنه وصفائه على كنهه من غير ملابسة شيء له وليس
هناك شيء الا على احسن صفاته لان الله تعالى قد شوقه اليه اشد التشويق ورغب
فيه اتم الترغيب وفواكه وهي جمع فاكهة وهي ثمار الاشجار التي من شانها ان تؤكل وقد
يكون من الثمر يابس كذلك كالتمر والزبيب فانه ليس من الفاكهة مما يشتهون يعني لهم فاكهة
من جنس ما يشتهونه ثم قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون صورته
صورة الامر والمراد به الاباحة وقال قوم هو امر على الحقيقة لان الله يريد منهم
الاكل والشرب في الجنة وانهم اذا علموا ذلك زاد في سرورهم فلا تكون ارادته لذلك
عبثا والهنيء هو الذي لا اذى فيه بما يعقبه وقيل الهنيء النفع الخالص من شائب الاذى
والشهوة معنى في القلب اذا صادف الشيء كان لذة وضده النفار اذا صادفه كان الما
وجاز الكلام على التقابل للكافرين من قوله في ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني
من اللهب قابلوا اهل الجنة في ظلال قصور الجنة واشجارها وقوله انا كذلك
نجزي المحسنين اخبار منه تعالى انه كما جازى هؤلاء المتقين بما ذكر من النعيم مثل
ذلك يجازي كل محسن عامل بطاعة الله في ذلك دلالة على ان الكل لحسان خالص
للعبد فله به الثواب والحمد وانه طاعة لله وان ثابتى بالحسان من فعل خارج عن هذا
الحكم وقوله ويل يومئذ للمكذبين مضى تفسيره ثم عاد الى خطاب الكفار
فقال لهم على وجه التهديد والوعيد كلوا وتمتعوا في دار الدنيا وتلذذوا بما
تريدون واستمتعوا بما تشتهون قليلا لان ايام الدنيا قليلة فالتمتع الحصول فالحوال
تلك تمتع تمتعا واستمتع استمتاعا وامتعه غيره امتاعا والتمتع والتلذذ واحد ونقيضه

الثالث

الثالث وقوله انكم مجرمون اخبار منه تعالى للكفار بانكم وان تمتعتم قليلا في الدنيا
فانكم عصاة وكفار ومآلكم الى النار وعذابها والاجرام فعل ما يقطع المدح ويحصل
بدله الذم يقال اجرم اجراما واجترم اجتراما وتجرم عليه اي تطلب له الجرم وقيل
يومئذ للمكذبين بينا معناه وقوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فالركوع حق
الانخفاض على وجه الخضوع ويعبر به عن نفس الصلاة يقال قد ركعت وبقي على ركوع
اي صلاة والمراد به هاهنا الصلاة والمعنى ان هؤلاء الكفار اذا دعوا الى الصلاة لا يصلون
لجهلهم بما في الصلاة من الخير والبركة وقيل انه يقال لهم ذلك في الاخرة كما قال
يدعون الى السجود فلا يستطيعون ذكره ابن عباس وقال قتادة يقال لهم ذلك
في الدنيا فان الصلاة من الله بمكان وقال مجاهد يعني بالركوع هنا الصلاة وقوله
ويل يومئذ للمكذبين قد فسرناه فكانه قيل لهم يجب عليكم الركوع بالخضوع لله فاركعوا
فالخبر عنهم انهم لا يركعون تكذيبا بهذا الخبر فلذلك قال عقيب ذلك ويل يومئذ
للمكذبين والاخفوا اركعوا امر من الله ولا يقال لمن امر بالشيء فلم يفعل انه كذب
وقيل انما تكرر في هذه السورة من قوله ويل يومئذ للمكذبين الى على وجه التكرار
في المعنى لان معناه ويل يومئذ للمكذبين بما ذكر قبله من الاخبار وقيل يريد انه كذب
بالخبر الذي يليه وهو وجه القول الثاني والثالث والرابع الى اخر السورة على هذا المنهاج
من انه يلزمه الويل بالتكذيب بالذي يليه وقوله على التفصيل لا على الاجمال في انه
لا يلزمه حتى يكذب بالجميع وقوله فباي حديث بعده يؤمنون معناه انه اذا اتى القرآن
باظهر البرهان وكفروا به فليس من يفلح بالايمان بكلام غيره لان من لا يؤمن بما فيه
المعجز الظاهر والاية الباهرة لا يؤمن بغيره **سورة عم يتساءلون**
مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي اربعون اية في الكوفي والمدنيين واحدى واربعون في البصري

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم
عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون
الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم
سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا
وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا
وجنات الفافا ستّ عشرة آية وقف يعقوب على عمه بالهاء الباقون بلا هاء وقرا
ابن عامر كلا ستعلمون بالتاء على الخطاب فيهما اي قل لهم ستعلمون عاقبة امركم الباقون
بالياء على الغيبة وهو الاقوى لقوله عم يتساءلون وقوله الذي هم فيه مختلفون ولم يقل
انتم وان كانت التاء جائزة لان العرب تنتقل من غيبة الى خطاب ومن خطاب الى غيبة
قيل في سبب نزول هذه الآيات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حدث قريشا وعرفهم اخبار
الامم الماضية ووعظهم كانوا يهزؤون به فنهاه الله تعالى ان يحدثهم فقال وقد
نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها الى قوله حتى يخوضوا في
حديث غيره فكان رسول الله يحدث اصحابه فاذا اقبل واحد من المشركين امسك فاجتمعوا
على بكرة ابيهم وقالوا يا محمد ان حديثك عجب وكنا نشتهي ان نسمع كلامك وحديثك فقال
ان ربي نهاني ان احدثكم فانزل الله تعالى عم يتساءلون عن النبإ العظيم اي يتساءلون عن
النبإ العظيم وقوله عم يتساءلون اصله عن ما فحذفت الالف لاتصالها بحرف الجر حتى صارت
كالجزء منه لتدل على شدة الاتصال مع تخفيف المركب في الكلام بحذف حرف الاعتلال
وادغمت النون في الميم لمن يقاربها من غير اخلال وصورته صورة الاستفهام والمراد تفخيم
القصة والانكار والتهديد وقوله يتساءلون معناه عن ماذا يسال بعضهم بعضا فالتساؤل
سؤال واحد من الفريق الآخر تسالوا وتساءلوا والسؤال طلب الاخبار بصيغة
مخصوصة في الكلام وكل ما يزجر العقل عنه بانه من الداعي الى الفساد لا يجوز السؤال عنه كسؤال

الجدل لدفع الحق ونصرة الباطل وكالسؤال الذي يقتضي فاحش الجواب لانه كالامر القبيح
والنبا معناه الخبر العظيم الشان كخبر الخبر عن التوحيد في صفة الاول وصفة الرسول
والخبر عما يجوز عليه وما لا يجوز وقال مجاهد النبا العظيم الشان القرآن وقال قتادة
وابن زيد هو السؤال عن البعث بعد الموت لانهم كانوا يجمعون على التكذيب بالقرآن
الذي هم فيه مختلفون قال قتادة معناه الذي هم فيه بين مصدق ومكذب فقال
الله سبحانه مهددا لهم ومتوعدا كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ومعنى كلا ردع وزجر
كانه قال ارتدعوا وانزجروا فليس الامر كما ظننتم وقال قوم معناه حقا سيعلمون عاقبة
امرهم وعاقبة الوبال عليهم وقال الضحاك معناه كلا سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم
وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم وقال قوم كلا سيعلمون ما ينالهم يوم القيامة من العذاب
ثم كلا سيعلمون ما ينالهم في جهنم من العذاب فلا يكون تكرارا والاختلاف ذهاب كل واحد
من النفسين الى نقيض ما ذهب اليه الآخر فقال اختلفا في المعنى فذهب احدهما الى كذا
وذهب الآخر الى كذا ثم نبههم على وجه الاستدلال على صحة ذلك فقال الم نجعل
الارض مهادا اي وطاء وهو القرار المهيأ للتصرف فيه من غير اذية وقال قتادة المهاد
البساط وجعل الارض مهيدا مثل وطاء توطئة لان ذلك لا يقدر عليه غير الله لانه
الذي يسكن الارض حالا بعد حال حتى يمكن الاستقرار عليها والتصرف فيها والجبال اوتادا
اي وجعلنا الجبال اوتادا للارض ليسكنها بهم فالجبال جمع جبل وهو عظيم وثقله يبلغ
ان يكون ممسكا للارض عن ان تميد بثقله فلذلك دبره الله وذكر العباد بما فيه
من العبرة عظة من تفكر فيه والوتد المسمار الا انه اغلظ منه ولذلك يقال ما بين
الغنا اذا دق كالمسامير الحديد في النوع والدقة ولو غلظت صارت اوتادا فذكر لك
وصف الجبال بانها اوتاد الارض اذ جعلت تغلظها الممسكة لها عن ان تميد باهلها وقوله
وخلقناكم ازواجا اي اشكالا كل واحد شكل الآخر وقيل معناه ذكرا وانثى حتى يصح منكم

التناسل وقوله وجعلنا نومكم سباتا اى راحة لابدانكم وقيل اى قطعا لاعمالكم وقيل
معناه جعلنا نومكم راحة وقيل معناه جعلنا نومكم طويلا ممتدا تعظم به راحة ابدانكم
وينكشف به اتعابكم ومنه سبت من الدهر اى ملاوة طويلة منه وقال ابو عبيدة معناه
جعلنا نومكم سباتا ليس بموت لان المسبوت فيه روح والسبات قطع العمل للراحة ومنه
سبت القناة اذا قطعه ومنه يوم السبت اى يوم قطع العمل للراحة على ما جرت به العادة في
شرع موسى وصار علما على اليوم الذى بعد الجمعة بلا فصل وقوله وجعلنا الليل
لباسا اى غطاء وسترا يستر كل شيء فالليل ساتر للاشخاص بظلمته كما ان اللباس
يجمع الذى فيه الظلمة قال الشاعر فلما لبسن الليل او حين نصبت له من خذا
آذانها وهي جنح وقوله وجعلنا النهار معاشا اى سببا للعيش والعيش الانتفاع
الذى يبقى معه الحياة على حال الصحة فانه يعيش عيشا والنهار اتساع الضياء المنبث في
الافاق واصله من انهر الدم اذا وسع مجراه ومنه النهر وهو المجرى الواسع من مجارى الماء
ومنه الانتهار الاتساع في الاغلاظ وفي خلق النهار تمكين من التصرف العاجل في ذلك
اعظم النعمة واكبر الاحسان وقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا اى سبع سموات
والبناء جعل الشيء العلى على الادنى فالسماء مبنية كهيئة القبة مزينة بالكواكب النيرة
فجعل الذى بناها وخلقها دلالة على نوع الصنعة لعباده كما جعلها سبع سموات
لما في ذلك من الاعتبار للملائكة ولما في تصور الطبقات من عظم الخلق وبعضها فوق بعض
العمود مما فيه من تمكين البناء حتى وقفت سماء فوق سماء من غير عمد يمسكها بما هو فاد
عليها فمدبر لها وقوله وجعلنا سراجا وهاجا يعنى الشمس جعلها الله سراجا للعالم
يستضيئون به فالنعمة عامة لجميع الخلق والوهاج الوقاد وهو المشتعل بالنور العظيم
وقال مجاهد وقتادة يعنى وهاجا متلالئا وقوله وانزلنا من المعصرات قال
ابن عباس ومجاهد وقتادة يعنى الرياح كانها تعصر السحاب وقيل هي السحاب تتحلب

القدرة وصول

البطر

٣٩١

فقال الربيع ... من ...
وقال الحسن ... المعصرات
السماء ... الطر ...
... البطر

بالمطر وقوله ماء ثجاجا فالثجاج الدفاع في انصبابه كثج دماء البدن يقال ثج دمه
اثجه ثجا وقد ثج الدم يثج ثجوجا المخرج منه صبا وثجاجا اى مخرج به الماء صبا وهو كل
ما نضته الزرع الذى يحصد والنبات الكلأ من الحشيش والزرع وجنات الفافا اى بساتين
ملتفة بالشجر يخرجها الله تعالى لعباده بالمطر وانما قال جنات لان الشجر يجنها اى يسترها
والالفاف الاخلاط المتداخلة يلتف بعضها على بعض واحدها لف يقال شجر ملتف
واشجار ملتفة والمعانى الملتفة المتداخلة باشتباك بعضها ببعض لا يتبين الا في خفى وقيل
واحدها لف ولفيف وقيل في واحدها لفا وجمعها لف وقال مجاهد وقتادة و
ابن عباس الفافا ملتفة والتقدير فيه ونخرج به جنات الفافا ملتفة الا انه حذف
لدلالة الكلام عليه قوله تبارك وتعالى ان يوم الفصل كان
ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت
الجبال فكانت سرابا ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها احقابا
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا
يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا وكل شيء احصيناه كتابا فذوقوا
فلن نزيدكم الا عذابا اربع عشرة آية قرا وفتحت بالتخفيف اهل الكوفة الا الكسائى
والبرجمى الباقون بالتشديد وقرا حمزة وروح لبثين فيها بغير الف مثل حذرين وفرهين
الباقون لابثين بالف على اسم الفاعل وهو الجيد لانه من لبث فهو لابث وحجة حمزة انه
مثل طمع وطامع واللبث البطئ وقرا اهل الكوفة الا ابا بكر عن المفضل غساقا مشددة
الباقون بالتخفيف وهما لغتان فالغساق صديد اهل النار في قول ابرهيم وقتادة وعكرمة
وعطية وقال ابو عبيدة الغساق ما همى من العين اى سال وقال غيره وهو البارد
وقيل المنتن يقول الله تعالى ان يوم الفصل يعنى يوم القيامة الذى يفصل الله فيه
الحكم بين الخلائق كان ميقاتا اى ما وقته الله وقتا للحساب والجزاء والميقات منتهى المقدار

المضروب لوقت حدوث امر من الامور وهو مأخوذ من الوقت كما ان الميعاد من الوعد
والميزان من الوزن والمقدار من القدر والمفتاح من الفتح وقوله يوم ينفخ في الصور
فالنفخ اخراج ريح الجوف من الفم ومنه نفخ الزق والنفخ في البوق ونفخ الروح في البدن
يشبه به لانه تجري الريح في الشيء والصور قرن ينفخ فيه في حديث مرفوع عن النبي — لانها تجري فيه كما تجري الريح
صلى الله عليه وعلى آله وقال الحسن هو جمع صورة وبه قال قتادة ومعناه اذكر
يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا فالفوج جماعة من جماعة فالافواج جماعات من جماعات
فالناس يأتون على تلك الصفة الى ان يتكاملوا في ارض القيامة وكل فريق يأتي مع شكله
وقيل يأتي كل امة مع نبيها فلذلك جاؤوا افواجا اي زمرا وقوله وفتحت السماء
فكانت ابوابا معناه وشققت السماء فكانت كقطع الابواب وقيل صار فيها طرق ولم
يكن كذلك قبل وقوله وسيرت الجبال فكانت سرابا معناه ازيلت الجبال عن اماكنها
واذهب بها حتى صارت كالسراب وقوله ان جهنم كانت مرصادا اخبار منه تعالى
بان جهنم تكون يومئذ مرصادا والمرصاد هو المعد لامر على ارتقاب الوقوع فيه وهو
مفعال من الرصد وقيل المعنى ذات ارتقاب لاهلها ترصدهم بنكالها اي ترصد
على ما يرتقب به الاختطاف وقوله للطاغين يعني جهنم للذين طغوا في معصية
الله وتجاوزوا الحد مآبا اي مرجعا وهو الموضع الذي يرجع اليه فكأن المجرم
قد كان باعماله فيها ثم يرجع اليها ويجوز ان تكون كالمنزل الذي يرجع اليه وقوله
لابثين فيها احقابا اي ماكثين فيها ازمانا كثيرة وواحد الاحقاب حقب
من قولهم قد مضى حقب اي دهر طويل وقيل واحده حقب وواحد الحقب
حقبة كما قال الشاعر وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وانما قال لابثين فيها احقابا مع انهم مخلدون مؤبدون لانه لا يدل احدها على انها
لا انقطاع لها الاحقاب عند اهل العلم عند اهل النار من الكفار باجماع الامة عليه
اثرهم

يؤخر
لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يعذبون
بعد ذلك بضرب آخر كالزقوم والزمهرير ونحوه من اصناف العذاب ومن قرأ لبثين
بلا الف استشهد في تعديته بقول الشاعر او مسحل سنج عضادة
سمحج بسراتها ندب له وكلوم — سمحج
وقال ابن عباس الحقب ثمانون سنة وقال الحسن
سبعون سنة وقال قوم هو اكثر من ذلك وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا
شرابا قال ابو عبيدة البرد هاهنا النوم قال الكندي فيصدني عنها
وعن قبلاتها البرد اي النوم فكانهم لا ينامون من شدة ما هم فيه من العذاب ولا
يجدون شرابا يروي الا حميما وغساقا فالحميم الحار الشديد الحرارة والغساق
صديد اهل النار في قول ابرهيم وقتادة وعطية وعكرمة يقال غسقت القرحة
غسقا اذا سال صديدها وكذلك الجرح ومنه قوله ومن شر غاسق اذا وقب
فالغاسق الليل اذا اقبل الاشياء بظلمته كانه يسيل عليها بظلامه وقال الحسن الجنة
والنار مخلوقتان في الايام الستة الاول وهي الجنة التي سكنها آدم وهي الجنة التي
يسكنها المتقون في الآخرة ثم يفنيها الله حال فناء الخلائق ثم يعيدها فلا يفنيها — ابداوقال قوم هما مخلوقتان ولا يفنيهما
الله وقال آخرون هما غير مخلوقتين والجنة التي كان فيها آدم جنة اخرى ليست
جنة الخلد وقوله جزاء وفاقا قال ابن عباس ومجاهد والربيع وقتادة معنا
وافق الجزاء اعمالهم فالوفاق الجاري على المقدار فالجزاء وفاق لانه جار على مقدار
الاعمال في الاستحقاق وذلك انه يستحق على الكفر اعظم مما يستحق على الفسق الذي ليس
بكفر ويستحق على الفسق اعظم مما يستحق على الذنب الصغير وقوله انهم كانوا لا يرجون
حسابا معناه انا فعلنا بهؤلاء الكفار ما وصفناه من انواع العذاب لانهم كانوا لا
يرجون المجازاة على الاعمال ولا يتوقعون وهو قول الحسن وقتادة وقيل
معناه انهم كانوا لا يرجون حسن الجزاء في الحساب لتكذيبهم فالرجاء التوقع لوقوع

ام يخاف الا يكون فيما وكتم كان يجب عليهم ان يتوقعوا الحساب على يقين انه يكون
فلم يفعلوا الواجب في هذا ولا قاربوه لاعتقادهم انه لا يكون فاللوم اعظم لهم
والتقريع لهم اشد وقيل معناه لا يرجون لا يخافون كما قال الهذلي
اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عوامل في قول الحسن
وقتادة وقوله وكذبوا باياتنا كذابا معناه جحدوا بايات الله وبحججه ولم يصدقوا بها
وانما جاء المصدر على فعال لانه مع اجرائه على نظيره الذي يطرد قبل آخره الف
نحو الانطلاق والاقتدار والاستخراج والقتال والاكرام والمصدر الجاري على فعل
التفعيل نحو التكذيب والتقريب والتقديم وقد خرج التفعال عن النظير لما
تضمن من معنى التكثير كما خرج التفاعل والمفاعلة للزيادة على اقل الفعل فانه
من اثنين ومثل كذاب حمله حمالا وحرق حراقا وقوله وكل شيء احصيناه
كتابا معناه واحصينا كل شيء احصيناه في كتاب فلما حذف حرف الجر نصبه وقيل
انما نصبه لان في احصيناه معنى كتبناه فكانه قال كتبناه كتابا ومثله كذبوا
كذابا قضيته قضاء قال الشاعر لقد طال ما لبثتني عن صحابتي وعن
حوج قضاؤها من شفائيا والوجه في احصاء الاشياء في الكتاب ما فيه من الاعتبار
للملائكة بموافقة ما يحدث لما تقدم به الاثبات مع ان تصور ذلك يقتضي الاحتكام
من الدين والاجتهاد فيه كما يقتضي اذا قيل للانسان ما تعمل فانه يكتب لك
وعليك وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي يقال لهؤلاء الكفار ذوقوا ما
كنتم فيه من العذاب فلن نزيدكم الا عذابا لان كل عذاب يأتي بعد الوقت الاول
فهو زائد عليه قوله تبارك وتعالى ان للمتقين مفازا حدائق
واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا
جزاء من ربك عطاء حسابا رب السماوات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون

منه

منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا
قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
احدى عشرة آية قرأ ولا كذابا خفيفا الكسائي رب السماوات بالرفع حجازي
وابو بكر والرحمن جرا عن عاصم وابن عامر ويعقوب وسهل لما ذكر الله تعالى حال
الكفار وما اعد لهم من انواع العقاب ذكر ما للمؤمنين المتقين لمعاصي الله تعالى
فقال ان للمتقين الذين يتقون عقاب الله باجتناب معاصيه وفعل طاعته
مفازا وهو موضع الفوز بخلوص الملاذ واصل الفوز النجاة الى حال السلامة والسرور
ومنه قيل للمهلكة مفازة على وجه التفاؤل بالنجاة وقيل مفازا منجى الى متنزه
ثم بين ذلك فقال حدائق واعنابا فالحدائق جمع حديقة وهي البستان المحوط ومنه
احدق القوم به حائطه والحديقة الجنة المحوطة ومنه احدق القوم بفلان اذا احاطوا به
وسميت الحديقة لما يحيط بها من حيطانها والاعناب جمع عنب وهو ثمر الكرم قبل ان يجف
فاذا جف فهو الزبيب ونظيره الرطب ثمر النخل قبل ان يتمر فاذا اتمر زال عنه اسم الرطب
وقوله وكواعب اترابا قال ابن عباس الكواعب النواهد والكعب للجارية
قد نهد ثدياها فقال كعب ثدي الجارية وكعبت اذا ابتدا يخرج حين
والاتراب جمع ترب وهي التي تنشأ لدتها على سن الصبي الذي يلعب بالتراب
فكانه قيل هم على سن واحدة قال قتادة اترابا يعني في سن واحدة وقوله و
كاسا دهاقا فالكاس الاناء اذا كان فيه شراب وقيل الكاس الاناء الذي
يشرب منه قال الشاعر يلذه بكاس النيطاف فانه لم يكن لم يشرب كاسا الخمر
والدهاق ملأى يقال الضغط والدهق شدة الضغط في الكاس ملأى مترعة
ليس فيها وجد لتستوفي حالة اللذة قال قتادة دهاقا مترعة وقال مجاهد

معناه متتابعة على شاربيها مأخوذ من متابعة الشد في الدهن وقوله لا يسمعون
فيها لغوا اي لا يسمعون في الجنة كلاما لا فائدة فيه ولا كذابا اي ولا تكذيب
بعضهم لبعض ومن قرأ كذابا بالتخفيف اراد مصدر كاذب بمكاذبة وكذابا قال
الشاعر فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وقال الفراء قال اعرابي
في طريق مكة يا رب القصار احب اليك ام الحلق يريد افضل شعري ام احلق وقوله
جزاء من ربك عطاء حسابا اي فعلنا بالمؤمنين المتقين ما فعلنا جزاء على تصديقهم بالله و
ونبيه فالجزاء اعطاء المستحق بعمل الطاعة او المعصية وقوله عطاء حسابا اي على حساب
العمل كل انسان على قدر عمله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم سائر الجياد بجازيهم
المؤمنين وعند الله المزيد وقيل معناه عطاء كافيا من قولهم اعطاني ما احسبني اي كفاني
وحسبك اي اكتف وحسبي الله اي كافي الله وقال الحسن معناه ما اعطاه ذلك
محاسبة وقوله رب السموات والارض من رفع استانف الكلام وجعله مبتدأ وقوله
الرحمن لا يملكون خبره ومن جره رده على قوله من ربك رب السموات وجعل الرحمن
جرا بانه نعته ومن رفع الرحمن وجر الاول قطعه عن الاول وتقديره هو الرحمن والمعنى
ان الذي يفعل بالمؤمنين ما تقدم ذكره هو الله رب السموات والارض ومدبرها ومدبر
ما بينهما والمتصرف فيهما على ما يريده الرحمن اي المنعم على جميع خلقه مؤمنهم وكافرهم لا يملكون نسخة: خطابا ومعناه لا يملكون
ان يسالوه الا فيما اذن لهم فيه كما قال ولا يشفعون الا لمن ارتضى وفي ذلك اتم
التحذير من الاتكال والخطاب توجيه الكلام الى مدرك له بصيغة منبئة عن المراد
على صيغة الغايب عن الادراك على طريقتين وتلك الاضمار على ثلثة اضرب اضمار
المتكلم واضمار المخاطب واضمار الغايب قوله يوم يقوم الروح والملائكة معناه اذكر
يوم يقوم الروح قال الضحاك والشعبي الروح هو جبرئيل وقال ابن مسعود وابن عباس
هو ملك من اعظم الملائكة خلقا وهو المروي في اخبارنا وقال الحسن وقتادة الروح بنو آدم

وقال

٣٩٤

وقال ابن عباس ارواح بني آدم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل رد الارواح الى الاجساد
وقوله والملائكة صفا انهم مصطفون لا يتكلم احد بشيء الا من اذن الله في الكلام وقال
صوابا والصواب موافقة الغرض الحكمي كما ان اصابة ذلك الغرض الذي تدعوا اليه الحكمة
ونقيضه الخطاء وهو مخالفة الغرض الحكمي ولما كانت الحكمة قد تدعوا الى الندب او كان الحد
ما ادى الى امر كذا عاقبته الى الفعل الاصلح والفعل الادون صح ان صوابا اصوب من صواب
ثم قال ذلك اليوم الحق الذي وصفه والخبر عنه هو الحق الذي لا شك في كونه وحصوله
وقوله فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا فيه دلالة على ان العباد قادرون على اتخاذ المآب
وتركه وانما قال فمن شاء اتخذ لانه قادر عليه ومزاح العلة فيه والمآب الموضع وهو مفعل
من آب يؤوب اوبا وقال سفيان معناه مرجعا قال عبيد وكل ذي غيبة يؤوب
وغائب الموت لا يؤوب وقوله انا انذرناكم عذابا قريبا معناه الاخبار من الله
تعالى انه خوف عباده واعلمهم المواضع التي ينبغي ان تتقى ورهبهم بما يكون بعد
ذلك فقال يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ومعناه ينتظر جزاء ما قدمه فان قدم طاعة
انتظر الثواب وان قدم معصية انتظر العقاب ويقول الكافر في ذلك اليوم يا ليتني
اي يتمنى انه لو كان ترابا لا يعاد ولا يحاسب ليتخلص من عقاب ذلك اليوم لانه ليس
معه شيء يرجو من الثواب وقيل ان الله يحشر البهائم وينتصف للجماء من القرناء فاذا
انتصف بينها جعلها ترابا فيتمنى الكافر عند ذلك لو كان مثل اولئك ترابا وقيل
هو مثل قوله يا ليتني لم اوت كتابيه

سورة النازعات

مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي ست واربعون آية في الكوفي وخمس في البصري والمدنيين

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا

فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها
خاشعة يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ءاذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك
اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة ﴿ اربع عشرة آية ﴾ قرأ
اهل الكوفة الا حفصا عظاما ناخرة والباقون نخرة بلا الف ﴿ من قرأ ناخرة تبع
رؤوس الآي نحو الساهرة والحافرة ومن قرأ نخرة بلا الف قال لانه الاكثر في كلام العرب
ولما روي عن علي عليه السلم انه قرأ نخرة وقال العوسي هما لغتان مثل ناحل ونحل
وطامع وطمع وقال الفراء النخرة البالية والناخرة المجوفة قوله والنازعات قسم من
الله تعالى بهذه الاشياء التي عددها وقال قوم تقديره ورب النازعات وما ذكر
بعدها لانه لا يجوز اليمين الا بالله تعالى وهو ترك الظاهر وقد روينا عن ابي جعفر
وابي عبد الله عليهما السلم ان الله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه ان يقسموا
الا به وانما كان كذلك لانه من باب المصالح التي يجوز ان تختلف بالعبادات وانما جاز
ان يقسم هو تعالى بما شاء من خلقه للتنبيه على موضع العبرة فيه اذ القسم يدل على تعظيم
شان المقسم به ومعنى النازعات الملائكة تنزع الارواح من الابدان فالنازعات الجاذبات
التي من اعماق ما هو فيه وقال الحسن وقتادة هي النجوم اي تنزع بالسهم وقال السدي
هي النفوس تنزع بالخروج من البدن وقوله غرقا معناه اغراقا اي ابعادا في النزع
وقوله والناشطات نشطا قيل الخارجات من بلد الى بلد بعيد الاقطار يقال نشاط
كما ينشط الوحش بالخروج من بلد الى بلد والهموم تنشط بصاحبها اي تخرج به من حال
الى حال قال هميان بن قحافة ﴿ امست همومي تنشط المناشطا الشام طورا ثم طورا واسطا
وقال ابن عباس هي الملائكة اي تنشط بامر الله الى حيث كان وقال قوم هو ملك
الموت ينشط روحه من خلقه وقال قوم هي النجوم تنشط من المشرق الى المغرب وقال
عطا هي الوحش تنشط من بلد الى بلد ﴿ قال رؤبة ﴿ تنشطته كل مغلاة الوهق

من افق الى افق آخر
وقال عطا ... ع

جو

يعني بقر الوحش وقال الفراء تنشط نفس المؤمن كما ينشط العقال من يد البعير وقال
ابن خالويه واكثر ما سمعته انتشطته بالالف قالوا كانما انشط من عقال فاذا شددت الحبل
في يد البعير قلت نشطته واذا احللته قلت انشطته وقوله والسابحات سبحا معناه
الآلات بعوض مغطيها في الماء وقد يكون ذلك في النار فقد يكون فيما يجري كما يجري ذلك
كبح دون الخلق فيه وقد يكون السبح في الهواء تشبيها بالماء وقال مجاهد السابحات
الملائكة لانها تسبح في نزولها بامر الله كما يقال الفرس يسبح في جريه اذا اسرع وقال
قتادة هي النجوم اي تسبح في فلكها وقال عطا هي السفن وقال قوم هو ملك الموت يقبض
روح المؤمن وحده سهلا سرحا كالسابح في الماء وقوله فالسابقات سبقا يعني الكائنات
قبل غيرها على معنى صفة من الصفات وقال مجاهد هي الملائكة لانها سبقت الى طاعة
الله وقال قوم لانها تسبق الشياطين الى الوحي وقال عطا هي الخيل السابقة وقيل
هي النجوم ذكره قتادة اي يسبق بعضها بعضا في السير وقوله فالمدبرات امرا قال
ابن عباس وقتادة وعطا بن السايب هي الملائكة تدبر الاشياء وقيل تدبير الملائكة
فيما وكلت به من الرياح والامطار ونحو ذلك من الامور وجواب القسم محذوف كانه قال
لتبعثن للجزاء والحساب ثم بين اي وقت يكون الجزاء والثواب والعقاب فقال يوم ترجف
الراجفة فالرجف حركة الشيء من تحت غيره بترديد واضطراب وهي الزلزلة العظيمة
رجف يرجف رجفا ورجوفا وارجفوا اذا اخبروا الناس باضطراب الامور كما يرجف
الذي يرجف ما تحته ومنه الرجفة وهي الزعزعة الشديدة من تحت ما كان من الحيوان
وقيل ان الارض مع الجبال تتزعزع وقوله تتبعها الرادفة ومعناه تتبع الراجفة
الرادفة التي تجيء بعدها وهي الثانية بعد الاولى فهو رادف وارتدف الراكب اذا
اخذ رديفا وقال الحسن وقتادة هما النفختان اما الاولى فتميت الاحياء واما الثانية
فتحيي الموتى باذن الله وقوله قلوب يومئذ واجفة اي كائنة على الانزعاج والاضطراب

في موضع الردف من الراكب
ردفهم الامر ردفا

وجفت تجف وجفا ووجيفا واوجف في السير اذا ازعج الركاب فيه وقال ابن عباس يعني واجفة اي خائفة وقوله ابصارها خاشعة اي خاضعة ذليلة من هول ذلك اليوم
قال الشاعر لما اتى خبر الزبير تضعضعت سور المدينة والجبال الخشع وقوله يقولون
ائنا لمردودون في الحافرة وحكاية عما قاله الكافرون المنكرون للبعث والنشور فانهم
يكذبون البعث ويتعجبون من ذلك ويقولون على وجه الانكار ائنا لمردودون
في الحافرة وقيل حافرة بمعنى محفورة مثل ماء دافق بمعنى مدفوق وقال ابن
عباس والسدي الحافرة الحياة الثانية وقيل الحافرة الارض المحفورة اي ترد في قبورنا
فيلبسوننا الحياة قال الشاعر احافرة على صلع وشيب معاذ الله من جهل وطيش
فالحافرة الحالة الاولى على حسب اول الكرة يقال رجع في حافرته اذا رجع من حيث جاء وذلك
كرجوع القهقرى فردوا في الحافرة اي ردوا كما كانوا اول مرة ويقال رجع فلان
على حافرته اي من حيث جاء وقولهم النقد عند الحافرة معناه اذا قال بعتك رجعت
عليه بالثمن وقال قوم معناه النقد عند حافر الدابة وقوله فانما هي زجرة واحدة
اي النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة اي على وجه الارض فالعرب تسمي وجه الارض من الفلاة
ساهرة اي ذات سهر لانه يسهر فيها خوفا قال امية بن ابي الصلت وفيها لحم
ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم وقال اخر فانما قصرك ترب الساهرة
ثم تعود بعدها في الحافرة من بعد ما كانت عظاما ناخرة وقال الحسن وقتادة
ومجاهد والضحاك الساهرة وجه الارض وقال قوم بالساهرة اي من بطن الارض الى
ظهرها وقالوا ايضا منكرين للبعث ائذا كنا عظاما نخرة نرد ونبعث والعظام جمع
عظم وهي مأخوذة من العظم وذلك لعظم صلابتها وعظمها في نفسها والنخرة البالية بما
حدث فيها من التغير واختلال البنية جنح نخر اذا كان بهذه الصفة واذا لم يختل بنيته
لم يكن نخرا وان بلي بالوهي والضعف وقيل ناخرة مجوفة تمر الرياح فيها بالمرور

فيجوفها

في جوفها وقيل ناخرة ونخرة سواء مثل ناحل ونحل ونخرة اوضح في المعنى وناخرة اشكل
برؤوس الاي وقيل نخرة بالية مجوفة بالبلى ثم حكى ايضا ما قالوه فانهم قالوا تلك اذا كرة
خاسرة فالكرة المرة من الرجوع وهي الواحدة من الكر كر يكر كرة وهي كالضربة الواحدة
من الضرب والخاسر الذاهب راس ماله فتلك الكرة كانه قد ذهب راس المال منها فتلك
الخسران وانما قالوا كرة خاسرة اي لا يجيء منها شيء كالخسران الذي لا يجيء به فايدة وكانهم
قالوا هو كالخسران الذي لا يجيء بذهاب راس المال فلا يجيء به تجارة فلذلك لا يجيء بتلك
الكرة حياة وقيل معناه تلك اذا كرة خاسرة على ما نعد لنا من العذاب وقال الحسن
معناه كاذبة ليست كائنة قوله تبارك وتعالى هل اتاك حديث موسى
اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى
ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر
يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى
احدى عشرة اية قرا ابن كثير وابو عمرو ونافع طوى اذهب غير منونة الباقون
طوى اذهب منونة وقرا نافع تزكى مشددة الزاي وخففت الباقون قال ابو عمرو
يقال تزكى مشددا اذا اردت تتصدق ولم يدع موسى فرعون الى ان يتصدق وهو
كافر وانما قال هل لك ان تصير زاكيا قال فالتخفيف هو الاختيار ومن نون طوى
جعله اسم واد ومن لم ينونه جعله اسم الارض ولانه معدول من طاو ومن كسر الطاء قال
قدس مرتين وبيت فيه البركة مرتين مثل ثنى وعدى هذا خطاب من الله تعالى
لنبيه محمد صلى الله عليه وعلى اله يقول له وهل اتاك يا محمد حديث موسى فلفظه لفظ
الاستفهام والمراد به التقرير اذ ناداه ربه اي حين ناداه الله بالوادي المقدس طوى
فالنداء الدعاء بطريقة يا فلان والنداء مد الصوت بنداء فمعنى ناداه قال
له يا موسى ثم امره بالذهاب الى فرعون الطاغي والوادي المقدس يعني المطهر وطوى

وقال مجاهد وقتادة واد وقيل طوى المقدس وقرأ الحسن طوى بكسر الطاء وقيل
طوى بالبركة والتقديس مرتين قال طرفة بن العبد أعاذل ان اللوم في غير
كنهه علي طوى من غيك المتردد أي اللوم المكرر وطوى غير مصروف لانه اسم البقعة
من الوادي وهو معرفة ويجوز ان يكون معدولا من طاوي في قول الزجاج وقوله
انه طغى اخبار من الله عز وجل عن حال فرعون انه طغى ومعناه تجاوز الحد في الاستعلاء
والتمرد والفساد يقال طغى يطغى طغيانا فهو طاغ ونظيره البغي بغى على الناس يبغي
بغيا فهو باغ وهم البغاة والطغاة ونظير الطغيان العدوان وهو المجاوزة لحد الصغير
وكل من طغى فقد عتا واعتدى ثم ذكر ما امره ان يقول له بان قال قل هل لك
الى ان تزكى أي ادعوه الى الله وطريق الجنة وقل على وجه التلطف في الكلام هل
لك الى ان تزكى وتطهر من المعاصي فالتزكي طلب الطالب ان يصير زاكيا تزكى
يتزكى تزكيا فالزاكي النامي في الخير والزكاء النماء في الخير ولو نمى في الشر لم يكن
زاكيا واهديك الى ربك فتخشى معناه واهديك الى طريق الحق الذي اذا سلكته
وصلت الى رضى الله وثوابه فالهداية الدلالة على طريق الرشد من الغي وقد تكون
دلالة على معنى ليس برشد ولا غي كالدلالة على الكلمة فقط وقوله فتخشى
فالخشية توقع الضرر من غير قطع بها لا محالة والخشية والخوف والتقية نظائر يقال
خشي يخشى خشية فهو خاش وذا ان يخشى وفي الكلام حذف وتقديره فاتاه فدعاه
واراه الاية الكبرى وقوله فكذب وعصى حكاية عن فرعون انه كذب موسى
فيما دعاه اليه وجحد نبوته وعصاه فيما امره به من طاعة الله ثم ادبر يسعى أي ولى
فرعون الدبر بعد ذلك فالادبار توليه الدبر ونقيضه الاقبال واقبل فلان اذا استقامت
له الامور على السداد أي هو كالمقبل الى الخير وادبر فلان اذا اضطربت عليه حاله
ففرعون ولى الدبر ليطلب ما يكسر به حجة موسى عليه السلم في الاية الكبرى

وهي

وهي المعجزة العظيمة فيما اتاه لان دعواه لا تقاوم الضلالة الحق وقوله ثم ادبر
يسعى فالسعي الاسراع في المشي وفي ادباره يسعى في هذه الحال دليل على خوفه وقيل
انه لما راى العصا انقلبت حية في عظمها خاف منه فادبر يسعى وقوله فحشر فنادى
فالحشر الجمع من كل جهة وقد يكون الجمع بضم جزء الى جزء بلا ان يكون حشرا فاذا
جمع الناس من كل وجه فذلك الحشر ولهذا سمي يوم الحشر والحاشر الذي يجمع الناس
من كل جهة الى الخراج واما طلب السحرة فلما اجتمعوا ناداهم فقال لهم انا ربكم الاعلى
فالاعلى المختص بعلو معنى صفته على غيره مما لا ينال بكيد ويقال هو رب ومن
هذا اخرج العلو الى التعظيم ولم يكن مثل ذلك في جهة من الجهات وكانه قال انا الذي
انال بالضرر من شئت ولا ينالني غيري وكذب لعنه الله انما هذه صفة الذي خلقه
وخلق جميع الخلق ومعنى نادى هاهنا قال يا معشر الناس انا ربكم الاعلى أي نادى
بهذا القول وقيل كلمته الاولى قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله الاخرة هذا
انا ربكم الاعلى ذكره ابن عباس ومجاهد والشعبي والضحاك ثم حكى تعالى ما فعله
به من العقاب فقال فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فالنكال عقاب ينكل من الاقدام
على مثله بشدته نكل به تنكيلا اذا شوه به في عقابه بما يكون زاجرا لغيره عن
مثل جنايته اشد الزجر الذي يزجع النفس وقال الحسن وقتادة معناه عذاب الدنيا و
عذاب الاخرة وقال مجاهد اول عمله وآخره وقال بعضهم نكال فعلته الاولى
وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري وفعلته الاخيرة هو قوله انا ربكم الاعلى
وقال قوم معناه نكال الدنيا بالغرق ونكال الاخرة ما صار اليه بعد الموت من
العقاب وقال الحسن الاية الكبرى اليد البيضاء وقال غيره قلب العصا حية
قوله تبارك وتعالى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ
خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا

والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم
ولانعامكم فان آياتي يقول الله تعالى بعد ما ذكر ما تقدم من قصة موسى
وفرعون وما فعله الله بقوم فرعون من الاهلاك والدمار ان في ذلك لعبرة لمن
يخشى فيما قصه والعبرة دلالة يمكن ان يعبر بها العاقل فيعرف الحق ويميز
بينه وبين الباطل وقال اعتبر يعتبر اعتبارا وعبرة ومنه العبارة لانه يعبر بالمعنى
فيها الى نفس المخاطب بالافهام ومنه عبور النهر وتعبير الرؤيا باخراج ما فيها
بعبور المعنى الى النفس السائلة عنها وقوله لمن يخشى انما خص من يخشى بالعبرة لانه
الذي يعتبر فيها وينتفع بالنظر فيها دون الكافر الذي لا يخشى عذاب الله كما قال
هدى للمتقين ثم خاطب الكفار الجاحدين لله تعالى على وجه التبكيت لهم والتوبيخ
أأنتم اشد خلقا ومعناه أانتم اشد امرا مصنوعا كما ام السماء في عظم جرمها وشأنها
في وقوفها وساير نجومها وافلاكها قال بعض النحويين بناها من صلة السماء والمعنى
ام التي بناها وقال آخرون السماء ليس مما يوصل ولكن المعنى أانتم اشد خلقا ام السماء
اشد ثم بين كيف خلقها فقال بناها والله تعالى لا يكبر عليه خلق شيء اشد من خلق
غيره وانما اراد أانتم اشد خلقا عندكم وفي ظنكم مع صغركم ام السماء مع عظمها وثقل
احكامها وبين انه تعالى بنى السماء ورفع سمكها يعني ارتفاعها فالسمك مقابل للعمق وهو
ذهاب الجسم بالتأليف في جهة العلو وبالعكس منه العمق والطول ذهاب الجسم في جهة
الطول والعرض ذهابه في جهة العرض وهو بالاضافة الى ما يضاف اليه وقوله
فسواها فالتسوية جعل احد الشيئين على مقدار الآخر على نفسه او في حكمه وكل ما جعل
في حقه على ترتيبه مع غيره فقد سوي فلما كان كل شيء من السماء مجعولا في صفته على
ترتيبه مع غيره كانت قد سويت على هذا الوجه وقوله واغطش ليلها قال
ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد معناه اظلم ليلها وقال ابو عبيدة كل

اغطش

اغطش لا يبصر وقال ليلها اضاف الظلام الى السماء لان فيها ينشأ الظلام والضياء
بغروب الشمس وطلوعها على ما دبرها الله وقوله واخرج ضحاها قال مجاهد و
الضحاك اخرج نورها وقوله والارض بعد ذلك دحاها قال مجاهد والسدي معناه دحاها
مع ذلك كما قال عتل بعد ذلك اي مع ذلك وقال ابن عباس ان الله دحا الارض بعد
السماء وان كان الارض خلقت قبل السماء ومعنى دحاها بسطها دحا يدحو دحوا ودحيت
ادحى دحيا لغتان قال امية بن ابي الصلت دار دحوها ثم اعمر بابها واقام
بالمحوى التي هي لقد وقال اوس بن حجر ينفي الحصا عن جديد الارض مبترك
كانه فاحص او لاعب داحي وقوله اخرج منها ماءها يعني من الارض ماءها يعني المياه
التي تخرج من الارض وفيها منافع جميع الحيوان وبه قوام حياتهم كما قال وجعلنا من الماء
كل شيء حي ومرعاها اي واخرج المرعى من الارض وهو النبات الذي يصلح ان ترعاه الماشية
فمن ترعاه بان تاكله في موضعه يقال رعى رعيا ومرعى وسمي النبات الذي يصلح ان يرعى
وقوله والجبال ارساها اي واثبت الجبال في الارض والارساء الاثبات بالثقل
فالسفينة ترسو اي تثبت بثقلها فلا تزول عن مكانها وربما ارست بالبحر بما يطرح لها
فاما الجبال فابقاها اوتادا للارض وارسيت بثقلها وفي جعلها على الصفة التي هي عليها اعظم
العبرة وقوله متاعا لكم ولانعامكم اي خلقنا ما ذكرناه من الارض وما يخرج منها من
الاشجار والمراعي نفعا ومتعة ينتفعون بها معاشر الناس وينتفع بها انعامكم الابل والبقر
والغنم ففي الاشياء التي عددها لعظم دلالة واوضح حجة على توحيد الله لان الارض مع ثقلها
التي من شانها ان تذهب سفلا هي واقفة بامساك الله تعالى وهي على الماء ومن شان الماء
ان يجري في الانحدار فهو واقف بامساك الله تعالى فقد خرجت عن طبع الثقيل وذلك
لا يقدر عليه غير القادر لنفسه الذي يخترع الاشياء اختراعا دون القادر بقدرة الذي
لا يقدر ان يفعل في غيره الا على وجه التوليد بان يعتمد عليه فدل ذلك على ان الفاعل

لهذه الاشياء لا يشبه الاشياء ولا تشبهه وفي اخراج الماء من الارض عبرة لا تحصى كثرة
بما فيه من النفعة وما له من المادة وحل موضع الحاجة وسقيه للخلق مع ما فيه من المنفعة
والتوثيق في السبل الى المكان البعيد بالهولة كل ذلك من الله تعالى به على خلقه
وانعم به عليهم وقوله متاعا نصب على المفعول له وتقديره اخرج منها ماءها
ومرعاها للامتاع لكم لان معنى اخرج منها ماءها ومرعاها امتع بذلك قوله
تبارك وتعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر
الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان
الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي المأوى يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها
الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا
الا عشية او ضحاها ثلث عشرة آية قرأ ابو جعفر وعباس عن ابي عمرو
انما انت منذر من يخشاها بالتنوين الباقون على الاضافة والمعنى واحد فمن
نون جعل من في موضع النصب واما الفتادة ذلك لانه جعله منذرا في الحال
ومن اضافه احتمل ذلك كما احتمل في هذا عارض مستقبل او ديمهم والتنوين
معتمد لان المعنى انه منذر في الحال وفيما بعد ومن اضاف جعلها في موضع جر
والمنذر النبي صلى الله عليه وعلى آله قال الله تعالى انما انت منذر ولكل قوم
هاد قال قوم المنذر النبي عليه السلم والهادي علي عليه السلم وقيل لكل قوم هاد
داع يدعوهم الى الحق يقول الله تعالى مهددا للمكلفين من خلقه فاذا جاءت
الطامة الكبرى قال ابن عباس الطامة القيامة وقال الحسن الطامة هي
النفخة الثانية وقيل هي الصيحة التي تطم على كل شيء وهي الصيحة التي يقع
معها البعث والحساب والعقاب والثواب وقيل الطامة الغامرة الهائلة وفي

المثل ما من طامة الا وفوقها طامة قال الفراء يقال تطم على كل شيء تطم وقال قوم
الطامة الغامرة لما يدفق بغلظها وكثرتها وقيل هي الغاشية الغليظة المجللة التي
تدفن الشيء بالغلظ ثم بين متى يجيئها فقال يوم يتذكر الانسان ما سعى ومعناه يجيء الطامة
في يوم يتذكر الانسان ما عمله في دار التكليف من خير او شر وسعى فيه ويعلم ما يستحقه من
ثواب وعقاب وبرزت الجحيم لمن يرى ابصرها مشاهدة فالتبريز اظهار الشيء بشكل
الكثيف الذي يمضي اليه بالاحساس ويقال فلان يبرز في الفضل اذا ظهر باتم الظهور
وبارز قرنه اي ظهر اليه من بين الجماعة ثم قسم احوال الخلق في ذلك اليوم من العصاة والمطيعين
فقال فاما من طغى بان تجاوز الحد الذي حده الله وارتكب المعاصي والطغيان العصيان
بمجاوزة الحد فيه الى الافراط فيه فهو كالطاغي بافراطه في ظلم نفسه وظلم الغير كظلم
غيرها في التعاظم وقوله وآثر الحياة الدنيا معناه اختار منافع الحياة الدنيا بارتكاب
المعاصي وترك ما وجب عليه فالايثار ارادة الشيء على طريقة التفضيل له على غيره ومثله
الاختيار لانه اختياره على انه خير من غيره فمن آثر الادنى على الاولى فهو منقوص بالحكمة
كما ان من آثر القبيح على الحسن كان منقوصا وقيل المعنى من آثر نعيم الحياة الدنيا على نعيم
الاخرة والحياة حياتان حياة الدنيا وهي المنقطعة الفانية وحياة الاخرة وهي الدائمة فمن
آثر الباقي الدائم على الفاني المنقطع كان حسن الاختيار ومن آثر الفاني على الباقي كان
سيء الاختيار مغبونا ثم بين تعالى ماله في الاخرة فقال فان الجحيم هي المأوى
اي النار مثواه ومستقره وموضع مقامه ثم ذكر من هو ضد ذلك فقال واما من خاف
مقام ربه ومعناه من خاف مقام مسألة ربه عما يجب عليه من فعل او ترك وعمل بموجب ذلك
بان فعل الطاعة وامتنع من المعصية ونهى نفسه عن الهوى وما تدعو اليه شهوته من الهوى
او جبلته في النفس تدعو الى ما لا يجوز في العقل فاتباع الهوى مذموم ولا ينبغي ان
ان يعارضها الداعي الهوى وان حكم لراي العقل على موافقة الهوى ليقيد وقيل زهد

ثم صغرت الدنيا في أعينهم حين رأوا الآخرة ذكره قتادة وقيل الزهد في الدنيا والرغبة
في الآخرة هو الكف بطاعته واجتناب معصيته ثم بين تعالى ما له في مقابلة ذلك من
الثواب فقال فإن الجنة هي المأوى أي هي مقره ومأواه فالألف واللام تعاقب الضمير
كقولهم مررت برجل حسن الوجه أي حسن وجهه وقال الزجاج تقديره هي المأوى له ولا يكون
بدلًا من الهاء كما لا يكون بدلًا من الكاف في مثل قولك غض الطرف قال وقال الشاعر
فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبًا بلغت ولا كلابا ويروى فلا كعبًا والجنة البستان
الذي يجنه الشجر في خلاله وهذه الصفة على ما فيها من القصور والأبنية المحكمة التي
قد حوت كل تحفة وطرفة مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من غير أذى يلحق بحال
في عاجل ولا آجل وروي أن قصورها مبنية بفاخر الجوهر من الياقوت والزبرجد
ومنه ما هو بلبنة من فضة ولبنة من ذهب فتعظيم الله لها وتشويقه إليها يدل على أنها
على أجل حال تشتهى وفيها مع أنه لا يتعاظم في مقدور الله عز وجل ثم خاطب النبي عليه السلام
فقال يسألونك عن الساعة أيان مرساها أي متى يكون قيامها على ما قصصنا قال أيان
بمعنى متى إلا أن متى أكثر استعمالًا في السؤال عن الزمان ونظيرها أين في السؤال عن المكان
ولذلك قربت أيان من متى والإرساء الثبوت ومنه المرساة للسفينة ورسوا رسوًّا
ومنه راسية إذا ثبت ومنه قوله والجبال أرساها ويجوز أن يكون المراد بالمرسى المصدر
ويجوز أن يكون وقت الإرساء والمعنى متى يثبت أمرها بقيامها وقوله فيم أنت من ذكراها
أي أنه ليس عندك علم متى يكون وإنما عندك أن تعلم أنها تكون ذكره الحسن وقال غيره هي
حكاية قولهم أي قد كثرت من ذكرها فمتى تكون وقوله إلى ربك منتهاها أي علم
لها إلى الله تعالى أجراؤها فالمنتهى موضع بلوغ الشيء وكأنه قيل إلى ربك منتهى أمرها
بإقامتها لأن منتهى أمرها بذكرها ووصفها والإخبار بها ومنتهى أمرها إقامتها إلى الله
تعالى لا يقدر عليه إلا الله تعالى وقيل المعنى إلى ربك منتهى علمها أي لا يعلم الجهر

متى

متى وقت قيامها ذكره الحسن وقوله إنما أنت منذر من يخشاها خطاب من الله للنبي عليه السلام
بأنه إنما يخوف من يخاف ذلك اليوم وهو يوم القيامة وإنما خص الإنذار بمن يخشى لأنه
لما كان المنتفع بالإنذار من يخشى فكأنه خص بالإنذار والكافر لما لم ينتفع بذلك فكأنه لم
ينذر أصلًا ثم بين تعالى سرعة مجيئها وقرب حضورها فقال كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا
إلا عشية أو ضحاها وقال قتادة معناه أنهم إذا رأوا الآخرة صغرت الدنيا في
أعينهم حتى كأنهم لم يقيموا بها إلا مقدار عشية أو مقدار ضحاها يعني ضحى العشية و
أضيف الضحى إلى العشية وهو ضحوة والضحى لليوم الذي يكون فيه فإذا قلت آتيك صباحًا
ومساء فالمعنى آتيك صباحًا ومساء لي الصباح أو صباحًا لي المساء ويقول القائل
آتيك العشية أو غداتها قال الفراء وأنشدني بعض بني عقيل نحن صبحنا عامرًا
في دارها عشية الهلال أو سرارها قيل أصغر إذا انتهى واحرارها أراد عشية الهلال
أو عشية سرار العشية هذا أشد من ذلك

سورة عبس

مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي اثنتان وأربعون آية في الكوفي والمدنيين وإحدى
وأربعون في البصري **قوله تبارك وتعالى**

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى
أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى وَهُوَ
يَخْشَى فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى، عشر آيات **القراءة** قرأ عاصم وحده فتنفعه الذكرى بالنصب
على أنه جواب لعل يجري مجرى جواب الأمر والتمني لأن لعل للترجي فهي غير واجبة
كما أن الأمر غير واجب حصول ما تضمنه الباقون بالرفع عطفًا على يذكر وقرأ نافع
وابن كثير تصّدّى مشددة والمعرب مخرجها الباقون تصدى بتخفيف الصاد بإسقاط
إحدى التاءين وقرأ ابن أبي بزة وابن فليح عن ابن كثير تلهى بتشديد التاء بمعنى تتلهى

الصاد على أن معناه تتصدى
فأدغم إحدى التاءين في الصاد ثم

فادغم احدى التائين في اللام الباقون وقيل عن ابن كثير بتخفيف اللام وحذف احدى التائين
قوله الله تعالى انه عبس وتولى فمعناه قبض وجهه واعرض فالعبوس تقبيض الوجه
عن نكرة والعبوس والبسور هو التقطيب وعبس فلان في وجه فلان مثل كلح ومنه اشتق
اسم عباس ومعنى تولى اعرض وذهب بوجهه عنه فصرفه عن ان يليه يقال تولى عنه بمعنى
اعرض وذهب بوجهه عنه فصرفه عنه وتولاه بخلاف تولى عنه فان تولاه بمعنى عقد
على نصرته وتولى عنه اعرض عنه وقوله ان جاءه الاعمى معناه عبس لان جاءه الاعمى و
قال ابن خالويه تقديره اذا جاءه الاعمى والاعمى المراد به عبد الله بن ام مكتوم في قول
ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد قال الفراء كانت ام مكتوم ام ابيه
وقال غيره كانت امه وقال ابن خالويه ابوه يكنى ابا السرح واختلفوا فيمن وصفه الله تعالى
بذلك فقال كثير من المفسرين واهل الحشو ان المراد به النبي صلى الله عليه وعلى آله قالوا
وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله كان معه جماعة من اشراف قومه ورؤسائهم قد خلا بهم فاقبل
ابن ام مكتوم ليسلم فاعرض النبي عليه السلام عنه كراهة ان يكره القوم اقباله عليه فعاتبه
الله على ذلك وقيل ان ابن ام مكتوم كان مسلما وانما كان يخاطب النبي عليه السلام
وهو لا يعلم ان رسول الله مشغول بكلام قوم فيقول يا رسول الله وهذا فاسد لان [ويكرمهم]
[وقد] النبي عليه السلام قد اجل الله قدره عن هذه الصفات وكيف يصفه بالعبوس والتقطيب
وصفه بانه على خلق عظيم وانه لو كان فظا غليظ القلب لانفضوا من حوله وكيف يعرض
[وكيف يوصف بالاعراض عن] عمن تقدم وصفه مع قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه ومن عرف النبي عليه السلام وحسن اخلاقه وما خصه الله به من مكارم الاخلاق وحسن
الخلائق وما خصه الله به من مكارم الصحبة حتى قيل انه لم يصافح احدا قط فنزع يده من
يده حتى يكون ذلك الذي ينزع يده من يده فمن هذه صفته كيف يقطب في وجه اعمى جاء يطلب
الاسلام على ان الانبياء عليهم السلام منزهون عن مثل هذه الاخلاق وعما هو دونها في ذلك

من التنفير عن قبول قولهم والاصغاء الى دعائهم ولا يجوز مثل هذا على الانبياء من عرف
[نعتهم] مقدارهم وتبين صفتهم وقال قوم ان هذه الايات نزلت في رجل من بني امية كان
واقفا مع النبي عليه السلام فلما اقبل ابن ام مكتوم تقذر منه وجمع نفسه وعبس في وجهه واعرض
بوجهه عنه فحكى الله ذلك وانكر معاتبته على ذلك وقوله وما يدريك خطاب
للنبي عليه السلام وتقديره قل يا محمد وما يدريك لعله يزكى وانما اضاف العبوس الى النبي عليه السلام
من اضافه لكونه اعرض ويدريك متوجها اليه في اللفظ انه عبث له دون ان يكون متوجها اليه
على ان يقول لمن فعل ذلك ويوبخه عليه ومعنى قوله يزكى يتزكى بالعمل الصالح فادغم
التاء في الزاي كما ادغمت في الذال في قوله يذكر ومعناه يتذكر ولا يجوز ادغام الزاي
في التاء لانها من حروف الصفير وهي الصاد والسين والزاي وقوله او يذكر معناه
او يتذكر ما امر الله تعالى به ويفكر فيما امره بالفكر فيه وقد حض الله تعالى على
التذكر في غير موضع من القرآن فقال وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال انما يتذكر
اولوا الالباب وينبغي للانسان ان يستكثر من ذكر ما يدعو الى الحق ويصرف عن الباطل
ثم بين انه متى تذكر فانه ينفعه الذكرى اي الفكر فيما امره الله به من القرآن وغيره من
الادلة وقوله اما من استغنى فانت له تصدى معناه اما من كان غنيا او وجد من نفسه
فالاستغناء الاكتفاء بالشيء عما يبقى الضرر وقد يكتفي الانسان في ملكه بما يستغلي يستغني
استغناء في الحقيقة وقوله فانت له تصدى واصله فالتصدي هو التعرض للشيء
كتعرض العطشان للماء واصله الصدى وهو العطش ورجل صديان اي عطشان
والصدى الصوت الذي يرده الجبل او الحمام ونحوهما قال مجاهد المراد بمن استغنى
[عليك] عتبة بن ربيعة وقال سفيان نزلت في العباس فقال وما عليك الا يزكى اي
قل له وما عليك الا يتزكى فالتزكي هو التطهر من الذنوب واصله الزكاء وهو النماء
فلما كان الخير ينمي للانسان بالتطهر من الذنوب كان متزكيا ثم قال واما من جاءك

يبقى وهو يخشى يعني عبد الله ابن ام مكتوم جاء الى النبي عليه السلم وهو يخشى معصية الله
والكفر والخشية هي الحذر من مواقعة المعصية خوفا من عقاب الله فانت عنه تلهى اي
تعرض عنه فالتلهي عن الشي هو التروح بالاعراض عنه والتلهي به التروح بالاقبال عليه
ومنه قولهم اذا استاثر الله بشي فاله عنه اي اتركه واعرض عنه قوله تعالى
كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة
كرام بررة قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره
ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره
ثلث عشرة اية يقول الله تعالى كلا اي ليس الامر ينبغي ان يكون على هذا او قوله
انها تذكرة اي كلا ان السورة تذكرة فمن شاء ذكر التنزيل او الوعظ وقال قوم
الهاء عائد والمبدا محذوف وتقديره انها هي تذكرة والتذكر حضور الموعظة فيها
اعظم الفايدة وفي المفصل ثلاثة كلا اكثر والفرق بين التذكر والمعرفة ان التذكرة ضد
الغفلة والمعرفة تضاد الجهل والنكر وكلاهما يتعاقبان على حال الذكر دون السهو
والذكر معظم لانه طريق الى العلم بالحق من الباطل والصحيح من الفاسد وقيل ان
قوله كلا دال على انه ليس لاحد ان يفعل ذلك فيما يستانف واما الماضي فلم يتقدم على انه معصية
لانه لم يتقدم النهي عنه وقوله فمن شاء ذكره دليل على بطلان مذهب المجبرة في ان القدرة
مع الفعل وان المؤمن لا قدرة له على الكفر وان الكافر لا يقدر على الايمان لانه تعالى
بين ان من شاء ان يذكره ذكره لانه قادر عليه وقوله في صحف مكرمة اي ما ذكرناه في
صحف مكرمة اي معظمة مبجلة ووصف الصحف بانها مكرمة تعظيما لما تضمنته من الحكمة
وقوله مرفوعة مطهرة اي مصونة عن ان ينالها ايدي الكفار الانجاس وقال
الحسن مطهرة من كل دنس وقوله مرفوعة اي رفعها الله عن دنس الانجاس
ونزهها عن ذلك وقوله بايدي سفرة قيل السفرة ملائكة موكلون بالاسفار من كتب الله

السهو

تذكرة م

[illegible]

والسفرة

٤٠٣

والسفرة الكتبة لاسفار الحكمة واحدهم سافر كقولك كاتب وكتبة وواحد
الاسفار سفر واصله الكشف من الامر سفرت المراة اذا كشفت عن وجهها فالكاتب
يسفر بالكتابة عما في النفس وقال ابن عباس السفرة الكتبة وفي رواية اخرى عنه انها
الملائكة وقال قتادة هم القراء وقيل هم الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله
ورسله والسفير للقوم الذي يسفر بينهم في الصلح وسفرت بين القوم اذا اصلحت
بينهم قال الشاعر وما ادع السفارة بين قومي وما امشي بغش ان مشيت
واسفر الصبح اذا اضاء وقوله كرام بررة من صفة السفرة وصفهم الله بانهم
كرام وهو جمع كريم وهو الذي من شانه ان ياتي بالخير من جهته من غير شايب
يكدره وهي صفة مدح ومنه احدث الكرمة لشرف ثمرتها والكرم يتفاضل
فالنبي اكرم من ليس بنبي والمؤمن اكرم ممن ليس بمؤمن والبررة جمع بار تقول
بر فلان فلانا يبره فهو بار اذا احسن اليه ونفعه والبر فعل النفع اجلالا بالود و
والبار فاعل البر وجمعه بررة مثل كاتب وكتبة واصله اتساع النفع منه ومنه البر سمي به
نفعا او لا باتساع النفع به ومنه البر لاتساع النفع به ورجل بر وامرأة برة ولا يجمع الا
على هذا استغنا به وقوله قتل الانسان ما اكفره معناه لعن الانسان قال مجاهد
وهو الكافر وقيل معناه انه حل محل من يدعى عليه بالقتل في ماله بقبح الفعل فخرج
مخرج الدعاء عليه ولا يقال ان الله دعا عليه بقبح اللفظ (بالقتل) بذلك لما يوهم من تمني المدعو
ومعنى ما اكفره اي شي اكفره على وجه التقريع له والتوبيخ وقيل معناه النفي وتقديره ما
احجده لنعم الله مع ظهورها ثم بين اي شي خلقه تعجبا له لانه يعلم ان الله خلقه من نطفة ثم
بين تعالى مما ذا خلقه فقال من نطفة خلقه فقدره والتقدير جعل الشي على مقدار
غيره فلما كان الانسان قد جعل على مقدار ما تقتضيه الحكمة في امره من غير زيادة و
لا نقصان كان قد قدر احسن التقدير ودبر احسن التدبير ثم السبيل يسره اي سهل له

سبيل الخير في دينه ودنياه بان بينه له فارشده اليه ورغبه فيه فهو يكفر هذا كله ويجحده ويضيع حق الله عليه في ذلك من الشكر واخلاص العبادة وقال ابن عباس وقتادة والسدي يسر خروجه من بطن امه وقال مجاهد سهل له طريق الخير والشر كقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وقال الحسن سبيل الخير وقال ابن زيد سبيل الثواب وقال الحسن يسره معناه بصره طريق الهدى والضلال وقيل يسر خروجه من بطن امه فانه كان راسه الى راس امه ورجلاه الى رجلها فقلبه الله عند الولادة ليسهل خروجه منها وقوله ثم اماته فاقبره فالاماتة احداث الموت وفي الناس من قال الاماتة عرض يضاد الحياة مضادة المعاقبة على الحال الواحدة وهي حال تعديل البنية الحيوانية وذلك ان ما لا يصح ان يحله حياة لا يصح ان يحله موت وقال قوم الموت عبارة عن نقض البنية الحيوانية او فعل ما ينافي ما يحتاج اليه الحياة من الرطوبات والمعاني وقوله فاقبره فالاقبار جعل القبر لدفن الميت فيه يقال اقبره اقبارا والقبر الحفر المهيا للدفن فيه ويقال اقبرني فلانا اي جعلني اقبره فالمقبر هو الله تعالى يامر عباده ان يقبروا الناس اذا ماتوا والقابر الدافن الميت بيده قال الاعشى:

لو اسندت ميتا الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر

وقال الاعشى: حتى يقول الناس مما راوا يا عجبا للميت الناشر

وقوله ثم اذا شاء انشره فالانشار الاحياء للتصرف بعد الموت كنشر الثوب بعد الطي انشر الله الموتى فنشروا كقولهم احياهم فحيوا والمشية هي الارادة والمعنى اذا شاء الله تعالى ان يحيي الميت احياه وهو قوله لاعن الجزاء بالثواب او العقاب وقوله كلا لما يقض ما امره معناه كلا لم يقض ما عليه فلم يفعله من اخلاص عبادته وشكره على حقيقة نعمه وقال مجاهد لا يقضي احد ابدا كل ما افترض عليه قوله تبارك وتعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا

وقال الواسطي وسراه جمعوه على فعاله واجروه مجرى فاعل من الفصيح صح

كلا لما يقض ما امره الله بر لا تنزل قلما امره باشياء واجبة عليه نسخه

فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم تسع آيات قرا اهل الكوفة انا صببنا بفتح الالف على البدل من طعامه او على انه خبر ابتداء محذوف الباقون بالكسر على الاستيناف يقول الله تعالى لخلقه منبها لهم على قدرته على احياء الخلق بعد موتهم ونشرهم ومجازاتهم بان امره ان ينظر الى طعامه الذي يأكله ويتقوته ويفكر كيف يخلقه الله ويوصله اليه ويمكنه من الانتفاع به ويبين كيفية ذلك فقال انا صببنا الماء صبا اي انزلنا الغيث انزالا ثم شققنا الارض شقا فالشق قطع الشيء طولا ومثله الصدع والفرج والفطر من ذلك شق الارض وشق الخشبة وشق الشعرة فاما قطع الليط وقطع الشعر فعلى خلاف ذلك فبين تعالى انه يشق الارض ويخرج منها ما انبته من انواع النبات ومن فتح انا على البدل فعلى انه بدل الاشتمال ويكون موضعه جرا وتقديره فلينظر الانسان الى انا صببنا وقال آخرون موضعه نصب لان الاصل بانا ولانا فلما اسقط الخافض نصب والمعنى فلينظر الانسان الى حدوث طعامه او بيان طعامه لانه موضع الاعتبار وقال المبرد تقديره فلينظر الانسان الى طعامه لانا صببنا فاخرجنا اي لهذه العلة كان طعامه لان قوله انا صببنا الخبر من الطعام في شيء وقال ابو علي وهو بدل الاشتمال لان ما ذكره يشتمل على الطعام فهو بمنزلة قوله قتل اصحاب الاخدود النار وقوله فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا فالانبات اخراج النبات حالا بعد حال يقال انبته الله انباتا فنبت نباتا فالنبات والانبات واحد الا ان الانبات يوجد منه صفة المنبت والنبات يوجد منه النابت وليس النابت فاعلا لكنه الصابر على تلك الصفة بتصيير غيره اياه لما اشبه الفعل الذي يشتق له منه اسم الفاعل والحب جمع الحبة مثل الشعير والحنطة والسمسم والدخن والارز وغير ذلك وكل الشيء حب اللؤلؤ تشبيها بذلك في تدويره والقضب الرطبة في قول الضحاك والفراء واهل مكة يسمون القت قضبا واصلها يقطع رطبا من قولهم قضبه اقضبه قضبا

اذا قطعته رطبا ومنه القضيب والمقضب والزيتون معروف وانما ذكره لعظم النفع به والبلد من
الذي يكون منه ونخلا اي وانبتنا من الارض نخلا اي وانبتنا من الارض نخلا وهو شجر الرطب
والتمر وحدائق غلبا فالحديقة البستان المحوط وجمعه حدائق ومنه احدق به القوم اذا احاطوا
به ومنه الحدقة لما احاط بها من جفنها والغلب جمع اغلب وغلبا اي غلاظا عظام الاشجار
ويجوز غلباء اذا كانت غليظة قال الفرزدق عوى فاثار اغلب ضيغميا فويل
ابن المراغة ما استثارا وقوله وفاكهة يعني ثمر الاشجار التي فيها النفع والالتذاذ يقال
تفكه بكذا اذا استعمله للاستمتاع به والفاكهة تكون رطبة ويابسة والاب المرعى من الحشيش
وسائر النبات الذي ترعاه الانعام والدواب ويقال اب الى سيفه فاستله كقولك هب
اليه ويد اليه ليمتلكه وبالمرعى بالخروج قال الشاعر وات ابرجها وقال
ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك الاب الكلا والمرعى قال الشاعر
جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب بها والمكرع وقوله متاعا لكم ولانعامكم والكرع
فالمتاع كل شيء فيه اللذاذ الاحساس من ماكل او منظر او مشم او ملبس واصله المصدر من قولهم
امتعه امتاعا ومتاعا ووسع المهاد اذا ارتفع لمن يأر تفاعه يتمتع به فبين تعالى انه خلق
ما خلق وانبت ما انبت من الارض لامتاع الخلق به من المكلفين وانعامهم الذين ينتفعون
بها والانعام الماشية بنعمه الشي من الابل والبقر والغنم خلافا لما قرينة ويطيعه من
من الخيل والبغال والحمير قوله تبارك وتعالى فاذا جاءت الصاخة يوم
يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة
اولئك هم الكفرة الفجرة ه عشر آيات قوله فاذا جاءت الصاخة قال ابن عباس
هي القيامة وقيل هي النفخة الثانية التي يحيى عندها الناس وقال الحسن الصاخة هي التي
يصيخ لها الخلق وهي النفخة الثانية والصاخة هي الصاكة بشدة صوتها الاذان فتصمها صخ

يصخ صخا فهو صاخ وقد قلبها الضاعف بالكراهة التضعيف فقيل اصاخ يصيخ اصاخة
قال الشاعر يصيخ للنبأة اسماعه اصاخة الناشد للمنشد وقيل تطيف والاصل
تطنت ثم بين ان من شدة اهوال ذلك اليوم يفر المرء من اخيه ومن امه وابيه ومن
صاحبته التي هي زوجته في الدنيا وبنيه يعني اولاده الذكور تفر منهم لانه لا يجد ما يتحمله
تلون عليه وقيل بلا يرى ما ينزل به من الهوان والذل والعقاب وقيل يفر منه
حذرا به لعظم ما هو فيه وقيل لانه لا يمكنه ان ينفعه بشي ولا ينتفع منه بشي وقوله
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فالمرء هو الذكر من الناس وتأنيثه امرأة والمعنى
ان لكل انسان منكلف مشغول بنفسه لا يلتفت الى غيره من صعوبة الامر وشدة اهواله
والشان الامر العظيم يقال لفلان شان من الشان اي له امر عظيم واصل الواحد من شؤون
الراس وهو موضع الوصل بين متقابلاته التي بها قوام امره ومعنى يغنيه اي يكفيه من
زيادة عليه اي ليس فيه فضل لغيره لما هو فيه من الامر الذي قد اكتنفه وملا صدره فصار
كالغني عن الشيء في انه لا ينازع اليه ثم قسم تعالى احوال العصاة والمؤمنين فقال وجوه
يومئذ مسفرة اي مكشوفة مضيئة فالاسفار الكشف عن ضياء من قولهم اسفر الصبح اذا
اضاء وسفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها ومنه السفر لانه يكشف عن امور تظهر به قال
الشاعر وهو توبة بن الحمير وكنت اذا ما جئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها
اي كشفها قناعها وقوله ضاحكة مستبشرة اي فرحها بما اعد لها من الثواب
تكون ضاحكة مسرورة والضحك والاستبشار يجوز ان اضيفا الى الوجه فالمراد به اصحاب
الوجوه لما ذكر الاسفار والاشراق فيجوز ان يكون للوجوه خاصة بما يجعل الله فيها من النور
لتعرف الملائكة بين المؤمنين والكفار ثم قال ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها
قترة اي يكون على تلك الوجوه غبار وجمعه غبرة اي يغشاها قترة وهي ظلمة الدخان ترهقها
ومنه قتر الصائد موضعه الذي يدخن فيه للتدفئ به ثم اخبر ان من كان على وجهه

العبرة التي تغشاها القترة هم الكفرة جمع كافر والفجرة جمع فاجر كما ان كاتبا يجمع كتبة وساحرا يجمع سحرة وليس في ذلك ما يدل على مذهب الخوارج من ان من ليس بمؤمن لا بد ان يكون كافرا من حيث ان الله قسم الوجوه هذين القسمين وذلك انه تعالى ذكر ضربين من الوجوه متقابلين وجوه المؤمنين ووجوه الكفار ولم يذكر وجوه الفساق من اهل الملة ويجوز ان يكون ثم صفة اخرى بخلاف ما لهذين بان يكون عليها غبرة ولا يغشاها قترة او يكون عليها صفرة ولو دل ذلك على ما قالوه لوجب ان يدل قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه على ان يكون مرتدا لانه تعالى قال لهم اكفرتم بعد ايمانكم والخوارج لا تقول بذلك لان من المعلوم ان هاهنا كفارا في الاصل لسواهم تميز عن الايمان

كل من لا يبيض وجهه من المؤمنين لحسان مر

سورة اذا الشمس كورت

مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي تسع وعشرون آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت واذا الصحف نشرت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت اربع عشرة آية قرأ ابن كثير واهل البصرة سجرت خفيفة الجيم الباقون بتشديدها وقرأ اهل المدينة وابن عامر وحفص عن عاصم نشرت خفيفة الشين الباقون بالتشديد وقرأ نافع وباقي اهل المدينة وابن عامر في رواية ابن ذكوان وعاصم الا يحيى ورويس سعرت بتشديد العين الباقون بتخفيفها وقرأ ابو جعفر قتلت مشددة التاء الباقون بتخفيفها يقول الله تعالى مخبرا عن وقت حضور القيامة وحصول شدائدها اذا الشمس كورت ثم انكدرت

واللفظ

واللفظ وان كان ماضيا فالمراد به الاستقبال لانه اذا اخبر تعالى بشيء فلا بد من كونه فكانه واقع والفعل الماضي يكون بمعنى المستقبل في الشرط والجزاء وفي افعال الله وفي الدعاء اذا كرر لقولك حفظك الله واطال بقاءك ومعنى كورت في قول ابن عباس وابي بن كعب ومجاهد وقتادة والضحاك ذهب نورها وقال الربيع بن خثيم معناه رمي بها والتكوير تلفيف على جهة الاستدارة وهو كور العمامة كورها يكورها تكويرا ومنه الكارة ويقال كورت العمامة على راسي اكورها كورا وكورتها تكويرا ويقال طعنه فكوره اي رمى به ذكره الازهري ومنه قولهم اعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من النقصان بعد الزيادة فالشمس تكور بان يجمع نورها حتى يصير كالكارة الملقاة فيذهب ضوؤها ويحدث الله عز وجل للعباد ضياء غيرها وقوله واذا النجوم انكدرت فالنجوم جمع نجم وهو الكوكب وجمعه كواكب ومنه نجم النبت اذا طلع ينجم نجما فهو ناجم وكذلك نجم القرآن ونجم السن والانكدار انقلاب الشيء حتى يصير الاعلى الاسفل بما لو كان ماء لتكدر وقيل اصل الانكدار الانصباب قال العجاج

ابصر خربان فضاء فانكدر

وقال مجاهد والربيع بن خثيم وقتادة وابو صالح وابن زيد انكدرت معناه تناثرت وقوله واذا الجبال سيرت فمعنى تسيير الجبال تصيرها هباء وسرابا وقوله واذا العشار عطلت فالعشار جمع عشراء وهي الناقة التي قد اتى عليها عشرة اشهر من حملها وهو مأخوذ من العشرة والناقة اذا وضعت لتمام في سنة وقال الفراء العشار لقح الابل عطلها اهلها لاشتغالهم بانفسهم وقال الجبائي معناه ان السحاب يعطل عما يكون فيها من المياه التي ينزلها الله على عباده في الدنيا وحكى الازهري عن ابي عمرو انه قال العشار السحاب قال الازهري وهذا لا اعرفه في اللغة والمعنى ان هذه الحوامل التي يتنافس اهلها فيها قد اهملت وقوله واذا الوحوش حشرت قال عكرمة حشرها موتها وغيره قال معناه

وقيل معناه لم تحلب ولم تمس بل يخلي عنها لاشتغالهم عنها صح

تغيرت الامور بان صارت الوحوش التي تشرد في البلاد تجتمع مع الناس وذلك
ان الله تعالى يحشر الوحوش ليوصل اليها ما تستحقه من الاعواض فاذا على الالام
التي دخلت عليها وينتصف لبعضها من بعض فاذا عوضها الله تعالى فمن قال
العوض دايم قال تبقى منعمة على الابد ومن قال العوض يستحق منقطعا اختلفوا فمنهم
من قال يديمها الله تفضلا لئلا يدخل على المعوض غم بانقطاعه ومنهم
من قال يميتها الله تفضلا لئلا يدخل على المعوض غم بدوا انقطاعه ومنهم من قال
اذا فعل بها ما تستحقه من الاعواض جعلها ترابا وقوله واذا البحار سجرت معناه
ملئت نارا كما يسجر التنور واصل السجر الملؤ قال لبيد فتوسطا عرض السرى
وصدعا مسجورة متجاورا قلامها اى مملوة ومنه البحر المسجور قال ابن عباس وابي
بن كعب سجرت اوقدت فصارت نارا وقال شمر بن عطية بمنزلة التنور المسجور وقال
قال الحسن والضحاك معناه ملئت حتى فاضت على الارضين فتنشفها حتى يكون لجج البحار
ورؤس الجبال بمنزلة واحدة وقيل معنى سجرت جعل ماؤها شرابا يعذب به اهل النار
وقال الفراء معناه افضى بعضها الى بعض فصارت بحرا واحدا ومن ثقل اراد التكثير
ومن خفف فلانه يدل على القليل والكثير وقوله واذا النفوس زوجت
معناه ضم كل واحد منها الى شكله والنفس قد يعبر بها عن الانسان ويعبر بها عن الروح
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن عباس ومجاهد وقتادة كل انسان بشكله
من اهل النار واهل الجنة وقال عكرمة والشعبي معنى زوجت ردت الارواح
الى الاجساد وقيل معناه يقرن الغاوي بمن اغواه من شيطان او انسان
وقوله واذا الموؤدة سئلت فالموؤدة المقتولة بدفنها حية فكانت العرب تئد
البنات خوف الاملاق وادها يئدها وادا فهي موؤدة اي مدفونة حية وعلى هذا
جاء ولا تقتلوا اولادكم من املاق وقال قتادة جاء قيس بن عاصم التميمي

الى

الى النبي صلى الله عليه فقال اني وادت ثماني بنات في الجاهلية فقال النبي عليه السلام
فاعتق عن كل واحدة رقبة قال اني صاحب ابل قال فاهد الى من شئت عن كل واحدة بدنة
وقيل موؤدة للثقل الذي عليها من التراب وقوله ولا يؤوده حفظهما اي
لا يثقله وقال الفرزدق ومنا الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يوأد
فانما يسأل عن الموؤدة على وجه التوبيخ لقاتلها وهو ابلغ من سؤاله لان هذا مما لا
يصلح الا بذنب فباي ذنب كان ذلك فاذا ظهر انه لا ذنب لها جاءت الطامة الكبرى
على قاتلها لانه رجع الامر اليه بحجته بعيرتها وقال قوم تقديره سئلت قتلتها
باي ذنب قتلت والكناية عنها اظهر وروي في الشواذ وهو المروي عن ابن عباس وعن
من الصحابة انهم قرؤا واذا الموؤدة سألت باي ذنب قتلت حملوها على السائلة عن
سبب قتلها لا المسؤولة وهو المروي في اخبارنا وقوله واذا الصحف نشرت
فالنشر بسط المطوي والنشر للصحف والثياب ونحوها والصحف جمع الصحيفة التي فيها اعمال
الخلق من طاعة ومعصية تنشر عليه ليقف كل انسان على ما يستحقه وقوله واذا السماء
كشطت فالكشط القلع من شدة التزاق كشط جلدة الراس يكشطها كشطا اذا
قلعها فتقلع السماء عن مكانها على شدة ما فيها من اعتماد كقلع جلدة الراس عن مكانها
والكشط والقشط واحد وفي قراءة عبد الله واذا السماء قشطت وقوله واذا الجحيم
سعرت معناه اشتعلت واضرمت فالتسعير تهييج النار حتى تتاجج ومنه السعر لانه
هيج الثمن بالارتفاع او الانحطاط واسعرت الحرب والشر بين القوم من هذا ومن شدد
يسعرها اراد التكثير ومن خفف فلانه يدل على القليل والكثير وقال قتادة تسعيرها غضب
الله وخطايا بني آدم وقوله واذا الجنة ازلفت اي قربت من اهلها يوم القيامة فالازلاف
الادناء وحذف يعني ومنه الزلفة القربة وازدلف الى الامر اقترب منه ومنه المزدلفة لانها قريبة
من مكة وقوله علمت نفس ما احضرت هو جواب اذا الشمس كورت وما بعدها من

الشروط والمعنى ان عند ظهور الاشياء التي ذكرها وعددها يعلم كل نفس ما عملته من طاعة
او معصية وقد كان غافلا عنه وهو لغو لما احصاه الله ونسوه قوله تعالى
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون
ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم
فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن
الا ان يشاء الله رب العالمين خمس عشرة آية قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي
ورويس بظنين بالظاء اي ليس على الغيب بمتهم والغيب هو القرآن وما تضمنه من الاحكام
وغير ذلك من اخباره عن الله الباقون بالضاد بمعنى انه ليس ببخيل لا يمنع احدا من
تعليمه ولا يكتمه وفي المصحف بالضاد قوله فلا اقسم بالخنس معناه اقسم ولا صلة
وقد بينا نظائره فيما مضى والخنس جمع خانس وهو الغائب عن طلوع وخنست الوحشية
في الكناس اذا غابت فيه بعد طلوع وروي عن امير المومنين علي عليه السلم ان الخنس
النجوم لانها تخنس بالنهار وتبدو بالليل وقيل تخنس في مغيبها بعد طلوعها
وبه قال الحسن ومجاهد وقال ابن مسعود وابراهيم هم بقر الوحش وقال ابن
عباس وسعيد بن جبير والضحاك هي الظباء وقيل اقسم بالنجوم الخنس بهرام وزحل
والمشتري وعطارد والزهرة وقوله الجوار الكنس معناه النجوم التي تجري في سيرها
ثم تغيب في مغاربها على ما دبره الله تعالى فيها في طلوعها ثم جريها في سيرها ثم غيبتها
في مواضعها من الآية العظيمة والدلالة الباهرة المؤدية الى معرفته تعالى ما لا يخفى على متأمل
معرفته وعظم شانه فالجاري النجوم السيارة والجاري السفن في البحار والجارية المراة الفتاة
وقوله الكنس نعت للجوار وهو جمع كانس وهي الغيب في مثل الكناس وهو كناس
الوحشية بيت تتخذه من الشجر تختفي فيه قال طرفة كان كناسي ضالة يكنفانها

تختفي

والطرفي تحت صلب مؤيد وقوله والليل اذا عسعس فيه قولان احدهما ان معنى عسعس ادبر
بظلامه في قول امير المومنين علي عليه السلم وابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك
وابن زيد وقال الحسن ومجاهد في رواية والفضل بن عطية اقبل بظلامه تقول العرب
عسعس الليل اذا ادبر بظلامه قال علقمة بن قرط حتى اذا الليل لها تنفسا وانجاب
عنها ليلها وعسعسا وقيل عسعس دنا من اوله واظلم والعس طلب الشيء بالليل عس
يعس عسا ومنه اخذ العسس وقال صاحب العين العس نفض الليل عن اهل
الريبة والعس قدح عظيم من خشب او غيره وكان اصله امتلاء الشيء بما فيه فقدح اللبن
من شأنه ان يمتلئ به ويمتلئ الليل بما فيه من الظلام وعسعس ادبر بامتلاء ظلامه وقال
الحسن والليل اذا عسعس معناه اذا اظلم والصبح اذا تنفس اذا اسفر وقوله
والصبح اذا تنفس فيه آخر بالصبح اذا اضاء واشتد ضوءه يقال تنفس الصبح وتنفس
النهار اذا امتد بطوله والنفس امتداد هواء الجوف بالخروج من الفم والانف يقال
تنفس الصعداء وقوله انه لقول رسول كريم جواب القسم اي نعت ومعنى انه لقول
رسول يعني القرآن قول رسول كريم وهو جبرئيل في قول قتادة والحسن يعني
انه سمعه من جبرئيل ولم يقله من قبل نفسه وقال غيره يجوز ان يراد به محمد صلى الله عليه
وآله فانه اتى به من عند الله وقوله ذي قوة معناه قوي على اداء الله وقيل معناه قوي
في نفسه في قول من قال هو جبرئيل لانه قوي قلبه قريات لوط بقوادم جناحه
وقوله عند ذي العرش معناه عند الله صاحب العرش مكين اي متمكن عنده وفي
هذا الكلام تعظيم للرسول بانه كريم وانه مكين عند ذي العرش العظيم وان الله تعالى
اكد ذلك اتم التاكيد وقوله مطاع ثم امين من قال المراد بالرسول جبرئيل قال
معناه انه مطاع في الملائكة امين على وحي الله ومن قال هو الرسول عليه السلم قال
معناه انه يجب ان يطاع فان من اطاعه فيما يدعوه اليه كان فائزا بخير الدنيا والاخرة ويرجع

الصبح

بطاعته الثواب وبالمعصية من العقاب وانه عليه السلام كان يدعى الامين قبل البعث فالامين
هو الحقيق بان يؤتمن من حيث لا يخون ولا يقول الزور ويعمل بالحق في الامور ثم خاطب
تعالى جماعة الكفار فقال وما صاحبكم بمجنون اي ليس صاحبكم الذي يدعوكم الى الله
والاخلاص عبادته بموصوف العقل على ما يرمونه به من الجنون والجنون المغطى على عقله حتى
لا يدرك الامور على ما هي به للآفة الغامرة له فيغلب الآفة بتمييز من النائم لان النوم ليس
بآفة ولا عاهة وقوله ولقد رآه بالافق المبين معناه ان النبي صلى الله عليه وآله رأى جبرئيل
على صورته التي خلقه الله عليها بالافق المبين فالافق ناحية من السماء قال هو كالنجم
في الافق وفلان ينظر في افق السماء وقوله مبين اي هو ظاهر لانه آفاق السماء من
هو يجليه بجوانب يقين وقال الحسن وقتادة الافق المبين حيث تطلع الشمس وقوله
وما هو على الغيب بظنين قال ابن عباس وسعيد بن جبير وابرهيم والضحاك
معناه ليس على وحي الله وما يخبر به من الاخبار بمتهم اي ليس ممن ينبغي ان يظن به الريبة
لان احواله ناطقة بالصدق والامانة ومن قرأ بالضاد معناه انه ناطقة بالصدق والامانة
ليس ببخيل على الغيب وقوله وما هو بقول شيطان رجيم معناه انه ليس هذا القرآن
من قول شيطان رجيم قال الحسن معناه رجمه الله باللعنة وقيل رجيم بالشهب طرداً من
السماء فهو فعيل بمعنى مفعول وقوله فاين تذهبون معناه اين تذهبون عن الحق
الذي ظهر امره وبانت اعلامه الى الضلال الذي فيه البوار والهلاك وهو استبطاء
لهم في القعود عن النبي صلى الله عليه وآله العمل بما يوجبه القرآن انه الذهاب هو المضي
من شيء الى شيء بالقعود الاخير وقيل معنى اين تذهبون الى اين تذهبون قال
بعض بني عقيل تصيح بنا حنيفة اذا رأتنا واي الارض تذهب للصياح يعني
الى اي الارض وقيل معناه فاي طريق تسلكون ابين من الطريق الذي بينه لكم
ان هو الا ذكر للعالمين معناه ليس هذا القرآن الا ذكرا للعالمين يمكنكم ان توصلوا

الى الحق والذكر ضد السهو وعليه يتضاد العلم واضداده لان الذاكر لا يخلو ان يكون
عالما او جاهلا او مقلدا او شاكا ولا يصح شيء من ذلك مع السهو الذي يضاد الذكر
وقال الرماني الذكر ادراك النفس الذي يضاد الذكر المعنى بما يضاد السهو والعالمين
جمع عالم وقد فسرناه فيما مضى وقوله لمن شاء منكم ان يستقيم قال الحسن معناه هذا
القرآن ذكر للعالمين وهو لمن شاء منكم ان يستقيم على امر الله وعظ وقوله وما تشاؤون
الا ان يشاء الله رب العالمين قيل في معناه ثلاثة اقوال احدها وما تشاؤون
من الاستقامة الا وقد شاءها الله لانه قد جرى ذكرها فحسنت الكناية الهاء
لا يجوز ان يشاء العبد الاستقامة الا وقد شاءها الله لانه امر بها ورغب فيها ثم الترغيب
فمن رغبه فيه اراده والثاني وما تشاؤون شيئا الا ان يشاء الله تمكينكم منه
لان الكلام يقتضي الاقتدار على تمكينكم اذا شاء وسعهم انا نشاء الثالث وما
تشاؤون الا ان يشاء الله ان يلطف لكم في الاستقامة لما في الكلام من معنى النعمة
وروي عن النبي عليه السلام انه قال شيبتني هود واخواتها واخواتها الواقعة واذا
الشمس كورت وهو جميع ما وعظ الله به عباده فان قيل الى انس لما سئل هل اختضب
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله فقال لما شانه الشيب فقال او شين هو يا ابا حمزة فقال
كلكم يكرهه قيل عنه جوابان احدهما انه روي ان عليا لما غسل رسول الله
وجد في لحيته شعرات بيضا وما لا يظهر لا يعد وما لا يظهر لا يعد التغيير
لا يكون شيئا الثاني انه اراد لو كان امر يشيب منه انسان لشيب من قراءة ما في
هذه السورة وما فيها من الوعيد كما قال يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما
ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
وانما اراد عظم الاهوال على ما بيناه

سورة اذا السماء انفطرت

مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي تسع عشرة آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اثنتا عشرة آية

قرا اهل الكوفة فعدلك خفيفا والباقون مشددا وقرا ابو جعفر بل يكذبون بالياء على الخبر والباقون بالتاء على الخطاب وادغم حمزة والكسائي اللام في التاء ووافقهم الحلواني عن هشام هنا الخطاب من الله تعالى للمكلفين من عباده وفيه تهديد ووعيد فانه يقول اذا السماء انفطرت يعني انشقت والانفطار انقطاع الشيء من الجهات مثل تفطر ومنه الفطير قطع العجين قبل بلوغه بما هو مناف لاستوائه فطره يفطره اذا ابتدأه بما هو لقطع ما يتصل عنه والانفطار والانشقاق والانصداع واحد وقوله واذا الكواكب انتثرت معناه اذا النجوم تساقطت وتواقعت فالانتثار تساقط الشيء من الجهات انتثر ينتثر انتثارا ونثره ينثره نثرا وتناثر تناثرا واستنثر استنثارا والنثر من الكلام خلاف النظم واذا البحار فجرت اي خرق بعض مواضع الماء الى بعض فيقال فجر الانهار يفجرها تفجيرا ومنه الفجر لانفجاره بالضياء ومنه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج الى كثير من الذنوب وقال قتادة معنى فجرت اي فجر عذبها في مالحها ومالحها في عذبها وقوله واذا القبور بعثرت معناه بحثرت يقال بعثر فلان حوضه وبحثره بمعنى واحد اذا جعل اسفله اعلاه والبعثرة اثارة الشيء بقلب باطنه الى ظاهره وقال ابن عباس بعثرت بحثت وقوله علمت نفس ما قدمت واخرت جواب الشرط في قوله اذا السماء انفطرت وما بعده من الشرط ومعنى ما قدمت

واخرت

واخرت ما اخذت وتركت مما يلحق به الجزاء وقيل معناه كل ما يلحق به الجزاء مما يلحق بالجزاء مما كان في اول عمره او آخره وقيل معناه ما قدمت من عملها وما اخرت من سنة سنتها يعمل بها ذكره القرظي وقال ابن عباس وقتادة معناه ما قدمت من طاعة او تركت وقيل ما قدمت بعمله وقوله يا ايها الانسان خطاب لجميع الناس من المكلفين يقول الله لهم ولكل واحد منهم ما غرك بربك الكريم اي اي شيء غرك حتى بجانبك تعصيه (حتى في الهامش) فيما امرك به وبما نهاك عنه فالغرور ظهور امر يتوهم به جهل الاتيان من المحذور تقول غره يغره غرورا واغتره يغتره اغترارا قال الحارث بن حلزة لم يغروكم غرورا ولكن يرفع الآل جمعهم والضحاء والكريم القادر على التكرم من غير مانع ومن هذه صفته لا يجوز الاغترار به لانه يكرمه على ما تقتضيه الحكمة من مجازاة المحسن باحسانه والمسيء باساءته وقال قتادة غره الشيطان غرورا وقيل غره جهله العجول وطول الامهال وقوله الذي خلقك فسواك نعت لربك وهو في موضع الجر وقوله فسواك فالتسوية التعديل والمراد ههنا سواك الله تعالى آلتك من اليدين والرجلين والعينين ونحو ذلك وعدلك في الراجح على وجه يصح معه وجود الحياة ومن خفف الدال اراد صرفك الى اي صورة شاء من حسن او قبح ومن ثقل اراد جعلك معتدل الخلق معتدلا واختار الفراء التشديد لان في مع التعديل احسن حالا مع العدل وقوله في اي صورة ما شاء ركبك فالصورة البنية التي تميل بالتأليف الى مماثلة الحكاية وهي من صاره يصوره صورا اذا اماله ومنه قوله فصرهن اليك اي املهن اليك ولو كانت بنية من غير مماثلة لم يكن صورة وقال مجاهد معناه في اي صورة ما شاء ركبك من شبه اب او ام او خال او عم وقال عكرمة معناه في اي صورة ما شاء ركبك من ذكر او انثى وجسيم او نحيف وطويل او قصير او مستحسن او مستقبح ومن حال الانسان عن المصلحة استدل بقوله في اي صورة ما شاء ركبك قالوا لانه بين انه تركيب الفاعل في اي صورة شاء فدل

على انه غير الصورة وقد بينا القول في تاويل ذلك على ان عندهم ان ذلك الحي لا يصح
عليه التركيب والله تعالى بين انه يركبه كيف شاء وفي اي صورة شاء وذلك خلاف
مذهبهم ثم قال كلا بل تكذبون بالدين ومعنى كلا الردع والزجر اي ارتدعوا
وانزجروا وقيل معناه حقا بل تكذبون معاشر الكفار بالدين الذي هو الجزاء من
الثواب والعقاب لانكاركم البعث والنشور ذكره مجاهد وقتادة وقيل بل تكذبون
بالدين الذي جاء به محمد عليه السلم ثم قال مهددا لهم وان عليكم لحافظين يعني من
الملائكة يحفظون عليكم ما تعملون من الطاعة والمعصية ثم وصفهم فقال كراما كاتبين
يعلمون ما يفعلون اي لا يخفى عليهم شيء من الذنب يعملونه فيكتبون ذلك كله وقيل
ان الملائكة تعلم ما يفعله العبد اما باضطرار كما يعلم انه يقصد الى خطابنا وامرنا
ونهينا واما باستدلال اذا رآه وقد ظهر منه امور لا تكون الا عن علم وقصد
من نحو التحري في الوزن والكيل ورد الوديعة وقضاء الدين مما يعامل به اهل
الحقوق دون غيرهم وقال الحسن يعلمون ما تفعلون من الظاهر دون الباطن
وقيل بل هو على ظاهر العموم لان الله تعالى يعلمهم اياه قوله تبارك وتعالى
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها
بغائبين وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله ١٩ سبع آيات قرا ابن كثير واهل البصرة
يوم لا تملك برفع الميم الباقون بالنصب على الظرف ويجوز ان نصبه باضمار فعل اي يقول
يوم لا تملك ومن رفع استانف ويجوز ان يجعله بدلا مما قبله وقيل ان يوم اذا اضيف
الى فعل مضارع رفع واذا اضيف الى فعل ماض نصب عن قوم نحو يوم يفعل ويوم
فعل وقال ابو علي من رفع جعله خبرا ابتداء محذوف وتقديره هو يوم ومن نصب
فعلى ان يكون الخبر عن الجزاء فكانه قال الجزاء يوم لا تملك نفس يقول الله تعالى

بخبر

بخبر بان الابرار لفي نعيم وهم الذين يفعلون الطاعات التي يستحقون بها الجنة والثواب
بافعالهم اللذات جزاء على طاعتهم واخبر ايضا بان الفجار وهم الذين خرجوا عن طاعة الله الى
معصيته والمراد ههنا الكفار لفي جحيم جزاء على كفرهم ومعاصيهم وما هم عنها بغائبين
يعني لا يكونون غائبين عن الجحيم بل يكونوا يكونون موبدين فيها وليس يدل ذلك
على ان فساق اهل الملة لا يخرجون من النار لانا بينا ان الاية مخصوصة بالكافرين
حيث بينا في غير موضع ان معهم ثوابا دائما بما عملوا ابانهم لم يحبط لبطلان القول بالاحباط
واذا لا بد من اخراجهم من النار ليوفوا ثوابهم وقوله يصلونها يوم الدين معناه ان
الفجار يصلون في الجحيم يوم الجزاء على الاعمال وسمي الاسلام دينا لانه يستحق به الجزاء لان
اصل الدين الجزاء ودين اليهود وغيرها يستحق به العقاب وقوله يعني يصلونها
يلزمونها بكونهم فيها ومنه الصلى الملازم للنار مشتدا فيها صلي يصلى صلا واصطلى المصطلى
يصطلي اصطلاء وقوله وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين تعظيم
ليوم الجزاء بلفظ الاستفهام والغرض فيه التنبيه على عظم حاله وما يستحق به من ثواب
وعقاب ليعمل العباد بما يوديهم الى الثواب والجنة من العقاب وعظم يوم الدين لشدة النجاة
الحاجة الى نعيم الجنة والنجاة من النار ومن حلية العصاة فلا يوم اعظم من ذلك ثم فسر
تعالى ذلك وبينه بعد ان عظمه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ومعناه لا
يملك احد الدفاع عن غيره ممن يستحق العقاب كما يملك كثير من الناس ذلك في الدنيا فان
الامر في ذلك اليوم لله وحده لم يملك احد شيئا من الامور كما ملككم اشياء كثيرة
في دار الدنيا وقيل معناه انه لا يمكن احد ان يجازي احدا الا بالحق بامر الله تعالى

سورة المطففين

مكية في قول ابن عباس وقال الضحاك هي مدنية وهي ست وثلثون
آية بلا خلاف قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ست آيات ويل كلمة موضوعة للوعيد فالتهديد ويقال ذا لمن وقع في هلاك وعذاب وقيل انه ويل واد في جهنم قعره سبعون سنة وقيل دعاء عليهم وقال ابن عباس كان اهل المدينة من اخبث الناس كيلا الى ان انزل الله تعالى ويل للمطففين فاحسنوا الكيل هدد الله تعالى بهذا الخطاب كل من بخس غيره حقه ونقصه ماله من مكيل او موزون فالمطفف المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل او وزن والتطفيف التنقيص على وجه الخيانة في الكيل او الوزن واما التنقيص فيما يرجع الى استيفاء الحق فلا يكون تطفيفا ولفظة المطفف صفة ذم لا تطلق على من طفف شيئا يسيرا الى ان يصير الى حال تتفاحش وفي الناس من قال لا تطلق حتى يطفف اقل ما يجب فيه القطع في السرقة لانه المقطوع على انه كبيرة وقوله الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فالاكتيال الاخذ بالكيل ونظيره الاتزان وهو الاخذ بالوزن والاعتداد الاخذ بالعدد يقال اكتال يكتال اكتيالا وكال يكيل كيلا وكايله مكايلة وتكايلا تكايلا وانما ذكر في الذم اذا اكتالوا على الناس يستوفون ليبين ان ذمهم في تعدي الحق بانهم ينقصوا الناس عن طريق مغالبة يعاملون الناس بمثل ذلك من بخس الظلم في البخس ويقال اكتالوا عليهم بمعنى اخذوا ما عليهم واكتالوا منهم اي استوفوا منهم وقيل على الناس فكنى عنهم وقوله واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون كان عيسى بن عمر يجعل هم منفصلا في موضع رفع بمعنى الفاعل والباقون يجعلونه في موضع نصب وهو الصحيح وهو قول اكثر المفسرين واهل الحجاز يقولون وكلتك حقك وكلتك طعاما وغيرهم يقولون

التزر القليل وهو ماخوذ من طف الشيء وهو جانبه والتطفيف

ليبين

كالوا لهم

٤١١

كالوا لهم ووزنوا لهم وفي الكتاب كالوهم او وزنوهم بلا الف ومن قال تقديره كالوا لهم او وزنوا لهم قال حذف لهم للايجاز من غير اخلال بالمعنى ويقال اخسر وخسر اذا نقص الحق وقوله الا يظن اولئك تنبيه للكافر ولكل ظالم وباخس حق غيره في صورة الاستفهام والظن هاهنا بمعنى العلم وتقديره الا يعلم انه يبعث يوم القيامة و يجازى على افعاله من طاعة او معصية فيجازى بحسبها في اليوم الذي وصفه بانه يوم عظيم ويحتمل ان يكون المراد بالظن الحسبان ايضا لان من ظن الجزاء والبعث وقوي في نفسه ذلك وان لم يعلم الا انه يجب عليه ان يحذر ويجتنب المعاصي خوفا من العقاب الذي يجوزه ويظنه كما ان من ظن العطب في سلوك طريق يجب ان يجتنب السلوك فيه قال البلخي قال قوم المعنى افما يوقنون انهم يبعثون جهلا خطابا للمؤمنين المصدقين بالبعث ثم زاد في صفة يوم القيامة الذي وصفه بانه يوم عظيم وبينه فقال يوم يقوم الناس لرب العالمين اي يبعثون يوم يقوم الناس من قبورهم ويخرجون في ارض المحشر واما يقومون من قبورهم الى ارض المحشر لجزاء رب العالمين وحذف ذلك لدلالة الكلام عليه ويحتمل يوم يقوم ثلثة اوجه النصب على ذلك اليوم يقوم او مبعوثون يوم يقوم والرفع على الاستيناف والجر على البدل من ليوم عظيم وقال قتادة يقومون مقدار ثلاثمائة سنة وينقص على المؤمنين حتى يكون كاحدى صلاة المكتوبة وروي في الخبر عن النبي عليه السلم ان احدهم ليغيب في رشحه الى انصاف اذنيه قوله تبارك وتعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون احدى عشرة آية روى حفص عن عاصم والكسائي الاخوة بل ران باظهار اللام الباقون

بالادغام واما(ل) اهل الكوفة الا الاعشى والبرجمي دانَ فيل في اصل قوله كلا هو لان الحسن هما
اسما كلمة واحدة من غير تركيب وصفت للردع والزجر وعرت مجرى الاصوات من نحو صه ومه
وما اشبههما والثاني ان تكون الكاف للتشبيه دخلت على لا وشددت اللام لتقوي
الزجر مع الايذان بتركيب اللفظ ومعنى الايذان ترعوا ايها الكفار وقالهداة وازجروا
من المعاصي معاشر الكفار ليس الامر على ما تظنون بل ان كتاب الفجار لفي سجين
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني في الارض السابعة السفلى وهو قول الضحاك
وقال مجاهد تحت صخرة الارض السابعة السفلى وروي في الخبر ان سجين جب في جهنم
وقال ابو عبيدة سجين شديد وانشد ضربا تواصى به الابطال سجينا يعني شديدا
فكانه كثرة السجن ويكون معناه شديد عذابه وقيل السجين سجنا على التخليد فيه فهي
فعيل من سجنه اسجنه سجنا وفيه مبالغة كما قال شريب من الشرب وسكير من السكر
وشرير من الشر وقيل الوجه فجعل كتاب الفجار في سجين ان تخليده فيه يقوم مقام
ادامة التوبيخ وان عقابهم لا يفنى ولا يبيد كما لا يفنى كتاب سيئاتهم ولا يبيد ثم قال
على وجه التعظيم والتفخيم وما ادراك ما سجين اي تفصيله لا تعلمه وان علمته مجملا ثم قال
مفسرا لذلك كتاب مرقوم فالرقم طبع الخط بما فيه علامة لامر فيه برقمه رقما فهو راقم
والشيء مرقوم ومنه رقمت الثوب بعلامة لئلا يختلط والمعنى ان هذا الكتاب الذي هو
في سجين كتاب مكتوب فيه جميع افعاله من المعاصي والكفر ثم قال ويل يومئذ
للمكذبين فهو تهديد لمن كذب بيوم الجزاء ولم يصدق بصحة الخبر بكونه ثم فسر من هم
من المكذبين فقال الذين يكذبون بيوم الدين يعني يوم الجزاء وهو يوم القيامة
لان من كذب بالباطل وجحده لا يستحيه الا الوعيد بل هو عدو مفلو اطلق كما في الفا..
ثم قال وما يكذب به اي ليس يكذب بيوم الجزاء الا كل معتد اثيم فالمعتدي المتجاوز
للحق الى الباطل يقال اعتدى اعتداء فهو معتد والعادي الخارج عن الحق عدا يعدو

يعني كتابهم الذي ثبت فيه اعمالهم من المعاصي والفجور رحمه

هو السجن رحمه

عدوانا

عدوانا فاصله مجاوزة الحد ومن ذلك العداوة وهي مجاوزة الحد في الابغاض والعدو
مجاوزة الحد في اسراع المشي والاثم مكتسب القبيح اثم ياثم اثما فهو آثم واثيم واثمه تاثيما اذا
نسبه الى الاثم وتاثم من فعل كذا كقولك تحرج منه للاثم به وقال قتادة اثيم بربه ثم
وصف المعتدي الاثيم فقال اذا تتلى عليه آياتنا اي اذا قرئت عليه حجج الله من القرآن
وما فيه من الادلة قال اساطير اي قال هذا اساطير الاولين فواحد الاساطير اسطورة
مثل احدوثة واحاديث وقيل معناه اباطيل الاولين وقيل معناه كلام هذا ما سطره الاولون
اي كتبوه ولا اصل له ثم قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم معناه ليس الامر على ما قالوه
بل غلب على قلوبهم يقال منه رانت الخمر على عقله تربن رينا اذا سكر فغلبت على عقله
فالرين غلبة السكر على القلب قال ابو زبيد الطائي ثم لما داوه رانت به الخمر وان
لا يرينه باتقاء يرينه اي يخافه انه يكسي هو لا ينقيه وقال الراجز لم يروحتى
هجرت ودين بي ورين بالساقي الذي امسى معي وقال الحسن وقتادة الرين الذنب
على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن عباس رين غلبت الذنوب على القلوب فلا تخلص اليها
خير العلوم وقيل معنى ران غطى وغشى وقوله ما كانوا يكسبون ما في موضع رفع لانها
الفاعلة لران وما كانوا يكسبون يعني من المعاصي لان الطاعات وان كسبوها فما رانت على
قلوبهم قال البلخي وفي ذلك دلالة على بطلان ما يقوله اهل العدل في تفسير الطبع والختم
والاضلال لانه تعالى اخبر انهم الذين يجعلون الرين على قلوبهم ثم قال كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي ازجروا وارتدعوا اي هؤلاء الذين وصفهم بالكفر والفجور
يوم القيامة لمحجوبون قال الحسن وقتادة هم محجوبون عن لحمته وقيل عن كرامته وقيل
لممنوعون واصل الحجب المنع ومنه قولهم الاخوة تحجب الام عن الثلث الى السدس ثم بين
تعالى ما يفعل بهم فقال ثم انهم بعد ان منعوا من الثواب والكرامة لصالوا الجحيم ومعناه
لازموا الجحيم بكونهم فيها لا يغيبون عنها يقال صلى النار يصلى صليا فهو صال والمصطلي

٤١٢

الملازم للنار الذي بها ثم حكى انه يقال لهم على وجه التقريع والتبكيت هذا الذي
فعل بكم من العقاب هو الذي كنتم به تكذبون في دار التكليف وانما سمي مثل هذا
الخطاب تقريعا لانه خبر بما يقرع به الغم على وجه الذم فكل خبر على هذا الوصف
فهو تقريع وتوبيخ قوله تبارك وتعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين
وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك
ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه
مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها
المقربون احدى عشرة آية قرا الكسائي وحده خاتمه مسك بالف قبل التاء الباقون
ختامه فالختام مصدر والخاتم صفة ونظيره رجل كريم الطابع والطباع قال
الفرزدق فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام وقرا ابو جعفر
ويعقوب تعرف بضم التاء وفتح الراء نضرة بالرفع على ما لم يسم فاعله الباقون بفتح التاء
وكسر الراء ونصب نضرة لما ذكر الله تعالى الفجار وما اعد لهم من انواع العقاب
واليم العذاب ذكر الابرار وهو جمع بر مثل جبل واجبال والابرار الذين فعلوا الطاعات
واجتنبوا المعاصي واخبر انهم لفي عليين اي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها
الله تعالى بما يدل على عظم شانها في النعمة وجمع بالواو والنون تشبيها بمن يعقل في
الفضل وعظم الشان وقال ابن عباس العليون الجنة وقال كعب وقتادة ومجاهد
والضحاك ارواح المؤمنين في السماء السابعة وقال الضحاك في رواية عليون
سدرة المنتهى وهي التي اليها ينتهي كل شي من امر الله تعالى وقيل عليون علو على
علو مضاعف ولهذا جمع بالواو والنون تفخيما لشانه قال الشاعر فاصبحت
المذاهب قد اذاعت بها الاعصار بعد الوابلينا يريد مطرا بعد مطر غير محدود والعدد
وكذلك تفخيم شانه العدد الذي ليس على الواحد عن ثلثين الى سبعين وجرت العرب

عليه

عليه وقيل عليون اعلى الامكنة وقال الحسن معنى عليين في السماء وقال الجبائي معناه
في حمل الملائكة العليين ولذلك جمع بالواو والنون ثم قال تعالى على وجه التعظيم لشان
هذه المنازل وتفخيم امرها وما ادريك ما عليون لان تفصيلها لا يمكن العلم بها الا بالمشاهدة
دون علم الجملة ثم قال كتاب مرقوم اي الكتاب الذي يثبت فيه طاعاتهم مرقوم اي
مكتوب فيه جميع طاعاتهم بما تقر به اعينهم وتوجب سرورهم بضد الكتاب الذي للفجار
لان فيه ما يسوءهم ويسخن اعينهم يشهده المقربون اي يشهد هذا الكتاب الملائكة المقربون
اي يشاهدونه ويحوزونه ويحفظونه ومعنى المقربين هاهنا الذين قربوا الى كرامة الله
في اجل المراتب ثم اخبر تعالى بان الابرار وهم اهل البر الذين فعلوه لوجهه مما اقتضى
وجوه النفع فان النفع الذي يستحق به الشكر والحمد فلان بر اذا صنع برا وبر يبر في
يمينه ابرارا لفي نعيم اي يحصلون في ملاذ وانواع من النفع على الارائك ينظرون قال
ابن عباس الارائك الاسرة وقال مجاهد هي من اللؤلؤ والياقوت واحدها اريكة وهي
سرير في حجلة ينظرون الى ما اعطاهم الله من الملك والكرامة والحجلة كالقبة على الاسرة
ثم قال تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي تتبين في وجوههم اشراق النعمة والسرور
بها وقوله يسقون من رحيق فالرحيق الخمر الصافية الخالصة من كل غش قال
الخليل هي افضل الخمر واجودها قال حسان يسقون من ورد البريص عليهم بردى
يصفق بالرحيق السلسل وقوله مختوم قيل ان هذا الخمر مختوم في الاناء بالمسك
وهو غير الذي يجري في الانهار وقوله ختامه مسك قيل في معناه قولان احدهما
ان مقطعه مسك بان يوجد ريح المسك عند خاتمة شربه ذكره ابن عباس والحسن وقتادة
والضحاك الثاني ان ختم اناؤه بالمسك بدل الطين الذي يختم بمثله الشراب في الدنيا ذكره
مجاهد وابن زيد ومن قرا خاتمه مسك اراد اخر شرابه مسك ويفتح التاء في خاتمه لان
العرب تقول خاتم وخاتِم وخاتام وختام ومن قرا ختامه اراد شرابهم مختوم بالمسك

والمسك معروف وهو اجل الطيب سمى مسكا لانه يمسك النفس لطيب ريحه والمسك بالفتح
الجلد لامساكه ما فيه وقوله وفى ذلك يعنى فى ذلك النعيم الذى وصفه الله فليتنافس
المتنافسون فالتنافس تمنى كل واحد من النفسين مثل الذى للنفيس ان يكون له تنافسوا
فى الشئ تنافسا او نافسه فيه منافسة والجليل الذى يتنافس فيه نفيس ونفس عليه بالامر
ينفس نفاسة اذا ظن بجلالته وقوله ومزاجه اى مزاج ذلك الشراب الذى وصفه
من تسنيم فالمزاج خلط المايع بالمايع كما يمزج الماء الحار بالبارد والشراب بالماء يقال مزجه
يمزجه مزجا وامتزج امتزاجا ومازجه ممازجة فمازجه ممازجا والتسنيم عين الماء تجرى
من علو الى سفل تسنم عليهم من الغرف فاشتقاقه من السنام وقال ابن عباس التسنيم
اشرف شراب فى الجنة وقال عكرمة من تشريف ويقال سنام البعير لعلوه من بدنه وقوله
عينا يشرب بها المقربون قيل فى نصب عين وجوه اولها ان تسنيم معرفة وعينا قطع
منها او حال الثانى ان يكون تسنيم مصدرا يجرى مجرى اطعام فى يوم ذى مسغبة
يتيما الثالث على تقدير اعنى عينا مدحا الرابع يسقون عينا والباء زايدة يقال شرب
عينا وشرب بالعين وقد فسرناه فى هل اتى قوله تبارك وتعالى
ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا
انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا
عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل
ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ثمان آيات قرا حفص فكهين بغير الف بمعنى فرحين
مرحين الباقون فاكهين بالف بمعنى اللاهين وهو بمنزلة الطامع والطمع فالفاكه الطالب
ما يتفكه به من نوادر الامور والفاكه الناعم المعجب بحاله والتفكه التمتع بالماكول
من غير حاجة للقوت وقرا ابو عمرو فى رواية هارون وحمزة والكسائى هل ثوب بالادغام
لقرب مخرج اللام من الثاء الباقون والترمذى عن ابى عمرو بالاظهار قيل ان هذه الاية

نزلت

414 نزلت فى جماعة من كفار قريش كانوا يعيبون جماعة من المسلمين الذين سبقوا الى الايمان
ويهزؤون بهم فقال الله تعالى مخبرا بان المجرمين كانوا من الذين آمنوا بالله ووحدوه
واخلصوا له العبادة وصدقوا انبياءه يضحكون على وجه الاستهزاء بهم والسخرية منهم
واذا مروا بهم يعنى اذا مر بهم المؤمنون وجازوا عليهم غمز بعضهم بعضا عليهم على وجه
التعجب منهم والسخرية واذا انقلبوا الى اهلهم يعنى الكفار اذا انقلبوا الى اهليهم
واصحابهم انقلبوا فاكهين اى لاهين ومن قرا فكهين اراد مرحين معجبين بحالهم
واذا راوهم يعنى الكفار اذا راوا المؤمنين فى دار الدنيا قالوا يعنى بعضهم لبعض
ان هؤلاء واشاروا به الى المؤمنين لضالون عن طريق الحق وعادلون عن الاستقامة
فقال الله تعالى وما ارسلوا عليهم حافظين اى لم يرسل هؤلاء الكفار حافظين
على المؤمنين فيحفظون ما هم عليه والمراد بذلك الذم لهم بعيب المؤمنين بالضلال
من غير ان كلفوا منعهم من المراد وان ينطقوا فى ذلك بالصواب فضلوا بالخطا فى نسبتهم
اياهم الى الضلال فكان اللوم منهم لو اخطؤوا فيه وقد كلفوا الاجتهاد ثم قال فاليوم
الذين آمنوا من الكفار يضحكون معناه ان يوم القيامة الذى يجازى الله تعالى
كل احد على عمله فيجازى المؤمن بالثواب والنعيم ويجازى الكافر بالعذاب والجحيم ففى
ذلك اليوم يضحك المؤمنون من الكفار كما كان الكفار يضحكون من المؤمنين فى
الدنيا وقيل الوجه فى ضحك اهل الجنة من اهل النار انهم لما كانوا اعداء الله تعالى
واعداءهم جعل لهم سرورا فى تعذيبهم لو كان العفو قد وقع عنهم لم يجز ان يجعل السرور
فى ذلك لانه مضمن بالعداوة وقد زالت بالعفو وقوله على الارائك ينظرون
معناه ان المؤمنين على سرر فى الحجال واحدها اريكة ينظرون ما يفعل الله بهم من
الثواب والنعيم فى كل حال وما ينزل بالكفار من اليم العقاب وشدة النكال ثم قال
هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون وقيل فى معناه قولان احدهما هل جوزى الكفار

اذا فعل بهم هذا الذي ذكر بما كانوا يفعلون الثاني ينظرون هل جوزي الكفار
فيكون موضعه نصبا بينظرون والاول استيناف لا موضع له وانما قال هل ثوب
لان الثواب في اصل اللغة الجزاء الذي يرجع على العامل بعمله وان كان الجزاء بالنعيم
على الاعمال في العرف يقال ثاب الماء يثوب ثوبا اذا رجع وثاب اليه عقله اذا رجع
ومنه التثاوب وقال قوم يقول المؤمنون بعضهم لبعض هل جوزي الكفار ما كانوا
يفعلون سرورا بما نزل بهم ويجوز ان يكون ذلك من قول الله او قول الملائكة للمؤمنين
تنبيها لهم على انه جوزي الكفار على كفرهم وسخريتهم بالمؤمنين وهزئهم بانواع العذاب
ليزدادوا بذلك سرورا الى سرورهم **سورة اذا السماء انشقت**
مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي خمس وعشرون آية في الكوفي والمدنيين
وثلث في البصري **قوله تبارك وتعالى**

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها
وتخلت واذنت لربها وحقت يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله
مسرورا ٥ ثمان آيات يقول الله تعالى لنبيه وهو متوجه الى جميع المكلفين
على وجه الوعيد لهم والتخويف من عقابه والتنبيه لهم على قرب اوان مجيئه اذا السماء
انشقت وتقديره اذكر اذا السماء انشقت ومعناه اذا انفطرت السماء وتصدعت
وانفرجت فالانشقاق افتراق امتداد عن التئام فكل انشقاق افتراق وليس
كل افتراق انشقاقا وقيل الانشقاق الانفطار والانصداع والانفراج وقوله
واذنت لربها وحقت قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة معناه
سمعت واطاعت بالانقياد لتدبير الله تقول العرب اذن لك هذا الامر اذنا — اي كانها سمعت باذن واطاعت

يعني

يزدون له

يعني استمع لك قال عدي بن زيد ايها القلب تعلل بددن ان همي في سماع واذن
وقال الاحوص صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا
اي سمعوا وقال عدي بن زيد في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذي
مشار وقيل ان معنى وحقت حق لها ان تأذن بالانقياد لامر ربها يقال حق لك ان
تكون على هذا الامر بمعنى جعل ذلك حقا وقوله واذا الارض مدت روي
عن النبي صلى الله عليه وعلى آله قال يمد الارض يوم القيامة مثل الاديم ومعنى مدت
بسطت ان الله تعالى يامر بان يمد مد الاديم العكاظي حتى يزيد في سعتها وقيل
معناه انها تبسط باندكاك جبالها واكامها حتى تصير كالصحيفة الملساء وقوله
والقت ما فيها وتخلت معناه القت ما فيها من المعادن وغيرها وتخلت منها وذلك
ما يؤذن بتعظيم الامر كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة وقال قتادة ومجاهد
اخرجت الارض اثقالها وقوله واذنت لربها وحقت قد فسرناه وليس هذا على
وجه التكرار لان الاول في صفة السماء والثاني في صفة الارض فليس بتكرار و
هذا كله من اشراط الساعة وجلائل الامور التي تكون فيها وجواب اذا السماء
انشقت محذوف وتقديره اذا كانت هذه الاشياء التي ذكرها وعددها راى الانسان
ما قدم من خير او شر وقيل جوابه في انك كادح قال ابن خالويه الفاء مقدر
والتقدير اذا السماء انشقت الى قوله وحقت فيا ايها الانسان انك كادح وقال
البلخي الواو زائدة وجواب قوله اذنت لربها وحقت وهو كقوله حتى اذا جاؤوها
وفتحت ابوابها والاول هو الوجه وقوله يا ايها الانسان خطاب لجميع المكلفين
من البشر من ولد آدم يقول الله لهم ولكل واحد منهم يا ايها الانسان انك كادح والكدح
السعي الشديد في الامر يقال كدح الانسان في امره يكدح وفيه كدوح وخدوش
اي آثار من شدة السعي في الامر ومعنى كادح الى ربك كدحا ايها الانسان انك ساع

في امرك بليلة ومشقة الى ان تلقى جزاء اعمالك من ربك فانت لا تخلو في الدنيا من مشقة فلا
تعمل لها واعمل لعيشها فيما تصير به الى الراحة من الكدح فالغنى والفقير كل واحد منهما
يكدح بما يقتضيه حاله وقوله فملاقيه تفخيم لشان الامر الذي يلقى من جهة فيجعل
لذلك لقاء جزائه لقائه وهذا من المعاني العجيبة والحكمة البالغة والهادي فملاقيه يحتمل
ان يكون كناية عن الله وتقديره فملاقي ربك اي تلاقي جزاء ربك ويحتمل ان يكون كناية
عن الكدح وقال عيسى بن عبيد وبالاداء الاساد ثان فيهما اموت واخرى
ابتغي العيش اكدح اي ادأب واسعى في طلب العيش ثم قسم تعالى احوال الخلق يوم القيامة
فقال من اوتي كتابه بيمينه يعني من اعطى كتابه الذي فيه ثبت اعماله من طاعة او
معصية بيده اليمنى فسوف يحاسب حسابا يسيرا اي بوقف على ما عمل من الحسنات
وماله عليها من الثواب وما حط عنه من الاوزار اما بالتوبة او العفو فالحساب
اليسير التجاوز عن السيئات والاحتساب بالحسنات ومن نوقش بالحساب هلك روى
عن النبي صلى الله عليه وآله وقوله وينقلب الى اهله مسرورا اي فرحا مستبشرا
وقيل المراد باهله ههنا هم الذين اعد الله لهم من الحور العين ويجوز ان يكون المراد
اقاربه اذا كانوا من اهل الجنة والسرور هو الاعتقاد او العلم بوصول نفع اليه في المستقبل
او دفع ضرر عنه وقال قوم هو معنى في القلب يلتذ لاجله بنيل المشتهى يقال سررته كذا
من مال او ولد او بلوغ امل فهو يسر سرورا قوله تبارك وتعالى
واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا انه كان
في اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلى ان ربه كان به بصيرا ايات
قرا نافع وابن عامر وابن كثير والكسائي ويصلى بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام الباقون
بفتح الياء واسكان الصاد خفيفة واما اهل الكوفة الاعراضا لما ذكر الله تعالى حكم من
يعطى كتابه بيمينه من المؤمنين واهل الطاعات وما اعد لهم من انواع النعيم وانقلابه به

في

الى اهله مسرورا ذكر حكم الكفار الذين يعطون كتاب اعمالهم وراء ظهورهم وروى الزجاج
شماله من ظهره ويعطى كتابه بيده والوجه في ذلك ما قدمناه من كون ذلك امارة للملائكة
والخلائق انه من اهل النار كما ان اعطاء الكتاب باليمين علامة انه من اهل الجنة ثم حكى ما يعلق
به فقال فسوف يدعو ثبورا فالثبور الهلاك اي يقول واهلاكاه والثبور الهالك
وقيل انه يقول واثبوراه وقال الضحاك يدعو بالهلاك واصل الثبور الهلاك يقال
ثبره الله يثبره ثبرا اذا اهلكه ومثبر الناقة الموضع الذي تطرح ولدها فيه لانها
تشفي به على الهلاك وثبر البحر اذا جزر لهلاكه بانقطاع مائه يقال ثابرت الرجال
في الحرب اذا تواثبت لاشفائها على الهلاك بالمواثبة والمثابر على الشيء المواظب عليه لحمله
نفسه على الهلاك بشدة المواظبة وثبير جبل معروف والمثبرة تراب شبه بالنورة
اذا بلغ عرق النخل اليه وقف لانه يهلكه وانما يقول واويلاه والهفاه واهلاكاه
لانه نزل به من المكروه لاجله مثل ما نزل بالمنجم عليه وقوله ويصلى سعيرا
معناه ان من صفته انه يلزم الكون في السعير وهي النار الموقدة على وجه التأبيد وقوله
انه كان في اهله مسرورا ومعناه انه اقطعه السرور باهله عما يلزمه ان يفعل به فهو
ذم له بهذا المعنى ولو لم يكن الا السرور باهله عما يلزمه لم يذم عليه وقيل معناه
انه كان في اهله مسرورا بمعاصي الله ثم اخبر عنه انه ظن في دار التكليف ان لن يحور
اي لن يبعثه الله للجزاء ولا يرجع حيا بعد ان يصير ميتا حار يحور حورا اذا رجع و
تقول كلمته فما حار جوابا اي ما رد جوابا وفي المثل نعوذ بالله من الحور بعد الكور
اي من نقصان بعد زيادة من النقصان بعد التمام وحورته اذا رددته الى البياض والحور البكرة
لانه يدور حتى يرجع الى مكانه والمعنى انه ظن ان لن يرجع الى حال الحياة في الآخرة فلذلك
كان يرتكب المآثم وينتهك المحارم فقال الله تعالى ردا عليه ليس الامر على ما ظنه بلى
انه يرجع حيا ويجازى على افعاله وقوله انه كان به بصيرا معناه انه عالم عن ان لن

بالمنجم

ينتهك

يجوز ويقطع الله عليه بانه يجب على انه يصيبن بجميع الحوب قوله تعالى
فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق
فما لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون
والله اعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب اليم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون عشر آيات قرا ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء من لتركبن
ومعناه لتركبن انت يا محمد الباقون بضم الباء على ان يكون خطابا للجميع يقول الله تعالى
مقسما بالشفق وقد بينا ان لا صلة في مثل هذا او التقدير اقسم وبينا ان لله ان يقسم باشيا
من خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله وقال بعضهم اقسم برب الشفق والشفق هو الحمرة
التي تبقى عند المغرب في الافق وقال الحسن وقتادة الشفق الحمرة بين المغرب والعشاء
الاخرة وقال قوم هو البياض والصحيح ان الشفق هو الحمرة الرقيقة في المغرب بعد مغيب الشمس
واصله الشفق في العمل وهو الرقة على خلل فيه فاشفق على كذا اذا ارق عليه وخاف
هلاكه واشفق اذا رق بالخوف من وقوعه قال الفراء سمعت بعض العرب يقول
على ثوب كانه الشفق من بعد حمرة والاعتبار بالشفق انه علامة لوقت بعينه لا يختلف الشفق
اثبات عالم مدبر وقوله والليل وما وسق فمعناه الليل وما لفه وقيل معنى وسق
جمع الى مسكنه ما كان منتشرا بالنهار في تصرفه يقال وسقته اسقه وسقا اذا جمعته
وطعام موسوق اي مجموع في الغرائر والاوعية والوسق الطعام المجتمع وقدره ستون
صاعا وقوله والقمر اذا اتسق فمعناه اذا امتلأ بالنور اي اجتماعه على تمامه وهو افتعال
من الوسق فاذا تم نور القمر واتساقه اجتماعه على تمام اسفر في ضيائه وذلك الاتساق
له وقال قتادة معناه اذا استدار وقال مجاهد اذا استوى وقوله لتركبن طبقا
عن طبق جواب القسم ومعناه منزلة عن منزلة وطبقة عن طبقة وذلك ان من كان على
صلاح دعاه الى صلاح فوقه ومن كان على فساد دعاه الى فساد فوقه لان كل شيء يجر الى شكله وقيل

بما شاء

معنى

معنى طبقا عن طبق حالا عن حال وقيل معناه شدة عن شدة وقيل طبقات السماء بالمعراج
الارواح وقيل معناه حالا بعد حال من احياء واماتة ثم احياء وقيل معناه لتصيرن
الى الاخرة عن الدنيا وقال ابو عبيدة معناه لتركبن سنة الاولين ومن كان قبلكم
ثم قال على وجه التبكيت لهم والتقريع فما لهم لا يؤمنون اي شيء لهم لاجله لا يصدقون
بالله واليوم الاخر ولا يعترفون بالثواب والعقاب وقيل معناه ما لهم لا يؤمنون ما الذي
الارتياب الذي يصرفهم عن الايمان وقوله واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون عطف
على قوله ما لهم لا يؤمنون والمعنى ما الذي يصرفهم عن الايمان وعن السجود لله والخضوع
له والاعتراف بوحدانيته اذا تلي عليهم القران الذي انزله على محمد صلى الله عليه واله الذي
به ما يلين القلب للعمل من الوعظ والوعد والوعيد بين فيه بين الحق والباطل وهو
مع ذلك معجز عليهم الاتيان بمثله فهو معجز له عليه السلام ثم قال تعالى بل الذين
كفروا يكذبون معناه ان الذي منعهم من السجود عند تلاوة القران تكذيبهم جهلا بما عليه
وعدولا عن الحق وفي ذلك التحذير من الجهل والحث على طلب العلم وقيل معناه ما لهم
لا يؤمنون ولا يقرون بالجزاء على الاعمال ثم قال تكذيبهم عن جهل منهم يصرفهم عن
ذلك وقوله والله اعلم بما يوعون قال قتادة ومجاهد معناه بما يوعون في صدورهم
وانما قال يوعون لانهم يجعلون من الاوزار في قلوبهم فشبه ذلك بالوعاء يقال اوعيت
المتاع ووعيت العلم قال الفراء الاصل جعل الشيء في وعاء والقلوب شبه اوعية لما يحصل
فيها من معرفة او جهل ثم قال للنبي عليه السلام فبشرهم يا محمد جزاء على كفرهم
بعذاب اليم اي مولم ثم استثنى من جملة من يخاطبهم الذين آمنوا بالله وعملوا الاعمال
الصالحات فان لهم اجرا غير ممنون اي غير منقوص في قول ابن عباس وقال
غيره غير مقطوع وقيل غير منغص بالمن الذي يؤذي وانما قيل للمن لانه يقطع له
عن شكر النعمة قال الزجاج تقول العرب مننت الحبل اذا قطعته قال لبيد

بعقبى فهلك تنازع شلوه غبش كواسب ما يمن طعامها اى ما ينقص وقيل
ما يكدر وكان ابن مجاهد ومحمد بن القسم الانبارى يقفان على قوله فبشرهم
بعذاب اليم ويبتدئون بقوله الا الذين آمنوا قال ابن خالويه فسالتهما
عن ذلك فقالا الاستثنا منقطع ومعناه لكن سورة البروج وهى
مكية فى قول ابن عباس والضحاك وهى اثنتان وعشرون آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود
النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود
وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السموات
والارض والله على كل شىء شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق عشر آيات
قوله والسماء ذات البروج قسم من الله تعالى بالسماء ومنهم من قال تقديره ورب السماء فى ما
ماثل ذلك فى غير موضع ثم وصف السماء بانها ذات البروج فالبروج المنازل العالية
والمراد هاهنا منازل الشمس والقمر فى قول المفسرين ومثل ذلك قوله ولو كنتم فى بروج
مشيدة اى فى منازل عالية وقيل السماء اثنا عشر برجا يسير القمر فى كل برج منها يومين
وثلثا فذلك ثمانية وعشرون منزلا ثم يستتر ليلتين ويسير الشمس فى كل برج منها
شهرا وقيل البروج النجوم التى هى منازل الشمس والقمر وقوله واليوم الموعود قسم
آخر بهذا اليوم وروى عن النبى عليه السلام انه اليوم الذى يجازى فيه ويفصل فيه
القضاء وهو يوم القيامة وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقوله وشاهد
ومشهود قسم آخر بالشاهد والمشهود فالشاهد النبى عليه السلام والمشهود يوم

القيامة

القيامة فى قول الحسن بن على عليهما السلم وتلا قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود
وهو قول ابن عباس وسعيد ابن المسيب وفى رواية عن ابن عباس ان الشاهد هو
الله والمشهود يوم القيامة وقال قتادة الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة
وروى ذلك فى اخبارنا وقال ابرهيم النخعى الشاهد يوم النحر والمشهود يوم
عرفة وقال الجبائى الشاهد هم الذين يشهدون على الخلايق والمشهود هم
الذين يشهدون عليهم قال ويجوز ان يكون المراد المدركين والمدركات
وجواب القسم محذوف وتقديره الامر حق فى الجزاء على الاعمال وقيل الجواب قوله
قتل اصحاب الاخدود وقال الاخفش يجوز ان يكون على التقديم والتاخير وتقديره
قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج وقوله قتل اصحاب الاخدود معناه لعن
وقيل لعنوا بتحريقهم فى الدنيا قبل الاخرة وقال الجبائى يحتمل ان يكون
المعنى بذلك القاتلين ويحتمل ان يكون المقتولين فاذا حمله على القاتلين فمعناه لعنوا
بما فعلوه من قتل المؤمنين وان حمل على المقتولين فالمعنى انهم قتلوا بالاحراق
بالنار وذكر الله هؤلاء المؤمنين بحسن بصيرتهم فى الصبر على دينهم حتى اخرجوا
بالنار لا يعطون التقية بالرجوع عن الايمان والاخدود هو الشق العظيم فى
الارض ومنه ما روى فى معجزة النبى صلى الله عليه وآله ان الشجرة دعاها النبى عليه السلام
فجعلت تخد الارض خدا حتى اتته ومنه الخد لمجارى الدموع والمخدة لوضع الخد
عليها وتخدد لحمه اذا صار فيه طرايق كالشقوق وقوله النار ذات الوقود جر
النار على البدل من الاخدود وهو بدل الاشتمال ووصفها بانها ذات الوقود فالوقود
بفتح الواو ما يشعل من الحطب وغيره وبضم الواو الايقاد وانما وصفها بانها ذات
الوقود مع ان كل نار ذات وقود لامرين احدهما انه قد يكون نار ليست ذات

وقود كما يا نجو ونك الكبد والثاني انه اراد بذلك وقودا مخصوصا لا يعرف
فكانه اراد الوقود بابدان الناس كما قال وقودها الناس والحجارة وقوله اذ هم
عليها قعود اي حين هم قعود عليها اي بالقرب منها وقال الربيع بن انس الكفار
الذين كانوا قعودا على الاخدود لبيان منها فاحرقتهم عن آخرهم وروي عن امير
المؤمنين علي رضي الله عنه انهم كانوا من المجوس وقال الضحاك كانوا من بني
اسرائيل وقيل كانوا من اليمن ومعناه هم عليها قعود حين كان اولئك الكفار
قعودا عند النار والقعود جمع قاعد كقولك شاهد وشهود وراكع وركوع
والقعود ايضا مصدر قعد يقعد قعودا وقوله وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهود اي حضور على مشاهدة تم لهم فكل حاضر على ما شاهد اما بسمع او ببصر فهو
شاهد والشاهد هو المدرك بحاسة وقوله وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز
الحميد معناه انه لم ينقم هو لم الكفار من اولئك المؤمنين الذين احرقوهم بالنار
الا ايمانهم بالله تعالى القاهر الذي لا يمنع الحميد في جميع افعاله والنقمة ايجاب
مضرة على حال من موبخ والنقمة نقيض النعمة وهو كالحال نقول حال الايمان
لانهم جعلوا ما يجب لهم حالا مذمومة قال الشاعر ما نقموا من بني امية الا انهم
يحلمون ان غضبوا والداعي لهم الى ان ينقموا من الايمان الجهل والخلاف لمن ما سبقوا (يحلمون)
اليه من الجهل يدعوهم الى عداوة من خالفهم ويخف الاثم وان ذلك يفسد عليهم
ملكهم وتصرف الوجوه عنهم وقوله الذي له ملك السموات والارض صفة للعزيز
الحميد والمعنى ان هؤلاء الكفار نقموا من المؤمنين ايمانهم بالله تعالى العزيز ومعناه
القاهر الذي لا يغالب الحميد ومعناه المستحق للحمد على جميع افعاله الذي له ملك السموات (لا يغالب)
والارض ومعناه له التصرف في السموات والارض ولا اعتراض لاحد عليه ثم قال
والله على كل شيء شهيد اي عالم بجميعه لا يخفى عليه شيء من ذلك وقوله ان الذين

فتو

فتنوا المؤمنين والمؤمنات قال ابن عباس وقتادة والضحاك حرقوهم بالنار ثم لم يتوبوا
انما شرط عدم التوبة لانهم لو تابوا لما توجه اليهم الوعيد وان لم يتوبوا توجه اليهم الوعيد
بقوله فلهم عذاب جهنم يعني في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا في قول
الربيع وقال الفراء لما خدّ للمؤمنين الاخاديد وطرحوا فيها النار وطرحوا فيها المؤمنين
فارتفعت النار عليهم فاحرقتهم فوق الاخاديد ونجا المؤمنون وقال قوم ان الذين
فتنوا المؤمنين جواب في اول السورة وهذا غير صحيح لان الكلام قد طال وانقطع بالجمل
ما بينهما وقال الزجاج لهم عذاب بكفرهم وعذاب باحراقهم المؤمنين
قوله تبارك وتعالى . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ
إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِن
وَرَائِهِم مُّحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ . اثنتا عشرة آية قرأ حمزة والكسائي
الا قتيبة وخلف المجيد بالخفض جعلوه نعتا للعرش الباقون بالرفع على انه نعت
لله تعالى وقرأ نافع محفوظ بالرفع الباقون بالخفض نعتا للوح ومن رفع جعله نعتا للقرآن
اخبر الله تعالى عن صفة المؤمنين فقال ان الذين آمنوا اي صدقوا بتوحيد الله
واخلاص عبادته وعملوا الصالحات من الاعمال واجتنبوا القبائح لهم جنات تجري من تحتها
الانهار اي لهم بساتين تجري من تحت اشجارها الانهار ذلك الفوز الكبير فالفوز النجاة
بالنفع الخالص واصله النجاة وقيل للمهلكة مفازة تفاؤلا كما قيل منجاة وفاز فلان
بكذا اي خلص له نفعه يفوز فوزا ولا يقال الا في عظيم النفع الذي صار له وانما ذكر
الكبير هاهنا لان النعيم لهؤلاء العاملين كبير بالاضافة الى نعيم من لا عمل له لانه
يصل الجنة لما فيه من الاجلال والاكرام والمدح والاعظام وقيل الفوز الحظ الواقع

من الخير ثم قال متوعدا وتهددا للكفار والعصاة ان بطش ربك لشديد فالبطش الاخذ بالعنف بطش به يبطش بطشا ويبطش ايضا فهو باطش واذا وصف بالشدة فقد تضاعف مكروهه وتزايد ايلامه وقوله انه هو يبدئ ويعيد قال ابن عباس معناه انه يبدئ العذاب ويعيده لاقتضاء ما قبله التهدد وقال الحسن والضحاك وابن زيد يبدئ الخلق ويعيده لانه الاظهر في وصفه تعالى بانه المبدئ المعيد العموم في كل مخلوق وهو الغفار يعني الساتر على خلقه معاصيهم الودود اي واد لهم ومحب لمنافع خلقه ذو العرش المجيد معناه صاحب العرش العظيم المجيد وقال ابن عباس معناه الكريم وقرا اهل الكوفة الا عاصما المجيد بالجر جعلوه نعتا للعرش ومعناه ذو العرش الرفيع الباقون بالرفع جعلوه نعتا للغفور اي هو الغفور الودود المجيد ذو العرش قال المبرد يجوز ان يكون نعتا لقوله ان بطش ربك المجيد فيكون قد فصل بينهما وفيه بعد لانه قال لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش وفصل بهذا كله يقال مجدت الابل مجيد مجودا اذا رعيتها فرعت وشبعت ولا فعل لك او مجدتها انا مجادا اذا اشبعتها من العلف وملات بطونها او لا فعل لها في ذلك وفي المثل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار ومعناه كثر ناره لانه ليس في الشجر اكثر نارا من العفار وقوله فعال لما يريد معناه ما يشاؤه ويريده من افعال نفسه يفعله لا يمنعه من ذلك مانع ولا يعترض عليه معترض ولا يجوز ان يكون المراد انه فعال لكل ما يريد لان ذلك يقتضي انه فعال لكل ما يريد ان يفعله العباد وذلك انه يستحيل ان يفعل ما يريد ان يفعله العباد لان في ذلك ابطال الامر والنهي والطاعة والمعصية والثواب والعقاب اذ لا يامرهم ان يفعلوا ما قد فعله ولا ينهاهم عنه ولانه قد اراد من الكفار ان يومنوا لانه قد امرهم بالايمان وما فعل ايمانهم وقد قال الله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين ولو فعل ظلمهم لكان قد اراد ظلمهم وقوله هل اتاك فيفصل

حديث الجنود فرعون وثمود معناه تذكر يا محمد حديثهم تذكر معتبر فانك تنتفع به وهذا من الايجاز الحسن والتفخيم الذي لا يقوم مقامه التصريح لما يذهب الوهم فيه من كل مذهب ويطلب الاعتبار كل مطلب وقوله بل الذين كفروا في تكذيب معناه بل هاولاء الكفار الذين كذبوا بالبعث والنشور اعرضوا عما يوجبه الاعتبار بفرعون وثمود واقبلوا على ما يوجبه الكفر والتكذيب من التاكيد ولم يعلموا ان الله من ورائهم محيط يقدر ان ينزل بهم ما انزل بفرعون وقيل المعنى هل اتاك حديث الجنود وما كان منهم الى انبيائهم فاصبر كما صبر الرسل قبلك بل الذين كفروا في تكذيب اتباعا منهم لاهوائهم واتباعا لسنن ابائهم وقوله والله من ورائهم محيط اي هم مقدور عليهم كما يكون ما احاط الله بهم وهذا من بلاغة القران وقوله بل هو قران مجيد اي كريم فالمجيد الكريم العظيم الكرم بما يعطي من الخير فلما كان القران يعطي المعاني الجليلة والدلائل النفيسة كان كريما مجيدا لما يعطي من ذلك لان جميعه حكم وقيل الحكم على ثلثة اوجه لا رابع لها معنى يعمل عليه فيما يخشى او يتقى وموعظة تلين القلب للعمل بالحق ووجه يودي الى تمييز الحق من الباطل في علم دين او دنيا وعلم الدين اشرفهما وجميع ذلك موجود في القران وقوله في لوح محفوظ يعني عن التغيير والتبديل والنقصان والزيادة وقال مجاهد المحفوظ ام الكتاب وقيل انه اللوح المحفوظ الذي كتب الله جميع ما كان وما يكون فيه ذكره انس بن مالك اي كانه بما ضمن الله من حفظه في لوح محفوظ ومن رفع محفوظ جعله صفة القران ومن قراه بالخفض جعله صفة اللوح يكون

سورة الطارق

مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي سبع عشرة آية في الكوفي والبصري والمدني الاخير وست عشرة آية في المدني الاول

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ

فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب
انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر ١ عشر آيات
قرأ بالتشديد ابن عامر وحمزة وابن عباس بمعنى الا وقد جاء لما مشددا بمعنى الا في موضعين
ان والقسم كقولهم سألتك لما فعلت بمعنى الا فعلت وقال قوم تقديره لمما فحذفت احدى الميمات
كراهة اجتماع الامثال ومن قرأ بالتخفيف جعلوا ما صلة مؤكدة وتقديره لعليها حافظ
واللام لام الابتداء التي يدخل في خبر ان وان مخففة من الثقيلة هذا قسم من الله تعالى
بالسماء وبالطارق وقد بينا القول فيه فالطارق هو الذي يجيء ليلا وقد فسر الله تعالى وبينه
بانه النجم الثاقب فالنجم هو الكوكب قال الحسن المراد بالنجم جماع النجوم وقال ابن
زيد هو زحل وقوله وما ادراك معناه انك لم تدر حتى اعلمتك وكل ما يعلمه الانسان
فالله اعلمه بالضرورة او بالدليل وقال قتادة طروق النجوم ظهورها بالليل وخفاؤها
بالنهار وقوله والطارق يتبين من معنى وصفه بالطارق وقوله النجم الثاقب يتبين
عن ماهيته نفسه يقال طرق فلان اذا اتى ليلا واصل الطرق الدق ومنه المطرقة لانه
يدق بها والطريق لان المارة تدقه بارجلها والطارق لاحتياجه الى الدق للتنبيه والنجم
هو الكوكب الطالع في السماء يقال لكل طالع نجم تشبيها بالنجم اذا طلع من المشرق وغاب
رقيبه من المغرب والثاقب المضيء النير وتقويه تعوقده بنوره تقول العرب اثقب نارك اي
اشعلها حتى تضيء وثقب لسانها بخروج الشعاع منها والثاقب ايضا العالي الشديد العلو
تقول العرب الطائر اذا ارتفع ارتفاعا شديدا قد ثقب كانه ثقب الجو الاعلى وقال
مجاهد وقتادة وابن عباس الثاقب المضيء وقال ابن زيد هو العالي وهو زحل وقوله ان كل
نفس لما عليها حافظ جواب القسم وان ههنا المخففة من الثقيلة التي يتلقى بها القسم والمعنى
ان كل نفس لعليها حافظ من خلقه ومن شدة قال ان بمعنى ما وتقديره ليس كل نفس
الا عليها حافظ وقال قتادة حافظ من الملائكة يحفظون عمله ورزقه واجله الحافظ المانع

فكذلك الشمس والقمر ويوصف بالطالع والغارب لانه اذا طلع

فيمن

من حلائل

من حلائل التي حفظه يحفظه حفظا واحتفظ به احتفاظا فاما احفظه فمعناه اغضبه
وتحفظ من الامر اذا امتنع بحفظ نفسه منه وحافظ عليه اذا واظب عليه بالحفظ وقوله
فلينظر الانسان مم خلق امر من الله تعالى للمكلفين من الناس ان يفكروا ويعتبروا مما
ذا خلقهم الله ثم بين تعالى مما ذا خلقهم فقال خلق من ماء دافق فالدفق هو صب
الماء الكثير باعتماد قوي ومثله الدفع فالماء الذي يكون منه الولد يكون دفقا وهي
النطفة التي يخلق الله منها الولد انسانا او غيره وماء دافق معناه مدفوق ومثله سر كاتم
وعيشة راضية ثم بين ذلك من اي موضع يخرج هذا الماء فقال يخرج من بين الصلب
والترائب فالصلب هو الظهر والترائب جمع تريبة وهو موضع القلادة من صدر المرأة
في قول ابن عباس وهو ماخوذ من تذليل حركتها كالتراب قال المثقب ومن ذهب
يسن على تريب كلون العاج ليس بذي غضون وقال الحسن والزعفران على
ترائبها شرقا به اللبات والصدر وقيل ان نطفة الرجل تخرج من ظهره ونطفة المرأة
من صدرها فاذا غلب ماء الرجل خرج الولد الى شبه اهل بيت ابيه واذا غلب ماء المرأة
خرج الى شبه اهل بيت امه وقوله انه على رجعه لقادر قال عكرمة ومجاهد معناه
انه تعالى على رد الماء في الصلب قادر وقال الضحاك انه على رد الانسان ماء كما كان قادر وقيل
الرجع الماء وانشد ابو عبيدة للمنخل في صفة سيف ابيض كالرجع رسوب اذا ما ثاخ في
محتفل يختلي ومعنى الآية ان الذي ابتدأ الخلق من ماء دافق اخرجه من بين الصلب
والترائب حيا قادر على اعادته يوم تبلى السرائر لان الاعادة اهون من ابتداء النشأة وقال
الحسن وقتادة معناه انه على رجع الانسان بالاحياء بعد الممات قادر وقوله
يوم تبلى السرائر معناه تختبر باظهارها واظهار موجبها لان الابتلاء والاختبار والاعتبار
كله انما هو بطلبها موجب المعنى ففي الطاعة الحمد والثواب وفي المعصية الذم والعقاب
وواحد السرائر سريرة وهي الطوية في النفس وهو اسرار المعنى في النفس وقد يكون

الاسرار من واحد بعينه مع اطلاع غيره عليه فلا يكون سريرة وقيل ان الله يفضح العاصي
بما كان يستر من معاصيه ويجلي المؤمن باظهار ما كان يسره من طاعته ليكرمه الناس
بذلك ويجلوه ثم بين تعالى انه لا قدرة لهذا الانسان الذي يعيده الله ويعاقبه على
معاصيه على دفع ذلك عن نفسه ولا ناصر له يدفعه عنه فالقدرة هي القوة بعينها

قوله تبارك وتعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول
فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين
امهلهم رويدا سبع آيات هذا قسم من الله تعالى بالسماء ذات الرجع قال ابن
عباس ومجاهد وقتادة والضحاك ذات المطر وقال ابن زيد يعني شمسها وقمرها
ونجومها تغيب ثم تطلع وقيل رجع السماء اعطاؤها الخير يكون من جهتها حالا بعد
حال على مرور الازمان ترجعه رجعا اذا اعطته مرة بعد مرة وقيل الرجع
الماء الكثير تردده بالرياح الى تربيته قال المتنخل في صفة السيف
ابيض كالرجع رسوب اذا ما ثاخ في محتفل يختلي وقال الزجاج يبتدئ بالمطر ثم يرجع
به في كل عام وقوله والارض ذات الصدع قسم آخر بالارض ذات الصدع وقال
ابن عباس وقتادة والضحاك وابن زيد ذات الصدع بالنبات لضروب الزروع والاشجار
صدع يصدع صدعا وتصدع الشيء تصدعا وانصدع انصداعا وصدعه تصديعا
وقوله انه لقول فصل جواب القسم ومعناه ان ما ذكره من اعادة الخلق وانشائهم النشأة
الثانية قول فصل اي هو قول يفصل الحق من الباطل ومثله فصل القضاء وكل معنى
فانه يحتاج فيه الى فصل حقه من باطله ثم قال وما هو بالهزل اي بعد انه فصل ليس
بهزل والهزل نقيض الجد ومثله اللهو واللعب والعبث هزل يهزل هزلا ثم اخبر
تعالى عن الكفار فقال انهم يكيدون كيدا اي يحتالون في دفع الحجج وانكار الآيات ويفعلون
ما يوجب الغيظ يقال كاده يكيده كيدا وكايده مكايدة وتكايد القوم تكايدا فقال تعالى

واكيد

٤٢٢

واكيد كيدا اي اجازيهم على كيدهم فسمى الجزاء على الكيد باسمه لازدواج الكلام
وقيل المعنى انهم يحتالون لهلاك النبي واصحابه وانا اسبب لهم النصر والغلبة
واقوي دواعيهم الى القتال فسمى ذلك كيدا من حيث يخفى عليهم ذلك وقوله فمهل الكافرين
امهلهم رويدا خطاب النبي عليه السلام بان يمهلهم قليلا وجاء المصدر على غير
لفظه كما قال انبتكم من الارض نباتا ورويدا معناه امهالا لا يقال ارود ارودادا
وتصغيره رويد وقال قتادة معناه قليلا والمعنى لا تعجل على طلب هلاكهم بل اصبر عليهم
قليلا فان الله يهلكهم لا محالة بالقتل والذل في الدنيا وما ينزل عليهم في الآخرة
من انواع العقاب وان ما وعدتك لا يبعد عنهم سورة الاعلى
مكية في قول ابن عباس وقال الضحاك هي مدنية وهي تسع عشرة آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي
اخرج المرعى فجعله غثاء احوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم
الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى
عشر آيات قرأ الكسائي وحده قدر فهدى خفيفا الباقون بالتشديد وهما لغتان
على ما قررناه فيما مضى هذا امر من الله تعالى للنبي عليه السلام ويدخل في ذلك
جميع امته يامرهم بان يسبحوا الله ومعناه ان ينزهوه عن كل ما لا يليق به من الصفات
الذميمة والافعال القبيحة والاخلال بالواجب لان التسبيح هو التنزيه لله عما لا يجوز
عليه كوصفه بانه لا اله الا هو فينفي ما لا يجوز في صفته من شريك في عبادته مع الاقرار
بانه الاله وحده وقال ابن عباس وقتادة معنى سبح قل سبحان ربي الاعلى وروي
انه لما نزلت هذه السورة قال النبي عليه السلام ضعوا هذا في سجودكم وقيل معناه ان نزهوا

ربك بان لا تسميه سواه وقيل معناه نزه ربك عما يصفه به المشركون واراد بالاسم
المسمى وقيل معناه صل باسم ربك الاعلى وقيل ذكر الاسم والمراد به تعظيم المسمى
كما قال الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
والاعلى معناه القادر الذي لا قادر افضل رتبة منه وصفه بالاعلى ينقله الى معنى العلو
حتى لو يبطل معنى علو المكان لم يبطل ان يتم حقيقتها او هي غير مضمنة بغيرها
ولم يبطل صفة الارفع وانما نعرف في دفعة المكان وقوله الذي خلق فسوى
نعت لقوله ربك وموضعه الجر ومعناه الذي خلق الخلق فسوى بينهم في باب
الاحكام وقيل معناه فسوى اي عدل خلقهم فالتسوية الجمع بين الشيئين بما هما فيه و
الذي قدر فهدى فالتقدير تنزيل الشيء على مقدار غيره فالله تعالى خلق الخلق وقدرهم
على ما اقتضته الحكمة هدى معناه ارشدهم الى طريق الرشد من الغي وهدى كل حيوان
الى ما فيه منفعته ومضرته حتى ان الله تعالى هدى الطفل الى ثدي امه وميزه من
غيره واعطى الفرخ حتى طلب الرزق من ابيه وامه والعصفور على صغره يطلب مثل
ذلك فيهديه الله تعالى له الى ذلك والذي اخرج المرعى معناه الذي انبت الحشيش
من الارض لمنافع جميع الحيوان فجعله غثاء احوى فالغثاء ما يقذف به السيل على جانب
الوادي من الحشيش والنبات والاحوى الاسود والحوة السواد قال ذو الرمة
لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي انيابها شنب وقيل احوى معناه
يضرب الى السواد وقال الزجاج فيه تقديم وتاخير وتقديره الذي اخرج المرعى
احوى فجعله غثاء وقيل الغثاء الهشيم اليابس المتفتت اسود من احتراقه بعد خضرته
ونعومته قال ذو الرمة فجاء حوة اشراطية وكفت فيها الذهاب وحفتها
البراعيم وقوله سنقرئك فلا تنسى معناه سناخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى
ذلك قال فالاقراء اخذ القراءة على القارئ بالاستماع لتقويم الزلل والقراءة التي

والقاري

والقاري التالي والنسيان ذهاب المعنى عن النفس بعد ان كان حاضرا لها و نقيضه الذكر
ومثله السهو يقال نسي ينسى نسيانا فهو ناس والنبي منسي والذكر لما نسي
والتنبيه لما غفل عنه وقيل فلا تنسى الا ما شاء الله اي لا تنساه برفع حكمه وتلاوته
في قول الحسن وقتادة وقيل معنى الا ما شاء الله اي ما شاء ان ينساه مما لا يكلفك
القيام بادائه لان التكليف مضمن بالذكر وقيل الا ما شاء الله كالاستثناء في
الايمان وان لم يقع مشية النسيان وقيل معناه الا ما شاء الله ان يؤخر انزاله وقال
الفراء لم يشاء الله ان تنسى شيئا هو كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك ولا يشاء ويقول القائل لاعطينك كل ما سالت الا ما شئت والا
ان اشاء ان امنعك والنية الا تمنعه ومثله الاستثناء في الايمان وقوله انه
يعلم الجهر وما يخفى معناه ان الله تعالى يعلم السر والعلانية فالجهر رفع الصوت و
نقيضه الهمس وهو ضعف الصوت اي يحفظ عليك ما جهرت به وما اخفيته مما تريد
ان تعيه حين بالقرآن تجهر جهرا ومنه قوله و لا تجهر بصلاتك ولا تخافت
بها وقوله ونيسرك لليسرى اي نسهل عليك العمل المؤدي الى الجنة فاليسرى
عبارة عن الجنة هنا واليسرى الكبرى في تسهيل الخير بها واليسرى الفعلى من اليسر
وهو سهولة عمل الخير وقوله فذكر امر للنبي عليه السلم ان يذكر الخلق ويعظهم
ان نفعت الذكرى وانما قال ذلك وهي تنفع لا محالة في عمل الايمان والامتناع
من العصيان كما يقال سله ان نفع السؤال اي فيما يجوز عندك وقيل معناه ذكرهم
ما بعثت به قبلوا او لم يقبلوا فان ازاحة علتهم تقتضي اعلامهم وتذكيرهم وان
لم يقبلوا وقوله سيذكر من يخشى معناه سيتعظ وينتفع بدعائك وذكرك
من يخاف الله ويخشى عقابه لان من لا يخافه لا ينتفع بها قوله تبارك وتعالى
ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى

قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير
وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى تسع آيات
قرا ابو عمرو وحمزة بل يؤثرون بالياء على الخبر عن الغائب الباقون بالتاء على الخطاب الا ان
وادغم اللام في التاء حمزة والكسائي الا قتيبة والحلواني عن هشام في كل موضع لما امر الله
تعالى النبي عليه السلم بالتذكير وبين انه تنفع بها من يخاف عقابه ذكر هاهنا انه يتجنبها
اي يتجنب الذكرى الاشقى والتجنب المصير في جانب عن الشي يابى كونه هذه
الشقي يتجنب الذكرى بان صار معزلا عنها لا يلتفت اليها كونها والشقوة حالة تؤدي الى
شدة العقاب ونقيضها السعادة شقي يشقى شقوة وشقاء واشقاه الله يشقيه اشقاء
عقابا بكفره وسوء عمله ثم بين ان هذا الشقي هو الذي يصلى النار الكبرى يعني
نار جهنم ووصفها بالكبرى لان الحاجة الى اتقائها اشد وذلك من كبر الشان
اذ الكبير الشان هو المختص بشدة الحاجة اليه الى اتقائه فمهما كان اكبر شانا
فالحاجة اليه اشد وقال الحسن النار الكبرى نار جهنم والنار الصغرى
نار الدنيا وقال الفراء النار الكبرى التي في الطبقة السفلى من جهنم وقوله
ثم لا يموت فيها ولا يحيى معناه ان هذا الشقي لا يموت في النار فيتخلص من العذاب
ولا يحيى حياة له فيها لذة بل هو في الوان العذاب وضروب العقاب وقيل ولا
يحيى اي لا يجد روح الحياة وقوله قد افلح من تزكى معناه قد فاز من تزكى يعني
صار زاكيا بان عمل الطاعات في قول ابن عباس والحسن وقال ابو الاحوص
وقتادة يعني من تزكى ماله وقوله وذكر اسم ربه فصلى اي وصار زاكيا بالاعمال
الصالحات وذكر اسم ربه على كل حال وصلى على ما امره الله به ثم قال تعالى
بل تؤثرون الحياة اي تختارون الحياة الدنيا على الآخرة بان تعملوا
للدنيا ولا تعملوا للآخرة وذلك على وجهين في الفرض والنفل فمن ترك واحدا

منها

منها الى خلافه فقد ترك العمل للآخرة بالعمل للدنيا وذلك على وجهين احدهما
يجوز للرخصة والآخر محظور معصية لله ثم قال تعالى والآخرة خير وابقى اي منافع
الآخرة من الثواب وغيره خير من منافع الدنيا وابقى لانها باقية وهذه فانية منقطعة
وقوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى يعني ما ذكر الله وفصله
من حكم المؤمن والكافر وما اعده الله لكل واحد من الفريقين مذكور في كتب الاولين
في الصحف المنزلة على ابرهيم والتوراة المنزلة على موسى وقيل من قوله قد افلح من تزكى
الى آخر السورة هو المذكور فيها وقيل من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فهو ممدوح في
الصحف الاولى كما هو ممدوح في القرآن وقيل كتب الله كلها انزلت في شهر رمضان
فاما القرآن فانه انزل لاربع عشرة سنة وفي ذلك دلالة على ان ابرهيم كان قد انزل عليه
كتاب خلاف قول من ينكر نبوته ويزعم انه لم ينزل عليه كتاب ولا يكون نبي
الا ومعه كتاب حكي ذلك عن الصادق انهم قالوا لم يكن ابرهيم نبيا وانما كان رجلا صالحا

سورة الغاشية

مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي ست وعشرون آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ اَتاكَ حَدِيثُ الغاشِيَةِ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلى
نارًا حامِيَةً تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ اِلّا مِنْ ضَرِيعٍ لا يُسْمِنُ
وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ لِسَعْيِها راضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ عشر
آيات قرا اهل البصرة وابو بكر عن عاصم تُصلى بضم التاء على ما لم يسم فاعله يعني
تُصلى الوجوه نارا حامية الباقون بفتح التاء على ان تكون الوجوه هي الفاعلة هذا
خطاب من الله تعالى للنبي عليه السلام يقول له هل اتاك يا محمد ومعناه قد اتاك

حديث الغاشية قال ابن عباس والحسن وقتادة الغاشية يوم القيامة تغشى الناس
بالاهوال وقال سعيد بن جبير الغاشية النار تغشى وجوه الكفار بالعذاب
والشواظ والغاشية الجلّة لجميع الجلة غشيت تغشى غشيانا وهي غاشية واغشاها
غيرها اغشاءً اذا اصلها تغشى وغشاها تغشية وتغشى بها تغشيا وقوله وجوه
يومئذ خاشعة معناه ان وجوه العصاة والكفار في ذلك اليوم ذليلة خاضعة من ذل
المعاصي التي فعلها في دار الدنيا والمراد بالوجوه اصحاب الوجوه وانما ذكر الوجوه لان
الذل والخضوع يظهر فيها وقوله عاملة ناصبة قال الحسن وقتادة معناه لم تعمل
لله في الدنيا فاعملها في النار وقال غيرهم معناه عاملة ناصبة في دار الدنيا بما يؤدي بها الى
النار وهو مما اتصلت صفتهم في الدنيا بصفتهم في الآخرة ومعنى الناصبة والنصبة
التعبة وهي التي اضعفها الانتصاب للعمل يقال نصب الرجل ينصب نصبا اذا
تعب في العمل ثم بين تعالى ما يفعل بمن وصفه من ذوي الوجوه فقال تصلى نارا حامية
اي تلزم الاحراق بالنار الحامية التي في غاية الحرارة وتسقى ايضا من عين آنية قال
ابن عباس وقتادة آنية بالغة النهاية في شدة الحر وقوله ليس لهم طعام الا من
ضريع فالضريع نبات تاكله الابل يضر ولا ينفع كما وصفه الله لا يسمن ولا يغني
من جوع وانما يشتبه الامر عليهم فيتوهمونه كغيره من النبت الذي ينفع لان المضارعة
المشابهة ومنه اخذ الضرع وقيل الضريع الشبرق وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة
هو سم وقال الحسن لا ادري ما الضريع لم اسمع من اصحاب محمد فيه شيئا وقال قوم
ضريع بمعنى مضرع اي يضرعهم ويذلهم وقيل من ضريع يتضرع آكله في الاعفاء
منه لخشونته وشدة كراهته ثم بين وجوه المطيعين المؤمنين الذين عملوا الطاعات
فقال وجوه يومئذ ناعمة اي منعمة في انواع اللذات لسعيها راضية بما اداها
اليه من الثواب والكرامة جزاء لطاعاتها التي عملها في الدنيا وقوله في جنة عالية اي في

بستان اجتمعت الجنة على الشرف والجلالة وعلو المكان والمنزلة بمعنى انها مشرفة على غيرها
من البساتين وهي ازهر ما تكون **قوله تبارك وتعالى** لا تسمع فيها لاغية
فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة
وزرابي مبثوثة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت
والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت عشر آيات قرا لا يسمع بالياء
مضمومة فيها لاغية رفع فاعل ما لم يسم فاعله لان التانيث ليس بحقيقي وقد فصل
بينهما ابن كثير وابو عمرو ورويس وقرا نافع وحده لا تسمع بالتاء مضمومة
لاغية مرفوعة لان اللفظ لفظ التانيث الباقون بفتح التاء على الخطاب لاغية نصبا
لانها مفعول بها لما ذكر الله تعالى ان المؤمنين يحصلون في جنة عالية في الشرف
والمكان بين انه لا يسمع في تلك الجنة لاغية وهي كلمة لا فائدة فيها قال الشاعر
عن اللغا ورفث التكلم واللغو واللغا مصدر واحدة لغى يلغى ولغا يلغو واللغاة اللغاة
وقيل لاغية بمعنى ذات لغو كقولهم نابل ودارع اي ذو نبل ودرع وتامر ذو تمر
قال الحطيئة وغررتني وزعمت انك لابن بالصيف تامر وقيل هي اللغا
المصدر مثل العافية ويجوز ان يكون معناه وتقديره لا يسمع فيها كلمة لاغية والاول
اصح لقوله لا لغو فيها ولا تاثيم وانما نفى اللاغية عن الجنة لان في سماع ما لا فائدة
فيه ثقلا على النفس ثم بين ان فيها ايضا اي في تلك الجنة عينا من الماء جارية لان
في العين الجارية متعة ليس في الواقف وقوله فيها سرر مرفوعة فالسرر جمع
سرير وهو مجلس سرور بارتفاعه على قوائم متقابلة وقيل سرر مرفوعة ليرى المؤمن
بجلوسه عليها جميع ما حوله من الملك وقوله واكواب موضوعة اي على حافة العين
الجارية كلما اراد شربها وجدها مملوة فالاكواب جمع كوب وهي الاباريق التي ليس
لها خراطيم وهي للشراب من الذهب والفضة والجوهر يتمتعون بالنظر اليها بين

ايديهم ويشربون بها لما يشتهون من لذيذ الشراب وهو كالجرار ذي القلال الذي يوضع
بين يدي الملوك وقيل الاكواب كالاباريق لا عرى لها ولا خراطيم وهي آنية يحمل الشراب
فاخرة حسنة الصورة وقوله ونمارق مصفوفة قال قتادة النمارق الوسائد واحدها نمرقة
وهي الوسادة وهي تصلح للراحة ودفع المزلة وقوله وزرابي مبثوثة فالزرابي البسط الفاخرة
واحدها زربية وقيل قد جمع بضم النون والراء وكسرهما ثم نبه تعالى على الادلة
التي يستدل بها على توحيده ووجوب اخلاص العبادة له فقال افلا ينظرون
اي افلا يتفكرون بنظرهم الى الابل ويعتبرون بما خلقه الله عليه من عجيب الخلق
ومع عظمه وقوته يذلله الصبي الصغير فينقاد له بتسخير الله ويبركه ويحمل عليه
ثم يقوم وليس ذلك في شيء من الحيوان بتسخير الله لعباده ونعمه على خلقه والى
السماء اي وينظرون الى السماء كيف رفعها فوق الارض وجعل بينهما من هذا الفضاء
الذي به قوام الخلق وحياتهم ثم ما خلق فيها من عجائب الخلق من النجوم والشمس والقمر
والليل والنهار الذي بجميع ذلك ينتفع الخلق ويتم عيشهم ونفعهم والى الجبال كيف
نصبت اي ويتفكرون في خلق الله تعالى الجبال اوتادا للارض مسكة لها ولولاها
لمادت الارض باهلها ولما صح من الخلق التصرف عليها والى الارض كيف سطحت
اي وينظرون الى الارض كيف بسطها الله وسطحها ووسعها ولولا ذلك لما صح الانتفاع
بها ولا الاستقرار عليها وهذه نعم من الله تعالى على خلقه لا يوازيها نعمة منعم
ولا يقاربها احسان محسن فيجب ان يقابل ذلك باعظم الشكر قوله تبارك وتعالى
فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله
العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ؛ ثلث آيات
قرا ابو جعفر والكسائي بمسيطر بالسين باختلاف عنهما الباقون بالصاد الا حمزة فانه
يشم الصاد زايا لما بين الله تعالى الادلة على وحدانيته ونبه على الاستدلال بها

قال

قال لنبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله فذكر يا محمد انما انت مذكر فالتذكير التعريف
للذكر بالبيان الذي يقع به الفهم والنفع بالتذكير عظيم لانه طريق العلم بالامور التي
يحتاج اليها ويبين النبي العمل بها ويذكر نعم الله تعالى عندهم وما يجب عليهم في
مقابلتها من الشكر والعبادة فقد اوضح الله تعالى طريق الحج في الدين واكد غاية التاكيد
بما لا يسع فيه التقليد بقوله انما انت مذكر وقوله وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين وقوله ان في ذلك لاية لقوم يعقلون وآية لقوم يتفكرون وآية لقوم
يتذكرون وآيات لاولي الالباب وقوله هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين وقوله
وجادلهم بالتي هي احسن ومحاجة ابرهيم عليه السلم الكافر بربه وقوله فاعتبروا يا اولي
الابصار وقوله افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وقوله لست عليهم بمسيطر
فالمسيطر المسلط على غيره بالقهر له يقال تسيطر فلان على فلان وسيطر اذا تسلط وقيل
ولن مسيطر مبيطر قال ابو عبيدة لا ثالث لهما من كلام العرب وقيل كان
هذا قبل فرض الجهاد ثم نسخ ويجوز ان يكون غير منسوخ لان الجهاد ليس باكراه القلوب
وقوله الا من تولى وكفر قيل في هذا الاستثناء قولان احدهما انه منقطع وتقدير
لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر الثاني الا من تولى فانك تسلط
عليه بالجهاد فالله يعذبه العذاب الاكبر وقال الحسن المعنى الا من تولى وكفر فكله
الى الله وقيل معناه الا من تولى وكفر فلست لذلك لانه لا يقبل منك فكانك لست تذكره
وقوله ان الينا ايابهم فالاياب الرجوع آب يؤوب اوبا وايابا وتاوب تاوبا
واوب يؤوب تاويبا ويقال ايب ايابا على فيعل فيعالا من الاوب وعلى هذا قرئ
في الشواذ ايابهم بالتشديد قال عبيد وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت
لا يؤوب والمعنى ان مرجع الخلق يوم القيامة الى الله فيحاسبهم ويجازي كلا منهم
على قدر عمله فحساب الكفار مقدار ما لهم وعليهم من استحقاق العقاب وحساب المؤمن

بيان ماله وعليه حق **سورة والفجر** بيان اختلاف الثواب
مكية في قول ابن عباس وقال الضحاك هي مدنية وهي ثلثون آية في الكوفي
وتسع وعشرون في البصري واثنتان وثلثون في المدنيين **قال الله تبارك وتعالى**

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ خمس عشرة آية قرأ حمزة والكسائي وخلف والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها وهما لغتان قال أبو عبيدة الشفع الزكا والوتر الخسا وقرأ نافع وأبو عمرو يسري بياء في الوصل دون الوقف وقرأ ابن كثير بياء في الوصل والوقف وكذلك بالوادي الباقون بغير ياء في وصل ولا وقف من اثبت الياء فلأنها الأصل ومن حذفها فلأنها رأس آية والفواصل يحذف منها الياءات هذا قسم من الله تعالى بالفجر وليال عشر وقسم منه بالشفع والوتر والليل إذا يسر وجواب القسم قوله إن ربك لبالمرصاد والفجر شق عمود الصبح فجره الله لعباده يفجره فجرا إذا أطلعه في أفق المشرق منتشرا مؤذنا بإدبار الليل المظلم وإقبال النهار المضيء والفجر فجران أحدهما المستطيل وهو الذي يصعد طولا كذنب السرحان ولا حكم له في الشرع والآخر هو المستطير وهو الذي ينتشر في أفق السماء وهو الذي يحرم عنده الأكل والشرب لمن أراد الصوم في شهر رمضان وهو ابتداء اليوم وقال عكرمة والحسن الفجر فجر الصبح وقوله وليال عشر قال ابن عباس والحسن وعبد الله بن الزبير ومجاهد ومسروق والضحاك وابن زيد هي العشر الأول من ذي الحجة شرفها الله تعالى ليسارع الناس فيها إلى عمل الخير واتقاء الشر على طاعة الله في تعظيم ما عظم وتصغير ما صغره وينالوا من الطاعة الجزاء الجزيل

ووز

وقال قوم هي العشر التي أول محرم والأول هو المعتمد وقوله والشفع والوتر قال ابن عباس وكثير من أهل العلم الشفع الخلق بما له من الشكل والمثل والوتر الخالق الفرد الذي لا مثل له وقال الحسن الشفع الزوج والوتر الفرد من العدد كأنه تنبيه على ما في العدد من العبرة بما يضبط لأنه من المقادير التي يقع بها التعديل وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة ووجه ذلك أن يوم النحر يشفع بيوم نحر بعده وينفرد يوم عرفة بالموقف وفي رواية أخرى عن ابن عباس ومجاهد ومسروق وأبي صالح أن الشفع الخلق والوتر الله تعالى وقال ابن زيد الشفع والوتر كله من الخلق وقال عمران بن حصين الصلاة فيها شفع وفيها وتر وقال ابن الزبير الشفع اليومان الأولان من يوم النحر والوتر اليوم الثالث وفي رواية أخرى عن ابن عباس الوتر آدم والشفع زوجته قال أبو عبيدة يقال أوترت ووترت وقوله والليل إذا يسر معناه يسير ظلامه حتى ينقضي بالضياء المبتدي ففي تسييره على المقادير المرتبة ومجيئه بالضياء عند تقضيه في الفصول أدل دلالة على أن فاعله يختص بالعز والاقتدار الذي يجل عن الأشباه والأمثال وقوله هل في ذلك قسم لذي حجر أي لذي عقل في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن وقيل للعقل الحجر لأنه يعقل عن القبائح ويزجر عن فعلها يقال حجر يحجر حجرا إذا منع من الشيء بالتضييق ومنه حجر الرجل الذي يحجر على ماله ومنه الحجر لامتناعه بصلابته وقوله ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد خطاب من الله تعالى للنبي وتنبيه للكفار على ما فعل ربك بالأمم الماضية لما كفروا بوحدانية الله وإعلام لهم كيفية إهلاكهم وقيل عاد الأولى عاد بن إرم وقيل إرم بلدة منه الإسكندرية في قول القرظي وقال المقبري هو دمشق وقال مجاهد هم أمة من الأمم وقال قتادة هم قبيلة من عاد وقوله ذات العماد قال ابن عباس ومجاهد ذات الطول من قولهم رجل معمد

مدينة الإسكندرية

اذا كان طويلا وقيل ذات عمد للابنية ينتقلونه من مكان الى مكان للانتجاع ذكره قتادة
وقال ابن زيد ذات العماد في احكام البنيان وقال الضحاك معناه ذات القوة الشداد
وقال الحسن العماد الابنية العظام وقيل ان ارم هو سام بن نوح ولم ينصرف لانه
اعجمي معرفة وقوله التي لم يخلق مثلها في البلاد يعني في عظم اجسامهم وشدة قوتهم
وقوله وثمود الذين جابوا الصخر بالواد موضع ثمود جر بالعطف على قوله بعاد اي و
بثمود ولم يجر لانه اعجمي معرفة ومعنى جابوا الصخر اي قطعوا الصخر من الجبال بيتا
فيهم يقال جاب يجوب اذا قطع قال النابغة اتاك ابو ليلى يجوب به الدجى
دجى الليل جواب الفلاة عثمثم قال مجاهد قطعوا الجبال بيوتا كما قال وتنحتون
من الجبال بيوتا فارهين وقوله وفرعون ذي الاوتاد قال ابن عباس معناه
ذي الجنود الذين كانوا يشيدون امره وقال مجاهد كان يوتد الاوتاد في ايدي
الناس وقال قتادة ملاعب كان يلعب له فيها وتضرب تحتها بالاوتاد وقيل ذي
الاوتاد لكثرة الاوتاد التي كانوا يتخذونها للمضارب بكثرة جموعهم وكان فيهم اكثر
منه في غيرهم وقيل ان فرعون كان اذا غضب على الرجل مده بين اربعة اوتاد حتى
يموت وقوله الذين طغوا في البلاد معناه ان عادا وثمود الذين ذكرناهم تجاوزوا
في الظلم الحد في البلاد وخرجوا عن حد العدل وفسر ذلك بقوله فاكثروا فيها يعني
في البلاد الفساد ثم بين ما فعل بهم عاجلا فقال فصب عليهم ربك [illegible] سوط
عذاب اي قسط عذاب كالعذاب بالسوط الذي يعرف الا انه اعظم ويجوز ان يكون
عن قسط عذاب يخالط اللحوم والدماء كما يخالط بالسوط في لغتهم ساطه يسوطه
سوطا فهو سايط قال الشاعر احارث انا لو يساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس
دم دما وقيل المعنى انه جعل سوطه الذي ضربهم به انه صب عليهم العذاب وقوله
ان ربك لبالمرصاد معناه ان ربك بالمحل لا يفوته شيء من اعمال العباد كما لا يفوت من

بالمرصاد

بالمرصاد والمرصاد مفعال من رصده يرصده رصدا اصله واحد اذا ادى ما يكون
منه ليقابله بما يقتضيه وقيل لامير المؤمنين علي عليه السلام اين كان ربنا قبل ان خلق
السموات والارض فقال اين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان وقيل لاعرابي
اين ربك يا اعرابي قال بالمرصاد وقال ابن عباس معناه انه يسمع ويرى اعمال
العباد وقال الحسن والضحاك لبالمرصاد بانصاف المظلوم من الظالم ومعناه لا يجوزه
ظلم ظالم حتى ينصف المظلوم منه قوله تبارك وتعالى فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر
عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على
طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا اذا
دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم
يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي
فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي اربع
عشرة آية قرا ابن عامر وابو جعفر فقدر بتشديد الدال وقرا ابو عمرو واهل البصرة
كلا بل لا يكرمون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين وياكلون التراث ثلثهن بالياء
الباقون ثلثهن بالتاء فالاول على وجه الخبر عن الذين تقدم ذكرهم من الكفار والثاني
على وجه الخطاب وتقديره قل لهم يا محمد وقرا اهل الكوفة تحاضون بالتاء والالف
الباقون بغير الف والتاء في جميع ذلك مفتوحة حضضته وحثثته وتحاضون
مثل فاعلته وفعلته الا ان الفاعلة بين اثنين اكثر وقرا الكسائي ويعقوب
فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد على ما لم يسم فاعله والفعل
مسند الى احد والمعنى لا يعذب عذابه احد فلا احد من العذاب لانه المستحق له فلا يؤخذ

بن نبا عنه الباقون بكسر الذال ولا يوثق بكسر الثاء وتاويله لا يعذب عذاب الله
احد ولا يوثق وثاقه احد وهو قول الحسن وقتادة لما توعد الله تعالى الكفار
وجميع العصاة بما قدمه من الوعيد على المعاصي واخبرهم بما فعل بالامم الماضية جزاء
على كفرهم وحكى انه بالمرصاد لكل عاص قسم احوال الخلق من البشر فقال فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه اى اختبره والابتلاء هو اظهار ما في العبد من خير او شر من الشدة
والرخاء والغنى والفقر حسب ما يقتضيه المصلحة فان عمل بداعي العقل ظهر الخير وان
عمل بداعي الطبع ظهر الشر ومثل الابتلاء الامتحان والاختبار وقوله فاكرمه
ونعمه معناه اعطاه الخير وانعم عليه والاكرام اعطاء الخير النفع به على ما تقتضيه الحكمة
الا انه كثر فيما يحق بالاحسان ونقيض الاكرام الهوان فيقول العبد عند ذلك
ربي اكرمن اى انعم علي واحسن الي ومن اثبت الياء فلانها الاصل ومن حذفها
فلانها راس آية واجتزئ بكسرة النون للدلالة على حذفها ثم قال واما اذا ما ابتلاه
اى اختبره بعد ذلك بان ضيق عليه رزقه اى ضيق عليه وقدر البلغة فقوله
فقدر عليه رزقه اى ضيق عليه والاصل القدر وهو كون الشئ على مقدار ومنه تقدير
الشئ طلب وقدره من مقدار غيره فيقول العبد عند ذلك ربي اهانن فقال الله تعالى
ردا لوهم من ظن ان الاكرام بالغنى والاهانة بالفقر بان قال كلا ومعناه ليس الامر على
ما توهمه وانما الاكرام في الحقيقة بالطاعة والاهانة بالمعصية بقوله كلا ومعناه ليس
الامر على ما ظن هذا الانسان الكافر الذي لا يؤمن بالله واليوم الاخر ذكره قتادة
ثم بين ما يستحق به الهوان بقوله بل لا يكرمون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين
اى الهوان لهذا لا لما توهم حقيقته يعني حقه وتحاضون بمعنى يحضون والعلة في فعله
الان الفاعلة من اثنين اكثر وقال الفراء تحاضون بمعنى تحافظون واصله تتحاضون
فحذفت احدى التائين وقوله وتاكلون التراث اكلا لما اى جمعا يقال لممت ما على الخوان

الذي

اله لما اذا اكله اجمع والتراث الميراث وقيل هو من يأكل نصيبه ونصيب صاحبه
وقوله وتحبون المال حبا جما قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد معناه كثيرا
شديدا يقال جم الماء في الحوض اذا اجتمع وكثر قال زهير فلما وردن الماء زرقا
جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم وقوله كلا اذا دكت الارض دكا دكا معناه
التهديد والوعيد الشديد اى حقا اذا دكت الارض بان جعلت مثل الدكة مستوية
لا خلل فيها ولا تلول كما قال لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهو يوم القيامة
فالدك حط المرتفع بالبسط يقال اندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره وناقة
دكاء اذا كانت كذلك ومنه الدكان لاستوائه فكذلك الارض اذا دكت لحق
في اثرها وذهبت دورها وقصورها وسائر ابنيتها حتى تصير كالصحراء الملساء
فيها قال ابن عباس يوم القيامة تمد الارض مد الاديم وقوله وجاء ربك
والملك صفا صفا معناه وجاء امر الله وعذاب الله وقيل معناه وجاء جلائل آياته
فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لشانها قال الحسن معناه وجاء قضاء الله
كما يقول القائل جاءتنا الروم اى سبيهم وقال بعضهم معناه جاء ظهوره بضرورة في
المعرفة كما يوصف الحي اذا وقعت ضرورة والمعرفة لا تقوم مقام الرؤية وقوله والملك
صفا صفا معناه كصفوف الناس في الصلاة ياتي الصف الاول ثم الصف الثاني ثم الثالث
على هذا الترتيب لان ذلك اشكل بحال الاستواء من التشويش والتخليط بالتعديل
في الامور والتقديم اولى وقوله وجيء يومئذ بجهنم اى احضرت جهنم ليعاقب
بها المستحقون لها وترى اهل الموقف هولها وعظم منظرها وقوله يومئذ يتذكر
الانسان اخبار منه تعالى بان الانسان يتذكر ما فرط في دار التكليف من ترك الواجب
وفعل القبيح ويندم عليه ثم قال تعالى وانى له الذكرى ومعناه من اين له الذكرى
التي كان امر بها في دار الدنيا فانها تعوده الى طريق الاستواء وتبصره الضلال

التقويم

من الهدى ومكانه قال وانى له الذكرى اى ينتفع بها كما لو قيل يتندم وانى له
الندم ثم حكى ما تقول الكافر المفرط الجانى على نفسه ويتمناه فانه يقول يا ليتنى
قدمت لحياتى اى يتمنى انه كان عمل الطاعات لحياته بعد موته اى عمل للحياة التى تدوم
له فكان اولى بى من التمسك بحياة زايلة ثم قال فيومئذ لا يعذب عذابه احد
معناه فى قراة من كسر الذال اجلا من الله تعالى انه لا يعذب عذاب الله احد فى
ذلك اليوم ومن فتح الذال قيل المعنى لا يعذب عذاب الجانى الكافر الذى لم يعمل
لحياته احد من الناس لانا علمنا ان ابليس اشد عذابا من غيره بجرايمه واذا
اطلق الكلام على ذلك قيل معناه لا يواخذ به غيره لانه المستحق للعذاب
ولا يواخذ الله احدا بجرم غيره وقوله ولا يوثق وثاقه احد اى لا يشد بالسلاسل
والاغلال احد على التفسيرين اللذين ذكرناهما وقوله يا ايتها النفس المطمئنة قال
ابن زيد عن ابيه ان النفس المطمئنة التى فعلت طاعة الله وتجنبت معاصيه تبشر
عند الموت ويوم البعث بالثواب والنعيم وقيل ان المطمئنة بالمعرفة لله والايمان
به فى قول مجاهد وقيل المطمئنة بالبشارة بالجنة وقال الفراء تقديره يا ايتها
النفس المطمئنة بالايمان والمصدقة بالثواب والبعث ارجعى تقول لهم الملائكة اذا
اعطوهم كتبهم بايمانهم ارجعى الى ربك اى الى ما اعده الله لك من الثواب وقد يجوز
ان يقولوا لهم هذا القول ينوون ارجعوا من الدنيا الى هذا المرجع ثم بين ما يقال
لها وتبشر به بانه يقال لها ارجعى الى ربك اى الى الموضع الذى يختص الله تعالى
بالحكم والنهى به دون خلقه راضية بثواب الله مرضية الافعال من الطاعات
وانه يقال لها ادخلى فى عبادى الذين رضيت عنهم ورضيت افعالهم وادخلى
جنتى التى وعدتكم بها واعددت نعيمكم فيها وروى عن ابن عباس انه قرا ادخلى
فى عبدى يعنى فى جسم عبدى قال ابن خالويه وهى قراة حسنة قال المبرد تقديره يا ايتها

الروح

الروح ارجعى الى ربك فادخلى فى عبادى فى كل واحد من عبادى تدخل فيه روحى

سورة البلد

مكية فى قول ابن عباس وقال الضحاك انزلت حين افتتح مكة وهى عشرون آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان
فى كبد ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب
ان لم يره احد الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين
عشر آيات قرا ابو جعفر لبدا بتشديد الباء الباقون بالتخفيف قوله لا اقسم معناه اقسم
ولا صلة كما قال الشاعر ولا الوم البيض ان لا تسخرا اى ان تسخرا وقيل هى
رد الكلام على طريق الجواب لمن قد ظن منه الخلاف اى ليس الامر على ما يتوهم وقد
بينا نظاير ذلك فيما مضى فاذا ثبت انه اقسم فلا ينافى قوله وهذا البلد الامين لان هذا
قسم آخر وانما يكون مناقضة لو اراد نفى القسم بقوله لا اقسم فاما اذا كان الامر محتملا لما بينا
فلا تنافى بينهما وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد يعنى بالبلد
مكة وقوله وانت حل بهذا البلد معناه فى قول ابن عباس انه حلال لك به قتل من رايت
حين امرت بالقتال فقتل ابن خطل صبرا وهو اخذ باستار الكعبة ولم يحل لاحد بعده وبه
قال مجاهد وقتادة وعطاء وابن زيد والضحاك وقال عطاء لم يحل الا لنبيكم ساعة من
النهار وقال الحسن معناه وانت فيه محسن وانا عنك راض وقيل معناه انت حل بهذا البلد
اى انت فيه مقيم وهو محلك والمعنى بذلك التنبيه على شرف البلد بشرف من حل فيه
من الرسول الداعى الى تعظيم الله واخلاص عبادته المبشر بالثواب والمنذر بالعقاب
ويقال رجل حل اى حلال وقالوا حل معناه حال اى ساكن وقوله ووالد وما ولد قسم

آخر بالوالد وما ولد قال ابن عباس وعكرمة المعنى من له ولد والد وما ولد يعني العاقر
وقال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وسفيان وابو صالح يعني آدم وولده وقال
ابو عمران الجوني يعني به ابرهيم عليه السلام وقوله لقد خلقنا الانسان في كبد جواب
القسم ومعنى كبد قال ابن عباس والحسن في شدة وقال قتادة معناه يكابد الدنيا والآخرة
وقال مجاهد وابو صالح الحنفي وعبد الله بن شداد معناه في انتصاب قامته فكانه في ابرهيم
شدة قوام مخصوص من الناس سائر الحيوان قال لبيد يا عين هلا بكيت اربد اذ
قمنا وقام الخصوم في كبد اي في شدة نصب فالكبد في اللغة شدة الامر يقال
تكبد اللبن اذا غلظ واشتد ومنه الكبد كانه دم يغلظ ويشتد ويكبد الدم اذا صار
كالكبد فالانسان مخلوق في شدة امر يكون في الرحم ثم في القماط والرباط على خطر
عظيم عند بلوغه من حال التكليف فينبغي له ان يعلم ان الدنيا دار كد ومشقة وان
الجنة هي دار الراحة والنعمة وقوله ايحسب ان لن يقدر عليه احد معناه ايظن هذا
الانسان ان لن يقدر على عقابه احد اذا عصى الله تعالى وركب معاصيه فنفى الظن
ذلك وقيل انها نزلت في رجل يقال له ابو الاسد كان من القوة بحيث يقف على الجلد
عكاظي فيجرّه العشرة من تحته فينقطع ولا يبرح من عليه فقال الله تعالى ايحسب لشدته
وقوته ان لن يقدر عليه احد ثم حكى ما يقول هذا الانسان من قوله اهلكت مالا لبدا قال
الحسن معناه يقول ما لا كثيرا فمن يحاسبني عليه لم يعلم ان الله قادر على محاسبته
واللبد الكثير الذي قد تراكب بعضه على بعض ومنه تلبد القطن والصوف اذا تراكب
بعضه على بعض وكذلك الشعر ومنه اللبد ومن قرأ لبدا بتشديد الباء فهو جمع لابد
وقوله ايحسب ان لم يره احد ايظن هذا الانسان انه لم يبصره احد فيطالبه من اين
كسب هذا المال وفي اي شيء انفقه ذكره قتادة وقيل معناه ايظن ان لم يره احد في انفاقه
انه كاذب وقال الحسن يقول انفقت مالا كثيرا فمن يحاسبني عليه وقيل انها نزلت

في ر

في رجل من بني جمح يكنى ابا الاسد وكان قويا شديدا ثم نبهه تعالى على وجوه النعمة
التي انعم بها عليه ليستدل بها على توحيده وخلع الانداد دونه فقال الم نجعل له عينين
ليبصر بهما ولسانا وشفتين ينطق بهما وهديناه النجدين ليستدل بها وفي ذلك دليل
واضح على انه قادر مختار لهذه الافعال التي فعلها لهذه الوجوه فاحكمها لهذه الامور
فالحكم المتقن لا يكون الا من عالم وتعليقه بالمعاني لا يكون الا من مختار لانه لا يتعلق
الفعل بالمعاني الا بالارادة وقال ابن مسعود وابن عباس معنى هديناه النجدين نجد الخير
والشر وبه قال الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وفي رواية عن ابن عباس انهما الثديان
والنجدان الطريقان الخير والشر واصل النجد العلو ونجد بلد سمي نجدا لعلوه عن
انخفاض تهامة وكل عال من الارض نجد والجمع نجود ورجل نجد بين النجدة اذا كان
جلدا قويا لاستعلائه على قرنه واستنجدت فلانا فانجدني اي استعنته على خصمي فاعانني
والنجد الكرب والغم والنجاد ما علي حمائل من حمائل السيف وشبه طريق الخير
والشر بالطريقين العاليين لظهورهما فيهما قوله تبارك وتعالى
فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم
نار مؤصدة عشرون آيات قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم
في يوم ذي مسغبة بفتح الفعل انه فعل ماض الباقون فك رقبة على الاضافة وكون
الاضافة الى المفعول او اطعام فوجه الاول قوله فلا اقتحم العقبة فك رقبة الثاني
على الجواب وما ادراك ما العقبة فيكون الجواب بالاسم وتلخيصه فلا اقتحم العقبة
ولا جاوز الصراط الا من كان بهذه الصفة يفك رقبة او يطعم يتيما في يوم ذي مجاعة فلا اقتحم
بمعنى لم كما قال فلا صدق ولا صلى ومعناه لم يصدق ولم يصل وانما لم يكرر لا لان معناه

ثم كان من الذين آمنوا يدل على انه لم يقتحم ولم يومن وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص وخلف
موصدة بالهمز الباقون بغير همز وهما لغتان يقال آصدت الباب او صدته ايصادا فهو موصد
بالهمز واوصدته فهو موصد بغير همز والوصيد الباب من اوصدت لما نبه الله تعالى الانسان
على وحدانيته واخلاص عبادته بقوله الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وما فيهما من
الدلالة على قدرته وعلمه واستدعى الانسان طريق الخير والشر ورغبه في اتباع الخير
وزجره عن اتباع الشر قال حاثا له على فعل الخير بقوله فلا اقتحم العقبة قال الحسن
عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه والشيطان ولم يكرر
ذكر اللفظ وهي بمنزلة المكرر في المعنى كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن وروي عن ابن
عباس ان تقديره فلا اقتحم العقبة وحكي ايضا عنه انه قال تقديره افلا اقتحم
وحذف الاستفهام والمراد به التنبيه والاقتحام الدخول على الشدة يقال اقتحم اقتحاما
وانقحم انقحاما وقحم تقحيما وتقحم تقحما ونظيره الادخال والدخال والاقلاع والمعنى هلا دخل في البر
على صعوبته كصعوبة اقتحام العقبة والعقبة الطريقة التي ترتقى على صعوبة ويحتاج فيها
الى معاقبة الشدة بالضيق والمخاطرة وقيل العقبة الثنية الضيقة في راس الجبل
يتعاقبها الناس فشبهت بها العقبة في وجوه البر التي ذكرها الله تعالى وعاقب
الرجل صاحبه اذا صار في موضعه بدلا منه وقال قتادة فلا اقتحم العقبة انها
قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله وقال ابو عبيدة معناه فلم يقتحم في الدنيا
ثم فسر العقبة فقال وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة
تقديره اقتحام العقبة فك رقبة لان العقبة جثة والفك حدث فلا يكون خبرا عن
جثة قال ابو علي ولا اذا كانت بمعنى لم لم يلزم تكرارها ثم بين تعالى ما به يكون
اقتحام العقبة فقال فك رقبة فالفك فرق يزيل المنع ويمكن معه امر لم يكن ممكنا
قبل كفك القيد والغل لانه يزول بالمنع ويمكن به تصرف في الارض لم يكن قبل فك

الرقبة

الرقبة وفرق بينها وبين حال الرق بايجاب الحرية وابطال العبودية وقوله او اطعام في يوم
ذي مسغبة فالمسغبة المجاعة سغب يسغب سغبا اذا جاع فهو ساغب قال جرير
تعلل وهي ساغبة بنيها بانفاس من الشبم القراح ﴿ وقوله يتيما نصب بالطعام في قراءة
من نون نصبه بالمصدر ومن قرأ على الفعل الماضي نصبه به فهو مفعول به في الحالين
واليتيم الصبي الذي قد مات ابوه او امه والاغلب في اليتيم الاب في الناس وقوله ذا
مقربة معناه ذا قرابة ولا يقال فلان قرابتي وانما يقال ذو قرابتي لانه
مصدر كما قال الشاعر يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الناس مسرور
وقوله او مسكينا عطف على يتيما ذا متربة معناه ذا حاجة شديدة من قولهم ترب
الرجل اذا افتقر في قول ابن عباس وقيل المتربة لصقة من التراب اي هو مطروح في التراب
لا يواريه عن الارض شيء في قول ابن عباس ايضا ومجاهد يقال اترب الرجل اذا استغنى
وترب اذا افتقر وقوله ثم كان من الذين آمنوا معناه كان الانسان من جملة المؤمنين
اذا فعل ذلك وعقد الايمان ثم اقام على ايمانه وتواصوا اي وصى بعضهم بعضا بالصبر
على الشدائد والمحن والمصائب وتواصوا ايضا بالمرحمة اي وصى بعضهم بعضا بان يرحموا
الفقراء وذوي المسكنة وقوله اولئك اصحاب الميمنة الذين يعطون كتابهم بايمانهم
او يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والميمنة اليمن والبركة والمرحمة الرحمة وقوله
والذين كفروا باياتنا معناه ان الذين يجحدون نعم الله ويكذبون انبياءه هم اصحاب
المشأمة اي ذات الشمال فيؤخذ بهم الى النار او يعطون كتابهم بشمالهم والشقاوة
من الشؤم خلاف البركة عليهم نار موصدة قال ابن عباس ومجاهد والضحاك معناه عليهم
مطبقة **سورة والشمس وضحاها** مكية في قول ابن عباس والضحاك
وهي خمس عشرة آية في الكوفي والبصري وست عشرة في المدنيين ﴿

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها و
السماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها و
تقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها، عشر آيات، قرأ ابن كثير وابن
عامر وعاصم وضحاها بفتح أواخر هذه السورة وقرأ الكسائي بإضجاع ذلك كله، وقرأ أبو عمرو
ونافع جميع ذلك بين الكسر والفتح وقرأ حمزة وضحيها كسرا وفتح تلاها من فتح فلأنه وطحيها
الأصل والإمالة تخفيف وبين بين تخفيف ينفر بالأصل فلما كانت الياء
وفتح بنات الواو هذا قسم من الله تعالى بالشمس وضحاها وقد بينا أن له تعالى
أن يقسم بما شاء من خلقه تنبيها على عظم شأنه وكثرة الانتفاع به فلما كانت الشمس عظيما عظيم
شأنها الانتفاع به وقوام العالم من الحيوان والنبات بطلوعها وغروبها جاز القسم بها
ولما فيها من العبرة بتنقل الضوء حتى تقوى تلك القوة العظيمة بإذن الله وقوله وضحاها
يعني ضحى الشمس وهو صدر وقت طلوعها وضحى النهار صدر وقت كونه قال الشاعر
أعجلها أقدحي الضحاء ضحى وهي تناصي ذوائب السلم، وأضحى يفعل كذا إذا فعله وقت
الضحى ويقال ضحى بكبش أو غيره إذا ذبحه في وقت الضحى من أيام الأضحى ثم كثر حتى قيل
لو ذبح آخر النهار وقوله والقمر إذا تلاها قسم آخر بالقمر وتلو الشمس ووجه الدلالة
من جهة تلو القمر الشمس من جهة المعاقبة على أمور مرتبة في النقصان والزيادة لأنه لا يزال
ضوء الشمس ينقص إذا غاب جرمها ويقوى ضوء القمر حتى يتكامل كل ذلك دائبا تسخيرا
من الله للعباد بما ليس في وسعهم أن يجروه على شيء من ذلك المنهاج وقال ابن زيد
القمر إذا تبع الشمس في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر بالطلوع وفي
آخر الشهر يتلوها في الغروب وقال الحسن والشمس وضحاها يعني نورها والقمر إذا تلاها
يعني ليلة الهلال وقيل تلاها في الضوء وقوله والنهار إذا جلاها قسم آخر بالنهار إذا جلاها

يعني

يعني الشمس يصنو البين بجرمها وقيل معناه إذا جلى الظلمة فالهاء كناية عن الظلمة
ولم يتقدم لها ذكر لأنه معروف غير ملتبس والليل إذا يغشاها قسم آخر بالليل
إذا يغشاها يعني الشمس بظلمته عند سقوط الشمس وقوله والسماء وما بناها قال
قتادة معناه والسماء وبنائها جعل ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر وقال مجاهد
والحسن معنى والسماء ومن بنى السماء وهو الله تعالى وقوله والأرض وما طحاها قسم آخر
بالأرض وما طحاها ويحتمل ذلك وجهين أحدهما أن يكون المعنى والأرض وطحوها
والثاني والأرض ومن طحاها وهو الله تعالى ومعنى طحاها بسطها حتى أمكن التصرف
عليها وقال مجاهد والحسن طحاها ودحاها واحد بمعنى بسطها يقال طحا يطحو
طحوا ودحا يدحو دحوا وطحا بك همك ومعناه انبسط بك إلى مذهب بعيد فهو
يطحو بك طحوا وقال علقمة طحا بك قلب في الحسان طروب ويقال القوم يطحي
بعضهم بعضا عن الشيء أي يدفع دفعا شديدا لانبساطه والطواحي النسور تنبسط
حول القتلى وأصل الطحو البسط الواسع وقوله ونفس وما سواها قسم آخر بالنفس
وما سواها وهو يحتمل أيضا الأمرين أحدهما ونفس وتسويتها والثاني ونفس ومن
سواها وهو الله تعالى وقال الحسن يعني بالنفس آدم ومن سواها الله تعالى
وقيل إن ما في هذه الآيات بمعنى من كما قال فانكحوا ما طاب لكم وإنما أراد من
وقال أبو عمرو بن العلاء هي بمعنى الذي وأهل مكة يقولون إذا سمعوا صوت الرعد
سبحان ما سبح له يعني سبحان من سبح له وقوله فألهمها فجورها وتقواها قال
ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وسفيان معناه عرفها طريق الفجور وقال والتقوى ورغبها في التقوى وزهدها في الفجور
قوم خلاها حتى اختارت الفجور وألهمها تقواها بأن وفقها لها وقوله قد أفلح
من زكاها جواب القسم واللام مقدرة وتقديره لقد أفلح من زكى نفسه بالصدقة وقد
خاب من دساها وأخفى عن الصدقة والمعنى قد أفلح من زكى نفسه بالعمل الصالح واجتناب

المعصية وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وقال قوم معناه قد افلح من زكى الله نفسه
وقد خاب من دسّى الله نفسه وقوله وقد خاب من دسّاها معناه قد خاب اي خسر من دسّ
نفسه في معاصي الله سبحانه في القبائح التي نهاه الله عنها وقيل معناه دسّسها بالبخل
لان البخيل يخفي نفسه ومنزله لئلا يطلب نائله ودسّى نفسه نقيض زكاها بالعمل الصالح
وكذلك دسّاها بالعمل الفاسد حتى صيّرها في اخفاء وخسران وقيل دسّاها من
من سواد سوأة وقيل دساس نقيض زكا يزكو زكا ونموا ذاك وقيل معنى دسّاها
اي دسّسها معنى اخفاها ووضع منها بمعصيته وابدل من احدى السينين ياء كما قالوا
تظنيت بمعنى تظننت قال الشاعر تقضّي البازي اذا البازي كسر بمعنى تقضّض
قوله تبارك وتعالى كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا
فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا. قرأ اهل المدينة
وابن عامر فلا يخاف بالفاء وكذلك هي في مصاحف اهل المدينة واهل الشام
الباقون بالواو وكذلك في مصاحفهم يقول الله تعالى مخبرا عن ثمود وهم قوم
صالح انها كذبت بطغواها قال ابن عباس يعني بعذابها اي بعذاب الطاغية فاتاها
ما كذبت به وقال مجاهد بمعصيتها وهو قول ابن زيد وهو وجه التاويل والطغوى
والطغيان مجاوزة الحد في الفساد وبلوغ غايته يقال طغى يطغى اذا جاوز الحد ومنه
قوله لما طغى الماء اي لما جاوز القدر على ما جرت به العادة وكثر وقوله اذ انبعث
اشقاها اي كان تكذيبها حين انبعث اشقى ثمود وقيل اسمه قدار بن سالف
وقال قوم عاقر الناقة هو ذو الزيم وقيل لا بل هو غيره وقيل كانوا [illegible] بان لها شربا
ولهم شرب فلم يصدقوه بانه حق والشقاء شدة الحال في مقاساة الالم فالاشقى
هو الاعظم شقاء ونقيض الشقاء السعادة ونقيض السعود النحوس يقال شقي يشقى

شقاوة

[illegible]

شقاوة وقوله فقال لهم رسول الله يعني صالحا فانه قال لهم ناقة الله وتقديره احذروا
ناقة الله فهو نصب على الاغراء كما تقول الاسد الاسد اي احذروه وسقياها
فالسقيا الحظ من الماء وهو النصيب منه كما قال تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم
والسقي التعريض للشرب وقوله فكذبوه اي كذبت قوم صالح صالحا ولم يلتفتوا الى قوله
فعقروها يعني الناقة فالعقر قطع اللحم بما يسيل الدم عقره يعقره عقرا فهو عاقر ومنه عقر
الحوض وهو اصله والعقر نقض الشيء عن اصل بنية الحيوان وعاقر الناقة احمر ثمود وهو
قدار وكلهم رضي بفعله فعمّتهم البلية بان عاقبهم الله تعالى لرضاهم بفعله وقوله
فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها معناه اهلكهم الله تعالى عقوبة على ذنبهم من
تكذيب صالح وعقر الناقة وقيل معنى دمدم عليهم دمّر عليهم وقيل معناه اطبق عليهم
بالعذاب يقال دمدمت على الشيء اذا اطبقت عليه وناقة مدمدمة قد البسها الشحم
واذا كررت الاطباق قلت دمدمت وقيل دمدم عليهم اي غضب عليهم فالدمدمة ترديد
الحال المستكرهة وهي مضاعفة ما فيه المشقة فضاعف الله تعالى على ثمود العذاب
بما ارتكبوا من الطغيان وقوله فسوّاها اي حمل بعضها على مقدار بعض في الاندكاك
واللصوق بالارض فالتسوية تصيير الشيء على مقدار غيره وقوله ولا يخاف عقباها
قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد معناه لا يخاف الله تعالى تبعة الدمدمة
وقال الضحاك معناه لم يخف الذي عقرها عقباها والعقبى والعاقبة واحد وهو
ما ادى اليه الحال الاولى قال ابو علي من قرأ بالفاء فللعطف على قوله فكذبوه
فعقروها فلا يخاف كانه تبع تكذيبهم عقرهم اي لم يخافوا من ذلك ومن قرأ بالواو يجعل
الجملة في موضع الحال وتقديره فسوّاها غير خائف عقباها اي غير خائف ان يتعقب
عليه في شيء مما فعله

سورة والليل

مكية في قول ابن عباس
والضحاك وهي عشرون آية بلا خلاف قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا
لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى إحدى عشرة آية هذا قسم من الله تعالى بالليل اذا غشيته الظلمة
فاظلمت وادلهمت وغشي الانام لما في ذلك من الهول المحرك للنفس بالاستعظام ثم اقسم
بالنهار اذا تجلى ومعناه اذا انار وظهر للابصار لما في ذلك من الاعتبار وقيل التقدير
والليل اذا يغشى النهار فيذهب ضوءه والنهار اذا تجلى اي جلى الليل فاذهب ظلمته
ذكره الحسن والغشي الباس الشيء ما يغمه ويستر جملته وانما كرر ذكرهما في السورتين
لعظم شانهما وجلالة موقعهما في باب الدلالة على توحيد الله ذكره قتادة وقوله
وما خلق الذكر والانثى تقديره وخلقه الذكر والانثى للتناسل بينهما ويحتمل ان يكون
المراد ومن خلق الذكر والانثى وفي قراءة عبد الله والذي خلق الذكر والانثى لان ما بمعنى
الذي وهو الله فيكون القسم بالله وعلى الاول يكون القسم بخلق الله وقيل المراد بالذكر
والانثى آدم وحواء عليهما السلام وقوله ان سعيكم لشتى جواب القسم ومعناه ان سعيكم
لمختلف فسعي المؤمن خلاف سعي الكافر ومعنى شتى اي متفرق على تباعد ما بين الشيئين
جدا ومنه شتان اي بعد ما بينهما جدا كبعد ما بين الثرى والثريا وقال تشتت لمن
القوم وشتتهم ريب الزمان وقوله فاما من اعطى واتقى معناه من اعطى حق الله
واتقى محارم الله ذكره قتادة وصدق بالحسنى قال ابن عباس وعكرمة وقال مجاهد صدق
بالخلف وقال الضحاك صدق بتوحيد الله وقال مجاهد والحسن معنى صدق بالجنة وقال
قتادة بوعد الله والحسنى النعمة العظمى عن موقعها عند صاحبها وهذه صفة الجنة التي
اعدها الله تعالى للمتقين وحرمها من كذب بها وقوله فسنيسره لليسرى معناه نسهل عليه

الامر

الامر في التيسير تصيير الامر سهلا وضده التعسير والتضييق ونقيض التيسير التعسير وهو
تصيير الامر صعبا واليسر نقيض العسر يقال ايسر اذا كثر ماله يوسر ايسارا وتقديره
فسنيسره للحال اليسرى فلذلك انث فحال اليسر اليسرى وحال العسر العسرى والتيسير
لليسرى يكون بان يصيرهم الى الجنة والتعسير من العسرى بان يصيرهم الى النار ويجوز
ان يكون المراد التمكين من سلوك طريق الجنة والتمكين من سلوك طريق النار ومعناه
انا لا نمنع المكلفين من سلوك احد الطريقين ولا نضطرهم اليه وانما نمكنهم بالقوى
عليهما ودفع المنع والترغيب في احدهما والتزهيد في الاخرى فان احسن الاختيار اختار
ما يؤديه الى الجنة وان اساء فاختار ما يؤديه الى النار فمن قبل نفسه اتى وقوله
واما من بخل واستغنى معنى به من منع حق الله الذي اوجبه عليه من الزكوة والحقوق
الواجبة في ماله واستغنى بذلك فكذب فسنيسره للعسرى يعني طريق النار وقد وكثر ماله
بينا كيفية تيسير الله لذلك من التمكين او التصيير فلا فائدة لاعادته والعسرى
البلية العظمى بما يؤدي اليه ونقيضها اليسرى وهو ماخوذ من العسر واليسر فحال
العسر العسرى وحال اليسر اليسرى فتذكير الايسر والاعسر وقال الفراء المعنى
فسنيسره للعود الى الصالح من الاعمال ونيسره من الاعمال للعسرى على مزاوجة
الكلام والمعنى التكبير فالاولى ان يكون الآيتان على عمومهما في كل من يعطي حق
الله وكل من يمنع حقه لانه ليس هاهنا دليل قاطع على ان المختص بها انسان بعينه
وقد روي انها نزلت في ابي الدحداح الانصاري وسمرة بن جندب ورووا في ذلك
قصة معروفة وروي في غيره وقوله وما يغني عنه ماله اذا تردى معناه اي
شيء يغني عن هذا الذي بخل بماله ولم يخرج حق الله منه اذا تردى يعني في نار جهنم
في قول قتادة وابي صالح وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقال مجاهد معناه
اذا مات وقال قوم معناه اذا تردى في القبر اي شيء يغنيه وقالوا اذا تردى في النار

ما الذي يغنيه وقوله ان علينا للهدى قال قتادة معناه ان علينا لبيان الطاعة من
المعصية وقيل في قوله ان علينا للهدى دلالة على وجوب هدى المكلفين الى الدين
وانه لا يجوز اضلالهم عنه وقوله وان لنا للآخرة والاولى معناه الاخبار من الله بان
له دار الآخرة والجزاء فيها على الاعمال والامر والنهي ليس لاحد سواه لان دار الدنيا
قد ملك فيها اقواما التصرف وقوله والاولى معناه وان لنا الاولى ايضا يعني دار الدنيا
فانه الذي خلق الخلق فيها وهو الذي مكنهم من التصرف فيها وهو الذي ملكهم
ما ملكهم فهو ايضا له على كل حال قوله تبارك وتعالى فانذرتكم نارا
تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي
ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف
يرضى تسع آيات • قوله فانذرتكم نارا تلظى وعيد من الله تعالى للمكلفين يقول
خوفتكم المعاصي التي تؤديكم الى نار تلظى وقرأ ابن كثير نارا تلظى بتشديد التاء
ادغم احدى التائين في الاخرى لان الاصل تتلظى وقيل انه ادغم نون التنوين في التاء
والباقون بالتخفيف حذفوا احدى التائين والتلظي تلهب النار بشدة الايقاد تلظت
النار تلظى تلظيا ولظى اسم من اسماء جهنم وقوله لا يصلاها الا الاشقى الذي
كذب وتولى قيل معنى كذب قصر عما امر به كما تقول لقي فلان العدو فكذب اذا لم
يرجع ذكره الفراء فكانه كذب في الطاعة اي لم يحقق وقال المفسرون معناه لا يدخلها
الا الانقاد بابدهم صليها وهي درك مخصوص من ادراك جهنم فهو مختص هذا الموعد الذي
كذب بآيات الله وجحد توحيده وتولى عنها بان لم ينظر فيها او رجع عنها بعد ان كان
نظر فيها فصار مرتدا الثاني يعرف لصاحبه من دليل الذي الذكاة قال ومن
جرى مجراه من عصى فعلى هذا الاستحقاق للخوارج في ان من ارتكب الكبيرة كافر وقوله
وسيجنبها الاتقى معناه سيبعد عن هذه النار من كان اتقى الله باجتناب معاصيه الذي

يؤتي

يؤتي ماله اي يعطي ماله يتزكى يطلب بذلك طهارة نفسه والتجنيب تصيير الشيء في جانب
عن غيره فالاتقى يصير في جانب الجنة عن جانب النار يقال جنبه الشر تجنيبا وتجنب
تجنبا وجانبه مجانبة ورجل جنب وقد اجنب اذا اصابه ما يجانب به الصلاة حتى يغتسل
وقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى معناه ليس ذلك لاجل يد سلفت تكافى عليها ولا
يد يتخذها عند احد من العباد وقوله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى معناه بل انما فعل
ذلك طلب رضوان الله وذكر الوجه طلبا لشرف الذكر والمعنى الا لله او الا ابتغاء
ثواب الله وطلب رضوانه وقوله ولسوف يرضى معناه ان هذا المطيع الذي فعل
ما فعله لوجه الله سوف يرضى بما يعطيه الله على ذلك من الثواب وجزيل النعيم يوم
القيامة

سورة والضحى

مكية في قول ابن عباس والضحاك
وهي احدى عشرة آية بلا خلاف قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى
ولسوف يعطيك ربك فترضى الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى
ووجدك عائلا فاغنى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما
بنعمة ربك فحدث • احدى عشرة آية • روي ان عروة ابن الزبير قرأ ما ودعك
ربك بالتخفيف من ودع يدع اي ترك يترك وهو قليل لان سيبويه قال استغنوا
بترك عن ودع فلم يستعملوه والباقون بالتشديد هذا قسم من الله تعالى بالضحى وهو صدر
النهار وهو الضحى المعروف في قول قتادة وقال الفراء هو النهار كله من قولهم ضحي فلان
للشمس اذا ظهر لها وفي التنزيل وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى وقوله والليل اذا سجى
فيه اقوال قال الحسن معنى سجى غشى بظلامه وقال قتادة معنى سجى سكن وهذا من قولهم
بحر ساج اي ساكن وفيه قال الضحاك يقال سجا يسجو سجوا اذا هدأ وسكن وطرف ساج

قال الاعشى فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساج ما يوارى الدعامصا و
قال الراجز يا حبذا القمراء والليل الساج وطرق مثل ملاء النساج وقوله ما ودعك
ربك وما قلى جواب القسم وقيل انه لما تاخر عنه الوحى خمس عشرة ليلة قال قوم من
المشركين ودعه الله محمدا وقلاه فانزل الله تعالى هذه السورة تكذيبا لهم وتسلية
للنبى عليه السلم لانه كان اغتم بانقطاع الوحى عنه ذكره ابن عباس وقتادة والضحاك ومعنى
ما ودعك ما قطع الوحى عنك وما قلى ما ابغض في قال ابن عباس والحسن وابن
زيد والقالى المبغض يقال قلاه يقليه قلى اذا ابغضه والفعل دال على انه لا يجوز ان
يقلاه الله ابدا لانه ابتداء بشارة وقال قلى ولم يقل قلاك فحذف الكاف لدلالة الكلام عليه ولان
رؤس الآى بالياء فلم يخالف بينها في مثله فاوى وهدى واغنى لان الكاف في جميع
ذلك محذوفة مرادة وقوله وللآخرة خير لك من الاولى خطاب للنبى عليه السلام
يقول الله تعالى له ان ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها خير لك من الاولى يعنى الدنيا و
الكون فيها لكونها فانية قال ابن عباس له في الجنة الف قصر من اللؤلؤ ترابه
المسك وفيه من كل ما يشتهى على اتم الوصف وقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى
وعد من الله لنبيه انه يعطيه من النعيم والثواب وفنون النعم ما يرضى النبى عليه السلم به ويؤثره
ثم عدد عليه النعم في دار الدنيا فقال الم يجدك يتيما فاوى ومعناه تقريره على نعم الله
عليه حين مات ابوه وبقى يتيما فآواه بان جعل له عبد المطلب اولا ولما مات عبد المطلب
آواه الى ابى طالب وسخره للاشفاق عليه والحنين على حفظه ومراعاته وقوله ووجدك
ضالا فهدى قيل في معناه اقوال احدها وجدك لا تعرف الحق فهداك اليه بان نصب لك
الادلة وارشدك اليها حتى عرفت الحق وذلك من نعم الله وثانيها وجدك ضالا عما انت
عليه الآن من النبوة والشريعة فهداك اليها وثالثها وجدك في قوم ضلال اي فكانك
واحد منهم ورابعها وجدك مضلولا عنك فهدى الخلق الى الاقرار بنبوتك والاعتراف

بصدقك فجعل ضالا بمعنى مضلول كما قيل ماء دافق بمعنى مدفوق وسر كاتم بمعنى
مكتوم وخامسها انه لما هاجر الى المدينة ضل في الطريق وضل دليله فارشدهم الله
الى الطريق الواضح حتى وصلوا فاذا قيل السورة مكية امكن ان يقال المراد به الى استقبال
والاعلام له انه يكون هذا على وجه البشارة له به ولا يكون ضلاله معصية لم تليس
ذهابا كما قلت وقوله ووجدك عائلا فاغنى فالعائل الفقير وهو ذو العيلة
من غير جدة قال يعيل عيلة اذا كثر عياله وافتقر قال الشاعر
وما يدرى الفقير متى غناه وما يدرى الغنى متى يعيل اى متى يفتقر وقيل انه ذكر
النعم من المنعم عن على وجهين احدهما التذكير للشكر وطلب الزيادة منها هذا
جود وكرم والاخر عند كفر المنعم عليه فهذا التذكير على الوجه الاول وقوله
فاما اليتيم فلا تقهر اى لا تقهره لظلمه باخذ ماله وكذلك من لا ناصر له فغلظ
فى امره والخطاب متوجه الى النبى وهو متوجه لجميع المكلفين وقيل معناه لا تقهر على ماله
وقوله واما السائل فلا تنهر فالانتهار هو الصياح في وجه السائل الطالب الرفد
وقال نهره وانتهره بمعنى واحد وهو متوجه الى جميع المكلفين وقوله واما بنعمة
ربك فحدث معناه اذكر نعم الله واظهرها وتحدث بها وقد قيل من شكر النعمة
الحديث بها فان قيل فهذا ونظايره مما عدده الله على خلقه من النعم وامتنانه
عليهم كيف يمن الله تعالى على خلقه بالنعم وذلك من فعل البخلاء لان الواحد منا
لو من على غيره بما يسديه اليه كان قبيحا قيل انما يقبح الامتنان اذا كان الغرض الازراء
بالمنعم عليه والتقصير به فاما اذا كان الغرض تعريف النعمة وتعديدها او اعلامه
وجوه ما يقابلها بالشكر فيستحق به الثواب والمدح فانه نعمة اخرى وتفضل لا حق
يستحق به الشكر فبطل ما قالوه سورة الم نشرح مكية في قول
ابن عباس والضحاك وهى ثمان آيات بلا خلاف قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا
لك ذكرك فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا فإذا فرغت فانصب وإلى ربك
فارغب. روى أصحابنا أن ألم نشرح مع الضحى سورة واحدة لتعلق بعضهما ببعض
ولم يفصلوا بينهما ببسم الله وأوجبوا قراءتهما في الفرائض في ركعة وألا يفصل بينهما
ومثله قالوا في سورة ألم تر كيف ولإيلاف وفي المصحف هما سورتان فصل بينهما
ببسم الله. والمعنى بهذه الآيات أيضا تعداد نعم الله تعالى على النبي صلى الله عليه وآله
في الامتنان بها عليه فقال له ألم نشرح لك صدرك فالشرح فتح الشيء بإذهاب ما يصد
عن إدراكه فالله تعالى فتح صدر نبيه بإذهاب الشواغل التي تصد عن إدراك
الحق وتعظيمه بما يجب له ومنه قول القائل اشرح صدري لهذا الأمر وشرح فلان
كتابا كذا ومنه تشريح اللحم إذا فتحه ورققه ومنه قوله أفمن شرح الله صدره للإسلام
وقال البلخي كان النبي صلى الله عليه وآله ضاق صدره بمعاصية الجن والإنس له فأتاه
الله من آياته وعده ما اتسع قلبه لحمل ما حمله الله وأمره به وقال الجبائي شرح الله صدره
بأن فعل له لطفا يسكن معه إلى ما كلفه الله وسهل عليه وكان ذلك ثوابا على طاعاته
ويجوز فعله بالكفار ونقيضه ضيق الصدر كما قيل في قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح
صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك
يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون والصدر الموضع الأرفع الذي فيه القلب ومنه
أخذ صدر المجلس تشبيها بصدر الإنسان وصدرت بكذا إذا جعلته في أول كلامك
والصدر لأن الأول يصدر عنه وصادره إذا أخذ ما يصدر عنه والأصل الانصراف الأول
عن الشيء وقوله ووضعنا عنك وزرك قال الحسن يعني بالوزر الذي كان عليه في الجاهلية
قبل النبوة وقال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد يعني ذنبك قالوا وإنما وصفت

ذنوب الأنبياء بهذا الثقل مع أنها صغائر مكفرة لشدة اغتمامهم بها وتحسرهم على وقوعها
مع ندمهم عليها وهذان التأويلان لا يصحان على مذهبنا لأن الأنبياء عليهم السلام لا
يفعلون شيئا من القبائح لا قبل النبوة ولا بعدها لا صغيرة ولا كبيرة فإذا ثبت
هذا فمعنى الآية هو أن الله تعالى لما بعث نبيه وأوحى إليه وانتشر أمره وظهر
بمكة كان يلقى من كفار قومه وتتبعهم لأصحابه بأذاهم له وتعرضهم إياهم ما كان يغمه
ويسوءه ويضيق صدره ويثقل عليه فأزال الله ذلك بأن أعلى كلمته وأظهر
دعوته وقهر عدوه وأنجز وعده ونصره على قومه فكان ذلك من أعظم المنن وأجزل
النعم فإذا قيل السورة مكية وكان ما ذكرتموه بعد الهجرة قلنا ليس يمنع أن يكون
الله أخبره بأن ذلك سيكون فيما بعد ليبشره به ويسليه عما هو عليه فجاء بلفظ الماضي
وأراد الاستقبال كما قال ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار وكما قال ونادوا يا مالك
ليقض علينا ربك والوزر الثقل في اللغة ومنه اشتق اسم الوزير لتحمله أثقال الملك
وإنما سميت الذنوب أوزارا لما يستحق بها من العقاب العظيم وقوله الذي أنقض ظهرك
نعت الوزر ووصف له بأنه أنقض ظهره بمعنى أثقله والإنقاض الانفعال الذي ينقض
بما حمل عليه انقض ينقض انقضاضا والنقض والهدم واحد ونقض المذهب إبطاله
بما يفسده وقال الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد أنقض بمعنى أثقل ويقال نقض سير إذا
أثقله السفر وقوله ورفعنا لك ذكرك قال الحسن ومجاهد وقتادة معناه أني لا أذكر
إلا ذكرت معي يعني لا إله إلا الله محمد رسول الله وقوله فإن مع العسر يسرا إن
مع العسر يسرا يدل على أن التأويل في قوله ووضعنا عنك وزرك ما قلناه لأن الله
بشره أنه يكون مع العسر اليسر وروي عن ابن عباس أنه قال لن يغلب عسر واحد
يسرين لأنه دخل العسر في الآيتين على أنه واحد لكونهما بالألف واللام واليسر منكر
في كلتيهما القائمة فالثاني غير الأول والعسر صعوبة الأمر وشدته واليسر هو أنه

ثم قال له فاذا فرغت فانصب قال ابن عباس معناه فاذا فرغت من فرضك فانصب الى
ما دعتك الله فيه من العمل وقال قتادة معناه فاذا فرغت من صلاتك فانصب
الى ربك فى الدعاء وقال مجاهد معنا فاذا فرغت من امر دنياك فانصب الى عبادة
ربك ومعنى فانصب فاتعب يقال نالهم ناصب اى ذو نصب ويقال انصبنى الهم
فهو منصب قال الشاعر تباك هم من امية منصب وقال النابغة
كلينى لهم يا امية ناصب اى فيه نصب كقوله عيشة راضية اى ذات رضى والخطاب
وان كان متوجها الى النبى فالمراد بجميع المكلفين من امته والفراغ استعاركون الشى
المضاد لكون غيره فى المحل ونقيضه الشغل وهو كون الشى المضاد فى المحل ومنه اخذ
شغل الافعال ولهذا لا يوصف تعالى بانه يشغله شى عن شى لانه تعالى يجتمع ما شاءه
من الافعال وقوله والى ربك فارغب حث له على الرغبة فى الطلب من الله تعالى دون غيره

سورة والتين

مكية فى قول ابن عباس والضحاك وهى ثمان آيات بلا خلاف قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان
فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين
ثمان آيات هذا قسم من الله تعالى بالتين والزيتون وقال الحسن ومجاهد
وعكرمة وقتادة هو التين الذى يوكل والزيتون الذى يعصر وقال ابن زيد
التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس وقال ابن عباس والتين مسجد نوح
والزيتون بيت المقدس قال الفراء سمعت رجلا من اهل الشام وكان صاحب تفسير
قال التين جبال ما بين حلوان الى همدان والزيتون جبال الشام والاول هو الظاهر

وطور سيناء هو قسم آخر وقال مجاهد وقتادة الطور جبل وسينين معناه مبارك
وكانه قيل جبل الخير الكثير لانه اضافه تعريف وقال الحسن طور سينين هو الجبل
الذى كلم الله عليه موسى ابن عمران عليه السلام فهو عظيم الشان وقيل سينين
معنى حسن لانه كثير النبات والشجر فى قول عكرمة وقوله وهذا البلد الامين
قسم آخر وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وابرهيم البلد الامين
مكة والامين معنى آمن كما قال الله تعالى او لم يروا انا جعلنا حرما آمنا وقال
قال الشاعر الم تعلمى يا اسم ويحك اننى حلفت يمينا لا اخون امينى
يريد آمنى وقوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم جواب القسم قال ابن
عباس خلق الله تعالى الانسان فى احسن تقويم منتصبا القامة وساير الحيوان
منكب وقال الفراء معناه انا لنبلغ بالآدمى احسن تقويمه وهو اعتداله واستوائه
شبابه وهو احسن ما يكون وقال الحسن ومجاهد وقتادة معناه فى احسن صورة والتقويم
تصيير الشى على ما ينبغى ان يكون عليه من التاليف والتعديل وقومه تقويما
فاستقام وتقوم وقوله ثم رددناه اسفل سافلين قال ابن عباس وابرهيم
وقتادة معناه الى ارذل العمر وقال الحسن ومجاهد وابن زيد ثم رددناه الى النار
فى اقبح صورة ثم استثنى من جملتهم الا الذين آمنوا بالله تعالى واخلصوا العبادة
له واضافوا الى ذلك الاعمال الصالحات وبين ان من هذه صفته فلهم اجر اى ثواب
على طاعاتهم غير ممنون اى غير منقوص وقيل غير مقطوع وقال مجاهد غير
محسوب وقيل غير مكدر بما يودى ويغم وقوله فما يكذبك معناه اى
شى يكذبك ايها الانسان بعد هذه الحجج بالدين الذى هو الجزاء وقال
قتادة معناه فمن يكذبك ايها الانسان بعدها بالدين الذى هو الجزاء والحساب
وهو قول الحسن وعكرمة وقوله اليس الله باحكم الحاكمين تقرير للانسان على الاعترا

بانه تعالى احكم الحاكمين مستحق تدبيرا لانه لا خلل فيه ولا اضطراب يخرج عما تقتضيه
الحكمة وفي ذلك دلالة على فساد مذهب المجبرة في ان الله يخلق الظلم والفساد والحكم
الجائر بما فيه فانه يبان عوا الى الحكمة فاذا قيل حكم جائر فهو بمنزلة حجة داحضة مجازا
معنى انه حكم عند صاحبه كما انها حجة عنده وليست حجة في الحقيقة وقيل المعنى اي شي يكذبك
بالدين وبحاك على مجد الجزاء يوم القيامة وانا احكم الحاكمين وروى عن ابن عباس
انه كان اذا قرأ اليس الله باحكم الحاكمين قال سبحانك اللهم بلى وروى ابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وآله انه قال اذا قرأ احدكم والتين والزيتون فاتى على آخرها فليقل بلى

سورة اقرأ باسم ربك مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي تسع عشرة
آية في الكوفي والبصري وعشرون في المدنيين **قوله تبارك وتعالى**

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي
علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى
ان الى ربك الرجعى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى عشر آيات

روي عن عائشة ومجاهد وعطاء ابن يسار ان اول آية نزلت قوله اقرأ باسم ربك الذي
خلق وهو قول اكثر المفسرين وقال قوم اول ما نزل قوله يا ايها المدثر وقد
ذكرناه فيما مضى هذا امر من الله تعالى لنبيه ان يقرأ باسم ربه الذي خلق
الخلق وان يدعوه باسمائه الحسنى وفي تعظيم الاسم تعظيم المسمى لان الاسم وصف المذكور به
للمسمى بما لا سبيل الى تعظيمه الا بمعناه فلهذا لا يعظم اسم الله حق تعظيمه الا من
هو عارف به ويعتقد لعبادة ربه فهو يعتقد بتعظيم المسمى ولا وجه له يعتقد به
الا تعظيم المسمى فلهذا قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما
تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال سبح اسم ربك وقال تبارك وتعالى تبارك اسم ربك

ذي

ذي الجلال والاكرام والباء زائدة وتقديره اقرأ اسم ربك وقوله الذي خلق في موضع
جر نعت لربك الذي خلق الخلائق واخرجهم من العدم الى الوجود وقوله خلق
الانسان من علق تخصيص لبعض ما ذكر بقوله الذي خلق لانه يشتمل على الانسان وغيره
وانما افرد الانسان بالذكر تشريفا له وتنبيها على ما خصه الله به من سائر الحيوان
وبين انه مع ذلك خلقه الله من علق وهو القطعة الجامدة من الدم وانما قال
علق وهو جمع علقة لان المراد بالانسان الجمع لانه اسم جنس وسمي قطع الدم التي تعلق
لرطوبتها بما تمر به فاذا جفت لا تسمى علقا واحدها علقة مثل شجرة وشجر وعلق
في معنى الجمع لان الانسان جمع على طريق الجنس والنطفة تستحيل في الرحم علقة
ثم مضغة ويسمى ضرب من الدود الاسود العلق لانه يتعلق على الشفتين اذا اريد تصيبها
فيمص الدم وفي خلق الانسان من علق دليل على ما يصح ان يقلب اليه الجوهر وقوله
اقرأ وربك الاكرم معناه اقرأ القرآن وربك الاكرم الذي يجيبك على عملك بما
يقتضيه كرمه ومعنى الاكرم الاعظم كرما وفي صفة الله معناه الاعظم كرما بما لا
يبلغه كرم كريم لانه يعطي من النعم ما لا يقدر على مثلها غيره فكل نعمة من جهته تعالى
اما بان اخترعها او سببها او سهل الطريق اليها وقوله الذي علم بالقلم الذي
في موضع رفع لانه صفة لقوله وربك والمعنى انه تعالى امتن على خلقه بما علمهم من كيفية
الكتابة بالقلم لما في ذلك من كثرة الانتفاع لخلقه فقد نوه الله بذكر القلم اذ
ذكره في كتابه وقد وصف بعض الشعراء القلم فقال لعاب الافاعي القاتلات
لعابه واري الجنا اشتارته ايد عواسل وقوله علم الانسان ما لم يعلم اثبات
من الله تعالى على خلقه بان علمهم ما لم يكونوا عالمين به ان خلق العلوم في قلوبهم
من الضرورة وبانه نصب الادلة لهم على الوصول اليها بما لم يعلم ضرورة وذلك
من اعظم نعم الله تعالى على خلقه وفي ذلك دلالة على انه تعالى عالم لان العلم لا يقع

الرحمن عالم وقوله كلا ان الانسان ليطغى ردع وزجر وتعقيب ارتدعوا وانزجروا لمعاشر
المكلفين ثم اخبر فقال ان الانسان ليطغى ويحتمل ان يكون بمعنى حقا على وجه القسم
بان الانسان ليطغى اي ليجاوز الحد في العصيان والخروج عن الطاعة ان راه استغنى
بطر وطغى وخرج من الحد الحد وحده ويجوز ان يقال زيد راه استغنى من رؤية القلب اي ذكر ماله استغنى
بمعنى العلم ولا يجوز من رؤية العين زيد راه حتى تقول راى نفسه لان الذي يحتاج اليه
جاز فيه الضمير المتصل لطول الكلام بلزوم المفعول الثاني وقرا ابو عمرو راه بفتح
الراء وكسر الهمزة وقرا نافع وحفص عن عاصم بالفتح فيهما والباقون بكسر الراء وبعد الهمزة
الف على وزن رعاه على امالة الفتحة وابو عمرو يميل الالف ثم قال على وجه التهديد لهم
ان الى ربك الرجعى فالرجعى والمرجع والرجوع واحد اي مصيرهم ومرجعهم الى الله
فيجازيهم الله على افعالهم على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب وقوله
ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى تعريض للنبي عليه السلام واعلام له ما يفعله من
ينهاه والمراد بالعبد في الاية النبي عليه السلم فان ابا جهل كان نهى النبي عليه السلام عن
الصلاة وكان النبي عليه السلم لما قال ابو جهل انا اكثر اهل هذا الوادي ناديا ذكره الم انهك عن الصلوة انتهره واغلظ له فقال ابو جهل
ابن عباس وقتادة والمعنى ارايت ابا جهل من فعل ما ذكرناه من منع الصلاة ونهي المصلي
عنها ماذا يكون جزاؤه وما يكون حاله عند الله وما الذي يستحقه من العقاب
قوله تبارك وتعالى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت
ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية
ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه
واسجد واقترب تسع ايات لما قال للنبي عليه السلام ارايت الذي ينهى
عبدا اذا صلى ينبغي ما ينبغي ان يقال له فانه يقال له ارايت ان كان هذا الذي بين
صلى على الهدى والطريقة الصحيحة او امر بان يتقي معاصي الله كيف يكون حال من

ينهاه

٤٤١

ينهاه عن الصلاة ويزجره عنها ثم قال النبي عليه السلام ارايت ان كذب بما يقال له واعرض
عن قبوله والاصغا اليه الم يعلم بان الله يرى كلا اي يعلم ما يفعله ويدرك ما يصنعه
فالهدى البيان عن الطريق المؤدي الى الغرض الحكمي يقال هداه الى الحق في الدين هداية
هدى والعدل بالبيان عن طريق الرشد هدى وكذلك باللطف به والتقوى تجنب
ما يؤدي الى الردى اتقاه اتقاء وتقوى واصل وقيا فابدلت الواو تاء والياء واوا
لان التاء احسن اولا من الواو مع مناسبتها بالقرب واتساع المخرج والمعنى ارايت
الذي فعل هذا الفعل ما الذي يستحق بذلك من الله من العقاب ثم قال على وجه
التهديد كلا لئن لم ينته عن هذا الفعل والقول لنسفعا بالناصية اي لنغيرن
بها الى حال تشويه يقال سفعته النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تشويه
وقيل معناه نجر بناصيته الى النار والناصية شعر مقدم الراس وهو من ناصى يناصي
مناصاة اذا واصل قال الراجز في يناصيها بلاد قي . فالناصية متصلة
بشعر الراس وقوله ناصية بدل من الناصية بدل النكرة من المعرفة ووصفها
بانها كاذبة خاطئة ومعناه ان صاحبها كاذب في اقواله خاطئ في افعاله واضاف
الفعل اليها لما ذكرناه وقوله فليدع ناديه وعيد للذي قال انا اكثر
اهل هذا الوادي ناديا بان قال له فليدع ناديه اذا حل عقاب الله به وقال
ابو عبيدة تقديره فليدع اهل ناديه كقوله سل القرية والنادي المجلس ومنه قوله وتأتون
في ناديكم المنكر ثم قال سندع الزبانية يعني الملائكة الموكلين بالنار في قول
ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك وقال ابو عبيدة واحد الزبانية زبنية وقال
الكسائي واحدهم زبني وقال الاخفش واحدهم زابن وقيل زبنية ويجوز ان يكون
اسما للجمع مثل ابابيل والزبن الدفع والناقة تزبن الحالب اي تركضه برجلها وقال
الشاعر ومستعجب مما يرى من اناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم ثم قال

كلا اى ارتدع وازجر فلا تطع هذا الناهى فانه لنبى الحسّ على ما نطق هذا الكافر وهو ابو جهل الذى نزلت الايات فيه واسجد لله تعالى واطعه واقترب من ثوابه بطاعته وقيل معناه تقرب اليه بطاعته دون الرياء والسمعة والسجود هنا فرض وهو من العزايم وهى اربعة مواضع السجدة تنزيل وحم السجدة والنجم واقرأ باسم ربك وما عداها فى جميع القرآن مسنون ليس بفرض وفيه خلاف ذكرناه فى الخلاف

سورة القدر مدنية فى قول الضحاك وقال عطاء انها مكية وهى خمس آيات بلا خلاف قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه فى ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هى حتى مطلع الفجر خمس آيات قرأ الكسائى وخلف مطلع الفجر بكسر اللام على معنى وقت طلوعه الباقون بالفتح على المصدر روى عن ابن عباس قرأ من كل امرئ يعنى من الملائكة الباقون من كل امر يعنى الواحد من الامور يقول الله تعالى مخبرا انا انزلنا القرآن فى ليلة القدر فالهاء كناية عن القرآن وانما كنى عنه من غير ذكر لانه معلوم لا يشتبه الحال فيه وقال ابن عباس انزل الله القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا فى ليلة القدر وقال الشعبى انا ابتدانا انزاله فى ليلة القدر وليلة القدر هى الليلة التى يحكم الله فيها ويقضى بما يكون فى السنة باجمعها من كل امر فى قول الحسن ومجاهد يقال قدر الله هذا الامر يقدره قدرا اذا جعله على مقدار ما يقتضيه الحكمة وقيل قد فسر تعالى ليلة القدر بقوله فيها يفرق كل امر حكيم وقيل سميت ليلة القدر لعظم شانها وجلالة موقعها من قولهم فلان له قدر والاقوى انها وليلة القدر فى العشر الاواخر من شهر رمضان بلا خلاف وهى ليلة الافراد بلا خلاف

دفر

وقال اصحابنا هى احدى الليلتين اما ليلة احدى وعشرين او ثلث وعشرين وجوّز قوم ان تكون ساير ليالى الافراد احدى وعشرين وثلث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وتسع وجوّزوا ايضا تقدمها فى سنة وتاخيرها فى اخرى وانما لم يعيّن هذه الليلة ليتوفر العباد على العمل فى ساير الليالى والقدر كون الشئ على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان فى ليلة القدر تجديد الامور على مقاديرها احصاها الله فى الاحوال والارزاق والواجب التى يجعلها الله للعباد ويقع فيها غفران السيئات وتعظيم له الحسنات على ما لا يقع فى ليلة من الليالى فينبغى للعاقل ان يرغب فيما رغبه الله للمبادرة الى ما امر على ما شرط فيه والاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فى الخير الجزيل والنفع الكثير فيها دون غيرها فلما جعل الله تعالى الخير الكثير يقسم فى ليلة القدر بما لا يكون مثله فى الف شهر كانت افضل من الف شهر ليس فيها ليلة القدر بما جعل الله فيها من هذا المعنى ولذلك قال وما ادراك ما ليلة القدر تعظيما لها وتفخيما وانك يا محمد لا تعلم حقيقة ذلك ثم بين تعالى ذلك فقال ليلة القدر خير من الف شهر والمعنى ان الثواب على الطاعة فيها خير من الف يفضل على ثواب كل طاعة يفعل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر وقيل ان الله يتفضل على خلقه فى هذه الليلة ويتم عليهم بما لا يفعل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر والشهر فى الشرع عبارة عما بين هلالين من الايام وسمى شهرا لاشتهاره بالهلال وقد يكون الشهر ثلثين وتكون تسعة وعشرين اذا كانت هلالية فان لم تكن هلالية فهى ثلثون وقوله تنزل الملائكة والروح فيها معناه تنزل الملائكة والروح الذى هو جبرئيل بكل امر فى ليلة القدر الى سماء الدنيا حتى يعلمه اهل سماء الدنيا فيكون لطفا لهم وحتى يتصوره العباد بنزول باذن الله اليها فتصرف امالهم الى ما يكون فيها فيقوى رجاؤهم بما يتجدد من تفضل الله فيها وقيل ان من قطعها

بالسلامة والخير والبركة الى تلك الساعة باذن ربهم من كل امر اى ما يتنزلون بكله
بامر الله ويكون الوقف ههنا تامًا على ما قرابه القراء المشهورون وعلى ما حكيناه عن
عن ابن عباس وهو قول عكرمة والضحاك لا يكون تامًا وقوله سلام هي حتى
مطلع الفجر قيل هو سلام الملائكة عليهم السلام بعضهم على بعض الى طلوع الفجر
وقيل معناه سلام هي من الشر حتى مطلع الفجر ذكره قتادة وقيل ان فضل الصلاة
فيها والعبادات على الف شهر يراد بها الى وقت طلوع الفجر وليست كسائر الليالي
التي فضل العبادة في بعضها على بعض والمطلع الطلوع والمطلِع موضع الطلوع
وحتى مطلع يحقق لانها اذا كانت بمعنى الغاية خفضت الاسم باضمار الى ونصبت
الفعل باضمار الى ان كقولك دخلت الكوفة حتى مسجدها اى حتى انتهيت الى
مسجدها او الفعل كقولك اسير حتى ادخلها بمعنى الى ان ادخلها **سورة
لم يكن** مدنية في قول ابن عباس والضحاك وهي ثمان آيات في الكوفي
والمدنيين وتسع في البصري ه **قوله تبارك وتعالى**

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم
البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين
القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين
فيها اولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم
خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ثمان آيات

قرا نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان خير البرية وشر البرية مهموزتان الباقون بغير
همز من همز جعله من برا الله الخلق يبرؤهم ومنه البارئ ومن لم يهمز يجوز ان يكون
خفف ويجوز ان يكون من البرى الذي هو التراب كما قال بفيك من سار الى القوم
البرى ه وروى ابن شنبوذ من طريق القرضي لم حتى يهم بضم الهاء من غير اشباع الباقون
بضم الهاء ووصلها بواو في اللفظ يقول الله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة قال الحسن وقتادة معناه لم يكونوا
منتهين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة وقال قوم معناه لم يكونوا منفكين من
كفرهم اى زائلين وقيل معناه لم يكونوا ليتركوا منفكين من حجج الله حتى تاتيهم البينة
التي يقوم بها الحجة عليهم وقال الفراء معناه لم يكونوا زائلين من الدنيا والانفكاك
على وجهين على لا يزال ولا بد لها من خبر وحرف الجحد ويكون على الانفصال فلا
يحتاج الى خبر ولا حرف جحد كقولك انفك الشيء من الشيء قال ذو الرمة
قلائص ما تنفك الا مناخة على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا ه فجعله الفراء من انفك
الشيء فجعله غيره من ما يزال الا انه ضرورة والانفكاك انفصال عن شدة اجتماع و
اكثر ما يستعمل ذلك في النفي كما ان ما زال كذلك يقول ما انفك من هذا الامر اي
ما انفصل منه لشدة ملابسته له والمعنى ان هؤلاء الكفار من اهل الكتاب يعني
اليهود والنصارى ومن المشركين يعني عبادة الاصنام لا يفارقون الكفر الى ان تاتيهم
البينة يعني الحجة الظاهرة التي يتميز بها الحق من الباطل وهي من البينونة وفصل الشيء
عن غيره فالنبي عليه السلام حجة وبينة واقامة الشهادة العادلة بينة وكل برهان ودلالة
فهو بينة وقوله رسول من الله هو بيان تلك البينة بينها بانه رسول من قبل
الله يتلو عليهم صحفا مطهرة يعني في السماء لا يمسها الا الملائكة المطهرون من الانجاس و
قوله فيها كتب قيمة معناه في تلك الصحف كتب جمع كتاب قيمة فالقيمة المستقيمة

منفكين من حجج الله بصفتهم
للنبي [illegible] في كتابهم وقيل
معناه لم يكونوا صح

الصواب فهو على وزن فيعل من قام بالامر يقوم به اذا اجراه في جهة الاستقامة وقال
قتادة معناه مطهرة يعني من الباطل وهو القرآن يذكره باحسن الذكر ويثني عليه احسن الثناء
وقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اخبار من الله
تعالى ان هؤلاء الكفار لم يختلفوا في نبوة النبي عليه السلم لانهم كانوا مجمعين على نبوته لما
وجدوه في كتبهم من صفاته فلما اتاهم بالبينة الظاهرة والحجة القاهرة تفرقوا واختلفوا
فآمن بعضهم وكفر بعضهم وفي ذلك دلالة على بطلان قول من يقول ان الكفار خلقوا
كفارا في بطون امهاتهم لانه تعالى بين انهم لم يختلفوا في ذلك قبل مجيء معجزاته وادلته
ولا يلزم على ذلك ان يكون مجيء الآيات مفسدة من حيث وقع الفساد عندها لانه ليس
حد المفسدة ما يقع عنده الفساد بل حدها ما يقع عنده الفساد ولولاه لم يقع من غير ان يكون
تمكينا وهاهنا المعجزات تمكين فلم تكن مفسدة ثم قال تعالى وما امروا اي لم يامرهم الله
تعالى الا ليعبدوا الله وحده ولا يشركوا بعبادته غيره مخلصين له الدين لا يخلطون
بعبادته عبادة سواه وقوله حنفاء جمع حنيف وهو المايل الى الحق والحنيفية الشريعة
المايلة الى الحق واصلها الميل ومن ذلك الاحنف المايل القدم الى جهة القدم الاخرى وقيل
اصله الاستقامة وانما قيل للمايل القدم احنف على وجه التفاول ويقيموا الصلوة اي
يداوموا عليها ويقوموا بحدودها ويخرجوا الزكاة المفروضة في اموالهم ثم قال وذلك
دين القيمة اي ذلك الذي تقدم ذكره دين القيمة وتقديره ذلك دين الملة القيمة او الشريعة
القيمة وما امروا الا ليعبدوا الله دليل على فساد مذهب المجبرة في ان الله خلق الكفار
ليكفروا واراد منهم لانه صرح هاهنا انه خلقهم ليعبدوه وليس في الآية دلالة على ان افعال الجوارح
من الايمان ولا من الدين لانه يجوز ان يكون المراد وذلك اشارة الى الدين وتفصيله والذي
بذلك هو دين القيمة لان من لا يعتقد جميع ذلك ويومن بجميع ما يجب عليه فليس
بمسلم وقد تقدم قوله مخلصين له الدين ثم قال وذلك الدين دين القيمة والدين

يلزم

يلزم ان يكون راجعا الى الشرك وقتل النفس جميع ما تقدم كما انه يلزم على مذهبهم في قوله
ومن يفعل ذلك يلق اثاما ان يكون راجعا الى الشرك وقتل النفس والزنا بل عندهم يرجع
الى كل واحد من ذلك فكذلك هاهنا وقد استوفينا ما يتعلق بذلك في كتاب الاصول
وفي الآية دلالة على وجوب النية في الطهارة لانه بين تعالى انه امرهم بالعبادة على وجه
الاخلاص ولا يمكن ذلك الا بالنية والطهارة عبادة لقوله عليه السلم الوضوء
شطر الايمان وما هو شطر الايمان لا يكون الا عبادة ثم اخبر تعالى عن حال الكفار
والمشركين فقال ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين يعني من جحد توحيد
الله وانكر نبوة نبيه واشرك معه الها اخر في العبادة في نار جهنم معاقبين فيها
جزاء على كفرهم خالدين فيها اي مؤبدين لا يفنى عقابهم ثم قال اولئك هم شر البرية اي
شر الخليقة والبرية فعيلة من براه الله الا انه ترك فيها الهمز ومن همز فعلى الاصل ويجوز
ان يكون فعيلة من البرا وهو التراب ثم اخبر عن حال المومنين فقال ان الذين
آمنوا بالله واقروا بتوحيده واعترفوا بنبوة نبيه وعملوا الطاعات اولئك هم خير
البرية اي هم احسنهم حالة وانما اطلق بانهم خير البرية لان البرية هم الخلق ولا يخلوا ما
ان يكونوا مكلفين فالمؤمن خير منهم لا محالة وان كانوا مكلفين فاما ان يكونوا مؤمنين
او كافرين او مستضعفين فالمؤمن خيرهم ايضا لا محالة بما معه من الثواب وقوله
جزاؤهم عند ربهم يعني جزاء ايمانهم وطاعاتهم عند الله يوم يقيمهم الله يوم القيامة
ثم فسر ذلك الجزاء فقال جنات عدن اي بساتين اقامة خالدين فيها اي مؤبدين فيها
ابدا رضي الله عنهم اي رضي افعالهم ورضوا عنه بما فعل بهم من الثواب والرضا هو
الارادة الا انها لا تسمى بذلك الا اذا وقع مرادها ولم يتعقبها كراهية فتسمى حينئذ
رضا فالارادة لما يقع في الحال او فيما بعد فلا تسمى رضى ورضا الله من العبد ارادته
منهم الطاعات التي فعلوها ورضاهم عنه ارادتهم الثواب الذي فعله بهم ثم قال

ذلك لمن خشي ربه اي ذلك الرضا والثواب والخلود في الجنة لمن خاف الله فترك
معاصيه وفعل طاعاته **سورة الزلزلة** مدنية في قول ابن عباس
وقال الضحاك مكية وهي ثمان آيات في الكوفي والمدني الاول وتسع آيات في
البصري والمدني الاخير **قوله تبارك وتعالى** بسم الله الرحمن الرحيم
اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان ما لها
يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها يومئذ يصدر الناس اشتاتا
ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
ثمان آيات قرأ عاصم في رواية ابان عنه خيرا يُره وشرا يُره بضم الياء فيهما
بمعنى انه يُريه غيره الباقون بفتح الياء بمعنى انه يراه ويبصره وقرأ ابن عامر في رواية
هشام بن عمار والكسائي عن ابي بكر بسكون الهاء في قوله خيرا يره وشرا يره الباقون
بالاشباع فيهما يرهو فيهما قال ابو علي الاشباع هو الاصل وهو الوجه كما تقول اكرمهو
وضربهو وانما جاز اسكانها في الشعر وقد حكى ابو الحسن انها لغة ربما من يكني
فعلى هذه اللغة وقرأ ابو جعفر من طريق ابن العلاف وروح بضم الهاء من غير اشباع
فيهما وقد بينا الوجه فيه يقول الله تعالى مخوفا لعباده اهوال يوم القيامة ومنذرا لهم
بالحالة الباهرة بان قال اذا زلزلت الارض زلزالها فالزلزلة شدة الاضطراب بما
يهدم البنيان زلزل يزلزل زلزالا فهذه مكررة زلل يزلل للتكثير والتعظيم والزلزال
بكسر الزاي المصدر وبالفتح الاسم وقال الحسن زلزلت ورجفت ورجفت بمعنى واحد
وقوله واخرجت الارض اثقالها قال ابن عباس ومجاهد معناه اخرجت موتاها والاثقال
الارض ما فيها من الموتى وغيرها فان الارض تلفظ بكل ما فيها عند انقضاء
امر الدنيا وتجديد الامر لدار الآخرة وقوله وقال الانسان ما لها معناه يقول
الانسان اي شي اصارها الى هذه الحال التي يرى فيها فيقول الانسان ذلك متعجبا من عظم

شأنها وانه لامر عظيم لفظت ما فيها وتخلت من جميع الاموات التي استودعها وقوله
يومئذ تحدث اخبارها قيل معناه يظهر بالدليل الذي يجعله الله فيها ما يقوم مقام
اخبارها بان امر الدنيا قد انقضى وامر الآخرة قد اتى وانه لا بد من الجزاء وان الفوز
لمن اتقى وان النار لمن عصى وقيل معناه تحدث اخبارها بمن عصى عليها اما بان يقلبها
تعالى حيوانا قادرا على الكلام فيتكلم بذلك او يحدث الله تعالى الكلام فيها ونسبه
اليها مجازا ويظهر فيها ما يقوم مقام الكلام فعبر عنه بالكلام كما قال
امتلأ الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملأت بطني وقال آخر وقالت
له العينان سمعا وطاعة ويقولون عيناك تشهد بسهرك وغيره الى ما قد مضى نظائره
وقال ابن مسعود الارض تكلم يومئذ فيقول امرني الله بهذا وقوله بان ربك
اوحى لها معناه ان الارض تحدث بهذا فيقول ان ربك امرها اوحى اليها قال
العجاج وحى لها القرار فاستقرت اي اوحى اليها بمعنى القى اليها من جهته يقال
اوحى ووحى بمعنى واحد ثم قال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم
اخبارا من الله تعالى بان ذلك اليوم يصدر الناس اشتاتا اي مختلفين ليروا اعمالهم
اي ليجازوا على اعمالهم او ليريهم الله جزاء اعمالهم وقيل معنى رؤية الاعمال المعرفة
بها عند تلك الحال وهي رؤية القلب ويجوز ان يكون التاويل على رؤية العين بمعنى
ليروا صحائف اعمالهم يقرؤون ما فيها لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقيل
ليروا جزاء اعمالهم حسب ما قدمناه وقيل يرى الكافر حسناته فيتحسر عليها لانها
محبطة ويرى المؤمن سيئاته مكفرة وحسناته مثبتة ثم قال تعالى على وجه الوعيد
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال ابو عبيدة مثقال ذرة
معناه زنة ذرة وتقديره من يعمل وزن ذرة من الخير ير ثوابه وجزاءه ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره اي ير ما يستحق عليه من العقاب ويمكن ان يستدل بذلك على بطلان

الاحباط لان عموم الاية يدل على انه لا يفعل شيا من طاعة او معصية الا و يجازى
عليها وعلى مذهب القايلين بالاحباط بخلاف ذلك فان ما يقع محبطا لا يجازى عليها
ولا يدل على انه لا يجوز ان يعفى عن مرتكب كبيرة لان الاية مخصوصة بلا خلاف
لانه ان تاب عفى عنه وقد روى شرطوا ان لا يكون معصيته صغيرة فاذا شرطوا
الامرين جاز لنا ان نخص **سورة والعاديات** من يعفو الله عنه
مكية في قول ابن عباس وقال الضحاك هي مدنية وهي احدى عشرة آية بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فاثرن به نقعا فوسطن
به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد
افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ
لخبير احدى عشرة آية قوله والعاديات ضبحا قسم من الله تعالى بالعاديات
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطا يعني الخيل تضبح ضبحا نصب على المصدر
وقال عبد الله بن مسعود يعني الابل فعلى قول ابن عباس اراد ضبح الخيل في الجهاد
والحج وقال ابن مسعود اراد ضبح الابل في طريق الحج وروى عن علي عليه السلم ان المراد
به الابل لانه لم يكن يومئذ خيل للمسلمين والضبح في الخيل اظهر عند اهل اللغة وروى
عن علي رضي الله عنه ان الضبح في الخيل الحمحمة عند العدو وقيل الضبح شدة النفس
عند العدو ضبحت الخيل تضبح ضبحا وضباحا وقال ابو عبيدة ضبح وضبع بمعنى واحد
اى مد اضباعها في السير وقوله فالموريات قدحا معناه الظاهرات بسنابكها النار
قدحا يقال اورى القادح النار يورى ايراء اذا قدح قدحا وتسمى تلك النار نار
الحباحب لضعفها قال النابغة تقد السلوقي المضاعف نسجه ويوقدن بالصفاح نار الحباحب

وهو

وهو رجل بخيل كانت ناره ضعيفة لئلا يراها الاضياف وقال قتادة والضحاك وعطا
فالموريات قدحا الخيل حين تورى النار بسنابكها وقال ابن عباس هم الذين يورون
النار بعد انصرافهم من الحرب وقال مجاهد يعني ابطال الرجال وقال عكرمة الالسنة
وقوله فالمغيرات صبحا قال ابن عباس يعني الخيل تغير في سبيل الله وقيل انما
ذكر صبحا لانهم كانوا يسيرون الى العدو ليلا فياتونهم صبحا وقيل انهم لعزهم اغاروا
نهارا وقيل انما اقسم بالمغيرات صبحا لعظم شانها في الغارة على اعداء الله من المشركين
وجلالة امر الغارة عظيم وانما القسم تنبيه على عظم الشان وتاكيد للاخبار وقوله فاثرن
به نقعا اخبار منه تعالى ان هذه الخيل تثير الغبار بعدوها وسمى الغبار النقع لانه
يغوص فيه صاحبه كما يغوص في الماء يقال نقعه ينقعه نقعا فهو ناقع واستنقع
استنقاعا وانتقع انتقاعا وقال قتادة النقع الغبار وقيل الهاء في قوله به عائد
الى معلوم اى بالمكان او بالوادي وقوله فوسطن به جمعا قال قتادة يعني وسطن بذلك
المكان جمع العدو وقال مجاهد يعني جمع المشركين وقوله ان الانسان لربه لكنود
جواب القسم ومعناه في قول ابن عباس وقتادة والحسن ومجاهد وابن زيد لكفور
فالكنود الكفور ومنه الارض الكنود التي لا تنبت شيا واصله منع الحق والخير
قال الاعشى احدث لها تحدث لوصلك انها كند لوصل الزائر المعتاد
وقيل انما سميت كندة لقطعها اباها عن سماك وقوله وانه على ذلك لشهيد
قال الحسن معناه ان الانسان على ذلك لشاهد وقال قتادة يعني به وان الله على ذلك
لشهيد وقوله وانه لحب الخير لشديد قيل تقديره وانه لشديد الحب للخير
وقيل معناه وانه لشديد الحب للمال وهو بخيل الناس عنه وقال الحسن لشديد
معناه لشحيح يمنع منه حق الله وقال المبرد والربيع معناه من اجل حب الخير الذي
هو المال لبخيل ثم قال على وجه التنكير على الانسان والوعيد له افلا يعلم

يعني الانسان الذي وصفه اذا بعثر ما في القبور معناه أثير ما في القبور واخرج
ومثله بحثر وقوله وحصل ما في الصدور قال سفيان معناه ميز الحق من
الباطل وقال غيره معناه جمع وابرز وقوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير اخبار
من الله تعالى واعلام لخلقه ان الذي خلقهم ودبرهم في ذلك اليوم بهم لعالم خبير
باحوالهم لا يخفى عليه شيء من ذلك وكان سبب نزول هذه السورة ان النبي صلى الله عليه وآله
بعث سرية الى حي من كنانة واستعمل عليهم احد النقباء المنذر بن عمرو رضي الله عنه
والانصاري فغابت عن النبي عليه السلام ولم يعلم لها بخبر فانزل الله تعالى السورة
واخبره بحال القوم **سورة القارعة** مكية في قول ابن عباس
والضحاك وهي احدى عشرة آية في الكوفي وعشر في المدنيين وثمان في البصري

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث
وتكون الجبال كالعهن المنفوش فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية
واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك ما هيه نار حامية احدى
عشرة آية قرا حمزة ويعقوب ما هي بحذف الهاء في الوصل الباقون باثباتها وقفا ولم
يختلفوا في الوقف انها بالهاء معنى القارعة البلية التي تقرع القلب بشدة المخافة
تقول قرع يقرع قرعا وهو الصوت لشدة اعتماده ومنه اشتقت المقرعة وتقارع القوم
في القتال اذا تضاربوا بالسيوف وقرع راسه اذا ضرب في اعلى الفرع حتى ينتهيه و
المقرعة كالضرب بالقال وقال وكيع القارعة والواقعة والحاقة القيامة وقوله وما
ادراك ما القارعة تعظيم لشانها وتفخيم لامرها وتهويل لشدتها ومعناه واي شيء اعلمك
وقوله وما ادراك ما القارعة معناه انك يا محمد لا تعلم كنه وصفها وحقيقة امرها

على

على التفصيل وانما تعرفها على طريق الجملة ثم وصفها الله تعالى فقال يوم تكون
الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش والمعنى ان القارعة
التي وصفها وذكرها تقرع القلوب يوم يكون الناس بهذه الصفة والفراش الجراد
الذي ينفرش ويركب بعضه بعضا وهو غوغاء الجراد في قول الفراء وقال
ابو عبيدة هو طير ينفرش ليس بذباب ولا بعوض وقال قتادة الفراش
هو هذا الطير الذي يتساقط في النار والسراج والمبثوث المتفرق في الجهات
كانه محمول على الذهاب فيها يقال بثه يبثه بثا اذا فرقه وانبثثت الحديث
اذا القيته اليه كانك فرقته بان جعلته عند اثنين وقوله وتكون الجبال
كالعهن المنفوش فالعهن الصوف الالوان في قول ابي عبيدة قال زهير
كان فتات العهن في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم وقيل العهن
وعهنه وقيل ان الخلايق لعظم ما يرون من الاهوال وفيما هم من العذاب
يهيم كل فريق على وجهه ويذهب في غير جهة صاحبه وقوله فاما من
ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية قال الفراء الموازين والاوزان واحد
يقولون هل لك في درهم بميزان درهمك ووزن درهمك وقال الحسن في الآخرة
ميزان له كفتان وهو قول الجبائي واكثر المفسرين ثم اختلفوا فمنهم من قال
يجعل الله تعالى في احدى الكفتين نورا علامة للطاعات وفي الاخرى
ظلمة علامة المعاصي فايهما رجح على الآخر حكم لصاحبه به وقال آخرون
انما يوزن صحف الاعمال فما فيها الطاعات يجعل في كفة وما فيها المعاصي في
كفة اخرى فايهما رجح حكم لصاحبه به وقال قوم الميزان عبارة عن العدل
ومقابلة الطاعات بالمعاصي فايهما كان اكثر حكم له به وعبر عن ذلك بالثقل
مجازا لان الاعمال اعراض لا يجوز وزنها ولا وصفها بالثقل والخفة قال الشاعر

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندي لكل مخاصم ميزانه يريد ان كلامه في معارضته
فبين الله تعالى ان من كانت طاعته اكثر كانت موازينه اعظم فيكون صاحبها في عيشة
راضية اي مرضية فاعل هاهنا بمعنى المفعول لان معناه ذو رضا كقولهم
نابل اي ذو نبل قال النابغة كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطي
الكواكب اي ذو نصب وقال آخر وغررتني وزعمت انك لابن بالصيف تامر
اي ذو لبن وذو تمر وقال مجاهد ثقلت موازينه على جهة المثل ثم بين من كانت
معاصيه اكثر وقلت طاعاته اي امه هاوية اي مأواه هاوية يعني جهنم وانما سماها
امه لانه يأوي اليها كما يأوي الولد الى امه وسميت هاوية لما قال قتادة وابي صالح
من ان العاصي يهوي على ام راسه في النار ثم قال على وجه التعظيم والتفخيم
لامرها وما ادراك ما هيه اي انك تعلمها على الجملة ولا تعلم تفصيلها
وانواع ما فيها من العقاب والهاء في قوله ماهيه للسكت الا انه اجري الوصل
مجرى الوقف وتحذف فيها الحذف ثم فسر تعالى فقال نار حامية اي هي
نار حامية اي حارة شديدة الحرارة

سورة الهاكم

مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي ثمان آيات بلا خلاف قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف
تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين
اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ثمان آيات قرأ ابن عامر آلهاكم
بالمد وروي عن الكسائي بهمزتين والمراد به الانكار وقرأ ابن عامر والكسائي
لترون مضمومة التاء ثم لترونها مفتوحة التاء الباقون بالفتح فيهما قال
ابو علي وجه الضم انهم يحشرون اليها فيرونها فحشرهم اليها فيردونها وكذلك

قرا

قرأ الباقين بالفتح كأنه اراد لترون ولترونها فمن فتح فعلى انهم يرونها وقوله ثم لترونها
مثل الاول في انه من ابصار العين قيل ان هذه السورة نزلت في حيين من قريش
وهما بنو سهم وبنو عبد مناف تفاخروا وتعادوا وتكاثروا حتى ذكروا الاموات فقال
الله تعالى مخاطبا لهم الهاكم التكاثر فالالهاء الصرف الى اللهو واللهو الانصراف
الى ما يدعو اليه الهوى يقال لها يلهو لهوا ولهي عن الشيء يلهى لهيا فهو لاه وقوله اذا استاثر
الله بشيء فاله عنه والتكاثر التفاخر بكثرة المناقب يقال تكاثر القوم تكاثرا اذا تعادوا
ما لهم من كثرة المناقب والتفاخر منكر لانه تطاول بغير حق فالتكاثر التباهي بكثرة
المال والعدد وقيل ما زالوا يتباهون بالعز والكثرة حتى صاروا من اهل القبور كانوا
ذكره قتادة وقوله حتى زرتم المقابر فالزيارة اتيان الموضع كاتيان المأوى
في الالفة على غير اقامة زاره يزوره زيارة ومنه زورته تزويرا اذا شبه الخط فيما يوهم
انه خط فلان وليس به والزورة تكذب لانه شبهت وقيل في معناه قولان احدهما حتى
ذكرتم الاموات وقال الحسن معناه حتى متم وقوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف
تعلمون معناه ارتدعوا وانزجروا سوف تعلمون في القبر ثم كلا سوف تعلمون بعد النشور
روي ذلك عن علي عليه السلام وقيل انه يدل على عذاب القبر وقوله كلا لو تعلمون
علم اليقين نصب علم اليقين على المصدر ومعناه ارتدعوا وانزجروا لو تعلمون علم اليقين
الذي وهو ثلج الصدر بعد اضطراب الشك ولهذا لا يوصف الله بانه متيقن وقوله
لترون الجحيم يعني قبل دخولهم اليها في الموقف وقوله ثم لترونها يعني بعد الدخول
اليها وقوله عين اليقين كقولهم هذا محض اليقين والمعنى انكم لو تحققتم وتيقنتم
انكم ترون الجحيم وانكم اذا عصيتم وكفرتم عوقبتم لشغلكم عن طلب التكاثر في الاموال
في الدنيا ولا عجز عن ولم ترون لحقها او الجمع ونحوه واو التلاوة لا تحتمل وقوله
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال الحسن لا يسأل عن النعيم

الا اهل النار وقال سعيد بن جبير وقتادة النعيم في الاكل والشرب وغيرهما من اللذة
وقال عبد الله بن مسعود هو الامن والصحة وقال هو مما انعم الله به من كل
نعمة والفرق بين النعيم والنعمة ان النعمة كالانعام في التضمين لمعنى منعم انعم انعاما
ونعمة وكلاهما يوجب الشكر والنعيم ليس كذلك لانه من نعم نعيما فلو عملاه النعمة
لكان نعيما لا يوجب شكرا والنعمة بفتح النون من نعم ينعم العيش اذا لان وقيل العوق
لتسالن يومئذ عن النعيم عن ولاية علي عليه السلم وقيل من شرب الماء البارد وقيل
عن الامن والصحة وقيل من النورة في الحمام وروي ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

سورة والعصر

مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي اربع آيات
بلا خلاف في جملتها وان اختلفوا في تفصيلها قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا
بالحق وتواصوا بالصبر اربع آيات هذا قسم من الله تعالى بالعصر قال ابن
عباس المراد بالعصر ههنا الدهر وهو قول الكلبي وقال الحسن وقتادة هو العشي
وكلاهما فيه العبرة من جهة مرور الليل والنهار واصل العصر عصر الثوب ونحوه
وهو فتله لاخراج مائه فمنه عصر الدهر لانه الوقت الذي يمكن فتل الامور كفتل
الثوب قال العجاج عصرا وخضنا عيشه المعذلجا اي الناعم وقال
في العشي يروح بنا عمرو وقد قصر العصر وفي الروحة الاولى الغنيمة والاجر
ومنه سميت العصر لانها تعصر بالتاخير والعصارة ما يعتصر من العنب ونحوه
والمعصرات السحاب الذي يعتصر بالمطر والاعصار غبار كالعمود يصعد الى
السماء والعصر الالتجاء الى الملجأ والعصر الجارية التي قد دنا بلوغها لانه عصر شبابها
والانعصار دماء الشباب منها والاعتصار استخراج المال من الانسان لانه يغلب كما يحلب

ما يعصر

ما يعصر والعصران الغداة والعشي والعصران الليل والنهار قال الشاعر
ولن يلبث العصران يوم وليلة اذا طلبا ان يدركا ما تيمما وقوله ان الانسان لفي
خسر جواب القسم وفيه اخبار من الله ان الانسان يعني الكافر لفي خسر اي في نقصان
بارتكاب المعاصي وكفره بالله والخسر هلاك راس المال للانسان وبارتكاب المعاصي
في هلاك نفسه خسران وهو اكبر من راس ماله وقوله الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات استثناء من جملة الناس المؤمنين المصدقين بتوحيد الله باخلاص عبادته
العاملين بالطاعات وتواصوا بالحق اي تواصى بعضهم بعضا باتباع الحق واجتناب
الباطل وتواصى بعضهم بعضا بالصبر على تحمل المشاق في طاعة الله وقال الحسن وقتادة
الصبر على طاعة الله والصبر حبس النفس عما تنازع اليه من الامر حتى يكون الداعي الى
الفعل وقد امر الله تعالى بالصبر والتواضع والحق ما دعا اليه العقل

سورة الهمزة

مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي تسع آيات بلا خلاف
قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده كلا
لينبذن في الحطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على
الافئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة تسع آيات قرا حمزة والكسائي وخلف
وابن عامر وابو جعفر وروح جمع بالتشديد على التكثير الباقون بالتخفيف لانه
يقع على القليل والكثير من شدد اراد جمعه من وجوه شتى شيئا بعد شيء وعدده اي
جعله عدة ومن قرا مخففا اراد جمع مالا وعددا اي وقوما ذوي عدد انصارا و
قرا اهل الكوفة الا حفصا في عمد بضمتين جمع عمود مثل قدوم وقدم ورسول ورسل
وقرا الباقون بفتح العين والميم لانهم قد قالوا في جمع عمود عمد كما قالوا في جمع اديم

آدم وفي جمع اهاب اهب ﴿هذا﴾ وعيد من الله تعالى وتهديد لكل همزة لمزة فالهمزة
الكثيرة الطعن على غيره بغير حق العايب له بما ليس فيه عيب بجهله وسفهه وشدة
اقدامه على مكانه عيبه فيقال هو الناس يهمزهم همزا وهو همزة ومثله ضحكة اي كثير الضحك
فعيبة اى كثير العيب فكذلك همزة كثير الهمز بالطعن ومنه الهمزة في الكلام لانها
نبرة كالطعنة بقوة اعتماد وقال ابن عباس الهمزة الطعان واللمزة العتاب وقال زياد
الاعجم تدلى بودى اذا لاقيتنى كذبا وان اغيب فانت الهامز اللمزة وقال
ابن عباس الهمزة اللمزة المشاء بالنميمة المفرق بين الاحبة الباغي للبري العيب بالمعايب
وقيل نزلت في شرك بعينه كان يغتاب الناس ويلمزهم ذكره ابن عباس وقال قوم
نزلت في الوليد بن المغيرة وقال السدي نزلت هذه السورة في الاخنس بن شريق وكان
همز النبي ويلمزه وقيل نزلت في جميل بن عامر الجمحي وقال مجاهد وورقا وابن عباس
ليست خاصة لاحد بل هي عامة وقوله الذي جمع مالا وعدده نعت للهمزة الذي
تقدم ذكره في انه يجمع المال ويحبه ولا يخرج حق الله منه وقوله يحسب ان ماله اخلده
معناه يظن هذا الذي جمع المال ولا يخرج حق الله منه انه يخلده وقوله اخلده بمعنى
كما يقال اهلكك اذا احدث به سبب الهلاك من غير ان يقع هلاكه بعدوا انما ذلك بمعنى
اوجب اخلاده وهلاكه وقيل ليس المراد انه يظن انه لا يموت ولكن يحب انه يبقى
من ماله الى ان يموت وقيل معناه انه يعمل عمل من يحسب ان ماله اخلده وقال
الحسن معناه يحسب ان ماله اخلده حتى يغنيه وقوله كلا لينبذن في الحطمة معناه حقا
ليقذفن وليطرحن من وصفناه بجمع المال ومنع حق الله في الحطمة ثم قال
وما ادراك ما الحطمة تعظيما لها ثم فسرها فقال نار الله الموقدة اى هي نار الله الموقدة
والحطمة الكثيرة الحطم اي الاكل رجل حطمة اكول وحطم الشي اذا كسره واذهبه
وتحطم اذا تكسر واصله الكسر الهلاك وقوله التي تطلع على الافئدة معناه تبلغ المها

ووجعها الافئدة اطلعت على ارض كذا اذا بلغتها وقوله انها يعنى النار عليهم يعنى
الكفار موصدة اى مطبقة يقال اصدت الباب اوصدته اذا اطبقته واوصدته ايصادا
لغتان ومنه قوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وابو عمرو همز موصدة لانه من
الهمز لا يخرج من لغة الى لغة اخرى وقوله في عمد ممددة فالعمد جمع عمود وقيل
جمع عماد كقولك اهاب واهب واهب ويجوز عمد والعمود عود مستطيل قوى
على شدة الاعتماد وقال ابن عباس مسعود معناه ان النار مطبقة بعمد ممددة وقال
ابن عباس في عمد مغلقين بها وقال قتادة في عمد يعذبون بها وقيل الاطباق بالعمد مُغلَّقين
الممددة لنا كذا باسم من الخروج منها
سورة الفيل
مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي خمس آيات بلا خلاف
قوله تبارك وتعالى
بسم الله الرحمن الرحيم
الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل
عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول
خمس آيات هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله يتوجه الى جميع المكلفين
من قومه يقول لهم على وجه التنبيه على عظم الآية التي اظهرها والمعجزة التي فعلها ليستدلوا
بذلك على توحيده ووجوب اخلاص العبادة له فقال الم تر ومعناه الم تعلم فالرؤية
هاهنا بمعنى العلم لان الرؤية البصر لا يتعلق بما قد تقضى وعدم كانه قال الم تعلم كيف
فعل ربك باصحاب الفيل الذين قصدوا اهدام البيت وهلاك اهله فاهلكهم
الله تعالى وكان الذى قصد لهدم البيت ابرهة بن الصباح وهو المعروف بابرهة
ذو الاشرم ويكنى ابا يكسوم وقيل انه لم يسلم من قومه غيره ولى الى اهله فكلما نزل
منزلا تساقط منه عضو فلما وصل اليهم اخبرهم الخبر ثم هلك ابرهة بحلاجين

اليمن ملكته الحبشة عليهم وكان بيت فيه ايا ها العرب يحجون اليه بني كنيسة عظيمة
اراد ان يحج اليها بدل الكعبة وقال الحسن كان السبب في ذلك ان العرب هدمت كنيسة
الحبشة وهم نصارى فاراد تخريب الكعبة في مقابلة ذلك فاقبل فجمع كيف معه الفيلة
فجعل الله كيدهم في تضليل عما قصد واله من تخريب الكعبة وارسل عليهم طيرا ابابيل
فمعنى ابابيل جماعات في تفرقة زمرة زمرة ولا واحد لها في قول ابي عبيدة والفرا كالا
واحد للعباديد والشماطيط وزعم ابو جعفر الرواسي انه سمع في واحدها ابالة وقال
الكسائي سمعت النحويين يقولون واحده ابول مثل عجول وقال بعضهم ابيل وقال
ابن عباس معنى ابابيل يتبع بعضها بعضا وقال قتادة معنى ابابيل كثيرة متتابعة وقيل
انها كانت سودا بحرية تحمل في مناقيرها واكفها الحجارة في قول عبيد بن عمير وقيل
كان مع كل طائر ثلثة احجار اثنين في رجليه وواحدة في منقاره وقال موهب
ابن عائشة كانت الحجارة اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وقيل كان الحجر يقع
في راس الرجل فيخرج من دبره وقيل ان المعروف منها برهة الاشرم الذي ملكته
الحبشة كان يكنى ابا يكسوم وقيل انه لم يسلم من قومه غيره فولى الى اهله وكلما نزل
منزلا تساقط منه عضو فلما فصل اليهم اخبرهم الخبر ثم هلك وقيل كان الفيل
اذا وجهوه نحو مكة وقف ولم يبرح واذا وجهوه الى جهة غيرها سار دلالة من الله
لهم وموعظة وكان هذا من اعظم المعجزات في ذلك الوقت اظهره الله تعالى
ليدل به على وجوب معرفته واخلاص عبادته وقال قوم انه كان معجزة لنبي كان في ذلك
الزمان ويجوز ان يكون ذلك خالد بن سنان وقيل انه كان ذلك ارهاصا لنبوة نبينا
عليه السلم لانه كان مولده في عام الفيل وقوله ترميهم بحجارة اي تقذفهم بحجارة
من سجيل قال ابو عبيدة سجيل كل شديد قال ابن مقبل ضربا تواصى به الابطال
سجيلا وقيل هي حجارة من الجحيم وهي سجين ثم ابدلت النون لاما كما قالوا

في اصلاب

في اصيلان اصيلال وقيل معنى من سجيل اي من طين مطبوخ كالآجر وقيل هو سنك
وكل بلغة الفرس فاعرب وكذلك روى عن ابن عباس وقوله فجعلهم كعصف ماكول
فالعصف ورق الزرع في قول ابي عبيدة وهو عصيفة لان الريح تعصفه اي تذهب يمينا
وشمالا وقيل معنى كعصف ماكول اي ماكول الثمرة كما يقال فلان حسن اي حسن الوجه
فاجرى ماكول على العصف من اجل اكل ثمرته لان المعنى معلوم للايجاز وقال
قتادة العصف التبن ومعنى ماكول قد اكلت بعضه المواشي وكسرت بعضه وقال
الزجاج معنى ماكول وقع فيه الاكال وقيل العصف التبن بلغة بني حنيفة وبيان
قوتي الدلالة وقصة اصحاب الفيل من الادلة الواضحة والحجج اللائحة على الملحدين في منكر
الصانع لانه لا يمكن نسب ذلك الى طبيعة ولا موجب كما ياولوا الزلازل والرياح والخسوف
وغير ذلك مما اهلك الله به الامم لانه ليس في الطبيعة اقبال طير باحجار وقصدها قوما دون
غيرهم حتى يهلكهم بما يرميهم به ولا يتعدى الى غيرهم بل ذلك من اوضح الادلة على انه
من فعل الله تعالى وليس لاحد ان يضعف ذلك وينكر الخبر لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لما قرا على اهل مكة هذه السورة كانوا قريبي عهد بالفيل فلو لم يكن كذلك ولم يكن له اصل
لانكروه فكيف وهم ورخوا به كما ورخوا ببنيان الكعبة وموت قصي وغير ذلك وقد
نظم الشعراء في قصة الفيل الشعر ونقلته الرواة فلا يمكن جحد ذلك لانه مكابرة

سورة لايلاف قريش

مكية في قول ابن عباس وقال الضحاك هي مدنية وهي اربع آيات في الكوفي
والبصري وخمس في المدنيين قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي
اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف اربع آيات قرا ابن عامر لالاف قريش مقصورا

ولم يجعل بعد هذه الهمزة يا على وزن لعلاف ايلافهم بيا بعد الهمزة خلاف لفظ الاول
الباقون لايلاف قريش ايلافهم جميعا بهمزة بعدها يا وقرا ابو جعفر وابن فليح الاولى
بهمزة بلا يا بعدها مثل علافهم ورواه ابو الحسن حماد عن يحيى مكسورتين بعدها ياء
الباقون بهمزة بعدها ياء ساكنة مثل عيلافهم قال الازهري الايلاف الاجارة
بالخفارة يقال آلف يؤلف والف يؤلف اذا اجار الابل بالخفارة والف المكان الفه
الفا وآلفته ايلافا بمعنى واحد فقد قدمنا القول فيما رواه اصحابنا ان الم تر كيف ولايلاف
قريش سورة واحدة مثل الضحى والم نشرح فعلى هذا العامل في لايلاف قوله فجعلهم
كعصف ماكول لايلاف قريش وهو قول الحسن ومن قال هما سورتان لم يجز ذلك وقال
العامل فيها قوله فليعبدوا فكانه قال لذلك الانعام فليعبدوا ومثله في تقديم
المعمول فيه قوله افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون كانه قال افاعبد غير الله
فيما تامروني لان تامروني اعتراض على هذا التقدير وانما جاز ان يعمل ما بعد الفا
فيما قبله لانها زائدة غير عاطفة كقولك زيدا فاضرب وتريد ضربه فاسهد فهي على شبه الجواز
الذي فيه تقديم المعمول كقولك ان تاتي زيدا اكرم ولو كانت عطفا لم يجز التقديم كما
لا يجوز في الواو وثم وقيل العامل فيه اعجبوا لايلاف قريش الا انه حذف لدلالة
الكلام عليه وقيل هو على الم تر كيف فعل ربك لايلاف قريش اي فعل ذلك لايلافهم
والايلاف اصحاب الالف عن التدبير والتلطف يقال الف يالف الفا والفه يولفه
ايلافا اذا جعله يالف وتالف القوم ايتلافا وتالفوا تالفا وتالفهم تاليفا والايلاف
نقيض الايحاش ونظيره الايناس والف الشي لزومه على عادة في سكون النفس اليه
وقوله رحلة الشتاء والصيف قال ابن زيد والكلبي كانت لهم رحلتان رحلة الصيف
الى الشام ورحلة الشتاء الى اليمن في التجارة والرحلة حال السير على الراحلة وهي الناقة
القوية على السير ومنه الحديث المروي الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة والرحل متاع

مطلق السير والارتحال احتمال الرحل للسير في السفر والشتاء اوان شدة البرد والصيف
زمان شدة الحر وفصول السنة اربعة ربيع وصيف وخريف وشتاء وقوله فليعبدوا رب
هذا البيت امر من الله تعالى للمكلفين ان يوجهوا عبادتهم الى الله رب البيت الحرام
دون غيره من الاصنام الذي اطعمهم من جوع بما اعطاهم من الاموال وسبب لهم من
الارزاق بالسوق في التجارة في رحلة الشتاء ورحلة الصيف وآمنهم من خوف قيل كانوا اذا
قالوا في سفرهم نحن اهل حرم الله لم يتعرض لهم احد وقال قتادة آمنهم من خوف القتل
بالحرم الذي جبل قلوب العرب على تعظيمه وقيل آمنهم من الجذام قال سفيان كان
لنا امام بالكوفة يقرا الم تر ولايلاف ولا يفرق بينهما

سورة ارايت

وتسمى سورة الماعون مكية في قول ابن عباس وقال الضحاك مدنية وهي سبع آيات
في الكوفي والبصري وست في المدنيين عد اهل الكوفة والبصرة يراءون راس آية يجوز
ان يقال ارايت بحذف الهمزة ولا يجوز ان يقال ريت لان الف الاستفهام يصير عوضا

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين
فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون
الماعون • سبع آيات • قوله ارايت خطاب النبي صلى الله عليه وآله على وجه التعجيب لمن
الكافر الذي يكذب بالدين وذهابه عن الايمان به مع وضوح الامر فيه وقيام الدلالة
على صحته والمراد بالدين الجزاء من الثواب والعقاب فالتكذيب بالجزاء من اخس شي على صاحبه
لانه يعدم به اكثر الدواعي الى الخير والصواب وعن الشر حض بهالك في الاسراع الى الشر
الذي يدعوه اليه طبعه لانه يخاف عاقبة الضرر فيه وقوله فذلك الذي يدع اليتيم
وصف للذي يكذب بالدين فبين ان من صفته انه يدع اليتيم ومعناه يدفعه عنفا وذلك

لانه لا يؤمن بالجزاء عليه فليس له رادع عنه كالمن يقر بانه يجازى عليه دعه يدفعه دعًا
اذا دفعه دفعا شديدا وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة يدع اليتيم معناه يدفعه عن
حقه وقوله ولا يحض على طعام المسكين معناه ولا يحث على طعام المسكين بخلا به
لانه لو كان لا يحض عليه عجزا عنه لم يذم به ولكن ان لو لم يحض عليه من غير قبح كان منه
لم يذم عليه لان الذم لا يستحق الا باخلاله صفة الوجوب اذا اخل به او القبيح اذا
فعله على وجه مخصوص وقوله فويل للمصلين تهديد لمن يصلي على وجه الرياء والسمعة
وانما اطلق مع انه رأس آية يقتضي تمام الجملة لانه معروف بما يدل على انه اراد من يصلي على
جهة الرياء والنفاق ثم بين ذلك بقوله الذين هم عن صلاتهم ساهون قال
ابن عباس ومسروق معناه يؤخرونها عن وقتها وقال قتادة معناه غافلون وقال
مجاهد لاهون كانهم يسهون للهوهم عنها وانما توجه بالخبر ههنا لانه في الصلاتهم
وقيل ساهون فيها الذين هم يراؤون معناه انهم يراؤون بصلاتهم الناس دون ان
يتقربوا بها الى الله وانما ذم السهو في الصلاة مع انه ليس من فعل العبد بل هو من فعل
الله لان الذم توجه في الحقيقة على التعرض للسهو بدخوله فيها على وجه الرياء وقلبه
مشغول بغيرها لا يرى لها منزلة تقتضي صرف الهم اليها وقوله ويمنعون الماعون
قال ابو عبيدة كل ما فيه منفعة فهو الماعون وقال الاعشى بأجود منه
بماعونه اذا ما سماؤهم لم تغم وقال الراعي قوم على الاسلام لما يمنعوا ماعونهم
ويضيعوا التهليلا وقال اعرابي في ناقة انها تعطيك الماعون اي تنقاد لك وتطيعك
واصله القلة من قولهم المعن القليل قال الشاعر فان هلاك مالك غير معن
اي غير قليل فالماعون القليل القيمة مما فيه منفعة من آلة البيت نحو الفاس والقدر
والابرة والدلو وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابرهيم وابي مالك وسعيد بن جبير
سئل عكرمة عمن منع ذلك فالويل له قال لا ولكن من جمع ذلك بان صلى ساهيا مرائيا

كيما

فمن منع ذلك

ومنع

٤٥٣

فمنع هذا وقوله فويل للمصلين وهو نعت المنافقين فدل على ان السورة مدنية
لانه لم تكن بمكة نفاق ويقال معن الوادي اذا جرت مياهه قليلا قليلا والماء
المعين الجاري قليلا قليلا وامعن في الامر اذا ابعد فيه قليلا قليلا وروي عن علي
عليه السلام انه قال الماعون الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك وقال
الشاعر يمج صبيره الماعون صبا فالصبير السحاب وقال انس بن مالك الحمد لله الذي
لم يجعلها في صلاتهم وانما جعلها عن صلاتهم فتاولها على من تركها متعمدا والمراد بالصلاة
ههنا الفرض

سورة الكوثر مكية في قول ابن عباس

وقال الضحاك مدنية وهي ثلاث آيات بلا خلاف قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر هذا خطاب
من الله تعالى لنبيه عليه السلام على وجه تعداد نعمه عليه يقول له انا اعطيناك
الكوثر فالاعطاء اخراج الشيء الى آخذ له وهو على وجهين اعطاء تمليك واعطاء الكوثر
اعطاء تمليك كاعطاء الاجر واصله التناول من عطا يعطو اذا تناول والكوثر
الشيء من شانه الكثرة والكوثر الخير الكثير وهو فوعل من الكثرة فالعطاء
هو حوض النبي صلى الله عليه وآله الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة وقال ابن عباس
هو الخير الكثير وروي عن عائشة رضي الله عنها ان الكوثر نهر في الجنة جانباه
قباب الدر والياقوت وقوله فصل لربك امر من الله تعالى لنبيه ويدخل معه جميع
المكلفين بان يصلوا بالصلاة وان ينحروا قال ابن عباس وانس بن مالك ومجاهد وعطاء
معنى وانحر البدن متقربا الى الله بنحرها خلافا لمن نحرها للاوثان وقيل معناه فصل
لربك صلاة العيد وانحر البدن والاضاحي وقيل معناه صل لربك صلاة المكتوبة واستقبل
القبلة بنحرك تقول العرب منازلنا تتناحر هذا بنحر هذا اي مستقبلة وانشد بعضهم

غير تمليك فاعطاء

وقال الحسن الكوثر القرآن وقال ابن عمر هو نهر يجري في الجنة على الدر والياقوت
صح

الجزء

أباحكيم قال انتم مجالد وسيد اهل الابطح الشاجر وروى عن علي عليه السلام ان
معناه ضع اليمنى على اليسرى حذاء النحر وهذه الرواية غير صحيحة والمروي عن ابي جعفر
وابي عبد الله ان معناه وانحر البدن والاضاحي وقوله ان شانئك هو الابتر
فالشانئ المبغض يقول شنئته اشنؤه شنأ اذا ابغضته وقال ابن عباس معناه عدوك
وهو قول سعيد بن جبير وقال هو العاص بن وائل السهمي فانه قال في النبي صلى الله عليه وآله
انه ابتر لا عقب له فقال الله تعالى ان شانئك هو الابتر يعني الذي انقطع
عنه كل خير وقيل انه اراد به انه لا ولد له على الحقيقة وان من ينسب اليه ليس بولد له
والابتر هو المنقطع عن الخير وقيل هو الذي لا عقب له ذكره مجاهد وقال قتادة
معناه الحقير الاذل بانقطاعه عن الخير وقيل قوله ان شانئك هو الابتر جواب
لقول قريش انه ابتر لا ولد له ذكر اذا مات قام مقامه يدعو اليه وانقطع امره وقيل
ان شانئك هو الابتر الذي ينقطع ما هو عليه من كثرة عوة فكان الامر كما اخبر به وقيل
الحمار الابتر المقطوع الذنب فشبه به وقيل في السورة تشاكل المقاطع للفواصل وسهولة
مخارج الحروف بحسن التاليف وتقابل المعاني بما هو اولى لان قوله فصل لربك احسن
من صل لنا لانه يجب ان يذكر في الصلاة صفة الربوبية وانحر هاهنا احسن من قوله
وانسك لانه على نظم فعد بر بحض والابتر احسن من الاخس لانه ادل على النهاية
في الخسة فهذه الحروف القليلة قد جمعت المحاسن الكثيرة وما لها في النفس من المنزلة
اكبر بالفخامة والجزالة وعظم الفائدة التي يعمل عليها وينتهي اليها
سورة قل يا ايها الكافرون مكية في قول ابن عباس وقال
الضحاك مدنية وهي ست آيات بلا خلاف قوله تبارك وتعالى
بسم الله الرحمن الرحيم
قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد

ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين ست آيات
قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ولي دين ساكنة الياء الباقون بفتحها من فتح الياء فلخفته
ومن اسكنها فانه كره الحركة على حرف العلة وقرأ دين بياء في الحالين يعقوب
الباقون بلا ياء فيهما من اثبت الياء فلانها الاصل ومن حذفها اجتزأ بالكسرة الدالة
عليها وقيل ان هذه السورة نزلت جوابا لقول جماعة من المشركين دعوا النبي عليه السلم
الى ان يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا هم الهه سنة وفيهم نزل قوله افغير الله تأمروني
اعبد ايها الجاهلون هذا قول ابن عباس وقيل انهم قالوا نشركك في امرنا فان
كان الذي في ايدينا خيرا كنت قد اخذت بحظك منه وان كان الذي في يدك خيرا
قد اخذنا بحظنا منه وقيل ان الذي قال ذلك الوليد ابن المغيرة والعاص بن وائل
والاسود بن المطلب وامية بن خلف وقيل انهم قالوا نترك اول العبادة لنزول ما بيننا
من البغضاء والعداوة فامر الله تعالى نبيه عليه السلم ان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون
ولا انتم عابدون ما اعبد ومعناه لا اعبد ما تعبدون لفساد عبادة الاوثان ولا انتم
عابدون ما اعبد لجهلكم بوجوب اخلاص العبادة لله لان العقل يقتضي انه
عليه السلم لهذا امتنع وامتنعوا وانما كرر ذكر العبادة لتصرفها في الفوائد المختلفة
وذلك لنفي عبادة الوثن للوثن كيف تصرفت الحال في ماض او حاضر او مستقبل
لقبحها ونفي عبادة الخالق لله مع اقامته على الجهل بوجوب اخلاص العبادة له تعالى
وقيل توجيه التكرير في السورة ان ظاهر ذلك وان كان تكريرا فليس في الحقيقة
تكريرا اصلا ولا تكرير في اللفظ الا في موضع واحد سنبينه بعد بيان المعنى انشاء
الله وذلك ان قوما من المشركين سألوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله منازلة العبادة
سنة يعبدون فيها ما يعبده عليه السلم وسنة يعبد هو عليه السلم ما يعبدون فنزل
الدلالة بوقوع العبادة وعلى هذا نفي منه لما يعبدون في الاستقبال ثم قال ولا انا عابد

هذا الجمع في الكلام على طريق الجواب
لا يكون بما لا افعل لا اعبد ما تعبدون
ولا انتم عابدون ما اعبد

ما عبدتم على نفي العبادة لما عبدوا في الماضي وهذا اوضح في انه لا تكرير في اللفظ ولا معناه

وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد فعلى التكرير في اللفظ دون المعنى من قبل ان

التقابل يوجب ان معناه ولا انتم عابدون ما عبدت الا انه عدل بلفظه الى اعبد للاشعار

ان ما عبدت هو ما اعبد واستغنى بما يوجبه التقابل من معنى عبدت عن الافصاح به

وعدل عن اللفظ لتضمين معنى آخر فيه وكان ذلك اكثر في الفائدة واولى بالحكمة لانه دل

على عبدت دلالة التصريح باللفظ كما يقابل المعنى فيما هو في حكم التقابل في اللفظ من حيث

فان قيل فهلا قال ما عبدت لتقابل اللفظ

هو دال عليه الا انه عدل عن الافصاح به للاشعار بان معبوده واحد كيف تصرفت

الحال وكان هذا ابعد في الايهام ان معبوده فيما مضى غير معبوده فيما يستقبل وقد

يجوز في الماضي والمستقبل ان يقع احدهما موقع الآخر اذا كان في الكلام ما يدل

عليه كما قال ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار على معنى ينادي ومنه قوله تعالى يدعوهم

ان رسول الله فلا يجيبونه ويدعوهم ابن زياد الى الباطل فيسرعون اليه فان قيل

فهلا دل على اختلاف المعنى باختلاف اللفظ اذ هو الاصل في حسن البيان قيل ان التقابل

في ذلك قد صير اللفظ في حكم المختلف لانه مقيد به ودلالة المقيد خلاف دلالة المطلق

عن نية قائم بالتدبير على خلاف معنى زيد قائم فان قيل فهلا دل على ذلك بما هو اصول

مختلفة اذ هو ادل على خلاف المعنى بصريح الجهة قيل انه لما اريد نفي العبادة على

تصريف الاحوال صرف لفظ العبادة لتصريف المعنى ولم يصلح فيه اصول مختلفة لئلا

نفي بعضا دون بعض

يوهم النفي انهم غير مصرفين عبادة الله على الوجوه والاسباب كلها وكان تصريف لفظ

العبادة لتصريف معناها احق واولى من تصريف معناها في غير لفظها لما فيه من التناسب

المنافي للتنافر ولفظة الكافرين في السورة مخصوصة بمن علم الله من حاله انه يموت على

كفره ولا يجوز ان يكون المراد العموم لانا علمنا دخول كثير ممن كان على الكفر ثم دخل في

الاسلام وقيل ان الالف واللام في الآية للعهود لان ايا لا يوصف الا بالجنس فيخرج اللفظ

على الجنس من حيث هو صفة لاي ولكن ايا المخاطبين من الكفار باعيانهم فآل الى

معنى المعهود في انه يرجع الى جماعة بعينها على يا ايها الرجل ادخلوا الدار فلم يأمر

جميع الرجال ولكن امر الذين اشرت اليهم باقبالك عليهم وقيل يجوز ان تكون

الآية عامة والتقدير ولا انتم عابدون ما اعبد بالشرط الذي ذكر وهو من ابى

عبادة الاكثر لان هذا الشرط لا يكون ابدا ولكن يجوز ان يؤمنوا فيما بعد بغير هذا

الشرط فان قيل ما فائدة الكلام قيل الانكار لما لا يجوز من منافلة العبادة على ما دعا اليه

قوم من الكفار لتقوم الحجة به من جهة السمع كما كانت من جهة العقل مع الاعجاز

الذي فيه فان قيل من اي وجه تضمن الاعجاز

قيل انه من جهة الاخبار عما يكون في مستقبل الاوقات مما لا سبيل الى علمه الا بوحي

الله الى من يشاء من العباد فوافق الخبر بما تقدم به الخبر وفي ذلك اكبر الفائدة و

اوضح الدلالة فان قيل ما معنى لكم دينكم ولي دين قيل معناه لكم جزاء دينكم ولي

جزاء ديني وحسبك بجزاء دينهم وبالا وعقابا كما حسبك بجزاء دينه نعيما وثوابا فان

قيل لم لا ذكرت الحجة في ان ما يدعون اليه لا يجوز قيل لانه قبحها الى حيث

احتجت تخرج مقالة يكفي العلم بفسادها حكايتها مع الاستغناء بما في العقول من

الدلالة على بطلانها فان قيل فهلا انكر عليهم من طريق ان كل ما دعوا اليه لا

يجوز للايجاز قيل لانه انكار يشتمل على حد ما سألوا ولو انكر انكارا مجملا لم يبين

به تفصيل ما سألوا الاتيان بحكم على انفراده ثم يجعل الانكار لعبادة منهم منه معنى

التفصيل فان قيل فهلا بين ذكرهم بصفة غير ملك قيل قد بين ذلك بعلم المعنى

له الا انه بصفات الذم التي فيها معنى الزجر وهي دالة على احوالهم فيما دعوا اليه من

الباطل وتحقق من احوال الجاهل فان قيل فلم قال لكم دينكم ولي دين معناه في

ظاهره التسليم قيل مظاهرة في الانكار كما قال تعالى اعملوا ما شئتم لما صاحبه من الدليل

على التمكين وشدة الوعيد بالقبح لانه اذا اخرج الكلام مخرج التسليم للامر دل على

ان النصر لا يلحق الا المسلم اليه فهانه قيل له اهلك نفسك ان كان ذلك خيرا لك فان قال لا قيل ولا انتم عابدون ما اعبد ولم يقل من اعبد قيل لانه مقابل لقوله ولا انا عابد ما عبدتم من الاصنام ثم حمل الثاني على الاول للتقابل حتى لا يتنافر وقيل ان معناه ولا انا عابد عبادتكم ولا انتم عابدون عبادتي لان عبادتي متوجهة الى الله وعبادتكم متوجهة الى الاصنام فلعلها هنا مع ما بعدها بمنزلة المصدر فان قيل فلم انكر ما لا يجوز في الحكمة بالبين النكير مع خروجه الى الخشى القبيح قيل لتبين ذلك ما لم يبين النكير في المعنى وان خرج لفظ ذلك المخرج لانه انما عومل تلك المعاملة ليحصل ويبين ما يكفي فيه شبهة حتى يظهر انه اقبح قبيح وهذا ضرب من البلاغة يجب بفهمه كل عاقل له ادنى فطنة وبعلم موضعه في الحكم فان قيل ما الدليل على ان تاويل السورة ما ذكرتم دون غيره من التاويلات قيل الدليل ان الكلام اذا احتمل وجهين فصاعدا في اللغة واحد الوجهين يجوز والآخر لا يجوز وجب ان يكون تاويله ما يجوز عليه تعالى ويليق به دون ما لا يليق به ولا يجوز عليه تعالى الله

سورة النصر

مدنية في قول ابن عباس والضحاك وهي ثلث آيات بلا خلاف قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ثلث آيات هذا وعد من الله تعالى لنبيه النصر والفتح قبل وقوع الامر وقال الحسن ومجاهد وعده الله فتح مكة ونصره على كفار قريش فجيء النصر وقوعه على التوقع له والنصر المعونة على العدو للظهور عليه لان المعونة قد تكون بالمال على نوائب الزمان وقد تكون على العدو وهي النصر دون المعونة الاخرى والفتح الفرج الذي يمكن معه الدخول في الامر علانية

العدو

العدو والناصب للحرب وقد يكون الفرج بالفرق فقط فلا يكون الفتح بل هاب العدو الذي صار عليا على حد المعنى وقوله ورايت الناس يدخلون في دين الله يعني في طاعة الله وطاعتك من الاسلام والتزام الاحكام واعتقاد صحته وتوطين النفس على العمل به واصل الدين الجزاء ثم يعبر به عن الطاعة التي يستحق بها الجزاء كما قال في دين الملك اي في طاعته والفوج جماعة من جماعة والافواج جماعات من جماعات وهكذا كان الناس يدخلون في الدين جماعة بعد جماعة من جملة القبائل حتى يتكامل اسلام الجميع وقوله فسبح بحمد ربك واستغفره امر من الله تعالى لنبيه بان ينزهه عما لا يليق به من صفات النقص وان يستغفره ووجه وجوب ذلك بالنصر والفتح ان النعمة بهما تقتضي القيام بحق النعمة المنافي للمعصية فكانه قال فقد حدث امر يقتضي الاستغفار مما جدده الله لك فاستغفره بالتوبة يقبل ذلك منك ومخرجه مخرج الخطاب للنبي عليه السلام وهو تعليم لجميع امته ومعنى فسبح بحمد ربك نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك اياه وقيل معناه صل شكرا له على ما جدد لك من نعمه والاستغفار قد يكون عند ذكر المعصية بما ينافي الاصرار وقد يكون على وجه التسبيح والانقطاع من الى الله وقوله انه كان توابا معناه انه يقبل توبة من بقي كما قبل توبة من مضى والتواب في صفة الله الكثير القبول للتوبة وفي صفة العباد الكثير الفعل للتوبة وقال قتادة عاش النبي بعد هذا سنتين ثم توفي صلى الله عليه وآله

للمعصية

سورة تبت

مكية في قول ابن عباس والضحاك وهي خمس آيات بلا خلاف قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ خمس آيات

وقرا عاصم حمالةَ الحطبِ نصبا على الذم الباقون بالرفع على انه خبر الابتدا، ويجوز ان يكون ارتفع امراته على انه فاعل سيصلى فكانه قال سيصلى ابو لهب وامراته نارا ذات لهب فقوله

ابن كثير تبا ابي لهب ساكنة الها على التخفيف كما قالوا في نهر نهْر الباقون بالتثقيل ،

روي ان ابا لهب كان قد عزم على ان يرمي النبي عليه السلام بحجر فمنعه الله من ذلك وقال

تبت يداه للمنع الذي وقع به ثم قال وتب بالعقاب الذي ينزل به فيما بعد وقيل

في قوله تبت يدا ابي لهب انه للدعاء عليه نحو قوله قاتلهم الله انى يؤفكون فاما قوله وتب فانه

خبر محض كانه قال وقد تب وقيل انه جواب لقول ابي لهب تبا لهذا من دين حين نادى

النبي صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب فلما اجتمعوا له قال لهم ان الله بعثني الى الناس عامًّا

واليكم خاصًّا وان اعرض عليكم ما ان قبلتموه ملكتم بالعرب والعجم قالوا وما ذلك يا محمد قال

ان تقولوا لا اله الا الله واني رسول الله فقال ابو لهب تبا لهذا من دين فانزل الله تعالى

قوله تبت يدا ابي لهب والتباب الخسران المؤدي الى الهلاك تب يتب تبا والتباب

الهلاك وفي تبت يدا مع انه اخبار دم لابي لهب لعنه الله وانما قال تبت يداه ولم يقل تبت

مع ان نفسه الله هو الهالك في الحقيقة لانه جار مجرى قولهم كسبت يداه لان اكثر العمل لما كان

باليدين اضيف ذلك اليهما على معنى الخسران الذي ادى اليه العمل بهما وقوله ما اغنى

عنه ماله وما كسب معناه ما نفعه ماله ولا الذي كسبه من الاموال ولا دفع عنه عقاب

الله حين نزل به فالاغناء عنه الدفع عنه فاما الاغناء بالمال فنحوه نحو دفع المضار به

وقوله سيصلى نارا ذات لهب خبر من الله تعالى ان ابا لهب سيصلى نارا ذات

لهب وهي نار جهنم الملتهبة وفي ذلك دلالة على صدق النبي صلى الله عليه وآله لانه مخبر بانه

يموت على كفره وكان الامر على ذلك وقوله وامراته حمالة الحطب قال ابن عباس والضحاك

وابن زيد ان امراة ابي لهب كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق النبي عليه السلام اذا خرج الى

الصلاة وقال عكرمة ومجاهد وقتادة انما وصفت بحمالة الحطب لانها كانت تمشي بالنميمة

دبر

وقيل حمالة الحطب في النار وفي ذلك دلالة ايضا قاطعة على انها تموت على الكفر وامراة

ابي لهب ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان عمة معاوية وقوله في جيدها حبل من مسد

فالمسد حبل من ليف وجمعه امساد وانما وصفت بهذه الصفة تخسيسا لها وتحقيرا

والجيد العنق قال ذو الرمة ، فعيناك عيناها ولونك لونها وجيدك الا انه

غير عاطل ، وقال ابو عبيدة المسد حبل يكون من صوف وقال الراجز ،،

ومسد أُمِرّ من اَيانق ، صهب عتاق ذات مخ زاهق ، والمسد الليف لانّ من شانه ان

يفتل للحبل واصل المسد الفتل فمنه المسد المحور من حديد لانه يدور بالفتل وقال

قوم هو ليف المقل فان قيل ما الذي كان يجب على ابي لهب حين سمع هذه السورة اكان يجب

عليه ان يؤمن فلو آمن لكان فيه تكذيب خبر الله بانه سيصلى نارا ذات لهب وان

لم يجب عليه الايمان فذلك خلاف الاجماع قيل خبر الله مشروط بانه سيصلى نارا

ان لم يؤمن ويجب عليه ان يعلم ذلك وهذا ابين الاجوبة واظهرها والله اعلم

ال اياقق

سورة الاخلاص

مكية في قول ابن عباس وقال الضحاك مدنية وهي اربع آيات قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قُل هو الله احدٌ ، الله الصمدُ ، لم يلدْ ولم يولدْ ، ولم يكن له كفوًا احدٌ ،

قرا ابو عمرو في رواية هارون عنه احد الله الصمد بغير تنوين في الوصل وقرا في رواية

نصر عن ابيه واحمد ابن موسى عنه بالتنوين ووجه ترك التنوين انه ينوي به الوقف

لانه راس آية ومعانه قد يحذف التنوين لالتقاء الساكنين والوجه تحريكه ، قال

الشاعر فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا ، وقرا كفوا بسكون الفاء مهموزًا

حمزة ونافع على خلاف عن نافع الباقون بضم الفاء مهموزا اما قال في اوائل هذه السورة

قل وهي امر من الله تعالى لان المعنى قال لي جبريل قل هو الله احد فحكى النبي صلى

الله عليه وآله تأويل لو قيل لسورة الاخلاص وقل يا ايها الكافرون المقشقشتان ومعناهما المبرئتان
من الكفر والنفاق كما يتقشقش الهناء الجرب وهذا امر من الله تعالى لنبيه عليه السلام ان
يقول لجميع المكلفين هو الله الذي تحق له العبادة احد ومعناه واحد وقوله هو كناية
عن اسم الرب لانهم لما قالوا انسب لنا ربك قال هو الله احد وقال الكسائي هو عماد وقوله
الله ابتداء وخبره احد وانكر الفراء ان يكون العماد مستانفا واصل احد وحد فقلبت
الواو همزة كما قيل وناة واناة لان الواو مكروهة اوله فقلبت الى حرف مناسب لها لانه
اول الخارج كما هي كذلك وانما حسن فيه مع ثقل الهمزة اقله وقد جاء وحد على الاصل
قال النابغة كأن رحلي وقد زال النهار بنا بذي الجليل على مستأنس وحد
وحقيقة الواحد شيء لا ينقسم في نفسه او معنى صفته فاذا اطلق واحد من غير تقدم موصوف
فهو واحد نفسه فاذا اجري على موصوف فهو واحد في معنى صفته فاذا قيل الجزء الذي
لا يتجزأ واحد في نفسه واذا قيل هذا الرجل انسان واحد فهو واحد في معنى صفته واذا فهو واحد
وصف تعالى بانه واحد فمعناه انه المختص بصفات لا يشاركه فيها غيره من كونه قديما وقادرا
لنفسه وعالما وحيا وموجودا كذلك وانه تحق له العبادة لا تجوز لاحد سواه ولا يجوز
ان يكون احد هذه هي التي تقع في النفي لانها اسم العام على الجملة والتفصيل فلا يصلح
ذلك في الايجاب تقول ما في الدار احد اي ما فيها واحد فقط ولا اكثر ويستحيل
هذا في الايجاب وفي قوله الله احد دليل على فساد مذهب المجسمة لان الجسم ليس
بواحد اذ هو اجزاء كثيرة وقد دل الله بهذا القول على انه واحد فصح انه ليس بجسم
وقوله الله الصمد معناه الذي تحق له العبادة هو الموصوف بانه الصمد معناه الذي
تحق له العبادة هو الموصوف بانه الصمد وقيل في معناه قولان احدهما قال ابن عباس
وشقيق وابو وائل انه السيد المعظم كما قال الاسدي الا بكر الناعي بخيري
بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد وقال الزبرقان ولا رهينة الا السيد الصمد

الثاني

الثاني انه معناه الذي يصمد اليه في الحوائج ليس فوقه احد يقال صمدت اليه اصمد اذا قصدت
اليه الا ان في الصفة معنى التعظيم كيف تصرفت الحال ومن قال الصمد بمعنى المصمت فقد
جهل الله لان المصمت هو المتضاغط الاجزاء وهذا تشبيه وكفر بالله تعالى وقوله
لم يلد نفي منه تعالى لكونه والدا له ولد وقوله ولم يولد نفي لكونه مولودا له والد
لان ذلك من صفات الاجسام وفيه رد على من قال ان عزيرا والمسيح ابنا الله تعالى وان
الملائكة بنات الله وقوله ولم يكن له كفوا احد نفي من الله تعالى ان يكون له مثل
او شبيه او نظير والكفو والكفاء والكفي واحد وهو المثل والنظير قال
النابغة لا تقذفني بركن لا كفاء له ولو تأثفك الاعداء بالرفد واحد مرفوع لانه اسم
كان وكفوا نصب لانه نعت نكرة متقدمة كما تقول عندي ظريفا غلام يريد عندي
غلام ظريف فلما قدمت النعت على المنعوت نصبته على الحال في قول البصريين وعلى
الظرف في قول الكوفيين والتقدير في الاية ولم يكن له كفوا واخص منه ولم يكن احد
كفوا له وانما قدم الظرف الملغى مع ان تأخير الملغى احسن في الكلام لانه افضل بركن
الاية الاولى كما يتقدم الظرف الذي هو خبر وموضعه التأخير لهذه العلة في هذا الجميع
لن يلد مال ولم عبد ولا شيء من الاشياء الا وله مثل الا الله تعالى فلذلك قال ولم يكن
له كفوا احد وروي ان النبي صلى الله عليه كان يقف عند آخر كل آية من هذه
السورة وكذلك كان يقرأ ابن مجاهد في الصلاة ابتداء سورة الفلق
مكية في قول ابن عباس وقال الضحاك هي مدنية وهي خمس آيات بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر
النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد خمس آيات بلا خلاف

٤٥٨

روى قتيبة انه قال هذا امر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولجميع الخلق المكلفين بان يستعيذوا من شر ما خلق بالذي خلق الفلق وان يقول هذا القول المخصوص وهو قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق فالفلق الصبح في قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وجابر ومجاهد وقتادة وابن زيد وفي رواية عن ابن عباس ان الفلق الخلق وقال قوم من اهل اللغة الفلق الخلق لانه مفلوق ومنه فالق الاصباح وفالق الحب والنوى وقيل للداهية فلقة لانها تفلق الظهر واصل الفلق الفرق الواسع من قولهم فلق راسه بالسيف يفلقه فلقا اذا فرقه فرقا واسعا ويقال ابين من فلق الصبح وفرق الصبح لان عموده ينفلق بالضياء من الظلام وقيل انه جب في جهنم يتعوذ اهل النار من حره ومن شدة حره وقوله من شر ما خلق عام في جميع ما خلقه الله فانه ينبغي ان يستعاذ من شر كل من يجوز ان يحصل منه الشر وليس المراد من شر الاشياء التي خلقها مثل السباع والهوام والشياطين وغير ذلك وقوله ومن شر غاسق اذا وقب قال ابن عباس والحسن ومجاهد من شر الليل اذا دخل بظلامه وقيل الغاسق كل هاجم بضرره كائنا ما كان فالغاسق في اللغة هو الهاجم بضرره وهو هنا الليل لانه يخرج السباع من آجامها والهوام من مكامنها واصله الجريان بالضرر من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها والغساق صديد اهل النار لسيلانه بالعذاب وغسقت عينه غسقانا اذا جرت دمعها بالضرر في الخلق والليل غاسق لجريانه بالضرر في اخراج السباع وقال كعب الغسق بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره ومعنى وقب دخل يقال وقب يقب وقوبا اذا دخل ومنه الوقبة النقرة لانه يدخل فيها وقوله ومن شر النفاثات في العقد قال الحسن وقتادة يعني السحرة الذين كانوا يعقدون عقدا وينفثون فيها وهو شبيه بالنفخ فاما التفل فنفخ بريق فهذا الفرق بين النفث والتفل وقال الفرزدق هما نفثا في من فميهما على النابح العاوي اشد رجام وقيل في شر النفاثات في العقد لان اكثرها انما يعمل ذلك النساء ويوهمن انهن ينفعن

ويضرون

ويهامون وعمود ذلك ما يخيل الى الانسان من غير حقيقة لما يقع من الحيلة بالاطعمة الضارة والامور المفسدة الثاني انه يقدر من حديث الجن بغير الله تعالى يخيل لهم بعض الناس دون بعض ولا يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وآله سحر على ما رواه القصاص الجهال لان من يوصف بانه مسحور فقد خبل عقله وقد انكر الله تعالى ذلك في قوله وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ولكن قد يجوز ان يكون بعض اليهود اجتهد في ذلك فلم يقدر عليه فاطلع الله نبيه على ما فعله حتى استخرج ما فعلوه من التمويه وكان دلالة على صدقه ومعجزة له وقوله ومن شر حاسد اذا حسد فالحاسد هو الذي يتمنى زوال النعمة عن صاحبها وان لم يردها لنفسه والغبطة ان يريد من النعمة لنفسه مثل ما لصاحبه وان لم يرد زوالها عنه فالغبطة محمودة والحسد مذموم وفي السورة ما يدفع به الشر وباذن الله على تلاوة ذلك بالاخلاص فيه والاتباع لامر الله وكان النبي صلى الله عليه وآله كثيرا ما يعوذ الحسن والحسين بهاتين السورتين وقيل ان اللواتي سحرن النبي صلى الله عليه وآله بنات لبيد بن اعصم اليهودي سحرنه في احدى عشرة عقدة فانزل الله تعالى السورتين وهما احدى عشرة آية فحل بكل آية عقدة

سورة الناس

وهي ست آيات بلا خلاف

قوله تبارك وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ست آيات

كان الكسائي في رواية ابي عمر يميل الناس لكسرة السين وهو حسن الا ان الباقين يتركون الامالة وهو الاصل

هذا امر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويدخل فيه المكلفون بانهم بان يستعيذوا برب الناس وهو الهم الذي هو ملك الناس ومدبرهم والاههم

من شر الوسواس فان تقولوا هذا القول الذي هو لعود برب الناس الى آخرها ورب
الناس هو الذي خلقهم وقدرهم على حسب ما اقتضته الحكمة وقوله ملك الناس انما خص خلقهم
بانه ملك الناس مع انه ملك الخلق اجمعين لبيان ان مدبر جميع الناس فاذن ان يعيذهم
من شر ما استعاذوا منه مع انه احق بالتعظيم من ملوك الناس والفرق بين ملك ومالك
حق جاز جميعا في فاتحة الكتاب ولم يجز ههنا الا ملك لان صفة ملك يدل على تدبير من
يشعر بالتدبير وليس كذلك مالك لانه يجوز ان يقال مالك الثوب ولا يجوز ملك الثوب
ويجوز ان يقال ملك الروم ولا يجوز مالك الروم فجرت في فاتحة الكتاب على معنى الملك في
يوم الجزاء ومالك الجزاء وجرت في سورة الناس على ملك تدبير من يعقل التدبير فكان
هذا احسن واولى وقوله اله الناس معناه انه الذي يجب على الناس ان يعبدوه لانه
الذي تحق له العبادة دون غيره وقوله من شر الوسواس فالوسواس حديث النفس
بما هو كالصوت الخفي واصل الصوت الخفي من قول الاعشى تسمع للحلي وسواسا اذا
انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل وقال روبة وسوس يدعو مخلصا رب
الفلق سرا وقد اوّن تاوين العقق والوسوسة كالهمهمة ومنه قولهم فلان موسوس
اذا غلبت عليه الوسوسة لما يعتريه من المرة وسوس يوسوس وسواسا ووسوسة و
توسوس توسوسا وفي معنى قوله من شر الوسواس قيل فيه ثلثة اقوال احدها
من شر الوسوسة التي تكون من الجنة والناس فامر بالتعوذ من شر الجن والانس الثاني
من شر ذي الوسواس وهو الشيطان كما قال في الاثر انه يوسوس فاذا ذكر العبد ربه
خنس وقوله من الجنة والناس بيان انه منهم كما قال الا ابليس كان من الجن فاتى والثالث فيكون
فوقف عليه كانه قيل من الشيطان الذي هو في صفته والناس الذي هو في صفتهم الثالث
من شر ذي الوسواس الخناس على العموم ثم يفسر بقوله عز وجل من الجنة والناس كما يقال
نعوذ بالله من شر كل مارد من الجن والانس وقوله الخناس معناه الكثير الاختفاء بعد

الظهور

الظهور خنس يخنس خنوسا ومنه قوله فلا اقسم بالخنس اي بالنجوم التي تخفى بعد ما تظهر
بتصريف الحكيم الذي اجراها على حق حسن التدبير ومنه الخنس في الانف لخفايه بانخفاضه
عند ما يظهر بنتوه قال مجاهد اذا ذكر العبد ربه خنس فاذا غفل وسوس اليه
وقوله الذي يوسوس في صدور الناس قيل ان الشيطان يدعو الانسان بكلام خفي
يفعله يصل مفهومه الى قلبه من غير سماع صوته كانسان يتكلم من وراء حجاب بكلام
يصل مفهومه الى القلب من غير سماع الصوت وهذا حال معقوله يقع عليها الوسوسة
واما الانسان فانما يوسوس غيره بان يدعوه الى الفساد ويحسن ذلك له و يغويه بدو
ويخوفه الفقر وينسيه العفو وقوله من الجنة والناس بيان لمن يكون منه الوسوسة
بين الله تعالى انه يكون من قبل الجن ومن قبل الانس والناس اصله من الاناس
فحذفت الهمزة التي هي فاء ويدل على ذلك الانس والاناس واما في تصغيره نويس
فان الالف لما كانت ثانية زائدة اشبهت الف فاعل فلما قلبت واوا شبهه بالفاعل
لذلك جازت الامالة في المواضع التي اميل الاسم فيها لذلك ومن اشبه ذلك
من الاوامر المتوجهة سئل عن قوله قل اعوذ برب وقل يا ايها الكافرون وسبح اسم
ربك وما اشبه ذلك من الاوامر المتوجهة الى النبي عليه السلم فقال كيف جاز من النبي
ان يقول قل في تلاوته ولو جاز ذلك لجاز ان يقول الانسان لغلامه قل لزيد قل كذا فيقول غلامه لزيد
كذا وهذا انسق الفرض فلنا عنه جوابان احدهما ان الامر وان كان متوجها
الى النبي فالمراد به امته معه فكانه خاطب الجميع بان يقولوا ذلك وان يلجوا الى الله
عند ذلك فلا سؤال على هذا الثاني ان الله تعالى امر النبي صلى الله عليه واله بالفعل
الذي امره وامره ايضا بتلاوة كلامه فلما كان قوله قل وسبح من كلام الله فوجب
عليه ان يتلوه على وجهه ولو كان مامورا بالفعل دون التلاوة لما وجب اثبات
بلفظة قل في هذه المواضع كلها وجميع آي القرآن في المصحف ستة آلاف

ومائتان واربع آيات وفي المدني الاول ستة الاف ومائتان وسبع عشرة آية وفي الكوفي ست
الاف ومائتان وثلثون آية وفي المدني الاخير ستة الاف ومائتان واربع عشرة آيات وستة
فجميع ما نزل بمكة خمس وثمانون سورة لا خلاف في ذلك وبالمدينة تسع وعشرون
سورة لا خلاف في ذلك فذلك مائة واربع عشرة سورة وعلى ما رويناه عن اصحابنا
وعن جماعة متفقين مائة واثنا عشرة سورة وعدد جميع كلمات القرآن تسع وسبعون
الفا ومائتان وسبع وسبعون كلمة وقيل سبع وثمانون كلمة وقيل تسع وثلثون
كلمة وجميع حروفه ثلثمائة الف حرف وثلثة وعشرون الفا وخمسة عشر حرفا وعدد
نقطه مائة الف وست وخمسون الفا واحدى وثمانون نقطة تم ذلك

تم كتاب التبيان في تفسير معاني القرآن وهو
اثنا عشر جزءا من اصل الجزء المصنف رحمه
الله ذو وجه ونور ضريحه وهو الشيخ
ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي
على يد العبد الاقل علي
بن شمس الدين العراقي
حامدا مصليا
مم

٢٥٠ ريال